المختصر

في

السيرة النبوية

الطبعة الثانية
١٤٤٢هـ ـ ٢٠٢١م

المختصر

في

السيرة النبوية

تأليف

موسى بن راشد العازمي


بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على سيِّدِ المرسَلين ورحمةِ الله للعالَمين نبيِّنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيِّبين أجمعين، **وبعدُ:**

فقد طلب مني بعض الإخوةُ الكرام تأليفَ كتابٍ مختَصَرٍ جامعٍ في السِّيرة النَّبَوية؛ ليكون لعامة الناس، فاعتذرتُ منهم في بداية الأمر، وذلك لانشغالي في مشروعي في خدمة السِّيرة النَّبَوية ومتطلباتها، ثم عاودوا الاتصال بي مرةً أخرى، وبعد إلحاحٍ منهم قلتُ: سأنظر في ذلك، وبدأتُ بعدها أتفحَّص كتُبَ المختصَرات في السِّيرة النَّبَوية للمتقدِّمين والمتأخِّرين، فوجدتُ جهودًا مباركةً سَطَرها أولئك الكرام في مختصَراتهم، وكنتُ قد جمعتُ من الفوائد والترجيحات والتحقيقات في هذا العِلم الشريف ـ السِّيرة النَّبَوية ـ ما أظن أن كثيرًا منها لا تُوجد مجموعة في المختصرات؛ فانشرح صدري لكتابة مختَصَر متينٍ جامعٍ في السِّيرة النَّبَوية، ولا يتعدَّى الجزءَ الواحِدَ، وشَرْطي في هذا المختصَر ذِكرُ القول الراجح في الحَدَث الواحد، أو ما أجمع عليه أهلُ السِّيَر والمغازي، ولا أذكر الخلاف إلا في المواضع التي وقع فيها خلافٌ قوي، وجمعتُ بين الروايات ما أمكن الجمع، وذكرتُ الراجِحَ في تواريخ الأحداث، وشرحتُ الكلماتِ الغريبة التي تحتاج شرحًا؛ ليَسهُلَ على القارئ الكريم فهمُها، وقد يقع لي تكرار شرح ما سبق شرحه، وعذري أني أريد ألا يحتاج القارئ الكريم إلى مراجعة غير الصفحة التي هو

فيها، ومن المعلوم أن التساهل في ذكر أحداث السِّيرة النَّبَوية جرى عليه العلماء، لكنه بشروط وليس على إطلاقه، كما قال ابن سَيِّد الناس في «عيون الأثر»: والذي ذهب إليه كثير من أهل العلم الترخُّصُ في الرقائق، وما لا حُكمَ فيه من أخبار المغازي، وما يَجري مجرى ذلك، وأنه يُقبَل فيها ما لا يُقبَل في الحلال والحرام؛ لعدمِ تَعلُّق الأحكام بها(١).

وكنتُ في بادئ الأمر عازمًا على ألَّا يَكبُرَ حجمُ هذا المختَصَر، إلا أنني وقفتُ على ترجيحات وتحقيقات نفيسة جدًّا، رأيتُ أنه من الظلم العلمي أن تُتركَ هذه الترجيحاتُ والتحقيقاتُ دون أن تُدوَّنَ في مظانها؛ فكَبُرَ حجمُ هذا المختَصَر قليلًا، وأسألُ اللهَ ﷻ أن يتقبَّلَ عملي هذا في تقريب السِّيرة النَّبَوية ناصعةً صحيحةً لأُمة الإسلام، وأن يُبارِكَ فيه ويجعَلَه خالصًا لوَجْهِهِ الكريمِ ﷻ، وصلَّى اللهُ وسلَّم وبارك على نبيِّنا محمد وعلى آله وأصحابِه الطيِّبين الطَّاهِرين.

كتبه

موسى بن راشد العازمي

ليلة الأحد

الخامس عشر من شعبان ١٤٤٢هـ

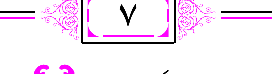
الموافق: السابع والعشرين من مارس ٢٠٢١م

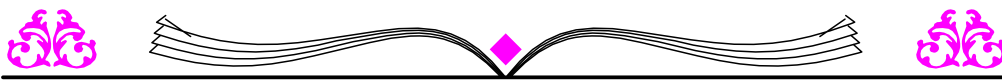
الكويت حفظها الله

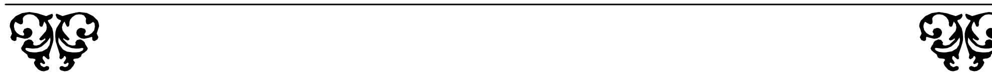
mrm3azmi@gmail.com

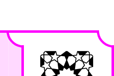


(١) انظر: عيون الأثر (١/ ٢١٥).









النَّسَبُ النَّبويُّ الشَّريفُ

هو: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعبِ بْنِ لؤَيِّ بْنِ غالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ بْن كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ.

ذكَر هذا النَّسَبَ النبويَّ الشريفَ الإمامُ البخاريُّ في «صحيحه»(١)، وهذا القدرُ مِن نَسَبه ﷺ متَّفق عليه بالإجماع، نقَل الإجماعَ على ذلك: الإمامُ النوويُّ(٢)، والإمامُ ابن القيِّم(٣)، والحافظُ ابنُ كثير(٤)، وغيرُهم.

قال الحافظ ابن كَثير: وهذا النَّسَب الذي سُقناه إلى عَدْنَانَ لا مِرْيَةَ فيه ولا نِزاع، وهو ثابت بالتواتُر والإجماع(٥).



ولادة النبي ﷺ(٦)

وُلِد رسول الله ﷺ يوم الإثنين(٧) من شهر رَبيع الأول من عام الفِيل، فقد

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب مبعث النبي ﷺ.

(٢) انظر: تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٩٢). (٣) انظر: زاد المعاد (١/ ٥٣).

(٤) انظر: الفصول في سيرة الرسول (ص٣٤).

(٥) انظر: الفصول في سيرة الرسول (ص٣٤).

(٦) وُلِدَ رسول الله ﷺ يتيمَ الأب، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦﴾ [الضحى: ٦].
ورَوَى الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٧٧١) (٧٠) عن ابن شهاب قال: ولَدَت آمِنَةُ رسولَ الله ﷺ بعد ما تُوُفِّيَ أبوه.

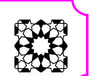
(٧) قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٢/ ٦٦٢): وهذا ما لا خلاف فيه؛ أنه وُلِدَ ﷺ يوم الاثنين.

روى الإمام مُسْلم في «صحيحه» عن أبي قَتَادة الأنصاري ﷺ قال: إن رسول الله ﷺ سُئِلَ عن صوم الإثنين، فقال رسول الله ﷺ: «**فيه وُلِدْتُ، وفيه أُنْزِلَ عَلَيَّ**»(١).

واختُلِف في أي يوم من شهر رَبيع الأول، وُلِدَ فيه رسول الله ﷺ؛ فالجمهور على أنه يومُ الثاني عشَر من شهر رَبيع الأول(٢)، واقتَصَر عليه ابن إسحاق في «السيرة»(٣).

وروَى الإمام أحمدُ والتِّرمِذيُّ بسند حسن عن قيس بن مَخْرَمة ﷺ قال: وُلِدْتُ أنا ورسول الله ﷺ عام الفِيل(٤).

وروَى الحاكم في «المستدرَك» بسند حسن عن ابن عباس ﷺ قال: وُلِدَ النبي ﷺ عام الفيل(٥).



رضاع النبي ﷺ

أرضَعَت آمِنَةُ بنتُ وَهْبٍ ولَدَها رسولَ الله ﷺ أيامًا، وكانت قليلةَ اللبَن، ثم أَرْضَعَتْه ثُوَيبة مَوْلاة أبي لهَب، وذلك قبل أن تَقْدُم حَلِيمة السَّعْدية.

روَى الشيخان في «صحيحَيهما» عن أم حَبيبة بنت أبي سفيان ﷺ: قالت لرسول الله ﷺ: إنَّا نُحدَّث أنك تريد أن تَنكِح بنتَ أبي سلَمة! فقال رسول الله ﷺ: «**بنتَ أُمِّ سلمةَ؟**» قلت: نعم. فقال رسول الله ﷺ: «**لو أنها**

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، رقم الحديث (١١٦٢) (١٩٨).

(٢) قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٢/ ٦٦٣): هذا هو المشهور عند الجمهور، والله أعلم.

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ١٩٥).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (رقم ١٧٨٩١)، والترمذي في جامعه، رقم الحديث (٣٩٤٧)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وذكره الإمام الذهبي في السيرة النبوية (١/ ٣٣) وقال: إسناده حسن.

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٤٢٢٥).

(٦) **الربيب**: ابن امرأة الرجل من غيره. انظر: لسان العرب (٥/ ٩٨).

لَمْ تَكُنْ رَبِيبَتِي[١] فِي حَجْرِي مَا حَلَّتْ لِي؛ إنها لَابْنَةُ أَخِي من الرَّضَاعَةِ، أَرْضَعَتْنِي وَأَبَا سَلَمَةَ ثُوَيْبَةُ، فَلَا تَعْرِضْنَ عَلَيَّ بَنَاتِكُنَّ وَلَا أَخَوَاتِكُنَّ»[٢].

رَضَاعه ﷺ في بادِيَة بني سَعد



ثم أَرضَعَت حَلِيمةُ السَّعدية رسولَ الله ﷺ في بادية بني سَعد بن بَكر، وأقام عندها رسول الله ﷺ سنَتَين حتى فَطَمَتْه، ثم إنها طَلَبَت من آمِنَةَ بنت وَهْب أن يَبقى عندها رسول الله ﷺ؛ وذلك لمَّا رأت البركات التي ظهَرَت في غنمها وأرضها.

قالت حَلِيمة السَّعدية: فلَم نَزَل نَتعرف من الله الزيادة والخير، حتى مَضَت سَنَتَاه وفَصَلْتُه[٣]، فكان يَشِبُّ شبابًا لا يَشِبُّه الغِلمان، فلم يبلُغ سَنَتَيه حتى كان غلامًا جَفْرًا[٤].

حادثة شَقِّ صَدره ﷺ الشريف



وبينما رسول الله ﷺ يَلعب مع الغِلمان في بادية بني سَعد، إذ جاءه جبريل عليه السلام ومعه ملَك آخر، فشَقَّ عن صدره الشريف، فقد روَى الإمام أحمد في «مُسنَده» والحاكم في «المُستَدرَك» - بسند حسن بالشواهد - عن عُتبة بن عبدٍ السُّلَمي قال: إن رجلًا سأل رسول الله ﷺ: كَيْفَ كَانَ أَوَّلُ شَأْنِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٥١٠١)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٤٤٩) (١٥).

(٢) **فصلته**: فَطَمَته. انظر: لسان العرب (١٠/ ٢٧٣).

(٣) **استَجْفَر الصبي**: إذا قوي على الأكل. انظر: النهاية (١/ ٢٦٨).

وأخرج ذلك ابن حبان في صحيحه، رقم الحديث (٦٣٣٥)، وابن إسحاق في السيرة (١/ ٢٠١) وإسناده منقطع، وللقصة شواهد كثيرة ثابتة.

فقال رسول الله ﷺ: «**كانت حاضِنَتي من بني سَعدِ بنِ بكرٍ، فانطَلَقتُ أنا وابنٌ لها في بَهْمٍ**[(١)] **لنا، ولم نأخُذْ معنا زادًا، فقلتُ: يا أخي، اذهَبْ فأْتِنَا بزادٍ من عند أُمِّنا، فانطَلَق أخي، ومَكَثتُ عند البَهْمِ، فأقبَلَ طَيْران أَبيَضان كأنَّهما نَسْرَان، فقال أحدُهما لصاحبِه: أهو هو؟ قال: نعم، فأَقْبَلا يَبتَدِرَانِي**[(٢)] **فأخَذانِي فبَطَحانِي إلى الْقَفَا، فشَقَّا بطني، ثمَّ استَخرَجا قلبي فشَقَّاه، فأَخرَجا منه علَقتَيْن**[(٣)] **سَوْداوَيْن، فقال أحدُهما لصاحبِه: حُصْهُ ـ يعني: خِطْهُ ـ، فحاصه وختَم عليه بخاتَمِ النُّبوَّةِ... ثمَّ انطَلَقا وترَكاني، وفَرِقْتُ فرَقًا شديدًا، ثمَّ انطَلَقتُ إلى أمِّي**[(٤)] **فأخبرتُها بالَّذي لَقيتُه، فأشفَقَتْ عليَّ أن يكونَ أُلبِسَ بي، فقالت: أُعيذُك باللهِ! فرَحَلَتْ بعيرًا لها فجَعَلتْني على الرَّحْلِ ورَكِبَتْ خلفي، حتَّى بلَغْنا إلى أمِّي**[(٥)] **فقالت: أدَّيْتُ أمانتي وذِمَّتي. وحدَّثَتْها بالَّذي لقيتُ، فلم يَرُعْها**[(٦)] **ذلك، وقالت: إنِّي رأيتُ خرَج منِّي نورٌ أضاءت منه قصورُ الشَّامِ**»[(٧)].

وروَى الإمام مسلم في «صحيحه» عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ أَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ، فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً، فَقَالَ: هذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لأَمَهُ[(٨)] ثُمَّ أَعَادَهُ فِي

---

(١) **البَهْم**، بفتح الباء وإسكان الهاء، جمع بَهْمة: وهي ولد الضأن؛ الذكر والأنثى. انظر: النهاية (١/ ١٦٥).

(٢) **يبتدراني**: يسرعان إلي. انظر: لسان العرب (١/ ٣٤٠).

(٣) **العَلَقة**: الدم الجامد. انظر: جامع الأصول (١٠/ ١١٤).

(٤) هي: حَلِيمة السَّعدية.

(٥) هي: آمِنَة بنت وَهْب.

(٦) **فلم يَرُعْها**: يعني: لم يُفْزِعها. انظر: النهاية (٢/ ٢٥٢).

(٧) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٧٦٤٨)، والحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٤٢٧٦)، وذكره الإمام الذهبي في السيرة النبوية (١/ ٥٢) وقال: هو صحيح.

(٨) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٢/ ١٨٧): أمَّا **لَأَمَهُ** فبفتح اللام وبعدها همزة، على وزن ضَرَبَه ومعناه: جمَعَه وضَمَّ بعضَه على بعض.

مَكَانِهِ، وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ ـ يَعْنِي: ظِئْرَهُ ـ[(١)] فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ! فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ[(٢)] اللَّوْنِ، قَالَ أَنَسٌ ﵁: وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذلِكَ الْمِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ[(٣)].

وفاة آمِنَةَ بنتِ وهبٍ أُمِّ النبي ﷺ

رجَع رسول الله ﷺ بعد حادثة شَقِّ الصدر إلى أُمِّه آمِنَةَ بنت وَهْب، فلما بلَغ رسول الله ﷺ من عُمره المبارَك سِتَّ سِنينَ، ذهَبَت به أُمُّه آمِنَة تَزُور أخوال جدِّه عبد المطَّلِب في يَثْرِب، وهي المدينة النبوية، وفي طريق عودتهم إلى مكة تُوُفِّيَت آمِنَة بنت وَهْب في منطقة الأَبْواء، وهي بين مكة والمدينة[(٤)].

قال الإمام ابن القيم: ولا خلاف أن أُمَّه ﷺ ماتت بين مكة والمدينة بالأبْواء، مُنْصَرَفَها من المدينة من زيارة أخواله، ولم يَستكمِل إذ ذاك سَبْع سِنين[(٥)].

كَفَالةُ جدِّه عبد المطَّلِب

تولَّى عبد المطَّلِب جَدُّ النبي ﷺ كَفَالةَ رسول الله ﷺ بعدما تُوُفِّيَت آمِنَةُ بنت وَهْب أُمُّ النبي ﷺ، واستمرت كَفَالته لرسول الله ﷺ سَنَتَين، وقذَف الله حُبَّ رسوله ﷺ في قلب جدِّه عبد المطَّلِب، حتى ما كان يُفارقه.

---

(١) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٢/ ١٨٧): **ظِئْرَه**: هي بكسر الظاء المعجمة بعدها همزة ساكنة: وهي المُرضِعة.

(٢) **منتقِع**: متغيِّر. انظر: النهاية (٥/ ٩٥).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٦٢) (٢٦١).

(٤) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ٢٠٤).

(٥) انظر: زاد المعاد (١/ ٦٠).

روَى الحاكم في «المُستدرَك» بسند حسن وصححه عن كِنْدِير بن سعيد، عن أبيه، قال: حجَجْتُ في الجاهِلِيَّةِ، فإذا أنا برجلٍ يَطُوفُ بالبيتِ، وهو يرتَجِزُ ويقولُ:

ربِّ رُدَّ إلـيَّ راكـبِـي مـحـمـدَا ... رُدَّهُ إلـيَّ واصـطـنِـعْ عِـنـدِي يَـدَا

فقلتُ: مَنْ هذا؟ قالوا: عبدُ المطَّلِبِ بنُ هاشم، بعَث بابنِ ابنِه محمدٍ في طلَبِ إبلٍ له، ولم يَبْعَثه في حاجَةٍ إلَّا أَنجَحَ فيها، وقد أبطَأ عليه، فلم يَلْبَث أن جاءَ محمدٌ والإبلُ، فاعتَنَقَه وقال: يا بُنَيَّ، لقَدْ جَزِعْتُ علَيْكَ جَزَعًا لم أَجْزَعه عَلَى شَيْءٍ قطُّ، وَاللهِ لا أَبعَثُك في حاجة أبدًا، ولا تُفارِقُنِي بعد هذا أَبَدًا[(١)].

وفاة عبد المطَّلِب

ولما بلَغ رسولُ الله ﷺ ثمانِيَ سنواتٍ تُوُفِّيَ جدُّه عبد المطَّلِب، وقَبْلَ وفاته أَوصَى ابنَه أبا طالب بحِفظِ وكَفَالة رسول الله ﷺ، والسبب في اختياره لأبي طالبٍ؛ لأنه شقيق عبد الله والِدِ النبي ﷺ.

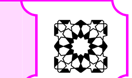
كَفَالة عمِّه أبي طالب

توَلَّى أبو طالب كَفَالَةَ رسول الله ﷺ، وكان عُمره ﷺ ثمانِيَ سنوات، وظلَّت كَفَالتُه ورعايتُه وحمايتُه له إلى أن بُعِثَ رسول الله ﷺ، فحَاطَه أتَمَّ حِيَاطة، ونصره حين بعثه الله أعَزَّ نصرٍ.

فلما بلَغ رسول الله ﷺ ثِنْتَي عَشْرَةَ سَنَةً خرَج به عمُّه أبو طالب إلى الشام، وذلك من تَمَام لُطف أبي طالب برسول الله ﷺ؛ لعَدَم مَن يقُوم به إذا ترَكه بمكة.

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٤٢٢٩).

وفي طريق هذه الرحلة رآه بَحِيرَى الراهب، فعَرَفه بصِفته في التوراة والإنجيل، وظَهَرَت لمَن كان مع أبي طالب من الآيات في رسول الله ﷺ ما زاد أبا طالب في الوَصَاة به والحرص عليه، وأمَر بَحِيرَى أبا طالب أن يَرجِع برسول الله ﷺ؛ لئلَّا يَراه يهودُ في الشام، فيَعرِفوه ويَقتُلوه، فرجَع به إلى مكة[١].



شهودُه ﷺ حِلْفَ[٢] الفُضُول

شَهِد رسول الله ﷺ حِلْف الفُضُول وهو ابن خمسَ عَشْرَةَ سَنةً، وسبب تَسميتهم هذا الحِلْف بهذا الاسم ما ذكَره ابن إسحاق في «سيرته»: تَدَاعَت قبائل قريش على حِلْف؛ فاجتَمَعوا في دار عبد الله بن جُدعان بن عمرٍو؛ لشَرَفه وسِنِّه، فكان حِلْفُهم عنده: بنو هاشم، وبنو المطَّلِب، وأسَد بن عبد العُزَّى، وزُهْرة بن كِلَاب، وتَيْم بن مُرَّة، فتعَاقَدوا وتعَاهَدوا على ألَّا يَجِدُوا بمكة مظلومًا من أهلها وغيرِهم ممَّن دخَلها من سائر الناس، إلا قاموا معه، وكانوا على مَن ظَلَمَه حتى تُرَدَّ عليه مَظْلَمَتُه؛ فسَمَّت قريش ذلك الحِلْفَ حِلْفَ الفُضُول[٣].

وروَى ابن إسحاق في «السيرة» بسند صحيح مُرسَل عن طلحة بن عبد الله بن عوف الزُّهري، قال: قال رسول الله ﷺ: **«لَقَدْ شَهِدْتُ فِي دَارِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جُدْعَانَ حِلْفًا، مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهِ حُمْرَ النَّعَمِ، ولَو أُدْعَى بِهِ فِي الْإِسْلَامِ لَأَجَبْتُ»**[٤].

---

(١) أخرج قصته ﷺ مع بَحِيرَى الراهب: الإمام الترمذي في جامعه، رقم الحديث (٣٩٤٨) وحسَّنه، وصحَّحه الحافظ في الإصابة (١/ ٤٧٦)، والحافظ ابن كثير في الفصول في سيرة الرسول (١/ ٤٩، ٣٣٨)، والحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٤٢٧٥)، والألباني في كتابه دفاع عن الحديث النبوي (ص٦٢، ٧٢).

(٢) أصل **الحِلْف**: المعاقدة والمعاهدة على التعاضد والتساعد والاتفاق. انظر: النهاية (١/ ٤٠٧).

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ١٧٠).

(٤) أخرجه ابن إسحاق في السيرة (١/ ١٧١)، وأورده ابن الملقِّن في البدر المنير (٧/ ٣٢٥) وقال: هذا الحديث صحيح، وقال الألباني في تحقيقه لفقه السيرة للغزالي (ص٧٢): رواه ابن إسحاق في السيرة، وهذا سند صحيح لولا أنه مرسل، ولكن له شواهد تقويه.

وروَى الإمام أحمد في «مُسنَده» والبخاري في «الأدب المُفرَد» بسَنَد صحيح عن عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**شَهِدْتُ حِلْفَ الْمُطَيَّبِينَ**[(١)] **مَعَ عُمُومَتِي، وَأَنَا غُلَامٌ، فَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي حُمْرَ النَّعَمِ، وَأَنِّي أَنْكُثُه**»[(٢)].

وقال الإمام القرطبي: وهذا الحِلْفُ هو المعنى المُراد في قوله عليه الصلاة والسلام: «**وأيُّما حِلْفٍ كان في الجاهلية لم يَزِدْهُ الإسلام إلا شِدَّةً**»[(٣)]، لأنه مُوافقٌ للشرع إذْ أمرَ بالانتصاف من الظالم، فأما ما كان من عُهودهم الفاسدة وعُقودهم الباطلة على الظُّلم والغارات، فقد هَدَمه الإسلام، والحمد لله[(٤)].

رَعْيُ النبيِّ ﷺ الغنَمَ

عَمِلَ رسولُ الله ﷺ في شبابه برَعي الغنم، وذلك قبل بعثته.

روَى الإمام البخاري في «صحيحه» عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ**»، فَقَالَ أصحابه: وَأَنْتَ؟

فَقَالَ رسول الله ﷺ: «**نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ**[(٥)] **لِأَهْلِ مَكَّةَ**»[(٦)].

وروَى الإمام البخاري في «الأدب المُفرَد» بسند صحيح عن عَبْدَةَ بن حَزْنٍ رضي الله عنه قال: تَفاخَرَ أهلُ الإبل وأصحاب الشَّاءِ، فقال النبي ﷺ: «**بُعِثَ**

---

(١) قال ابن الأثير في النهاية (٣/٤٠٨): إنما سَمَّى رسولُ الله ﷺ حِلْفَ الفُضُول بالمُطَيَّبِين، مع أنه ﷺ لم يَشْهَد حِلْف المُطَيَّبِين؛ لأنه كان شبيهًا به في التناصح، والأخذ للضعيف من القوي، وللغريب من القاطن.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٦٥٥)، والبخاري في الأدب المفرد، رقم الحديث (٤٤١).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٥٣٠).

(٤) انظر: تفسير القرطبي (٧/٢٤٨).

(٥) **القراريط**: جمع قيراط، وهو جُزء من أجزاء الدينار. انظر: النهاية (٤/٣٧).

(٦) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٢٢٦٢).

موسَى وهوَ راعِي غَنَم، وبُعِثَ داود وهوَ راعِي غَنَمٍ، وبُعِثْتُ أنا، وأنا أَرْعَى غنمًا لِأَهْلِي بأَجْيَادٍ»[١].

قال الحافظ في «الفتح»: قال العلماء: الحكمة في إلهام الأنبياء مِن رَعْي الغنم قبل النبوة:

١ ـ أن يحصُل لهم التمرُّن برَعْيها على ما يُكَلَّفُونه من القيام بأمر أُمَّتهم.

٢ ـ ولأن في مخالطتها ما يُحصِّل لهم الحلم والشفقة؛ لأنهم إذا صبَروا على رَعيها، وجَمْعها بعد تفرُّقها في المَرعى، ونَقْلِها مِن مَسرَح إلى مَسرَح، ودَفْعِ عدوِّها مِن سَبُع وغيره، وعَلِموا اختلافَ طِباعها وشِدَّةَ تفرُّقها، مع ضَعفها واحتياجها إلى المعاهَدة؛ أَلِفُوا من ذلك الصبرَ على الأُمَّة، وعرَفوا اختلاف طِباعها وتفاوُتَ عقولها، فجَبَروا كَسْرَها، ورَفَقوا بضَعيفها، وأحسَنُوا التعاهُد لها؛ فيكون تحمُّلُهم لِمَشقَّة ذلك أسهَلَ مما لو كُلِّفُوا القيامَ بذلك مِن أول وَهْلة؛ لِمَا يحصُلُ لهم من التدريج على ذلك برَعي الغنم.

٣ ـ وفي ذِكْر النبي ﷺ لذلك، بعد أن عَلِم كَوْنَه أكرَمَ الخلق على الله، ما كان عليه من عظيم التواضع لربه، والتصريح بمِنَّته عليه وعلى إخوانه من الأنبياء، صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الأنبياء[٢].

خروجه ﷺ في تجارة خديجة رضي الله عنها وزواجه بها

ولما بلَغ رسول الله ﷺ خمسًا وعشرين سنة مِن عُمره المبارك، خرج إلى الشام في تجارة لخديجة بنت خُوَيلد رضي الله عنها مع غلامها مَيْسَرة، فرأى مَيْسَرةُ

---

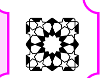
(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب المفرد، رقم الحديث (٤٥٠).

(٢) انظر: فتح الباري (٥/ ٢٠٠).

ما بَهَرَه من شأنه ﷺ، فرَجَع وأخبَر سيدته خديجة رضي الله عنها بما رأى، فرَغِبَت في الزواج منه ﷺ؛ وذلك لِمَا رَجَت في ذلك من الخير الذي جمَعه الله لها، وفَوقَ ما يَخطُر ببال بشَر، فتزوجها رسول الله ﷺ وله من العُمر خمسٌ وعشرون سنة.

واختُلف في عُمر خديجة رضي الله عنها لمَّا تزوجها رسول الله ﷺ؛ فقيل: أربعون سنة[١]. وقيل: ثمانٍ وعشرون سنة[٢]، وقيل غيرُ ذلك.

والحقُّ أنه لا يثبُتُ شيء في عُمرها رضي الله عنها حين تزوجها رسول الله ﷺ، وهي أول امرأة تزوجها رسول الله ﷺ، وأول امرأة ماتت من نسائه، ولم يتزوَّج عليها غيرَها، ورُزِق منها جميعَ أولاده وبناته، إلا إبراهيم؛ فمن مارِيَةَ القِبطية.



تجديد بناء الكعبة

أرادت قريش تجديد بناء الكعبة؛ وذلك بسبب الوَهَن الذي أصاب بناءها، وكان ذلك قبل بَعثة النبي ﷺ بخمس سنين، وكان عُمْر النبي ﷺ خمسًا وثلاثين سنة، وشارك النبيُّ ﷺ قومه في بنائها.

روَى الشيخان في «صحيحَيهما» عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: إن رسول الله ﷺ كَانَ يَنْقُلُ مَعَهُمُ الحِجَارَةَ لِلْكَعْبَةِ، وَعَلَيْهِ إِزَارُهُ، فَقَالَ لَهُ العَبَّاسُ عَمُّهُ رضي الله عنه: يَا بْنَ أَخِي، لَوْ حَلَلْتَ إِزَارَكَ فَجَعَلْتَهُ عَلَى مَنْكِبِكَ دُونَ الْحِجَارَةِ! قَالَ: فَحَلَّهُ، فَجَعَلَهُ عَلَى مَنْكِبِهِ، فَسَقَطَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ. قَالَ: فَمَا رُئِيَ بَعْدَ ذَلِكَ

---

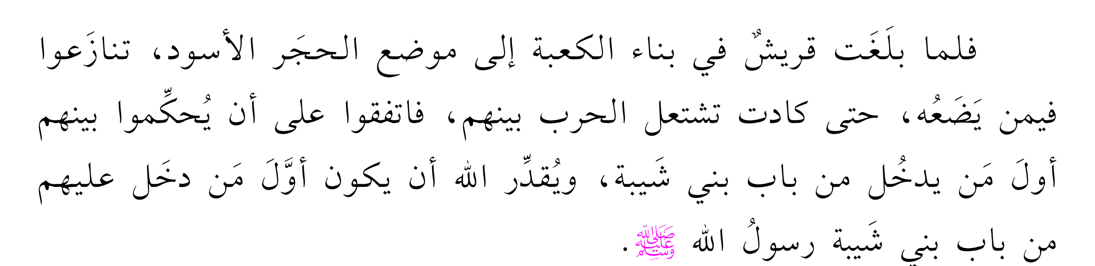
(١) ذكره ابن سعد في طبقاته (١/ ٦٢) عن الواقدي.

(٢) ذكره الحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٤٨٩٧) عن ابن إسحاق بدون إسناد، ولم يذكر ابن إسحاق في السيرة عُمْرَ خديجة رضي الله عنها حين تزوجها رسول الله ﷺ، ولو ذكَره لاشتَهَر عنه أيَّما اشتهار؛ لشُهْرة كتابه.

الْيَوْمِ عُرْيَانًا[(١)].

وفي رواية أخرى في «الصحيحين» قال جابر رضي الله عنه: لَمَّا بُنِيَتِ الكَعْبَةُ ذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ وَعَبَّاسٌ يَنْقُلَانِ الحِجَارَةَ، فَقَالَ العَبَّاسُ رضي الله عنه للنَّبِيِّ ﷺ: اجْعَلْ إِزَارَكَ عَلَى رَقَبَتِكَ[(٢)]، فَخَرَّ إِلَى الأَرْضِ، وَطَمَحَتْ[(٣)] عَيْنَاهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: «**أَرِنِي إِزَارِي**»، فَشَدَّهُ عَلَيْهِ[(٤)].

قال الحافظ في «الفتح»: وفي الحديث أنه ﷺ كان مصونًا عما يُستقبَح قبل البَعثة وبعدها، وفيه النهي عن التعرِّي بحَضرة الناس[(٥)].



وَضْعُ النبي ﷺ الحجَرَ الأسود بيده الشريفة

فلما بلَغَت قريشٌ في بناء الكعبة إلى موضع الحجَر الأسود، تنازَعوا فيمن يَضَعُه، حتى كادت تشتعل الحرب بينهم، فاتفقوا على أن يُحكِّموا بينهم أولَ مَن يدخُل من باب بني شَيبة، ويُقدِّر الله أن يكون أوَّلَ مَن دخَل عليهم من باب بني شَيبة رسولُ الله ﷺ.

روَى الإمام أحمد في «مُسنَده» والحاكم في «المُستدرَك» بسند صحيح ـ واللفظ للحاكم ـ عن عبد الله بن السائب قال: إِنَّ قُرَيْشًا اخْتَلَفُوا فِي الْحَجَرِ حِينَ أَرَادُوا أَنْ يَضَعُوهُ، حَتَّى كَادَ أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُمْ قِتَالٌ بِالسُّيُوفِ، فَقَالَوا: اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٦٤)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٣٤٠) (٧٧).

(٢) في رواية الإمام مسلم: عاتقك.

(٣) قال الحافظ في الفتح (٤/ ٢٣٤): **فطَمَحَت**، بفتح المهملة والميم؛ أي: ارتفعت.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٥٨٢)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٣٤٠) (٧٦).

(٥) انظر: فتح الباري (٢/ ٢٥).

أَوَّلَ رَجُلٍ يَدْخُلُ مِنَ الْبَابِ، فَدَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالُوا: هَذَا الأَمِينُ! وَكَانُوا يُسَمُّونَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ الْأَمِينَ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، قَدْ رَضِينَا بِكَ، فَدَعَا بِثَوْبٍ فَبَسَطَهُ وَوَضَعَ الْحَجَرَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ لِهَذَا الْبَطْنِ وَلِهَذَا الْبَطْنِ: «**لِيَأْخُذْ كُلُّ بَطْنٍ مِنْكُمْ بِنَاحِيَةٍ مِنَ الثَّوْبِ**»، فَفَعَلُوا، ثُمَّ رَفَعُوهُ، وَأَخَذَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَوَضَعَهُ بِيَدِهِ[(١)].

وفي رواية أخرى في «المُستدرَك» و«دلائل النبوة» للبيهقي بسند حسن عن عليِّ بن أبي طالب ﷺ قال: لَمَّا أَرَادُوا أَنْ يَضَعُوا الْحَجَرَ تَشَاجَرُوا فِي وَضْعِهِ، فَقَالُوا: أَوَّلُ مَنْ يَخْرُجُ[(٢)] مِنْ هَذَا الْبَابِ فَهُوَ يَضَعُهُ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ قِبَلِ بَابِ بَنِي شَيْبَةَ، فَأَمَرَ بِثَوْبٍ فَبُسِطَ، فَوَضَعَ الْحَجَرَ فِي وَسَطِهِ، ثُمَّ أَمَرَ رَجُلًا مِنْ كُلِّ فَخْذٍ مِنْ أَفْخَاذِ قُرَيْشٍ أَنْ يَأْخُذَ بِنَاحِيَةِ الثِّيَابِ، فَأَخَذَهُ رَسُولُ ﷺ بِيَدِهِ، فَوَضَعَهُ[(٣)].

حِفْظُ اللهِ رسولَه ﷺ قبل البَعثة

صان الله ﷻ رسوله ﷺ وحَمَاه، وطهَّره من دَنَس الجاهلية ومن كل عَيْب، ومنَحَه كلَّ خُلُق جميل، حتى لم يكن يُعرَف بين قومه إلا بالأَمِين؛ لِمَا شاهَدوا من طهارته، وصِدْقِ حديثه وأمانته ﷺ.

قال الإمام ابن القيم: ثم حَبَّبَ الله إليه الخَلْوة والتعبد لربه، وكان يَخْلُو بغار حِرَاءٍ يَتعبَّد فيه الليالِيَ ذواتِ العَدَد، وبُغِّضَت إليه الأوثان ودِينُ قومه، فلم يكن شيء أبغَضَ إليه من ذلك[(٤)].

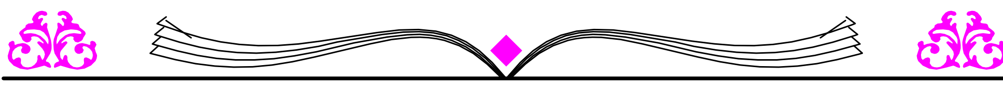
---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٥٥٠٤)، والحاكم في المستدرك، رقم الحديث (١٧٠١).

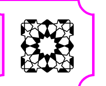
(٢) في رواية البيهقي: يدخل.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك، رقم الحديث (١٧٠٢)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٥٧).

(٤) انظر: زاد المعاد (١/ ٦١).




مَبْعَث النبي ﷺ

لمَّا بلَغ رسولُ الله ﷺ من عُمُره المبارَك أربعين سَنةً[(١)] ـ على الصحيح ـ نزل عليه الوحي، وهو في غار حِرَاءٍ.

روى الشيخان في «صحيحَيهما» عن عائشة رضي الله عنها قالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ[(٢)]، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ ـ وَهُوَ التَّعَبُّدُ ـ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ، قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ[(٣)] إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ، فَقَالَ: «**اقْرَأْ**» **قَالَ**: «**مَا أَنَا بِقَارِئٍ**» قَالَ: «**فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي**[(٤)] **حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ،**

---

(١) روى الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٩٠٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بُعث رسول الله ﷺ لأربعين سنة، فمكَث بمكة ثلاثَ عشْرةَ سنة يُوحَى إليه، ثم أُمر بالهجرة، فهاجر عشرَ سنين، ومات وهو ابن ثلاث وستين.

قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٥/ ٨١): وهذا الذي ذكرناه أنه بُعث على رأس الأربعين سنة، هو الصواب المشهور الذي أطبَق عليه العلماء.

(٢) قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٣/ ٨): وإنما كان ﷺ يُحب الخَلاء والانفراد عن قومه؛ لِمَا يَراهم عليه من الضلال المبين؛ من عبادة الأوثان، والسجود للأصنام، وقَوِيَت محبَّته للخَلوة عند مقاربة إيحاء الله إليه صلوات الله وسلامه عليه.

(٣) قال الحافظ في الفتح (١/ ٣٤): **يَنْزِع**، بكسر الزاي؛ أي: يَرجِع، وزنًا ومعنًى.

وفي رواية أخرى في صحيح البخاري، رقم الحديث (٤٩٢٣): يَرجِع.

(٤) في رواية ابن إسحاق في السيرة (١/ ٢٧٣): فغَتَّني.

قال ابن الأثير في النهاية (٣/ ٣٠٨): **الغَتُّ والغَطُّ** سواءٌ، كأنه أراد: عصَرَني عصرًا شديدًا =

فَأَخَذَنِي فَغطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغطَّنِي الثَّالِثَةَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق: ١ ـ ٥]»[(١)]، فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رضي الله عنها فَقَالَ: «زَمِّلُونِي[(٢)] زَمِّلُونِي» فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ، فَقَالَ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي»، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ رضي الله عنها: كَلَّا، وَاللهِ مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا؛ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ[(٣)]، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِ[(٤)].

فُتُور الوحي[(٥)] ونزوله مرة ثانية

فتَر الوحي عن رسول الله ﷺ بعد أول مرة مِن نزول جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ، والحكمة من ذلك: لِيَشتاقَ رسول الله ﷺ إليه مرة أخرى.

روَى الإمام أحمد في «مُسنَده» بسند حسن عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: حُبِسَ الوحيُ عن رسولِ اللهِ ﷺ في أوَّلِ أَمْرِهِ، وحُبِّبَ إليه الخَلَاءُ،

= حتى وجدتُ منه المشقة، كما يجد مَن يُغمَس في الماء قهرًا.

(١) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٢/ ١٧٢): هذا دليل صريح في أن أول ما نزل من القرآن ﴿ٱقْرَأْ﴾ [العلق: ١]، وهذا هو الصواب الذي عليه الجماهير من السلف والخلف.

(٢) **زمِّلوني**: يعني: غطُّوني. انظر: النهاية (٢/ ٢٨٣).

(٣) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٢/ ١٧٤): الكَل بفتح الكاف وأصله الثقل، ومنه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ﴾ [النحل: ٧٦]، ويدخل في حمل الكَل الإنفاق على الضعيف واليتيم والعيال وغير ذلك.

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٦٠) (٢٥٢).

(٥) قال الحافظ في الفتح (١/ ٤٠): **فتور الوحي**: عبارة عن تأخره مدة من الزمان، وكان ذلك ليذهب ما كان رسول الله ﷺ وجده من الرَّوع، وليحصل له التشوق إلى العود.

فجَعَلَ يَخلُو في حِراءٍ، فبَينَما هو مُقبِلٌ مِن حِراءٍ: «**إِذَا أَنَا بحِسٍّ مِن فَوْقِي، فرَفَعْتُ رَأْسي، فإذا الذي أَتَانِي بحِراءٍ فَوقَ رَأْسي على كُرْسيٍّ، فلمَّا رَأيتُه جُئِثْتُ**[١] **عَلَى الأرْضِ، فلمَّا أَفَقْتُ أَتَيْتُ أَهْلِي مُسرِعًا فقلتُ: دَثِّرُونِي، دَثِّرُونِي، فأتاني جِبريلُ فقال**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ[٢] ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ٥﴾ [المدثر: ١ ـ ٥]»[٣].

وروَى الشيخان في «صحيحَيهما» والإمام أحمد في «مُسنَده» ـ واللفظ لأحمد ـ عن أبي سلمة بن عبد الرحمٰن قال: أخبرني جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**ثم فَتَرَ الوَحْيُ عَنِّي فَتْرَةً، فَبيْنَا أنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي قِبَلَ السَّماءِ، فَإِذَا المَلَكُ الذي جَاءَنِي بحِرَاءٍ قَاعِدٌ علَى كُرْسِيٍّ بيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ، فَجُئِثْتُ منه حتَّى هَوَيْتُ إلى الأَرْضِ، فَجِئْتُ أهْلِي، فَقُلتُ: زَمِّلُونِي! زَمِّلُونِي! زَمِّلُونِي! فَزَمَّلُونِي، فأنْزَلَ اللهُ تَعالَى**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ٥﴾ **ثُمَّ حَمِيَ الوَحْيُ بَعدُ وتَتَابَع**»[٤].

---

(١) وفي صحيح البخاري رقم الحديث (٣٢٣٨): «فَجُئِثْتُ مِنْهُ، حَتَّى هَوَيْتُ إِلَى الأَرْضِ»، وفي مصنف ابن أبي شيبة رقم الحديث (٣٧٧١٣): «جُثِثْتُ إلى الأرض»،
قال الحافظ في الفتح (٩/ ٧٤٣): ذكَر عِيَاض أنه وقع للقابِسِيِّ بالمهملة، قال: وفسَّره بـ(أَسرَعْت) قال: ولا يصح مع قوله: «حتى هَوَيْت»؛ أي: سَقَطتُ من الفزع.
قلت (القائل ابن حجر): معناها: إن كانت محفوظة: سقطت على وجهي حتى صرتُ كمن حُثِيَ عليه التراب.

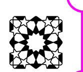
(٢) قال الإمام القرطبي في تفسيره (٢١/ ٣٥٧): ملاطفة في الخطاب من الكريم إلى الحبيب؛ إذ ناداه بحاله، وعَبَّر عنه بصفته، ولم يقل: يا محمد، ويا فلان؛ ليستشعر اللِّين والملاطفة من ربه.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٥٠٣٣).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٦١) (٢٥٥)، والإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٤٤٨٣).

قال الحافظ ابن كثير: ثم أمَر اللهُ رسولَه ﷺ في هذه الآية[١] أن يُنذِرَ قومه، ويَدعوَهم إلى الله؛ فشَمَّر ﷺ عن ساق التكليف، وقام في طاعة الله سبحانه أتَمَّ قيام، يَدعو إلى اللهِ سبحانه الكبيرَ والصغيرَ، والحُرَّ والعبد، والرجال والنساء، والأسود والأحمر[٢].

وذلك لعالمية رسالته ﷺ كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٢٨﴾ [سبأ: ٢٨]، وكما قال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧].



أقسام الدعوة

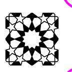
○ **تنقسم الدعوة في حياة الرسول ﷺ إلى قسمين:**

* **مكية.** * **مدنية.**

○ **والمكية تنقسم إلى قسمين:**

* **سِرِّية**: واستمرت ثلاث سنوات.

* **وجَهرية**: باللسان فقط دون قتال، وكانت من بداية السنة الرابعة للبَعثة حتى الهجرة إلى المدينة.



الدعوة السِّرِّيَّة[٣]

بدأ رسول الله ﷺ يدعو سرًّا من يَثِق به؛ فأخبَر زوجته خديجة بنت

---

(١) هي قوله تعالى في سورة المدثر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤﴾.

(٢) انظر: كلام الحافظ ابن كثير في الفصول في سيرة الرسول (ص٥٥).

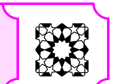
(٣) قلت: الأدلة على أن الدعوة كانت في بدايتها سريةً كثيرةٌ، أذكر منها:

١ ـ قال ابن إسحاق في السيرة (١/ ٢٨٠): جعل رسول الله ﷺ يَذكر ما أنعم الله به عليه وعلى العباد به من النُّبُوة سرًّا إلى مَن يطمئن إليه من أهله. =

خُويلد ﵂ وبناتِه، وعليَّ بن أبي طالب ﵁ وكان في حِجر النبي ﷺ، ومولاه زيدَ بنَ حارثة ﵁.

وأولُ مَن آمَن به من خارج بيته أبو بكر الصِّدِّيق ﵁، ودخل في دين الله في هذه الفترة المتقدمة من الدعوة مَن شرَح الله صدره للإسلام، فأسلَم عدد قليل من الأوائل من الصحابة الكرام ﵃.

أسلَمَ هؤلاء سِرًّا، وكان رسول الله ﷺ يَجتمع بهم ويُرشِدهم إلى الدِّين متخفيًا؛ لأن الدعوة كانت لا تزال فردية وسِرِّية، وكان الوحي قد تتابَع وحَمِيَ نزولُه بعد نزول أوائل سورة المدثِّر، وبدأ الناس يَتسامَعون بدعوة الإسلام، فدخَل فيه في هذه الفترة السِّرِّية الفقراءُ والأَرِقَّاءُ.



أول دم أُهرِيق في الإسلام

كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا صَلَّوا[١] ذهبوا إلى الشِّعَاب[٢] فاستَخْفَوا بصَلاتهم من قومهم، فبينما سعد بن أبي وقاص ﵁ في نفر من

= ٢ ـ وروى الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (٨٣٢) عن عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ السُّلَمِيِّ ﵁، قال: كُنْتُ وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلَالَةٍ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ، وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ، فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا، فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي، فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مُسْتَخْفِيًا.

(١) لم تكن الصلاة فرضًا قبل الإسراء والمعراج، وإنما كانت على الاستحباب، ولم تُفرض الصلاة إلا في الإسراء والمعراج.

قال الحافظ في الفتح (٩/ ٦٧٥): كان رسول الله ﷺ قبل الإسراء يُصلي قَطْعًا، وكذلك أصحابه، ولكن اختُلِف: هل افتُرض قبل الصلوات الخمس شيء من الصلوات أم لا؟ فيصح على هذا قول من قال: إن الفرض أولًا كان صلاةً قبل طلوع الشمس وصلاةً قبل غروبها، والحُجَّة فيه قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠].

(٢) **الشِّعْب**، بكسر الشين: ما انفَرَج بين جبَلَين، وقيل: هو الطريق في الجبل، والجمع: شِعاب. انظر: لسان العرب (٧/ ١٢٨).

أصحاب رسول الله ﷺ في شِعْب من شِعَاب مكة، إذ ظهَر عليهم نفر من المشركين، وهم يُصلُّون، فناكَرُوهم وعابوا عليهم ما يَصنَعون حتى قاتلوهم، فضَرَب سعدُ بن أبي وقاص رضي الله عنه يومئذٍ رجلًا من المشركين بلَحْيٍ(١) بعير فشَجَّه، فكان أولَ دم هُريق في الإسلام(٢).

وروَى الإمام الترمذي في «جامعه» بسند صحيح عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: إني لأولُ رَجُلٍ أهرَاق دَمًا في سبيل الله(٣).

تَرامَت هذه الأنباء إلى قريش فلَم تُعِرْها اهتمامًا، ولعلها حَسِبَت محمدًا ﷺ أحد أولئك الدَّيَّانِين الذين يَتكلمون في الألوهية وحقوقها، كما صنَع أُمَيَّةُ بن أبي الصَّلْت، وقُسُّ بن ساعدة، وزيد بن عمرو بن نُفَيل، وأشباههم، إلا أنها توجَّسَت(٤) خِيفَةً من ذُيوع خبره وامتداد أثره، أخَذَت تُراقب على الأيام مَصيرَه ودعوته(٥).

مرَّت ثلاث سِنين والدعوة لا تَزال سِرِّية فردية، وخلال هذه الفترة تكوَّنت جماعة من المؤمنين تقوم على الأُخُوة والتعاون وتبليغ الرسالة وتمكينها من مقامها، ثم نزل الوحي على رسول الله ﷺ يأمره بإعلان الدعوة.



الصَّدْعُ بالدعوة

ثم نزل على رسول الله ﷺ قولُه تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾﴾

---

(١) **اللَّحْيان**: العظمان اللذان فيهما الأسنان من داخل الفم. انظر: لسان العرب (١٢/ ٢٥٩).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ٣٠٠).

(٣) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه، رقم الحديث (٢٥٢٢).

(٤) **توجست**: توقعت.

(٥) انظر: فقه السيرة (ص٩٦) للشيخ محمد الغزالي.

[الشعراء: ٢١٤ ـ ٢١٦]، ونزل عليه ﷺ قوله تعالى: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [الحجر: ٩٤].

قال الإمام ابن القيم: ثم نزَل عليه ﷺ: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾، فأعلن ﷺ بالدعوة وجاهَر قومَه[١].

وقال الحافظ ابن كثير: ولم يكُن في بني هاشم إذ ذاك أشدُّ إيمانًا وإيقانًا وتصديقًا لرسوله ﷺ مِن عليٍّ رضي الله عنه؛ ولهذا بدَرَهم إلى التزام ما طَلَب منهم رسولُ الله ﷺ، ثم كان بعدَ هذا ـ والله أعلم ـ دعاؤه الناسَ جَهْرةً على الصَّفَا، وإنذاره لبطون قريش عمومًا وخصوصًا، حتى سَمَّى مَن سَمَّى مِن أعمامه وعماته وبناته؛ ليُنبِّهَ بالأدنى على الأعلى؛ أي: إنما أنا نذير، والله يَهدي مَن يشاء إلى صراط مستقيم[٢].

وروَى الشيخان في «صحيحَيهما» ـ واللفظ لمسلم ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لمَّا نزَلَت هذه الآية: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤]، {ورَهْطَكَ مِنْهُمُ المُخْلَصِينَ}[٣]، خَرَجَ رَسولُ اللهِ ﷺ حتَّى صَعِدَ الصَّفَا، فَهتَفَ[٤]: «**يا صَبَاحَاه!**» فَقالوا: مَن هَذَا الذي يَهتِفُ؟

فقالوا: مُحَمَّدٌ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فقال: «**يَا بَنِي فُلَانٍ، يَا بَنِي فُلَانٍ، يَا بَنِي فُلَانٍ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ**» فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَقالَ: «**أَرَأَيْتَكُمْ لَو أخبَرْتُكُمْ أنَّ خَيْلًا تَخرُجُ بسَفْحِ**[٥] **هذا الجَبَلِ، أكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟**»

---

(١) انظر: زاد المعاد (١/ ٧٢). (٢) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ١٧٠).

(٣) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٣/ ٦٩): قوله: {ورَهْطَك منهم المُخْلَصِين}: كان قرآنًا أُنزِل، ثم نُسِخَت تلاوته، ولم تقع هذه الزيادة في روايات البخاري.
قلت: بل وقعت هذه الزيادة بحروفها في صحيح البخاري رقم الحديث (٤٩٧١).

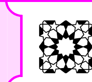
(٤) في رواية الإمام البخاري: فجعل يُنادي.

(٥) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٣/ ٦٩): **سفح الجبل**، بفتح السين: هو أسفَلُه.

قالوا[١]: ما جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا، قال رسول الله ﷺ: «**فإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**»[٢].

وروَى الشيخان في «صحيحَيهما» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤]، قال: «**يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شيئًا، يا بَنِي عبدِ مَنَافٍ، لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شيئًا، يا عَبَّاسُ بنَ عبدِ المُطَّلِبِ، لا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شيئًا، ويَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسولِ اللهِ، لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شيئًا، ويَا فَاطِمَةُ بنْتَ مُحَمَّدٍ، سَلِينِي ما شِئْتِ مِن مَالِي، لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شيئًا**»[٣].

أوضَح رسول الله ﷺ لِأقرب الناس إليه أن التصديق بهذه الرسالة هو حياة الصِّلَة بينه وبينهم، وأن عَصَبية القرابة التي يقوم عليها العرب ذابت في حرارة هذا الإنذار الآتي من الله[٤].



حِماية أبي طالب لابنَ أخيه ﷺ

قال ابن إسحاق: فلما بادَى[٥] رسولُ الله ﷺ قومَه بالإسلام، وصدَع به كما أمره الله، لم يَبعُدْ منه قومُه ولم يردُّوا عليه، حتى ذكَر آلهتهم وعابَها، فلما فعل ذلك أعظَموه وناكَروه، وأجمَعوا خِلافَه وعَداوتَه، إلا مَن عَصَم الله

---

(١) زاد الإمام البخاري في صحيحه بعد (قالوا): نعم.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٩٧١)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٠٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٧٧١)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٠٦).

(٤) انظر: فقه السيرة (ص٩٧) للشيخ محمد الغزالي.

(٥) **بادَى**: جاهَر. انظر: لسان العرب (١/ ٣٤٧).

تعالى منهم بالإسلام، وهم قليل مُستَخْفُون، وحَدِبَ[١] على رسول الله ﷺ عمُّه أبو طالب ومنَعَه وقام دونَه، ومضى رسول الله ﷺ على أمر الله مُظهِرًا لِأمره، لا يردُّه عنه شيء[٢].

قال الحافظ ابن كثير: وصان اللهُ رسوله ﷺ وحَمَاه بعمِّه أبي طالب؛ لأنه كان شريفًا مُطاعًا فيهم نبيلًا بينهم، لا يَتجاسَرون على مفاجأته بشيء في أمر محمد ﷺ؛ لِمَا يَعلمون مِن مَحَبَّته له، وكان من حكمة الله بقاؤه على دينهم؛ لِمَا في ذلك من المصلحة[٣].



موقف أبي لهب وزوجته من الدعوة

كان موقف أبي لهب وزوجته أُمِّ جَميل أَرْوَى بنت حَرب، من دعوة النبي ﷺ العداوةَ أبَدَ الدهر؛ فإنه لما دعا رسول الله ﷺ الناس على جبل الصَّفَا، قام عمُّه أبو لهب فقال: تَبًّا لك سائر اليوم، ألِهَذا جمَعْتَنا؟! فنزَلَت فيه: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾ [المسد: ١، ٢][٤].

قال الحافظ ابن كثير: فأبو لهب هذا هو أحد أعمام رسول الله ﷺ، واسمه عبد العُزَّى بن عبد المطَّلِب، وكنيته أبو عُتْبة، وإنما سُمِّي أبا لهب؛ لإشراق وجهه، وكان كثير الأذية لرسول الله ﷺ والبِغْضة له، والازدراء به، والتنقُّص له ولِدِينه[٥].

---

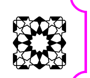
(١) **حَدِب فلان على فلان:** تَعطَّف وحنا عليه. انظر: لسان العرب (٣/ ٧٤).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ٣٠٠، ٣٠١).

(٣) انظر: الفصول في سيرة الرسول (ص٥٧).

(٤) وأخرج ذلك الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٧٧٠)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٠٨) (٣٥٥).

(٥) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٥١٤).



فائدةٌ تكنية أبي لهب بهذه الكنية

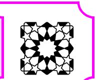
قال الإمام القرطبي: إنما كَنَاه الله[١] بأبي لَهَب؛ لِمَعانٍ أربعة:

* **الأول**: أنه كان اسمه عبد العُزَّى، والعُزَّى صَنَم، ولم يُضِف الله في كتابه العبودية إلى صنم.

* **الثاني**: أنه كان بكنيته أشهَرَ منه باسمه؛ فصُرِّح به.

* **الثالث**: أن الاسم أشرف من الكنية؛ فحطَّه الله ﷻ عن الأشرف إلى الأنقص؛ إذ لم يكن بُدٌّ من الإخبار عنه، ولذلك دعا الله تعالى الأنبياء بأسمائهم، ولم يَكْنِ عن أحد منهم، ويدلُّك على شرف الاسم على الكنية أن الله تعالى يُسَمَّى ولا يُكْنَى، وإن كان ذلك لظهوره وبيانه واستحالة نسبة الكُنية إليه؛ لتقدُّسه عنها.

* **رابعًا**: أن الله تعالى أراد أن يُحقق نسبته بأن يدخله النار، فيكون أبًا لها؛ تحقيقًا للنَّسَب، وإمضاءً للفَأْل والطِّيَرة التي اختارها لنفسه[٢].



عداوة أُمِّ جَمِيل العوراء لرسول الله ﷺ

هي: أُمُّ جَمِيل أَرْوَى بنت حرب بن أمية، وتُلقب بالعَوْراء.

روَى ابن حِبَّان في «صحيحه» بسند صحيح بالشواهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزَلَت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ [المسد: ١] جاءت امرأةُ أبي لَهَبٍ إلى النَّبيِّ ﷺ ومعه أبو بكرٍ، فلمَّا رآها أبو بكرٍ رضي الله عنه قال: يا رسولَ اللهِ، إنَّها امرأةٌ بذيئةٌ[٣] وأخاف أنْ تُؤذيَك! فلو قُمْتَ، فقال النبي ﷺ: «**إنَّها لَنْ تَرَانِي**»، فجاءت فقالت: يا أبا بكرٍ، إنَّ صاحبَك هجَانِي، قال رضي الله عنه:

---

(١) في القرآن.

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٢٢/ ٥٤٧).

(٣) **البذيء**: الفاحش من الرجال، والأنثى: بذيئة. انظر: لسان العرب (١/ ٣٥٠).

لا، وما يقولُ الشِّعرَ. قالت: أنتَ عندي مُصَدَّقٌ، وانصرَفَتْ، فقُلْتُ: يا رسولَ اللهِ، لَمْ تَرَكَ!

فقال رسول الله ﷺ: **«لا، لَمْ يَزَلْ مَلَكٌ يَسْتُرُنِي عنها بجَنَاحِه»**[(١)].

وفي رواية الحاكم في «المُستدرَك» بسند صحيح ـ إن شاء الله ـ عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: لما نزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ [المسد: ١] أَقْبَلَتِ الْعَوْرَاءُ أُمُّ جَمِيل بِنْتُ حَرْبٍ، وَلَهَا وَلْوَلَةٌ، وَفِي يَدِهَا فِهْرٌ[(٢)] وهي تقول: مُذَمَّمًا[(٣)] أَبَيْنَا، ودِينَهُ قلَيْنَا[(٤)]، وأَمْرَهُ عَصَيْنَا، والنبي ﷺ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ، وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ، فَلَمَّا رَآهَا أَبُو بَكْرٍ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ أَقْبَلَتْ، وَأَنَا أَخَافُ أَنْ تَرَاكَ!

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّهَا لَنْ تَرَانِي»**، وَقَرَأَ قُرْآنًا فَاعْتَصَمَ بِهِ كَمَا قَالَ، وَقَـرَأَ: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ۝٤٥﴾ [الإسراء: ٤٥]، فَوَقَفَتْ عَلَى أبي بَكْرٍ، وَلَمْ تَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنِّي أُخْبِرْتُ أَنَّ صَاحِبَكَ هَجَانِي، فَقَالَ: لَا، وَرَبِّ هَذَا الْبَيْتِ مَا هَجَاكِ، قال: فَوَلَّتْ وَهِيَ تَقُولُ: قَدْ عَلِمَتْ قُرَيْشٌ أَنِّي بِنْتُ سَيِّدِهَا[(٥)].

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه، رقم الحديث (٦٥١١)، وذكره الحافظ في الفتح (٩/ ٧٦٥) وعزاه للبزَّار، وحسَّن إسناده، وأورده الحافظ ابن كثير في كتابه مسند الإمام أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه (ص٥٨٨، ٥٨٩) وقال: هذا إسناد حسن.

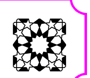
(٢) **الفِهْر**، بكسر الفاء: هو الحَجَر مِلء الكف، وقيل: هو الحَجَر مُطْلَقًا. انظر: لسان العرب (١٠/ ٣٤١).

(٣) كانت قريش تُسمِّي رسول الله ﷺ مُذمَّمًا، ثم يسبُّونه، فكان رسول الله ﷺ يقول: **«ألَا تَعْجَبون كيف يَصرف الله عني شَتْمَ قريش ولَعْنَهم؟! يشتمون مذمَّمًا ويلعنون مذمَّمًا، وأنا محمَّد»**، رواه البخاري، رقم الحديث (٣٥٣٣).

(٤) **قلَيْته**: أبغَضْته وكَرِهْته. انظر: لسان العرب (١١/ ٢٩٣).
ومنه قوله تعالى في سورة الضحى، آية (٣): ﴿وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾.

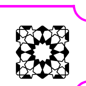
(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٣٤١٦).

قال الحافظ ابن كثير: وجَدِير أن يُذكَر هذا الحديث عند قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المائدة: ٦٧]، وعند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا ﴿٤٥﴾﴾ [الإسراء: ٤٥][(١)].



بعثُ قريشٍ إلى أبي طالب

فلما رأت قريش أن رسول الله ﷺ لا يُعْتِبُهم من شيء أنكروه عليه من فراقهم وعَيْب آلهتهم، ورأوا أن عمه أبا طالب قد حَدِب عليه، وقام دونه، فلم يُسْلِمه لهم؛ مشى رجال من أشراف قريش إلى أبي طالب: عُتبةُ وشَيبة ابنا رَبيعة، وأبو سفيان بن حرب، وأبو البَخْتَري العاص بن هشام، والأسود بن المطَّلب، وأبو جهل عمرو بن هشام، والوليد بن المغيرة، ونُبَيْه ومُنَبِّه ابنا الحجاج، والعاص بن وائل، فقالوا: يا أبا طالب، إن ابن أخيك قد سَبَّ آلهتنا، وعاب ديننا، وسَفَّهَ أحلامنا[(٢)]، وضَلَّلَ آباءنا، فإما أن تَكُفَّه عنَّا، وإما أن تُخْلِيَ بيننا وبينه؛ فإنك على مِثل ما نحن عليه من خِلافِه، فنَكْفِيكَه! فقال لهم أبو طالب قولًا رفيقًا، وردَّهم ردًّا جميلًا؛ فانصرفوا عنه[(٣)].



الوليد بن المغيرة يُحاور الرسول ﷺ

روَى الحاكم في «مُستدرَكه» وصحَّحه والبيهقي في «دلائل النبوة» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إنَّ الوليدَ بنَ المغيرةِ جاءَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ، فقرأَ عليهِ

(١) انظر: مسند الإمام أبي بكر الصديق (ص٥٨٩) للحافظ ابن كثير.

(٢) **الأحلام**: العقول. انظر: لسان العرب (٣/ ٣٠٥).

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ٣٠١).

القرآنَ، فكأنَّهُ رَقَّ له، فبلَغَ ذلكَ أبا جهلٍ، فأتاهُ فقال: يا عمِّ، إنَّ قومَكَ يريدونَ أن يَجمَعوا لكَ مالًا، قال: لمَ؟

قال: ليُعطُوكَهُ؛ فإنَّكَ أتيتَ محمَّدًا لتَعرِضَ لِمَا قِبَلَهُ، قال: قد عَلِمَت قريشُ أني من أكثرِها مالًا، قال: فقُل فيهِ قولًا يبلُغُ قومَكَ أنَّكَ مُنكِرٌ لهُ ـ أو أنك كارهٌ له ـ، قال: وماذا أقولُ؟ فوَاللهِ ما فيكم رجلٌ أعرَفُ بالأشعارِ منِّي، ولا أعلَمُ برَجَزِه ولا بقَصِيدِهِ منِّي، ولا بأشعارِ الجنِّ، وَاللهِ ما يُشبِهُ الذي يقولُ شيئًا مِن هذا، ووَاللهِ إنَّ لقولِهِ الذي يقولُه حلاوةً، وإنَّ عليهِ لَطَلاوةً[(١)]، وإنهُ لمُثمِرٌ أعلاهُ، مُغدِقٌ أسفلُهُ، وإنهُ لَيَعلُو ولا يُعْلَى، وإنهُ لَيَحْطِمُ ما تحتَهُ. قال: لا يَرضَى عنكَ قومُكَ حتَّى تقولَ فيهِ، قال: فدَعْنِي حتى أفكِّرَ، فلمَّا فكَّرَ قال: هَذَا سِحْرٌ يُؤْثَرُ، يَأْثِرُهُ عن غيرِهِ، فنَزَلَت: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝﴾ [المدثر: ١١][(٢)].

---

(١) **لطَلَاوة**: أي: رونقًا وحُسنًا. انظر: النهاية (٣/ ١٢٥).

وفي رواية ابن إسحاق في «السيرة» (١/ ٣٠٧): والله إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لَعَذْقٌ.

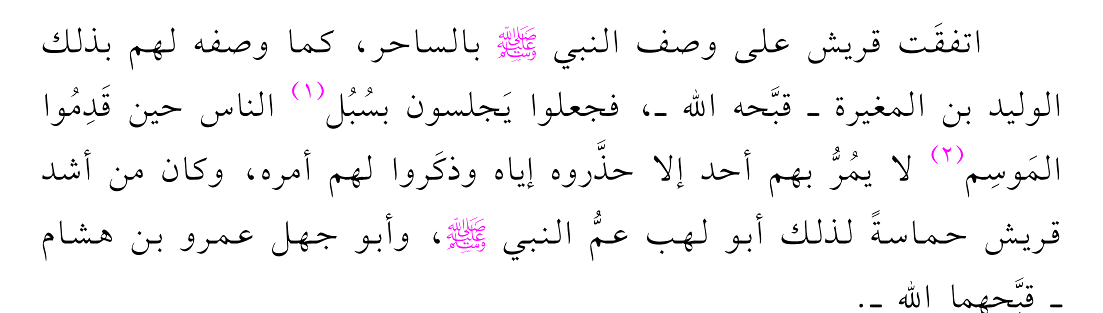
وقال ابن هشام: ويُقال: لَغَدِقٌ.

قال ابن سيد الناس في عيون الأثر (١/ ١٩١): قوله: **لَعَذْقٌ**، بفتح العين المهملة وسكون الذال، استعارة من النخلة التي ثبت أصلها، وهو العَذْق، ورواية ابن هشام: لَغَدِق، بغين معجمة وكسر الدالة المهملة، من الغَدَق، وهو الماء الكثير.

قال السهيلي في الروض الأُنُف (٢/ ١٤): ورواية ابن إسحاق أفصح من رواية ابن هشام؛ لأنها استعارة تامة، تُشبِّه آخر الكلام بأوله.

(٢) قال الإمام القرطبي في تفسيره (٢١/ ٣٧١): المفسرون على أنه الوليد بن المغيرة المخزومي، وإن كان الناس خُلقوا مثل خَلقه، وإنما خُصَّ بالذكر؛ لاختصاصه بكفر النعمة وإيذاء الرسول عليه الصلاة والسلام.

والخبر أخرجه الحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٣٩١٤)، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/١٩٨، ١٩٩) من طرق مرسَلة، وأخرجه ابن إسحاق في السيرة (١/ ٣٠٦)، قال البيهقي في الدلائل (٢/ ١٩٩): وكل ذلك يؤكد بعضه بعضًا.



وصف النبي ﷺ بالساحر

اتفقَت قريش على وصف النبي ﷺ بالساحر، كما وصفه لهم بذلك الوليد بن المغيرة ـ قبَّحه الله ـ، فجعلوا يَجلسون بسُبُل[١] الناس حين قَدِمُوا المَوسِم[٢] لا يمُرُّ بهم أحد إلا حذَّروه إياه وذكَروا لهم أمره، وكان من أشد قريش حماسةً لذلك أبو لهب عمُّ النبي ﷺ، وأبو جهل عمرو بن هشام ـ قبَّحهما الله ـ.

روَى الإمام أحمد في «مُسنَده» والحاكم في «المُستدرَك» بسند حسن ـ واللفظ لأحمد ـ عن رَبيعة بن عِبَادٍ الدِّيليِّ رضي الله عنه قال: رأَيْتُ رسولَ اللهِ ﷺ بَصَرَ عَيْنِي بسُوقِ ذي المَجازِ يقولُ: «**يا أيُّها الناسُ، قُولوا: لا إلٰهَ إلا اللهُ تُفلِحوا**» ويدخُلُ في فِجاجِها[٣]، والناسُ مُتقصِّفون[٤] عليه، فما رأَيْتُ أحدًا يقولُ شيئًا، وهو لا يسكُتُ، يقولُ: «**أيُّها الناسُ، قُولوا: لا إلٰهَ إلا اللهُ تُفلِحوا**»، إلا أنَّ وراءه رجُلًا أحوَلَ، وَضِيءَ الوجهِ، ذا غَدِيرتَيْنِ، يقولُ: إنَّه صابئٌ كاذبٌ، فقلتُ: مَن هذا؟! قالوا: محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ، وهو يذكُرُ النُّبوَّةَ، قلتُ: مَن هذا الذي يكذِّبُهُ؟! قالوا: عَمُّهُ أبو لَهَبٍ[٥].

وفي رواية أخرى: أن الذي كان يَتْبَعُه ﷺ أبو جهل، فقد روَى الإمام أحمد في «مُسنَده» بسند صحيح عن أشعَثَ بن أبي الشَّعْثاء قال: حَدَّثَني شَيخٌ مِن بَني مالكِ بنِ كِنانةَ قال: رَأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ بسوقِ ذي المَجازِ، يَتخَلَّلُها،

---

(١) **السُّبُل**: جمع سبيل: وهو الطريق. انظر: النهاية (٢/ ٣٠٥).

(٢) يعني: موسم الحج.

(٣) **الفِجاج**: جمع فَجٍّ: وهو الطريق الواسع. انظر: النهاية (٣/ ٣٧٠).

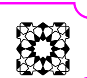
(٤) **مُتقصِّفون**: مزدحمون. انظر: النهاية (٤/ ٦٥).

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٦٠٢٣)، والحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٣٩٩).

يقولُ: «**يا أيُّها النَّاسُ، قولوا: لا إلٰهَ إلَّا اللهُ تُفلِحوا**» قال: وأبو جَهلٍ يَحثِي عليه التُّرابَ ويقولُ: أيُّها النَّاسُ، لا يَغُرَّنَّكم هذا عن دِينِكم؛ فإنَّما يُريدُ لِتَترُكوا آلهتَكم، وتَترُكوا اللَّاتَ والعُزَّى، قال: وما يَلتَفِتُ إليه رسولُ اللهِ ﷺ[١].

قال الحافظ ابن كثير: كذا في هذا السياق أبو جهل، وقد يكون وَهْمًا، ويَحتمِل أن يكون تارةً يكون ذا، وتارة يكون ذا، وأنهما كانا يَتناوَبان على إيذائه ﷺ[٢].

وقال ابن إسحاق: وأدَّى ذلك إلى أن صدَرَت[٣] العرب من ذلك المَوْسِم بأمر رسول الله ﷺ، فانتَشَر ذِكْرُه في بلاد العرب كلها، وخَشِي أبو طالب دَهْمَاء[٤] العرب أن يَركَبوه مع قومه، فقال قصيدته التي تَعوَّذ فيها بحَرَم مكة وبمكانه منها، وتودَّد فيها أشرافَ قومه، وهو على ذلك يُخبِرهم أنه غير مُسْلِمٍ رسولَ الله ﷺ ولا تارِكه لشيء أبدًا حتى يَهْلِكَ دونه[٥].



أساليب قريش في محاربة الدعوة

١ ـ إثارة الشبهات حول مصدر القرآن الكريم، وبث الدعايات الكاذبة، ونشر الأخبار الواهية حول تعليمه، وحول شخصيته ﷺ، فكانوا يقولون كما قال اللهُ تعالى عنهم: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل: ١٠٣]، وقالوا عن القرآن ما ذكره الله عنهم: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٦٦٠٣).
(٢) انظر: البداية والنهاية (٣/ ١٥١).
(٣) **صدر**: رجع. انظر: النهاية (٣/ ١٥).
(٤) **الدهماء**: الجماعة من الناس. انظر: لسان العرب (٤/ ٤٣١).
(٥) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ٣٠٩).

وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾﴾ [الفرقان: ٤، ٥].

٢ ـ السخرية والاستهزاء والتكذيب، فرَمَوا رسول الله ﷺ بالجنون: ﴿وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾﴾ [الحجر: ٦].

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ إذا تَلَا عليهم القرآن ودعاهم إلى الله تعالى، قالوا يهزؤون به: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾﴾ [فصلت: ٥].

وقال الله سبحانه: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنبياء: ٣٦].

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الفرقان: ٤١، ٤٢].

قال الحافظ ابن كثير: يقول تعالى لنبيِّه صلوات الله وسلامه عليه: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾؛ يعني: كفار قريش؛ كأبي جهل وأشباهه ﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾؛ أي: يستهزئون بك وينتقصونك، يقولون: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾؛ يعنون: أهذا الذي يسُبُّ آلهتكم ويُسَفِّهُ أحلامكم؟ قال تعالى: ﴿وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾؛ أي: وهم كافرون بالله، ومع هذا يستهزئون برسول الله ﷺ، كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الفرقان: ٤١، ٤٢][(١)].

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٥/٣٤٢).

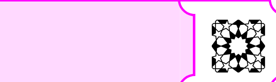
وقال تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الأنعام: ١٠].

قال الإمام القرطبي: قال تعالى مُؤْنِسًا لنبيِّه عليه الصلاة والسلام ومُعَزِّيًا: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ﴾؛ أي: نزَل بأُمَمِهم من العذاب ما أُهْلِكوا به؛ جزاء استهزائهم بأنبيائهم[١].

٣ ـ معارضة القرآن بأساطير الأولين؛ لشَغْلِ الناس بها عنه، وقد تولَّى ذلك النضرُ بن الحارث، وكان من شياطين قريش، وكان قَدِم الحِيرَة[٢] وتَعلَّم بها أحاديث ملوك الفرس.

قال ابن هشام: وهذا الذي قال، فيما بلغني: ﴿سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩٣][٣].

وقال ابن إسحاق: وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول، فيما بلَغَني: نزل فيه ثمان آيات من القرآن: قول الله عز وجل: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾﴾ [القلم: ١٥]، وكل ما ذُكر فيه من الأساطير من القرآن[٤].



تعذيب قريش مَن أسلَم

استمَرَّ رسول الله ﷺ يدعو إلى الله تعالى ليلًا ونهارًا، وسرًّا وجهرًا، لا يَصْرِفه عن ذلك صارِف، ولا يرُدُّه عن ذلك رادٌّ، ولا يصُدُّه عنه ذلك صادٌّ، يَتْبَع الناس في أنديتهم ومجامعهم ومَحافلهم، وفي المواسم ومواقف الحج، يدعو مَن لَقِيَه مِن حُرٍّ وعبدٍ، وضعيفٍ وقويٍّ، وغنيٍّ وفقيرٍ، جميع

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (٨/ ٣٢٨).

(٢) **الحِيرة**، بكسر الحاء: مدينة على ثلاثة أميال من الكوفة. انظر: معجم البلدان (٣/ ٢٠١).

(٣) انظر سيرة ابن هشام (١/ ٣٣٧).

(٤) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ٣٣٧).

الخلق في ذلك عنده شَرَعٌ سَواءٌ، وتَسلَّط عليه وعلى مَن اتَّبَعه مِن آحادِ الناس مِن ضعفائهم الأشدَّاءُ الأقوياءُ مِن مُشرِكي قريش بالأذية القولية والفعلية[(١)].

قال ابن إسحاق: ثم إنهم عَدَوا على مَن أَسْلَمَ واتَّبَع رسولَ الله ﷺ من أصحابه، فوَثَبَت كل قبيلة على مَن آمَن فيها من المسلمين، فجعَلوا يَحبِسونهم ويُعذبونهم بالضرب والجوع والعطش، وبرَمْضَاء[(٢)] مكة إذا اشتد الحَرُّ؛ مَن استُضعِفوا منهم، يَفتِنونهم عن دينهم، فمنهم مَن يُفتَن من شدة البلاء الذي يُصيبه، ومنهم من يَصلُب لهم ويَعصِمه الله منهم[(٣)].

وقال الإمام ابن القيم: وحَمَى اللهُ رسولَه ﷺ بعمِّه أبي طالب؛ لأنه كان شريفًا معظَّمًا في قريش، مُطَاعًا في أهل مكة، لا يَتجاسَرون على مُكاشَفته بشيء من الأذى، وكان مِن حكمة أحكم الحاكمين بقاؤه على دِين قومه؛ لِمَا في ذلك من المصالح التي تبدو لمَن تأمَّلها، وأما أصحابه ﷺ فمَن كان له عَشِيرة تَحمِيه امتَنَع بعشيرته، وسائرُهم تَصدَّوا له بالأذى والعذاب[(٤)].

ورَوَى الإمام أحمد وابن ماجَهْ بسند حسن عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: كانَ أوَّلَ مَن أظهَرَ إسلامَه سبعةٌ: رسولُ اللهِ ﷺ، وأبو بَكرٍ، وعمَّارٌ، وأمُّهُ سُميَّةُ، وصُهيبٌ، وبلالٌ، والمِقدادُ، فأمَّا رسولُ اللهِ ﷺ فمنَعَه اللهُ بعمِّهِ أبي طالبٍ، وأمَّا أبو بَكرٍ فمنَعَه اللهُ بقومِهِ، وأمَّا سائرُهم فأخذَهم المُشرِكون، وألْبَسُوهم أَدْرَاعَ الحديدِ، وصَهَروهم في الشَّمسِ، فما منهم من أحدٍ إلَّا وقد واتَاهُم[(٥)] علَى ما أرادوا، إلَّا بلالًا؛ فإنَّهُ هانَت عليه نفسُه في اللهِ وَهَانَ علَى

---

(١) انظر: البداية والنهاية (٣/ ٤٦).
(٢) **الرَّمضاء**: شدة وقع الشمس على الرمل وغيره. انظر: لسان العرب (٥/ ٣١٥).
(٣) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ٣٥٤).
(٤) انظر: زاد المعاد (٣/ ٢٦).
(٥) **وأتاهم**: وافقهم. انظر: لسان العرب (١/ ٦٧).

قومِه! فأَخَذوهُ فأَعطَوهُ الوِلْدَانَ، فجَعَلوا يَطُوفونَ بِه في شِعابِ مَكةَ، وَهوَ يقولُ: أحدٌ أحدٌ[١].

وروَى الإمام البخاري في «صحيحه» عن سعيد بن زيد ﵁ قال: وَاللهِ، لقَدْ رَأَيْتُنِي، وإنَّ عُمَرَ لَمُوثِقِي علَى الإسْلَامِ[٢] قَبْلَ أنْ يُسْلِمَ عُمَرُ[٣].

وروَى الإمام التِّرمِذي في «جامعه» بسند صحيح عن حارثة بن مُضَرِّب قال: دخَلتُ على خَبَّابٍ ﵁ وقد اكتَوى في بطنه، فقال: ما أعلَمُ أحَدًا من أصحاب النبي ﷺ لَقِيَ مِنَ البَلاءِ ما لَقيتُ؛ لقد كُنتُ وما أجِدُ دِرهَمًا على عَهدِ رَسولِ اللهِ ﷺ[٤].

وروَى الحاكم في «المُستدرَك» بسند حسن بطُرُقه وشواهده عن أبي عُبَيدة بن محمد بن عمار بن ياسر، عن أبيه قال: أخَذ المُشرِكونَ عمَّارَ بنَ ياسرٍ، فلم يَترُكوه حتَّى سَبَّ النَّبيَّ ﷺ وذَكَر آلِهتَهم بخيرٍ، ثمَّ تركوه، فلمَّا أتَى رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**ما وراءَك؟**» قال: شرٌّ يا رسولَ اللهِ؛ ما تُرِكْتُ حتَّى نِلْتُ منكَ وذكَرْتُ آلِهتَهم بخيرٍ! قال: «**كيف تجِدُ قلبَكَ؟**» قال: مُطْمَئِنٌّ بالإيمانِ. فقال رسول الله ﷺ: «**إن عادُوا فعُدْ**»[٥].

ونزل في عمار بن ياسر ﵁ قَولُه تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٣٨٣٢)، وابن ماجه في سننه، رقم الحديث (١٥٠).

(٢) قال الحافظ في الفتح (٧/ ٥٦٩): أي: رَبَطَه بسبب إسلامه؛ إهانة له وإلزامًا بالرجوع عن الحق.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٨٦٢).

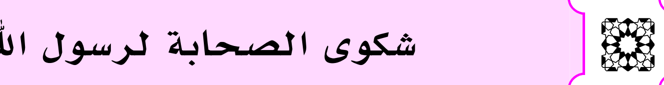
(٤) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه، رقم الحديث (٩٩٢).

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٣٤٠٢)، وأورده الحافظ في الفتح، (١٤/ ٣٢٢) وقال: هو مرسل، ورجاله ثقات، وذكره من عدة طرق مرسلة، ثم قال: وهذه المراسيل يُقوِّي بعضها بعضًا.

إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾﴾ [النحل: ١٠٦].

قال الحافظ في «الفتح»: والمشهور أن الآية المذكورة نزلت في عمار بن ياسر رضي الله عنه[(١)].

وقال الحافظ ابن رجب: وأما الإكراه على الأقوال فاتفق العلماء على صِحَّته، وأن مَن أُكْرِهَ على قولٍ محرَّمٍ إكراهًا معتبرًا؛ أنَّ له أن يَفتدِيَ نفسه به، ولا إثمَ عليه، وقد دل عليه قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾، وقال النبي ﷺ لعمَّار رضي الله عنه: «**إن عادُوا فعُدْ**»، وكان المشركون قد عذَّبوه حتى يوافِقَهم على ما يُريدونه من الكفر، ففعَل[(٢)].



شكوى الصحابة لرسول الله ﷺ

فلما طال العذاب على المسلمين ذهب خَبَّاب بن الأَرَتِّ رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ يطلُب منه الدعاء لرفع البلاء، فقد روى الإمام البخاري في «صحيحه» عن خَبَّاب بن الأَرَتِّ رضي الله عنه قال: شَكَوْنَا إلى رَسولِ اللهِ ﷺ وهو مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً له في ظِلِّ الكَعْبَةِ[(٣)] قُلْنَا له: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنا! أَلَا تَدْعُو اللهَ لَنا! فقالَ رسول الله ﷺ: «**كانَ الرَّجُلُ فِيمَن قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ له في الأرض، فيُجْعَلُ فِيهِ، فيُجَاءُ بالمِنْشَارِ فيُوضَعُ علَى رَأْسِهِ، فيُشَقُّ باثْنَتَيْنِ، وما يَصُدُّهُ ذلكَ عن دِينِهِ، ويُمْشَطُ بأَمْشَاطِ الحَدِيدِ ما دُونَ لَحْمِهِ مِن عَظْمٍ أو عَصَبٍ، وما يَصُدُّهُ ذلكَ عن دِينِهِ، وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ هذا الأمْرَ، حتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِن صَنْعَاءَ**

(١) انظر: فتح الباري (١٤/ ٣٢٢).

(٢) انظر: جامع العلوم والحكم (٢/ ٣٧٢).

(٣) زاد البخاري في رواية أخرى، رقم الحديث (٣٨٥٢): وقد لَقِينا من المشركين شِدَّةً.

إلى حَضْرَمَوْتَ، لا يَخَافُ إلَّا اللهَ، أو الذِّئْبَ علَى غَنَمِهِ، ولَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»[(١)].

قال الحافظ في «الفتح»: طَلَبُ خبَّابٍ رضي الله عنه الدعاءَ من النبي ﷺ على الكفار دالٌّ على أنهم كانوا قد اعتَدَوا عليهم بالأذى؛ ظلمًا وعدوانًا[(٢)].

وقال الشيخ محمد الغزالي: إن رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ لم يَجْمَع أصحابه على مَغْنَم عاجل أو آجل، إنه أزاح الغِشاوة عن الأعين؛ فأبصَرَت الحق الذي حُجِبَت عنه دهرًا، ومسَح الرَّان عن القلوب، فعَرَفَت اليقين الذي فُطِرَت عليه وحَرَمَتها الجاهلية منه، إنه وصَل البَشَرَ بربِّهم، فربَطَهم بنَسَبِهم العريق وسَبَبِهم الوَثيق، وكانوا قبل ذلك حَيَارَى مَحسُورين، إنه وازَن للناس بين الخلود والفناء؛ فآثَرُوا الدار الآخرة على الدار الزائلة، وخيَّرَهم بين أصنام حقيرة، وإلٰهٍ عظيم؛ فازدَرَوُا الأوثان المنحوتة، وتوجَّهوا للذي فطَر السمٰوات والأرض، وكان رسول الله ﷺ يَبُثُّ عناصر الثقة في قلوب رجاله، ويُفِيض عليهم ما أفاضه الله على فؤاده مِن أمل رَحِيب في انتصار الإسلام، وانتشار مبادئه، وزوال سلطان الطُّغاة أمام طلائعه المظَفَّرة في المشارق والمغارب[(٣)].

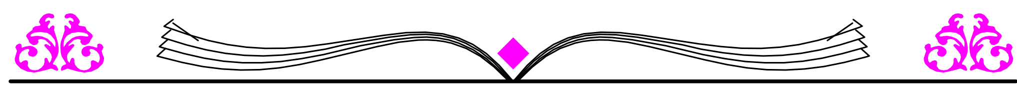
❁ ❁ ❁

---

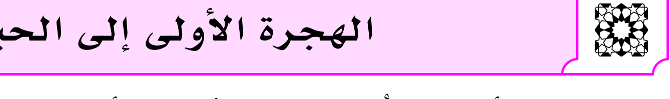
(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٦١٢).

(٢) انظر: فتح الباري (١٤/ ٣٢٧).

(٣) انظر: فقه السيرة (ص١٠٥)، للشيخ محمد الغزالي.







الهجرة الأولى إلى الحبشة

فلما رأى رسولُ الله ﷺ ما يُصِيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافية؛ بمكانه من الله، ومِن عمِّه أبي طالب، وأنه لا يَقدِر على أن يَمنَعَهم مما هم فيه من البلاء؛ قال لهم: «**لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ؛ فَإِنَّ بِهَا مَلِكًا لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ، وَهِيَ أَرْضُ صِدْقٍ، حَتَّى يَجْعَلَ اللهُ لَكُمْ فَرَجًا مِمَّا أَنْتُم فِيهِ!**»[(١)]، فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله إلى أرض الحبشة؛ مخافة الفتنة، وفرارًا إلى الله بدينهم؛ فكانت أول هجرة وقَعَت في الإسلام[(٢)].

وكان مِن أسباب أَمْرِ رسول الله ﷺ أصحابَه ﷺ بالهجرة إلى الحبشة أنه نزل عليه قوله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [العنكبوت: ٥٦].

قال الحافظ ابن كثير: هذا أمرٌ من الله لعباده المؤمنين بالهجرة من البلد الذي لا يَقدِرون فيه على إقامة الدين إلى أرض الله الواسعة، حيث يُمكِن إقامة دِينه، بأن يُوحِّدوا الله ويَعبُدوه كما أمَرَهم؛ ولهذا لما ضاق على المستضعَفِين بمكة مقامُهم بها خرَجوا مهاجِرين إلى أرض الحبشة؛ ليَأمَنوا على دينهم هناك، فوجَدوا هناك خَيْرَ المُنْزِلِين أَصْحَمَةَ النجاشي ملِك الحبشة رَحِمَهُ اللهُ؛ آواهم وأيَّدَهم بنَصره، وجعَلَهم سُيُومًا[(٣)] ببلاده[(٤)].

---

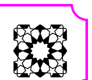
(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة، (٢/ ٣٠١)، وابن إسحاق في السيرة، (١/ ٣٥٨)، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم الحديث (٣١٩٠) وجوَّد إسنادَه.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ٣٥٨).

(٣) **سُيُوم**: يعني: آمنين؛ بلغة الحبشة. كما جاء تفسيرها في رواية أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا في قصة هجرتهم إلى الحبشة الهجرةَ الثانية.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٢٩٠).

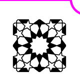
قال الشيخ علي الطنطاوي: ودَعَاهم رسول الله ﷺ إلى ما هو أشدُّ من هذا كله؛ إلى فراق الوطن وترك الأهل، وأن يَمشُوا فرارًا بدينهم إلى بلاد ليسُوا منها وليسَت منهم، ولا لسانُها لسانُهم ولا دِينُها دِينُهم؛ إلى الحبشة! فخرَجوا من منازلهم وهجَروا أهلِيهم، ومشَوا إلى الحبشة، فلَحِقَهم أذى قريش إلى الحبشة، وأَوْغَلَت قريش في كفرها وصدِّها وعِنادها، ولكنْ هل تَقدِر قريش أن تُطْفِئ نور الله تعالى؟![1].



عدد المهاجرين إلى الحبشة

خرَج عند ذلك جماعة من الصحابة ﭫ متسلِّلين سرًّا إلى أرض الحبشة؛ مخافة الفتنة، وفرارًا إلى الله بدِينهم، وهي أول هجرة وقعَت في الإسلام، وذلك في رجب من السنة الخامسة للبَعثة، وكانوا أحَد عشَر رجلًا وأربع نسوة، وكان أميرهم عثمان بن مظعون ﭬ.

وأقام المسلمون في الحبشة بخَير دار عند خَير جار بقية رجب وشعبان إلى رمضان، ثم عادوا إلى مكة[2] كما سيأتي.



سجود كفار قريش

وفي رمضان من السنة الخامسة للبَعثة خرَج رسول الله ﷺ إلى الحَرَم، وفيه عدد كبير من سادات وكُبراء قريش، فقام فيهم رسول الله ﷺ وأخذ يَتلو سورة النجم، فلما باغَتَهم بتلاوة هذه السورة، وقرَع آذانهم كلامٌ إلٰهي رائع خَلَّاب، لا يُحيط بروعته وجلالته البيان، تَفَانَوا عمَّا هم فيه، وبَقِيَ كل واحد مُصغيًا إليه، لا يَخطُر بباله شيء سواه، حتى إذا تَلَا في خواتيم هذه السورة قَوارِعَ تَطير لها القلوب، ثم قرأ: ﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۝٦٢﴾ [النجم: ٦٢]، ثم

---

(١) انظر: كتاب رجال من التاريخ (ص١٤) للشيخ علي الطنطاوي.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ٣٥٩)، زاد المعاد (٣/ ٢٨).

سجَد رسول الله ﷺ، ولم يَتمالَك أحد نَفْسه حتى خَرَّ ساجدًا، وفي الحقيقية كانت روعة الحق قد صَدَعَت العناد في نفوس المستكبرين والمستهزئين؛ فما تَمالَكوا أن يَخِرُّوا لله ساجِدِين![(١)].

روى الشيخان في «صحيحَيهما» ـ واللفظ للبخاري ـ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: أَوَّلُ سُورَةٍ أُنْزِلَتْ فِيهَا سَجْدَةٌ ﴿وَٱلنَّجْمِ﴾، فَسَجَدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَسَجَدَ مَنْ خَلْفَهُ، إِلَّا رَجُلًا رَأَيْتُهُ أَخَذَ كَفًّا مِنْ تُرَابٍ فَسَجَدَ عَلَيْهِ، فَرَأَيْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ قُتِلَ كَافِرًا، وَهُوَ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ[(٢)].

وروَى الإمام أحمد في «مُسنَده» بسند صحيح عن المُطَّلب بن أبي وَدَاعة رضي الله عنه قال: رأيتُ رسول الله ﷺ سجَد في النجم وسجَد الناس معه، ولم أسجُد معهم ـ وهو يومئذ مُشرِك ـ؛ فلا أَدَعُ السجود فيها أبدًا[(٣)].

---

(١) انظر: الرحيق المختوم (ص٩٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث، (٤٨٦٣)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٥٧٦).

قال الحافظ في الفتح (٣/ ٢٥٦): ووقع في سيرة ابن إسحاق: أنه الوليد بن المغيرة، وفيه نظر؛ لأنه لم يُقتَل، وفي تفسير سُنيد: الوليد بن المغيرة، أو عتبة بن ربيعة بالشك، وفيه نظر؛ لما أخرجه الطبراني من حديث مَخْرَمة بن نَوفل قال: لما أظهَر النبي ﷺ الإسلام أسلَمَ أهل مكة، حتى إنه كان لَيَقرأ السجدة فيَسجُدون، فلا يَقدِر بعضهم أن يسجُد من الزحام، حتى قَدِم رؤساء قريش؛ الوليد بن المغيرة، وأبو جهل، وغيرهما، وكانوا بالطائف فرجعوا، وقالوا: تَدَعُون دينَ آبائكم! لكن في ثبوت هذا نظر، وروَى الطبري من طريق أبي بشر، عن سعيد بن جُبير: أن الذي رفَع التراب فسجَد عليه هو سعيد بن العاص بن أُمَيَّة أبو أُحَيْحة، وتبعه النَّحَّاس، وذكر أبو حَيَّان شيخ شيوخنا، في تفسيره: أنه أبو لهب، ولم يذكُر مُستَنَده، وفي مصنَّف ابن أبي شيبة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سجَدوا في النجم إلا رجُلَين من قريش أرادَا بذلك الشهرة. وللنسائي من حديث المطَّلِب بن أبي وَدَاعة قال: قرأ رسول الله ﷺ النجم، فسجَد وسجَد من معه، فرَفَعتُ رأسي وأَبَيتُ أن أسجد، ولم يكُن المُطَّلِب يومئذ أسلَمَ، ومهما ثبت من ذلك فلعل ابن مسعود رضي الله عنه لم يَرَهُ، أو خَصَّ واحدًا بذكره؛ لاختصاصه بأخذ الكف من التراب دون غيره.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٥٤٦٤)، وأورده الحافظ في الإصابة، (٦/ ١٠٤) وصحح إسناده، وذكره في الفتح (٩/ ٥٩٨) وعزاه للنسائي، وصحَّح إسناده.

عودة مهاجري الحبشة إلى مكة

وتَرامَت هذه الأخبار إلى مهاجري الحبشة ﷺ، ولكن بصورة مختلفة تمامًا عن صورتها الحقيقية؛ بلَغَهم أن أهل مكة أسلَموا، وقد سجَدوا مع النبي ﷺ، فقال المهاجرون: عشائرنا أحبُّ إلينا! فخرَجوا من الحبشة راجِعِين إلى مكة، وذلك في شوَّال من السنة الخامسة للبَعثة، حتى إذا كانوا دون مكة بساعة تبَيَّنَت لهم الحقيقة، وعرَفوا أن المشرِكين أشدُّ ما يكونون خصومًا لله ورسوله ﷺ وللمسلمين، فهَمُّوا بالرجوع إلى أرض الحبشة، فقالوا: قد بَلَغْنَا مكة! فدخَلوا مكة، ولم يدخُل أحد منهم إلا مُستخفِيًا، أو في جِوَار رجل من قريش، وعاد بعضهم إلى الحبشة[١].

قال الحافظ البيهقي: وقد رُوِّينا أنها نزَلَت[٢] بعد ما هاجَر عثمان بن عفان وعثمان بن مظعون وأصحابهما ﷺ إلى أرض الحبشة في الهجرة الأولى، فلما قرأها رسول الله ﷺ في الصلاة وسجَد، وسجَد المسلمون والمشركون، وبلَغَهم الخبر، رجَعوا، ثم هاجَروا الهجرة الثانية مع جعفر بن أبي طالب ﷺ، وذلك كان قبل المَسْرَى بسَنَتَين[٣].

مفاوضات قريش مع أبي طالب في أمر النبي ﷺ

ولما أيقَنَت قريش أن بَطْشَها بالمستضعَفِين من المسلمين ونَيْلَها من غيرهم لم يَصْرِف الناس عن الاستجابة لدعوة الله تعالى، لجَأَت إلى أسلوب المفاوضات مرة أخرى، فذهبوا إلى أبي طالب مرة أخرى، فقالوا له: يا

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد، (١/ ٩٩)، سيرة ابن هشام، (١/ ٤٠٢)، زاد المعاد، (٣/ ٢٩).

(٢) سورة النجم.

(٣) انظر: دلائل النبوة (٢/ ٣٧٠).

أبا طالب، إن لك سِنًّا وشرفًا ومنزلة فينا، وإنَّا قد استَنْهَيْنَاكَ من ابن أخيك فلم تَنْهَهُ عنَّا، وإنَّا والله لا نَصبِر على هذا مِن شَتْم آبائنا، وتَسْفِيه أحلامنا، وعَيْب آلهتنا، حتى تَكُفَّه عنَّا، أو نُنازِلَه وإياك في ذلك، حتى يَهْلِكَ أحد الفريقين!

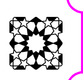
فعظُم على أبي طالب فِراقُ قومه وعداوتهم، ولم يَطِبْ نفسًا بإسلام رسول الله ﷺ ولا خِذلانه، فبعَث إلى رسول الله ﷺ فقال له: يا بن أخي، إن قومك قد جاؤوني فقالوا لي كذا وكذا ـ لِلَّذي قالوا له ـ، فأَبْقِ عليَّ وعلى نفسك، ولا تُحَمِّلْني من الأمر ما لا أُطِيق! فظَنَّ رسول الله ﷺ أنه قد بَدَا لعمِّه فيه بَدَاءٌ، وأنه خاذِلُه ومُسلِمُه، وأنه قد ضعُف عن نصرته والقيام معه، فقال رسول الله ﷺ: «**يا عَمِّ، وَاللهِ لو وضَعُوا الشمسَ في يَمينِي، والقَمَرَ في يَسارِي، على أنْ أَترُكَ هذا الأَمرَ، حتى يُظهِرَهُ اللهُ أو أَهلِكَ فيه، ما تَركْتُه!**» ثم استَعْبَر رسولُ الله ﷺ فبكى، ثم قام! فلما ولَّى ناداه أبو طالب فقال، أَقْبِلْ يا بن أخي! فأقبَلَ عليه رسول الله ﷺ فقال: اذهب يا بن أخي فقُلْ ما أَحبَبْتَ، فوالله لا أُسلِمُك لشيء أبدًا. ثم قال:

وَاللَّهِ لن يَصِلُوا إليكَ بجمعِهم ... حتى أُوَسَّدَ في الترابِ دَفِينَا
فاصدَعْ بِأمرِك ما عليكَ غَضاضةٌ ... وأبشِرْ وَقَرَّ بذاكَ منكَ عُيونَا[1]

وفي رواية الحاكم في «مُستدرَكه» بسند حسن عن عَقِيل بن أبي طالب قال: جَاءَتْ قُرَيْشٌ إِلَى أبي طَالِبٍ فَقَالُوا: إِنَّ ابْنَ أَخِيكَ يُؤْذِينَا فِي نَادِينَا وَفِي مَجْلِسِنَا، فَانْهَهُ عَنْ أَذَانَا. فَقَالَ لِي: يَا عَقِيلُ، ائْتِ مُحَمَّدًا. قَالَ: فَانْطَلَقْتُ إِلَيْهِ، فَأَخْرَجْتُهُ مِنْ حِفْشٍ ـ قَالَ طَلْحَةُ: بيت صَغِيرَ ـ فَجَاءَ فِي الظُّهْرِ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ، فَجَعَلَ يَطْلُبُ الْفَيْءَ، يَمْشِي فِيهِ مِنْ شِدَّةِ حَرِّ الرَّمْضَاءِ، فَأَتَيْنَاهُمْ، فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: إِنَّ بَنِي عَمِّكَ زَعَمُوا أَنَّكَ تُؤْذِيهِمْ فِي

(١) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ٣٠٣).

نَادِيهِمْ وَفِي مَجْلِسِهِمْ، فَانْتَهِ عَنْ ذَلِكَ! فَحَلَّقَ[١] رَسُولُ اللهِ ﷺ بِبَصَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: «**مَا تَرَوْنَ هَذِهِ الشَّمْسَ؟**» قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: «**مَا أَنَا بِأَقْدَرَ عَلَى أَنْ أَدَعَ ذَلِكَ مِنْكُمْ عَلَى أَنْ تُشْعَلُوا مِنْهَا شُعْلَةً**»، فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: مَا كَذَبَنَا ابْنُ أَخِي قَطُّ، فَارْجِعُوا[٢].



إسلام حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه

أسلَمَ حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه في هذه الفترة؛ في السنة السادسة للبَعثة، وقيل: في السنة الثانية للبَعثة.

روَى الحاكم في «المُستدرَك» بسند ضعيف عن ابن إسحاق قال: حَدَّثني رجُل مِن أسلَمَ ـ وكان واعِيَهُ ـ: أنَّ أبا جَهلٍ اعترض لرسولِ الله ﷺ عند الصَّفا، فآذاه وشَتَمه، وقال فيه ما يُكرَهُ من العيَب لِدِينه والتضعيف له، فلم يُكلِّمه رسول الله ﷺ، ومَوْلَاةٌ لعبد الله بن جُدْعَان التَّيمي في مسكن لها فوق الصفا تَسمَع ذلك، ثم انصَرَف عنه، فعَمَد إلى نادي[٣] قريش عند الكعبة فجلَس معهم.

ولم يَلبَث حمزة بن عبد المطلب أن أقبَلَ متوشِّحًا[٤] قوسَه، راجعًا مِن قَنْص له، وكان إذا فعَل ذلك لم يمُرَّ على نادي قريش إلا وقَف وسَلَّم وتحدَّث معهم، وكان أعَزَّ قريش وأشَدَّها شَكِيمةً[٥]، وكان يومئذٍ مُشرِكًا على

(١) **حَلَّق ببصره**: رفعه. انظر: النهاية (١/ ٤٠٩).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٦٦١٠)، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم الحديث (٩٢) وحسَّنه.

(٣) **النادي**: مجتَمَع القوم وأهل المجلس، يقع على المجلس وأهله. انظر: النهاية (٥/ ٣١).

(٤) **توشح الرجل بثوبه وبسيفه**: إذا لَبِسَه. انظر: لسان العرب (١٥/ ٣٠٦).

(٥) يُقال: فلان **شديد الشكيمة**: إذا كان عزيز النفس أبيًّا قويًّا. انظر: النهاية (٢/ ٤٤٤).

دِين قومه، فجاءته المولاة وقد قام رسول الله ﷺ ليَرجِع إلى بيته، فقالت له: يا أبا عُمارة، لو رأيتَ ما لَقِيَ ابنُ أخيك محمدٌ من أبي الحَكَم[١] آنِفًا! وجَده هاهنا فآذاه وشتَمه وبلَغ ما يُكرَهُ ثم انصَرَف عنه، ولم يُكلِّمه محمدٌ!

فاحتَمَل حمزةَ الغضبُ؛ لِمَا أراد الله من كرامته، فخرج سريعًا لا يَقف على أحَد كما كان يَصنع، يُريد الطواف بالبيت متعمدًا لأبي جهل أن يَقَع به، فلما دخل المسجد نظَر إليه جالسًا في القوم، فأقبَل نحوه حتى إذا قام على رأسه رفَع القوس فضرَبه على رأسه ضربة مملوءة، وقامت رجال من قريش من بني مخزوم إلى حمزة؛ لينصُروا أبا جهل، فقالوا: ما نَرَاك يا حمزةُ إلا صَبَأتَ[٢]! فقال حمزة: وما يَمنعني، وقد استبان لي ذلك منه، أنا أشهَد أنه رسول الله، وأن الذي يقول حق، فوالله لا أَنزِع، فامنَعوني إن كنتم صادقين. فقال أبو جهل: دَعُوا أبا عُمارة؛ لقد سَبَبتُ ابن أخيه سبًّا قبيحًا.

وَمَرَّ[٣] حمزة على إسلامه، وتابَع رسولَ الله ﷺ، فلما أسلَمَ حمزةُ عَلِمَت قريش أن رسول الله ﷺ قد عَزَّ وامتَنَع، وأن حمزة سيَمنَعه، فكَفُّوا عن بعض ما كانوا يَتناولونه ويَنالون منه.

ثم رجع حمزة رضي الله عنه إلى بيته، فأتاه الشيطان[٤]، فقال: أنت سيِّد قريش، اتبَعتَ هذا الصابئَ وترَكتَ دِينَ آبائك! لَلْموتُ خيرٌ لك مما صَنعتَ!

---

(١) هي كنية أبي جهل، قَبَّحه الله.

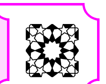
(٢) يُقال: صبأ فلان: إذا خرج من دين إلى دين غيره. وكانت العرب تُسمي النبي ﷺ الصابئ؛ لأنه خرج من دين قريش إلى دين الإسلام. انظر: النهاية (٣/٣).
قلتُ: لم يكن رسول الله ﷺ على دين قريش طرفةَ عَينٍ، وإنما كان حنيفًا مسلمًا ولم يكن من المشركين، فلم يسجد لصنم قط، أو تمسَّح به، أو ذهب إلى عَرَّاف أو كاهن، وذلك من حفظ الله سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ.

(٣) في رواية ابن إسحاق في السيرة (١/٣٢٩): وتم.

(٤) أي: بوسوسته التي لا يسْلَم منها إنسان.

فأقبَلَ على حمزة بَثُّهُ[١]، فقال: ما صَنَعتُ! اللَّهُمَّ إنْ كان رُشدًا فاجعَل تصديقه في قلبي، وإلا فاجعَل لي مما وقعتُ فيه مَخرجًا! فبات بليلة لم يَبِتْ بمثلها من وسوسة الشيطان حتى أصبح.

فغَدَا على رسول الله ﷺ فقال: ابنَ أخي، إني وقعتُ في أمر لا أعرِف المخرج منه، وإقامةُ مِثْلي على ما لا أدري ما هو؛ أرُشدٌ هو أم غَيٌّ شديدٌ! فحدِّثني حديثًا، فقد اشتهيتُ يا بن أخي أن تحدِّثَني، فأقبَلَ رسول الله ﷺ فَذكَّره ووَعَظه، وخوَّفه وبشَّره، فألقَى الله في نفسِه الإيمان كما قال رسول الله ﷺ، فقال: أشهد إنك لصادق شهادةَ الصدق والعارف، فأَظْهِر يا بن أخي دِينَك؛ فوالله ما أحِبُّ أن لي ما أَظَلَّت السماء، وإني على ديني الأول! قال: فكان حمزةُ ممن أعَزَّ الله به الدِّينَ[٢].



دعاء الرسول ﷺ لعمر رضي الله عنه بالهداية وإسلامه

روى الإمام أحمد في «مُسنَده» والترمذي في «جامعه» بسند حسن عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: إن رسول الله ﷺ قال: «**اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْأِسْلَامَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ؛ بِأَبِي جَهْلٍ، أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ!**» فَكَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَى اللهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ[٣].

وروَى الحاكم في «المُستدرَك» بسند صحيح عن أُمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها

---

(١) **البث**: أشد الحزن. انظر: النهاية (١/ ٩٦).
ومنه قوله تعالى في سورة يوسف، آية (٨٦) على لسان يعقوب عليه السلام: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦].

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٤٩٣٩)، وابن إسحاق في السيرة، (١/ ٣٢٨)، وقد وهمتُ فصححت إسناد القصة في اللؤلؤ المكنون، فليُستدرَكْ من هنا.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٥٦٩٦)، والترمذي في جامعه، رقم الحديث (٤٠١٣)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب.

قالت: إن النبي ﷺ قال: «**اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْأِسْلَامَ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ خَاصَّةً**»[(١)].

وروَى الحاكم في «المُستدرَك» بسند حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن النبي ﷺ قال: «**اللَّهُمَّ أَيِّدِ الدِّينَ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ**»[(٢)].

قلت: والذي يظهر أن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى رسوله ﷺ أن أبا جهل لن يُسلِم، ولم يُقدِّرِ اللهُ سبحانه هدايته؛ فعند ذلك خَصَّ رسول الله ﷺ عمر بن الخَطَّاب رضي الله عنه بالهداية، والله أعلم.

تأثير الدعوة النبوية على عمر رضي الله عنه

ظهَرت آثار دعوة النبي ﷺ لعمر رضي الله عنه بالهداية في موقفه مع ليلى بنت أبي حَثْمة رضي الله عنها، فكان ليِّن الجانب جدًّا معها وهي ترتحل إلى الحبشة، وهو أمر غير معهود من عمر رضي الله عنه بالمسلمين؛ إذ كان من أشد الناس على المسلمين.

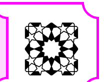
روى الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» والحاكم في «المُستدرَك» بسند حسن عن أم عبد الله بنت أبي حَثْمة رضي الله عنها قالت: والله إنَّا لنَرْحَلُ إلى أرض الحبشة، وقد ذهب عامر[(٣)] في بعض حاجتنا، إذ أقبل عمر بن الخَطَّاب حتى وقف عليَّ، وهو على شِرْكِه، وكنا نَلْقَى منه البلاء وشدة علينا، فقال: إنه لَلانطلاقُ يا أمَّ عبد الله؟ فقلت: نعم، واللهِ لَنَخْرُجَنَّ في أرض الله؛ آذَيْتمونا وقهَرْتُمونا، حتى يَجعَل الله لنا مخرجًا، فقال: صَحِبَكم الله. ورأيتُ له رِقَّةً لم أكن أراها، ثم انصرف، وقد أحزنه ـ فيما أُرَى ـ خروجُنا، قالت: فجاء

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٤٥٣٥)، وأورده الحافظ في الفتح، (٧/ ٤٠٤) وصحَّح إسناده.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٤٥٣٣).

(٣) هو زوجها عامر بن ربيعة رضي الله عنه من السابقين إلى الإسلام. انظر: الإصابة (٣/ ٤٦٩).

عامر من حاجته تلك، فقلت: يا أبا عبد الله، لو رأيتَ عُمَر آنفًا ورِقَّته وحُزنَه علينا! قال: فيُطمَع[١] في إسلامه؟ قلت: نعم، قال: لا يُسلِمُ الذي رأيتِ حتى يُسلِمَ حِمارُ الخطَّاب! قال يائسًا منه؛ مما كان يَرَى من غِلظته وقسوته على الإسلام[٢].



قصة إسلام عمر رضي الله عنه

تعدَّدت الروايات في إسلام عمر بن الخَطَّاب رضي الله عنه ـ على ضعفها ـ ويَظهَر أن الإسلام وقع في قلبه رضي الله عنه حتى تَمكَّن منه شيئًا فشيئًا، وأول ما وقع في قلبه ما رواه الإمام البخاري في «صحيحه» عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال عمر رضي الله عنه: بيْنَما أنَا نَائِمٌ عِنْدَ آلِهَتِهِمْ إذْ جَاءَ رَجُلٌ[٣] بعِجْلٍ فَذَبَحَهُ، فَصَرَخَ به صَارِخٌ لَمْ أسْمَعْ صَارِخًا قَطُّ أشدَّ صَوْتًا منه، يقولُ: يا جَلِيحْ! أمْرٌ نَجِيحْ! رَجُلٌ فَصِيحْ! يقولُ: لا إلٰهَ إلَّا أنتَ! فَوَثَبَ القَوْمُ، قُلتُ: لا أبْرَحُ حتَّى أعْلَمَ ما ورَاءَ هذا، ثُمَّ نَادَى: يا جَلِيحْ! أمْرٌ نَجِيحْ! رَجُلٌ فَصِيحْ! يقولُ: لا إلٰهَ إلَّا اللهُ، فَقُمْتُ، فَما نَشِبْنَا أنْ قيلَ: هذا نَبِيٌّ![٤].

قال الإمام البيهقي: ظاهر هذه الرواية يُوهِم أن عمر رضي الله عنه بنفسه سَمِع

(١) في رواية الإمام أحمد: أَطَمِعْتِ.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في فضائل الصحابة، رقم الحديث (٣٧١)، والحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٧٠٦٩)، وذكره الإمام السِّندي في شرحه للمسند، (٢/ ٢١٥) وصحَّح إسناده.

(٣) قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٢/ ٧٤١): هذا الرجل هو سَوَاد بن قارِب السدوسي.

وذهب الحافظ في الفتح (٧/ ٥٧٢) إلى ما ذهب إليه الحافظ ابن كثير.

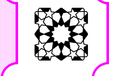
وقال الحافظ ابن عبد البر في الاستيعاب (٢/ ٢٣٣): سَوَاد بن قارِب السدوسي، كان يتكهن في الجاهلية، وكان شاعرًا، ثم أسلم.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٨٦٦).

الصارخ يصرُخ من العِجل الذي ذُبحَ، وكذلك هو صريح في رواية ضعيفة عن عمر ﵁ في إسلامه، وسائر الروايات تدُلُّ على أن هذا الكاهن أخبَر بذلك عن رؤيته وسماعه. والله أعلم[١].

ثم ساق الإمام البيهقي حديث سَوَاد بن قارِب فقال: ويُشْبِه أن يكون هذا هو الكاهن[٢] الذي لم يُذكَر اسمه في الحديث الصحيح[٣].

وقال الحافظ في «الفتح»: لمَّح المصنِّف[٤] بإيراد هذه القصة في باب إسلام عمر ﵁ بما جاء عن عائشة وطلحة ﵄ عن عمر ﵁ من أن هذه القصة كانت سبب إسلامه ﵁[٥].



عِزَّة المسلمين بإسلام عمر ﵁

روَى الإمام البخاري في «صحيحه» عن عبد الله بن مسعود ﵁ قال: ما زِلْنَا أَعِزَّةً منذُ أَسْلَمَ عُمَرُ[٦].

قال الحافظ في «الفتح»: لِمَا كان فيه من الجَلَد والقوة في أمر الله تعالى[٧].

وروَى الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» بسند حسن عن عبد الله بن مسعود ﵁ قال: إن إسلام عُمَر كان فتحًا، وإن هِجرته كانت نصرًا، وإن سُلطانه[٨] كان رحمة[٩].

---

(١) انظر: دلائل النبوة (٢/ ٢٤٥).
(٢) هو الرجل المذكور في رواية الإمام البخاري قبل قليل.
(٣) انظر: دلائل النبوة (٢/ ٢٤٨).
(٤) أي: الإمام البخاري.
(٥) انظر: فتح الباري (٧/ ٥٧٦).
(٦) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٦٨٤).
(٧) انظر: فتح الباري (٧/ ٤٠٤).
(٨) أي: خلافته ﵁.
(٩) أخرجه الإمام أحمد في فضائل الصحابة، رقم الحديث (٣٠٧).

وروَى الحاكم في «المستدرك» ـ بسند لا بأس به ـ عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: والله ما استطعنا أن نُصَلِّيَ عند الكعبة ظاهِرِين، حتى أسلَمَ عُمَر[١].

عُتبة بن ربيعة يُحاور رسول الله ﷺ

لمَّا أسلَمَ حمزة وعمر بن الخَطَّاب ﷺ وقَوِي أمر الإسلام بهما، بعَثَت قريش إلى رسول الله ﷺ عُتبةَ بن ربيعة؛ ليُحاوِرَه فيُعطِيَه ويأخُذَ منه، فقد روَى ابن إسحاق في «السيرة» عن محمد بن كعب القُرَظِيِّ قال: حُدِّثْتُ أن عُتبة بن ربيعة، وكان سيدًا، قال يومًا وهو جالس في نادي قريش، ورسولُ الله ﷺ جالس في المسجد وحدَه: يا معشر قريش، ألَا أقُومُ إلى محمد فأُكَلِّمَه وأَعْرِضَ عليه أمورًا؛ لعلَّه يَقبَل بعضَها، فنُعْطِيه أيَّها شاء ويَكُفُّ عنا؟ ـ وذلك حينَ أسلَمَ حمزة، ورأَوا أصحاب رسول الله ﷺ يَزيدون ويَكثُرون ـ فقالوا: بلى يا أبا الوليد، قُمْ إليه فكَلِّمْه.

فقام إليه عُتبة، حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال: يا بن أخي، إنك منَّا حيثُ قد عَلِمتَ من السِّطَةِ[٢] في العَشيرة، والمكان في النَّسَب، وإنك قد أَتَيتَ قومك بأمر عظيم؛ فرَّقتَ به جماعتهم، وسفَّهْتَ به أحلامهم، وعِبْتَ به آلهتهم ودينهم، وكفَّرْتَ به مَن مضى من آبائهم؛ فاسمَع منِّي، أَعْرِض عليك أمورًا تنظُرُ فيها؛ لعلَّك تَقبَل منها بعضها، فقال رسول الله ﷺ: «**قُل يا أبا الوليد أَسْمَعْ**».

قال: يا بن أخي، إن كنتَ إنما تريد بما جئتَ به من هذا الأمر مالًا،

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٤٥٣٧).

(٢) **وَسَطَ فلان في حسَبه سِطَةً**: أي: كان من خيار قومه نسبًا، وأرفعهم مجدًا. انظر: لسان العرب (١٥/٢٩٦).

جَمَعْنا لك من أموالنا حتى تكون أكثَرَنا مالًا، وإن كنتَ تريد به شَرَفًا، سَوَّدْناك علينا حتى لا نَقْطَع أمرًا دونَك، وإن كنتَ تريد به مُلكًا، ملَّكْناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رَئِيًّا[(١)] تَراه لا تَستطيع رَدَّه عن نفسك، طَلَبْنا لك الطِّبَّ، وبذَلْنا فيه أموالنا حتى نُبْرِئك منه؛ فإنه ربما غلَب التابع[(٢)] على الرجل حتى يُداوَى منه.

حتى إذا فرغ عتبة، ورسول الله ﷺ يَستمِع منه، قال رسول الله: «**أقد فَرَغْتَ يا أبا الوليد؟**» قال: نعم، فقال رسول الله ﷺ: «**فاسمَعْ منِّي**» قال: أفعلُ، فقال رسول الله ﷺ: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٤﴾ [فصلت: ١ ـ ٤][(٣)]، ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يَقرؤها عليه، فلما سَمِعها منه عُتبة أنصَت لها وألقَى يدَيه خَلف ظهره معتمدًا عليهما يَسمَع منه، ثم انتَهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها، فسجد، ثم قال: «**قد سَمِعْتَ يا أبا الوليد ما سَمِعْتَ، فأنتَ وذاك**».

وفي رواية البيهقي في «دلائله»: حتى بلغ الرسول: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ۝١٣﴾ [فصلت: ١٣]، فأمسَكَ عُتبة على فِيه وناشَدَه الرَّحِمَ أن يَكُفَّ عنه.

فقام عُتبة بن ربيعة من عند رسول الله ﷺ وذهب إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نَحلِف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذَهَب به!

---

(١) **الرَّئِيُّ**: الجِنِّي يراه الإنسان. انظر: لسان العرب (٥/ ٨٩).

(٢) **التابع من الجن**: هو جِنِّيٌّ يَتْبَع الإنسان. انظر: لسان العرب (٢/ ١٥).

(٣) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (١/ ٢٤٨): كل سورة افتُتحت بالحروف، فلا بد أن يُذكر فيها الانتصار للقرآن، وبيان إعجازه وعظمته، وهذا معلوم بالاستقراء، وهو الواقع في تسع وعشرين سورة.

فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءَك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني سَمِعتُ قولًا وَاللهِ ما سَمِعتُ مثلَه قط؛ والله ما هو بالشِّعر ولا بالسِّحر ولا بالكِهانة، يا مَعشر قريش أَطِيعوني واجعَلُوها بي، وخَلُّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتَزِلُوه؛ فوَاللهِ لَيَكُونَنَّ لقوله الذي سَمِعتُ منه نبأ عظيم، فإن تُصِبْهُ العرب فقد كُفِيتُمُوه بغيركم، وإن يَظْهَر على العرب فَمُلْكُه مُلْكُكم وعِزُّه عِزُّكم، وكنتم أسعَدَ الناس به، قالوا: سَحَرَك ـ وَاللهِ ـ يا أبا الوليد بلسانه! قال: هذا رأيي فيه، فاصنَعُوا ما بَدَا لكم[(١)].

طلب قريش الآيات

عند ذلك بدأت قريش بأمر جديد مع رسول الله ﷺ، وهو طلب المعجزات المادية؛ قال الله سبحانه: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الأنعام: ٣٧].

قال الحافظ ابن كثير: أي: هو ـ تعالى ـ قادر على ذلك، ولكن حكمته تعالى تَقتضي تأخير ذلك؛ لأنه لو أَنزَلها وَفقَ ما طَلَبوه ثم لم يؤمنوا، لَعاجَلهم بالعقوبة، كما فعَل بالأمم السالفة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾﴾ [الإسراء: ٥٩][(٢)].

قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ

---

(١) أخرج قصة حوار عتبة بن ربيعة مع رسول الله ﷺ: ابن إسحاق في السيرة، (١/ ٣٣٠)، والبيهقي في دلائل النبوة، (٢/ ٢٠٣، ٢٠٥)، وأبو يعلى في مسنده، رقم الحديث (١٨١٨)، وحسَّن إسنادها الألباني في تحقيقه لفقه السيرة (ص١٠٨) للشيخ محمد الغزالي.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٢٥٣).

ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا ﴿٩٥﴾﴾ [الإسراء: ٩٠ ـ ٩٥]، ثم قال الله سبحانه وتعالى رادًّا عليهم: ﴿قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴿٩٦﴾﴾ [الإسراء: ٩٦].

قال الحافظ ابن كثير: يقول تعالى مرشدًا نبيَّه ﷺ إلى الحجة على قومه في صدق ما جاءهم به: إنه شاهِدٌ عليَّ وعليكم، عالم بما جئتكم به، فلو كنتُ كاذبًا عليه انتقَم مني أشد الانتقام، كما قال تعالى: ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الحاقة: ٤٤ ـ ٤٦].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴿٩٦﴾﴾ [الإسراء: ٩٦]؛ أي: عليم بهم؛ بمَن يَستحقُّ الإنعام والإحسان والهداية، ممَّن يَستحقُّ الشقاء والإضلال والإزاغة(١).

وقال تعالى: ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ لَّيُؤۡمِنُنَّ بِهَاۚ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ [الأنعام: ١٠٩].

قال الحافظ ابن كثير: يقول الله تعالى إخبارًا عن المشركين: إنهم أقسَموا بالله جهدَ أيمانهم؛ أي: حلَفوا أيمانًا مؤكَّدة ﴿لَئِن جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ﴾؛ أي: معجزة وخارق ﴿لَّيُؤۡمِنُنَّ بِهَاۚ﴾؛ أي: ليُصدِّقُنَّها، ﴿قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِۖ﴾؛ أي: قُل ـ يا محمد ـ لهؤلاء الذين يسألونك الآيات تَعَنُّتًا وكفرًا وعنادًا، لا على سبيل الهدى والاسترشاد: إنما مَرجِع هذه الآيات إلى الله، إن شاء أجابكم، وإن شاء ترككم(٢).

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ١٢٢).
(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٣١٦).

وروَى الإمام أحمد في «مسنده» والحاكم في «مستدركه» بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سأل أهلُ مكةَ النبيَّ ﷺ أنْ يَجعَلَ لهم الصَّفَا[١] ذهبًا، وأنْ يُنَحِّيَ الجبالَ عنهم فيَزْرَعُوا، فقيلَ لَهُ: إنْ شِئْتَ أنْ تَسْتَأْنِيَ[٢] بهم، وإنْ شئْتَ أن نُؤْتِيَهُم الذي سألوا، فإنْ كفروا أُهلِكُوا كما أَهْلَكْتُ مَنْ قبلَهُم، فقال رسول الله ﷺ: «**لا؛ بل أَسْتَأْنِي بهم**»، فأنزلَ اللهُ ﷻ هذه الآيَةَ: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ﴾ [الإسراء: ٥٩]»[٣].

قال الحافظ ابن كثير: ولهذا اقتَضَت الحكمة الإلٰهية والرحمة الربانية ألَّا يُجابُوا إلى ما سألوا؛ لأن الله عَلِمَ أنهم لا يؤمنون بذلك، فيُعاجِلهم العذاب[٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ٤ فَقَدۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ فَسَوۡفَ يَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٥ أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَا لَمۡ نُمَكِّن لَّكُمۡ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡهِم مِّدۡرَارٗا وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَنۡهَٰرَ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ ٦ وَلَوۡ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ كِتَٰبٗا فِي قِرۡطَاسٖ فَلَمَسُوهُ بِأَيۡدِيهِمۡ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٧ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ٨ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ ٩ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ١٠ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ١١﴾ [الأنعام: ٤ ـ ١١].

قال الإمام ابن القيم: فأما الآية[٥] فإن المشركين قالوا تعنُّتًا في كفرهم: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ﴾ [الأنعام: ٨] يعنُون مَلَكًا نشاهده ونراه، نَشهَد له

---

(١) **الصَّفَا**: هو أحد جبَلَي المَسْعَى، والصفا في الأصل جمع صَفَاة، وهي الصخرة والحجر الأملس. انظر: النهاية (٣/ ٣٨).

(٢) **أَسْتَأْنِي بهم**: أَنْتَظِر ولا أَعْجَل. انظر: لسان العرب (١/ ٢٥٠).

(٣) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٣٣٣)، والحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٣٤١٩).

(٤) انظر: البداية والنهاية (٣/ ٥٧).

(٥) هي الآية رقم (٨) من سورة الأنعام.

ونُصدِّقه، وإلا فالمَلَك كان يَنزل عليه بالوحي من الله؛ فأجاب الله تعالى عن هذا وبيَّن الحكمة في عدم إنزال المَلَك على الوجه الذي اقتَرَحوه، بأنه لو أنزَل مَلكًا كما اقتَرحوا ولم يُؤمنوا به ويُصدِّقوه، لعُوجِلُوا بالعذاب كما استَمَرَّت به سُنَّتُه تعالى مع الكفار في آيات الاقتراح إذا جاءتهم ولم يُؤمنوا، فقال: ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ۝٨﴾ [الأنعام: ٨]، ثم بيَّن سبحانه أنه لو أنزَل مَلكًا كما اقتَرَحوا، لَمَا حصَل به مقصودهم؛ لأنه إن أنزَله في صورته لم يَقدِروا على التلقِّي عنه؛ إذ البشر لا يَقدِر على مخاطبة المَلَك ومباشرته، وقد كان رسول الله ﷺ، وهو أقوى الخلق، إذا نزَل عليه الملَك كُرِبَ لذلك، وأَخَذَتْه البُرَحَاء[1]، وتَحدَّر منه العَرَق في اليوم الشاتِي![2]، وإن جعَله في صورة رجُلٍ، حصَل لهم لَبْس: هل هو ملَك أم رجُل؟ فقال: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾ [الأنعام: ٩]؛ أي: في صورة رجُل، ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم﴾ في هذا الحال ﴿مَّا يَلْبِسُونَ ۝٩﴾ [الأنعام: ٩] على أنفسهم حينئذ؛ فإنهم يقولون إذا رأَوا الملَك في صورة إنسان: هذا إنسان، وليس بمَلَك. فهذا معنى الآية[3].

القرآن العظيم أعظم المعجزات

قال الله تعالى حاكيًا عن المشركين: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْأَيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٥١ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ

(١) **البُرَحاء**: بضم الباء: شدة الكَرْب؛ من ثقل الوحي. انظر: النهاية (١/ ١١٣).

(٢) أخرج ذلك ضمن حديث الإفك الطويل: الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٢٦٦١)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٧٧٠) (٥٦).

(٣) انظر: مدارج السالكين (٤/ ٣٦٤).

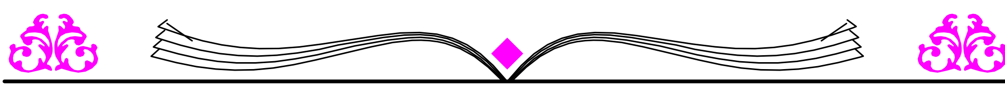
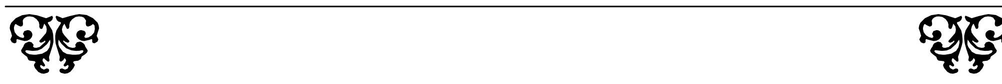
ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [العنكبوت: ٥٠ ـ ٥٢].

قال الحافظ ابن كثير: يقول تعالى مخبِرًا عن المشركين في تعنُّتهم وطلبهم آياتٍ تُرشِدهم على أن محمدًا ﷺ رسول الله، كما جاء صالح بناقته، قال تعالى: ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: إنما أمرُ ذلك إلى الله؛ فإنه لو عَلِم أنكم تَهتدون لَأجابكم على سؤالكم؛ لأن ذلك سهلٌ عليه يسيرٌ لَدَيه، ولكنه يَعلَم منكم أنَّما قَصْدُكم التعنت والامتحان، فلا يُجيبكم إلى ذلك، ثم قال تعالى مبينًا كثرة جهلهم وسخافة عقلهم؛ حيث طلبوا آيات تدلُّهم على صدق محمد ﷺ فيما جاءهم به، وقد جاءهم بالكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل مِن بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، الذي هو أعظم من كل معجزة؛ إذ عجَزت الفُصحاء والبُلَغاء عن معارضته؛ بل عن معارضة عَشر سُوَر مِن مِثله؛ بل عن معارضة سورة منه[(١)].

وقال الإمام ابن القيم: القرآن العظيم اجتَمع فيه ما لم يَجتمع في غيره؛ فإنه هو الدعوة والحُجَّة، وهو الدليل والمدلول عليه، وهو الشاهد والمشهود له، وهو الحَكَم والدليل، وهو الدعوى والبيِّنة؛ قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ [هود: ١٧]؛ أي: من ربه، وهو القرآن، وقال تعالى لمن طلَب آية تدُلُّ على صدق رسوله ﷺ: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [العنكبوت: ٥١، ٥٢]، فأخبَر سبحانه أن الكتاب الذي أنزَله يَكفي مِن كل آية؛ ففيه الحجة والدلالة على أنه من الله سبحانه أرسَل به رسوله، وفيه بيان ما يُوجِب لمَن اتَّبَعه السعادةَ، ويُنجِيه من العذاب[(٢)].

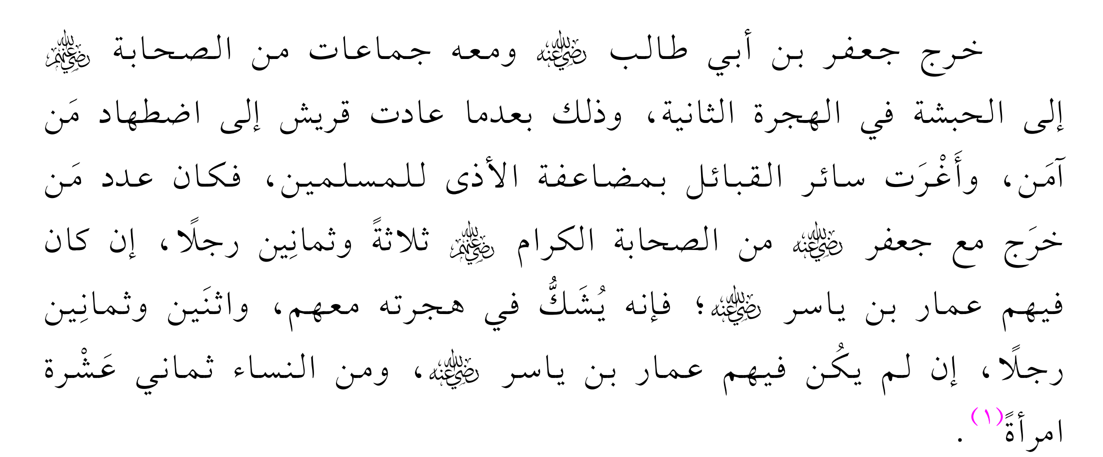
---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٢٨٧).
(٢) انظر: مدارج السالكين (٤/ ٤٧٩).

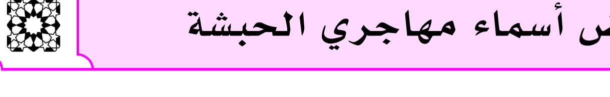


الهجرة الثانية إلى الحبشة



خرج جعفر بن أبي طالب ﵁ ومعه جماعات من الصحابة ﵃ إلى الحبشة في الهجرة الثانية، وذلك بعدما عادت قريش إلى اضطهاد مَن آمَن، وأَغْرَت سائر القبائل بمضاعفة الأذى للمسلمين، فكان عدد مَن خرَج مع جعفر ﵁ من الصحابة الكرام ﵃ ثلاثةً وثمانِين رجلًا، إن كان فيهم عمار بن ياسر ﵁؛ فإنه يُشَكُّ في هجرته معهم، واثنَين وثمانِين رجلًا، إن لم يكُن فيهم عمار بن ياسر ﵁، ومن النساء ثماني عَشْرة امرأةً(١).

قال الإمام السُّهيلي: وشَكَّ ابن إسحاق في عمار بن ياسر ﵁: هل هاجَر إلى أرض الحبشة أم لا؟ والأصح عند أهل السِّيَر؛ كالواقدي، وابن عقبة، وغيرهما: أنه لم يكن فيهم(٢).



وَهْمٌ في بعض أسماء مهاجري الحبشة

روى الإمام أحمد في «مسنده» بسند ضعيف عن عبد الله بن مسعود ﵁ قال: بعَثَنا رسول الله ﷺ إلى النجاشي، ونحن نحوٌ من ثمانين رجلًا، فيهم عبد الله بن مسعود، وجعفر، وعبد الله بن عُرْفُطة، وعثمان بن مظعون، وأبو موسى، فأَتَوا النجاشي... الحديث(٣).

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (١/٣٦٨). (٢) انظر: الروض الأُنُف (٢/٩٩).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٤٤٠٠).

وقال ابن إسحاق: ثم خرَج جعفر بن أبي طالب ﷺ، وتَتابَع المسلمون، حتى اجتَمَعوا بأرض الحبشة فكانوا بها، منهم مَن خرَج بأهله معه، ومنهم مَن خرَج بنفسه لا أَهلَ له معه[(١)].

ثم ساق ابن إسحاق أسماء الصحابة في هذه الهجرة الثانية، وذكَر منهم عدَدًا ممَّن شهد غزوة بدر الكبرى؛ كعثمان بن عفان، والزُّبَير بن العوام، ومُصعَب بن عُمَير، وعبد الرحمٰن بن عوف، وعبد الله بن مسعود، وغيرهم ﷺ.

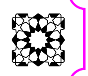
وأصحاب هذه الهجرة الثانية للحبشة إنما قَدِموا المدينة مع جعفر ﷺ في السنة السابعة للهجرة، وذلك حين افتَتَح رسول الله ﷺ خيبر، فوَقَع الوَهْم لِابن إسحاق وغيره في ذكر عدد من الصحابة ﷺ في هذه الهجرة الثانية ممن شهد غزوة بدر الكبرى.

قال الإمام ابن القيم: قد ذُكر في هذه الهجرة الثانية عثمان بن عفان ﷺ وجماعة ممن شهد بدرًا، فإما أن يكون هذا وهْمًا، وإما أن يكون لهم قَدْمةٌ أخرى قبل بدر، فيكون لهم ثلاث قَدَمات: قَدْمة قبل الهجرة، وقَدْمة قبل بدر، وقَدْمة عام خيبر، وكذلك قال ابن سعد[(٢)] وغيره: إنهم لمَّا سَمِعوا مُهَاجَر رسول الله ﷺ إلى المدينة رجَع منهم ثلاثة وثلاثون رجلًا، ومن النساء ثماني نِسوة، فمات منهم رجلان بمكة، وحُبِسَ بمكة سَبْعةُ نفَرٍ، وشَهِد بدرًا منهم أربعة وعشرون رجلًا[(٣)].

(١) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ٣٦٠).

(٢) انظر: الطبقات الكبرى (١/ ١٠٠).

(٣) انظر: زاد المعاد (٣/ ٣١، ٣٢).



وَهْم في ذكر أبي موسى الأشعري رضي الله عنه

وعَدَّ ابنُ إسحاق[١] أَبَا موسى الأشعري رضي الله عنه فيمن هاجَر إلى الحبشة الهجرةَ الثانية، وهذا من أوهامه على جلالة قَدْرِه.

قال الحافظ ابن كثير: ذكَر محمد بن إسحاق في جملة مَن هاجر إلى أرض الحبشة أبا موسى الأشعري عبد الله بن قيس رضي الله عنه، وما أدري ما حَمَله على ذلك؛ فإن هذا أمر ظاهرٌ لا يَخْفَى على مَن هو دونه في هذا الشأن، وقد أنكَر ذلك عليه الواقدي وغيره من أهل المغازي، وقالوا: إن أبا موسى إنما هاجَر من اليمن إلى الحبشة إلى عندِ جعفر، كما جاء ذلك مصرَّحًا به في «الصحيح»[٢] من روايته رضي الله عنه[٣].

وقال الإمام ابن القيم: وليس ذلك مما يَخفَى على مَن هو دونَ محمد بن إسحاق فَضلًا عنه، وإنما نشَأ الوَهم أن أبا موسى هاجَر من اليمن إلى أرض الحبشة إلى عند جعفر وأصحابه لمَّا سَمِع بهم، ثم قَدِم معهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر، كما جاء مصرَّحًا به في الصحيح؛ فعَدَّ ذلك ابنُ إسحاق لأبي موسى هِجرةً، ولم يقُل: إنه هاجر من مكة إلى الحبشة لِيُنْكَرَ عليه[٤].

وروَى الإمام البيهقي في «دلائل النبوة» بسند صحيح عن أبي بُردة، عن أبيه أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَنْ نَنْطَلِقَ مَعَ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، قَالَ: فَقَدِمْنَا، فَبُعِثَ إِلَيْنَا، قَالَ

(١) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ٣٦١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٨٧٦)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث، (٢٥٠٥) (١٦٩).

(٣) انظر كلام الحافظ ابن كثير في: الفصول في سيرة الرسول (ص٥٩).

(٤) انظر: زاد المعاد (٣/ ٣٤).

لَنَا جَعْفَرٌ: لَا يَتَكَلَّمْ مِنْكُمْ أَحَدٌ، أَنَا خَطِيبُكُمُ الْيَوْمَ، قَالَ: فَانْتَهَيْنَا إِلَى النَّجَاشِيِّ، وَهُوَ جَالِسٌ فِي مَجْلِسِهِ، فَزَبَرَنَا[(١)] مَنْ عِنْدَهُ مِنَ الْقِسِّيسِينَ وَالرُّهْبَانِ: اسْجُدُوا لِلْمَلِكِ، فَقَالَ جَعْفَرٌ: لَا نَسْجُدُ إِلَّا للهِ، قَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: وَمَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ؟ قَالَ: لَا نَسْجُدُ إِلَّا لِلَّهِ، قال: وَمَا ذَاكَ؟ قال: إِنَّ اللهَ ﷻ بَعَثَ إِلَيْنَا رَسُولَهُ، وَهُوَ الرَّسُولُ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ، فَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَنُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَنُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَأَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ.

فَأَعْجَبَ النَّجَاشِيَّ قَوْلُهُ، قَالَ: فَمَا يَقُولُ صَاحِبُكَ فِي ابْنِ مَرْيَمَ؟ قَالَ: يَقُولُ فِيهِ: هُوَ رُوحُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ، أَخْرَجَهُ مِنَ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ الَّتِي لَمْ يَقْرَبْهَا بَشَرٌ، فَتَنَاوَلَ النَّجَاشِيُّ عُودًا مِنَ الْأَرْضِ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْقِسِّيسِينَ وَالرُّهْبَانِ، مَا يَزِيدُ هَؤُلَاءِ عَلَى مَا تَقُولُونَ فِي ابْنِ مَرْيَمَ مَا تَزِنُ هَذِهِ! مَرْحَبًا بِكُمْ وَبِمَنْ جِئْتُمْ مِنْ عِنْدِهِ، فَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ، وَأَنَّهُ بَشَّرَ بِهِ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَلَوْلَا مَا أَنَا فِيهِ مِنَ الْمُلْكِ لَأَتَيْتُهُ حَتَّى أَحْمِلَ نَعْلَيْهِ، امْكُثُوا فِي أَرْضِي مَا شِئْتُمْ، وَأَمَرَ لَنَا بِطَعَامٍ وَكِسْوَةٍ.

قال الإمام البيهقي: هذا إسناد صحيح، وظاهِرُه يدُلُّ على أن أبا موسى ﵁ كان بمكة، وأنه خرَج مع جعفر بن أبي طالب ﵁ إلى أرض الحبشة، والصحيح عن يزيد بن عبد الله بن أبي بُردة، عن جده أبي بُردة، عن أبي موسى ﵁ أنه بلَغَهم مَخرَج رسول الله ﷺ وهم باليمن، فخرَجوا مهاجِرين في بضع وخمسين رجلًا في سفينة، فألقَتْهُم سفينتهم إلى النجاشي بالحبشة، فوافَقُوا جعفر بن أبي طالب ﵁ وأصحابه عنده، فأمَرَهم جعفر ﵁ بالإقامة، فأقاموا حتى قَدِموا على رسول الله ﷺ زمن خيبر[(٢)]،

---

(١) زَبَره: انتَهَره. انظر: لسان العرب (٦/ ١٢).

(٢) هذه رواية البخاري، رقم الحديث (٤٢٣٠)، ومسلم رقم الحديث (٢٥٠٢).

فأبو موسى رضي الله عنه شَهِد ما جرَى بين جعفر وبين النجاشي؛ فأخبر عنه، ولعَلَّ الراويَ وَهِم في قوله: أمَرَنا رسول الله ﷺ أن نَنْطَلِق، والله أعلم[(١)].

تعقُّب قريش مهاجِري الحبشة

فلما رأت قريش أن أصحاب النبي ﷺ آمِنُون بأرض الحبشة، وأنهم أصابوا بها دارًا واستقرارًا وحُسْنَ جِوار من النجاشي؛ بعَثَت إلى النجاشي رجُلَين، هما: عمرو بن العاص، وعبد الله بن أبي ربيعة؛ ليُسْلِم لهما أصحاب النبي ﷺ، فقد روَى الإمام أحمد في «مسنده» بسند حسن عن أم المؤمنين أم سلَمة رضي الله عنها قالت: لَمَّا نَزَلْنَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ جَاوَرْنَا بِهَا خَيْرَ جَارٍ؛ النَّجَاشِيَّ، أَمِنَّا عَلَى دِينِنَا، وَعَبَدْنَا اللهَ، لَا نُؤْذَى وَلا نَسْمَعُ شَيْئًا نَكْرَهُهُ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ قُرَيْشًا ائْتَمَرُوا أَنْ يَبْعَثُوا إِلَى النَّجَاشِيِّ فِينَا رَجُلَيْنِ جَلْدَيْنِ[(٢)]، وَأَنْ يُهْدُوا لِلنَّجَاشِيِّ هَدَايَا مِمَّا يُسْتَطْرَفُ مِنْ مَتَاعِ مَكَّةَ، وَكَانَ مِنْ أَعْجَبِ مَا يَأْتِيهِ مِنْهَا إِلَيْهِ الْأَدَمُ[(٣)]، فَجَمَعُوا لَهُ أَدَمًا كَثِيرًا، وَلَمْ يَتْرُكُوا مِنْ بَطَارِقَتِهِ[(٤)] بِطْرِيقًا إِلا أَهْدَوْا لَهُ هَدِيَّةً، ثُمَّ بَعَثُوا بِذَلِكَ مَعَ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْمَخْزُومِيِّ، وعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيِّ، وَأَمَرُوهُمَا أَمْرَهُمْ، وَقَالُوا لَهُمَا: ادْفَعُوا إِلَى كُلِّ بِطْرِيقٍ هَدِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ تُكَلِّمُوا النَّجَاشِيَّ فِيهِمْ، ثُمَّ قَدِّمُوا لِلنَّجَاشِيِّ هَدَايَاهُ، ثُمَّ سَلُوهُ أَنْ يُسْلِمَهُم إِلَيْكُمْ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَهُمْ.

قَالَتْ رضي الله عنها: فَخَرَجَا، فَقَدِمَا عَلَى النَّجَاشِيِّ، وَنَحْنُ عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ،

(١) انظر: دلائل النبوة (٢/ ٣٠٠) للإمام البيهقي.
(٢) **جَلْدًا**: أي: قويًّا في نفسه وجسمه. انظر: النهاية (١/ ٢٧٥).
(٣) **الأَدَم**: الجِلد. انظر: لسان العرب (١/ ٩٦).
(٤) **البطارقة**: جمع بِطْريق، وهو الحاذق بالحرب وأمورها؛ بلغة الروم، وهو ذو منصب وتقدُّم عندهم. انظر: النهاية (١/ ١٣٤).

وَعِنْدَ خَيْرِ جَارٍ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطْرِيقٌ إلا دَفَعَا إِلَيْهِ هَدِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَا النَّجَاشِيَّ، ثُمَّ قَالا لِكُلِّ بِطْرِيقٍ مِنْهُمْ: إِنَّهُ قَدْ صَبَا[(١)] إِلَى بَلَدِ الْمَلِكِ مِنَّا غِلْمَانٌ سُفَهَاءُ، فَارَقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكُمْ، وَجَاؤوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ، لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلا أَنْتُمْ، وَقَدْ بَعَثَنَا إِلَى الْمَلِكِ فِيهِم أَشْرَافُ قَوْمِهِمْ؛ لِنَرُدَّهُم إِلَيْهِمْ، فَإِذَا كَلَّمْنَا الْمَلِكَ فِيهِمْ فَتُشِيرُوا عَلَيْهِ بِأَنْ يُسْلِمَهُم إِلَيْنَا وَلا يُكَلِّمَهُمْ، فَإِنَّ قَوْمَهُمْ أَعَلَى بِهِمْ عَيْنًا[(٢)]، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا لَهُمَا: نَعَمْ.

ثُمَّ إِنَّهُمَا قَرَّبَا هَدَايَاهُم إِلَى النَّجَاشِيِّ، فَقَبِلَهَا مِنْهُمَا، ثُمَّ كَلَّمَاهُ فَقَالا لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّهُ قَدْ صَبَا إِلَى بَلَدِكَ مِنَّا غِلْمَانٌ سُفَهَاءُ، فَارَقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ، وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكَ، وَجَاؤوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلا أَنْتَ، وَقَدْ بَعَثَنَا إِلَيْكَ فِيهِم أَشْرَافُ قَوْمِهِمْ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَعْمَامِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ؛ لِتَرُدَّهُم إِلَيْهِمْ، فَهُمْ أَعَلَى بِهِمْ عَيْنًا، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ وَعَاتَبُوهُمْ فِيهِ.

قَالَتْ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ، وَعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ مِنْ أَنْ يَسْمَعَ النَّجَاشِيُّ كَلامَهُمْ، فَقَالَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ: صَدَقُوا أَيُّهَا الْمَلِكُ، قَوْمُهُمْ أَعَلَى بِهِمْ عَيْنًا، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ؛ فَأَسْلِمْهُم إِلَيْهِمَا، فَلْيَرُدَّاهُم إِلَى بِلادِهِمْ وَقَوْمِهِمْ.

قَالَت: فَغَضِبَ النَّجَاشِيُّ، ثُمَّ قَالَ: لَا هَيْمُ اللهِ، إِذًا لَا أُسْلِمُهُمْ إِلَيْهِمَا، وَلا أُكَادُ قَوْمًا جَاوَرُونِي، وَنَزَلُوا بِلادِي، وَاخْتَارُونِي عَلَى مَنْ سِوَايَ، حَتَّى أَدْعُوَهُمْ فَأَسْأَلَهُمْ مَاذَا يَقُولُ هَذَانِ فِي أَمْرِهِمْ، فَإِنْ كَانُوا كَمَا يَقُولانِ أَسْلَمْتُهُم

---

(١) **صبا إلى الشيء**: مال. انظر: لسان العرب (٧/ ٢٨٤).

(٢) قال السُّهيلي في الروض الأُنُف (٢/ ١١٣): أي: أَبْصَرُ بهم؛ أي: عَيْنُهم وإبصارهم فوق عين غيرهم في أمرهم.

إِلَيْهِمَا وَرَدَدْتُهُم إِلَى قَوْمِهِمْ، وَإِنْ كَانُوا عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ مَنَعْتُهُمْ مِنْهُمَا، وَأَحْسَنْتُ جِوَارَهُمْ مَا جَاوَرُونِي.

قَالَتْ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَدَعَاهُمْ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُ اجْتَمَعُوا، ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَا تَقُولُونَ لِلرَّجُلِ إِذَا جِئْتُمُوهُ؟ قَالُوا: نَقُولُ ـ وَاللهِ ـ مَا عَلِمْنَا وَمَا أَمَرَنَا بِهِ نَبِيُّنَا ﷺ، كَائِنٌ فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ. فَلَمَّا جَاؤوهُ، وَقَدْ دَعَا النَّجَاشِيُّ أَسَاقِفَتَهُ[1] فَنَشَرُوا مَصَاحِفَهُمْ حَوْلَهُ، سَأَلَهُمْ فَقَالَ: مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي فَارَقْتُمْ فِيهِ قَوْمَكُمْ، وَلَمْ تَدْخُلُوا فِي دِينِي وَلا فِي دِينِ أَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَمِ؟

قَالَتْ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: فَكَانَ الَّذِي كَلَّمَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ[2] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ؛ يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ، وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ، وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللهِ لِنُوَحِّدَهُ، وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ

---

(١) **الأَسْقُف**: هو عالم رئيس من علماء النصارى ورؤسائهم. انظر: النهاية (٢/ ٣٤١).

(٢) روى الإمام الترمذي في جامعه، رقم الحديث «٤٠٩٧)، والإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٩٣٥٣) بسند صحيح عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: ما احتَذَى النِّعَال، ولا انتَعَلَ، ولا رَكِبَ المَطَايَا، ولا رَكِبَ الكُورَ بعد رسول الله ﷺ أفضل من جعفر.

زاد الإمام أحمد: يعني: في الجود والكرم.

الكُور، بضم الكاف: هو رَحْل الناقة بأداته، وهو كالسَّرج وآلته للفرس. انظر: النهاية (٤/ ١٨١).

قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٤/٦٤٨): وهذا إسناد جيد إلى أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وكأنه إنما يُفضِّله في الكرم، فأما الفضيلة الدينية فمعلوم أن الصِّدِّيق والفاروق؛ بل وعثمان بن عفان، أفضل منه، وأما أخوه علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فالظاهر أنهما متكافئان، أو عليٌّ أفضل منه.

الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ، وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالَ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بِالصَّلاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصِّيَامِ(١) ـ فعَدَّد عليه أمورَ الإسلام ـ، فَصَدَّقْنَاهُ وَآمَنَّا بِهِ وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ، فَعَبَدْنَا اللهَ وَحْدَهُ، فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا، وَأَحْلَلْنَا مَا أَحلَّ لَنا، فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا، فَعَذَّبُونَا وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا؛ لِيَرُدُّونَا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ اللهِ، وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِنَ الخَبَائِثِ، فَلَمَّا قَهَرُونَا وَظَلَمُونَا، وَشَقُّوا عَلَيْنَا، وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا، خَرَجْنَا إِلَى بَلَدِكَ، وَاخْتَرْنَاكَ عَلَى مَنْ سِوَاكَ، وَرَغِبْنَا فِي جِوَارِكَ، وَرَجَوْنَا أَنْ لَا نُظْلَمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ!

قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ رضي الله عنه: نَعَمْ. فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: فَاقْرَأْهُ عَلَيَّ. فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْرًا من ﴿كٓهيعٓصٓ﴾، فَبَكَى ـ وَاللهِ ـ النَّجَاشِيُّ حَتَّى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ(٢) وَبَكَتْ

---

(١) هو مُطلَق الصلاة والصدقة والصيام، وليس الفرض؛ لأن الصلاة لم تُفرَض إلا في الإسراء والمعراج، وأما الزكاة والصيام فلم تُفرَض إلا في المدينة بعد الهجرة.
وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره: (٥/ ٤٤٩): قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤﴾ [المؤمنون: ٤].
قال: الْأَكْثَرُونَ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالزَّكَاةِ هَاهُنَا: زَكَاةُ الْأَمْوَالِ، مَعَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَكِّيَّةٌ، وَإِنَّمَا فُرِضَتِ الزَّكَاةُ بِالْمَدِينَةِ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ الَّتِي فُرِضَتْ بِالْمَدِينَةِ إِنَّمَا هِيَ ذَاتُ النُّصُبِ وَالْمَقَادِيرِ الْخَاصَّةِ، وَإِلَّا فَالظَّاهِرُ أَنَّ أَصْلَ الزَّكَاةِ كَانَ وَاجِبًا بِمَكَّةَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ، وَهِيَ مَكِّيَّةٌ: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الْأَنْعَامِ: ١٤١].
وَقَدْ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالزَّكَاةِ هَاهُنَا: زَكَاةُ النَّفْسِ مِنَ الشِّرْكِ وَالدَّنَسِ، كَقَوْلِهِ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشَّمْسِ: ٩، ١٠]، وَكَقَوْلِهِ: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝٧﴾ [فُصِّلَتْ: ٦، ٧]، عَلَى أَحَدِ الْقَوْلَيْنِ فِي تَفْسِيرِهِما، وَقَدْ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ كِلَا الْأَمْرَيْنِ مُرَادًا، وَهُوَ زَكَاةُ النُّفُوسِ وَزَكَاةُ الْأَمْوَالِ، فَإِنَّهُ مِنْ جُمْلَةِ زَكَاةِ النُّفُوسِ، وَالْمُؤْمِنُ الْكَامِلُ هُوَ الَّذِي يفعل هَذَا وَهَذَا، وَاللهُ أَعْلَمُ
(٢) **أخضَلَ لحيته**: بَلَّها بالدموع. انظر: النهاية (٢/ ٤٤).

أَسَاقِفَتُهُ حَتَّى أَخْضَلُوا مَصَاحِفَهُمْ حِينَ سَمِعُوا مَا تَلا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ: إِنَّ هَذَا وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ[١]، انْطَلِقَا؛ فَوَاللهِ لَا أُسْلِمُهُم إِلَيْكُم أَبَدًا، وَلا أُكَادُ!

قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ ﵂: فَلَمَّا خَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ، قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: وَاللهِ لَأُنَبِّئَنَّهُمْ غَدًا عَيْبَهُمْ عِنْدَهُمْ، ثُمَّ أَسْتَأْصِلُ بِهِ خَضْرَاءَهُمْ[٢]. فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ ـ وَكَانَ أَتْقَى الرَّجُلَيْنِ فِينَا ـ: لَا تَفْعَلْ؛ فَإِنَّ لَهُم أَرْحَامًا، وَإِنْ كَانُوا قَدْ خَالَفُونَا! قَالَ: وَاللهِ لَأُخْبِرَنَّهُ أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَبْدٌ.

قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ ﵂: ثُمَّ غَدَا عَلَيْهِ الْغَدَ، فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ قَوْلًا عَظِيمًا؛ فَأَرْسِلِ إِلَيْهِمْ فَاسْأَلْهُمْ عَمَّا يَقُولُونَ فِيهِ. فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ يَسْأَلُهُمْ عَنْهُ.

قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ ﵂: وَلَمْ يَنْزِلْ بِنَا مِثْلُهُ، فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَاذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى إِذَا سَأَلَكُمْ عَنْهُ؟ قَالُوا: نَقُولُ ـ وَاللهِ ـ فِيهِ مَا قَالَ اللهُ، وَمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا ﷺ كَائِنًا فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ.

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالَ لَهُمْ: مَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ؟ فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﵁: نَقُولُ فِيهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا ﷺ: هُوَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَرُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ.

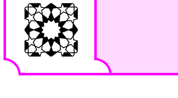
قَالَتْ: فَضَرَبَ النَّجَاشِيُّ يَدَهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَأَخَذَ مِنْهَا عُودًا ثُمَّ قَالَ: مَا

---

(١) قال الإمام ابن القيم في بدائع الفوائد (٢/ ٥٧٠): يعني: إذا كان موسى صادقًا وكتابه حق، فهذا كذلك؛ إذ من المحال أن يخرج شيئان من مشكاة واحدة، ويكون أحدهما باطلًا محضًا والآخر حقًّا محضًا؛ فإن هذا لا يكون إلا مع غاية التباين والتنافر؛ فالقرآن صَدَّق الكتب المتقدمة، وهي بشرت به وبمن جاء به، فقام الدليل على صدقه من الوجهين معًا؛ من جهة بشارة مَن تقدَّمه به، ومن جهة تصديقه لِما تقدَّمه ومطابقته له. فتأمَّلْ.

(٢) **خضراءهم**: دهماءهم وسَوَادَهم. انظر: النهاية (٢/ ٤٠).

عَدَا عيسى ابْنُ مَرْيَمَ مَا قُلْتَ هَذَا الْعُودَ. فَتَنَاخَرَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ حِينَ قَالَ مَا قَالَ، فَقَالَ: وَإِنْ نَخَرْتُمْ وَاللهِ، اذْهَبُوا، فَأَنْتُمْ سُيُومٌ بِأَرْضِي ـ والسُّيُومُ: الْآمِنُونَ ـ، مَنْ سَبَّكُمْ غُرِّمَ، ثُمَّ مَنْ سَبَّكُمْ غُرِّمَ، ثُمَّ مَنْ سَبَّكُمْ غُرِّمَ، فَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي دَبْرًا ذَهَبًا وَأَنِّي آذَيْتُ رَجُلًا مِنْكُمْ ـ وَالدَّبْرُ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ: الْجَبَلُ ـ، رُدُّوا عَلَيْهِمَا هَدَايَاهُمَا، فَلا حَاجَةَ لَنا بِهَا، فَوَاللهِ مَا أَخَذَ اللهُ مِنِّي الرِّشْوَةَ حِينَ رَدَّ عَلَيَّ مُلْكِي، فَآخُذَ الرِّشْوَةَ فِيهِ، وَمَا أَطَاعَ النَّاسَ فِيَّ، فَأُطِيعَهُمْ فِيهِ. قَالَتْ: فَخَرَجَا مِنْ عِنْدِه مَقْبُوحَيْنِ مَرْدُودًا عَلَيْهِمَا مَا جَاءَا بِهِ، وَأَقَمْنَا عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ مَعَ خَيْرِ جَارٍ(١).

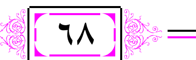
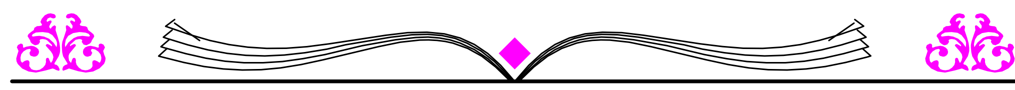


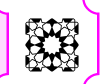
بقاء الصحابة في الحبشة

بَقِيَ جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ومَن معه من الصحابة رضي الله عنهم في الحبشة إلى السنة السابعة للهجرة، وذلك حين افتتح رسول الله ﷺ خيبر، كما سيأتي عند الحديث عن غزوة خيبر.



(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٧٤٠) (٢٢٤٩٨).



المقاطعة الجائرة

قال ابن إسحاق: فلما رأت قريش أن أصحاب النبي ﷺ قد نزلوا بلدًا أصابوا به أمنًا وقرارًا، وأن النجاشي قد منَع مَن لجأ إليه منهم، وأن عُمَر رضي الله عنه قد أسلَمَ، فكان هو وحمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ وأصحابه، وجعل الإسلام يفشُو في القبائل؛ اجتَمَعوا وائتَمَروا بينهم أن يكتُبوا كتابًا يَتعاقَدون فيه على بني هاشم وبني المطَّلِب، على أن:

١ ـ لا يُنكِحوا إليهم ولا يُنكِحوهم.

٢ ـ ولا يَبيعوهم شيئًا، ولا يَبتاعوا[1] منهم.

فلما اجتَمَعوا لذلك كتَبوه في صحيفة، ثم تعاهَدوا وتواثَقوا على ذلك، ثم علَّقوا الصحيفة في جوف الكعبة؛ توكيدًا على أنفسهم.

فلما فعَلَت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو المطَّلِب إلى أبي طالب بن عبد المُطَّلِب، فدخلوا معه في شِعْبه واجتَمَعوا إليه، وخرج من بني هاشم أبو لهب عبد العُزَّى بن عبد المطلب إلى قريش، فظاهَرَهم[2].

ورَوَى الشيخان في «صحيحَيهما» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال لنا

---

(١) **ابتاع الشيء**: اشتراه. انظر: لسان العرب (١/ ٥٥٧).

(٢) **ظاهَرهم**: عاونَهم وناصرهم. انظر: النهاية (٣/ ١٥٢).
والخبر في سيرة ابن هشام (١/ ٣٨٨).

رسول الله ﷺ ونحن بمِنًى[١]: «**نَحْنُ نَازِلُونَ غَدًا بخَيْفِ**[٢] **بَنِي كِنَانَةَ، حَيْثُ تَقَاسَمُوا علَى الكُفْرِ**»[٣]، وذلكَ أنَّ قُرَيْشًا وبني كِنَانَةَ تَحالَفَتْ علَى بَنِي هَاشِمٍ وبَنِي المُطَّلِبِ: أَلَّا يُنَاكِحُوهُمْ ولَا يُبَايِعُوهُمْ[٤] حتَّى يُسْلِمُوا[٥] إلَيْهِمُ رسولَ الله ﷺ[٦].

زاد أبو داود في «سُنَنه»: قال الزهري: والخَيف: الوادي[٧].

قال الإمام النووي: ومعنى (تقاسَموا على الكفر): تحالَفوا وتعاهَدوا عليه، وهو تحالُفُهم على إخراج النبي ﷺ وبني هاشم وبني المُطَّلب من مكة

---

(١) في رواية أخرى في صحيح البخاري، رقم الحديث (١٥٨٩): حين أراد قدوم مكة.
وفي رواية أخرى في صحيح البخاري، رقم الحديث (٤٢٨٢): زمن الفتح.
وفي رواية أخرى في صحيح البخاري، رقم الحديث (٤٢٨٣): في حَجَّته.
وفي رواية أخرى في صحيح البخاري، رقم الحديث (٤٢٨٥): حين أراد حُنَينًا.
قال الحافظ في الفتح (٨/٣٢٨): قوله: حين أراد حُنَينًا؛ أي: في غزوة الفتح؛ لأن غزوة حُنين عقب الفتح، وقد تقدم في الباب المذكور في الحج من رواية شُعيب عن الزهري بلفظ: حين أراد قدوم مكة، ولا مغايرة بين الروايتين، بطريق الجمع المذكور، لكن ذَكَره هناك أيضًا من رواية الأوزاعي عن الزهري بلفظ: قال وهو بمنًى: نحن نازلون غدًا بخَيف بني كنانة، وهذا يدل على أنه قال ذلك في حجته لا في غزوة الفتح، فهو شبيه بالحديث الذي قبله في الاختلاف في ذلك، ويَحتمِل التعدُّد، والله أعلم.

(٢) **الخَيْفُ**، بفتح الخاء: ما ارتفع عن مجرى السيل وانحدر عن غِلَظ الجبل. انظر: النهاية (٢/٨٨).

(٣) قال الإمام ابن القيم في زاد المعاد (٢/٣٥٧): قصد رسول الله ﷺ إظهار شِعار الإسلام في المكان الذي أظهروا فيه شِعار الكفر والعداوة على رسول الله ﷺ، وهذه كانت عادته، صلوات الله وسلامه عليه، أن يقيم شعار التوحيد في مواضع شعار الكفر والشرك.

(٤) زاد أبو داود في سُنَنه: ولا يُؤوُوهم.

(٥) قال الحافظ في الفتح (٤/٢٤٨): يُسْلِموا: بضم أوله، وإسكان المهملة، وكسر اللام.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٥٩٠)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٣١٤/٣٤٤).

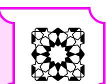
(٧) أخرجه أبو داود في سننه، رقم الحديث (٢٠١٠).

إلى هذا الشِّعْب، وهو خَيف بني كنانة، وكتَبوا بينهم الصحيفة المشهورة، وكتَبوا فيها أنواعًا من الباطل، وقطيعة الرحم، والكفر(١).

نقض الصحيفة وإنهاء المقاطعة

ثم سعى في نَقْض تلك الصحيفة الجائرة بعضُ مَن كان كارهًا لها من رجال قريش، فقام هشام بن عمرو بن الحارث فمشى إلى المُطْعِم بن عَدِيٍّ وجماعة من قريش، فأجابوه إلى ذلك، وقد أَطْلَع الله سبحانه رسولَه ﷺ على أمر صحيفتهم، وأنه أرسَلَ عليها الأَرَضَة(٢)، فأكَلَت جميع ما فيها مِن جَور وقطيعة وظلم، فأخبَر بذلك عمَّه أبا طالب، فخرَج على قريش وأخبَرهم بما قال ابنُ أخيه ﷺ فدخلوا الكعبة وأنزَلوا الصحيفة، فإذا بها كما أخبَر رسول الله ﷺ، ثم رجع بنو هاشم وبنو المُطَّلِب إلى مكة(٣).

وفاة أبي طالب



تُوُفِّيَ أبو طالب عمُّ النبي ﷺ بعد خروجه من الشِّعْب، وذلك في أواخر العام العاشر للبعثة ـ واختُلِف في تعيين الشهر ـ، فلما اشتكى وبلَغ قريشًا ثِقَلُه قال بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى أبي طالب، فليأخُذْ لنا على ابن أخيه وليُعطِهِ مِنَّا.

روَى الإمام التِّرمِذي في «جامعه» والحاكم في «مستدرَكِه» ـ واللفظ للحاكم ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مَرِضَ أَبُو طَالِبٍ، فَجَاءَتْ قُرَيْشٌ، فَجَاءَ

(١) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٩/ ٥٢).
(٢) قال الدَّمِيرِيُّ في حياة الحيوان (١/ ٣٥): **الأَرَضَة**، بفتح الهمزة والراء والضاد المعجمة: دُوَيبَّة صغيرة تأكل الخَشَب.
(٣) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ٣٨٨)، زاد المعاد (١/ ٣٦، ٣٨).

النَّبِيُّ ﷺ وَعِنْدَ رَأْسِ أَبِي طَالِبٍ مَجْلِسُ رَجُلٍ، فَقَامَ أَبُو جَهْلٍ كَيْ يَمْنَعَهُ ذَاكَ[(١)] إِلَى أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: يَا بْنَ أَخِي، مَا تُرِيدُ مِنْ قَوْمِكَ؟

قَالَ ﷺ: «**يَا عَمِّ، إِنَّمَا أُرِيدُ مِنْهُمْ كَلِمَةً تَذِلُّ لَهُمْ بِهَا الْعَرَبُ وَتُؤَدَّى إِلَيْهِمْ بِهَا جِزْيَةُ الْعَجَمِ!**» قَالَ: كَلِمَةً وَاحِدَةً؟! قَالَ ﷺ: «**كَلِمَةً وَاحِدَةً**» قَالَ: مَا هِيَ؟ قَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «**لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ**» قَالَ: فَقَالُوا: أَجَعَلُوا الْآلِهَةَ إِلٰهًا وَاحِدًا، إِنَّ هَذَا لِشَيْءٌ عُجَابٌ! قَالَ: وَنَزَلَ فِيهِمْ: ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ۝٧﴾ [ص: ١ ـ ٧][(٢)].

وروى الشيخان في «صحيحيهما» عن المسيَّب بن حَزْن قال: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ المُغِيرَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَيْ عَمِّ، قُلْ: لا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ**» فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ، وَيُعِيدَانِهِ بِتِلْكَ المَقَالَةِ، حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ[(٣)]، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَاللهِ، لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ**» فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ۝١١٣﴾ [التوبة: ١١٣]، وأنزل الله في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦][(٤)].

---

(١) يعني: يمنع النبي ﷺ من الجلوس فيه.

(٢) الخبر أخرجه الترمذي في جامعه، رقم الحديث (٣٥١٢)، والحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٣٦٥٩)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وصَحَّحه الحاكم.

(٣) قال الإمام ابن القيم في مدارج السالكين (٢/ ٨٩): وهل كان على أبي طالب عند الوفاة أضَرُّ من قُرَناء السوء! لم يزالوا به حتى حالوا بينه وبين كلمة واحدة توجب له سعادة الأبد!

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٧٧٢)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث، (٢٤) (٣٩).

=

وروَى الإمام مسلم في «صحيحه» عن أبي هريرة ﵁ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِعَمِّهِ: «**قُلْ: لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، أَشْهَدْ لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» قَالَ: لَوْلَا أَنْ تُعَيِّرَنِي قُرَيْشٌ؛ يَقُولُونَ: إِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ الْجَزَعُ، لَأَقْرَرْتُ بِهَا عَيْنَكَ. فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[1].

قال الحافظ ابن كثير: يقول الله لرسوله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ: إنك يا محمد ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾؛ أي: ليس إليك ذلك، إنما عليك البلاغ، والله يَهدي من يشاء، وله الحكمة البالغة والحُجَّة الدامغة، كما قال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، وقال: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يوسف: ١٠٣]، وهذه الآية أخص من هذا كله؛ فإنه قال: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص: ٥٦]؛ أي: هو أعلم بمن يَستحق الهِداية ممن يَستحق الغَوَاية، وقد ثبت في «الصحيحين» أنها نزلت في أبي طالب عَمِّ رسول الله ﷺ، وقد كان يحُوطه وينصُره ويقوم في صفِّه، ويحبُّه حبًّا شديدًا طَبَعيًّا لا شرعيًّا، فلما حضرته الوفاة وحان أجله، دعاه رسول الله ﷺ إلى الإيمان والدخول في الإسلام، فسبَق القدَر فيه، واختُطِف من يده، فاستمر على ما كان عليه من الكفر،

= قال الحافظ في الفتح (٧/ ٥٩٣): أما نزول هذه الآية الثانية فواضح في قصة أبي طالب، وأما نزول التي قبلها ففيه نظر، ويظهر أن المراد أن الآية المعلَّقة بالاستغفار نزلت بعد أبي طالب بمدة، وهي عامَّة في حقه وفي حق غيره.

وقال في موضع آخر في الفتح (٩/ ٤٥٩): ويُؤيد تأخير النزول، أي: الآية الأولى، ما تقدَّم في تفسير براءة من استغفاره ﷺ للمنافقين حتى نزل النهي عن ذلك؛ فإن ذلك يقتضي تأخير النزول وإن تقدَّم السبب، ويُشير إلى ذلك أيضًا قوله في حديث الباب وأنزل الله في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾؛ لأنه يُشعِر أن الآية الأولى نزلت في أبي طالب وفي غيره، والثانية نزلت فيه وحده.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٥) (٤٢).

ولله الحكمة البالغة[١].

وقال الإمام ابن القيم: قال الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢﴾ [الشورى: ٥٢]، وقال: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ۝٧﴾ [الرعد: ٧] والهادي: هو الدليل الذي يدُلُّ بهم في الطريق إلى الله والدار الآخرة، ولا يناقض هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦]، وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [فاطر: ٨]؛ فإن الله سبحانه تكلَّم بهذا وهذا، فرُسُلُه الهُدَاة هدايةَ الدَّلالة والبيان، وهو الهادي هدايةَ التوفيق والإلهام؛ فالرسل هم الأدلَّاء حقًّا، والله سبحانه هو الموفِّق المُلِهم الخالق للهدى في القلوب[٢].

وقال الحافظ ابن كثير: ولم يُقدِّر الله له[٣] الإيمان؛ لِمَا له تعالى في ذلك من الحكمة العظيمة، والحُجَّة القاطعة البالغة الدامغة التي يجب الإيمان بها والتسليم لها، ولولا ما نهانا الله عنه من الاستغفار للمشركين لَاستَغْفَرنا لأبي طالب وتَرَحَّمْنا عليه[٤].

شفاعة النبي ﷺ لعمِّه أبي طالب

روى الشيخان في «صحيحيهما» عن العباس بن عبد المُطَّلب رضي الله عنه قال للنبي ﷺ: ما أغْنَيْتَ عن عَمِّكَ؟ فوالله كانَ يَحُوطُكَ ويَغْضَبُ لَكَ! فقال رسول الله ﷺ: «**هو في ضَحْضَاحٍ[٥] مِن نَارٍ، ولَوْلَا أنَا لَكانَ في الدَّرْكِ الأسْفَلِ مِنَ النَّار**»[٦].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٢٤٦).

(٢) انظر: مدارج السالكين (٤/ ٥٢٧).

(٣) أي: لأبي طالب.

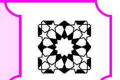
(٤) انظر: البداية والنهاية (٣/ ١٣٨).

(٥) قال الحافظ في الفتح (٧/ ٥٩٢): هو استعارة؛ فإن الضَّحْضاح من الماء: ما يبلغ الكعبَ، والمعنى: أنه خُفِّف عنه العذاب.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٨٨٣)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث، (٢٠٩) (٣٥٧).

وروَى الشيخان في «صحيحَيهما» عن أبي سعيد الخُدْريِّ ﷺ قال: إن رسول الله ﷺ ذُكر عنده عمُّه أبو طالب، فقال رسول الله ﷺ: «**لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتي يَومَ القِيَامَةِ، فيُجْعَلُ في ضَحْضَاحٍ مِن نارٍ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ، يَغْلِي منه دِمَاغُهُ**»(١).

قال الحافظ في «الفتح»: والنفع الذي حصل لأبي طالب من خصائصه ببركة النبي ﷺ(٢).



وفاة خديجة بنت خويلد ﵂

تُوفِّيَت أمُّ المؤمنين خديجة بنت خُوَيلِد ﵂ في نفس العام الذي تُوُفِّيَ فيه أبو طالب، وذلك في العام العاشر للبعثة، قبل الهجرة بثلاث سنين.

قال ابن إسحاق: ثم إن خديجة بنت خُوَيلد وأبا طالب هلَكا في عام واحد(٣).

وروَى الإمام البخاري في «صحيحه» عن عروة بن الزبير قال: تُوفِّيَت خديجة قبل مَخْرَج النبي ﷺ إلى المدينة بثلاث سنين(٤).

قال الحافظ في «الفتح»: كان موتها ﵂ قبل الهجرة بثلاث سنين، وذلك بعد المبعث ـ على الصواب ـ بعشر سنين(٥).

---

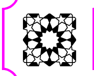
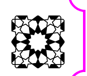
(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٨٨٥)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢١٠).

(٢) انظر: فتح الباري (٧/ ٥٩٤).

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٣٠).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٨٩٦).

(٥) انظر: فتح الباري (٧/ ٥١٣).

فَضْل أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها

روَى الشيخان في «صحيحَيهما» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى جبريلُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، هذه خديجة قد أَتَت، معها إناء فيه إِدَام، أو طعام، أو شَرَاب، فإذا هي أَتَتْكَ فاقْرَأْ عليها السلام من رَبِّها[١] ومِنِّي، وبشِّرْها ببيت في الجنة من قَصَب[٢] لا صَخَبَ[٣] فيه ولا نَصَبَ[٤].

وروَى الشيخان في «صحيحَيهما» عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: «**خيرُ نسائها مريم، وخيرُ نسائها خديجة**»[٥].

قال الإمام النووي: الأظهر أن معناه: أن كل واحدة منهما خير نساء الأرض في عصرها[٦].

وروَى الإمام أحمد في «مُسنَده» وابن حِبَّان في «صحيحه» بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خَطَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأرض أربعة خطوط فقال: «**أَتَدْرُون ما هذا؟**» قالوا: الله ورسوله أعلَمُ. قال صلى الله عليه وسلم: «**أفضل نساء أهل**

---

(١) قال الإمام ابن القيم في جَلاء الأفهام (ص٣٤٩): ومن خصائصها رضي الله عنها أن الله سبحانه بعث إليها السلام مع جبريل عليه السلام، فبلَّغها النبي صلى الله عليه وسلم ذلك، وهذه، لَعَمْرُ الله، خاصَّةٌ لم تكن لِسِواها!

(٢) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٥/ ١٦٢): قال جمهور العلماء: المراد به: قصَبُ اللؤلؤ المجوَّف.

(٣) قال الحافظ في الفتح (٧/ ٥١٨): هو الصياح والمنازعة برفع الصوت.

(٤) قال الحافظ في الفتح (٧/ ٥١٨): **النَّصَب**: هو التعب.
والحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٨٢٠)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٤٣٢).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٨١٥)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٤٣٠).

(٦) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١٥/ ١٦١).

الجنة: خديجة بنت خُوَيلد، وفاطمة بنت محمد، وآسِيَة بنت مُزَاحِم امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران»[١].

وروَى الإمام أحمد في «مُسنَده»، والتِّرمِذي في «جامعه» بسند صحيح عن أنس بن مالك ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**حَسْبُك من نساء العالَمين: مريم ابنة عمران، وخديجة بنت خُوَيلد، وفاطمةُ بْنَتُ محمد، وآسِيَة امرأة فرعون»**[٢].

قال الإمام القرطبي: ظاهر القرآن والأحاديث يقتضي أن مريم أفضل من جميع نساء العالَم؛ من حَوَّاء إلى آخر امرأة تقوم عليها الساعة، ثم بعدها في الفضيلة فاطمة، ثم خديجة، ثم آسية بنت مُزاحم امرأةُ فرعون[٣].

اشتداد إيذاء قريش للنبي ﷺ بعد وفاة عمه أبي طالب

قال ابن إسحاق: فلما هلَك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ مَا لم تكُن تَطْمَع به في حياة أبي طالب![٤].

وقال الحاكم في «المُستدرَك»: تواتَرَت الأخبار أن رسول الله ﷺ لما مات عمه أبو طالب لَقِيَ هو والمسلمون أذًى من المشركين بعد موته[٥].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٦٦٨)، وابن حبان في صحيحه، رقم الحديث (٧٠١٠).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٢٣٩١)، والترمذي في جامعه، رقم الحديث (٤٢١٦)، وقال الترمذي: هذا حديث صحيح.

(٣) انظر: تفسير القرطبي (٥/ ١٢٧).

(٤) انظر: سيرة بن هشام (٢/ ٣٠).

(٥) انظر: المستدرك (٥/ ٢١٥).

وقال الحافظ ابن كثير: وعندي أن غالب ما رُوي من طَرْحِهم سَلَا[(١)] الجَزُور[(٢)] بين كَتِفَيه ﷺ وهو يُصلِّي، وكذلك ما أخبَرَ به عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما مِن خَنْقِهم لرسول الله ﷺ خنقًا شديدًا حتى حال دونه أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، وكذلك عَزْمُ أبي جهل ـ لعنه الله ـ على أن يَطَأ على عنقه ﷺ وهو يُصلِّي فحِيلَ بينه وبين ذلك، مما أشبَهَ ذلك ـ كان بعد وفاة أبي طالب، والله أعلم[(٣)].

وروَى الحاكم في «المُستدرَك» بسند جيد عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال ﷺ: «**ما زالت قريش كاعَّةً[(٤)] حتى تُوُفِّيَ أبو طالب**»[(٥)].

وروَى ابن إسحاق في «السيرة» بسند صحيح مرسَل عن عروة بن الزبير قال: قال ﷺ: «**ما نالت مني قريش شيئًا أكرَهُه حتى مات أبو طالب**»[(٦)].

وروَى الإمام أحمد في «مُسنَده» والحاكم في «المُستدرَك» بسند حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: دخلت فاطمة على رسول الله ﷺ وهي تبكي، فقال رسول الله ﷺ: «**يا بُنَيَّة، ما يُبكيك؟**» قالت: يا أبتِ، ما لي لا أَبكي، وهؤلاء المَلَأ من قريش في الحِجْر يَتعاقَدون باللَّاتِ والعُزَّى ومَنَاةَ الثالثةِ الأخرى، لو قد رَأَوك لقاموا إليك فيقتلونك، وليس منهم رجل إلا وقد عَرَف نَصيبه من دمك! فقال رسول الله ﷺ: «**يا بُنَيَّة، ائتِني بوَضُوءٍ**» فتوضأ

---

(١) **السَّلَا**: هو الجلد الرقيق الذي يخرج فيه الولد من بطن أمه ملفوفًا فيه. وهو بالنسبة للآدميات يُسمى المَشِيمة. انظر: النهاية (٢/ ٣٥٧).

(٢) **الجَزور**: البعير ذكرًا أو أنثى. انظر: النهاية (١/ ٢٥٨).

(٣) انظر: البداية والنهاية (٣/ ١٤٦).

(٤) **كاعَّة**: جمع كاعٍّ، وهو الجبان أراد أنهم كانوا يجبُنُون عن أذى النبي ﷺ في حياة أبي طالب، فلما مات اجترؤوا عليه. انظر: النهاية (٤/ ١٥٦).

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٤٢٨٩).

(٦) أخرجه ابن إسحاق في السيرة (٢/ ٣٠).

رسول الله ﷺ ثم خرج إلى المسجد، فلما رأَوه قالوا: ها هو ذا! فطَأْطَأوا رؤوسَهم، وسقَطَت أَذْقَانُهم بين ثُدِيِّهم فلم يَرفَعوا أبصارهم، فتَناوَل رسول الله ﷺ قبضة من تراب فحَصَبَهم[١] بها وقال: «**شاهَت الوجوهُ!**» فما أصاب رجلًا منهم حَصَاةٌ مِن حَصَاته إلا قُتِلَ يوم بدرٍ كافرًا[٢].

وروَى الحاكم في «المُستدرَك» والإمام أحمد في «فضائل الصحابة» بسند صحيح عن أنس رضي الله عنه قال: لقد ضرَبُوا رسول الله ﷺ حتى غُشي عليه! فقام أبو بكر رضي الله عنه، فجعل يُنادي ويقول: وَيلَكُم! أتَقتُلون رجلًا أن يقول: رَبِّيَ الله؟! قالوا: مَن هذا؟ قالوا: هذا ابن أبي قُحَافة المَجنونُ[٣]!

وروَى الإمام البخاري في «صحيحه» عن عروة بن الزُّبَير، قال: سألتُ ابن عمرو بن العاص: أَخْبِرْني بأشَدِّ شيء صنَعه المشركون بالنبي ﷺ، قال: بينما النبي ﷺ يُصلي في حجر الكعبة، إذ أقبَلَ عُقبة بن أبي مُعَيط، فوضع ثوبه في عنقه، فخَنَقه خنقًا شديدًا، فأقبل أبو بكر رضي الله عنه حتى أخَذ بمَنْكِبه ودفَعَه عن النبي ﷺ وقال: أَتَقتَلون رجلًا أن يقول: رَبِّيَ الله؟![٤].

وروَى ابن حِبَّان في «صحيحه» وأبو يَعْلَى في «مُسنَده» بسند حسن عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: ما رأيتُ قريشًا أرادوا قَتْلَ رسول الله ﷺ إلا يومًا، رأيتُهم وهم جلوس في ظِلِّ الكعبة، ورسول الله ﷺ يُصلي عند المَقام، فقام إليه عُقبة بن أبي مُعَيط، فجعل رداءه في عُنُقه ثم جَذَبَهُ، حتى وَجَب[٥]

(١) **حصَبَهم**: أي: رماهم بالحصباء، والحصباء: الحصى الصغار. انظر: النهاية (١/ ٣٧٨).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٧٦٢)، والحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٥٩٢).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٤٤٧٣)، والإمام أحمد في فضائل الصحابة، رقم الحديث (٢١٨).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٨٥٦).

(٥) **وَجَبَ**: أي: سقط إلى الأرض. انظر: النهاية (٥/ ١٣٥).

لِرُكْبَتَيه ﷺ وتَصايَح الناس، فظَنُّوا أنه مقتول، قال: وأقبَل أبو بكر رضي الله عنه يَشتَدُّ، حتى أخَذ بضَبْعَيْ رسول الله ﷺ مِن ورائه، وهو يقول: أَتَقتَلون رجلًا أن يقول: رَبِّيَ الله؟! ثم انصرَفوا عن النبي ﷺ[(١)].

وروَى الشيخان في «صحيحَيهما» ـ واللفظ لمسلم ـ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ يُصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس، وقد نُحِرَت جَزُور بالأمس، فقال أبو جهل: أيُّكُم يقوم إلى سَلَا جَزُور بني فلان فيأخُذُه فيَضُعُه في[(٢)] كَتِفَيْ محمد إذا سجَد؟ فانبَعَث أَشْقَى القوم[(٣)] فأخَذَه، فلما سجَد النبي ﷺ وضَعَه بين كَتِفَيه، قال: فاستَضْحَكوا[(٤)] وجعَل بعضُهم يَمِيل على بعض[(٥)] وأنا قائم أنظُرُ، لو كانت لي مَنَعَة[(٦)] طَرَحْتُه عن ظَهْر رسول الله ﷺ، والنبي ﷺ ساجد ما يَرْفَع رأسه، حتى انطَلق إنسان فأخبَر فاطمةَ، فجاءت، وهي جُوَيْرِيةٌ[(٧)] فطَرَحَتْه عنه، ثم أقبَلَت عليهم تشتِمُهم، فلما قضى النبي ﷺ صلاته رفَع صوته ثم دعا عليهم، وكان إذا دعا دعا ثلاثًا، وإذا سأل سأل ثلاثًا، ثم قال ﷺ: «**اللَّهُمَّ عليكَ بقريش**» ثلاث مرات، فلما سَمِعوا صوته ذهَب عنهم الضحك وخافُوا دعوته، ثم قال ﷺ: «**اللَّهُمَّ عليك بأبي جهل بن هشام، وعُتبة بن رَبيعة، وشَيبة بن**

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه، رقم الحديث (٦٥٦٩)، وأبو يعلى في مسنده، رقم الحديث (٧٣٣٩).

(٢) في رواية الإمام البخاري: على.

(٣) هو: عقبة بن أبي مُعَيط، قبحه الله، كما جاء مصرَّحًا به في رواية أخرى في صحيح مسلم، رقم الحديث (١٧٩٤) (١٠٨).

(٤) في رواية الإمام البخاري: فجعلوا يَضحَكون.

(٥) قال الحافظ في الفتح (١/ ٤٦٦): أي: من كثرة الضحك.

(٦) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٢/ ١٢٨): معناه: لو كان لي قوةٌ تَمنَع أذاهم، أو كان لي عَشِيرة بمكة تَمْنَعُني.

(٧) هو تصغير جارية؛ يعني: صغيرة.

رَبيعة، والوليد بن عُقبة[١]**، وأُمَيَّة بن خلَف، وعُقبة بن أبي مُعَيط**» قال عبد الله بن مسعود ﵁: فوالذي بعَث محمدًا ﷺ بالحق، لقد رأيتُ الذين سمَّى صَرْعَى يوم بدرٍ![٢].

وروَى الإمام أحمد في «مُسنَده» وابن ماجَهْ بسند صحيح عن أنس بن مالك ﵁ قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ ذات يوم، وهو جالسٌ حزينٌ، قد خُضِبَ[٣] بالدماء، ضرَبه بعض أهل مكة، فقال له: ما لك؟ فقال رسول الله ﷺ: «**فعَل بي هؤلاء وفعلوا**» فقال له جبريل ﵇: أتُحِبُّ أن أُرِيَكَ آيةً؟[٤].

قال رسول الله ﷺ: «**نعم**»، فنظَر إلى شجرة من وراء الوادي، فقال: ادْعُ بتلك الشجرة. فدعاها، فجاءت تَمشي حتى قامت بين يديه، فقال: مُرْهَا فَلْتَرْجِع. فأمَرها فرجَعَت إلى مكانها، فقال رسول الله ﷺ: «**حَسْبِي**»[٥].

قال الشيخ علي الطنطاوي: وانطَلقوا يُؤذونه ﷺ ويَتوعَّدُونه؛ لعل الترهيب يَفعَل فيه ما لم يَفعَل الترغيب... رمَوا في طريقه الشوك وهو ماشٍ، وألقَوا عليه أحشاء الناقة وهو ساجد، ورمَوه في الطائف بالحجارة

---

(١) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٢/ ١٢٩): هكذا هو في جميع نسخ مسلم: الوليد بن عقبة بالقاف، واتفق العلماء على أنه غلط وصوابه: الوليد بن عتبة بالتاء، كما ذكره مسلم في رواية أبي بكر بن أبي شيبة بعد هذا، وقد ذكره البخاري في صحيحه وغيره من أئمة الحديث على الصواب.

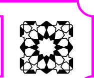
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٢٤٠)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٧٩٤) (١٠٧).

(٣) **خُضِبَ**: أي: ابتلَّ. انظر: لسان العرب (٤/ ١١٧).

(٤) قال السِّنْدي في شرح المُسنَد (٧/ ١٤١): وهذا يدل على ما لك عند الله تعالى من الكرامة والشرف الذي تَنْسَى في جنبه ما يَلْحَق بك من التعب في تبليغ الرسالة.

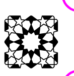
(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٢١١٢)، وابن ماجه في سننه، رقم الحديث (٤٠٢٨).

وأسَالوا دَمَه، وهَزِئوا به، وسَلَّطوا عليه سفهاءهم، فلم يُثِرْ هذا كلُّه غضَبَه ﷺ، ولكن أثار إشفاقه؛ إشفاقَ الكبير على الأطفال المُؤذِين، والعاقل على المجانين، وكان جوابه ﷺ: «**اللَّهُمَّ اهْدِ قومي؛ فإنهم لا يعلمون**»[1]، وأوغَلَت قريش في كفرها وصَدِّها وعنادها، ولكن هل تَقدِر قريش أن تُطفئ نور الله؟!![2].



خروج الرسول ﷺ إلى الطائف

فلما اشتد البلاء برسول الله ﷺ وأصحابه بعد وفاة أبي طالب، خرج رسول الله ﷺ إلى الطائف؛ رجاء أن يُؤْوُوه ويَنصُروه على قومه ويَمنَعُوه منهم، وقصَد رسول الله ﷺ الطائف؛ إما لأنها المركز الثاني للقوة والسيادة في الحجاز بعد مكة، أو لأن أخواله ﷺ من جهة حَلِيمة السَّعْدية من هوازن، وكانوا يقطنون[3] الطائف، فرأى رسول الله ﷺ أن يخرُج إلى الطائف ماشيًا على قدَمَيه، ومعه مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه يَلتَمِس من ثَقِيفٍ النصر والمَنَعَة له من قومه.



وصول الرسول ﷺ إلى الطائف

فلما بلغ رسول الله ﷺ الطائف عمَد إلى ثلاثة إخوة هم يومئذ سادَة

---

(١) أخرج هذا الحديث بهذا اللفظ: البيهقي في شعب الإيمان، رقم الحديث (١٤٤٧)، وقال: مرسل، وذكره الألباني في ضعيف الجامع، رقم الحديث (١٦٣٦)، وقال: ضعيف.
وروَى ابن حبان في صحيحه، رقم الحديث (٩٧٣) بسند حسن عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ اغفر لقومي؛ فإنهم لا يعلمون**»،

(٢) انظر كتاب: رجال من التاريخ للشيخ علي الطنطاوي (ص١٣، ١٤).

(٣) **قطن بالمكان**: أقام به. انظر: لسان العرب (١١/ ٢٣١).

ثَقِيف وأشرافهم، وهم: عَبْدُ يالِيلَ ومسعود وحَبِيب، أبناء عَمرو بن عُمَير، فجلَس إليهم رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الله وإلى نُصرة الإسلام، فقال أحدهم: هو يَمْرُط ثياب الكعبة إن كان الله أرسَلَك! وقال الآخر: أمَا وجد الله أحدًا يُرسِلُه غيرك؟! وقال الثالث: والله لا أُكلِّمُك أبدًا؛ لئن كنتَ رسولًا من الله كما تقول؛ لأنت أعظَمُ خطرًا من أن أَرُدَّ عليك الكلام، ولئن كنتُ تَكذِب على الله، ما ينبغي لي أن أُكلِّمَك!

فقام رسول الله ﷺ مِن عندِهم وقد يَئِس من نُصرة ثَقِيف، وقال لهم: «**إذا فعَلتُم ما فعَلتُم فاكتُمُوا عني**»، فلم يفعلوا، وأقام رسول الله ﷺ بينهم عشرة أيام، فأَغْرَوا به سفهاءهم وعَبِيدهم يسبُّونه ويَصِيحون به، وآذَوه مع ذلك أشد الأذى، ونالوا منه ما لم يَنَلْه قومه، وقالوا له: اخرُج من بلدنا. ووقف سفهاؤهم صَفَّين وجعلوا يَرمُونه بالحجارة حتى دَمِيَت قدماه ﷺ، وزيد بن حارثة رضي الله عنه يَقِيهِ بنفسه، حتى أصابه شِجَاج في رأسه! فانصرف رسول الله ﷺ من الطائف إلى مكة محزونًا.

وفي مَرْجِعه ﷺ ذلك دعا ربه بالدعاء المشهور: «**اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعَفِينَ، وَأَنْتَ رَبِّي، إِلَى مَنْ تَكِلُنِي؟ إِلَى بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي[1] أَمْ إِلَى عَدُوٍّ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي؟ إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ عَلَيَّ غَضَبٌ فَلَا أُبَالِي، وَلَكِنَّ عَافِيَتَكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، مِنْ أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَكَ، أَوْ يَحِلَّ عَلَيَّ سَخَطُكَ، لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ**»[2].

---

(١) **يتجهَّمني**: أي: يلقاني بالغلظة والوجه الكريه. انظر: النهاية (١/ ٣١١).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٣٢، ٣٣)، زاد المعاد (٣/ ٣٩).

نزول جبريل وملَك الجبال عليهما السلام

فأرسل الله سبحانه وتعالى إلى رسوله ﷺ جبريل عليه السلام ومعه ملَك الجبال عليه السلام يَستَأْمِرُه، فقد أخرج الشيخان في «صحيَحيهما» عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي ﷺ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ، قال رسول الله ﷺ: «**لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ**[(١)] **إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ**[(٢)] **فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ: ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ؛ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ؟**»[(٣)]، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**»[(٤)].

قال الحافظ ابن كثير: فما الجمع بين هذا وبين قوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [الأنعام: ٥٨]؟

---

(١) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٢/ ١٣٠): أي: لم أَفطِن لنفسي وأنتبه لحالي وللموضع الذي أنا ذاهب إليه وفيه، إلا وأنا عند قَرْن الثعالب؛ لكثرة همي الذي كنتُ فيه.

(٢) اختُلف في تحديد **قرن الثعالب**؛ فقيل: هو ميقات أهل نجد؛ قَرْن المنازل، وقيل غيره، والله أعلم.

(٣) قال الحافظ في الفتح (٦/ ٤٦٣): هما جبلا مكة: أبو قُبيس، والذي يُقابله، وكأنه قُعَيقِعان.

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٢٣١)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٧٩٥).

فالجواب ـ والله أعلم ـ: أن هذه الآية دلَّت على أنه لو كان إليه وقوع العذاب الذي يَطلُبونه حال طلَبِهم له، لَأَوْقَعَه بهم، وأما الحديث فليس فيه أنهم سألوه وقوع العذاب بهم؛ بل عرَض عليه مَلَك الجبال أنه إن شاء أطبَقَ عليهم الأَخْشَبَين، وهما جَبَلَا مكة، اللَّذَان يَكتَنِفَانها جنوبًا وشمالًا؛ فلهذا استَأْنَى بهم، وسأل الرفق لهم(١).

دخول الرسول ﷺ مكة في جوار المُطْعِم بن عَدِيٍّ

رجع رسول الله ﷺ إلى مكة، وقومُه أشَدُّ ما كانوا عليه من خلافه وعَدائه، ودخَلها في جِوار المُطْعِم بن عَدِيٍّ.

ولم يَنْسَ رسول الله ﷺ هذا المعروف للمُطْعِم بن عَدِيٍّ، فقال ﷺ يوم بدر: «**لو كان المُطْعِم بن عَدِيٍّ(٢) حيًّا، ثم كلَّمَني في هؤلاء النَّتْنَى(٣)، لَترَكْتُهم له**»(٤).

قال الإمام الذهبي: وكان المُطْعِم بن عَدِيٍّ هو الذي قام في نقض صحيفة القطيعة، وكان يحنُو على أهل الشِّعْب، ويَصِلُهم في السِّرِّ، وهو الذي أجار النبي ﷺ حين رجع من الطائف حتى طاف بعُمرة(٥).

وقال الحافظ في «الفتح»: قوله ﷺ: «**لَترَكْتُهم له**»؛ أي: بغير فِداء(٦).

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٢٦٤).

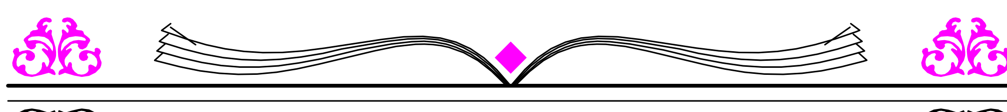
(٢) قال الإمام النووي في تهذيب الأسماء والصفات (٢/ ٢٠٦): مات المُطعِم بن عَديٍّ كافرًا قبل يوم بدر بلا خلاف بين أهل التواريخ والسِّيَر وغيرهم.

(٣) **النَّتن**: الرائحة الكريهة. انظر: لسان العرب (١٤/ ٣٦).
قال ابن الأثير في النهاية (٥/ ١٢): سماهم نتنى؛ لكفرهم؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٠٢٤).

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء (٣/ ٩٥).

(٦) انظر: فتح الباري (٨/ ٦٠).



الإسراء والمعراج

أكرَم الله ﷻ رسولَه ﷺ برحلة الإسراء والمعراج، وذلك بعد سنوات طويلة من الدعوة، وكانت هذه الرحلة المباركة بمثابة مكافأة لرسول الله ﷺ؛ ليُبيِّن الله له مكانته ومنزلته من الله ﷻ.

قال الإمام ابن القيم: كانت كرامة رسول الله ﷺ بالإسراء مفاجأة من غير ميعاد؛ ليُحمَل عنه ألم الانتظار، ويُفاجَأ بالكرامة بَغتة(١).

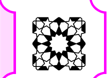
ذكر الله ﷻ الإسراء في سورة الإسراء، فقال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ①﴾ [الإسراء: ١]، وذكر ﷻ المعراج في سورة النجم، فقال تعالى: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ⑫ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ⑬ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ⑭ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ⑮ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ⑯ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ⑰ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ⑱﴾ [النجم: ١٢ ـ ١٨].

قال الإمام القرطبي: ثبَت الإسراء في جميع مصنفات الحديث، ورُوي عن الصحابة في كل أقطار الإسلام؛ فهو من المتواتر بهذا الوجه(٢).

وقال الإمام ابن القيم: تواترت الأحاديث الصحيحة التي أجمَعَت الأمة على صحتها وقبولها، بأن النبي ﷺ عُرِج به إلى ربه، وأنه جاوَز

(١) انظر: بدائع الفوائد (٣/ ١١٦٣).
(٢) انظر: تفسير القرطبي (١٣/ ٧).

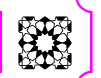
السَّمٰوات السبع، وأنه تردَّد بين موسى ﷺ وبين الله ﷻ مرارًا في شأن الصلاة وتخفيفها(١).

 الخلاف في تحديد وقت هذه الرحلة

اختُلف في وقت رحلة الإسراء والمعراج اختلافًا كثيرًا، ولا يثبت شيء في تحديد وقتها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: لم يَقُم دليل معلوم لا على شَهْرِها ولا على عَشْرِها ولا على عَينها؛ بل النقول في ذلك مُنقَطِعة، ليس فيها ما يُقطَع به(٢).

وقال الحافظ في «الفتح»: وقد اختُلِف في وقت المعراج، فقيل: كان قبل المبعث. وهو شاذٌّ، إلا إن حُمِلَ على أنه وقع حينئذٍ في المنام. وذهب الأكثر إلى أنه كان بعد المبعث، ثم اختلفوا؛ فقيل: قبل الهجرة بسَنَة، قاله ابن سعد وغيره، وبه جزَم النووي، وبالَغ ابن حزم فنقَل الإجماع فيه، وهو مردود؛ فإن في ذلك اختلافًا كثيرًا يزيد على عشرة أقوال(٣).

 الإسراء والمعراج كان بجسده وروحه ﷺ

قال الحافظ في «الفتح»: اختَلَف السلف بحسب اختلاف الأخبار الواردة؛ فمنهم مَن ذهب إلى أن الإسراء والمعراج وقَعَا في ليلة واحدة في

(١) انظر: تهذيب السنن (٣/ ٢٥٨).
(٢) نقله عنه ابن القيم في زاد المعاد (١/ ٣٦).
(٣) انظر: فتح الباري (٧/ ٦٠٢).

اليقظة بجسد النبي ﷺ وروحه بعد المبعث، وإلى هذا ذهب الجمهور من علماء المُحَدِّثين والفقهاء والمتكلِّمين، وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة، ولا ينبغي العدول عن ذلك؛ إذ ليس في العقل ما يُحِيله حتى يَحتاج إلى تأويل(١).

وقال الحافظ ابن كثير: الأكثرون من العلماء على أنه ﷺ أُسرِي ببدنه وروحه يقظة لا منامًا، ولا يُنكَر أن يكون رسول الله ﷺ رأى قبل ذلك منامًا ثم رآه بعده يقظة؛ لأنه ﷺ كان لا يَرَى رؤيا إلا جاءت مثل فَلَق الصبح، والدليل على هذا قوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١] فالتسبيح إنما يكون عند الأمور العِظام، ولو كان منامًا لم يكن فيه كبير شيء، ولم يكُن مستعظَمًا، ولَمَا بادَرَت كفار قريش إلى تكذيبه، ولَمَا ارتَدَّ جماعة ممن كان قد أسلَم.

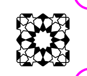
وأيضًا فإن العبد عبارة عن مجموع الرُّوح والجسد، وقد قال عَزَّ شأنه: ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١]، وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠] قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هي رؤيا عَين أُرِيَها رسولُ الله ﷺ ليلة أُسْرِيَ به، والشجرة الملعونة شجرة الزَّقُّوم(٢)، وقال تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [النجم: ١٧]، والبصر من آلات الذات لا الروح، وأيضًا فإنه ﷺ حُمِلَ على البُرَاق، وهو دابَّة بيضاء برَّاقة، لها لَمَعَان، وإنما يكون هذا للبدن لا للروح؛ لأنها لا تحتاج في حركتها إلى مَرْكَب تَرْكَب عليه، والله أعلم(٣).

---

(١) انظر: فتح الباري (٧/ ٥٩٥).

(٢) أخرج أثر ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث، (٣٨٨٨).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٤٣، ٤٤).



قصة الإسراء والمعراج

عن أنس بن مالك، عن مالك بن صَعْصَعَة رضي الله عنهما أن النبي ﷺ حدَّثهم عن ليلة أُسري به فقال: «**بَيْنَمَا أَنَا فِي الحَطِيمِ**» ـ وربما قال: «**فِي الحِجْرِ**[(١)] ـ **مُضْطَجِعًا، إِذْ أَتَانِي آتٍ**[(٢)] **فَقَدَّ**»[(٣)] ـ قال: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ ـ: «**فَشَقَّ مَا بَيْنَ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ**» ـ فقلت للجارُود وهو إلى جَنْبي: ما يَعني به؟ قال: مِن ثُغْرَة[(٤)] نَحْرِه إلى شِعْرَتِه[(٥)] ـ «**فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي، ثُمَّ أُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ**

---

(١) قال الحافظ في الفتح (٧/ ٦٠٢): هو شكٌّ من قتادة كما بيِّنه الإمام أحمد في مسنده رقم الحديث (١٧٨٣٥) عن عثمان عن همام، ولفظه: «**بينا أنا نائم في الحطيم**» وربما قال قتادة: في الحِجر، والمراد بالحطيم هنا الحِجر، وأبعد من قال: المراد به ما بين الركن والمقام، أو بين زمزم والحِجر، وهو إن كان مختَلَفًا في الحطيم: هل هو الحِجر أم لا؟ لكن المراد هنا بيان البقعة التي وقع ذلك فيها، ومعلوم أنه لم تتعدد؛ لأن القصة متحدة لاتحاد مخرجها، وقد وقع في أول بدء الخلق في صحيح البخاري، رقم الحديث (٣٢٠٧) بلفظ: «**بينا أنا عند البيت**»، وهو أعم، ووقع في رواية الزُّهري في صحيح البخاري، رقم الحديث (٣٤٩) عن أنس عن أبي ذر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**فُرِج سَقف بيتي وأنا بمكة**»، وفي رواية الواقدي بأسانيده أنه ﷺ أُسري به من شِعب أبي طالب، وفي حديث أم هانئ عند الطبراني أنه ﷺ بات في بيتها، قالت: ففقدته من الليل فقال: «**إن جبريل أتاني**»، والجمع بين هذه الأقوال: أنه ﷺ نام في بيت أم هانئ، وبيتُها عند شِعب أبي طالب، ففُرِجَ سقفُ بيته، وأضاف البيت إليه؛ لكونه كان يسكنه، فنزل منه الملَك، فأخرجه من البيت إلى المسجد، فكان به مضطجعًا وبه أثر النعاس، ثم أخرجه الملك إلى باب المسجد، فأركبه البُراق.

(٢) قال الحافظ في الفتح (٧/ ٦٠٤): هو جبريل عليه السلام.

(٣) **القَدُّ**: هو القطع طولًا كالشَّقِّ. انظر: النهاية (٤/ ٢٠).

(٤) **الثُّغرة**: هي نُقرة النحر فوق الصدر. انظر: النهاية (١/ ٢٠٨).

(٥) قال الحافظ في الفتح (٧/ ٦٠٤): بكسر الشين؛ أي: شَعر العانة.
وفي رواية الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٦٤) قال: «إلى أسفل بطنه».

إِيمَانًا، فَغُسِلَ قَلْبِي، ثُمَّ حُشِيَ[(١)] **ثُمَّ أُعِيدَ، ثُمَّ أُتِيتُ بِدَابَّةٍ دُونَ البَغْلِ وَفَوْقَ الحِمَارِ، أَبْيَضَ»** فقال له الجارود: هو البُرَاق يا أبا حمزة؟

قال أنس ﵁: نعم **«يَضَعُ خَطْوَهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرْفِهِ»**[(٢)].

وكان البُرَاق مُسْرَجًا[(٣)] مُلْجَمًا[(٤)]، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يَرْكَبه استَصْعَب[(٥)] عليه، فقال له جبريل ﵇: أَبِمُحَمَّدٍ تَفْعَلُ هَذَا؟! فَمَا رَكِبَكَ أَحَدٌ قَطُّ أَكْرَمُ عَلَى اللهِ مِنْهُ! فَارْفَضَّ عَرَقًا[(٦)].

قال رسول الله ﷺ: **«فَرَكِبْتُهُ**[(٧)] **حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ»**[(٨)].

---

(١) زاد الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٦٤): «إيمانًا وحكمة»، في رواية شريك في صحيح البخاري، رقم الحديث (٧٥١٧) قال: «فحشا به صدره ولغاديده»؛ يعني: عروق حَلْقِه.
قال الحافظ في الفتح (٧/ ٦٠٦): وقد اشتملت هذه القصة من خوارق العادة على ما يُدهِش سامعه فضلًا عن شاهِده؛ فقد جرت العادة بأن مَن شُقَّ بطنه وأُخرج قلبُه يموت لا محالة، ومع ذلك فلم يُوثِّر فيه ذلك ضررًا ولا وجعًا، فضلًا عن غير ذلك!

(٢) **طَرْفِه**، بفتح الطاء وسكون الراء؛ أي: بَصَرِه. انظر: لسان العرب (٨/ ١٤٥).
وأخرج ذلك إلى هذا القَدْر: الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٨٨٧)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٦٤).

(٣) **السَّرْج**: هو رَحْل الدابة. انظر: المعجم الوسيط (١/ ٤٢٥).

(٤) **اللِّجام**: هو حبل أو عصا تدخل في فم الدابة، وتُلْزَق إلى قفاه. انظر: لسان العرب (١٢/ ٢٤٢).

(٥) قال السهيلي في الروض الأُنُف (٢/ ١٩٤): إنما استصعب عليه؛ لبُعد عهد البراق بركوب الأنبياء قبله، وطول الفترة بين عيسى ﵇ ومحمد ﷺ.

(٦) **فارفَضَّ عرقًا**: أي: جرى عَرَقُه وسال. انظر: جامع الأصول (١١/ ٣٠٥).
وأخرج ذلك إلى هذا القدر: الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٢٦٧٢)، والإمام الترمذي في جامعه، رقم الحديث (٣٣٩٧) وإسناده صحيح.

(٧) أي: البراق.

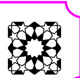
(٨) أخرج ذلك إلى هذا القدر: الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٦٢) (٢٥٩).

إمامته ﷺ بالأنبياء عليهم السلام

فلما دخل رسول الله ﷺ المسجد الأقصى بصحبة جبريل عليه السلام رأى الأنبياء والمرسَلين صفوفًا في المسجد الأقصى، أحياهم الله جلَّت قُدْرَته له، فقَدَّمه جبريل عليه السلام؛ لِيَؤُمَّهم في الصلاة.

فقد روَى الإمام أحمد في «مُسنَده» بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: فلما دخل النبي ﷺ المسجد الأقصى قام يُصلي، ثم التَفَت، فإذا النبيون أجمَعُون يُصلُّون معه[(١)].

وفي رواية الإمام مسلم في «صحيحه» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**فحانت الصلاة فأَمَمْتُهُم**»[(٢)].



عَرْضُ الآنية في بيت المقدس

فلما فرغ رسول الله ﷺ من صلاته بالأنبياء عليهم السلام أُتِيَ بقَدَحَين؛ أحدهما فيه لبن، والآخر فيه خمر، فقد روى الإمام مسلم في «صحيحه» عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثم دَخَلْتُ المسجد فصلَّيتُ فيه ركعتين، ثم خرَجْت، فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر، وإناء من لبن، فاخترتُ اللبن، فقال جبريل عليه السلام: اختَرْتَ الفِطْرَةَ**»[(٣)].

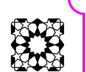
---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٣٢٤)، وأورده الحافظ ابن كثير في تفسيره (٥/ ٢٨) وصَحَّح إسناده.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٧٢).

(٣) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٢/ ١٨٤): فسَّروا الفِطْرة هنا بالإسلام والاستقامة، ومعناه، والله أعلم: اخترتَ علامة الإسلام والاستقامة، وجُعِلَ اللبن علامة؛ لكونه سهلًا طيبًا طاهرًا سائغًا للشاربين.

والحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٦٢) (٢٥٩).



صعود الرسول ﷺ في المعراج[١] إلى السَّمٰوات

قال رسول الله ﷺ: «**ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي[٢] فعَرَجَ[٣] بِي إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا[٤]، فَلَمَّا جِئْتُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا قَالَ جِبْرِيلُ لِخَازِنِ السَّمَاءِ: افْتَحْ، قال: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا جِبْرِيلُ، قَالَ: هَلْ مَعَكَ أَحَدٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، مَعِي مُحَمَّدٌ ﷺ، فَقَالَ: أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟[٥] قَالَ: نَعَمْ، فَلَمَّا فَتَحَ عَلَوْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَإِذَا رَجُلٌ قَاعِدٌ، عَلَى يَمِينِهِ أَسْوِدَةٌ[٦]، وَعَلَى يَسَارِهِ أَسْوِدَةٌ، إِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَسَارِهِ بَكَى، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالِابْنِ الصَّالِحِ، قُلْتُ لِجِبْرِيلَ: مَنْ هَذَا؟[٧] قَالَ: هَذَا آدَمُ، وَهَذِهِ الأَسْوِدَةُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ نَسَمُ**

---

(١) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٥/ ٤٣): المعراج هو كالسُّلَّم، ذو دَرَج يَرْقَى فيها، فصَعِد فيه إلى السماء الدنيا، ثم إلى بقية السمٰوات السبع.

(٢) يعني: جبريل عليه السلام.

(٣) **العروج**: الصعود. انظر: النهاية (٣/ ١٨٤).

قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٣/ ١٢١): والمقصود أنه ﷺ لما فرغ من أمر بيت المقدس نُصِبَ له المعراج، وهو السُّلَّم، فصعد فيه إلى السماء، ولم يكن الصعود على البُراق كما قد يتوهمه بعض الناس؛ بل كان البُراق مربوطًا على باب مسجد بيت المقدس؛ ليرجع عليه إلى مكة.

(٤) في رواية أخرى في صحيح البخاري، رقم الحديث (٣٨٨٧): قال رسول الله ﷺ: «**فانطلق بي جبريل حتى أتى السماءَ الدنيا**»،

(٥) في رواية أخرى في صحيح البخاري رقم الحديث (٣٨٨٧): وقد أُرسل إليه؟

وفي رواية الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٦٢/ ٢٥٩): وقد بُعث إليه؟

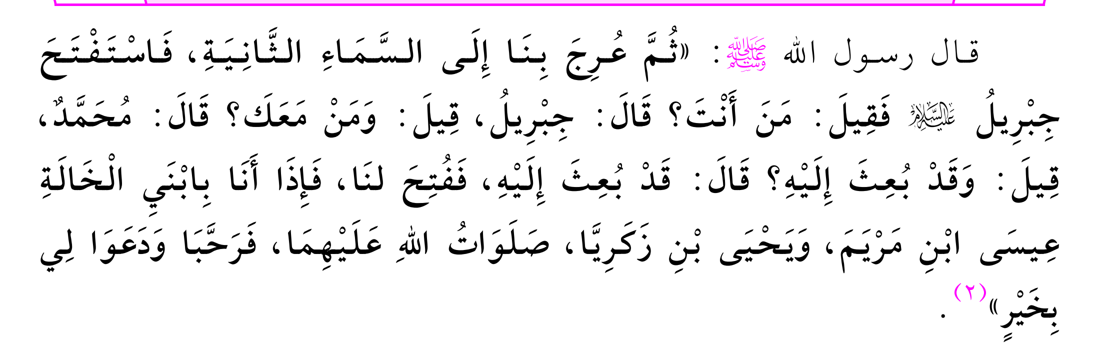
قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٢/ ١٨٥): مراده: وقد بُعث إليه للإسراء وصعود السمٰوات؟ وليس مراده الاستفهام عن أصل البعثة والرسالة؛ فإن ذلك لا يخفى عليه إلى هذه المدة، فهذا هو الصحيح. والله أعلم.

(٦) **أسوِدَة**: جمع قِلَّة لسواد: وهو الشخص. انظر: النهاية (٢/ ٣٧٦).

(٧) قال الحافظ في الفتح (٧/ ٢): ظاهره أنه سأل عنه بعد أن قال له آدم: مرحبًا. ورواية مالك بن صعصعة بعكس ذلك، وهي المعتمَدة، فتُحمَل هذه عليها؛ إذ ليس في هذه أداة ترتيب.

بَنِيهِ؛ فَأَهْلُ اليَمِينِ مِنْهُمْ أَهْلُ الجَنَّةِ، وَالأَسْوِدَةُ الَّتِي عَنْ شِمَالِهِ أَهْلُ النَّارِ، فَإِذَا نَظَرَ عَنْ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَى[(١)]!

عُرُوجُه ﷺ إلى السماء الثانية



قال رسول الله ﷺ: «ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقِيلَ: مَنَ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لنَا، فَإِذَا أَنَا بِابْنَي الْخَالَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا، صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمَا، فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ»[(٢)].

عُرُوجُه ﷺ إلى السماء الثالثة

قال رسول الله ﷺ: «ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقِيلَ: مَنَ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لنَا، فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ ﷺ إِذَا هُوَ قَدِ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ[(٣)]، ....

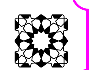
(١) أخرج ذلك إلى هذا القَدْر: الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٤٩)، مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٦٣).

(٢) أخرج ذلك إلى هذا القدر: الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٦٢) (٢٥٩).

(٣) قال الإمام ابن القيم في بدائع الفوائد (٣/ ١١٦٧): قالت طائفة: المراد منه أن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ أُوتِيَ شَطْرَ الحسن الذي أوتِيَهُ محمد ﷺ؛ فالنبي ﷺ بلغ الغاية في الحُسن، ويوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ بلغ شَطْر تلك الغاية، قالوا: ويحقّق ذلك ما رواه الترمذي من حديث قتادة عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: ما بعث الله نبيًّا إلَّا حَسَنَ الوَجهِ، حَسَنَ الصَّوت، وكان نبيُّكم ﷺ أحسَنَهم وجهًا، وأحسَنَهم صوتًا.

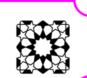
والظاهر: أن معناه: أن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ اختص عن الناس بشطْر الحُسن، واشترك الناس كلهم في شطره، فانفرد عنهم بشطره وحده، هذا ظاهر اللفظ، فلماذا يُعدل عنه؟ واللام في =

فَرَحَّبَ ودَعَا لِي بِخَيْرٍ»(١).



عُرُوجُه ﷺ إلى السماء الرابعة

قال رسول الله ﷺ: «ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عليه السلام قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لنَا، فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ عليه السلام، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ» ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾ [مريم: ٥٧](٢).



عُرُوجُه ﷺ إلى السماء الخامسة

قال رسول الله ﷺ: «ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عليه السلام قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لنَا، فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ عليه السلام

= (الحُسن) للجنس، لا للحسن المعين المعهود المختص بالنبي ﷺ، وما أدري ما الذي حملهم على العدول عن هذا إلى ما ذكروه!

وحديث أنس رضي الله عنه لا يُنافي هذا؛ بل يدل على أن النبي ﷺ كان أحسن الأنبياء عليهم السلام وجهًا وأحسنهم صوتًا، ولا يلزم من كونه ﷺ أحسنهم وجهًا ألا يكون يوسف عليه السلام اختص عن الناس بشطْر الحُسن، واشتركوا هم في الشطر الآخر، ويكون النبي ﷺ قد شارك يوسف عليه السلام فيما اختص به من الشطر، وزاد عليه بحسن آخر من الشطر الثاني. والله أعلم.

قلت: الحديث الذي ذكره الإمام ابن القيم ذكره بالمعنى، وأخرجه الإمام الترمذي في الشمائل، رقم الحديث (٣٢٠) عن قتادة، وليس عن أنس رضي الله عنه، وإسناده مُرسَل ضعيف جدًّا.

(١) أخرج ذلك إلى هذا القدر: مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٦٢) (٢٥٩).

(٢) أخرج ذلك إلى هذا القدر: الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٦٢) (٢٥٩).

فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ»[١] .



عُرُوجُه ﷺ إلى السماء السادسة

قال رسول الله ﷺ: «ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عليه السلام قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى عليه السلام فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ»[٢] .



عُرُوجُه ﷺ إلى السماء السابعة

قال رسول الله ﷺ: «ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عليه السلام، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ عليه السلام مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ[٣]، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ[٤] لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ»[٥] .

«فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا إِبْرَاهِيمُ عليه السلام، فقال جبريل: هَذَا أَبُوكَ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ.

---

(١) أخرج ذلك إلى هذا القدر: الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٦٢) (٢٥٩).

(٢) أخرج ذلك إلى هذا القدر: الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٦٢) (٢٥٩).

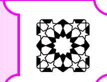
(٣) قال الحافظ في الفتح (٦/ ٤٥٣): أكثر الروايات أنه في السماء السابعة.
وروَى الحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٣٧٨٤) بسند صحيح عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«البيت المعمور في السماء السابعة، يدخله كلَّ يوم سبعون ألف مَلَك، لا يعودون إليه حتى تقوم الساعة»**.

(٤) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٧/ ٤٢٧): يعني: يتعبدون فيه ويطوفون، كما يطوف أهل الأرض بكعبتهم، كذلك ذاك البيت، هو كعبة أهل السماء السابعة.

(٥) أخرج ذلك إلى هذا القدر: الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٦٢) (٢٥٩).

فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلَامَ، قَالَ: مَرْحَبًا بِالِابْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ»[(١)].

وروَى الإمام التِّرمِذي في «جامعه» بسند حسن بالشواهد عن ابن مسعود ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَقِيتُ إبراهيم ليلة أُسْرِيَ بي، فقال: يا محمدُ، أَقْرِئْ أُمَّتَكَ منِّي السلام، وأَخْبِرْهم أن الجنة طيِّبة التُّربة، عَذْبة الماء، وأنها قِيعَانٌ**[(٢)] **وأن غِرَاسَها**[(٣)]: **سبحان الله، والحمد لله، ولا إلٰه إلا الله، والله أكبر**»[(٤)].



عَرْضُ الآنِيَة عند البيت المعمور

قال رسول الله ﷺ: «**ثُمَّ رُفِعَ لِيَ البَيْتُ المَعْمُورُ، ثُمَّ أُتِيتُ بإِنَاءٍ مِن خَمْرٍ، وإِنَاءٍ مِن لَبَنٍ، وإِنَاءٍ مِن عَسَلٍ، فأَخَذْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ: هي الفِطْرَةُ الَّتي أنت عَلَيْهَا وأُمَّتُكَ**»[(٥)].

وفي رواية الإمام مسلم: قال رسول الله ﷺ: «**ثُمَّ رُفِعَ لِيَ البَيْتُ المَعْمُورُ، فَقُلْتُ: يا جِبْرِيلُ، ما هذا؟ قالَ: هذا البَيْتُ المَعْمُورُ، يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوم سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا منه لَمْ يَعُودُوا فيه آخِرَ ما عَلَيْهِم، ثُمَّ أُتِيتُ بإِنَاءَيْنِ؛ أَحَدُهُما خَمْرٌ والآخَرُ لَبَنٌ**[(٦)] **فَعُرِضا عَلَيَّ، فاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فقِيلَ:**

---

(١) أخرج ذلك إلى هذا القدر: الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٨٨٧).

(٢) قال المباركفوري في تحفة الأحوذي (٩/ ٣٩٨): **قيعان**، بكسر القاف، جمع قاع: وهي الأرض المستوية الخالية من الشجر.

(٣) قال المباركفوري في تحفة الأحوذي (٩/ ٣٩٨): **غراسها**، بكسر الغين، جمع غَرْس، بالفتح: وهو ما يُغرس؛ أي: يستره تراب الأرض من نحو البَذْر؛ لينبُتَ بعد ذلك.

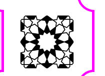
(٤) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه، رقم الحديث (٣٧٦٧)، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٣٥٥٢) من حديث أبي أيوب الأنصاري.

(٥) أخرج ذلك إلى هذا القدر: الإمام البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج، رقم الحديث (٣٨٨٧).

(٦) قال الحافظ في الفتح (٧/ ٦١٨): أما الاختلاف في عدد الآنية وما فيها فيُحمل على أن بعض الرواة ذكَر ما لم يذكره الآخر.

أَصَبْتَ، أصابَ اللهُ بكَ! أُمَّتُكَ علَى الفِطْرَةِ»[(١)].

قال الحافظ في «الفتح»: يَحتمِل أن يكون السِّرُّ فيه[(٢)] ما وقع في بعض طرق الإسراء أنه ﷺ عَطِش[(٣)] فآثَرَ اللبن دون غيره؛ لِمَا فيه من حصول حاجته، دون الخمر والعسل، فهذا هو السبب الأصلي في إيثار اللبن، وصادَف مع ذلك رُجحانَه عليهما من عدة جهات[(٤)].



سِدْرَةُ المُنتهى

قال رسول الله ﷺ: «**ثم ذَهَبَ بي إلى السِّدْرَةِ[(٥)] المُنْتَهَى[(٦)]، وإذا ورَقُها كآذانِ الفِيَلَةِ، وإذا ثَمَرُها كالقِلَالِ[(٧)]، فلما غشِيَها من أمرِ اللهِ ما غَشِيَ، تغيَّرتْ،**

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٦٤) (٢٦٤).

(٢) يعني: اختياره ﷺ اللبن على غيره.

(٣) الطريق التي أشار إليها الحافظ أخرجها البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٣٥٦)، وقال: إسناده صحيح.

(٤) انظر: فتح الباري (١١/ ٢٠٣).

(٥) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٢/ ١٨٥): هكذا وقع في الأصول: «السدرة» بالألف واللام، وفي الروايات بعد هذا: «سدرة المنتهى»،

(٦) هي في السماء السابعة، وسبب تسميتها بذلك ما رواه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٧٣) عن عبد الله بن مسعود ﵁ قال: لما أُسري برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدرة المنتهى، وهي في السماء السادسة، إليها ينتهي ما يُعرَج به من الأرض فيُقبض منها، وإليها ينتهي ما يُهبط به من فوقها فيُقبض منها.
قال الحافظ في الفتح (٧/ ٦١٥): ولا يُعارض قوله ﵁: إنها في السادسة ما دلت عليه بقية الأخبار أنه وصل إليها بعد أن دخل في السماء السابعة؛ لأنه يُحمل على أن أصلها في السماء السادسة، وأغصانها وفروعها في السابعة، وليس في السادسة منها إلا أصل ساقها.

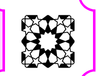
(٧) في رواية أخرى في صحيح البخاري، رقم الحديث (٣٨٨٧): «قِلال هَجَر».
والقِلَال، بكسر القاف، جمع قُلَّة بضم القاف: وهي الجِرَار التي يُستقى بها. انظر: لسان العرب (١١/ ٢٨٨).

=

فما أحدٌ مِن خلْقِ اللهِ يستطيعُ أن يَنْعَتَها؛ من حُسنِها»(١).

وفي رواية الإمام البخاري: قال رسول الله ﷺ: **«ثم انطلَق بي حتى انتهَى بي إلى سِدْرَة المُنْتَهَى، وغَشِيَها ألوانٌ لا أَدْرِي ما هي!»**(٢).

وفي «صحيح مسلم»: تلا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قوله تعالى: ﴿إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ۝١٦﴾ [النجم: ١٦] فقال: فَرَاشٌ مِن ذَهَبٍ(٣).



رؤيته ﷺ جبريل عليه السلام على صورته الحقيقية

رأى رسولُ الله ﷺ جبريلَ عليه السلام على صورته التي خلَقه الله عليها، عند سِدرة المُنتهى، وكان جبريل عليه السلام يأتي رسول الله ﷺ في صُوَر مختلفة، وأكثر ما يأتيه بصورة دِحْية بن خليفة الكَلْبي رضي الله عنه(٤).

قال الله تعالى: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ(٥) ۝١٥ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ(٦) ۝١٧ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ۝١٨﴾ [النجم: ١٢ ـ ١٨].

= وقال ابن الأثير في النهاية (٤/ ٩١): **هَجَر**: قرية قريبة من المدينة، وليست هَجَر البحرين، وكانت تُعمَل بها القِلال، تأخذ الواحدة منها مزادة من الماء، سُميت قُلَّة؛ لأنها تُقَلُّ؛ أي: تُرفَع وتُحمَل.

(١) أخرج ذلك إلى هذا القدر: الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٦٢) (٢٥٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٤٩).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٧٣).

(٤) روى الإمام أحمد في مسنده رقم الحديث (٥٨٥٧) بسند صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان جبريل عليه السلام يأتي النبي ﷺ في صورة دِحْية.

(٥) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٧/ ٤٥١): هذه هي المرة الثانية التي رأى رسول الله ﷺ فيها جبريل عليه السلام في صورته التي خلقه الله عليها، وكانت ليلة الإسراء.

(٦) قال الإمام ابن القيم في مدارج السالكين (٣/ ١٥١): وفي هذه الآية أسرارٌ عجيبة، وهي =

وروَى الإمام أحمد في «مسنده» بسند حسن عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال في هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [النجم: ١٣] قال: قال رسول الله ﷺ: «**رَأَيْتُ جِبْرِيلَ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، عَلَيْهِ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ، يَنْتَثِرُ مِنْ رِيشِهِ التَّهَاوِيلُ؛ الدُّرُّ وَالْيَاقُوتُ**»[١].

وقال الإمام البيهقي: وقول عائشة، وابن مسعود، وأبي هريرة، في حملهم هذه الآيات على رؤيته جبريل عليه السلام: أصحُّ[٢].

قال الحافظ ابن كثير: وهذا الذي قاله البيهقي هو الحق في هذه المسألة... وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾﴾ [النجم: ٨] إنما هو جبريل عليه السلام كما ثبت ذلك في «الصحيحَين» عن عائشة أم المؤمنين[٣]، وعن ابن مسعود[٤]،

= من غوامض الآداب اللائقة بأكمل البشر، صلوات الله وسلامه عليه، تواطأ هناك بصَرُه وبصيرتُه، وتوافَقَا وتصادَقَا، فما يشاهده بصره فالبصيرة مواطئة له، وما شاهدته بصيرته فهو أيضًا حق مشهود بالبصر؛ فتواطأ في حقه مشهد البصر والبصيرة؛ ولهذا كان مركوبُه في مَسراه يسبق خَطْوُهُ الطَّرْفَ، فيضع قدمه عند منتهى طَرْفِه.... مشاكلًا لحال راكبه، وبُعْدِ شَأْوِه الذي سبق به العالَم أجمَعَ في سيره، فكان قَدَمُ البراق لا يتخلَّف عن موضع نظره، كما كان قدمه ﷺ لا يتأخر عن محل معرفته.

(١) **التهاويل والدر والياقوت**: أي: الأشياء المختلفة الألوان، أراد بالتهاويل تزايين ريشه وما فيه من صُفرة وحُمرة وبياض وخُضرة، مثل تهاويل الرِّياض. انظر: لسان العرب (١٥/ ١٦١).

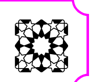
والحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٣٩١٥)، وأورده الحافظ ابن كثير في تفسيره (٧/ ٤٥١) وقال: وهذا إسناد جيِّدٌ قويٌّ.

(٢) انظر: دلائل النبوة (٢/ ٣٨٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٢٣٥)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث، (١٧٧) (٢٨٧).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٨٥٦)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٧٤).

وكذلك هو في «صحيح مسلم» عن أبي هريرة[(١)] رضي الله عنه ولا يُعرَف لهم مخالف من الصحابة في تفسير هذه الآية بهذا[(٢)].



دخول النبي ﷺ الجنة

قال رسول الله ﷺ: «**ثُمَّ أُدْخِلْتُ الجَنَّةَ، فَإِذَا فِيهَا جَنَابِذُ[(٣)] اللُّؤْلُؤِ، وَإِذَا تُرَابُهَا المِسْكُ**»[(٤)].

وروَى الإمام أحمد في «مُسنَده» والتِّرمِذي في «جامعه» بسند حسن عن حُذيفة بن اليَمَان رضي الله عنهما قال: «وَاللهِ مَا زَايَلَا الْبُرَاقَ[(٥)] حَتَّى فُتِحَتْ لَهُمَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، فَرَأَيَا الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَوَعْدَ الْآخِرَةِ أَجْمَعَ»[(٦)].

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٧٥).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٨).

(٣) **الجنابذ**: جمع جُنْبُذة، وهي القُبَّة. انظر: النهاية (١/ ٢٩٤).

(٤) أخرج ذلك إلى هذا القدر: الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٣٤٢)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٦٣).

(٥) في رواية الترمذي: ظَهْرَ البُراق.

ومعناه: ما فارق رسول الله ﷺ وجبريل عليه السلام ظَهْرَ البُراق في صعودهما إلى السَّمٰوات، وهذا مخالف لما في صحيح مسلم، رقم الحديث (١٦٢/ ٢٥٩) من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**فربطتُه بالحلقة التي يربط بها الأنبياء**».

قال الإمام البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٣٦٥): وأما الربط فقد رُوِّيناه في حديث غيره، **والبُراق**: دابة مخلوقة، ورَبْط الدواب عادة معهودة، وإن كان الله عز وجل لقادرًا على حفظها، والخبر المُثبِت أولى من النافي. وبالله التوفيق.

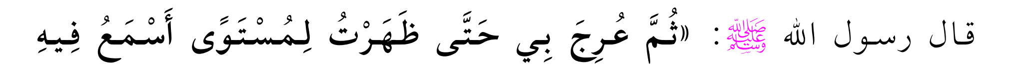
وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٥/ ٢١): وهذا الذي قاله حذيفة رضي الله عنه نفي، وما أثبَتَه غيره عن رسول الله ﷺ من ربط الدابة بالحلقة، ومن الصلاة بالبيت المقدَّس: مُقدَّم على قوله.

(٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٣٢٨٥)، والترمذي في جامعه، رقم الحديث (٣٤١٤) وقال: حديث حسن صحيح.

رؤية النبي ﷺ نهر الكوثر

روى الإمام البخاري في «صحيحه» عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لَمَّا عُرِجَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى السَّمَاءِ قَالَ: «**أَتَيْتُ عَلَى نَهَرٍ حَافَتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ مُجَوَّفًا، فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الكَوْثَرُ**»(١).

ورَوَى أبو داود في «سُننه» بسند صحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لَمَّا عُرِجَ بِنَبِيِّ اللهِ ﷺ فِي الْجَنَّةِ ـ أَوْ كَمَا قَالَ ـ عُرِضَ لَهُ نَهْرٌ حَافَتَاهُ الْيَاقُوتُ الْمُجَيَّبُ(٢) ـ أَوْ قَالَ: الْمُجَوَّفُ ـ فَضَرَبَ الْمَلَكُ الَّذِي مَعَهُ يَدَهُ، فَاسْتَخْرَجَ مِسْكًا، فَقَالَ مُحَمَّدٌ ﷺ لِلْمَلَكِ الَّذِي مَعَهُ: «**مَا هَذَا؟**» قَالَ: الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ اللهُ عز وجل(٣).



لقاء الرسول ﷺ بربه سبحانه(٤) وفرض الصلوات(٥)

قال رسول الله ﷺ: «**ثُمَّ عُرِجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوًى أَسْمَعُ فِيهِ**

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث (٤٩٦٤).

(٢) **المُجَيَّب**، مشددًا، هو من قولهم: جَيَّب يُجيِّب، فهو مُجيَّب؛ أي: مُقوَّر. وكذلك بالواو. انظر: النهاية (١/ ٣١٢).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، رقم الحديث (٤٧٤٨).

(٤) قال الإمام ابن القيم في مدارج السالكين (٣/ ١٥٣): فلم يَزَل رسول الله ﷺ في خَفَارة كمال أدبه مع الله سبحانه، وتكميل مرتبة عبوديته له، حتى خرق حُجب السَّمٰوات، وجاوز السبع الطباق، وجاوز سدرة المنتهى، ووصل إلى محلٍّ من القُرب سبق به الأولين والآخرين، فانصبَّت إليه هناك أقسام القرب انصبابًا، وانقشعت عنه سحائب الحُجُب ظاهرًا وباطنًا حجابًا حجابًا، وأقيم مقامًا غبطه به الأنبياء والمرسلون.
الخفارة لها عدة معانٍ، والمقصود بها هنا: الحماية والمنعة. انظر: لسان العرب (٤/ ١٥٢).

(٥) قال الإمام القرطبي في تفسيره (١٣/ ١٠): ولا خلاف بين أهل العلم وجماعة أهل السِّيَر أن الصلاة إنما فُرضت على النبي ﷺ بمكة في حين الإسراء حين عُرِج به إلى السماء.

صَرِيفَ الأَقْلَامِ[(١)]، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى ﷺ فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ؛ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ؛ فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ»[(٢)].

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي فَقُلْتُ: يَا رَبِّ، خَفِّفْ عَلَى أُمَّتِي! فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا. قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ؛ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ».

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تبارك وتعالى وَبَيْنَ مُوسَى ﷺ حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ، فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً[(٣)]، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً»[(٤)].

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ» فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قَدْ رَجَعْتُ إِلَى

---

(١) أخرج ذلك إلى هذا القدر: الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٤٩)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٦٣) (٢٦٣).

(٢) في رواية أخرى في صحيح البخاري، رقم الحديث (٣٢٠٧): قال موسى ﷺ: أنا أعلم الناسَ منك؛ عالجتُ بني إسرائيل أشد المعالجة، وإن أمتك لا تُطيق.

(٣) في رواية الإمام الترمذي في جامعه، رقم الحديث (٢١١) بسند صحيح: قال أنس رضي الله عنه: ثم نُودي: يا محمد، إنه لا يُبدَّل القول لديَّ، وإنَّ لك بهذه الخَمْس خمسين.

(٤) قال الحافظ في الفتح (٧/ ٦١٩): هذا من أقوى ما استُدِلَّ به على أن الله سبحانه وتعالى كلَّم نبيَّه محمدًا ﷺ ليلة الإسراء بغير واسطة.

وقال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٣/ ١٢٢): فحصل له التكليم من الرب سبحانه وتعالى ليلتئذ، وأئمةُ السُّنة كالمُطْبِقين على هذا.

رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ!»[١].

الراجح أن رسول الله ﷺ لم يَرَ رَبَّه ليلة المعراج

اختَلَف السلف والخلف: هل رأى رسولُ الله ﷺ ربَّه ليلة المعراج أم لا؟ على قولَين مشهورَين.

قال الحافظ في «الفتح»: ذهبت عائشة[٢] وابن مسعود[٣] رضي الله عنهما إلى إنكارها، واختُلف على أبي ذرٍّ رضي الله عنه[٤] ثم اختَلَفوا: هل رآه بعَينه أو بقَلْبِه؟

فجاءت عن ابن عباس رضي الله عنهما أخبار مُطلَقة[٥]، وأخرى مقيَّدة[٦]، فيجب حَمْلُ مُطلَقها على مُقَيَّدِها[٧].

وقال الحافظ ابن كثير: ولا يصحُّ في ذلك شيء[٨] عن الصحابة رضي الله عنهم، وقولُ البغوي في تفسيره[٩]: وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه، وهو قول أنس، والحسن، وعِكْرمة ـ فيه نظرٌ، والله أعلم[١٠].

---

(١) أخرج ذلك إلى هذا القدر: الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٦٢) (٢٥٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٨٥٥)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٧٧/ ٢٨٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٨٥٧)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٧٤).

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٧٨) (٢٩١) (٢٩٢).

(٥) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه، رقم الحديث (٣٥٦٤)، وابن حبان في صحيحه، رقم الحديث (٥٧) وإسناده حسن.

(٦) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٧٦) (٢٨٤) (٢٨٥).

(٧) انظر: فتح الباري (٩/ ٥٨٩).

(٨) يعني: رُؤية النبيِّ ﷺ رَبَّه سبحانه وتعالى ليلة المعراج.

(٩) انظر: تفسير البغوي (٤/ ٢٤٣).

(١٠) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٤٤٨).

وقال الإمام البيهقي: وفي حديث شَرِيك[١] زيادةٌ[٢] تَفرَّد بها على مذهب مَن زعَم أنه ﷺ رأى ربَّه ﷻ، وقول عائشة، وابن مسعود، وأبي هريرة ﷺ، في حَمْلِهم هذه الآيات على رؤيته جبريلَ عليه السلام: أصحُّ[٣].

قال الحافظ ابن كثير معلِّقًا على كلام البيهقي: وهذا الذي قاله البيهقي هو الحق في هذه المسألة[٤].

وقال الإمام ابن القيم: واختَلَف السلف والخلَف: هل حصَل هذا لسيِّد ولد آدم صلوات الله وسلامه عليه؟

فالأكثرون على أنه لم يَرَهُ سبحانه، وحكاه عثمان بن سعيد الدارِمي إجماعًا من الصحابة، فمَن ادَّعَى كَشْف العِيَان البصري عن الحقيقة الإلٰهية، فقد وَهِمَ وأخطأ، وإن قال: إنما هو كشْف العِيَان القلبي، بحيث يصير سبحانه كأنه مَرْئِيٌّ للعبد، كما قال النبي ﷺ: «**اعبُدْ اللهَ كأنك تَرَاه**»[٥]، فهذا حق، وهو قوة يقين ومزيد علم فقط.

نعم، قد يَظهر له نور عظيم، فيَتوهَّم أن ذلك نور الحقيقة وأنها تجلَّت له، وذلك غلَط أيضًا؛ فإن نور الرب تعالى لا يقوم له شيء، ولما ظهر للجبل منه أدنى شيء، ساخ[٦] الجبل وتَدَكْدَكَ[٧].

---

(١) حديث شَريك أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٧٥١٧).

(٢) الزيادة هي: «ودنا الجبَّار رب العزة، فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى».
قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٥/٧): إنَّ شريك بن عبد الله بن أبي نَمِر اضطرب في هذا الحديث، وساء حفظُه ولم يضبِطْه.

(٣) انظر: دلائل النبوة (٢/٣٨٥).

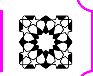
(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٥/٨).

(٥) أخرج هذا الحديث: البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٥٠)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٩).

(٦) **ساخ**: انخسف. انظر: لسان العرب (٦/٤١٩).

(٧) انظر: مدارج السالكين (٤/١١٩).

وقال الإمام الذهبي: ولم يأتِنا نص جَلِيٌّ بأن النبي ﷺ رأى اللهَ تعالى بعَينيه، وهذه المسألة مما يَسَع المرءَ المسلمَ في دينه السكوتُ عنها، فأما المنام فجاءت من وجوه متعددة مستفيضة، وأما رُؤية الله عِيَانًا في الآخرة فأمر مُتيقَّن تواتَرَت به النصوص(١).



رجوع النبي ﷺ إلى مكة وإخبار الناس بمَسْرَاه

ثم هبط جبريل عليه السلام برسول الله ﷺ من السَّمٰوات إلى المسجد الأقصى، ثم رَكِبَا البُرَاق وعادَا إلى مكة قبل الصبح.

روى الإمام أحمد في «مُسنَده» بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أُسْرِيَ بالنبي ﷺ إلى بيت المقدس، ثم جاء من ليلته، فحدَّثهم بمَسِيره، وبعلامة بيت المقدِس وبعِيرِهم(٢).

ورَوَى الإمام أحمد في مُسنَده وابن أبي شيبة في «مُصَنَّفِه» بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَمَّا كَانَ لَيْلَةُ أُسْرِيَ بِي، وَأَصْبَحْتُ بِمَكَّةَ، فَظِعْتُ بِأَمْرِي، وَعَرَفْتُ أَنَّ النَّاسَ مُكَذِّبِيَّ**»، فَقَعَدَ مُعْتَزِلًا حَزِينًا، قَالَ: فَمَرَّ بِهِ عَدُوُّ اللهِ أَبُو جَهْلٍ، فَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ كَالْمُسْتَهْزِئِ: هَلْ كَانَ مِنْ شَيْءٍ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ**» قَالَ: مَا هُوَ؟ فَقَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «**إِنِّي أُسْرِيَ بِي اللَّيْلَةَ**» قَالَ: إِلَى أَيْنَ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ**» قَالَ: ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْنَا؟! قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ**» قَالَ: فَلَمْ يُرِهِ

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ١٦٧).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٣٥٤٦)، وأورده الحافظ ابن كثير في تفسيره (٥/ ٢٨) وصَحَّح إسناده، وحسَّنه الألباني في السلسلة الضعيفة (٤/ ٤٣٩).

أَنَّهُ يُكَذِّبُهُ مَخَافَةَ أَنْ يَجْحَدَهُ الْحَدِيثَ إِنْ دَعَا قَوْمَهُ إِلَيْهِ، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ دَعَوْتُ قَوْمَكَ تُحَدِّثُهُمْ مَا حَدَّثْتَنِي؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ**»،

فَقَالَ: هَيَّا مَعْشَرَ بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ[(١)]، حَتَّى قَالَ: فَانْتَفَضَتْ إِلَيْهِ الْمَجَالِسُ وَجَاؤوا حَتَّى جَلَسُوا إِلَيْهِمَا، قَالَ: حَدِّثْ قَوْمَكَ بِمَا حَدَّثْتَنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنِّي أُسْرِيَ بِي اللَّيْلَةَ**» قَالُوا: إِلَى أَيْنَ؟

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ**» قَالُوا: ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْنَا؟! قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ**»، قَالَ: فَمِنْ بَيْنِ مُصَفِّقٍ، وَمِنْ بَيْنِ وَاضِعٍ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ، مُتَعَجِّبًا لِلكَذِبِ، قَالُوا: وَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَنْعَتَ[(٢)] لَنَا الْمَسْجِدَ؟ وَفِي الْقَوْمِ مَنْ قَدْ سَافَرَ إِلَى ذَلِكَ الْبَلَدِ وَرَأَى الْمَسْجِدَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَذَهَبْتُ أَنْعَتُ، فَمَا زِلْتُ أَنْعَتُ حَتَّى الْتَبسَ عَلَيَّ بَعْضُ النَّعْتِ، فَجِيءَ بِالْمَسْجِدِ**[(٣)] **وَأَنَا أَنْظُرُ، حَتَّى وُضِعَ دُونَ دَارِ عِقَالٍ ـ أَوْ عُقَيْلٍ ـ، فَنَعَتُّهُ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ**» فَقَالَ الْقَوْمُ: أَمَّا النَّعْتُ فَوَاللهِ لَقَدْ أَصَابَ[(٤)].

وفي رواية الإمام مسلم في «صحيحه»: قال رسول الله ﷺ: «**لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحِجْرِ، وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ، فَسَأَلَتْنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمْ أُثْبِتْهَا، فَكُرِبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ**» قَالَ: «**فَرَفَعَهُ اللهُ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ، مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ!**»[(٥)].

---

(١) زاد ابن أبي شيبة في مصنَّفه: هَلُمَّ.

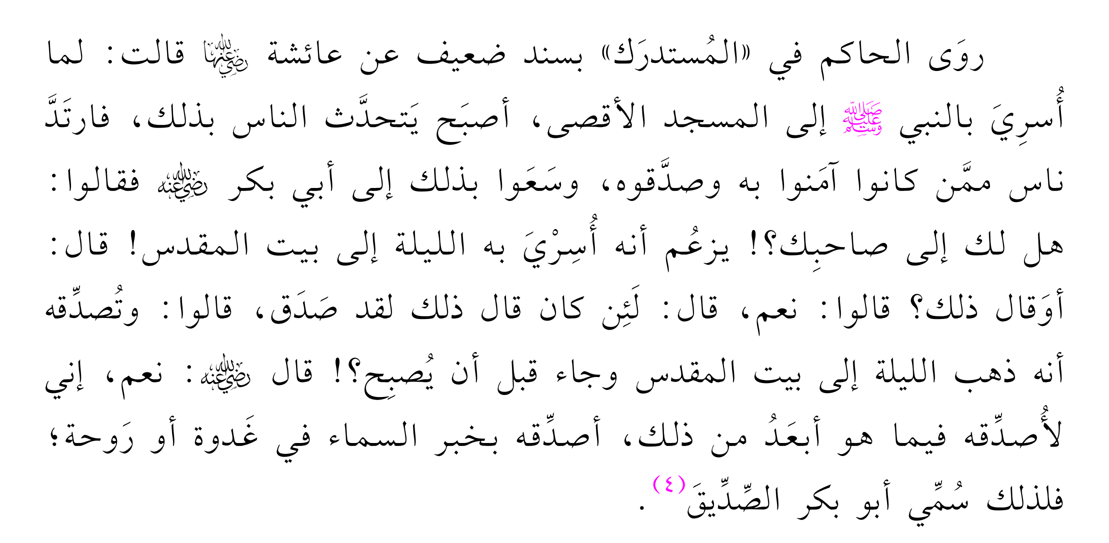
(٢) **النَّعت**: وَصْفُك الشيء. انظر: لسان العرب (١٤/ ١٩٧).

(٣) قال الحافظ في الفتح (٧/ ٥٩٩): وهذا أبلغ في المعجزة، ولا استحالة فيه؛ فقد أُحضِرَ عرش بلقيس في طرفة عين لسليمان عليه السلام وهو يقتضي أنه أُزيل من مكانة حتى أُحضر إليه، وما ذلك في قدرة الله بعزيز!

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٨١٩)، وابن أبي شيبة في مصنَّفه، رقم الحديث (٣٢٣٥٨).

(٥) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٧٢).

وروَى الإمام البخاري في «صحيحه» عن جابر بن عبد الله ﵄ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**لَمَّا كَذَّبَتْنِي قُرَيْشٌ، قُمْتُ فِي الحِجْرِ، فَجَلَا**[١] **اللهُ لِي بَيْتَ المَقْدِسِ، فَطَفِقْتُ**[٢] **أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ**»[٣].



تصديق أبي بكر ﵁ رسول الله ﷺ في خبر مسراه

روَى الحاكم في «المُستدرَك» بسند ضعيف عن عائشة ﵂ قالت: لما أُسرِيَ بالنبي ﷺ إلى المسجد الأقصى، أصبَح يَتحدَّث الناس بذلك، فارتَدَّ ناس ممَّن كانوا آمَنوا به وصدَّقوه، وسَعَوا بذلك إلى أبي بكر ﵁ فقالوا: هل لك إلى صاحبِك؟! يزعُم أنه أُسِرْيَ به الليلة إلى بيت المقدس! قال: أوَقال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: لَئِن كان قال ذلك لقد صَدَق، قالوا: وتُصدِّقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يُصبِح؟! قال ﵁: نعم، إني لأُصدِّقه فيما هو أبعَدُ من ذلك، أصدِّقه بخبر السماء في غَدوة أو رَوحة؛ فلذلك سُمِّي أبو بكر الصِّدِّيقَ[٤].

* وجزم الإمام الطحاوي بأن سبب تسمية أبي بكر ﵁ بالصِّدِّيق؛ لِسَبْقِه الناسَ إلى تصديق رسول الله ﷺ في الإسراء لبيت المقدس، فقال: ولأنَّ السَّبْق إلى المعرفة للأشياء يُوجب الفضيلة للسابِقين إليها، كما وجب لأبي بكر ﵁ بسَبْقه الناسَ إلى تصديقه رسول الله ﷺ على إتيانه بيتَ المقدس من مكة ورجوعه منه إلى منزله بمكة في تلك الليلة، حتى سُمي

---

(١) قال الحافظ في الفتح (٧/ ٥٩٩): معناه: كُشِفَ الحُجب بيني وبينه حتى رأيتُه.

(٢) **طَفِق**: أخذ وجعل. انظر: النهاية (٣/ ١١٨).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٨٨٦).

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٤٤٥٥)، وأورد طُرُقَه الألبانيُّ في السلسلة الصحيحة، رقم الحديث (٣٠٦) ومال إلى تصحيحه.

بذلك الصِّدِّيقَ، وإن كان المؤمنون جميعًا يَشهدون لرسول الله ﷺ بمثل ذلك إذا وقفوا عليه[١].

وروَى البيهقي في «دلائل النبوة» بسند صحيح عن شدَّاد بن أوس رضي الله عنه قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ أُسْرِيَ بِكَ؟ قَالَ: «**صَلَّيْتُ لِأَصْحَابِي صَلَاةَ الْعَتَمَةِ بِمَكَّةَ مُعْتِمًا، وَأَتَانِي جِبْرِيلُ** عليه السلام **بِدَابَّةٍ بَيْضَاءَ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ**...» وذكَر قصة الإسراء والمعراج، ثم قال: «**ثُمَّ أَتَيْتُ أَصْحَابِي قَبْلَ الصُّبْحِ بِمَكَّةَ، فَأَتَانِي أَبُو بَكْرٍ**» رضي الله عنه فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيْنَ كُنْتَ اللَّيْلَةَ؟ فَقَدِ الْتَمَسْتُكَ فِي مَكَانِكَ. فَقَالَ ﷺ: «**عَلِمْتَ أَنِّي أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ اللَّيْلَةَ؟!**» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّهُ مَسِيرَةُ شَهْرٍ، فَصِفْهُ لِي، قَالَ: «**فَفُتِحَ لِي صِرَاطٌ**[٢] **كَأَنِّي أَنْظُرُ فِيهِ، لَا يَسَلنِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُهُ عَنْهُ**» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: انْظُرُوا إِلَى ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ[٣] يَزْعُمُ أَنَّهُ أَتَى بَيْتَ الْمَقْدِسِ اللَّيْلَةَ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ مِنْ آيَةِ مَا أَقُولُ لَكُمْ أَنِّي مَرَرْتُ بِعِيرٍ لَكُمْ بِمَكَانِ كَذَا وَكَذَا، قَدْ أَضَلُّوا بَعِيرًا لَهُمْ، فَجَمَعَهُ فُلَانٌ، وَإِنَّ مَسِيرَهُمْ يَنْزِلُونَ بِكَذَا ثُمَّ بِكَذَا، وَيَأْتُونَكُمْ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، يَقْدُمُهُمْ جَمَلٌ آدَمُ**[٤] **عَلَيْهِ مِسْحٌ أَسْوَدُ وَغِرَارَتَانِ سَوْدَاوَانِ**»، فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ أَشْرَفَ النَّاسُ يَنْتَظِرُونَ، حَتَّى كَانَ قَرِيبٌ مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ، حَتَّى أَقْبَلَتِ الْعِيرُ، يَقْدُمُهُمْ ذَلِكَ الْجَمَلُ الَّذِي وَصَفَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ[٥]!

---

(١) انظر: شرح مشكل الآثار (٣/ ٣٩٤).

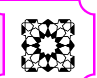
(٢) **الصراط**: الطريق. انظر: لسان العرب (٧/ ٣٢٦).

(٣) يعنُون بذلك: رسول الله ﷺ.

(٤) **الآدم**: الأسمر. انظر: لسان العرب (١/ ٩٧).

(٥) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٣٥٦، ٣٥٧) وقال: إسناده صحيح.
قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٥/ ٢٧): ولا شك أن هذا الحديث، أعني: الحديث المروي عن شداد بن أوس رضي الله عنه، مشتمل على أشياء؛ منها ما هو صحيح كما ذكره =

قال الحافظ ابن كثير: وقد عايَن رسولُ الله ﷺ في تلك الليلة من الآيات والأمور التي لو رآها أو بعضَها غيرُه، لأصبح مندهشًا أو طائش العقل، ولكنه ﷺ أصبح ساكنًا، يَخشى إن بَدَأ فأخبَرَ قومه بما رأى أن يُبادِروا إلى تكذيبه، فتلطَّف بإخبارهم أولًا بأنه جاء بيت المقدس في تلك الليلة[١].



نزول الوحي لبيان المواقيت

قال الإمام القرطبي: ولم يَختلفوا في أن جبريل عليه السلام هبَط صَبِيحة ليلة الإسراء عند الزوال، فعلَّم النبي ﷺ الصلاة ومواقيتها[٢].

وقال الحافظ ابن كثير: فلما كان ليلةُ الإسراء قبل الهجرة بسنة ونصف[٣] فرَض الله على رسوله ﷺ الصلوات الخمس، وفَصَّل شروطها وأركانها وما يتعلق بها بعد ذلك شيئًا فشيئًا. والله أعلم[٤].

وروَى الشيخان في «صحيحَيهما» عن ابن شهاب أن عمر بن عبد العزيز أَخَّر الصلاة يومًا، فدخل عليه عروة بن الزبير فأخبره أن المغيرة بن شعبة أَخَّر الصلاة يومًا وهو بالعراق[٥]، فدخل عليه أبو مسعود الأنصاري فقال: ما هذا يا مغيرة؟! أليس قد عَلِمْتَ أن جبريل ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ نزَل فصلَّى، فصلَّى رسول الله ﷺ ثم صلَّى، فصلَّى رسول الله ﷺ، ثم صلَّى،

= البيهقي، ومنها ما هو منكَر؛ كسؤال الصديق رضي الله عنه عن نعت بيت المقدس، وغير ذلك. والله أعلم.

(١) انظر: البداية والنهاية (٣/ ١٢٣).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (١٣/ ١٤).

(٣) ذكرتُ فيما تقدم أنه لم يثبُتْ شيء في تحديد وقت الإسراء والمعراج.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ١٦٤).

(٥) في رواية الإمام مسلم: بالكوفة.

فصلَّى رسول الله ﷺ، ثم صلَّى، فصلَّى رسول الله ﷺ، ثم صلَّى، فصلَّى ﷺ، ثم قال: «**بِهَذَا أُمِرْتُ**»[(١)].

وروَى الإمام أحمد في «مُسنَده» والحاكم في «مُستدرَكه» بسند صحيح عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ حِينَ زَالَتِ الشَّمْسُ، فَقَالَ: «قُمْ يَا مُحَمَّدُ فَصَلِّ الظُّهْرَ» فَقَامَ فَصَلَّى الظُّهْرَ حِينَ زَالَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ مَكَثَ حَتَّى كَانَ فَيْءُ الرَّجُلِ لِلْعَصْرِ مِثْلَهُ، فَجَاءَ، فَقَالَ: «قُمْ يَا مُحَمَّدُ فَصَلِّ الْعَصْرَ» فَقَامَ فَصَلَّى الْعَصْرَ، ثُمَّ مَكَثَ حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ فَقَالَ: «قُمْ فَصَلِّ الْمَغْرِبَ» فَقَامَ فَصَلَّاهَا حِينَ غَابَتِ الشَّمْسُ سَوَاءً، ثُمَّ مَكَثَ حَتَّى ذَهَبَ الشَّفَقُ فَجَاءَهُ، فَقَالَ: «قُمْ فَصَلِّ الْعِشَاءَ» فَقَامَ فَصَلَّاهَا، ثُمَّ جَاءَهُ حِينَ صَدَعَ الْفَجْرُ بِالصُّبْحِ[(٢)]، فَقَالَ: «قُمْ يَا مُحَمَّدُ فَصَلِّ» فَقَامَ فَصَلَّى الصُّبْحَ، ثُمَّ جَاءَهُ مِنَ الْغَدِ حِينَ كَانَ فَيْءُ الرَّجُلِ مِثْلَهُ فَقَالَ: «قُمْ يَا مُحَمَّدُ فَصَلِّ الظُّهْرَ» فَقَامَ فَصَلَّى الظُّهْرَ، ثُمَّ جَاءَهُ حِينَ كَانَ فَيْءُ الرَّجُلِ مِثْلَيْهِ فَقَالَ: «قُمْ يَا مُحَمَّدُ فَصَلِّ الْعَصْرَ» فَقَامَ فَصَلَّى الْعَصْرَ، ثُمَّ جَاءَهُ الْمَغْرِبَ حِينَ غَابَتِ الشَّمْسُ، وَقْتًا وَاحِدًا لَمْ يَزُلْ عَنْهُ، فَقَالَ: «قُمْ فَصَلِّ الْمَغْرِبَ» فَصَلَّى الْمَغْرِبَ، ثُمَّ جَاءَهُ الْعِشَاءَ حِينَ ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلُ فَقَالَ: «قُمْ فَصَلِّ» فَصَلَّى الْعِشَاءَ، ثُمَّ جَاءَهُ الصُّبْحَ حِينَ أَسْفَرَ جِدًّا فَقَالَ: «قُمْ فَصَلِّ الصُّبْحَ» ثُمَّ قَالَ: «مَا بَيْنَ هَذَيْنِ كُلُّهُ وَقْتٌ»[(٣)].

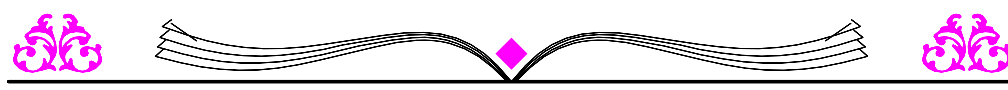
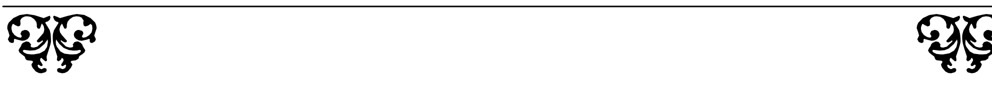
---

(١) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٥/ ٩١): «أُمِرت» رُوي بضم التاء وفتحها، وهما ظاهران.

والحديث أخرجه البخاري، رقم الحديث (٥٢١)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٦١٠) (١٦٧).

(٢) يعني: انشقَّ عنه الليل. انظر: لسان العرب (٧/ ٣٠٣).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٤٥٣٨)، والحاكم في المستدرك رقم الحديث (٧٠٧).

انشقاق القمر

قال الحافظ ابن كثير: وهذا أمر متفَق عليه بين العلماء؛ أن انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي ﷺ، وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات[١].

وروَى الشيخان في «صحيحَيهما» عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يُرِيَهُم آيَةً، فأَرَاهُم القَمَرَ شِقَّيْنِ، حتى رأَوا حِرَاءً[٢] بَيْنَهُما[٣].

وروَى الشيخان في «صحيحَيهما» عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: انشَقَّ القمرُ، ونحن مع النبي ﷺ بمِنًى، فقال: «**اشْهَدُوا**» وذهَبَت فِرْقَةٌ نحوَ الجبَل[٤].

قال الحافظ في «الفتح»: وهذا لا يُعارِض قولَ أنس رضي الله عنه أن ذلك كان بمكة؛ لأنه لم يُصرِّح بأن النبي ﷺ كان لَيْلَتَئِذٍ بمكة، وعلى تقدير تصريحه فمِنًى من جُملة مكة؛ فلا تعارُضَ[٥].

وروَى الطيالسي في «مُسنَده» بسند صحيح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه



(١) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٤٧٢).

(٢) **حِراء**: جبل معروف بمكة. انظر: النهاية (١/ ٣٦٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٨٦٨)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٨٠٢).

(٤) أخرجه البخاري، رقم الحديث (٣٨٦٩)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث، (٢٨٠٠) (٤٤).

(٥) انظر: فتح الباري (٧/ ٥٧٩).

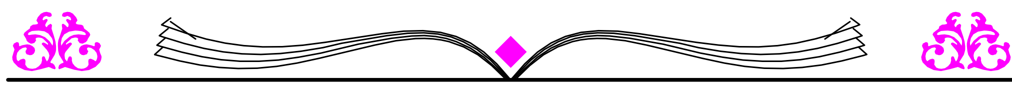
قال: انشَقَّ القمرُ على عهد رسول الله ﷺ فقالت قريش: هذا سِحْرُ ابن أبي كَبْشَةَ! وقالوا: انتَظِرُوا ما يأتيكم به السُّفَّار[١]؛ فإن محمدًا لا يستطيع أن يَسْحَرَ الناسَ كلهم! قال: فجاء السُّفَّار فقالوا ذلك[٢]، وأنزل الله في ذلك قولَه تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ۝٢﴾ [القمر: ١، ٢].

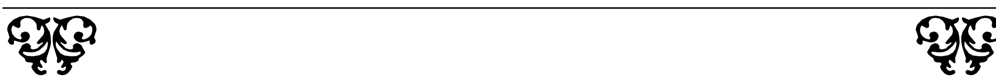
❁ ❁ ❁

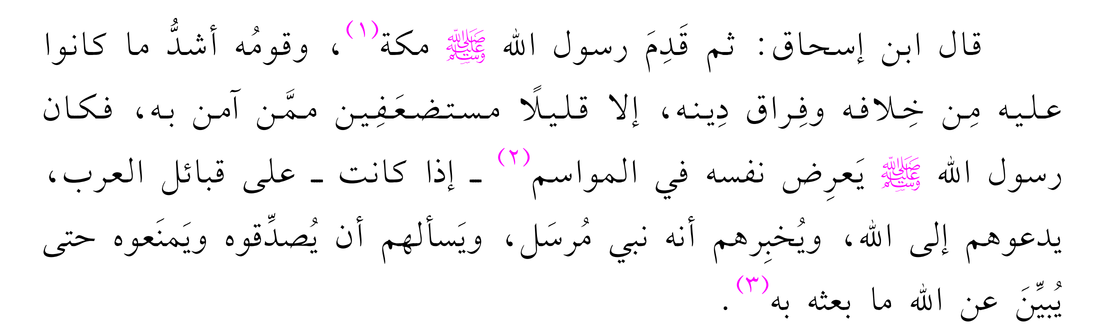
---

(١) **السُّفَّار**: المسافرون. انظر: النهاية (٢/ ٣٣٥).

(٢) أخرجه الطيالسي في مسنده، رقم الحديث (٢٩٣)، وأخرجه مختصَرًا: الطحاوي في شرح مشكل الآثار، رقم الحديث (٦٩٧).







عَرْضُ النبي ﷺ نَفْسَه على قبائل العرب

قال ابن إسحاق: ثم قَدِمَ رسول الله ﷺ مكة(١)، وقومُه أشدُّ ما كانوا عليه مِن خِلافه وفِراق دِينه، إلا قليلًا مستضعَفِين ممَّن آمن به، فكان رسول الله ﷺ يَعرِض نفسه في المواسم(٢) ـ إذا كانت ـ على قبائل العرب، يدعوهم إلى الله، ويُخبِرهم أنه نبي مُرسَل، ويَسألهم أن يُصدِّقوه ويَمنَعوه حتى يُبيِّنَ عن الله ما بعثه به(٣).

ورَوَى الإمام أحمد في «مُسنَده» بسند صحيح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: مكَث رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين يَتَّبَّعُ الناسَ في منازلهم، بعُكَاظَ ومِجَنَّةَ، وفي المواسم بمِنًى، يقول: «**مَن يُؤْوِيني، مَن ينصُرُني حتى أُبلِّغَ رسالة ربي، وله الجنة؟**»(٤).

ورَوَى أبو داود والترمذي وابن ماجه، بسند صحيح، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يَعْرِض نفسَه على الناس بالموقف، فيقول: «**أَلَا رَجُلٌ يَحْمِلُنِي إلى قَوْمِهِ؛ فإنَّ قريشًا قد مَنَعُونِي أن أُبلِّغَ كَلَام رَبِّي** عز وجل»(٥).

---

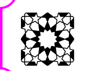
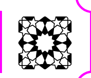
(١) وذلك بعد رجوعه من الطائف.

(٢) أي: مواسم الحج.

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٣٥).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٤٤٥٦).

(٥) أخرجه أبو داود في سننه، رقم الحديث (٤٧٣٤)، والترمذي في جامعه، رقم الحديث (٣١٥٢)، وابن ماجه في سننه، رقم الحديث (٢٠١).

إسلام إيَاس بن مُعَاذ الأَشْهَلِيِّ رضي الله عنه

أسلَم إيَاس بن مُعَاذ رضي الله عنه، وهو أول مَن أسلَم من الأنصار مطلقًا.

وقصة إسلامه رواها الإمام أحمد في «المُسنَد» والحاكم في «المُستدرَك» بسند حسن عن محمود بن لَبيد، أخي بني عبد الأشهَل، قال: لمَّا قَدِم أبو الحَيْسَر أنَس بن رافع مكة، ومعه فِتية من بني عبد الأشهَل، فيهم إيَاس بن مُعَاذ رضي الله عنه يَلتَمِسون الحِلْف من قريش على قومهم من الخزرج، فسَمِع بهم رسول الله ﷺ فأتاهم فجلَس إليهم، فقال: «**هَلْ لَكُمْ إِلَى خَيْرٍ مِمَّا جِئْتُمْ لَهُ؟**» قالوا: وما ذاك؟ قال رسول الله ﷺ: «**أَنَا رَسُولُ اللهِ، بَعَثَنِي إِلَى الْعِبَادِ أَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يَعْبُدُوا اللهَ لَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأُنْزِلَ عَلَيَّ كِتَابٌ**»، ثم ذكَر لهم الإسلام وتَلَا عليهم القرآن، فقال إيَاس بن مُعَاذ رضي الله عنه، وكان غلامًا حَدَثًا: أيْ قومِ، هذا ـ وَاللهِ ـ خير مما جئتم له. قال: فأخذ أبو الحَيْسَر حَفنةً من البَطْحاء[(١)]، فضرَب بها وجه إيَاس بن مُعَاذ رضي الله عنه وقال: دَعْنَا منك، فلَعَمْري لقد جئنا لِغَير هذا! فصمَت إيَاس، فقام رسول الله ﷺ فانصَرَفوا إلى المدينة، فكانت وقعةُ بُعَاث[(٢)] بين الأوس والخزرج. قال: ثم لم يَلْبَث إيَاس بن مُعَاذ رضي الله عنه أن هلَك. قال محمود بن لَبيد: فأخبَرَني مَن حضَره من

---

(١) **البطحاء**: الحصى الصغار. انظر: النهاية (١/ ١٣٤).

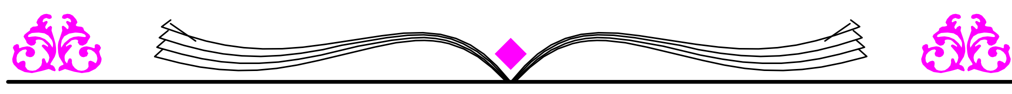
(٢) قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٣/ ١٦٠): كان يوم بُعاث، وبُعاث موضع بالمدينة، كانت فيه وقعة عظيمة قُتِلَ فيها خلق من أشراف الأوس والخزرج وكُبَرائهم، ولم يبقَ من شيوخهم إلا القليل، وقد روى الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٧٧٧)، عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان يوم بُعاث يومًا قدَّمه الله لرسوله ﷺ، فقَدِم رسول الله ﷺ وقد افترق ملَؤُهم، وقُتلت سَرَواتهم وجُرحوا، فقدَّمه الله لرسوله ﷺ في دخولهم في الإسلام.

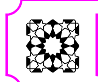
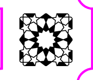
سَرَوَاتهم: خِيَارهم. انظر: لسان العرب (٦/ ٢٥٠).

قومي عند موته أنهم لم يَزالوا يَسمعونه يُهلِّل اللهَ ويُكبِّره ويَحمَده ويُسبِّحه حتى مات، فما كانوا يشكُّون أنْ قد مات مُسْلِمًا، لقد كان استَشْعَر الإسلام في ذلك المجلس حين سَمِع من رسول الله ﷺ ما سَمِع(١).

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٣٦١٩)، والحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٤٨٩١).



بَدء إسلام الأنصار رضي الله عنهم

فلما أراد الله ﷻ إظهار دينه وإعزاز نبيِّه ﷺ وإنجاز موعده له، خرج رسول الله ﷺ في المَوْسِم، كما كان يَصنَع في كل مَوْسِم، فبينما هو عند العَقَبة لَقِيَ رَهْطًا من الخزرج أراد الله بهم خيرًا، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**مَن أنتم؟**» قالوا: نفر من الخزرج، فقال رسول الله ﷺ: «**أَمِنْ مَوَالِي**[(١)] **يَهُودَ؟**» قالوا: نعم، فقال رسول الله ﷺ: «**أَفَلَا تَجْلِسُونَ أُكَلِّمُكُمْ؟**» قالوا: بلى، فجلَسوا معه، فدعاهم إلى الله ﷻ وعرَض عليهم الإسلام، وتَلَا عليهم القرآن، وكان مما صنَع الله بهم في الإسلام أن يَهُودَ كانوا معهم في بلادهم، وكانوا أهلَ كتاب وعِلم، وكانوا هُم[(٢)] أهلَ شِرك وأصحابَ أوثان، وكانوا قد عزُّوهم[(٣)] ببلادهم، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم: إن نبيًّا مبعوثًا الآن قد أظَلَّ زمانُه، نتَّبِعُه فنقتُلُكم معه قَتْلَ عادٍ وإِرَمَ[(٤)].

---

(١) قال السُّهَيلي في الروض الأُنُف (٢/ ٢٤٦): أي: من حُلفائهم.

(٢) أي: الأوس والخزرج.

(٣) **عَزُّوهم**: أي: غَلَبوهم. انظر: لسان العرب (٩/ ١٨٧).

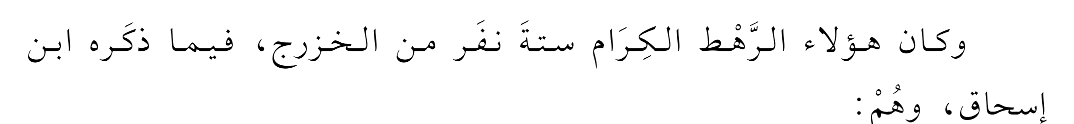
(٤) ذكر الله سبحانه في كتابه الكريم هذا التوعد الذي وقع من اليهود تجاه الأوس والخزرج، فقال تعالى في سورة البقرة، آية (٨٩): ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾.

يَستَفتِحون: يعني: يَستنصرون. انظر: النهاية (٣/ ٣٦٥).

فلما كلَّم رسولُ الله ﷺ أولئك النفرَ ودعَاهم إلى الله، قال بعضهم لبعض: يا قَوم، تَعلَمون ـ وَاللهِ ـ إنه لَلنَّبيُّ الذي توعَّدكم به يَهُودُ! فلا تَسْبِقَنَّكُم إليه، فأجابوه فيما دعَاهم إليه، بأن صَدَّقوه وقَبِلُوا منه ما عرَض عليهم من الإسلام.

وكان هؤلاء النفر من الخزرج من عُقلاء يَثْرِب، أنهَكَتْهم الحرب الأهلية التي مضَت من قريب[(١)]، والتي لا يَزال لَهِيبها مُستَعِرًا، فأمَّلُوا أن تكون دعوته ﷺ سببًا لوضع الحرب.

فقالوا لرسول الله ﷺ: إنَّا قد ترَكْنا قومنا، ولا قومَ بينَهم من العداوة والشر ما بينَهم، فعسى أن يَجمَعهم الله بك، فسنَقْدَم عليهم فنَدْعُوهم إلى أمرك، ونَعْرِض عليهم الذي أَجَبْناك إليه من هذا الدِّين، فإن يَجْمَعْهم الله عليه، فلا رَجُلَ أعَزُّ منك، ثُمَّ انْصَرَفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَاجِعِينَ إِلَى بِلَادِهِمْ، وَقَدْ آمَنُوا وَصَدَّقُوا[(٢)].



أسماء رَهْط الخزرج الكرام رضي الله عنهم

وكان هؤلاء الرَّهْط الكِرَام ستةَ نفَر من الخزرج، فيما ذكَره ابن إسحاق، وهُمْ:

* **من بني النَّجَّار:**

١ ـ أسعدُ بن زُرَارة رضي الله عنه.

٢ ـ عوف بن الحارث رضي الله عنه، وهو ابن عَفْرَاء، وهي أُمُّه.

* **ومن بني زُرَيق:**

٣ ـ رافع بن مالك بن العَجْلان رضي الله عنه.

---

(١) هي: حربُ بُعاث.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٤٢).

* ومن بني سَلِمَةَ[١]:

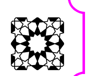
٤ ـ قُطْبة بن عامر رضي الله عنه.

* ومن بني حَرَام بن كعب:

٥ ـ عقبة بن عامر رضي الله عنه.

* ومن بني عُبَيد بن عَدِيٍّ:

٦ ـ جابر بن عبد الله بن رِئَاب رضي الله عنه، وليس هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حَرَام رضي الله عنهما المشهور، أحد المُكْثِرين من الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم[٢].



بيعة العَقَبة الأولى

فلما رجَع هؤلاء النفر الستة إلى المدينة ذكَروا لقومهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ودعَوهم إلى الإسلام حتى فَشَا[٣] فيهم، فلم تَبْقَ دارٌ من دُور الأنصار إلا ذُكِرَ فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

روى الإمام أحمد في «مُسنَده» بسند صحيح عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما قال: . . . حَتَّى بَعَثَنا اللهُ لَهُ مِنْ يَثْرِبَ، فَآوَيْنَاهُ وَصَدَّقْنَاهُ، فَيَخْرُجُ الرَّجُلُ مِنَّا فَيُؤْمِنُ بِهِ وَيُقْرِئُهُ الْقُرْآنَ، فَيَنْقَلِبُ[٤] إِلَى أَهْلِهِ فَيُسْلِمُونَ بِإِسْلَامِهِ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ إِلَّا وَفِيهَا رَهْطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ[٥].

(١) قال ابن إسحاق في السيرة (٢/٤٦): سَلِمة؛ بلام مكسورة.
(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٢/٤٢).
(٣) **فشا**: انتشر وذاع. انظر: لسان العرب (١٠/٢٦٩).
(٤) **الانقلاب**: الرجوع. انظر: النهاية (٤/٨٥).
(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٤٤٥٦).

حتى إذا كان العامُ المُقبِل وافَى[1] مَوْسِمَ الحج من الأنصار اثنا عشر رجلًا؛ اثنان من الأوس، وعشَرة من الخزرج، فيهم خمسة من الستة الذين اجتمعوا برسول الله ﷺ في العام السابق، وهم:

* **من الخزرج: من بني النجار:**

١ ـ أسعد بن زُرارة رضي الله عنه.

٢ ـ عوف بن الحارث. وهو ابن عَفْرَاء رضي الله عنه.

٣ ـ معاذ بن الحارث. وهو ابن عَفْرَاء رضي الله عنه.

* **ومن بني زُرَيق:**

٤ ـ رافع بن مالك بن العَجْلان رضي الله عنه.

٥ ـ ذَكْوَان بن عبدِ قَيْس رضي الله عنه.

* **ومن بني عوف بن الخزرج:**

٦ ـ عُبادة بن الصَّامت رضي الله عنه.

٧ ـ يزيد بن ثعلبة رضي الله عنه.

* **ومن بني سالم بن عوف:**

٨ ـ العباس بن عبادة بن نَضْلة رضي الله عنه.

* **ومن بني سَلِمة:**

٩ ـ قُطْبة بن عامر رضي الله عنه.

* **ومن بني حرام بن كعب:**

١٠ ـ عقبة بن عامر رضي الله عنه.

* **ومن الأوس: من بني عبد الأشهَل:**

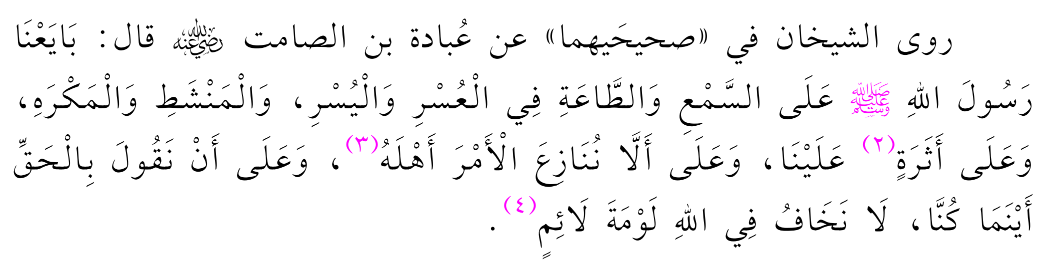
١١ ـ أبو الهيثم مالك بن التَّيِّهَان رضي الله عنه.

---

(١) **وافَى**: أتَى. انظر: لسان العرب (١٥/ ٣٥٩).

* ومن بني عمرو بن عوف:

١٢ ـ عُوَيم بن ساعدة رضي الله عنه[١].



بنود بيعة العَقَبة الأولى

روى الشيخان في «صحيحَيهما» عن عُبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: بَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَالْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، وَعَلَى أَثَرَةٍ[٢] عَلَيْنَا، وَعَلَى أَلَّا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ[٣]، وَعَلَى أَنْ نَقُولَ بِالْحَقِّ أَيْنَمَا كُنَّا، لَا نَخَافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ[٤].

وروَى البيهقي في «دلائل النبوة» بسند جيد عن عُبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: إِنَّا بَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ، وَالنَّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَعَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَعَلَى أَنْ نَقُولَ فِي اللهِ لَا تَأْخُذُنَا فِيهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ، وَعَلَى أَنْ نَنْصُرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ إِذَا قَدِمَ عَلَيْنَا يَثْرِبَ بِمَا نَمْنَعُ مِنْهُ أَنْفُسَنَا وَأَزْوَاجَنَا وَأَبْنَاءَنَا، وَلَنَا الْجَنَّةُ. فَهَذِهِ بَيْعَةُ

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٤٤، ٤٦).

(٢) **الأَثَرة**، بفتح الهمزة والثاء: الاسم من: آثر يؤثِر إيثارًا: إذا أعطى، أراد أنه يُستأثر عليكم فيُفضَّل غيركم في نصيبه من الفيء، والاستئثار: الانفراد بالشيء. انظر: النهاية (١/ ٢٦).

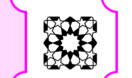
(٣) قال النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٢/ ١٨٩): ومعنى الحديث: لا تُنازعوا ولاة الأمور في ولايتهم، ولا تعترضوا عليهم إلا أن تروا منهم منكراً محققاً تعلمونه من قواعد الإسلام، فإذا رأيتم ذلك فأنكروا عليهم، وقولوا بالحق حيث ما كنتم، وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين، وإن كانوا فسقة ظالمين، وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته، وأجمع أهل السنة أنه لا ينعزل السلطان بالفسق، وأما الوجه المذكور في كتب الفقه لبعض أصحابنا أنه ينعزل، وحكي عن المعتزلة أيضاً، فغلط من قائله، مخالف للإجماع، قال علماء: وسبب عدم انعزاله وتحريم الخروج عليه ما يترتب على ذلك من الفتن، وإراقة الدماء، وفساد ذات البين، فتكون المفسدة في عزله أكثر منها في بقائه.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٧٠٥٥) (٧٠٥٦)، ومسلم في صحيحه رقم الحديث (١٧٠٩).

رَسولِ اللهِ ﷺ بَايَعْنَاهُ عَلَيْهَا[1].

*** وَهْمٌ مشهورٌ:**

قلتُ: وأما وصف بيعة العَقَبَة الأولى بأنها على مثل ما بايَع رسول الله ﷺ النساء، فهو وَهْمٌ من بعض الرواة، فلم يكن في بيعة العقبة الأولى ذِكْرٌ للنساء، ولا في بنودها[2].



بَعْثُ مُصْعَب وابن أُمِّ مَكْتوم ﵄ إلى المدينة

انتهى مَوْسِم الحج، وانصرف القوم راجِعِين إلى بلادهم، وبعَث رسول الله ﷺ معهم مُصْعَب بن عُمَير، وابن أمِّ مَكْتوم ﵄ وأمَرَهما أن يُقرِئا الأنصارَ القرآن، ويُعلِّما الإسلام، ويُفقِّها في الدِّين.

روى الإمام البخاري في «صحيحه» عن البَرَاء بن عازب الأنصاري ﵁ قال: أوَّلُ مَن قَدِم علينا من أصحاب النبي ﷺ مُصْعَبُ بن عُمَير، وابن أمِّ مَكْتوم ﵄، فجعَلَا يُقرِئَانِنا القرآن[3].

فأسلَم على يَدَيهما بشَرٌ كثير من الأوس والخزرج؛ منهم: سعد بن مُعَاذ، وأُسَيد بن حُضَير ﵄ وبإسلامهما يومئذٍ أسلَم جميعُ بني عبد الأشهَلِ؛ الرجال والنساء، إلا الأُصَيْرِمَ عَمرو بن ثابت بن وَقْش ﵁؛ فإنه تأخَّر إسلامه إلى يوم أُحُدٍ، فأسلَمَ حينئذ، وقاتَل؛ فاستُشهِد يوم أُحُد ﵁، ولم يسجُد لله سجدة، فأُخبِر النبي ﷺ عنه، فقال رسول الله ﷺ: «**إنَّه لَمِن أهل الجنة**»[4].

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/٤٥٢)، وأورده الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٣/١٧٧) وقال: وهذا إسناد جيد قوي.

(٢) ذكرتُ ذلك مفصَّلًا في اللؤلؤ المكنون (١/٥٦٠، ٥٦٦).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٩٤١).

(٤) أخرج قصةَ الأُصَيْرِمِ عمرو بن ثابت ﵁: الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٣٦٣٤)، وأوردها الحافظ في الإصابة (٤/٥٠١) وحسَّن إسنادَها.

بيعة العقبة الثانية

قال جابر بن عبد الله الأنصاري ﷺ: ثم بَعَثَنا اللهُ، فَأْتَمَرْنَا، وَاجْتَمَعْنَا؛ سَبْعُونَ رَجُلًا مِنَّا، فَقُلْنَا: حَتَّى مَتَى نَذَرُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُطْرَدُ فِي جِبَالِ مَكَّةَ ويخافُ! فَرَحَلْنَا حَتَّى قَدِمْنَا عَلَيْهِ فِي الْمَوْسِمِ، فَوَاعَدْنَاهُ شِعْبَ الْعَقَبَةِ[(١)].

وروَى تفاصيلَ هذه البيعة العظيمة التي كانت سببًا في الهجرة إلى المدينة: الإمامُ أحمد في «مُسنَده» وابن حبان في «صحيحه» بسند حسن عن كعب بن مالك ﷺ أنه قال: خَرَجْنَا فِي حُجَّاجِ قَوْمِنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَقَدْ صَلَّيْنَا وَفَقِهْنَا، وَمَعَنَا الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ كَبِيرُنَا وَسَيِّدُنَا، فَلَمَّا تَوَجَّهْنَا لِسَفَرِنَا وَخَرَجْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ، قال: فَخَرَجْنَا نَسْأَلُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَكُنَّا لَا نَعْرِفُهُ، لَمْ نَرَهُ قَبْلَ ذَلِكَ، فَلَقِينَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فَسَأَلْنَاهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: هَلْ تَعْرِفَانِهِ؟ قَالَ: قُلْنَا: لَا، قَالَ: فَهَلْ تَعْرِفَانِ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَمَّهُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: وَكُنَّا نَعْرِفُ الْعَبَّاسَ، كَانَ لَا يَزَالُ يَقْدَمُ عَلَيْنَا تَاجِرًا، قَالَ: فَإِذَا دَخَلْتُمَا الْمَسْجِدَ[(٢)] فَهُوَ الرَّجُلُ الْجَالِسُ مَعَ الْعَبَّاسِ، فَدَخَلْنَا الْمَسْجِدَ فَإِذَا الْعَبَّاسُ جَالِسٌ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَهُ جَالِسٌ، فَسَلَّمْنَا، ثُمَّ جَلَسْنَا إِلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلْعَبَّاسِ: «**هَلْ تَعْرِفُ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ يَا أَبَا الْفَضْلِ؟**» قَالَ: نَعَمْ، هَذَا الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ سَيِّدُ قَوْمِهِ، وَهَذَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، قَالَ: فَوَاللهِ مَا أَنْسَى قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**الشاعِرُ؟**» قال: نعم.

قال كعب ﷺ: فَوَاعَدَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ الْعَقَبَةَ مِنْ أَوْسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، فَلَمَّا فَرَغْنَا مِنَ الْحَجِّ، وَكَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي وَعَدَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَعَنَا عبدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ أَبُو جَابِرٍ؛ سَيِّدٌ مِنْ سَادَتِنَا، وَكُنَّا نَكْتُمُ مَنْ مَعَنَا مِنْ قَوْمِنَا مِنَ

---

(١) أخرج ذلك الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٤٦٥٣) وإسناده حسن.

(٢) يعني: المسجد الحرام.

الْمُشْرِكِينَ أَمْرَنَا، فَكَلَّمْنَاهُ وَقُلْنَا لَهُ: يَا أَبَا جَابِرٍ، إِنَّكَ سَيِّدٌ مِنْ سَادَتِنَا، وَشَرِيفٌ مِنْ أَشْرَافِنَا، وَإِنَّا نَرْغَبُ بِكَ عَمَّا أَنْتَ فِيهِ أَنْ تَكُونَ حَطَبًا لِلنَّارِ غَدًا! ثُمَّ دَعَوْتُهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبَرْتُهُ بِمِيعَادِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَسْلَمَ وَشَهِدَ مَعَنَا الْعَقَبَةَ، وَكَانَ نَقِيبًا.

قَالَ: فَنِمْنَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ مَعَ قَوْمِنَا فِي رِحَالِنَا، حَتَّى إِذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ خَرَجْنَا مِنْ رِحَالِنَا لِمِيعَادِ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَتَسَلَّلُ مُسْتَخْفِينَ تَسَلُّلَ الْقَطَا، حَتَّى اجْتَمَعْنَا فِي الشِّعْبِ عِنْدَ الْعَقَبَةِ، وَنَحْنُ سَبْعُونَ رَجُلًا[(١)]، وَمَعَنَا امْرَأَتَانِ مِنْ نِسَائِهِمْ: نُسَيبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ أُمُّ عُمَارَةَ؛ إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي مَازِنِ بْنِ النَّجَّارِ، وَأَسْمَاءُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ؛ إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي سَلِمَةَ، وَهِيَ أُمُّ مَنِيعٍ.

قَالَ: فَاجْتَمَعْنَا بِالشِّعْبِ نَنْتَظِرُ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَتَّى جَاءَنَا وَمَعَهُ يَوْمَئِذٍ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ، إِلَّا أَنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يَحْضُرَ أَمْرَ ابْنِ أَخِيهِ وَيَتَوَثَّقَ لَهُ، فَلَمَّا جَلَسْنَا كَانَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَوَّلَ مُتَكَلِّمٍ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْخَزْرَجِ ـ وَكَانَتِ الْعَرَبُ مِمَّا يُسَمُّونَ هَذَا الْحَيَّ مِنَ الْأَنْصَارِ الْخَزْرَجَ؛ أَوْسَهَا وَخَزْرَجَهَا ـ إِنَّ مُحَمَّدًا مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُمْ، وَقَدْ مَنَعْنَاهُ مِنْ قَوْمِنَا مِمَّنْ هُوَ عَلَى مِثْلِ رَأْيِنَا فِيهِ، وَهُوَ فِي عِزٍّ مِنْ قَوْمِهِ، وَمَنَعَةٍ فِي بَلَدِهِ. فَقُلْنَا: قَدْ سَمِعْنَا مَا قُلْتَ، فَتَكَلَّمْ يَا رَسُولَ اللهِ، فَخُذْ لِنَفْسِكَ وَلِرَبِّكَ مَا أَحْبَبْتَ، فَتَكَلَّمَ رسولُ الله ﷺ فَتَلَا، ودَعَا إلى اللهِ ﷻ ورَغَّبَ فِي الإِسْلَامِ، ثُمَّ قَالَ: «**أُبَايِعُكُمْ عَلَى أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَكُمْ**

(١) في رواية ابن إسحاق في السيرة (٢/ ٥٤): ثلاثة وسبعون رجلًا.

قال ابن سيد الناس في عيون الأثر (١/ ٢٧٧): وهذه تسمية من شهد العَقَبة، وكانوا ثلاثة وسبعين رجلًا وامرأتين، هذا هو العدد المعروف، وإن زاد في التفصيل على ذلك، فليس ذلك بزيادة في الجملة، وإنما هو لمحل الخلاف فيمن شهد؛ فبعض الرواة يثبته، وبعضهم يُثبت غيره بدله، وقد وقع ذلك في غير موضع؛ في أهل بدر، وشهداء أُحُد، وغير ذلك.

وَأَبْنَاءَكُمْ»، فَأَخَذَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ رضي الله عنه بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: نَعَمْ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَنَمْنَعَنَّكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أُزُرَنَا[(١)]، فَبَايِعْنَا يَا رَسُولَ اللهِ؛ فَنَحْنُ أَهْلُ الْحُرُوبِ وَأَهْلُ الْحَلْقَةِ[(٢)]، وَرِثْنَاهَا كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ[(٣)].

وفي رواية أخرى في «مُسنَد الإمام أحمد» وابن حبان في «صحيحه» بسند حسن، عن جابر رضي الله عنه قال: فَرَحَلْنَا حَتَّى قَدِمْنَا عَلَيْهِ فِي الْمَوْسِمِ، فَوَاعَدْنَاهُ شِعْبَ الْعَقَبَةِ، فَقَالَ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ: يَا بْنَ أَخِي، إِنِّي لَا أَدْرِي مَا هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ الَّذِينَ جَاؤوكَ! إِنِّي ذُو مَعْرِفَةٍ بِأَهْلِ يَثْرِبَ. فَاجْتَمَعْنَا عِنْدَهُ مِنْ رَجُلٍ وَرَجُلَيْنِ، فَلَمَّا نَظَرَ الْعَبَّاسُ فِي وُجُوهِنَا قَالَ: هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا أَعْرِفُهُمْ، هَؤُلَاءِ أَحْدَاثٌ[(٤)].

فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، عَلَامَ نُبَايِعُكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تُبَايِعُونِي عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ، وَعَلَى النَّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَعَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَعَلَى أَنْ تَقُولُوا فِي اللهِ لَا تَأْخُذُكُمْ فِيهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ، وَعَلَى أَنْ تَنْصُرُونِي إِذَا قَدِمْتُ يَثْرِبَ، فَتَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَزْوَاجَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ، وَلَكُمُ الْجَنَّةُ**»، قال جابرٌ رضي الله عنه: فَقُمْنَا نُبَايِعُهُ[(٥)].

وروَى الإمام أحمد في «مُسنَده» بسند حسن عن جابر رضي الله عنه قال: كان العباسُ آخِذًا بِيَدِ رسول الله ﷺ، ورسولُ الله يُواثِقُنا، فَلَمَّا فَرَغْنَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَخَذْتُ، وَأَعْطَيْتُ**»[(٦)].

---

(١) **أُزُرَنا**: أي: نساءَنا وأهْلَنا، كنَّى عنهن بالأُزُر، وقيل أراد: أنفسنا، وقد يُكنَّى عن النفسِ بالإزارِ. انظر: النهاية (١/ ٤٧).

(٢) **الحَلْقة**، بسكون اللام: السلاح عامَّةً. انظر: النهاية (١/ ٤١٠).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٥٧٩٨)، وابن حبان في صحيحه، رقم الحديث (٧٠١١).

(٤) **حداثة السن**: كناية عن الشباب وأول العُمُر. انظر: النهاية (١/ ٣٣٨).

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٤٦٥٣)، وابن حبان في صحيحه، رقم الحديث (٧٠١٢).

(٦) قال السندي في شرحه للمسند (٨/ ١٢١): قوله ﷺ: «**أخذتُ وأعطيتُ**» على صيغة =

وروَى الحاكم في «المُستدرَك» بسند رجالُه ثقاتٌ، عن ابن شهاب الزُّهْري قال: كان بينَ ليلة العقبة وبينَ مُهَاجَر رسول الله ﷺ ثلاثةُ أشهر، أو قريبٌ منها، وكانت بيعة الأنصارِ رسولَ الله ﷺ ليلة العقبة في ذي الحِجَّة، وقَدِم رسول الله ﷺ المدينة في شهر ربيع الأول[1].

* نزول آية الميثاق:

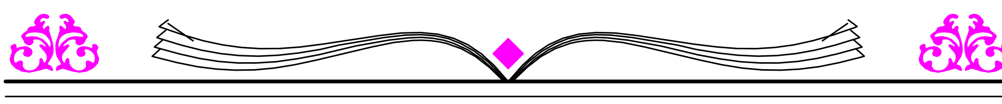
ونزل قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٧﴾ [المائدة: ٧].

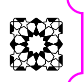
قال الإمام القرطبي: الذي عليه الجمهور من المفسرين كابن عباس والسُّدِّي: هو العهدُ والميثاق الذي جرى لهم مع النبي ﷺ على السَّمع والطَّاعةِ في المَنْشَط والمَكْرَه إذ قالوا: سمعنا وأطعنا، كما جرى ليلةَ العقبة وتحت الشجرة، وأضافه تعالى إلى نفسه كما قال: ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠]، فبايعوا رسول الله ﷺ عند العَقَبة على أنْ يَمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم ونساءهم وأبناءهم، وأن يرحلَ إليهم هو وأصحابه، وكان أولَ من بايعه البَرَاءُ بنُ مَعْرور، وكان له في تلك الليلة المقامُ المحمود في التوثُّق لرسول الله ﷺ، والشدِّ لعقد أمرِه، وهو القائل: والذي بعثك بالحقِّ لنَمنعنَّك مما نمنعُ منه أُزُرَنا، فبايِعْنا يا رسولَ الله، فنحن والله أبناءُ الحروبِ وأهلُ الحَلْقة ورثناها كابراً عن كابر، وقد اتصل هذا بقوله تعالى: ﴿أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المائدة: ١] فَوفَّوْا بما قالوا، جزاهم الله تعالى عن نَبيِّهم وعن الإسلام خيراً، ورضي الله عنهم وأرضاهم[2].

= المتكلم؛ أي: أخذتُ البيعة عنكم؛ أي: قَبِلتُها، وأعطيتكم الجنة عليها جزاءً.
والحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٥٢٥٩).

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٤٢٩٨).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٧/ ٣٧١).



الإذن بالهجرة[(١)] إلى المدينة

قالت أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: لما صَدَر[(٢)] السبعون من عند رسول الله ﷺ، طابت نفسه ﷺ، وقد جعل الله له مَنَعةً وقومًا أهلَ حرب وعُدَّة ونجدة، وجعل البلاءُ يشتد على المسلمين من المشركين؛ لما يعلمون من خروجهم إلى المدينة، فضيَّقوا على أصحابه، ونالوا منهم ما لم يكونوا ينالون من الشتم والأذى، فشكا ذلك أصحابُ رسول الله ﷺ، واستأذنوه في الهجرة[(٣)].

---

(١) قال الحافظ في الفتح (١/ ٢٤): **الهجرة**: الترك، والهجرة إلى الشيء: الانتقال إليه عن غيره، وقد وقَعَت في الإسلام على وجهين:

الأول: الانتقال من دار الخوف إلى دار الأمن، كما في هجرتَيِ الحبشة، وابتداء الهجرة من مكة إلى المدينة.

الثاني: الهجرة من دار الكفر إلى دار الإيمان، وذلك بعد أن استقر النبي ﷺ بالمدينة وهاجر إليه مَن أمكنه ذلك من المسلمين.

وكانت الهجرة إذ ذاك تختص بالانتقال إلى المدينة، إلى أن فُتحت مكة فانقطع الاختصاص، وبقي عموم الانتقال من دار الكفر لمن قَدَر عليه باقيًا.

* وقال الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٦٤٦): **المهاجرون**: هم مَن هاجر من مكة وغيرها، وقد تظاهرت الآيات والأخبار، والإجماع على فضلهم:

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٠]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟﴾ [الأنفال: ٧٢]، ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا﴾ [النساء: ١٠٠]، وحديث: «**الهجرة تهدِم ما قبلها**».

قلتُ: حديث «**الهجرة تهدِمُ ما كان قبلها**» رواه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٢١).

(٢) **صَدَر**: رجع. انظر: النهاية (٣/ ١٥).

(٣) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (١/ ١٠٨).

وقال ابن إسحاق: فلما بايعه هذا الحيُّ من الأنصار على الإسلام والنُّصرة له ولمن اتَّبعه وأوى إليهم من المسلمين، أمر رسول الله ﷺ أصحابه من المهاجرين من قومه ومَن معه بمكة من المسلمين، بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها، واللحوق بإخوانهم من الأنصار[١].

وروى الإمام البخاري في «صحيحه» عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ للمسلمين: **«إني أُريتُ دار هجرتكم ذات نخل بين لابَتَين»**[٢]، وهما الحَرَّتانِ[٣].

وروى الشيخان في «صحيحيهما» عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«رأيتُ في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل، فذهب وَهَلي[٤] إلى أنها اليمامة أو هَجَر، فإذا هي المدينة يَثرِبُ»**[٥].

ثم أمر رسول الله ﷺ جميع المسلمين بالهجرة إلى المدينة، واللحوق بإخوانهم من الأنصار، فقال لهم: **«إن الله عز وجل قد جعل لكم إخوانًا ودارًا تأمنون بها»**، فخرجوا أرسالًا متخفِّين، وأقام رسول الله ﷺ بمكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة، والهجرة إلى المدينة[٦].

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٨١).

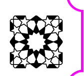
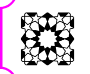
(٢) قال الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات (٣/ ٥٧٦): **اللَّابَة**: الحَرَّة، وهي أرض مُلْبَسة حجارة سوداء، والمدينة، زادها الله تعالى شرفًا، بين لابتين، في جانبَيِ الشرق والغرب.

(٣) قوله: وهما الحرتان: هو من قول الزُّهري، كما جزم بذلك الحافظ في الفتح (٧/ ٦٤١). والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٩٠٥).

(٤) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٥/ ٢٥): **الوَهَل**، بفتح الهاء، معناه: وَهْمي واعتقادي.

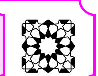
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٦٢٢)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٢٧٢).

(٦) انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٨١).


تتابُعُ هجرة أصحاب النبي ﷺ


روى الإمام البخاري في «صحيحه» عن البراء بن عازب رضي الله عنهما، قال: أول مَن قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ مُصعَب بن عُمَير وابن أم مكتوم، فجعلا يُقرئاننا القرآن، ثم جاء عمار وبلال وسعد، ثم جاء عمر بن الخَطَّاب في عشرين[١].

وروى ابن إسحاق في «السيرة» بسند صحيح عن عمر بن الخَطَّاب رضي الله عنه، قال: اتَّعَدْتُ[٢] لما أرَدْنا الهجرة إلى المدينة أنا وعياش بن أبي ربيعة، وهشام بن العاص بن وائل السهمي؛ التناضُبَ من أضاءةِ بني غِفار، فوق سَرِف[٣]، وقلنا: أيُّنا لم يُصبِحْ عندها فقد حُبِسَ، فليمض صاحباه، قال: فأصبحتُ أنا وعياش بن أبي ربيعة عند التناضب، وحُبِسَ عنا هشام، وفُتِنَ فافتُتِنَ[٤].


استئذان أبي بكر الصديق رضي الله عنه في الهجرة

قال ابن إسحاق: وكان أبو بكر رضي الله عنه كثيرًا ما يستأذن رسول الله ﷺ في الهجرة، فيقول له رسول الله ﷺ: «**لا تعجَلْ؛ لعلَّ الله يجعل لك**

(١) زاد البخاري في رواية أخرى، رقم الحديث (٣٩٢٥): من أصحاب النبي ﷺ.
والخبر أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٩٤١).

(٢) **اتَّعَدتُ**: تواعَدْتُ. انظر: لسان العرب (١٥/ ٣٤٢).

(٣) زاد ابن سعد في طبقاته (٣/ ١٤٤): وكنا إنما نخرج سِرًّا.

(٤) أخرجه ابن إسحاق في السيرة (٢/ ٨٨)، وأورده الحافظ في الإصابة (٦/ ٤٢٣) وصَحَّح إسناده.

صاحبًا»، فيطمع أبو بكر ﷺ أن يكون رسول الله ﷺ هو الصاحب[١].

وروى الإمام البخاري في «صحيحه» عن أم المؤمنين عائشة ﷺ، قالت: فهاجر مَن هاجر قِبَلَ المدينة، ورجع عامة مَن كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة، وتجهز أبو بكر قِبَلَ المدينة، فقال له رسول الله ﷺ: «**على رِسْلِك**[٢]؛ **فإني أرجو أن يُؤذَنَ لي**»، فقال أبو بكر ﷺ: وهل ترجو ذلك بأبي أنت؟! قال رسول الله ﷺ: «**نعم**»، فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحَبَه، وعَلَف راحلتين كانتا عنده وَرَقَ السَّمُر[٣] ـ وهو الخَبَطُ ـ[٤] أربعةَ أشهر[٥].



اجتماع قريش في دار الندوة

قال ابن إسحاق: ولمَّا رأت قريش أن رسول الله ﷺ قد صارت له شِيعة[٦] وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم، عرفوا أنهم قد نزلوا دارًا، وأصابوا منهم مَنَعة؛ فَحَذِرُوا خروج رسول الله ﷺ إليهم، وعرفوا أنهم قد أُجمِعَ لحربهم، فاجتمعوا له في دار الندوة يتشاورون فيها ما يصنعون في أمر رسول الله ﷺ حين خافوه... فغدَوا في اليوم الذي اتَّعَدوا له، وكان ذلك اليوم يُسمَّى يوم الزحمة... فقال بعضهم لبعض: إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم، فإنَّا ـ والله ـ ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اتَّبَعه من غيرِنا، فقال قائل منهم: احبِسوه

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٩٤).
(٢) **الرِّسْل**، بكسر الراء: الرِّفق والتُّؤَدة. انظر: لسان العرب (٥/ ٢١٢).
(٣) **السَّمُر**: هو نوع من شجر الطلح. انظر: النهاية (٢/ ٣٥٩).
(٤) قال الحافظ في الفتح (٧/ ٦٤٢): هو مُدرَج في الخبر، وهو من تفسير الزُّهْري.
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٩٠٥).
(٦) **الشيعة**: الأتباع والأنصار. انظر: النهاية (٢/ ٤٦٤).

في الحديد، وأغلقوا عليه بابًا، ثم تربَّصوا[١] به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله: زهيرًا والنابغة، ومَن مضى منهم من هذا الموت، حتى يُصيبه ما أصابهم، فرفضوا هذا الرأي.

ثم قال قائل منهم: نُخرجه من بين أظهُرِنا، فننفيه من بلادنا، فإذا أُخرج عنا، فوالله ما نُبالي أين ذهب، ولا حيث وقع، فأصلحنا أمْرَنا وأُلْفَتَنا كما كانت. فرفضوا هذا الرأي.

فقال أبو جهل قبَّحه الله: والله إنَّ لي فيه رأيًا ما أراكم وقعتم عليه بعدُ، قالوا: وما هو يا أبا الحَكَم؟ قال: أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتًى شابًّا جليدًا[٢] نسيبًا وسيطًا فينا، ثم نُعطي كل فتًى منهم سيفًا صارمًا[٣]، ثم يَعمِدوا إليه، فيضربوه بها ضربةَ رجل واحد، فيقتلوه، فنستريح منه؛ فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرَّق دمه في القبائل جميعًا، فلم يقدِرْ بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعًا، فرَضُوا منا بالعَقْل[٤]، فعَقَلْناه لهم.

فاتَّفقوا على ذلك، وتفرَّق القوم على ذلك وهم مُجمِعون له[٥].

إخبارُ اللهِ سبحانه رسولَه ﷺ بمكر كُفَّار قريش

أخبر اللهُ سبحانه وتعالى رسولَه ﷺ بمكر المشركين به، فأنزل عليه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ۝٣٠﴾ [الأنفال: ٣٠].

---

(١) **التربص**: الانتظار. انظر: النهاية (٢/ ١٦٩).

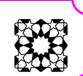
(٢) **جليدًا**: قويًّا. انظر: النهاية (١/ ٢٧٥).

(٣) **صارمًا**: قاطعًا. انظر: لسان العرب (٧/ ٣٣٢).

(٤) **العَقْل**: الدِّيَة. انظر: النهاية (٣/ ٢٥٢).

(٥) انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٩٦).

قال الإمام ابن جرير الطبري في تفسير هذه الآية: فتأويل الكلام: واذكر ـ يا محمَّدُ ـ نعمتي عندك، بمكري بمن حاول المكر بك من مشركي قومك، بإثباتك، أو قتلك، أو إخراجك من وطنك، حتى استنقَذْتُك منهم وأهلَكْتُهم؛ فامْضِ لأمري في حرب من حارَبَك من المشركين، وتوَلَّى عن إجابة ما أرسلتُك به من الدِّين القَيِّم، ولا يُرعِبَنَّك كثرةُ عَدَدِهم؛ فإنَّ ربك خير الماكرين بمن كفر به، وعَبَد غيره، وخالَفَ أمْرَه ونَهْيَه[١].



مدة إقامة النبي ﷺ بمكة قبل الهجرة

روى الإمام البخاري في «صحيحه» عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: بُعِثَ رسول الله ﷺ لأربعين سنة، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يُوحَى إليه، ثم أُمِر بالهجرة، فهاجر عَشْرَ سنين، ومات وهو ابن ثلاث وستِّين[٢].

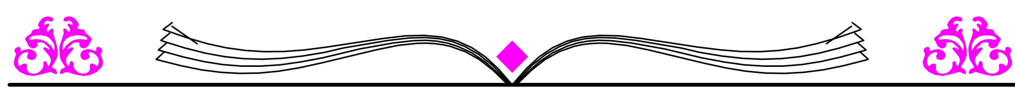
قال الإمام النووي: اتفقوا أنه ﷺ أقام بالمدينة بعد الهجرة عشر سنين، وبمكة قبل النبوة أربعين سنة، وإنما الخلاف في قدر إقامته بمكة بعد النبوة، والصحيح أنها ثلاث عشرة، فيكون عمره ثلاثًا وستين، وهذا الذي ذكرناه أنه بُعِث على رأس أربعين سنة، هو الصواب المشهور الذي أطبق عليه العلماء[٣].



(١) انظر: تفسير الطبري (٦/ ٢٢٩).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٩٠٢).

(٣) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١٥/ ٨١).





هجرة النبي ﷺ

ثم أنزل الله على رسوله ﷺ قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾ [الإسراء: ٨٠]، وهي آية الإذن بالهجرة له ﷺ.

قال الحافظ ابن كثير في تفسير الآية: أرشده الله وألهمه أن يدعو بهذا الدعاء، وأن يجعل له مما هو فيه فرجًا قريبًا ومخرجًا عاجلًا، فأَذِنَ له تعالى في الهجرة إلى المدينة النبوية حيث الأنصار والأحباب؛ فصارت له دارًا وقرارًا، وأهلُها له أنصارًا[(١)].

وروى الإمام الترمذي في «جامعه» والحاكم في «مستدرَكه» وصححاه عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان رسول الله ﷺ بمكة، ثم أُمِر بالهجرة، فنزلت عليه: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾[(٢)].

وروى الإمام البخاري في «صحيحه» عن عائشة رضي الله عنها، قالت: استأذن النبيَّ ﷺ أبو بكرٍ في الخروج[(٣)] حين اشتدَّ عليه الأذى، فقال له رسول الله ﷺ: «**أَقِمْ**»[(٤)]، قال: يا رسول الله، أتطمع أن يُؤذَنَ لك؟ فكان رسول الله ﷺ يقول: «**إني لأرجو ذلك**»، قالت: فانتظره أبو بكر، فأتاه رسول الله ﷺ ذات يومٍ ظهرًا

---

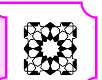
(١) انظر: البداية والنهاية (٣/ ١٨٩).

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه، رقم الحديث (٣٤٠٦)، والحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٤٣٠٥)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) قال الحافظ في الفتح (٨/ ١٤٤): يعني: في الهجرة.

(٤) في رواية ابن حبان: «اصبِرْ».

فناداه، فقال: «**أخرِجْ مَن عندك**»، فقال أبو بكر ﵁: إنما هما ابنتاي[١]، فقال رسول الله ﷺ: «**أشعَرْتَ أنه قد أُذِن لي في الخروج؟**» قال: يا رسول الله، الصُّحْبة؟ فقال رسول الله ﷺ: «**الصُّحْبة**»، قال: يا رسول الله، عندي ناقتان قد كُنتُ أعدَدْتُهما للخروج، فأعطى النبيَّ ﷺ إحداهما، وهي الجدعاء[٢].



استئجارهما عبدَ الله بن أُرَيقِط[٣] دليلًا

قالت عائشة ﵂: واستأجر رسولُ الله ﷺ وأبو بكر رجلًا من بني الدِّيلِ[٤]، وهو من بني عبد بن عدي، هاديًا خِرِّيتًا[٥] ـ والخِرِّيت: الماهِرُ بالهداية ـ[٦]، وهو على دين كفار قريش[٧]، فأَمِناه، فدفعا إليه راحلتيهما،

---

(١) في رواية أخرى في صحيح البخاري، رقم الحديث (٣٩٠٥): إنما هم أهْلُك.
قال الحافظ في الفتح (٧/ ٦٤٣): أشار بذلك إلى عائشة وأسماء ﵄.
وقال السهيلي في الروض الأُنُف (٢/ ٣١٢): وذلك أن عائشة ﵂ قد كان أبوها أنكَحَها رسولَ الله ﷺ من قبلِ ذلك.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٠٩٣)، وابن حبان في صحيحه، رقم الحديث (٦٢٧٩).

(٣) قال الحافظ في الإصابة (٤/ ٥): عبد الله بن أُريقط، ويُقال: أُريقِد، بالدال بدل الطاء، المهملتين، دليل النبي ﷺ وأبي بكر ﵁ لما هاجرا إلى المدينة، ثبت ذِكْرُه في الصحيح، وأنه كان على دين قومه، ولم أرَ مَن ذكره في الصحابة إلا الذهبي في التجريد، وقد جزم عبد الغني المقدسي في السيرة له: بأنه لم يُعرَف له إسلامٌ، وتبعه النووي في تهذيب الأسماء (١/ ١٠٠).

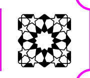
(٤) **قلتُ**: لم يقَعِ التصريح باسم عبد الله بن أُريقط في صحيح البخاري، ووقع التصريح باسمه في رواية الحاكم في المستدرَك، رقم الحديث (٤٣١٨) (٤٣٢٠)، وإسناده حسن، وابن إسحاق في السيرة (٢/ ٩٩)، وغيرهما.

(٥) **الخِرِّيت**، بكسر الخاء وتشديد الراء: الماهر الذي يهتدي لأخرات المفازةِ، وهي طُرُقُها الخفيَّة ومضايقها. انظر: النهاية (٢/ ١٩).

(٦) قال الحافظ في الفتح (٥/ ٢٠١): قوله: الماهر بالهداية، كذا وقع في نفس الحديث، وهو مُدرَج من قول الزُّهْري.

(٧) قال الإمام ابن القيم في بدائع الفوائد (٣/ ١١٦٩): وفي استئجار النبي ﷺ عبد الله بن =

وواعداه غار ثَوْر بعد ثلاث ليال براحلتيهما صُبْحَ ثلاثٍ[(١)].

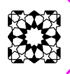


تطويق المشركين بيت رسول الله ﷺ

رجع رسول الله ﷺ إلى منزله ينتظر مجيء الليل؛ ليخرُج إلى بيت أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، ويتوجَّها إلى غار ثَوْر، وهو ﷺ على علمٍ تامٍّ بما ائتمرت به قريش من المكر.

واجتمع أولئك النفر من قريش حول بيت رسول الله ﷺ، يتطلَّعون مِن صِيرِ[(٢)] الباب ويرصُدونه، يريدون بَياتَه، ويأتمرون أيُّهم يكونُ أشقاها[(٣)].

فخرج رسول الله ﷺ عليهم، وأخذ حَفنةً من تراب في يديه، فجعل يَذُرُّه على رؤوسهم، وهم لا يرونه، وهو يتلوا: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩﴾ [يس: ٩][(٤)].



توجُّه الرسول ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه إلى غار ثور

ومضى رسول الله ﷺ إلى بيت أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فلما وصل فإذا بأبي بكر رضي الله عنه قد أعَدَّ للهجرة عُدَّتَه؛ قالت عائشة رضي الله عنها: فجهزناهما أحَثَّ[(٥)]

= أُريقِط الدِّيلي هاديًا في وقت الهجرة، وهو كافر: دليل على جواز الرجوع إلى الكافر في الطِّبِّ والكُحْل والأدوية، والكتابة والحساب، والعيوب ونحوها، ما لم يكن ولايةً تتضمَّن عدالةً، ولا يلزم من مجرد كونه كافرًا أن لا يُوثَق به في شيء أصلًا؛ فإنه لا شيء أخطر من الدَّلالة في الطريق، ولا سيما في مثال طريق الهِجرة.

(١) أخرج ذلك الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٩٠٥).

(٢) **الصِّير**: شَقُّ الباب. انظر: لسان العرب (٧/ ٤٥٣).

(٣) انظر: زاد المعاد (٣/ ٦٣).

(٤) الخبر في سيرة ابن هشام (٢/ ٩٧).

(٥) قال الحافظ في الفتح (٧/ ٦٤٤): من الحث، وهو الإسراع، والجَهَاز، بفتح الجيم وقد تُكسر، وهو: ما يُحتاجُ إليه في السفر.

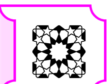
الجَهازِ[١].

ثم خرجا وتوجَّها إلى غار ثور، وأخذ رسول الله ﷺ ينظر إلى مكة ـ شرَّفها الله ـ نظرةَ الوداع، وهو يقول: «**وَاللهِ، إنَّكِ لخيرُ أرض الله، وأحبُّ أرض الله إلى الله، ولولا أَني أُخرِجْتُ منكِ ما خرَجْتُ!**»[٢].

وروى الإمام الترمذي والحاكم بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ لمكة: «**ما أطيَبَكِ من بلدٍ**[٣]**، وأحَبَّكِ إليَّ! ولولا أنَّ قومي**[٤] **أخرجوني منكِ ما سكنتُ غيرَكِ**»[٥].

قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: ثم لحق رسولُ الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه بغارٍ في جَبَل ثَور، فكَمَنا[٦] فيه ثلاثَ ليال[٧].

وفي رواية أخرى عنها رضي الله عنها، قالت: فرَكِبَا فانطلقا حتى أتيا الغار، وهو بثَوْر، فتوارَيا[٨] فيه[٩].



خدمة آل أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه للنبي ﷺ

كان عبد الله بن أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنهما يبيت عند رسول الله ﷺ وأبيه في فترة وجودِهما في الغار.

---

(١) أخرج ذلك عنها رضي الله عنها: الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٩٠٥).

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه، رقم الحديث (٤٢٦٧)، والإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٨٧١٥)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) في رواية الحاكم: «بلدة». (٤) في رواية الحاكم: «قَومَكِ».

(٥) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه، رقم الحديث (٤٢٦٨)، والحاكم في المستدرك، رقم الحديث (١٨٠٧).

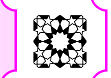
(٦) قال الحافظ في الفتح (٧/ ٦٤٥): بفتح الميم ويجوز كسرها؛ أي: اختفيا.

(٧) أخرج ذلك عنها رضي الله عنها: البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٩٠٥).

(٨) **تواريا**: استترا. انظر: لسان العرب (١٥/ ٢٨٣).

(٩) أخرج ذلك عنها رضي الله عنها: البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٠٩٣).

قالت عائشة رضي الله عنها: يبيتُ عندهما عبد الله بن أبي بكر، وهو غلام شابٌّ ثَقِفٌ[١] لَقِنٌ[٢]، فيُدلِج[٣] من عندهما بسَحَر، فيُصبح مع قريش بمكَّة كبائت، فلا يسمع أمرًا يُكتادانِ به إلا وعاه حتى يأتيَهما بخبر ذلك حين يختَلِط الظَّلام[٤].



رعي عامر بن فُهيرة رضي الله عنه

قالت عائشة رضي الله عنها: ويرعى عليهما[٥] عامِرُ بن فُهيرة مولى أبي بكر مِنحةً من غَنَم، فيُريحها عليهما[٦] حين تذهب ساعة من العِشاء، فيبيتان[٧] في رِسْل[٨]، وهو لَبَنُ مِنْحَتِهما ورَضيفِهما، حتى يَنعِقَ[٩] بها عامر بن فُهيرة بغَلَس[١٠]، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثَّلاث[١١].

وقال ابن إسحاق: فإذا عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما غدا من عندهما إلى مكة، اتَّبَع عامر بن فُهيرة أثَرَه بالغنم؛ حتى يُعَفِّيَ عليه[١٢].

---

(١) **ثقف**: أي: ذو فطنة وذكاء. انظر: النهاية (١/ ٢١١).

(٢) **لَقِن**: أي: فَهِمٌ حسن التَّلَقُّن لما يسمعه. انظر: النهاية (٤/ ٢٢٨).

(٣) **الدُّلجة**: هو سَيْر الليل. انظر: النهاية (٢/ ١٢٠).

(٤) أخرج ذلك عنها رضي الله عنها: البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٩٠٥).

(٥) أي: على رسول الله ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه.

(٦) في رواية أخرى في صحيح البخاري، رقم الحديث (٤٠٩٣) قالت عائشة رضي الله عنها: وكانت لأبي بكر مِنحة، فكان يروح بها ويغدو عليهم ويُصبح فيُدلِج إليهما.

(٧) أي: رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه.

(٨) **الرِّسل**، بكسر الراء: هو اللبن. انظر: النهاية (٢/ ٢٠٣).

(٩) قال الحافظ في الفتح (٧/ ٤٤٦): **يَنعِق**، بكسر العين، أي: يَصيح بغنمه، **والنعيق**: صوت الراعي إذا زجر الغنم.

(١٠) **الغَلَس**: ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح. انظر: النهاية (٣/ ٣٣٩).

(١١) أخرج ذلك عنها رضي الله عنها: البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٩٠٥).

(١٢) **عفا الأثر**: أي: دَرَس وامَّحى. انظر: النهاية (٣/ ٢٤٠)، والخبر في سيرة ابن هشام (٢/ ١٠٠).

حمل أسماء رضي الله عنها الطعام إليهما

قالت أسماء رضي الله عنها: صنعتُ[١] سُفرةَ[٢] رسول الله ﷺ في بيت أبي بكر حين أراد أن يُهاجِر إلى المدينة، قالت: فلم نجد لسُفرته ولا لسِقائه ما نربطُهما به، فقلت لأبي بكر رضي الله عنه: وَاللهِ ما أجد شيئًا أربطُ به إلَّا نطاقي[٣]، قال: فشُقِّيه باثنين فاربطيه؛ بواحدٍ السِّقاءَ، وبالآخرِ السُّفرةَ[٤]، ففَعَلْتُ؛ فلذلك سُمِّيَت: ذاتَ النِّطاقينِ[٥].

وفي لفظ آخر في «صحيح مسلم»، قالت أسماء رضي الله عنها: أنا ـ والله ـ ذاتُ النطاقينِ؛ أما أحدهما فكنتُ أرفع به طعام رسول الله ﷺ وطعام أبي بكر رضي الله عنه من الدوابِّ، وأما الآخر فنطاق المرأة التي لا تستغني عنه[٦].

قال الإمام النووي: والأصح أنها سُميت بذلك؛ لأنها شقَّت نطاقها الواحد نصفين، فجعلت أحدهما نطاقًا صغيرًا واكتفت به، والآخر لسفرة النبي ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه، كما صَرَّحت به في هذا الحديث هنا[٧].

(١) في رواية أخرى في صحيح البخاري، رقم الحديث (٣٩٠٥)، قالت عائشة رضي الله عنها: وصنَعْنا لهما سُفْرةً.

(٢) **السُّفرة**: طعام يتخذه المسافر، وأكثر ما يُحمل في جلد مستدير، فنُقِلَ اسم الطعام إلى الجِلد وسُمِّي به. انظر: النهاية (٢/ ٣٣٦).

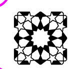
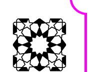
(٣) **النِّطاق**، بكسر النون: هو ما تشدُّ به المرأة وسَطَها؛ ليرتفع به ثوبها من الأرض عند المِهنة. انظر: النهاية (٥/ ٦٥).

(٤) قال الحافظ في الفتح (٧/ ٦٦٠): يُستفاد من هذا أن الذي أمرها بشق نطاقها لتربط به السفرة: هو أبوها (رضي الله عنهما).

(٥) أخرج ذلك عنها رضي الله عنها: البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٢٩٧٩).

(٦) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٥٤٥).

(٧) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١٦/ ٨١).

خروج المشركين في طلب النبي ﷺ وصاحبه

ظلَّ المشركون عند باب بيت رسول الله ﷺ ينتظرون خروجه ـ وقد خرج رسول الله ﷺ ـ حتى أتاهم آتٍ فقال: ما تنتظرون هاهنا؟ قالوا: محمدًا، قال: خيَّبكم الله! قد ـ والله ـ خرج عليكم محمد، ثم ما ترك منكم رجلًا إلا وقد وضع على رأسه ترابًا، وانطلق لحاجته، أفما ترَون ما بكم؟!

فوضع كل رجل منهم يده على رأسه، فإذا عليه تراب، ثم جعلوا يتطلَّعون فيَرَون عليًّا رضي الله عنه على الفِراشِ مُتسجِّيًا[1] ببُرد رسول الله ﷺ، فيقولون: وَاللهِ، إن هذا لمحمَّدٌ نائمًا، عليه بُرْدُه، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا، فقام علي رضي الله عنه عن الفراش، فقالوا: وَاللهِ لقد كان صَدَقَنا الذي حدَّثَنا!

وجَدَّت قريش في طلب رسول الله ﷺ وصاحبه الصِّدِّيق رضي الله عنه، وأخذوا معهم القافَةَ[2]، وجعلوا لمن جاء بهما ديةً عظيمةً؛ مائة ناقة، فجَدَّ الناس في الطلب، وَاللهُ غالِبٌ على أمره[3].

روى الإمام البخاري في «صحيحه» والإمام أحمد في «مسنده» ـ واللفظ لأحمد ـ عن سُراقة بن مالك، قال: جاءنا رُسُل كفَّار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه ديةَ كلِّ واحد منهما، لمن قتَلَهما أو أسَرَهما[4].

وفي رواية ابن إسحاق في السيرة بسند حسن عن سراقة بن مالك،

---

(١) **المتسَجِّي**: المتغطي. انظر: النهاية (٢/ ٣١٠).

(٢) **القافَة**: جمع قائف، وهو الذي يتتبع الآثار ويعرفها. انظر: النهاية (٤/ ١٠٦).

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٩٧)، زاد المعاد (٣/ ٦٥، ٦٦).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٩٠٦)، والإمام أحمد في المسند، رقم الحديث (١٧٥٩١).

قال: لما خرج رسول الله ﷺ من مكة مهاجرًا إلى المدينة، جعَلَت قريش فيه مائة ناقة لمن ردَّه عليهم(١).

إذ هما في الغار

انتشر المشركون في كل مكان يبحثون عن رسول الله ﷺ وصاحبه الصِّدِّيق رضي الله عنه، حتى انتهت مجموعة منهم إلى جبل ثَوْر، ووصلوا إلى فَمِ الغار، ولم يَبْقَ بينهم وبين العثور على رسول الله ﷺ وصاحبه الصِّدِّيق رضي الله عنه إلا أن ينظروا داخل الغار!

روى الشيخان في «صحيحيهما» ـ واللفظ لمسلم ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: إنَّ أبا بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه حَدَّثه، قال: نظرتُ إلى أقدام المشركين على رؤوسنا ونحن في الغار، فقلت: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصَرَنا تحت قدميه! فقال رسول الله ﷺ: «**يا أبا بكر، ما ظنُّك باثنينِ اللهُ ثالثُهما؟!**»(٢).

وفي لفظ آخر في «صحيح البخاري»، قال أبو بكر رضي الله عنه: كنت مع النبي ﷺ في الغار، فرفعتُ رأسي فإذا أنا بأقدام القوم، فقلت: يا نبي الله لو أن بعضهم طأطأ(٣) بَصَره رآنا! فقال رسول الله ﷺ: «**اسكُتْ يا أبا بكر، اثنانِ اللهُ ثالثهما**»(٤).

قال الحافظ في «الفتح»: ومعنى قوله ﷺ: «**الله ثالثهما**»: أي:

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ١٠٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٦٥٣) (٣٩٢٢)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٣٨١).

(٣) **طأطأ**: خفض. انظر: لسان العرب (٨/ ١١٣).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٩٢٢).

مُعاوِنُهما وناصِرُهما، وإلا فهو مع كل اثنينِ بعِلْمِه، كما قال: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧][(١)].

وفي هذا الموقف العظيم يقول الله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

قال الإمام ابن جرير الطبري: هذا إعلامٌ من الله أصحابَ رسول الله ﷺ أنه المتوكل بنصر رسوله ﷺ على أعداء دينه وإظهاره عليهم دونهم، أعانوه أو لم يُعينوه، وتذكيرٌ منه لهم فِعْلَ ذلك به، وهو من العدد في قلة، والعدو في كثرة، فكيف به وهو من العدد في كثرة، والعدو في قلة؟[(٢)].

قلتُ: صَرَف الله ﷻ قلوب وأبصار المشركين عن النظر داخل الغار، فحفظ الله سبحانه بذلك رسوله ﷺ من المشركين.

مغادرة رسول الله ﷺ وصاحبه الغار

أقام رسول الله ﷺ وأبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه في الغار ثلاث ليال، حتى إذا خمدت عنهما نار الطلب، وسكن عنهما الناس، جاءهما عبد الله بن أُريقِط بالراحلتين، فارتحلا، وانطلق معهما عامر بن فُهيرة رضي الله عنه.

قالت عائشة رضي الله عنها: وانطلق معهما عامر بن فُهيرة والدليل، فأخذ بهم طريق السَّاحل[(٣)].

وقال الحافظ ابن كثير: والظاهر أن بين خروجه عليه السلام من مكة ودخوله

---

(١) انظر: فتح الباري (٧/ ٦٧٥).

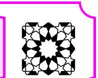
(٢) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٦/ ٣٧٤).

(٣) أخرج ذلك عنها رضي الله عنها: الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٩٠٥).

المدينة خمسة عشر يومًا؛ لأنه أقام بغار ثَوْر ثلاثة أيام، ثم سلك طريق الساحل، وهي أبعد من الطريق الجادَّة(١).

الطريق إلى المدينة

روى الحاكم في «المُستدرَك» بسند حسن عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من الغار إلى الله تعالى مهاجرًا، ومعه أبو بكر، وعامر بن فُهيرة مُردفه أبو بكر خَلْفَه، وعبد الله بن أُريقط الليثي، فسلك بهما أسفلَ من مكة، ثم مضى بهما حتى هبط بهما على الساحل أسفل من عُسْفان، ثم استجاز بهما على أسفل أَمَج، ثم عارَضَ الطريق بعد أن أجاز قُدَيدًا، ثم سَلَك بهما الخزار، ثم أجازهما ثَنيَّة المَرَة، ثم سَلَك لِفتًا، ثم أجاز بهما مَدلجة لِقفٍ، ثم استبطن بهما مَدلجة مَجَاح، ثم سلك بهما مَرْجح، ثم ببطن مَرْجح من ذي الغَضَوَين، ثم ببطن ذي كشْدٍ، ثم أخذ الجداجد، ثم سلك ذِي سَلَم من بطن أعداء مَدْلجة، ثم أحدر القاحة، ثم هبط العَرْج، ثم سلك ثَنية الغائر عن يمين رَكُوبة، ثم هبط بطن رِئم، فقدم قُباء على بني عمرو بن عوف(٢).



أحداث جرت في الطريق

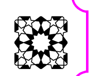
حدثت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومَن معه أحداث وهم في طريق هجرتهم إلى المدينة النبوية؛ فمن ذلك:

روى الإمام البخاري في «صحيحه» عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أقبل

(١) انظر: البداية والنهاية (٣/ ٢٠٤)

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٤٣١٨).

نبي الله ﷺ إلى المدينة وهو مُردفٌ أبا بكر[١]، وأبو بكر شيخ[٢] يُعرَف[٣]، ونبيُّ الله ﷺ شابٌّ[٤] لا يُعرَف، قال: فيَلقى الرَّجُلُ أبا بكر، فيقول: يا أبا بكر مَن هذا الرجلُ الذي بين يديك؟ فيقول: هذا الرجل يَهديني السبيل[٥]، قال: فيحسَب الحاسِبُ أنه إنما يعني: الطريق، وإنما يعني: سبيل الخير[٦].



الراعي وسُقْيا اللبن

روى الشيخان في «صحيحيهما» ـ واللفظ للبخاري ـ عن البراء بن عازب رضي الله عنهما، قال: اشترى أبو بكر رضي الله عنه من عازبٍ رحلًا[٧] بثلاثة عشر

(١) قال الحافظ في الفتح (٢/ ٩١): كأن النبي ﷺ أردفه؛ تشريفًا له وتنويهًا بقَدْره، وإلا فقد كان لأبي بكر ناقةٌ هاجر عليها.

(٢) قال الحافظ في الفتح (٧/ ٦٦٤): يريد أنَّه قد شابَ.

(٣) في رواية الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٢٢٣٤)، قال أنس رضي الله عنه: وكان أبو بكر يُعرَف في الطريق؛ لاختلافه إلى الشام.

قال الحافظ في الفتح (٧/ ٦٦٤): قوله: يُعرف؛ لأن أبا بكر رضي الله عنه كان يمر على أهل المدينة في سفر التجارة، بخلاف النبي ﷺ؛ فإنه كان بعيد العهد بالسفر من مكة.

(٤) قال الحافظ في الفتح (٧/ ٦٦٤): ظاهره أن أبا بكر رضي الله عنه كان أسنَّ من النبي ﷺ، وليس كذلك؛ فقد ثبت في صحيح مسلم، رقم الحديث (٢٣٥٢) عن معاوية رضي الله عنه، قال: مات أبو بكر وهو ابن ثلاث وستين، وكان قد عاش بعد النبي ﷺ سنتين وأشهرًا، فيلزم على الصحيح في سنِّ أبي بكر رضي الله عنه أن يكون أصغر من النبي ﷺ بأكثر من سنتين.

(٥) قلت: وهذا فيه تورية من أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه.

قال الإمام النووي في الأذكار، ص (٦١٢): واعلم: **أن التورية والتعريض** معناهما: أن تُطلِق لفظًا هو ظاهر في معنًى، وتريد به معنًى آخر يتناوله ذلك اللفظ، ولكنه خلاف ظاهره.

(٦) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٩١١)، والإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٢٢٣٤) (١٤٠٦٣).

(٧) قال الحافظ في الفتح (٧/ ٣٣٠): **الرَّحْل**، بفتح، وسكون المهملة، هو للناقة كالسَّرْج للفرَس.

دِرهمًا، فقال أبو بكر لعازب ﵄: مُرِ البراءَ فليحمل إليَّ رحلي، فقال عازب: لا، حتى تُحَدِّثَنا كيف صنعت أنت ورسول الله ﷺ حين خرجتُما من مكة، والمشركون يطلبونكم؟! فقال ﵁: ارتحَلْنا من مكة فأحيينا ـ أو سَرَينا ـ ليلتنا ويومنا حتى أظهَرْنا[١] وقام قائمُ الظهيرة[٢]، فرميتُ ببصري هل أرى من ظِلٍّ فآوي إليه، فإذا صَخرةٌ[٣] أتيتها، فنظرتُ بقيَّة ظِلٍّ لها فسويتُه، ثم فرشتُ للنبي ﷺ فيه[٤]، ثم قلتُ له: اضطجِعْ يا نبي الله، فاضطجعَ النبي ﷺ، ثم انطلقتُ أنظر ما حولي هل أرى من الطلب أحدًا؟ فإذا أنا براعي غنم يسوق غنمه إلى الصخرة، يريد منها الذي أردنا[٥]، فسألته، فقلتُ له: لمن أنت يا غلام؟ فقال: لرجل من قريش، سَمَّاه فعرفته، فقلت، هل في غنمك من لبن؟

قال: نعم. قلت: فهل أنت حالبٌ لنا؟ قال: نعم، فأمَرْتُه فاعتقل شاةً من غنمه، ثم أمَرْتُه أن يَنفُضَ ضَرْعَها من الغبار، ثم أمرته أن يَنفُض كَفَّيه، فقال: هكذا، ضرب إحدى كفيه بالأُخرى، فحلب لي[٦] كُثبة[٧] من لبن،

---

(١) **أظهَرْنا**: إذا دخلنا في وقت الظهر. انظر: النهاية (٣/ ١٥٠).

(٢) قال الحافظ في الفتح (٧/ ٣٣١): أي: نصف النهار، وسُمي قائمًا؛ لأن الظل لا يظهر حينئذٍ، فكأنه واقف.

(٣) في رواية أخرى في صحيح البخاري، رقم الحديث (٣٦١٥): **فَرُفِعَت** لنا صخرة: أي: ظَهَرت.

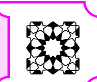
(٤) في رواية أخرى في صحيح البخاري، رقم الحديث (٣٦١٥): وبسَطْتُ عليه فروة، وقلتُ له: نَمْ يا رسول الله.

(٥) أراد الظِّلَّ.

(٦) في رواية أخرى في صحيح البخاري، رقم الحديث (٣٦١٥): فحلب في قَعْب.
القَعْب، بفتح القاف، هو القَدَح الضَّخم. انظر: لسان العرب (١١/ ٢٣٥).

(٧) أي: القليل من اللبن، **والكُثبة**: كل قليل جمعتَه من طعام أو لبن أو غير ذلك. انظر: النهاية (٤/ ١٣٢).

وقد جعلتُ لرسول الله ﷺ إداوةً[(١)] على فمها خِرقةٌ، فصببتُ على اللبن[(٢)] حتى برد أسفله، فانطلقتُ به إلى النبي ﷺ فوافقته قد استيقظ، فقلت: اشرب يا رسول الله، فشَرِبَ حتى رضيتُ[(٣)]! ثم قلت: قد آن الرحيلُ يا رسول الله؟ قال: **بلى**، فارتحَلْنا والقومُ يطلُبوننا[(٤)].



مطاردة سُراقة بن مالك رضي الله عنه

أسلم سُراقة بن مالك رضي الله عنه عند النبي ﷺ بالجِعْرَانة، حين انصرف من حُنَين والطائف، وحَسُن إسلامُه، وقصَّتُه في خروجه وراء النبي ﷺ في الهجرة مشهورة؛ فقد روى الإمام البخاري في «صحيحه»، والإمام أحمد في «مسنده» ـ واللفظ لأحمد ـ عن سُراقة بن مالك رضي الله عنه قال: جاءنا رُسُلُ كفار قريش، يجعلون في رسول الله ﷺ وفي أبي بكر ديةَ كُلِّ واحد منهما، لمن قتلهما، أو أسَرَهما[(٥)]، فبينا أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مُدْلج، أقبل رجل منهم حتى قام علينا، فقال: يا سُراقةُ، إني رأيتُ آنفًا

---

(١) **الإداوة**: بالكسر هي إناء صغير من جلد يُتَّخذ للماء. انظر: النهاية (١/ ٣٦).
وهذه الإداوة كان فيها ماء، فقد جاء في رواية أخرى في صحيح البخاري، رقم الحديث (٣٦١٥) قال أبو بكر رضي الله عنه: ومعي إداوة حملتها للنبي ﷺ يرتوي منها، يشرب ويتوضأ.

(٢) أي: صبَبْتُ الماء الذي في الإداوة على اللَّبن.

(٣) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٣/ ١٥٢): معناه: شَرِبَ حتى علمتُ أنه شرب حاجتَه وكفايتَه.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٦١٥) (٣٦٥٢)، ومسلم في صحيحه، في موضعين، مطوَّلًا ومختَصَرًا؛ فالمطول أخرجه في كتاب الزهد والرقائق، باب في حديث الهجرة، رقم الحديث (٢٠٠٩) (٧٥)، والمختصَر أخرجه في كتاب الأشربة، باب جواز شرب اللبن، رقم الحديث (٢٠٠٩) (٩٠).

(٥) **قدر الدية**: مئة ناقة، كما في رواية ابن إسحاق في السيرة (٢/ ١٠٣).

أسوِدَةً[١] بالساحل، إني أُراها محمدًا وأصحابَه!

قال سراقة ﵁: فعرفتُ أنهم هم، فقلت: إنهم ليسوا بهم، ولكن رأيت فلانًا وفلانًا انطلقَا آنفًا[٢]، قال: ثم لبثتُ في المجلس ساعة، حتى قمتُ، فدخلتُ بيتي، فأمرتُ جاريتي أن تُخرِجَ لي فرسي، وهي من وراء أَكَمَةٍ[٣]، فتحبسها عليَّ، وأخذتُ رُمحي، فخرجتُ به من ظَهْر البيت، فخططتُ برمحي الأرض، وخفضتُ عاليةَ الرُّمح حتى أتيتُ فرسي فركِبْتُها، فرفعتُها[٤] تُقَرِّبُ بي، حتى رأيتُ أسوِدَتَهما، فلما دنوتُ منهم حيث يُسمِعُهم الصوت، عَثَرَت بي فرسي، فخرَرْتُ عنها، فقمتُ، فأهوَيْتُ بيدي إلى كنانتي[٥]، فاستخرَجْتُ منها الأزلام[٦]، فاستقسمتُ بها: أضُرُّهم أم لا؟

فخرج الذي أكره: أن لا أضُرَّهم، فركبتُ فرسي، وعصيتُ الأزلام، فرفعتُها تُقَرِّبُ بي، حتى إذا دنوتُ منهم عَثَرَت بي فرسي، فخررتُ عنها، فقُمتُ، فأهويتُ بيدي إلى كنانتي، فأخرجتُ الأزلام، فاستقسمتُ بها، فخرج الذي أكره: أن لا أضُرَّهم، فعصيتُ الأزلام، وركبتُ فرسي، فرفعتُها تُقرب

---

(١) **أسوِدَةً**: أي: أشخاصًا. انظر: النهاية (٢/ ٣٧٧).

(٢) **قلت**: في إنكار سراقة ﵁ ما يدل على أنه أراد الدِّيَة لنفسه، كما في رواية ابن إسحاق في السيرة (٢/ ١٠٣)، قال ﵁: وكنتُ أرجو أن أردَّه على قريش، فآخُذَ المائةَ الناقةِ.

(٣) **الأَكَمَة**: التَّلُّ الصغير، أو هو الموضع الذي هو أشد ارتفاعًا مما حوله. انظر: لسان العرب (١/ ١٧٣).

وفي رواية ابن إسحاق في السيرة (٢/ ١٠٣): ثم أمرتُ بفرسي، فقُيِّد لي إلى بطن الوادي.

(٤) قال الحافظ في الفتح (٧/ ٦٥١): أي: أسرعتُ بها السير.

(٥) **الكِنانة**: هي التي يُجعَل فيها السِّهام. انظر: النهاية (١/ ٢٦٥).

(٦) **الزُّلَم والزَّلَم**: واحدة الأزلام، وهي القِدَاح التي كانت في الجاهلية عليها مكتوب: الأمر والنهي، افعل، ولا تفعَلْ، كان الرجل منهم يضعها في وعاء له، فإذا أراد سفرًا أو زواجًا أو أمرًا مهمًّا، أدخل يده فأخرج منها زلَمًا، فإن خرج الأمر مضى لشأنه، وإن خرج النهي كف عنه ولم يفعله. انظر: النهاية (٢/ ٢٨١).

بي، حتى إذا سمعتُ قراءة النبي ﷺ، وهو لا يلتفتُ، وأبو بكر يُكثِر الالتفات، ساخت[١] يدا فرسي في الأرض حتى بلغت الرُّكبَتَين[٢]، فخررتُ عنها، فزجَرْتُها[٣]، فنهَضَت، فلم تكَدْ تُخرج يديها، فلما استوت قائمة إذا لِأَثَرِ يديها عُثانٌ[٤] ساطع في السماء مثل الدخان، فاستقسمتُ بالأزلام، فخرج الذي أكره: أن لا أضُرَّهم، فناديتُهما بالأمان، فوقفا، فركبتُ فرسي حتى جئتهم، فوقع في نفسي ـ حين لقيتُ من الحبس عنهم ـ أنه سيظهر أمر رسول الله ﷺ، فقلتُ له: إنَّ قومَك قد جعلوا فيك الدِّيَةَ، وأخبَرْتُهم من أخبار سَفَرِهم، وما يريد الناس بهم، وعرضْتُ عليهم الزاد والمتاع، فلم يَرْزَؤُوني[٥] شيئًا، ولم يسألوني إلا أن: أَخْفِ عَنَّا، فسألته أن يكتب لي كتاب موادعةٍ آمَنُ به، فأمر عامر بن فُهيرة، فكتب لي في رقعة من أديم[٦]، ثم مضى رسول الله ﷺ[٧].

وفي حديث أنس رضي الله عنه في «صحيح البخاري»، قال: قال رسول الله ﷺ

---

(١) **ساخت**: أي: غاصت. انظر: النهاية (٢/ ٣٧٤).

(٢) في رواية أخرى في صحيح البخاري، رقم الحديث (٣٦١٥)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٠٠٩) عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، قال: فدعا عليه رسول الله ﷺ، فارتطَمَت به فرسه إلى بطنها، أُرَى، في جَلَدٍ من الأرض.
فارتطمت: أي: ساخت قوائمها. انظر: النهاية (٢/ ٢١٢).
جَلَد من الأرض: أي: صُلْبة. انظر: النهاية (١/ ٢٧٥).

(٣) **زجرها**: حثها. انظر: النهاية (٢/ ٢٦٨).

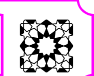
(٤) **العُثَان**: جاء تفسيره في الحديث: الدُّخَان من غير نار.

(٥) في رواية الإمام البخاري: فلم **يَرْزَآني**.
أي: لم يسألاني، ولم يأخذا مني شيئًا. انظر: النهاية (٢/ ١٩٩).

(٦) **الأديم**: الجِلْد. انظر: لسان العرب (١/ ٩٦).

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٩٠٦)، والإمام أحمد في المسند، رقم الحديث (١٧٥٩١)، وأخرجه من طريق البراء به عازب رضي الله عنهما: البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٢٦١٥)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٠٠٩).

لسُراقة: «**لا تترُكَنَّ أحدًا يَلحَقُ بنا**»، قال: فكان أوَّلَ النهار جاهدًا على نبي الله ﷺ، وكان آخر النهار مَسْلَحةً له![١].



قصة الأعرابي وإسلامه

روى الحاكم في «المستدرك» بسند صحيح عن قيس بن النعمان، قال: لما انطلق النبي ﷺ وأبو بكر مستخفين، مرُّوا بعبدٍ يَرعى غنمًا، فاستسقاه من اللبن، فقال: ما عندي شاةٌ تُحلَب غير أن هاهنا عَناقًا[٢] حَمَلت أوَّلَ الشتاء، وقد أخرجت[٣]، وما بقي لها لبن، فقال: ادعُ بها، فدعا بها، فاعتقلها[٤] النبي ﷺ ومسح ضَرعها، ودعا حتى أنزلت، قال: وجاء أبو بكر بمِحْجَن[٥]، فحلب فسقى أبا بكر، ثم حلب فسقى الراعي، ثم حلب فشرب، فقال الراعي: بالله مَن أنت؟! فوالله ما رأيتُ مثلك قط! قال رسول الله ﷺ: «**أوَتُراك تكتُمُ عليَّ حتى أخبِرَك؟**» قال: نعم. قال رسول الله ﷺ: «**فإني محمد رسول الله**»، فقال: أنت الذي تزعم قريش أنه صابئ؟ قال رسول الله ﷺ:

---

(١) قال السندي في شرحه للمسند (٧/ ٣٨٥): **مَسْلحة له**، بفتح الميم؛ أي: حافظًا له من العدو.
والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٩١١).

(٢) **العَناق**: هي الأنثى من أولاد المَعْز ما لم يتمَّ له سنة. انظر: النهاية (٣/ ٢٨١).

(٣) **أخرجت**: ولدت ولدها ناقِصَ الخَلْق. انظر: النهاية (٢/ ١٣).

(٤) **اعتقل الشاة**: هو أن يضع رِجْلها بين ساقه وفخده، ثم يحلبها. انظر: النهاية (٣/ ٢٥٥).

(٥) **أصل الحَجن**: اعوجاج الشيء. انظر: لسان العرب (٣/ ٦٨).
ويظهر أن أبا بكر رضي الله عنه جاء بحجر أو خشب مُنقعِر، يعني: ذات قعر؛ أي: عُمق، فحلب فيها.
ووقع في مسند الإمام أحمد، رقم الحديث (٤٤١٢) بسند حسن، في قصة ابن مسعود رضي الله عنه لما مر عليه رسول الله ﷺ وأبو بكر، قال: ثم أتاه أبو بكر رضي الله عنه بصخرة منقعرة، فاحتلب فيها، فشرب.

«**إنهم ليقولون ذلك**»، قال: فأشهد أنك نبي، وأشهد أن ما جئتَ به حق، وأنه لا يفعل ما فعلتَ إلا نبي، وأنا متَّبِعُك، فقال رسول الله ﷺ: «**إنك لن تستطيع ذلك يومَك، فإذا بلغك أني قد ظهرتُ فأْتِنا**»[١].



مرور الرسول ﷺ على أم مَعْبَد الخُزاعيَّة

روى الحاكم في «المستدرك» والبغوي في «شرح السُّنَّة» بسند حسن، عن هشام بن حُبيش بن خويلد رضي الله عنه صاحب رسول الله ﷺ: أن رسول الله ﷺ خرج من مكة مهاجرًا إلى المدينة، وأبو بكر ومولى أبي بكر؛ عامر بن فُهيرة، ودليلهما الليثي عبد الله بن أُريقِط، مروا على خيمةِ أم مَعْبَد الخزاعية، وكانت امرأةً بَرْزةً[٢] جَلْدَةً[٣]، تحتبي[٤] بفِناء[٥] الخيمة، ثم تسقي وتُطعِم، فسألوها لحمًا وتمرًا ليشتروا منها، فلم يُصيبوا عندها شيئًا من ذلك، وكان القوم مُرملين[٦] مُسنِتين، فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة في كِسْر[٧] الخيمة، فقال: «**ما هذه الشاة يا أم مَعْبَد؟**» قالت: شاة خَلَّفَها الجَهدُ[٨] عن الغنم، فقال رسول الله ﷺ: «**هل بها من لبن؟**» قالت: هي أجهَدُ من ذلك. قال رسول الله ﷺ: «**أتأذنين لي أن أحلبها؟**» قالت: بأبي وأمي، إن رأيتَ بها

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٤٣١٩).

(٢) يُقال: **امرأة بَرْزة**: إذا كانت كَهْلة لا تحتجب احتجاب الشوابِّ، وهي مع ذلك عفيفة عاقلة تجلس للناس وتُحدِّثهم، من البروز، وهو الظهور والخروج. انظر: النهاية (١/ ١١٨).

(٣) **جَلْدَة**: أي: قوية في نفسها وجسمها. انظر: النهاية (١/ ٢٧٥).

(٤) **الاحتباء**: هو أن يضُمَّ الإنسان رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره، ويشدَّه عليها، وقد يكون الاحتباء باليدين عِوَضَ الثوب. انظر: النهاية (١/ ٣٢٤).

(٥) **الفِناء**، بكسر الفاء، هو المتسَع أمام الدار. انظر: النهاية (٣/ ٤٢٨).

(٦) **مُرمِلين**: أي: نَفِد زادهم. انظر: النهاية (٢/ ٢٤٠).

(٧) **الكِسر**: الجانب. انظر: النهاية (٤/ ١٤٩).

(٨) **الجَهد**، بفتح الجيم؛ أي: المشقة. انظر: النهاية (١/ ٣٠٨).

حَلْبًا فاحلُبْها، فدعا بها رسول الله ﷺ فمسح بيده ضرعها وسَمَّى الله تعالى، ودعا لها في شاتها، فتفاجَّت[١] عليه ودرَّت فاجترَّت، فدعا بإناء يُربِضُ[٢] الرَّهْطَ[٣]، فحلب فيه ثجًّا[٤] حتى علاه البهاء[٥]، ثم سقاها حتى رَوِيَت، وسقى أصحابه حتى رَوُوا حتى أراضُوا[٦] وشرب آخرهم، ثم حلب فيه الثانية على بَدْءٍ[٧]، حتى ملأ الإناء، ثم غادره عندها، ثم بايعها وارتحلوا عنها[٨].



(١) **التفاجُّ**: المبالغة في تفريج ما بين الرجلين. انظر: النهاية (٣/ ٢٧٠).

(٢) **يُربض**: أي: يرويهم ويثقلهم حتى يناموا ويمتدوا على الأرض. انظر: النهاية (٢/ ١٦٩).

(٣) **الرهط من الرجال**: ما دون العشرة. انظر: النهاية (٢/ ٢٥٧).

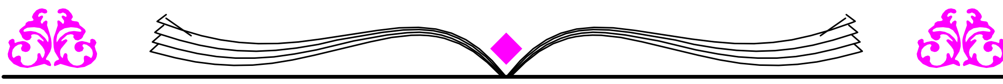
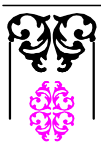
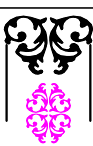
(٤) أي: لبنًا سائلًا كثيرًا. انظر: النهاية (١/ ٢٠٢).

(٥) **أراد بهاء اللبن**، وهو بريق رغوته. انظر: النهاية (١/ ١٦٦).

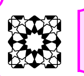
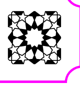
(٦) **أراضوا**: أي: شربوا حتى روُوا. انظر: النهاية (١/ ٤٢).

(٧) **بَدْءٍ**: أي: بعد ابتداء بلا مكث. انظر: المعجم الوسيط (١/ ٤٢).

(٨) أخرجه الحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٤٣٢٠)، والبغوي في شرح السُّنَّة، رقم الحديث (٣٧٠٤)، وقال محقِّقه الشيخ شعيب الأرنؤوط: حديث حسن قوي، وأورد قصة أم مَعْبَد: الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٣/ ٢٠٤) وقال: وقصتها مشهورة مروية من طرق يشُدُّ بعضها بعضًا.
قلت: ذكر الحافظ البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٤٩١، ٤٩٢) في مَعرِض حديثه عن هجرة النبي ﷺ قصة شبيهة بقصة أم مَعْبَد، ثم قال: وهذه القصة وإن كانت تنقص عما روينا في قصة أم مَعْبَد ويزيد في بعضها، فهي قريبة منها، ويُشبه أن يكونا واحدة.
وذكرها الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٣/ ٢٠٦) وعزاها للبيهقي في دلائل النبوة، وحسَّن إسنادها.

السنة الأولى للهجرة

وصول الرسول ﷺ وصاحبه إلى قُباء

روى الإمام البخاري في «صحيحه» عن عروة بن الزبير، قال: وسمع المسلمون بالمدينة مَخرَج رسول الله ﷺ من مكة، فكانوا يَغدُون كلَّ غداة إلى الحَرَّة[(١)] فينتظرونه، حتى يرُدَّهم حر الظهيرة، فانقلبوا[(٢)] يومًا بعدما أطالوا انتظارهم، فلما أَوَوا إلى بيوتهم أوفى[(٣)] رجل من يهود على أُطُمٍ[(٤)] من آطامهم لأمرٍ ينظر إليه، فبَصُرَ برسول الله ﷺ وأصحابه مُبَيَّضِينَ يزول بهم السَّرابُ، فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته: يا معشر العرب[(٥)]، هذا جَدُّكم[(٦)] الذي تنتظرون؛ فثار المسلمون إلى السلاح، فتلقَّوا رسول الله ﷺ بظهر الحَرَّة، فعدل بهم ذاتَ اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف، وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول[(٧)]، فقام أبو بكر للناس، وجلس

---

(١) **الحَرَّة**: هي أرض بظاهر المدينة بها حجارة سود كثيرة. انظر: النهاية (١/ ٣٥١).

(٢) **الانقلاب**: الرجوع. انظر: النهاية (٤/ ٨٥).

(٣) **أوفى**: طلع إلى مكان عالٍ، فأشرف منه. انظر: لسان العرب (١٥/ ٣٥٩).

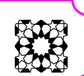
(٤) **الأُطُم**: هو الحصن. انظر: النهاية (١/ ٥٧).

(٥) في رواية ابن إسحاق في السيرة (٢/ ١٠٦): يا بني قَيلة.
قال الحافظ في الفتح (٧/ ٦٥٤): **قَيْلة**، بفتح القاف وسكون الياء، هي الجَدَّة الكبرى للأنصار، والدة الأوس والخزرج، وهي قَيلة بنت كاهل.

(٦) قال الحافظ في الفتح (٧/ ٦٥٤): **جَدُّكم**، بفتح الجيم، أي: حظُّكم، وصاحب دولتكم الذي تتوقَّعونه.

(٧) قال الحافظ في الفتح (٧/ ٦٥٥): هذا هو المعتمد، وشَذَّ مَن قال يوم الجمعة. =

رسول الله ﷺ صامتًا، فطَفِق[1] مَن جاء من الأنصار ممن لم يَرَ رسول الله ﷺ يُحَيِّي أبا بكر، حتى أصابت الشمسُ رسول الله ﷺ، فأقبل أبو بكر حتى ظَلَّلَ عليه بردائه، فعرف النَّاسُ رسولَ الله ﷺ عند ذلك، فلبث رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة[2]، وأسَّس المسجد الذي أُسِّس على التقوى[3]، وصلى فيه رسول الله ﷺ[4].



بناء مسجد قباء وفضله

وبنى رسول الله ﷺ خلال إقامته في قُباء: مسجد قُباء، وهو أول مسجد بُني في الإسلام لجماعة المسلمين، وقال الله فيه: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [التوبة: ١٠٨][5].

قال الحافظ في «الفتح»: وهو في التحقيق أول مسجد صلى النبي ﷺ فيه بأصحابه جماعةً ظاهرًا، وأول مسجد بُني لجماعة المسلمين[6].

= وفي رواية ابن إسحاق في السيرة (٢/ ١٠٥): لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول يوم الاثنين.

(١) **طفق**: جعل. انظر: لسان العرب (٨/ ١٧٤).

(٢) في رواية ابن إسحاق في السيرة (٢/ ١٠٨): فأقام رسول الله ﷺ بقباء في بني عمرو بن عوف يوم الاثنين، ويوم الثلاثاء، ويوم الأربعاء، ويوم الخميس، وأسَّس مسجده، وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه مكث فيهم أكثر من ذلك.

(٣) هو: مسجد قُباء.
قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٣/ ٢٢٣): فكان هذا المسجد أول مسجد بُني في الإسلام بالمدينة؛ بل أول مسجد جُعِلَ لعموم الناس في هذه المِلَّة.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٩٠٦)، والحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٤٣٢٣)، وابن إسحاق في السيرة (٢/ ١٠٦).

(٥) قال الحافظ في الفتح (٨/ ٦٥٦): الجمهور على أن المراد به مسجد قباء، وهو ظاهر الآية.

(٦) انظر: فتح الباري (٧/ ٦٥٦).

وكان رسول الله ﷺ يزور مسجد قباء بعدما أقام في المدينة، ويُصلي فيه، فروى الشيخان في «صحيحيهما» ـ واللفظ لمسلم ـ عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: كان رسول الله ﷺ يأتي مسجد قُباء راكبًا وماشيًا، فيُصلي فيه ركعتين[١].

وفي لفظ آخر في «الصحيحين» عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: كان النبي ﷺ يأتي مسجد قُباء كلَّ سبت ماشيًا وراكبًا[٢].

وروى الحاكم في «المستدرك» بسند صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: كان رسول الله ﷺ يُكثر الاختلاف[٣] إلى قُباء ماشيًا وراكبًا[٤].

وروى ابن ماجه والحاكم ـ واللفظ للحاكم ـ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: دخل رسول الله ﷺ مسجد بني عمرو بن عوف، وهو مسجد قُباء، يُصلي فيه، فدخل عليه رجال من الأنصار يُسلِّمون عليه[٥].

* وأما ما جاء في فضل الصلاة في مسجد قباء، فروى الإمام أحمد في «مسنده»، وابن ماجه، بسند حسن ـ واللفظ لابن ماجه ـ عن سهل بن حُنيف رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَن تطهر في بيته، ثم أتى مسجد قباء، فصلَّى فيه صلاة، كان له كأجر عُمْرة»**[٦].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١١٩٤)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٣٩٩) (٥١٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١١٩٣)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٣٩٩) (٥٢١).

(٣) **اختلف إلى المكان**: ترَدَّد. انظر: المعجم الوسيط (١/ ٢٥١).

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك، رقم الحديث (١٨١٣).

(٥) أخرجه ابن ماجه في سننه، رقم الحديث (١٠١٧)، والحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٤٣٢٤).

(٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٥٩٨١)، وابن ماجه في سننه، رقم الحديث (١٤١٢).

ارتحال رسول الله ﷺ من قُباء ودخوله المدينة

فلما كان يوم الجمعة ركب رسول الله ﷺ راحلته، وأردف خلفه أبا بكر الصديق رضي الله عنه وأرخى لراحلته الزمام حتى دخلت المدينة النبوية في جو مشحون بالفرح والسرور، ولم تَزَل ناقة رسول الله ﷺ سائرة به وبأبي بكر رضي الله عنه حتى إذا أتت دار بني مالك بن النجَّار ـ وهو موضع المسجد النبوي اليوم ـ بَرَكت، وذلك في بني النجار أمام دار أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه.

روى الإمام البخاري والإمام أحمد ـ واللفظ لأحمد ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ثم بَعَث رسول الله ﷺ إلى الأنصار فجاؤوا نبيَّ الله ﷺ، فسلَّموا عليهما[1]، وقالوا: اركبَا آمنينِ مطاعَينِ، قال: فركب رسول الله ﷺ وأبو بكر وحَفُّوا حولهما بالسلاح، فقيل في المدينة: جاء نبي الله؛ فاستشرفوا[2] نبي الله ﷺ ينظرون إليه، ويقولون: جاء نبي الله ﷺ، فأقبل يسير حتى نزل إلى جانب دار أبي أيوب رضي الله عنه... فقال رسول الله ﷺ: «**أيُّ بيوت أهلنا أقرب؟**» فقال أبو أيوب رضي الله عنه: أنا يا نبيَّ الله، هذه داري، وهذا بابي، فقال رسول الله ﷺ: «**فانطَلِقْ فهَيِّئْ لنا مَقِيلًا**»[3]، فذهب فهيَّأَ لهما مقيلًا، ثم جاء، فقال: يا نبي الله، قد هيأتُ لكما مَقِيلًا، فقوما على بركة الله فقِيلَا[4].

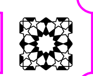
وروى الإمام البخاري في «صحيحه» عن عروة بن الزبير، قال: ثم ركب راحلته، فسار يمشي معه الناس، حتى بركت عند مسجد الرسول ﷺ بالمدينة، وهو يُصلي فيه يومئذٍ رجال من المسلمين، وكان مِرْبَدًا[5] للتمر

(١) على رسول الله ﷺ وأبي بكر الصديق رضي الله عنه.
(٢) **استشرفوا**: أي: خرجوا إليه. انظر: النهاية (٢/ ٤١٤).
(٣) قال الحافظ في الفتح (٧/ ٦٦٦): أي: مكانًا تقع فيه القيلولة، **والقيلولة**: هي الاستراحة نصف النهار، وإن لم يكن معها نوم.
(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٩١١)، والإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٣٢٠٥).
(٥) **المِرْبَد**، بكسر الميم، هو المكان الذي يُجعل فيه التمر لينشف. انظر: النهاية (٢/ ١٦٨).

لسُهيل وسَهل؛ غلامينِ يتيمينِ في حِجر أسعَدَ بنِ زُرارة ﵁، فقال رسول الله ﷺ حين بَرَكت به راحلته: «**هذا ـ إن شاء الله ـ المَنزِل**»[١].

وروى الإمام أحمد في «مسنده» بسند صحيح عن أبي بكر الصديق ﵁، قال: ومضى رسول الله ﷺ، وأنا معه حتى قدمنا المدينة، فتلقاه الناس، فخرجوا في الطريق وعلى الأجاجير[٢]: فاشتَدَّ الخَدَم والصبيان في الطريق يقولون: الله أكبر، جاء رسول الله ﷺ جاء محمد، وتنازع القوم أيُّهم ينزل عليه، فقال رسول الله ﷺ: «**أنزِلُ الليلةَ على بني النجار؛ أخوالِ عبد المُطَّلِب؛ لأُكرِمَهم بذلك**»[٣].

قال الحافظ ابن كثير: فهذه منقبة عظيمة لأبي أيوب خالد بن زيد ﵁؛ حيث نزل في داره رسول الله ﷺ، وكذلك نزوله ﷺ في دار بني النجار، واختيار الله له ذلك منقبة عظيمة، وقد كان في المدينة دُورٌ كثيرة تبلغ تسعًا، كُلُّ دار مَحَلَّة مستقلَّة بمساكنها ونخيلها وزروعها وأهلها، كل قبيلة من قبائلهم قد اجتمعوا في محلتهم، وهي كالقرى المتلاصقة، فاختار الله لرسوله ﷺ دار بني مالك بن النجار[٤].



كانت المدينة قُرًى مُفَرَّقة

كانت المدينة النبوية قبل قدوم النبي ﷺ عبارة عن قُرًى متفرقة، وكل فَخذ من الأنصار مع بعضهم البعض.

قال الإمام الذهبي: كانت يثرب[٥] لم تُمصَّرْ[٦]، وإنما كانت قُرًى

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٩٠٦).

(٢) **الأجاجير**: يعني: السطوح. انظر: النهاية (١/ ٣٠).

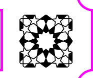
(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٣)، وأخرج منه: أنزل الليلة على بني النجار... إلخ: الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٠٠٩).

(٤) انظر: البداية والنهاية (٣/ ٢١٦).

(٥) **يثرب**: هي المدينة النبوية، وكان هذا اسمَها في الجاهلية.

(٦) **مَصَّرَها**: بناها. انظر: المعجم الوسيط (٢/ ٨٧٣).

مفرقة: بنو مالك بن النجار في قرية، وهي مثل المَحَلَّة[١]، وهي دار بني فلان، كما في الحديث، «**خير دُور الأنصار دار بني النجَّار**»[٢]، وكانت بنو عَدِيٍّ بن النجار لهم دار، وبنو مازن بن النجار كذلك، وبنو سالم كذلك، وبنو ساعدة كذلك، وبنو الحارث بن الخزرج كذلك، وبنو عمرو بن عوف كذلك، وبنو عبد الأشهل كذلك، وسائر بطون الأنصار كذلك، قال النبي ﷺ: «**وفي كل دُور الأنصارِ خَير**»[٣].



فضائل المدينة النبوية

قال الحافظ ابن كثير: شَرُفَت المدينة بهجرته ﷺ إليها، وصارت كهفًا لأولياء الله وعباده الصالحين، ومَعقِلًا وحِصنًا منيعًا للمسلمين، ودار هدًى للعالَمين، والأحاديث في فضلها كثيرة جدًّا[٤].

وروى الشيخان في «صحيحيهما» عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: إن رسول الله ﷺ قال: «**إن الإيمان لَيَأْرِزُ**[٥] **إلى المدينة كما تَأرِزُ الحَيَّةُ إلى جُحْرِها**»[٦].

---

(١) **المَحَلَّة**: منزل القوم. انظر: لسان العرب (٣/ ٢٩٦).

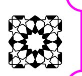
(٢) أخرج هذا الحديث: البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٧٨٩)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٥١١) (١١٧).

(٣) أخرج هذا الحديث: البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٧٨٩)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٥١١) (١١٧).
وانظر كلام الإمام الذهبي في: السيرة النبوية (١/ ٢٨٦).

(٤) انظر: البداية والنهاية (٣/ ٢١٨).

(٥) قال الحافظ في الفتح (٤/ ٥٨٠): **يَأْرِزُ**، بفتح أوله، وسكون الهمزة، وكسر الراء وقد تُضم، بعدها زاي.
وقال ابن الأثير في النهاية (١/ ٤١): يأرِزُ؛ أي: ينضَمُّ إليها ويجتمع بعضه إلى بعض فيها.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٨٧٦)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٤٧).

بناء المسجد النبوي

أول عمل قام به رسول الله ﷺ بعد استقراره في المدينة النبوية هو بناء المسجد النبوي؛ فروى الشيخان في «صحيحيهما» عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: ثم إنه أمر[١] ببناء المسجد، فأرسل إلى ملأ بني النجار، فجاؤوا، فقال رسول الله ﷺ: «**يا بني النجَّار ثامِنوني حائِطَكم[٢] هذا**»، فقالوا: لا وَاللهِ، لا نطلُبُ ثَمَنَه إلَّا إلى الله تعالى[٣].

وفي رواية أخرى في «صحيح البخاري»، قال عُروة بن الزُّبَير: بَرَكت[٤] عند مسجد الرسول ﷺ بالمدينة، وهو يُصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين، وكان مِرْبَدًا للتمر لسُهَيل وسُهل؛ غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة رضي الله عنه، فقال رسول الله ﷺ حين بركت به راحلته: «**هذا ـ إن شاء الله ـ المنزل**»، ثم دعا رسولُ الله ﷺ الغلامين، فساومهما بالمِرْبَد ليتخذه مسجدًا، فقالا: لا؛ بل نَهَبُه لك يا رسول الله ﷺ، فأبى رسول الله ﷺ أن يقبله منهما هبةً حتى ابتاعه[٥] منهما، ثم بناه مَسجِدًا[٦].

ثم شرع[٧] رسولُ الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم في بناء المسجد النبوي؛ فروى الإمام أحمد في «مسنده» بسند صحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: كان موضِعُ

---

(١) يعني: الرسول ﷺ.

(٢) **الحائط**: هو البستان من النخيل إذا كان عليه حائطٌ، وهو الجدار. انظر: النهاية (١/ ٤٤٤).
قال الحافظ في الفتح (٧/ ٦٨٣): تقدَّم أنه كان مِرْبدًا، فلعله كان أولًا حائطًا، ثم خرب فصار مِرْبدًا.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٩٣٢)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٥٢٤) (٩).

(٤) يعني: ناقة الرسول ﷺ.

(٥) **ابتاع الشيء**: اشتراه. انظر: لسان العرب (١/ ٥٥٧).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٩٠٦).

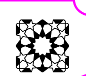
(٧) **شرع فلان في كذا**: إذا أخذ فيه. انظر: لسان العرب (٧/ ٨٧).

مسجد النبي ﷺ لبني النجَّار، وكان فيه نخل وحَرْث وقبور من قبور الجاهلية. . . فأمر رسول الله ﷺ بالنخل فَقُطِعَ، وبالحرث فأُفسِد، وبالقبور فَنُبِشَت[١].

وفي «صحيح البخاري» ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: أمر رسول الله ﷺ بقبور المشركين فَنُبِشت، وبالخِرَبِ[٢] فسُوِّيَت، وبالنخل فقُطِعَ، فصفُّوا النخل قبلة المسجد، وجعلوا عِضادَتَيه[٣] حجارةً، وجعلوا ينقلون ذاك الصخر وهم يرتجِزون، ورسول الله ﷺ معهم[٤]، يقولون:

اللَّهُمَّ إنَّه لا خيرَ إلَّا خيرُ الآخِرَهْ   فانصُرِ الأنصارَ والمُهاجِرَهْ[٥]

وبُنِي المسجد النبوي في أبسط صورة؛ فقد روى الإمام البخاري في «صحيحه» عن نافع أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أخبره: أن المسجد كان على عهد رسول الله ﷺ مبنيًّا باللَّبِن[٦] وسَقفُه الجريد، وعُمُدُه خَشَب النخل[٧].



بناء حُجُرات أزواج النبي ﷺ

وبنى رسول الله ﷺ حول مسجده الشريف حُجَرًا؛ لتكون مساكِنَ له ولأهله، وكانت في أبسط صورة؛ فكان لسَودة بنت زَمْعة رضي الله عنها بيت، وآخَرُ لعائشة رضي الله عنها؛ لأن رسول الله ﷺ لم يكن تزوج في ذلك الوقت غيرَهما.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٢٢٤٢).

(٢) **الخِرَب**، بكسر الخاء، وفتح الراء، هو الموضع المحروث للزراعة. انظر: النهاية (٢/ ١٨).

(٣) **عِضادتا الباب**: الخشبتان المنصوبتان عن يمين الداخل منه وشماله. انظر: لسان العرب (٩/ ٢٥٤).

(٤) في رواية أخرى في صحيح البخاري، رقم الحديث (٣٩٠٦)، قال عروة بن الزبير: وطَفِقَ رسول الله ﷺ ينقل معهم اللَّبِنَ في بُنيانِه.

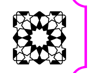
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٢٨) (٣٩٣٢)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٥٢٤) (٩).

(٦) قال الحافظ في الفتح (٧/ ٦٥٨): **اللَّبِنُ**، بفتح اللام، وكسر الباء، هو الطوب المعمول من الطين.

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٤٦).

روى الإمام البخاري في «الأدب المفرد» بسند صحيح عن داود بن قيس، قال: رأيت الحُجُرات من جريد النخل، مَغشيًّا من خارج بمُسوح الشَّعْر[(١)]، وأظنُّ عَرْض البيت من باب الحُجرة إلى باب البيت نحوًا من ستِّ أو سبعِ أذرُع، وأَحزِرُ البيت الداخل عشر أذرُع، وأظن سُمْكَه بين الثمان والسبع نحو ذلك، ووقفت عند باب عائشة، فإذا هو مستقبِل المغرِب[(٢)].

وروى الإمام البخاري في «الأدب المفرد» بسند صحيح عن محمد بن هلال، أنه رأى حُجَر أزواج النبي ﷺ من جريد مستور بمُسوح الشَّعْر، فسألته عن بيت عائشة؟ فقال: كان بابه من وِجهة الشام، فقلت: مِصراعًا كان أو مِصراعين؟ قال: كان بابًا واحدًا. قلت: من أي شيء كان؟ قال: من عَرْعَر[(٣)] أو ساج[(٤)].



المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

ثم آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار ﵃، وعُقِدَت المؤاخاة في دار أنس بن مالك ﵁؛ فقد روى الشيخان في «صحيحيهما» والإمام أحمد في «مسنده» ـ واللفظ لأحمد ـ عن أنس بن مالك ﵁ قال: حالف رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار في دارنا. قال سفيان: كأنه يقول: آخى[(٥)].

---

(١) **مُسوح الشَّعر**: جمع مِسْح، بكسر الميم، وهو الكِساء من الشَّعر. انظر: لسان العرب (١٣/ ١٠١).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، رقم الحديث (٤٥١).

(٣) **العَرْعَر**: جنس أشجار الصَّنَوْبَر. انظر: المعجم الوسيط (٢/ ٥٩٥).

(٤) **السَّاج**: خشب يُجلَب من الهند، واحدتها: ساجة. انظر: لسان العرب (٦/ ٤١٩).
والخبر أخرجه الإمام البخاري في الأدب المفرد، رقم الحديث (٧٧٦).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٢٢٩٤) (٧٣٤٠)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٥٢٩) (٢٠٤) (٢٠٥)، والإمام أحمد في المسند، رقم الحديث (١٢٠٨٩).

قال الحافظ في «الفتح»: كان ابتداء المؤاخاة أوائِلَ قدوم رسول الله ﷺ المدينة، واستمر يُجددها بحسب مَن يدخل في الإسلام أو يحضر إلى المدينة[(١)].

وقال الإمام ابن القيم: آخى بينهم على المواساة، ويتوارثون بعد الموت دون ذوي الأرحام إلى حينِ وقعة بدْر، فلما أنزل الله ﷻ: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ﴾ [الأنفال: ٧٥]، ردَّ التوارث على الرَّحِمِ دون عَقْد الأُخُوة[(٢)].

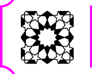
وروى الحاكم في «المستدرك» بسند حسن عن الزُّبير بن العوَّام رضي الله عنه، قال: فينا نزلت هذه الآية: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾، قال: كان رسول الله ﷺ قد آخى بين رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار، فلم أشكَّ أنَّا نتوارث لو هلك كعبٌ[(٣)]، وليس له مَن يَرِثُه، فظننتُ أني أرِثُه، ولو هلكتُ كذلك يرِثُني، حتى نزَلَت هذه الآية: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾[(٤)].

وروى الحاكم في «المستدرك» بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: إنما كان المهاجرون يتوارثون دون الأعراب، فنزلت، ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾[(٥)].

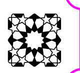
وفي لفظ آخر في سُنن أبي داود بسند حسن عنه رضي الله عنه قال: كان الرجل يُحالِفُ الرجل، ليس بينهما نَسَب، فيرثُ أحدهما الآخر، فنَسَخ ذلك الأنفالُ؛ فقال تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾[(٦)].

---

(١) انظر: فتح الباري (٧/ ٦٩٠).
(٢) انظر: زاد المعاد (٣/ ٧٧).
(٣) هو: كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه.
(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٨٢٠٤).
(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٨٢٠٠).
(٦) أخرجه أبو داود في سننه، رقم الحديث (٢٩٢١).



تشريع الأذان[١]



شُرِعَ الأذان في السنة الأولى من الهجرة[٢]، روى الشيخان في «صحيحيهما» عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحيَّنون[٣] الصلاةَ؛ ليس يُنادَى لها[٤]، فتكلموا يومًا في ذلك، فقال بعضهم: اتَّخِذوا ناقوسًا[٥] مثلَ ناقوس النصارى، وقال بعضهم: بل بُوقًا[٦] مثلَ بُوق اليهود، فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أوَلَا تبعثون رجلًا يُنادي بالصلاة[٧]؟

فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يا بلال، قُمْ فنادِ بالصلاة»**[٨].

وفي لفظ آخر في «الصحيحين» عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: لما كَثُر الناس

---

(١) **الأذان لغةً**: الإعلام. انظر: لسان العرب (١/ ١٠٥).
قال الله تعالى في سورة التوبة، آية (٣): ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ﴾.
وشرعًا: هو الإعلام بوقت الصلاة بألفاظ مخصوصة. انظر: النهاية (١/ ٣٧).
وقال الإمام القرطبي في تفسيره (٧/ ٢٤٤): قوله جلَّ وعزَّ: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المائدة: ٥٨]، ليس للأذان ذكرٌ في القرآن إلا في هذه السورة، أما ما جاء في سورة الجمعة فمخصوص بالجمعة، وهو في هذه السورة عام لجميع الصلوات.

(٢) قال الحافظ في الفتح (٢/ ٢٧٨): الراجح أن ذلك كان في السنة الأولى للهجرة.

(٣) قال السندي في شرحه للمسند (٤/ ٢٧٠): من الحين؛ بمعنى: الوقت، والمعنى: يجتمعون للصلاة، فيُقَدِّرون حينها في أنفسهم؛ ليأتوا إليها فيه.

(٤) في رواية الإمام مسلم: بها.

(٥) **الناقوس**: هي خشبة طويلة تُضرَب بخشبة أصغر منها، والنصارى يُعْلِمون بها أوقاتَ صلاتهم. انظر: النهاية (٥/ ٩٢).

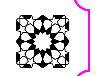
(٦) **البُوقُ**: أداة مُجَوَّفة يُنفخ فيها. انظر: المعجم الوسيط (١/ ٧٧).

(٧) قال الحافظ في الفتح (٢/ ٢٨٢): الظاهر أن إشارة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بإرسال رجل يُنادي للصلاة كانت عَقِبَ المشاورة فيما يفعلونه، وأنَّ رؤيا عبد الله بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كانت بعد ذلك. والله أعلم.
وقال السندي في شرحه للمسند (٤/ ٢٧١): حُمِلَ النداء هاهنا على نحو: الصلاةَ جامِعةً، لا على الأذان المعهود؛ لأن ظاهر الحديث أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال ذلك وقت المذاكرة، والأذان المعهود إنما كان بعد الرؤيا.

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٦٠٤)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٣٧٧).

ذكروا أن يُعلِموا وقت الصلاة بشيء يعرفونه، فذكروا أن يُورُوا[١] نارًا أو يَضرِبوا ناقوسًا[٢].

وروى أبو داود في «سننه» بسند صحيح عن أبي عمير بن أنس عن عُمومة له من الأنصار، قال: اهتمَّ النبي ﷺ للصلاة، كيف يجمع الناسَ لها؟ فقيل له: انصِبْ راية عند حضور الصلاة، فإذا رأوها آذن[٣] بعضُهم بعضًا، فلم يُعجِبْه ذلك[٤].



رؤيا عبد الله بن زيد رضي الله عنه[٥]

روى الإمام أحمد في «مسنده»، وأبو داود، وابن ماجه ـ واللفظ لأحمد ـ بسند حسن عن عبد الله بن زيد بن عبد ربه رضي الله عنه، قال: لما أجمع[٦] رسول الله ﷺ أن يَضربَ بالنَّاقوس، يجمع للصلاة النَّاسَ، وهو له كارهٌ؛ لموافقة النصارى، طاف بي من الليل طائفٌ[٧] وأنا نائم، رجلٌ عليه ثوبان أخضران، وفي يده ناقوس يحمله، فقلت له: يا عبد الله أتبيع الناقوس؟ قال: وما تصنع به؟ قلت: ندعو به إلى الصلاة. قال: أفلا أدلُّك على خير من ذلك؟ فقلت: بلى، قال: تقول: الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر، أشهد أنْ لا إلٰه إلا الله، أشهد أنْ لا إلٰه إلا الله،

---

(١) **يُوروا**: يعني: يُوقدوا. انظر: لسان العرب (١٥/ ٢٨٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٦٠٦)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٣٧٨) (٣).

(٣) **آذن**: أعلَمَ. انظر: لسان العرب (١/ ١٠٦).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه، رقم الحديث (٤٩٨).

(٥) قال الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٦٢٠): عبد الله بن زيد الأنصاري رضي الله عنه: هو الذي أُرِيَ الأذانَ، وكانت رُؤياه في السنة الأولى من الهجرة، بعد أن بنى رسول الله ﷺ مسجده.

(٦) **أَجمع**: عزم. انظر: لسان العرب (٢/ ٣٥٨).
وفي رواية ابن ماجه: هَمَّ

(٧) هو: الخيال الذي يراه النائم. انظر: النهاية (٣/ ١٣٩).

أشهد أن محمدًا رسول الله، أشهد أن محمدًا رسول الله، حَيَّ على الصلاة حَيَّ على الصلاة، حَيَّ على الفلاح حَيَّ على الفلاح، الله أكبر الله أكبر، لا إلٰه إلا الله. ثم استأخر غير بعيد، فقال: ثم تقول إذا أقمتَ الصلاة: الله أكبر الله أكبر، أشهد أنْ لا إلٰه إلا الله، أشهد أن محمدًا رسول الله، حَيَّ على الصلاة، حَيَّ على الفلاح، قد قامتِ الصلاةُ قد قامتِ الصلاة، الله أكبر الله أكبر، لا إلٰه إلا الله. قال: فلما أصبحتُ أتيتُ رسول الله ﷺ فأخبرته بما رأيت، فقال رسول الله: «**إن هذه لرؤيا حق إن شاء الله، ثم أمر بالتأذين، فكان بلال مولى أبي بكر يُؤذِّن بذلك**».

وفي رواية ابن ماجه، قال رسول الله ﷺ لعبد الله بن زيد رضي الله عنه: «**فاخرج مع بلال إلى المسجد، فألْقِها عليه، ولْيُنادِ بلالٌ؛ فإنه أندى صوتًا منك**»(١)، قال: فخرجتُ مع بلال إلى المسجد، فجعلتُ أُلقيها عليه وهو يُنادي بها، فسمع عمر بن الخَطَّاب رضي الله عنه بالصوت، فخرج، فقال: يا رسول الله، والله لقد رأيتُ مثل الذي رأى.

زاد أبو داود، فقال رسول الله ﷺ: «**فللَّه الحمدُ!**»(٢).

* ولم يكن للمسجد النبوي مئذنة (وهي المنارة) حين بناه رسول الله ﷺ، فكان بلال بن رباح رضي الله عنه يُؤذن فوق بيت امرأة من الأنصار، فقد روى أبو داود في سُننه وابن إسحاق في السيرة بسند حسن عن امرأة من بَني النجار، قالت: كان بيتي من أطول بيتٍ حول المسجد، فكان بلالٌ رضي الله عنه يُؤذِّنُ عليه الفجر، فيأتي بسَحَر فيجلسُ على البيت ينظر إلى الفجر، فإذا رآه

(١) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٤/ ٦٧): وأما السبب في تخصيص بلال رضي الله عنه بالنداء والإعلام؛ فلأنه **أندى صوتًا**، فقيل معناه: أرفع صوتًا، وقيل: أطيب، فيُؤخذ منه: استحباب كون المؤذن رفيعَ الصوت وحَسَنَه، وهذا متَّفَق عليه، قال أصحابنا: فلو وجدنا مؤذنًا حسَن الصوت يطلب على أذانه رزقًا، وآخر يتبرع بالأذان، لكنه غير حسن الصوت، فأيُّما يُؤخذ؟ فيه وجهان: أصحُّهما يُرزق حَسَن الصوت.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٦٤٧٧) (١٦٤٧٨)، وأبو داود في سننه، رقم الحديث (٤٩٩)، وابن ماجه في سننه، رقم الحديث (٧٠٦).

تَمطَّى، ثم قال: اللهم إني أحمدُك وأستعينُك على قريش أن يُقيموا دينَكَ، قالت: ثم يُؤذن[١].

* وأمر رسول الله ﷺ الأنصار ﵃ بتعليق الأقناء[٢] في المسجد للفقراء والمساكين، فقد روى الإمام أحمد وأبو داود بسند حسن عن جابر بن عبد الله ﵄، قال: أن النبي ﷺ أمر من كُلِّ جادٍّ[٣] عشرة أوسُقٍ[٤] من التمر بقِنْوٍ يُعلَّق في المسجد للمساكين[٥].

وروى الإمام الترمذي وابن ماجه والحاكم بسند حسن عن البراء بن عازب ﵄، قال في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٧]، قال: نزلت فينا معشر الأنصار، كُنَّا أصحاب نَخْلٍ، فكان الرَّجُلُ يأتي من نخله على قَدْرِ كَثرته وقِلَّته، وكان الرَّجُلُ يأتي بالقِنْوِ والقنوين فيُعَلِّقه في المسجد[٦]، وكان أهلُ الصُّفَّة[٧] ليس لهم طعام، فكان أحدهم إذا جاع أتى القِنْوَ، فضربه بعصاه فيسقط البُسْرُ[٨] والتمر فيأكل، وكان ناسٌ ممن لا يرغب

---

(١) أخرجه أبو داود في سُننه، رقم الحديث (٥١٩)، وابن إسحاق في السيرة (٢/ ١٢٣).

(٢) **الأقناء**: جمع قِنْو، وهو العِذْق بما فيه من الرُّطب. انظر: النهاية (٤/ ١٠٢).
وقال الإمام ابن القيم في زاد المعاد (٤/ ٤١٨): العِذْق من النخلة كالعنقود من العنب.

(٣) **الجاد**: بمعنى المجدود، أي نَخْل يُجَد منه ما يبلغ عشرة أوسق. انظر: النهاية (١/ ٢٣٧).
والجداد: صِرام النخل وهو قطع ثمرها. انظر: لسان العرب (٢/ ٢٠٢).

(٤) **الوَسْق**: ستون صاعاً. انظر: النهاية (٥/ ١٦١).

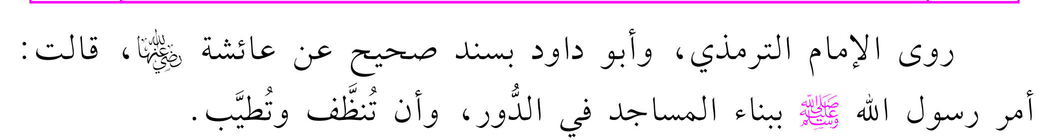
(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٤٨٦٧)، وأبو داود في سُننه، رقم الحديث (١٦٦٢)، وأورده الحافظ ابن كثير في تفسيره (٣/ ٦٢٢) وقال: هذا إسناد جيد قوي.

(٦) في رواية ابن ماجه والحاكم: فيُعَلِّقونه على حبلٍ بين أُسطُوانتين في مسجد رسول الله ﷺ.

(٧) في رواية ابن ماجه والحاكم: فقراء المهاجرين.

(٨) **البُسْر**: التمر قبل أن يُرطب. انظر: لسان العرب (١/ ٤٠٥).

في الخير يأتي الرَّجُلُ بالقِنْوِ فيه الشِّيصُ[١] والحَشَفُ[٢]، وبالقِنْوِ قد انكسر فيُعَلِّقه[٣]، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ﴾[٤].



أمْرُ رسول الله ﷺ ببناء المساجد في القرى

روى الإمام الترمذي، وأبو داود بسند صحيح عن عائشة رضي الله عنها، قالت: أمر رسول الله ﷺ ببناء المساجد في الدُّور، وأن تُنظَّف وتُطيَّب.

قال الإمام الترمذي: قال سفيان: قوله: ببناء المساجد في الدُّور؛ يعني: القبائل[٥].

وقال الإمام الذهبي: الدار هي القرية، ودار بني عوف هي قُباء، فوقع بناء مسجده ﷺ في بني مالك بن النجَّار، وكانت قرية صغيرة[٦].

وروى الإمام أحمد في «مسنده» بسند حسن عن عروة بن الزبير عَمَّن حدَّثه من أصحاب رسول الله ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يأمرنا أن نصنع المساجد في دُورنا، وأن نُصلِحَ صنعتَها ونُطَهِّرَها[٧].

---

(١) **الشِّيص**: التمر الذي لا يَشْتَدُّ نواه ويَقوى، وقد لا يكون له نوى أصلاً. انظر: النهاية (٢/ ٤٦٣).

(٢) **الحَشَف**: اليابس الفاسد من التمر. انظر: النهاية (١/ ٣٧٧).

(٣) في رواية ابن ماجه والحاكم: فيَعمِدُ أحدهم فيُدخِلُ قِنْوَ الحَشَفِ يظنُّ أنه جائزٌ في كثرة ما يُوضع من الأقناء.

(٤) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه، رقم الحديث (٣٢٣٠)، وابن ماجه في سُننه، رقم الحديث (١٨٢٢)، والحاكم في مستدركه، رقم الحديث (٣١٦٤).

(٥) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه، رقم الحديث (٦٠٠)، وأبو داود في سننه، رقم الحديث (٤٥٥)، وأورده الحافظ في الفتح (١/ ٤٥٥) وصحَّحه.

(٦) انظر: السيرة النبوية، للإمام الذهبي (١/ ٢٨٦).

(٧) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٣١٤٦).

قال السندي: قوله: وأن نصلح صنعتها: بالإحكام، وصَرْف المال الحلال، لا بالتزيين(١).

قلتُ: وكان الأمر بذلك في السنة الأولى للهجرة.

كتابة النبي ﷺ الصحيفة وموادعة(٢) اليهود

قال ابن إسحاق: كتب رسول الله ﷺ كتابًا بين المهاجرين والأنصار، وادَعَ فيه يهودَ وعاهدهم، وأقرَّهم على دينهم وأموالهم، وشرط لهم، واشترط عليهم(٣).

وقال الإمام ابن القيم: ووادع رسول الله ﷺ مَن بالمدينة من اليهود، وكتب بينه وبينهم كتابًا(٤).

وروى الإمام مسلم في «صحيحه» عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: كتب النبي ﷺ على كل بطن(٥) عُقُولَه(٦).

قلت: ذكر ابن إسحاق بنود هذه الصحيفة، وهي وإن كان لا يَثبُت إسنادها(٧)، فإنه ثبت في أحداث السيرة النبوية ما يُصدِّق بنودها.

* فائدة جليلة:

قال الإمام القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾

---

(١) انظر: شرح السندي للمسند (١٣/ ٣٨٢).

(٢) أي: صالحهم وسالمهم على ترك الحرب والأذى، وحقيقة **الموادعة**: المتاركة؛ أي: يَدَعُ كل واحد منها ما هو فيه. انظر: النهاية (٥/ ١٤٦).

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ١١٥، ١١٨).

(٤) انظر: زاد المعاد (٣/ ٧٩).

(٥) **البطن**: هو ما دون القبيلة وفوق الفخذ. انظر: النهاية (١/ ١٣٧).

(٦) **العُقُول**: هي الدِّيَات. انظر: النهاية (٣/ ٢٥٢).

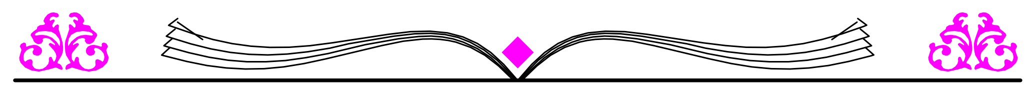
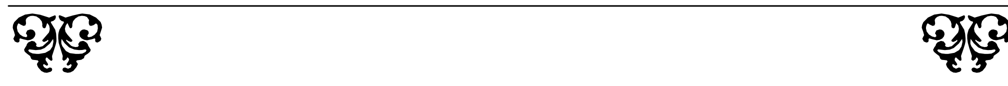
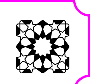
(٧) ذكرها ابن إسحاق في السيرة (٢/ ١١٥، ١١٨) بدون إسناد.

[المائدة: ٥]، هذا نَصٌّ، وقد عامل رسول الله ﷺ اليهود، ومات ودرعه مرهونة عند يهودي في شعير أخذه لعياله[(١)]، والحاسم لداء الشك والخلاف اتفاق الأمة على جواز التجارة مع أهل الحرب، وقد سافر النبي ﷺ إليهم تاجراً، وذلك من سفره أمرٌ قاطعٌ على جواز السفر إليهم والتجارة معهم، فإن قيل: كان ذلك قبل النُّبُوة، قلنا: إنه لميت دنَّسْ قبل النُّبُوة بحرام ـ ثَبت ذلك تواتراً ـ ولا اعتذر عنه إذ بُعِثَ ولا منع منه إذ نُبِّئ، ولا قطعه أحدٌ من الصحابة في حياته، ولا أحد من المسلمين بعد وفاته، فقد كانوا يُسافرون في فك الأسرى وذلك واجب، وفي الصُّلح كما أرسل عثمان رضي الله عنه وغيره، وقد يجب وقديكون ندباً، فأما السفر إليهم لمجرد التجارة فمباح[(٢)].



(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٢٢٠٠) (٢٩١٦)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٦٠٣).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٧/ ٢١٦ ـ ٢١٧).

المغازي[(١)] النبوية

فلما استقرَّ رسول الله ﷺ بالمدينة، وأيَّده الله بنصره وبعباده المؤمنين، وأَلَّف بين قلوبهم بعد العداوة والإِحَنِ[(٢)] التي كانت بينهم، فمنعَتْه أنصار الله وكتيبة الإسلام من الأسود والأحمر، وبذلوا نفوسهم دونه، وقدَّموا محبته على محبة الآباء والأبناء والأزواج، وكان أولى بهم من أنفسهم؛ رَمَتْهم العرب واليهود عن قوس واحدة، وشَمَّروا لهم عن ساق العداوة والمحاربة، وصاحوا بهم من كل جانب، والله تعالى يأمرهم بالصبر والعفو والصفح، حتى قويت الشوكة، واشتد الجَناح، فأَذِن لهم حينئذ في القتال، ولم يفرضه عليهم، فقال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝٣٩﴾ [الحج: ٣٩]، ثم فرض عليهم القتال بعد ذلك لمن قاتلهم دون مَن لم يُقاتلهم، فقال تعالى: ﴿وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٠]، ثم فرض عليهم قتال المشركين كافَّةً، وكان مُحرَّمًا، ثم مأذونًا فيه، ثم مأمورًا به لمن بدأهم بالقتال، ثم مأمورًا به لجميع المشركين، إمَّا فَرْضَ عين على أحد القولين، أو فَرْض كفاية على المشهور[(٣)].

---

(١) قال الحافظ في الفتح (٨/ ٣): المراد بالمغازي هنا: ما وقع من قصد النبي ﷺ الكفَّارَ بنفسه، أو بجيش من قِبَله، وقَصْدُهم أعم من أن يكون إلى بلادهم، أو إلى الأماكن التي حلُّوها، حتى دخل مثل أُحُد والخندق.
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السُّنَّة (٨/ ١١٧): وبالجملة مغازي رسول الله ﷺ، لا سيما غزوات القتال، معروفة مشهورة مضبوطة متواترة عند أهل العلم بأحواله، مذكورة في كتب الحديث والفقه والتفسير والمغازي والسِّيَر ونحو ذلك.

(٢) **الإِحَن**: الحقد في الصدر. انظر: لسان العرب (١/ ٨٣).

(٣) انظر: زاد المعاد (٣/ ٨٤، ٨٦).

وروى الحاكم في المستدرك بسند حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: إن عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه وأصحابًا له أتوا النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا نبي الله، كنا في عز ونحن مشركون، فلما آمنَّا صرنا أذلَّة!

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إني أُمرتُ بالعفو؛ فلا تُقاتلوا القوم**»، فلما حَوَّله إلى المدينة أمره بالقتال[(١)].

وروى الإمام أحمد في «مسنده» والترمذي في «جامعه» بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أُخرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة، قال أبو بكر رضي الله عنه: أخرجوا نبيَّهم! لَيَهلِكُنَّ، فأنزل الله: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الحج: ٣٩].

فقال أبو بكر رضي الله عنه: لقد علمتُ أنه سيكون قتال[(٢)].

وقال الحافظ ابن كثير: أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة تُوحى إليه السور المكية، وكلها جدال مع المشركين، وبيان وإيضاح للتوحيد، وبينات ودلالات، فلما قامت الحجة على من خالف، شرع الله الهجرة، وأمرهم بالقتال بالسيوف، وضرب الرقاب والهامل من خالف القرآن وكذب به وعانده[(٣)].

سَرِيَّة سِيفِ البحرِ[(٤)]

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية سِيفِ البحر في رمضان من السنة الأولى للهجرة على رأس سبعة أشهر من مُهاجَرِه، وكانت بقيادة حمزة بن

---

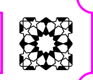
(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٢٤٠٨).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٨٦٥)، والترمذي في جامعه، رقم الحديث (٣٤٤٤)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ١٨٨).

(٤) **سِيف البحر**، بكسر السين: ساحِلُه. انظر: النهاية (٢/ ٣٩٠).

عبد المطلب رضي الله عنه، ومعه ثلاثون راكبًا من المهاجرين[١]، وعقد له رسول الله صلى الله عليه وسلم لواءً أبيض، والهدف اعتراض عِير[٢] لقريش قادمة من الشام، وفيها أبو جهل بن هشام في ثلاثمائة رجل، فبلغوا سِيفَ البحر، فالتقوا واصطفوا للقتال؛ فمشى مجدي بن عمرو الجُهَني، وكان حليفًا للفريقين جميعًا، حتى حجز بينهم ولم يقتتلوا[٣].



سَرِيَّة عُبَيدة بن الحارث بن المُطَّلِب إلى رابغ

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عُبَيدة بن الحارث بن المُطَّلِب في ستين رجلًا من المهاجرين إلى بطن رابغ، وذلك في شوال على رأس ثمانية أشهر من مُهاجَرِ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعقد له رسول الله صلى الله عليه وسلم راية بيضاء، حملها مِسطَح بن أُثاثة رضي الله عنه، فلقي أبا سفيان بن حرب في مائتَيْ رجل، على بطن رابغ؛ على عشرة أميال من الجُحْفةِ، فلم يكن بينهم قتال، وإنما كانت مناوشة[٤]، فرمى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يومئذ بسهم، فكان أوَّلَ سهم رُمي به في الإسلام، ثم انصرف الفريقان[٥].

وروى الإمام البخاري عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: إني لأول العرب رمى بسهم في سبيل الله[٦].

---

(١) قال ابن سعد في طبقاته (٢/ ١): لم يَبعَثْ رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدًا من الأنصار مبعثًا حتى غزا بدرًا، وذلك أنهم شرطوا له أنهم يمنعونه في دارهم، وهذا الثَّبْتُ عندنا.

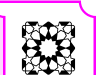
(٢) **العِير**: الإبل بأحمالها. انظر: النهاية (٣/ ٢٩٧).

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٢٠٧)، الطبقات الكبرى، لابن سعد (٢/ ١، ٢).

(٤) **المناوشة في القتال**: تداني الفريقين، وأخْذ بعضهم بعضًا. انظر: النهاية (٥/ ١١٢).

(٥) انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٢٠٣)، الطبقات الكبرى، لابن سعد (١/ ٢٥٢).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٧٢٨).



سَرِيَّة سعد بن أبي وقَّاص إلى الخَرَّار[١]

ثم بعث رسول الله ﷺ سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه إلى الخرَّار، وذلك في ذي القَعدة على رأس تسعة أشهر من مُهاجَر رسول الله ﷺ، وعقد له لواءً أبيضَ، حمله المِقداد بن عمرو رضي الله عنه، وبعث معه عشرين[٢] رجلًا من المهاجرين؛ ليعترض عِيرًا لقريش، وعَهِد إليه رسول الله ﷺ أن لا يجاوِزَ الخرَّار، فخرجوا على أقدامهم يَكمُنون[٣] بالنهار ويسيرون بالليل، حتى صَبَّحوا المكان، فوجدوا العِير قد مرت بالأمس، فانصرفوا إلى المدينة، ولم يَلْقَوا كيدًا[٤].

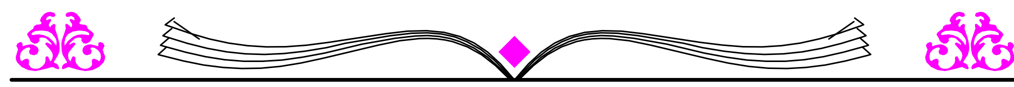


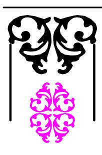
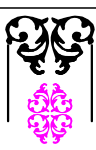
(١) **الخَرَّار**، بفتح الخاء وتشديد الراء الأولى: موضع قُرب الجُحْفة. انظر: النهاية (٢/ ٢١).

(٢) هذا ما ذكره ابن سعد في طبقاته (١/ ٢٥٢)، وذكر ابن إسحاق في السيرة (٢/ ٢١٢) أنهم كانوا ثمانية رهط، فالله أعلم.

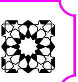
(٣) **كَمَن**: اختفى. انظر: لسان العرب (١٢/ ١٦٠).

(٤) انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٢١٢)، الطبقات الكبرى، لابن سعد (١/ ٢٥٢).



السنة الثانية للهجرة



غزوة الأبواء أو وَدَّان[(١)]



وهي أول غزوة يغزوها رسول الله ﷺ.

قال الإمام البخاري: وقال ابن إسحاق: أوَّلُ ما غزا النبي ﷺ: الأبواء، ثم بُواط، ثم العُشَيرة[(٢)].

وكانت في صَفَر على رأس اثني عشر شهرًا من مَقدَم النبي ﷺ المدينةَ، وحَمَل لواءه حمزة بن عبد المطلب، وكان لواءً أبيضَ، واستخلف على المدينة سعد بن عُبادة رضي الله عنه، وخرج رسول الله ﷺ في سبعين رجلًا من المهاجرين ليس فيهم أنصاري، حتى بلغ الأبواء، يعترض عِيرًا لقريش، فلم يَلْقَ كيدًا.

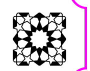
ووادع رسولُ الله ﷺ في هذه الغزوة مَخْشيَّ بن عمرو الضَّمري ـ وكان سَيِّدَ بني ضَمْرة في زمانه ـ على أن لا يغزو بني ضمرة ولا يغزوه ويُكثِّروا عليه جمعًا، ولا يُعينوا عليه عدوًّا، وكتب بينه وبينهم كتابًا، وكانت غَيبته ﷺ في هذه الغزوة خمس عشرة ليلة[(٣)].

---

(١) قال الحافظ في الفتح (٨/ ٤): **الأبواء وودَّان**: مكانان متقاربان بينهما ستة أميال أو ثمانية؛ ولهذا وقع في حديث الصعب بن جَثَّامة، قال: وهو بالأبواء أو ودَّان.
حديث الصعب بن جثَّامة رضي الله عنه أخرجه: البخاري في صحيحه رقم الحديث (١٨٢٥)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١١٩٣) (٥٠).

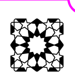
(٢) علَّقه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة العُشيرة، أو العُسَيرة.

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٢٠٣)، الطبقات الكبرى، لابن سعد (٢/ ٢٥٢).



غزوة بُوَاط(١)

وهي الغزوة الثانية لرسول الله ﷺ، وكانت في ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهرًا من مُهاجَرِه، وحمل لواءه سعدُ بن أبي وقاص رضي الله عنه، واستخلف على المدينة سَعْدَ بنَ معاذ رضي الله عنه(٢)، وخرج رسول الله ﷺ في مائتين من أصحابه المهاجرين يعترض عِيرًا لقريش، فيها: أُمَيَّة بن خَلَف الجُمَحي(٣) ومائة رجل من قريش، وألفان وخمسمائة بعير، فبلغ بُواطًا من ناحية رَضْوى(٤)، فلم يَلْقَ كيدًا ورجع إلى المدينة(٥).



غزوة العُشَيرة(٦)

وهي الغزوة الثالثة(٧) لرسول الله ﷺ، وكانت في جُمادى الآخرة على

---

(١) قال الحافظ في الفتح (٨/ ٤): **بواط**: بفتح الباء، وقد تُضم، وتخفيف الواو: هو جبل من جبال جُهينة بقرب ينبع.

(٢) هذا ما ذكره ابن سعد في طبقاته (٢/ ٢٥٣)، وذكر ابن هشام في السيرة (٢/ ٢١٠) أنه استخلف السائب بن عثمان بن مظعون رضي الله عنهما، فالله أعلم.

(٣) قُتِلَ هذا الرجل كافرًا في غزوة بدر الكبرى.

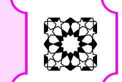
(٤) **رَضْوى**، بفتح الراء وسكون الضاد: جبل مشهور عظيم بينبع. انظر: معجم البلدان (٤/ ٤٠٩).

(٥) انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٢١٠)، الطبقات الكبرى، لابن سعد (٢/ ٢٥٣).

(٦) قال ابن الأثير في النهاية (٣/ ٢١٧): **العُشيرة**: موضع من بطن ينبع.
ووقع في صحيح البخاري، رقم الحديث (٣٩٤٩) عن زيد بن أرقم رضي الله عنه أنه سَمَّاها بلفظ: العُسَيرة أو العُشير، فذكر شعبة ذلك لقتادة، فقال قتادة: العُشَيرة.
قال الحافظ في الفتح (٨/ ٦): وقول قتادة هو الذي اتفق عليه أهل السِّيَر، وهو الصواب.

(٧) **قلت**: وكونها الغزوة الثالثة للنبي ﷺ لا يُعارِض ما وقع في صحيح البخاري، رقم الحديث (٣٩٤٩)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٢٥٤) عن زيد بن أرقم رضي الله عنه أنه سُئِل: ما أول غزوة غزاها رسول الله ﷺ؟ =

رأس ستة عشر شهرًا من مُهاجَرِه ﷺ، وحمل لواءه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، وكان لواءً أبيضَ، واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي رضي الله عنه، وخرج رسول الله ﷺ في خمسين ومائة، ويُقال: في مائتين من المهاجرين، ولم يُكْرِه أحدًا على الخروج، وخرجوا على ثلاثين بعيرًا يَعتَقِبونها[(١)]، يعترضون عِيرًا لقريش ذاهبةً إلى الشام، وكان قد جاء رسولَ الله ﷺ الخبرُ بخروجها من مكة فيها أموال قريش، فبلغ رسولُ الله ﷺ العُشيرة، فوجد العير قد مضت قبل ذلك بأيام، وهذه العير هي التي خرج في طلبها رسول الله ﷺ حين رجعت من الشام، وهي التي وعده الله إيَّاها، أو المقاتلة وذات الشَّوكة، وذلك في غزوة بدرٍ الكُبرى[(٢)].



غزوة سَفَوَان[(٣)] أو بدر الأولى

لم يُقِمْ رسولُ الله ﷺ بالمدينة حين قدم من غزوة العُشيرة إلا لياليَ، لا تبلغ العشرة، حتى أغار كُرز بن جابر الفِهري[(٤)] على سَرْح[(٥)] المدينة،

= فقال رضي الله عنه: ذاتُ العُسير أو العُشير.

لأنَّ مراده رضي الله عنه: الغزوة الأولى التي شارك هو معه رضي الله عنه، ويُؤيِّد ذلك ما رواه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٩٢٨٢) بسند صحيح عن أبي إسحاق، قال: سألتُ زيد بن أرقم رضي الله عنه: كم غزا النبي ﷺ؟

قال: تسع عشرة، وغزوتُ معه سبع عشرة، وسبقني بغزاتين.

(١) يتناوبون ركوبها. انظر: لسان العرب (٩/ ٣٠٤).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٢١٠)، الطبقات الكبرى، لابن سعد (٢/ ٢٥٣).

(٣) **سَفَوَان**، بفتح السين والفاء: واد من ناحية بدر. انظر: النهاية (٢/ ٣٣٨).

(٤) ثم أسلم كُرز بن جابر رضي الله عنه بَعْدُ، وحَسُن إسلامه.

(٥) **السَّرْح**، بفتح السين، وسكون الراء: هي الإبل والمواشي التي تَسْرَح للرعي. انظر: النهاية (٢/ ٣٢٢).

فاستاقه، فخرج رسول الله ﷺ في سبعين رجلًا من أصحابه المهاجرين، وحمل لواءه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان لواءً أبيضَ، واستخلف على المدينة زيد بن حارثة رضي الله عنه، فطلبه رسول الله ﷺ حتى بلغ واديًا يُقال له: سَفَوَان من ناحية بدر، وفاته كُرز بن جابر الفهري فلم يلحقه، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة[1].

سَرِيَّة عبد الله بن جحش رضي الله عنه إلى نخلة[2]

ثم بعث رسولُ الله ﷺ عبد الله بن جحش الأسدي رضي الله عنه إلى نخلة، وبعث معه ثمانية[3] من المهاجرين، ليس فيهم أنصاري، وذلك في رجب على رأس سبعة عشر شهرًا من الهجرة، فكان كلُّ اثنين يعتقبان بعيرًا، وكتب له رسول الله ﷺ كتابًا، وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين، ثم ينظر فيه، فيمضي لما أمره به، ولا يَستكْرِه أحدًا من أصحابه.

مضى عبد الله بن جحش رضي الله عنه وبعد مسيرة يومين، فتح الكتاب، فإذا فيه: «إذا نظرتَ في كتابي هذا، فامْضِ حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف، فترصَّد[4] بها قُرَيشًا، وتَعْلَم لنا من أخبارهم».

فقال رضي الله عنه: سمعًا وطاعة، ثم أخبر أصحابه بذلك، وبأنه لا يستكرههم، فمن أحب الشهادة فلينهض، ومَن كره الموت فليرجع، وأمَّا أنا فناهض، فمضَوا كلُّهم.

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٢١٣)، والطبقات الكبرى، لابن سعد (٢/ ٢٥٣).

(٢) **نَخْلة**: موضع بالحجاز قريب من مكة، فيه نخل وزرع. انظر: معجم البلدان (٨/ ٣٨١).

(٣) هذه رواية ابن إسحاق في السيرة (٢/ ٢١٣)، وعند ابن سعد في طبقاته (٢/ ٢٥٣): اثنا عشر.

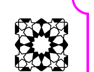
(٤) **تَرصَّد**: تَرقَّب. انظر: لسان العرب (٥/ ٢٢٣).

فلما كان في أثناء الطريق أضلَّ سعدُ بن أبي وقاص، وعتبة بن غزوان رضي الله عنهما بعيرًا لهما كانا يعتقبانه، فتخلَّفا في طلبه، وأكمل عبد الله بن جحش رضي الله عنه وبقية أصحابه حتى نزل نخلة، فمَرَّت به عير لقريش تحمل زبيبًا وأُدمًا وتجارة، وفيها عمرو بن الحضرمي، وعثمان ونوفل ابنا عبد الله بن المغيرة، والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة، فتشاور المسلمون، وقالوا: نحن في آخر يوم مِن رجب الشهر الحرام، فإن قاتلناهم انتهكنا الشهر الحرام، وإن تركناهم الليلة دخلوا الحَرَم، ثم أجمعوا على ملاقاتهم، فرمى واقد بن عبد الله التميمي رضي الله عنه عمرَو بن الحضرمي بسهمٍ فقتله، وشَدَّ المسلمون عليهم، فأسَروا عثمان بن عبد الله، والحكم بن كيسان، وأفلَت نوفل بن عبد الله.

ثم قَدِموا بالعِير والأسيرين إلى المدينة، وقد عزلوا من ذلك الخُمُس، فكان في هذه السَرِيَّة: أوَّلُ خُمُس في الإسلام، وأول قتيل من الكُفَّار في الإسلام، وأوَّلُ أسيرين في الإسلام، فلما وصلوا إلى المدينة أنكر عليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ما فعلوا، وقد كانوا رضي الله عنهم مجتهدين فيما صنعوا، فسُقِطَ ذلك في أيدي القوم رضي الله عنهم، وظنوا أنهم قد هلكوا، واشتد تعنُّت قريش وإنكارهم ذلك، وقالوا: قد أَحلَّ محمَّدٌ الشهر الحرام؛ فأنزل الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾ [البقرة: ٢١٧].

قال الحافظ ابن كثير: يقول سبحانه: هذا الذي وقع وإن كان خطأ؛ لأن القتال في الشهر الحرام كبير عند الله، إلا أن ما أنتم عليه ـ أيها المشركون ـ من الصد عن سبيل الله، والكفر به وبالمسجد الحرام، وإخراج

محمد وأصحابه الذين هم أهل المسجد الحرام في الحقيقة أكبرُ عند الله من القتال في الشهر الحرام(١).



تحويل القبلة(٢)

حُوِّلَت القبلة من بيت المَقدِس إلى الكعبة المُشرَّفة في النصف من رجب من السنة الثانية للهجرة(٣)، فأنزل الله: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [البقرة: ١٤٤].

وروى الإمام البخاري ومسلم في «صحيحيهما» عن البراء بن عازب رضي الله عنه، قال: صلينا مع رسول الله ﷺ نحو بيت المَقدِس ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا، ثم صُرِفْنا نحو الكعبة(٤).

وروى الحاكم في «المستدرك» بسند حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال:

---

(١) انظر: الفصول في سيرة الرسول، ص (٨٨).
وأخرج قصة هذه السَّرية: أبو يعلى في مسنده، رقم الحديث (١٥٣٤)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار، رقم الحديث (٤٨٨٠) (٤٨٨١)، وابن إسحاق في السيرة (٢/ ٢١٣)، وأورد طُرُقَه الحافظ في الفتح (١/ ٢٠٩) وختمها بقوله: فبمجموع هذه الطرق يكون صحيحًا.

(٢) قال ابن سيد الناس في عيون الأثر، ص (٢٦٤): اتفق العلماء على أن صلاة النبي ﷺ بالمدينة كانت إلى بيت المَقدِس، وأن تحويل القبلة إلى الكعبة كان بها، واختلفوا كم أقام النبي ﷺ يُصلي إلى بيت المقدس بعد مُقامه المدينة؟ وفي أي صلاة كان التحويل؟ وفي صلاته عليه الصلاة والسلام قبل ذلك بمكة كيف كانت؟

(٣) قال الحافظ في الفتح (١/ ١٣٤): كان تحويل القبلة في نصف شهر رجب من السنة الثانية على الصحيح وبه جزم الجمهور.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٤٩٢)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٥٢٥) (١٢).

أَوَّلُ ما نُسِخ من القرآن ـ فيما ذُكِر لنا ـ شأنُ القبلة؛ قال الله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ [البقرة: ١١٥]، فاستقبل رسول الله ﷺ فصلى نحو بيت المقدس وترك البيت العتيق، فقال: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَاۚ﴾ [البقرة: ١٤٢]، يعنون: بيت المقدس، فنسخها وصرفه الله إلى البيت العتيق، فقال: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة: ١٥٠][(١)].

قال الإمام ابن القيم في قوله تعالى: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥۗ﴾ [البقرة: ١٤٤]، قال: يُفيد الأمرَ باستقبالها في أي موضع استقر فيه، وهو تعالى لم يُقيِّد الخروج بغاية؛ بل أطلق غايته كما عمَّم مبدأه، فمن حيث خَرَج إلى أي مَخرَج كان؛ من صلاة، أو غزو، أو حج، أو غير ذلك؛ فهو مأمور باستقبال المسجد الحرام هو والأمَّة، وفي أي بقعة كانوا في الأرض، فهو مأمور هو والأمة باستقباله؛ فتناولت الآيتان أحوال الأمة كلها في مبدإِ تَنَقُّلِهم من حيث خرجوا، وفي غايته إلى حيث انتهَوا، وفي حال استقرارهم حيث ما كانوا، فأفاد ذلك عموم الأمر بالاستقبال في الأحوال الثلاثة التي لا ينفكُّ منها العبد[(٢)].

* وقال الإمام السُّهيلي: كرَّر الباري تعالى الأمر بالتوجه إلى البيت الحرام في ثلاث آيات؛ لأن المنكرين لتحويل القبلة كانوا ثلاثة أصناف من الناس:

١ ـ اليهود؛ لأنهم لا يقولون بالنَّسْخ في أصل مذهبهم.

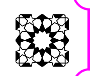
٢ ـ وأهل الرَّيب والنفاق، اشتد إنكارهم له؛ لأنه كان أول نسخ نزل.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٢٠٩٧).

(٢) انظر: بدائع الفوائد (٤/١٦٠٢، ١٦٠٣).

٣ ـ وكفار قريش؛ لأنهم قالوا: نَدِم محمد على فراق ديننا، فسيرجع إليه كما رجع إلى قبلتنا[١].



فَرْضُ صيام شهر رمضان

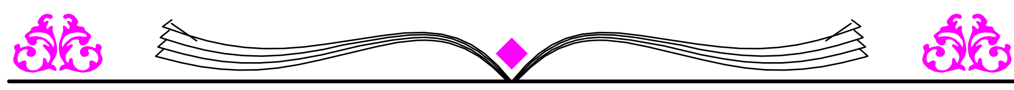
فُرِضَ صيام شهر رمضان في السنة الثانية للهجرة، وتوفي رسول الله ﷺ وقد صام تسعة رمَضانات؛ قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [البقرة: ١٨٣].

وكان من هَديِ رسول الله ﷺ في شهر رمضان الإكثار من أنواع العبادات، وكان جبريل يُدارِسُه القرآن في رمضان، وكان إذا لقيه جبريل أجوَدَ بالخير من الريح المُرسَلة، وكان أجود الناس، وأجود ما يكون في رمضان، يُكثر فيه من الصدقة والإحسان وتلاوة القرآن، والصلاة والذِّكر والاعتكاف[٢].

قال الحافظ ابن كثير: يقول الله تعالى مخاطبًا للمؤمنين من هذه الأمة، وآمِرًا لهم بالصيام، وهو الإمساك عن الطعام والشراب والوِقاع بنية خالصة لله ﷻ؛ لما فيه من زكاة النفس وطهارتها، وتنقيتها من الأخلاط الرديئة والأخلاق الرذيلة[٣].



(١) انظر: الروض الأُنُف (٢/ ٢٦٤).
(٢) انظر: زاد المعاد (٢/ ٣٦، ٣٧
(٣) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٤٩٧).







غزوة بَدْر الكبرى

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [آل عمران: ١٢٣].

وقعت غزوة بدر الكبرى في صبيحة يوم الجمعة السابعَ عَشَرَ من رمضان، من السنة الثانية للهجرة(١).

قال الحافظ ابن عبد البر: كانت أشرَفَ غزواته ﷺ وأعظَمَها حرمةً عند الله وعند رسوله ﷺ وعند المسلمين: غزوةُ بدر الكبرى؛ حيث قتل اللهُ صناديدَ قريش، وأظهر دينه، وأعزه الله من يومئذ، وكانت بدر في السنة الثانية من الهجرة لسبع عشرة من رمضان صبيحة يوم الجمعة، وليس في غزواته ﷺ ما يعدل بها في الفضل، ويَقرُب منها، إلا غزوةُ الحُديبيَة؛ حيث كانت بيعة الرِّضوان، وذلك سنة ستٍّ من الهجرة(٢).

سبب الغزوة

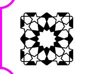
بلغ رسولَ الله ﷺ أن عِيرًا لقريش مُقبِلة من الشام، على رأسها أبو سفيان صخر بن حرب، في ثلاثين أو أربعين رجلًا من قريش، وفيها أموال عظيمة، وهي العِير التي خرج رسول الله ﷺ في طلبها في غزوة العُشيرة حين خرجت من مكة(٣).

---

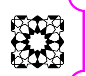
(١) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٤/٦٦): وهو الصحيح عند أهل المغازي والسِّيَر.

(٢) انظر: الاستيعاب (١/١٤٥).

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (٢/٢١٨).



نَدْب[1] النبي ﷺ أصحابه للخروج



نَدَب رسول الله ﷺ أصحابه إلى الخروج، فقال لهم: «**هذه عِير قريش فيها أموالهم، فاخرجوا إليها؛ لعل الله يُنفِلُكموها**»[2].

وأمر رسول الله ﷺ مَن كان ظَهْرُه[3] حاضرًا بالنهوض، ولم يحتفِلْ[4] لها احتفالًا بليغًا؛ لأنه خرج مسرعًا؛ فقد روى الإمام مسلم في «صحيحه» عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: بعث رسول الله ﷺ بُسَيْسَةَ[5] عَينًا[6] ينظر ما صنَعَت عِيرُ أبي سُفيان، فجاء وما في البيت أحد غيري وغير رسول الله ﷺ، قال: فحدَّثه الحديثَ، فخرج رسول الله ﷺ فتكلم، فقال: «**إنَّ لنا طَلِبةً**[7]**، فمن كان ظَهْرُه حاضرًا فليركب معنا**»، فجعل رجال يستأذنونه في ظهْرانيهم في عُلوِ المدينة، فقال: «**لا، إلَّا مَن كان ظَهْرُه حاضرًا**»، فانطلق رسول الله ﷺ وأصحابه[8].

---

(١) **ندب**: حَثَّ ودعا. انظر: النهاية (٥/ ٢٩).

(٢) أخرج ذلك ابن إسحاق في السيرة (٢/ ٢١٩) وإسناده صحيح.

(٣) **الظَّهر**: الإبل التي يُحمَل عليها وتُركَب. انظر: النهاية (٣/ ١٥٢)، جامع الأصول (٨/ ١٨٢).

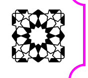
(٤) **يحتفل**: يهتم. انظر: لسان العرب (٣/ ٢٤٨).

(٥) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٣/ ٣٩): هكذا هو في جميع النُّسخ، **بُسَيْسَة**، بباء موحدة مضمومة، وبسينين مهملتين مفتوحتين، بينهما ياء مثنَّاة تحت ساكنة.
ووقع في سيرة ابن إسحاق (٢/ ٢٢٩) بلفظ: بَسبس.
وقال الحافظ في الإصابة (١/ ٤٢٠): بَسْبَسَة بن عمرو: هو بموحدتين مفتوحتين، بينهما مهملة ساكنة، ثم مهملة مفتوحة... وحكى عياض أنه في مسلم بموحدة مُصَغَّرًا، ورواه أبو داود ووقع عنده: بُسَيْسَة، بصيغة التصغير، وكذا قال ابن الأثير: إنه رآه في أصل ابن منده، لكن بغير هاء، والصواب الأول.

(٦) **عينًا**: أي: جاسوسًا. انظر: النهاية (٣/ ٢٩٩).

(٧) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٣/ ٤٠): **طَلِبَة**، بفتح الطاء، وكسر اللام؛ أي: شيئًا نطلُبُه.

(٨) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٩٠١)، والإمام أحمد في مسنده، =



خروج رسول الله ﷺ وعِدَّةٌ من أصحابه



خرج رسول الله ﷺ من المدينة يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان[١] على رأس تسعة عشر شهرًا من مُهاجَرِه، واستخلف رسولُ الله ﷺ ابنَ أم مكتوم على الصلاة بالناس في المدينة، ثم ردَّ أبا لُبابة بشير بن عبد المنذر رضي الله عنه من الرَّوْحاء[٢]، واستعمله على المدينة[٣].

خرج مع رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار ثلاثُمائة وبِضعةَ[٤] عشر رجلًا؛ فقد روى الإمام البخاري في «صحيحه» عن البراء بن عازب رضي الله عنهما، قال: كنا نتحدث أن أصحاب بدر ثلاثُمائة وبضعةَ عَشَرَ[٥] بعِدَّةِ أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر، وما جاوز معه إلا مؤمنٌ[٦].

= رقم الحديث (١٢٣٩٨)، وأخرجه مختصرًا أبو داود في سننه، رقم الحديث (٢٦١٨).

(١) هذا ما ذكره ابن سعد في طبقاته (٢/ ٢٥٤)، ولم يُحدد ابن إسحاق في السيرة (٢/ ٢٢٤) يوم خروجه ﷺ، فقال: وخرج رسول الله ﷺ في ليالٍ مضت من شهر رمضان في أصحابه. وذكر ابن هشام في تهذيبه لسيرة ابن إسحاق يوم خروجه ﷺ، فقال: لثمانِ ليالٍ خلَوْنَ من شهر رمضان.

(٢) **الرَّوحاء**: موضع بينه وبين المدينة ستة وثلاثون ميلًا. انظر: جامع الأصول (٩/ ٣٧٩).

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٢٢٤)، الطبقات الكبرى، لابن سعد (١/ ٢٥٤).

(٤) **البضع في العدد**: ما بين الثلاث إلى التسع. انظر: النهاية (١/ ١٣٣).

(٥) في رواية الإمام الترمذي: وثلاثة عشر.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٩٥٩)، والترمذي في جامعه، رقم الحديث (١٦٨٨).

* **قلت**: وقع خلاف في عدد مَن شهد غزوة بدر الكبرى من المسلمين، وممن تتبَّعهم: ابن سيِّد الناس في كتابه عيون الأثر (١/ ٤٣١، ٤٣٢)، فقال بعد أن سرد أسماءهم:

فجملة مَن ذكرنا: من الخزرج: مائة وخمسة وتسعون، ومن الأوس: أربعة وسبعون، ومن المهاجرين: أربعة وتسعون، فذلك ثلاثمائة وثلاثة وستون، وهذا العدد أكثر من عدد أهل بدر، وإنما جاء ذلك من جهة الخلاف في بعض من ذكرنا، وقد تقدم نظير ذلك في أهل العَقَبة، والله أعلم.

وكان مع المسلمين سبعون بعيرًا يتعاقبون عليها، كل ثلاثة على بعير، وعامَّتُهم مُشاة على أقدامهم، وفرس واحد للمقداد بن عمرو رضي الله عنه؛ فقد روى الإمام أحمد في مسنده بسند حسن عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: كنا يوم بدر كلُّ ثلاثة على بعير، كان أبو لُبابة وعليُّ بن أبي طالب زميلَيْ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، قال: وكانت عُقْبةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالا: نحن نمشي عنك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما أنتما بأقوى مني، ولا أنا بأغنى عن الأجرِ منكما**»[1].

وروى الإمام أحمد في «مسنده» بسند صحيح عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: ما كان فينا فارسٌ يوم بدر غيرُ المِقداد[2].

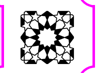
وروى الإمام أحمد في «مسنده» بسند صحيح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: لقد شهدتُ من المقداد مَشْهدًا لَأَنْ أكونَ أنا صاحِبَه أحبُّ إليَّ ممَّا على الأرض من شيءٍ، قال: أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم وكان رجُلًا فارسًا[3]... ثم ذكر موقفه يوم استشار رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الناسَ.

وقال الحافظ في «الإصابة» و«التهذيب»: المِقداد بن عمرو رضي الله عنه أسلم قديمًا، وشهد بدرًا والمَشاهد، وكان فارسًا يوم بدر، ولم يَثبُت أنَّه ممن شَهِدَها فارِسًا غيره[4].

توزيع الرايات

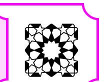
دفع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم اللواءَ إلى مُصعَب بن عُمَير رضي الله عنه، وراية المهاجرين إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وراية الأنصار إلى سعد بن مُعاذ رضي الله عنه، وجعل

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٣٩٠١).
(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٠٢٣).
(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٤٣٧٦).
(٤) انظر: الإصابة (٦/ ١٦٠)، وتهذيب التهذيب (٤/ ١٤٦).

على الساقة[١] قيسَ بن أبي صعصعةَ [٢].

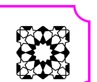
طريق المسلمين إلى بدر

سار رسولُ الله ﷺ بجيشه حتى بلغ الرَّوْحاء، فنزل بها، ثم ارتحل وسار، فلما قَرُب من الصفراء بعث بَسبسة بن عمرو الجُهَني، وعَدِي بن أبي الزغباء رضي الله عنهما إلى بدر يتحسَّسان أخبار العِير، ثم ارتحل رسول الله ﷺ حتى بلغ واديَ ذِفْران[٣]، فنزل به[٤].



استنفار أهل مكة وخروجهم

فلما بلغ أبا سفيان ـ قائدَ العِير ـ مَخْرَجُ رسول الله ﷺ وقَصْدُه إياها، استأجر ضمضم بن عمرو الغِفاري إلى مكة مستصرِخًا لقريش بالنفير إلى عِيرهم؛ ليمنعوه من محمد ﷺ وأصحابه، وبلغ الصريخُ أهل مكة، فنهضوا مسرعين، وأوعبوا في الخروج، ولم يتخلف من أشرافهم أحدٌ سوى أبي لهب، وبعث مكانَه العاص بن هشام بن المغيرة، وكان عِدَّتُهم ألف مقاتل، ومعهم مائة فرس، وجمال كثيرة لا يُعرَفُ عَدَدُها[٥].



خوف أُمَيَّةَ بن خَلَف من القتل

روى الإمام البخاري في «صحيحه» عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حَدَّث عن سعد بن مُعاذ رضي الله عنه، أنه قال: كان صديقًا لأُمَيَّة بن خلف، وكان أمَيَّة إذا

(١) **الساقة**: جمع سائق، وهم الذين يسوقون جيش الغزاة، ويكونون من ورائه يحفظونه. انظر: النهاية (٢/ ٣٨١).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٢٢٤)، الطبقات الكبرى، لابن سعد (١/ ٢٥٥، ٢٥٦).

(٣) **ذِفْران**، بكسر الذال: هو وادٍ قُرب وادي الصفراء. انظر: النهاية (٢/ ١٤٩).

(٤) انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٢٢٦).

(٥) انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٢١٩، ٢٢٢).

مرَّ بالمدينة نزل على سعد، وكان سعد إذا مر بمكة نزل على أُمَيَّة، فلما قَدِمَ رسول الله ﷺ المدينةَ انطلق سعد معتَمِرًا، فنزل على أُمَيَّة بمكة، فقال لأُمَيَّة: انظُرْ لي ساعةَ خَلوة؛ لعلِّي أن أطوف بالبيت، فخرج به قريبًا من نصف النهار، فلقيهما أبو جهل، فقال: يا أبا صفوانَ[(١)] مَن هذا معك؟ فقال: هذا سعد، فقال له أبو جهل: ألا أراك تطوف بمكة آمِنًا، وقد آويتم الصُّبَاة[(٢)]! وزعمتم أنكم تنصرونهم وتُعينونهم، أما والله لولا أنَّك مع أبي صفوان ما رجَعْتَ إلى أهلك سالمًا، فقال له سعد، ورفع صوته عليه: أمَا والله لئن منعتَني هذا لأمنعَنَّكَ ما هو أشَدُّ عليك منه؛ طريقَك على المدينةِ[(٣)]، فقال له أُمَيَّةُ: لا ترفَعْ صوتَك يا سعد على أبي الحكم؛ سَيِّدِ أهل الوادي، فقال سعد: دَعْنا عنك يا أُمَية، فوالله لقد سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إنهم قاتِلُوك**»[(٤)]، قال: بمكَّةَ، قال: لا أدري، ففزع لذلك أُمَيَّة فَزَعًا شديدًا. فلمَّا رجع أمية إلى أهله، قال: يا أمَّ صفوان، ألم تَرَيْ ما قال لي سعد؟ قالت: وما قال لك؟ قال: زعم أن محمدًا أخبرهم أنهم قاتِلِيَّ، فقلتُ له: بمكة؟ قال: لا أدري، فقال أمية: والله لا أخرج من مكة، فلما كان يومُ بدر استنفر أبو جهل الناس، قال: أدرِكوا عِيرَكم، فكَرِهَ أمية أن يخرج، فأتاه أبو جهل، فقال: يا أبا صفوان، إنَّك متى يراك الناس قد تخلَّفْتَ وأنت سيد أهل الوادي، تخلَّفوا معك، فلم يَزَلْ به أبو جهل حتى قال: أمَا إذ غلبتَني، فوالله لأشترِيَنَّ أجود بعيرٍ بمكة، ثم قال أُمَية: يا أمَّ صفوان جهِّزيني، فقالت له: يا

(١) هي: كُنْيَةُ أميَّة بن خلف.

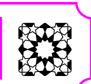
(٢) يُقال: **صبأ فلان**: إذا خرج من دين إلى دين غيره. انظر: النهاية (٣/٣).

(٣) في رواية أخرى في صحيح البخاري، رقم الحديث (٣٦٣٢): والله لئن منعتَني أن أطوف بالبيت لأقطعَنَّ متجَرَك بالشام.

(٤) قال ابن سيد الناس في عيون الأثر (١/٣٨١، ٣٨٢): المشهور عند أرباب السِّيَر أن النبي ﷺ إنما قال ذلك لأخيه أُبَي بن خَلَف بمكة قبل الهجرة، وهو الذي قتله النبي ﷺ بعد ذلك يوم أُحُدٍ بحَرْبَته، وهذا أيضًا لا يُنافي خبر سعد، والله أعلم.

أبا صفوانَ، وقد نَسِيتَ ما قال لك أخوك اليثربيُّ[١]؟! قال: لا، ما أريد أن أجوزَ معهم إلا قريبًا، فلما خرج أُمَية أخذ لا ينزل منزلًا إلَّا عَقَل[٢] بعيرَه، فلم يَزَل بذلك حتى قتله الله ﷻ ببدرٍ[٣]!

قال الحافظ في «الفتح»: وفي الحديث معجزات للنبي ﷺ ظاهرة، وفيه ما كان عليه سعد بن معاذ رضي الله عنه من قوة النفس واليقين، وفيه أن شأن العمرة كان قديمًا، وأن الصحابة كان مأذونًا لهم في الاعتمار من قبل أن يَعتَمِرَ النبيُّ ﷺ، بخلاف الحج، والله أعلم[٤].



بلوغ الرسول ﷺ خروج قريش ومشَاورته

بلغ رسولَ الله ﷺ خروجُ قريش ليمنعوا عِيرَهم، فاستشار أصحابه، فتكلم المهاجرون فأحسنوا، ثم استشارهم مرة ثانية؛ فقد روى الإمام مسلم في «صحيحه» عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: إن رسول الله ﷺ شاور حين بلغه إقبالُ أبي سفيان[٥]، فتكلم أبو بكر فأعرض عنه، ثم تكلَّم عمر فأعرض عنه[٦].

وروى الإمام البخاري في «صحيحه» عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال المِقداد يوم بدر: يا رسول الله، إنا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ٢٤﴾ [المائدة: ٢٤]، ولكن امْضِ ونحن معك، فكأنَّه سُرِّيَ[٧] عن رسول الله ﷺ[٨].

(١) تعني بذلك: سعد بن معاذ رضي الله عنه.
(٢) **عَقَل البعير**: شده في عُقُلِه؛ أي: بحَبْلِه. انظر: النهاية (٣/ ٢٥٢).
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٩٥٠) (٣٦٣٢).
(٤) انظر: فتح الباري (٨/ ١٠).
(٥) في رواية الإمام أحمد في مسنده، قال أنس رضي الله عنه: إن رسول الله ﷺ شاور الناس يوم بدر.
(٦) أخرجه الإمام مسلم، رقم الحديث (١٧٧٩)، والإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٣٢٩٦).
(٧) **سُرِّي**: أي: كُشِفَ عنه الخوفُ. انظر: النهاية (٢/ ٣٢٨).
(٨) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٦٠٩).

وفي لفظ آخر للبخاري والإمام أحمد في «مسنده» ـ واللفظ لأحمد ـ قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: لقد شَهِدْتُ من المقداد مشهدًا لَأَنْ أكونَ أنا صاحِبَه أحَبُّ إليَّ مما على الأرض من شيء؛ قال: أتى النبيَّ ﷺ، وكان رجُلًا فارسًا، فقال: أبشِرْ يا نبي الله، وَاللهِ لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﷺ: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [المائدة: ٢٤]، ولكن والذي بعثك بالحق لنكونَنَّ بين يديك، وعن يمينك وعن شمالك، ومن خَلْفِك، حتى يفتَحَ اللهُ عليك[(١)].

ثم استشار رسولُ الله ﷺ الصحابة رضي الله عنهم، فقال: «**أشيروا عليَّ أيُّها الناس**»، وإنما يريد الأنصار، وذلك أنهم عَدَدُ الناس، وأنهم حين بايعوه بالعَقَبة قالوا: يا رسول الله، إنا بُرآءُ من ذمامِك[(٢)] حتى تَصِلَ إلى ديارنا، فإذا وصَلْتَ إلينا فأنت في ذِمَّتِنا، نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا، فكان رسول الله ﷺ يتخوَّف ألا تكونَ الأنصار ترى عليها نَصْرَه إلَّا ممن دَهَمه[(٣)] بالمدينة من عدوِّه، وأنْ ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم[(٤)].

فقام سعد بن معاذ رضي الله عنه، وقال: والله لكأنَّك تريدُنا يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أجل**»، فقال سعد[(٥)] رضي الله عنه: آمنَّا بك وصدَّقْناك، وشَهِدْنا أن

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٩٥٢)، والإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٤٣٧٦).

(٢) **الذِّمَّة**: بمعنى العهد والضمان. انظر: النهاية (٢/ ١٥٥).

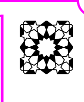
(٣) **دَهَمَه**: غشيه. انظر: لسان العرب (٤/ ٤٣١).

(٤) انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٢٢٧).

(٥) هكذا ذكر ابن إسحاق في السيرة (٢/ ٢٢٧) أن المتكلم نيابة عن الأنصار هو سعد بن معاذ رضي الله عنه، ووقع في صحيح مسلم، رقم الحديث (١٧٧٩) أن المتكلم نيابة عن الأنصار هو سعد بن عُبادة رضي الله عنه.

قال الحافظ في الفتح (٨/ ١٤): وقع في مسلم أن سعد بن عبادة رضي الله عنه هو الذي قال ذلك، وكذا أخرجه ابن أبي شيبة من مُرسَل عكرمة، وفيه نظر؛ لأن سعد بن عبادة رضي الله عنه =

ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودَنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامْضِ يا رسول الله ﷺ لِما أردتَ؛ فنحن معك، فوالذي بعَثَك بالحقِّ لو استعرَضْتَ بنا هذا البحر فخُضْتَه، لخُضْناه معك ما تخلَّف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدوَّنا غدًا، إنَّا لصُبُرٌ في الحرب، صُدُقٌ في اللقاء، ولعل الله يُريك منا ما تَقَرُّ به عينُك؛ فسِرْ بنا على بركة الله. فسُرَّ رسولُ الله ﷺ بقول سعد رضي الله عنه، ثم قال: «**سيروا وأبشِروا؛ فإنَّ اللهَ تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين، وَاللهِ لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم!**»(١).



نزول المسلمين بالعُدْوة الدُّنيا والكُفَّار بالعُدوة القصوى

ثم سار رسول الله ﷺ حتى نزل بجيشه بالعُدوة الدنيا، قريبًا من بدر، ونزل كُفَّار قريش بالعدوة القصوى، ولا أحد يعلم مكان الآخر، وأمَّا أبو سفيان فلَحِقَ بساحل البحر، ونجا بالقافلة.

قال الله تعالى: ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَـٰدِ ۙ وَلَـٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ [الأنفال: ٤٢].

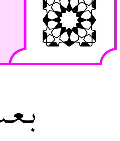
قال ابن إسحاق في تفسير الآية: أي: لِيكفُرَ من كفر بعد الحُجَّة؛ لِمَا

= لم يشهَدْ بدرًا، وإن كان يُعَدُّ فيهم؛ لكونه ممن ضرب له بسهمه، ويمكن الجمع بأن النبي ﷺ استشارهم في غزوة بدر مرتين؛ **الأولى**: وهو بالمدينة أول ما بلغه خبر العِير مع أبي سفيان، وذلك بَيِّنٌ في رواية مسلم، ولفظه: أن النبي ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان، **والثانية**: كانت بعد أن خرج كما في حديث الباب.

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٢٢٧).

رأى من الآية والعبرة، ويُؤمِنَ مَن آمن على مِثْلِ ذلك[١].

وقال الحافظ ابن كثير معلِّقًا على تفسير ابن إسحاق: وهذا تفسير جيد، وبَسْطُ ذلك أنه تعالى يقول: إنما جَمَعَكم مع عدوكم في مكان واحد على غير ميعاد؛ لينصُرَكم عليهم، ويرفَعَ كلمة الحق على الباطل، ليصير الأمرُ ظاهرًا، والحُجَّةُ قاطعةً، والبراهينُ ساطعةً، ولا يبقى لأحد حُجَّةٌ ولا شبهة، فحينئذ: يَهلِك مَن هلك؛ أي: يستمِر في الكفر مَن استمرَّ فيه على بصيرةٍ من أمرِه أنه مبطِلٌ؛ لقيام الحُجَّة عليه، ﴿وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ﴾؛ أي: يُؤمِن مَن آمن: ﴿عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢]؛ أي: حُجَّةٍ وبصيرةٍ[٢].



بَعْثُ رسول الله ﷺ أصحابه إلى بدر

بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب، والزُّبَير بن العَوَّام وسعد بن أبي وقاص ﵃، في نفرٍ من الصحابة إلى ماءِ بَدْرٍ يلتَمِسون خبر قريش؛ فقد روى الإمام أحمد في «مسنده» بسند صحيح عن علي بن أبي طالب ﵁ أنه قال: فوجَدْنا فيها[٣] رجلين منهم، رجلًا من قريش، ومولًى لعُقبة بن أبي مُعَيط، فأما القرشي فانفلت، وأما مولى عقبة فأخَذْناه، فجعلنا نقول له: كم القوم؟ فيقول: هم ـ وَاللهِ ـ كثيرٌ عَدَدُهم، شديدٌ بأسهم، فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربوه، حتى انتهوا به إلى النبي ﷺ، فقال له: «**كم القوم؟**» قال: هم ـ وَاللهِ ـ كثيرٌ عَدَدُهم، شديدٌ بأسهم، فجَهَدَ النبيُّ ﷺ أن يُخبره كم هم، فأبى، ثم إن النبي ﷺ سأله: «**كم ينحَرون من الجُزُرِ؟**»[٤].

فقال: عَشْرًا كل يوم، فقال رسول الله ﷺ: «**القوم ألفٌ، كُلُّ جزور**

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٢٨٤).
(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٦٩).
(٣) يعني: حول ماء بدر.
(٤) **الجُزُر**: جمع جَزور، وهو البعير ذكرًا كان أو أنثى. انظر: النهاية (١/ ٢٥٨).

لمئةٍ وتَبَعِها»[١].

وفي رواية أخرى في «صحيح مسلم» و«مسند الإمام أحمد» و«سُنَن أبي داود» عن أنس رضي الله عنه، قال: فإذا هم برَوَايا[٢] قريش فيها عبدٌ أسودُ لبني الحَجَّاج، فأخذه أصحاب رسول الله ﷺ، فجعلوا يسألونه: أين أبو سفيان؟ فيقول: والله ما لي بشيءٍ من أمره علم[٣]، ولكن هذه قريش قد جاءت؛ فيهم: أبو جهل، وعُتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأُمَية بن خلف، فإذا قال لهم ذلك ضربوه، فيقول: دعوني دعوني أُخبِرْكم، فإذا تركوه، قال: وَاللهِ ما لي بأبي سفيان علم، ولكن هذه قريش قد أقبلت؛ فيهم: أبو جهل، وعُتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأُمَية بن خلف، قد أقبلوا، والنبي ﷺ يُصلِّي، وهو يسمع ذلك، فلما انصرف، قال: «**والذي نفسي بيده، إنكم لتضربونه إذا صَدَقَكم، وتَدَعونه إذا كَذَبَكم! هذه قريش قد أقبلت لتمنعَ أبا سفيان**»[٤].

قلت: وفي ضرب الصحابة رضي الله عنهم لعبد بني الحَجَّاج دليل على كراهيتهم للقتال، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ[٥] أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ[٦] وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧﴾ [الأنفال: ٧].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٩٤٨).

(٢) **الرَّوايا من الإبل:** هي التي تحمل الماء. انظر: النهاية (٢/ ٢٥٤).

(٣) في رواية الإمام أحمد: أما أبو سفيان فليس لي به علم.

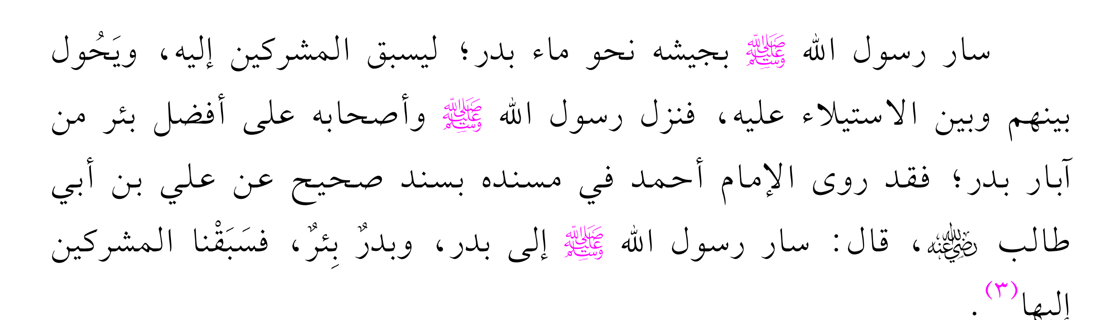
(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٧٧٩)، والإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٣٢٩٦)، وأبو داود في سننه، رقم الحديث (٢٦٨١).

(٥) قال الإمام ابن جرير في تفسيره (٦/ ١٨٣): يعني إحدى الفرقتين: فرقة أبي سفيان بن حرب والعِير، وفرقة المشركين الذين نفروا من مكة لمَنْع عِيرِهم.

(٦) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٤/ ١٦): أي: هو يريد أن يجمع بينكم وبين الطائفة التي لها الشوكة والقتال؛ ليُظفِرَكم بهم ويُظهِرَكم عليهم، ويُظهِر دينه، ويرفع كلمة الإسلام، =

قال الحافظ ابن كثير: فكَرِهَ ذلك أصحاب رسول الله ﷺ وودُّوا أنْ لو كانا لعير أبي سفيان، وأنه منهم قريب؛ ليفوزوا به؛ لأنه أخفُّ مَؤونة من قتال النفير من قريش؛ لشدة بأسهم واستعدادهم لذلك، فجعلوا يضربونهما[(١)]، فإذا آذاهما الضرب، قالا: نحن لأبي سفيان، فإذا سكتوا عنهما وسألوهما، قالا: نحن لقريش[(٢)].

نزول الرسول ﷺ على ماء بدر



سار رسول الله ﷺ بجيشه نحو ماء بدر؛ ليسبق المشركين إليه، ويَحُول بينهم وبين الاستيلاء عليه، فنزل رسول الله ﷺ وأصحابه على أفضل بئر من آبار بدر؛ فقد روى الإمام أحمد في مسنده بسند صحيح عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: سار رسول الله ﷺ إلى بدر، وبدرٌ بِئرٌ، فسَبَقْنا المشركين إليها[(٣)].

نزول المطر على الفريقين

وحال اللهُ سبحانه بين قريش وبين الماء بمطرٍ عظيم أرسله، فكان نقمةً على الكفار، ونعمةً على المسلمين؛ مهَّد لهم الأرض ولَبَّدها[(٤)]؛ قال تعالى:

= ويجعله غالبًا على الأديان، وهو أعلم بعواقب الأمور، وهو الذي دبَّركم بحسن تدبيره، وإن كان العباد يُحبون خلاف ذلك فيما يظهرُ لهم.

(١) أي: يضربون أسْلَم غلامَ بني الحجاج، وعَريضًا أبا يَسارٍ غلامَ بني العاص بن سعيد، وهذه رواية ابن إسحاق في السيرة (٢/ ٢٢٨).

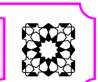
(٢) انظر: الفصول في سيرة الرسول، ص (٩٤).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٩٤٨).

(٤) **لبَّدَت الأرض**: أي: جعلَتْها قوية لا تَسُوخ فيها الأرجل. انظر: لسان العرب (١٢/ ٢٢٢).

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾﴾ [الأنفال: ١١].

قال الإمام ابن القيم: وأنزل الله ﷻ في تلك الليلة مطرًا واحدًا، فكان على المشركين وابلًا شديدًا منعهم من التقدُّم، وكان على المسلمين طَلًّا[١] طهَّرهم به وأذهب عنهم رِجْز الشيطان، ووطَّأ به الأرض، وصَلَّب الرَّمْلَ، وثبَّت الأقدام، ومَهَّد به المنزل، وربط به على قلوبهم؛ فسبق رسول الله ﷺ والمسلمون إلى الماء، فنزلوا عليه شَطْرَ الليل وصنعوا الحِياضَ، ثم غَوَّروا[٢] ما عداها من المياه، ونزل رسول الله ﷺ وأصحابه على الحياض[٣].



بناء العريش[٤] وتَعْبئة جيش المسلمين

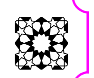
وبُنِيَ لرسول ﷺ عريشٌ يكون فيه على تلٍّ يُشرف على المعركة، فكان فيه رسول الله ﷺ وصاحبه أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، وفي ليلة الجمعة السابع عشر من رمضان، وهي ليلة المعركة، أخذ رسول الله ﷺ يُعبِّئُ[٥] جيشه، ثم جعل يمشي في أرض المعركة، وجعل يُشير بيده: هذا مَصرَعُ[٦] فلان غدًا، وهذا مَصرَعُ فلان غدًا إن شاء الله، ويضع يده على الأرض، ههنا وههنا!.

---

(١) **الطَّلُّ**: المطر الصِّغار القَطْر الدَّائم. انظر: لسان العرب (٨/ ١٩١).
(٢) أي: دفنوا.
(٣) انظر: زاد المعاد (٣/ ٢٠٦).
(٤) **العريش**: هو خيمة من خشب أو عيدان تُنصَب ويُظلَّل عليها. انظر: لسان العرب (٩/ ١٣٤).
جاء ذكر العريش في صحيح البخاري، رقم الحديث (٤٨٧٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: إن رسول الله ﷺ قال، وهو في قبة له يوم بدر: ... وساق الحديث.
(٥) **عَبَّأْتُ الجيش**: أي: رتَّبْتُهم في مواضعهم وهيَّأْتُهم للحرب. انظر: النهاية (٣/ ١٥٣).
(٦) **المصرع**: هو موضع القتل. انظر: جامع الأصول (٨/ ١٨١).

قال أنس رضي الله عنه: فوالله ما أماط[١] رجلٌ منهم عن موضِعِ كَفَّيْ رسولِ الله ﷺ[٢]!

وفي لفظ آخر في «صحيح مسلم» عن عمر رضي الله عنه، أنه قال: فوالذي بعثه بالحق، ما أخطؤوا الحدود التي حَدَّ رسولُ الله ﷺ[٣].



نزول النُّعَاس وصلاة النبي ﷺ

أصاب المسلمين ليلة الجمعة النعاسُ؛ أَمَنةً من الله، قال تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ [الأنفال: ١١]، فناموا جميعًا.

قال الحافظ ابن كثير: يُذَكِّرُهم الله بما أنعم به عليهم من إلقائه النُّعاسَ عليهم؛ أمانًا من خوفهم الذي حصل لهم من كثرة عدوهم، وقلة عددهم[٤].

وروى الإمام أحمد في «مسنده» بسند صحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: إن أبا طلحة الأنصاري رضي الله عنه قال: غَشِيَنا النُّعاسُ ونحن في مصافِّنا يوم بدر، قال أبو طلحة: كنتُ فيمن غَشِيَه النعاسُ يومئذٍ، فجعل سيفي يسقُطُ من يدي وآخُذُه، ويسقُطُ وآخُذُه[٥]!

وبات رسول الله ﷺ تلك الليلة ـ ليلة الفرقان ـ يُصلي تحت شجرة، يتضرَّع إلى الله سبحانه وتعالى؛ فقد روى الإمام أحمد في «مسنده» بسند صحيح عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: ما كان فينا فارسٌ يوم بدر غيرُ المِقداد،

(١) **ما أماط**: أي: ما زال وما بَعُدَ. انظر: جامع الأصول (٨/ ١٨١).

(٢) أخرج ذلك الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٧٧٩)، والإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٣٢٩٦).

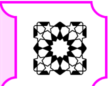
(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٨٧٣).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٢٢).

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٦٣٥٧).

ولقد رأيتُنا وما فينا إلا نائم إلَّا رسول الله ﷺ تحت شجرة يُصلِّي، ويبكي حتى أصبح[١]!

وروى ابن حِبَّان في «صحيحه» بسند حسن عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: إن رسول الله ﷺ لما أصبح ببدر من الغدِ، أحيا تلك الليلة كلَّها[٢].

 نزولُ جيشِ المشركين واديَ بدر

فلما أصبح رسول الله ﷺ وذلك يومَ الجمعة السابع عشر من رمضان من السنة الثانية للهجرة ـ وهو يوم الفرقان ـ صَفَّ أصحابَه، وعدَّل صفوفهم، وقال لهم: «**لا يتقدمَنَّ أحد منكم على شيء، حتى أكونَ أنا أُوذِنُهُ**»[٣].

وأقبلت قريش في كتائبها، وبدأت تأخذ موضعها في أرض المعركة، فلما رآها رسول الله ﷺ، قال: «**اللَّهُمَّ هذه قُرَيش قد أقبَلَت بخُيَلائها وفَخْرِها، تُحادُّك**[٤] **وتُكذِّبُ رسولَك، اللَّهُمَّ فنَصْرَك الذي وعَدْتَني**»[٥].

---

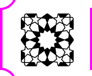
(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٠٢٣).

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه، رقم الحديث (٤٧٥٩).

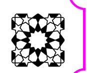
(٣) هذه رواية الإمام أحمد في مسنده، وفي رواية الإمام مسلم في صحيحه: «دونه»، قال السندي في شرحه للمسند (٧/ ٢٢٨): **أُوذنه**: من الإيذان؛ أي: أُخبِرُه بحاله، وأنَّ فيه مصلحة أم لا، ولفظ مسلم: حتى أكون أنا دونَه؛ أي: قُدَّامه، أرشِدُه إلى ما فيه المصلحة مما فيه المفسدة.
والخبر أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٩٠١)، والإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٢٣٩٨).

(٤) **المحادَّة**: المعاداة والمخالفة والمنازعة. انظر: النهاية (١/ ٣٤٠).

(٥) انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٢٣٣).



المبارزة



فلمَّا استقرَّت قريش في أرض المعركة، طلبت المبارزة؛ فقد روى الحاكم في المستدرك بسند صحيح عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: فبرز عُتبة وأخوه شيبة وابنُه الوليد، فقالوا: مَن يُبارِزُ؟

فخرج فتيةٌ من الأنصار شَبَبَةٌ، فقال عُتبة: لا نريد هؤلاء، ولكن يُبارِزُنا مِن أعمام بني عبد المطَّلِب؟

فقال رسول الله ﷺ: «**قُمْ يا حمزةُ، قم يا عُبَيدةُ، قم يا عَلِيُّ**»، فبرز حمزة لعُتبة، وعُبَيدة لشَيبة، وعليٌّ للوليدِ؛ فقَتَل حمزةُ عُتبة، وقَتَل عليٌّ الوليدَ، وقَتَل عُبَيدة شيبةَ، وضَرَب شيبةُ رِجْلَ عُبَيدةَ فقَطَعها، فاستنقَذَه حمزةُ وعليٌّ، حتى تُوفِّيَ بالصفراء[(١)].

وفي رواية الإمام أحمد في «مسنده» بسند صحيح، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: فقَتَل اللهُ تعالى عُتبةَ وشَيبةَ ابنَيْ ربيعة، والوليدَ بن عتبة، وجُرِحَ عُبَيدة[(٢)].

قال الإمام الذهبي: الصحيح أنما بارز حمزةُ عُتبة، وعليٌّ شَيبة[(٣)]، والله أعلم[(٤)].

وقال الحافظ في «الفتح»: وهذا أصحُّ الروايات[(٥)]، لكِنَّ الذي في «السيرة» من أن الذي بارزه عليٌّ رضي الله عنه هو الوليد هو المشهور، وهو اللائق

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه، رقم الحديث (٤٩٤٣).
(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٩٤٨).
(٣) وهي رواية أبي داود في سننه، رقم الحديث (٢٦٦٥) وإسناده صحيح.
(٤) انظر: السيرة النبوية (١/٣٠٦)، للإمام الذهبي.
(٥) يعني: رواية أبي داود في سننه.

بالمقام[(١)]؛ لأن عُبَيدة رضي الله عنه وشَيبة كانا شيخينِ كعُتبةَ وحمزةَ، بخلاف عليٍّ رضي الله عنه والوليدِ؛ فكانا شابَّينِ[(٢)].

وقال ابن سعد في «طبقاته»: الثَّبْتُ: أن حمزة قَتَل عُتبة، وأن عليًّا قتل الوليدَ، وأنَّ عُبَيدة بارز شَيبةَ[(٣)].

وروى الشيخان في «صحيحيهما» وابن ماجه ـ واللفظ لابن ماجه ـ عن قيس بن عُبَاد، قال: سمعتُ أبا ذرٍّ رضي الله عنه يُقسِمُ لَنزَلَت هذه الآيات في هؤلاء الرَّهط الستة يوم بدر: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ [الحج: ١٩]؛ في حمزة بن عبد المُطَّلِب، وعليِّ بن أبي طالب، وعُبيدة بن الحارث، وعُتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عُتبة، يومَ بدر اختصموا في الحُجَجِ[(٤)].

قال الإمام ابن جرير الطبري: وأَولى هذه الأقوال عندي بالصواب، وأشبهها بتأويل الآية: قول مَن قال: عُنِيَ بالخصمين جميعُ الكفار من أي أصناف الكفر كانوا، وجميع المؤمنين، وإنما قلت: ذلك أولى بالصواب؛ لأنه ـ تعالى ذِكْرُه ـ ذكر قَبْلَ ذلك صِنْفَين من خَلْقِه؛ أحدهما: أهل طاعة له بالسجود له، والآخر: أهل معصية له، قد حَقَّ عليه العذاب. . . ثم أتبع ذلك صفةَ الصِّنفَين كليهما، وما هو فاعل بهما. . . فإن قال قائل: فما أنت قائل فيما رُوي عن أبي ذر رضي الله عنه في قوله: إنَّ ذلك نزل في الذين بارزوا يومَ بدر؟ قيل: ذلك إن شاء الله كما رُوي عنه، ولكن الآية قد تَنزِل بسَبَبٍ من الأسباب،

---

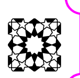
(١) وهي موافقة لرواية الحاكم في مستدركه.

(٢) انظر: فتح الباري (٨/ ٢٧).

(٣) **قلتُ**: وهي رواية الحاكم في مستدركه بسند صحيح، رقم الحديث (٤٩٤٣)، وهي الأكثر والأشهر، وانظر كلام ابن سعد في: طبقاته (٢/ ٢٦١).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٩٦٦) (٣٩٦٨) (٣٩٦٩)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٣٠٣٣)، وابن ماجه في سننه، رقم الحديث (٢٨٣٥).

ثم تكون عامَّةً في كل ما كان نظيرَ ذلك السبب، وهذه من تلك[١].



نشوب القتال ومناشدة النبي ﷺ ربَّه

ثم حَمِيَ الوطيس، وتزاحف الناسُ ودنا بعضهم من بعض، واستدارت رحى الحرب، واشتد القتال، وأخذ رسول الله ﷺ في الدعاء والابتهال ومناشدة ربه ﷻ؛ فروى الإمام البخاري في «صحيحه» عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: إن رسول الله ﷺ قال، وهو في قبَّةٍ يومَ بدر: «**اللَّهُمَّ إني أَنشُدُك عَهْدَك ووَعْدَك، اللَّهُمَّ إن تشَأْ لا تُعبَدْ بعد اليوم**»، فأخذ أبو بكر رضي الله عنه بيده، فقال: حَسْبُك يا رسول اللهِ، ألحَحْتَ[٢] على ربِّك[٣].

وفي رواية الإمام مسلم في «صحيحه» عن عمر بن الخَطَّاب رضي الله عنه، قال: فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة، ثم مد يديه فجعل يهتف[٤] بربه: «**اللَّهُمَّ أنجِزْ لي ما وعدتني، اللَّهُمَّ آتِ ما وعدتني، اللَّهُمَّ إن تُهلِكْ هذه العِصابةَ[٥] من أهل الإسلام لا تُعبَدْ في الأرض**»، فما زال يهتف بربه، مادًّا يديه، مستقبِلَ القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر، فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبيَّ الله، كذاك[٦] مناشَدتُك ربَّك؛ فإنَّه سيُنجِزُ لك ما وعدك[٧].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٩/ ١٢٤).
(٢) قال الإمام ابن القيم في مدارج السالكين (٢/ ٥٧٨): فهذا الإلحاح عين العبودية.
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٨٧٥).
(٤) **يهتف**: أي: يدعوه ويُناشده. انظر: النهاية (٥/ ٢١١).
(٥) **العصابة**: هم الجماعة من الناس من العشرة إلى الأربعين. انظر: النهاية (٣/ ٢٢٠).
(٦) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٢/ ٧٣): هكذا وقع لجماهير رواة مسلم: كذاك، بالذال، ولبعضهم: كفاك، بالفاء.
(٧) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٧٦٣).

نزول الملائكة

ثم أغفى رسولُ الله ﷺ إغفاءةً، ثم رفع رأسه، وهو يقول: «**أبشِرْ يا أبا بكر، هذا جِبريلُ على ثناياه**[(١)] **النَّقعُ**»[(٢)].

وروى الإمام البخاري في «صحيحه» عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: إن النبي ﷺ قال يوم بدر: «**هذا جبريل آخذٌ برأس فرسه، عليه أداة الحرب**»[(٣)].

قال الله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝١٠﴾ [الأنفال: ٩، ١٠].

وقال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ۝١٢﴾ [الأنفال: ١٢].

وروى الإمام مسلم في «صحيحه» عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتدُّ في أثَرِ رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربةً بالسَّوط فوقه، وصوت الفارس يقول: أقدِمْ حَيزومُ، فنظر إلى الْمُشرِك أمامه فخَرَّ مُستلقيًا، فنظر إليه فإذا هو قد خُطِمَ[(٤)] أنفُه، وشُقَّ وَجهُه؛ كضَرْبِه بالسوط، فاخضرَّ ذلك أجمَعَ، فجاء الأنصاري فحَدَّث بذلك رسول الله ﷺ،

---

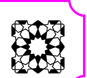
(١) **ثناياه**: أراد قوائم فرسه ورأسه. انظر: النهاية (١/ ٢١٨).

(٢) **النَّقْع**: الغبار. انظر: النهاية (٥/ ٩٥).
والخبر أخرجه الأموي في المغازي، كما في البداية والنهاية، وحسَّن إسناده الألباني في تخريجه لفقه السيرة للغزالي، ص (٢٢٦).

(٣) **أداة الحرب**: يعني: كامل السلاح. انظر: لسان العرب (١/ ١٠٠).
والخبر أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٩٩٥).

(٤) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٢/ ٧٤): **الخَطْمُ**: الأثَرُ على الأنف.

فقال رسول الله ﷺ: «**صدَقْتَ، ذلك من مَدَدِ السماء الثالثة**»[١].



رميُ النبيِّ ﷺ المشركين بالحصباء[٢]

فلما أنزل الله سبحانه ملائكته، خرج رسول الله ﷺ من العريش، وهو يقول: «﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ۝٤٥﴾ [القمر: ٤٥]»[٣]، ثم أخذ حَفْنةً[٤] من الحصباء، فاستقبل بها الكفار، وقال: «**شاهت الوجوهُ**» ثم رمى بها في وجوههم، فما بقي أحد منهم إلا وامتلأت عيناه من الحصباء، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ۚ﴾ [الأنفال: ١٧].

قال الإمام ابن القيم: الآية من أكبر معجزات النبي ﷺ، والخطاب بها خاصٌّ لأهل بدر، وكذلك القبضة التي رمى بها النبي ﷺ فأوصلها الله سبحانه إلى جميع وجوه المشركين، وذلك خارج عن قدرته ﷺ، وهو الرمي الذي نفاه عنه، وأثبت له الرمي الذي هو في محل قدرته، وهو الحذف، وكذلك القتل الذي نفاه عنهم هو قتل لم تُباشِرْه أيديهم، وإنما باشرته أيدي الملائكة، فكان أحدهم يشتد في أثر الفارس، وإذا برأسه قد وقع أمامه من ضربة المَلَك![٥].

وقال في «مدارج السالكين»: وجه الإشارة بالآية: أنه سبحانه أقام أسبابًا ظاهرة لدفع المشركين، وتولَّى دفعهم وإهلاكهم بأسباب باطنة غير

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٧٦٣).

(٢) **الحصباء**: الحصى الصغار. انظر: النهاية (١/٣٧٨).

(٣) أخرج ذلك إلى هذا القدر: الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٩٥٣).

(٤) **الحفنة**: هي ملء الكف. انظر: النهاية (١/٣٩٣).

(٥) انظر: إعلام الموقعين (٤/٦٣، ٦٤).

الأسباب التي تظهر للناس؛ فكان ما حصل من الهزيمة والقتل والنصرة مضافًا إليه وبه، وهو خير الناصرين[١].

هزيمة الكفار

وأنزل الله سبحانه نصره على رسوله ﷺ والمؤمنين، ومنحهم أكتاف المشركين أسْرًا وقتلًا، فقتلوا منهم سبعين وأسروا سبعين؛ فقد روى الإمام البخاري في «صحيحه» عن البراء بن عازب رضي الله عنهما، قال: كان النبي ﷺ وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة؛ سبعين أسيرًا، وسبعين قتيلًا[٢].

وروى الإمام مسلم في «صحيحه» عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: فقَتَلوا يومئذ سبعين، وأَسَروا سبعين[٣].

قال الحافظ في «الفتح»: هذا هو الحق في عدد القتلى[٤].

فكان من جملة من قُتِلَ من المشركين ممن سمَّى رسول الله ﷺ: أبو جهل، وهو أبو الحكم عمرو بن هشام، وعُتبة وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عُتبة، وأُمَيَّة بن خلف، وغيرهم من سادات الكُفر.

وقوف النبي ﷺ على قتلى الكفار

ثم أمر رسول الله ﷺ بقتلى الكفار فسُحِبوا إلى قليبٍ من قُلُبِ بدر،

---

(١) انظر: مدارج السالكين (٤/ ٤١٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٩٨٦).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٧٦٣).

(٤) انظر: فتح الباري (٨/ ٣٩).

فَطُرحوا فيه؛ فقد روى الإمام البخاري في «صحيحه» عن أنس رضي الله عنه، عن أبي طلحة رضي الله عنه: أن نبي الله ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلًا من صناديد قريش[١]، فقُذِفوا في طَوِيٍّ[٢] من أطواء بدر خبيثٍ مُخبِث، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعَرْصة[٣] ثلاث ليالٍ، فلما كان ببدر اليومَ الثالث أمر براحلته فَشُدَّ عليها رَحْلُها، ثم مشى وتبعه أصحابه، وقالوا: ما نُرى ينطلِقُ إلا لبعض حاجته، حتى قام على شَفَةِ الرَّكِيِّ[٤]، فجعل يُناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: يا فلانُ بنَ فلان، ويا فلان بن فلان، أيسُرُّكم أنَّكم أطعتم الله ورسوله؟ فإنا قد وجَدْنا ما وعدَنا ربُّنا حقًّا، فهل وجدتُم ما وعد ربُّكم حقًّا؟ فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله، ما تُكلِّمُ من أجساد لا أرواح لها؟! فقال رسول الله ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده، ما أنتم بأسمَعَ لما أقولُ منهم!**».

قال قتادة: أحياهم الله حتى أسمعهم قولَه؛ توبيخًا وتصغيرًا ونِقمةً وحسرةً ونَدَمًا[٥].

وروى الإمام مسلم في «صحيحه» عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ ترك قتلى بدر ثلاثًا، ثم أتاهم، فقام عليهم فناداهم، فقال: «**يا أبا جهل بن هشام، يا أُمَيَّة بن خلف، يا عُتبة بن ربيعة، يا شيبة بن ربيعة، أليس قد وجدتُم ما وعد ربُّكم حقًّا؟ فإني وجدتُ ما وعدني ربِّي حقًّا**» فسمع عمر رضي الله عنه قول النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، كيف يسمعوا وأنَّى

---

(١) **صناديد قريش**: هم أشرافهم وعظماؤهم ورُؤساؤهم، الواحد: صِنديد. انظر: النهاية (٣/ ٥١).

(٢) قال الحافظ في الفتح (٨/ ٣٢): **الطَّوِيُّ**: هي البئر التي طُوِيَت وبُنِيَت بالحجارة؛ لتثبُتَ ولا تنهار.

(٣) **العَرْصة**: كل موضع واسع لا بناء فيه. انظر: النهاية (٣/ ١٨٨).

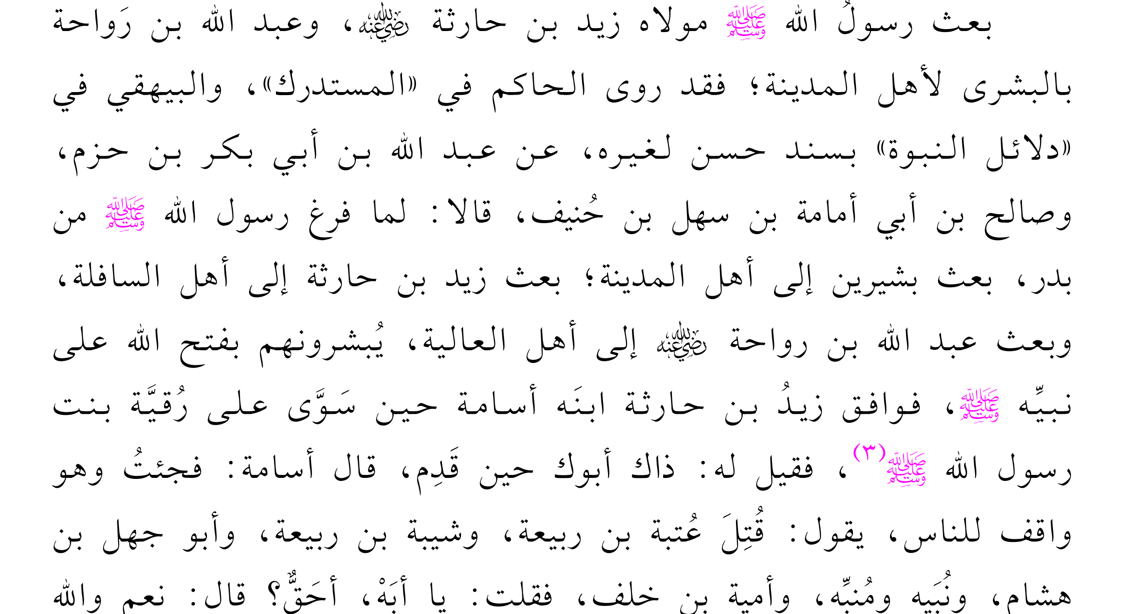
(٤) قال الحافظ في الفتح (٨/ ٣٢): **شَفَة الرَّكِيِّ**: أي: طَرَف البئر.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٩٧٦).

يُجيبوا وقد جَيَّفوا؟ فقال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يقدرون أن يُجيبوا**»[١].

عدد شهداء المسلمين

استُشهِد من الصحابة الكرام رضي الله عنهم في غزوة بدر الكبرى: أربعة عشر رجلًا؛ ستة من المهاجرين، وستة من الخزرج، واثنان من الأوس[٢].



تبشير أهل المدينة

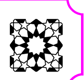
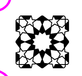
بعث رسولُ الله ﷺ مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه، وعبد الله بن رَواحة بالبشرى لأهل المدينة؛ فقد روى الحاكم في «المستدرك»، والبيهقي في «دلائل النبوة» بسند حسن لغيره، عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم، وصالح بن أبي أمامة بن سهل بن حُنيف، قالا: لما فرغ رسول الله ﷺ من بدر، بعث بشيرين إلى أهل المدينة؛ بعث زيد بن حارثة إلى أهل السافلة، وبعث عبد الله بن رواحة رضي الله عنه إلى أهل العالية، يُبشرونهم بفتح الله على نبيِّه ﷺ، فوافق زيدُ بن حارثة ابنَه أسامة حين سَوَّى على رُقيَّة بنت رسول الله ﷺ[٣]، فقيل له: ذاك أبوك حين قَدِم، قال أسامة: فجئتُ وهو واقف للناس، يقول: قُتِلَ عُتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو جهل بن هشام، ونُبَيه ومُنبِّه، وأمية بن خلف، فقلت: يا أَبَهْ، أَحَقٌّ؟ قال: نعم والله يا بُنيَّ[٤].

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٨٧٤).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٣١٩، ٣٢٠). (٣) يعني: بعد ما دُفِنَت رضي الله عنها.

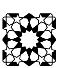
(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٥٠٢٥)، والبيهقي في دلائل النبوة، (٣/ ١٨٧).

رجوع النبي ﷺ إلى المدينة بالأُسارى

ثم ارتحل رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام إلى المدينة النبوية مؤيَّدًا منصورًا، قرير العين بنصر الله له، ومعه الأُسارى والمغانم، ودخل المدينة وقد خافه كل عدو له بالمدينة وحولها، فأسلم بشرٌ كثير من أهل المدينة، وحينئذ دخل عبد الله بن أُبيٍّ المنافق وأصحابه في الإسلام ظاهرًا، وفرغ رسولُ الله ﷺ من شأن بدر والأُسارى في شوال[١].

قال موسى بن عقبة: وأذلَّ الله بوقعة بدر رقابَ المشركين والمنافقين، فلم يَبْقَ بالمدينة منافق ولا يهودي إلا وهو خاضع عنُقُه؛ لوقعة بدر، وكان ذلك يومَ الفرقان؛ يومَ فَرَّق الله بين الشرك والإيمان[٢].



نزول سورة الأنفال[٣]

قال ابن إسحاق: فلما انقضى أمر بدر، أنزل الله ﷻ فيه من القرآن الأنفالَ بأَسْرِها[٤].

وروى الإمام البخاري في «صحيحه» عن سعيد بن جُبير، قال: قلت لابن عباس رضي الله عنهما: سورة الأنفال؟ قال: نزلت في بدر[٥].

وفي لفظ آخر في «صحيح مسلم»، قال سعيد بن جُبير، قلت لابن عباس رضي الله عنهما: سورة الأنفال؟ قال: تلك سورة بدر[٦].

---

(١) انظر: زاد المعاد (٣/ ٢١٩).
(٢) انظر: دلائل النبوة، للبيهقي (٣/ ١١٦، ١١٧).
(٣) قال السُّهيلي في الروض الأنف (٣/ ١١٩): الأنفال: هي الغنائم.
(٤) انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٢٧٨).
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٦٤٥).
(٦) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (٣٠٣١).

فضل أهل بدر

روى الإمام البخاري في «صحيحه» عن معاذ بن رِفاعة بن رافع الزُّرَقيِّ عن أبيه، وكان أبوه من أهل بدر، قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ، فقال: «**ما تعدُّون أهلَ بدر فيكم؟ قال: مِن أفضَلِ المسلمين ـ أو كلمةً نحوها ـ قال: وكذلك مَن شهد بدرًا من الملائكة**»[(١)].

وروى الشيخان في «صحيحيهما» عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنه قد شهد بدرًا[(٢)]، وما يُدريك[(٣)] لعلَّ الله اطَّلع على مَن شهد بدرًا، فقال: اعملوا ما شئتُم فقد غفرتُ لكم؟!**»[(٤)].

قال الحافظ في «الفتح»: هي بشارة عظيمة لم تقع لغيرهم[(٥)].

وقال الإمام ابن القيم: والذي نظن في ذلك ـ والله أعلم ـ أن هذا الخطاب لقوم قد علم الله سبحانه أنهم لا يُفارقون دينهم؛ بل يموتون على الإسلام، وأنهم قد يُقارِفون بعض ما يُقارِفه غيرهم من الذنوب، ولكنْ لا يتركهم سبحانه مصرِّين عليها؛ بل يوفِّقهم لتوبة نصوح واستغفار، وحسنات تمحو أثر ذلك، ويكون تخصيصهم بهذا دون غيرهم؛ لأنه قد تحقَّق ذلك فيهم، وأنهم مغفور لهم، ولا يمنع ذلك كون المغفرة حصلت بأسباب تقوم

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٩٩٢).

(٢) يعني: حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه، وذلك عندما بعث رسالةً إلى أهل مكة ضمَّنها غزو النبي ﷺ لمكة ليفتحها.

(٣) الخطاب مُوجَّه لعمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ لأنه استأذن النبي ﷺ في قتل حاطب رضي الله عنه بسبب رسالته لمكة.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٢٧٤)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٤٩٤).

(٥) انظر: فتح الباري (٨/ ٣٧).

بهم، كما لا يقتضي ذلك أن يُعطِّلوا الفرائض وُثوقًا بالمغفرة، فلو كانت قد حصلت بدون الاستمرار على القيام بالأوامر لما احتاجوا بعد ذلك إلى صلاة ولا صيام ولا حج، ولا زكاة ولا جهاد، وهذا مُحال، ومِن أوجَبِ الواجبات التوبة بعد ذلك، فضمان المغفرة لا يوجب تعطيل أسباب المغفرة... وكذلك مَن بشَّره رسول الله ﷺ بالجنة، أو أخبره بأنه مغفور له، لم يَفهَمْ منه ولا غيرُه من الصحابة إطلاقَ الذنوب والمعاصي له ومسامحته بترك الواجبات؛ بل كان هؤلاء أشدَّ اجتهادًا وحذرًا وخوفًا بعد البشارة منهم قبلها؛ كالعَشَرة المشهود لهم بالجنة[1].

وروى الإمام مسلم في «صحيحه» عن جابر رضي الله عنه، قال: إن عبدًا لحاطبٍ جاء رسول الله ﷺ يشكو حاطبًا، فقال: يا رسول الله، ليَدخُلَنَّ حاطِبٌ النار! فقال رسول الله ﷺ: «**كذَبْتَ، لا يدخُلُها؛ فإنَّه شهد بدرًا والحُديبيَة**»[2].

وروى الإمام البخاري في «صحيحه» عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: إن أم الربيع بنت البراء، وهي أم حارثة بن سُراقة، أتت النبي ﷺ، فقالت: يا نبيَّ الله، ألا تحدِّثُني عن حارثة؟ ـ وكان قُتِلَ يوم بدر، أصابه سهم غَرْبٌ[3] ـ فإن كان في الجنة صبَرْتُ، وإن كان غيرَ ذلك اجتهدتُ عليه في البكاء، فقال رسول الله ﷺ: «**يا أمَّ حارثةَ، إنَّها جنانٌ في الجنَّةِ، وإن ابنَكِ أصاب الفردوسَ الأعلى!**»[4].

قال الحافظ ابن كثير: وفي هذا تنبيه عظيم على فضل أهل بدر[5].

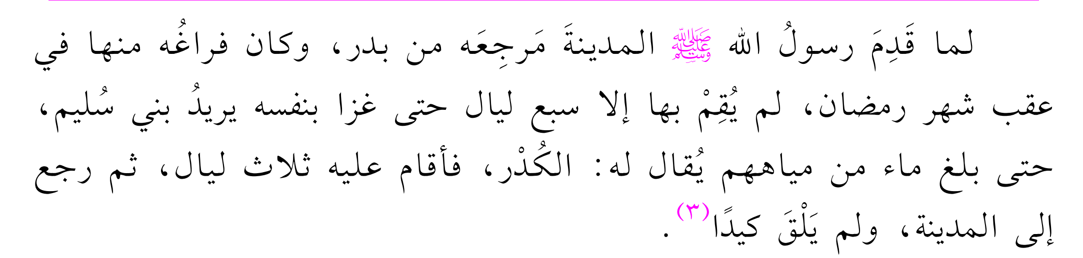
---

(١) انظر: كتاب الفوائد، ص (٣٩).
(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٤٩٥).
(٣) قال الحافظ في الفتح (٦/١٠٧): أي: لا يُعرَف راميه، أو لا يُعرَف من أين أتى.
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٢٨٠٩).
(٥) انظر: البداية والنهاية (٣/٣٤٨).

وروى الإمام البخاري في «صحيحه» عن معاذ بن رفاعة بن رافع، وكان رفاعة من أهل بدر، وكان رافع من أهل العَقَبة، فكان يقول لابنه: ما يسُرُّني أني شهدتُ بدرًا بالعَقَبة[(١)].

قال الحافظ في «الفتح»: والذي يظهر أن رافع بن مالك لم يسمع من النبي ﷺ التصريح بتفضيل أهل بدر على غيرهم، فقال ما قال باجتهاد منه، وشُبهتُه أن العَقَبة كانت منشأ نصرة الإسلام وسبب الهجرة التي نشأ منها الاستعداد للغزوات كلها، لكِنَّ الفضلَ بيد الله يؤتيه من يشاء. والله أعلم[(٢)].

غزوة بني سُلَيم



لما قَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ مَرجِعَه من بدر، وكان فراغُه منها في عقب شهر رمضان، لم يُقِمْ بها إلا سبع ليال حتى غزا بنفسه يريدُ بني سُليم، حتى بلغ ماء من مياههم يُقال له: الكُدْر، فأقام عليه ثلاث ليال، ثم رجع إلى المدينة، ولم يَلْقَ كيدًا[(٣)].

غزوة بني قَينُقاع

قال ابن إسحاق: حدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة أن بني قينقاع كانوا أول يهود نَقَضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ، وحاربوا فيما بين بدرٍ وأُحُدٍ[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٩٩٣).

(٢) انظر: فتح الباري (٨/ ٤٦).

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (٣/ ٤٩)، دلائل النبوة، للبيهقي (٣/ ١٦٣).

(٤) انظر: سيرة ابن هشام (٣/ ٥٤).

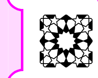
لم يُحدِّد ابن إسحاق تاريخ هذه الغزوة، وجعلها بين بدر وأُحُد، بينما يرى ابن سعد في طبقاته (٢/ ٢٦٣) أنها وقعت يوم السبت للنصف من شوال على رأس عشرين شهرًا من مُهاجَرة رسول الله ﷺ، وتَبِعَه على ذلك الإمامُ ابن القيم في زاد المعاد (٣/ ١٤٩).

لما رأى يهود بني قينقاع أن الله سبحانه نصر رسوله ﷺ والمؤمنين نصرًا مؤزَّرًا في ميدان بدر، وأنهم قد صارت لهم عزة وشوكة وهيبة في قلب القاصي والداني؛ ظهر غيظهم، وكاشفوا بالعداوة والشر، وجاهروا بالبغي والأذى.

قال الحافظ في «الفتح»: فكان أوَّلَ مَن نقض العهد من اليهود بنو قينقاع، فحاربهم في شوال بعد وقعة بدر[١].

وروى أبو داود في «سننه» وابن إسحاق في «السيرة» بسند حسن بالشواهد ـ واللفظ لأبي داود ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لما أصاب رسولُ الله ﷺ قريشًا يوم بدر، وقدم المدينة، جمع اليهودَ في سوق بني قينقاع، فقال: «**يا معشر يهود، أسلِموا قبل أن يُصيبَكم مِثلُ ما أصاب قريشًا**»، قالوا: يا محمد، لا يَغُرَّنَّك من نفسِك أنَّك قتلتَ نفرًا من قريش كانوا أغمارًا لا يَعرِفون القتالَ، إنَّك لو قاتلْتَنا لعَرَفْتَ أنَّا نحن الناس، وأنَّك لم تَلْقَ مثلنا! فأنزل الله في ذلك: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ببدرٌ ﴿وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾ [آل عمران: ١٢ ـ ١٣][٢].

قال الإمام القرطبي: ولا خلاف أن الإشارة بهاتين الفئتين[٣] هي إلى يوم بدر[٤].



حِصار بني قينقاع ثم جلاؤهم

فلمَّا نَقَض بنو قينقاع العهد[٥] مع رسول الله ﷺ، خرج إليهم

(١) انظر: فتح الباري (٨/ ٦٨).

(٢) الخبر أخرجه أبو داود في سننه، رقم الحديث (٣٠٠١)، وابن إسحاق في السيرة، وأورده الحافظ في الفتح (٨/ ٧١) وحسَّن إسناده.

(٣) التي ذكرهما الله في الآية.

(٤) انظر: تفسير القرطبي (٥/ ٣٩).

(٥) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٢/ ٧٨): في هذا أن المعاهَد والذِّمِّي إذا نقض العهد صار حربيًّا، وجرت عليه أحكام أهل الحرب، وللإمام سَبْيُ مَن أراد منهم، وله المَنُّ على مَن أراد.

رسول الله ﷺ واستعمل على المدينة أبا لُبابة بشير بن عبد المنذر رضي الله عنه، ودفع لواء المسلمين إلى حمزة بن عبد المُطَّلب رضي الله عنه، فحاصرهم خمس عشرة ليلة، حتى قذف الله الرعب في قلوبهم، فنزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فأمر بهم رسولُ الله ﷺ فكُتِفُوا، فقام عبد الله بن أُبَيٍّ ابن سَلُولَ، وكلَّم رسول الله ﷺ فيهم وألحَّ عليه؛ لأنهم حُلَفاؤه، فوهبهم له، فأمر رسول الله ﷺ أن يخرجوا من المدينة، ولا يُجاوروه بها؛ فخرجوا إلى أذرِعات الشام[(١)].

وروى الشيخان في «صحيحيهما» عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: إن يهود بني النَّضير وقُرَيظة حاربوا رسول الله ﷺ، فأجلى[(٢)] رسول الله ﷺ بني النضير، وأقَرَّ قُريظة ومَنَّ عليهم، حتى حاربت قُرَيظة بعد ذلك، فقَتَل[(٣)] رجالهم، وقسَّم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين، إلا أن بعضهم لحقوا برسول الله ﷺ فآمنَهم وأسلَموا، وأجلى رسولُ الله ﷺ يهود المدينة كُلَّهم: بني قَينُقاع وهم قوم عبد الله بن سَلَام، ويهود بني حارثة، وكل يهودي كان بالمدينة[(٤)].

غزوةُ السَّويق[(٥)] أو قَرْقَرة الكُدْرِ[(٦)]

وقعت غزوةُ السَّويق في شهر ذي الحجة من السنة الثانية للهجرة.

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٣/ ٥٤، ٥٥)، زاد المعاد (٣/ ١٤٩).

(٢) قال الإمام السندي في شرحه للمسند (٤/ ٢٧٣): أي: أخرجهم من المدينة.

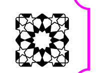
(٣) قال الإمام السندي في شرحه للمسند (٤/ ٢٧٣): أي: حين نقضوا العهد.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٠٢٨)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٧٦٦).

(٥) **السَّويق**: طعام يُتَّخَذ من مدقوق الحنطة والشعير، سُمي بذلك لانسياقه في الحلق. انظر: المعجم الوسيط (١/ ٤٦٥).

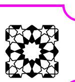
قال ابن هشام في السيرة (٣/ ٥١): وإنما سُمِّيت غزوة السَّويق، فيما حدثني أبو عبيدة: أن أكثر ما طرح القومُ من أزوادهم السَّويق، فهجم المسلمون على سَويقٍ كثير، فسُمِّيَت غزوةَ السَّويق.

(٦) **القَرْقَر**: الأرض المستوية، والكُدْر: ماء لبني سُليم. انظر: النهاية (٤/ ٤٣).



سبب الغزوة

لما رجع فَلُّ[١] المشركين من بدر موتورين، نَذَر أبو سفيان أن لا يُمِسَ رأسَه ماءً من جنابة حتى يغزوَ محمدًا ﷺ، فخرج في مئتي راكب من قريش حتى أتى بني النضير تحت الليل، وبات ليلةً واحدة عند سلام بن مِشكَم اليهودي، فسقاه الخمر، وبَطَنَ له[٢] من خبر الناس، ثم خرج في عَقِبِ ليلته حتى أتى أصحابه، فبعث رجالًا من قريش، فأتوا ناحية من المدينة، يُقال لها: العُرَيض[٣]، فحرقوا في أصوار[٤] من نخل بها، ووجدوا بها رجلًا من الأنصار وحليفًا له، فقتلوهما، ثم انصرفوا راجعين.



خروج النبي ﷺ في طلبه

فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ، فندب أصحابه، وخرج في مائتي رجل من المهاجرين والأنصار في أثرهم يطلبهم، وجعل أبو سفيان وأصحابه يتخفَّفون، فيُلْقُون جُرُب[٥] السَّويق، وهي عامة أزوادهم، فجعل المسلمون يأخذونها، فسُمِّيَت غزوة السَّويق، وبلغ رسولُ الله ﷺ قرقرةَ الكُدْر، ولم يُدرك أبا سفيان، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة، وكان غاب خمسة أيام[٦].



(١) **الفَل**: القوم المنهزمون. انظر: النهاية (٣/ ٤٢٥).

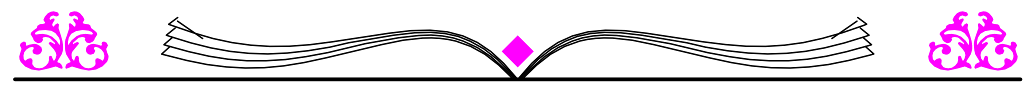
(٢) **بَطَن له**: أي: أعلَمَه. انظر: لسان العرب (١/ ٤٣٥).

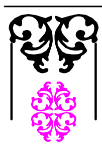
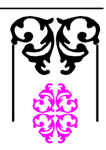
(٣) **العُرَيض**، بضم العين مُصَغَّرًا: واد بالمدينة به أموال لأهلها. انظر: النهاية (٣/ ١٩٣).

(٤) **الأصوار**: جمع صَور، وهي الجماعة من النخل. انظر: النهاية (٣/ ٥٥).

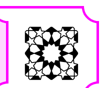
(٥) **الجُرُب**: جمع جِراب، وهو وعاء من جِلد. انظر: لسان العرب (٢/ ٢٢٨).

(٦) انظر: سيرة ابن هشام (٣/ ٥٠، ٥١)، الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٢٦٤).



السنة الثالثة للهجرة



غزوةُ ذي أَمَر[(١)] أو غَطَفان[(٢)]

لما رجع رسول الله ﷺ من غزوة السَّويق، أقام بالمدينة بقية ذي الحجة أو قريبًا منها، ثم غزا نجدًا يُريد غَطَفان، وسبب ذلك ما بلغ رسولَ الله ﷺ أنَّ جمعًا من بني ثعلبة ومحارب بذي أمر قد تجمَّعوا يريدون أن يُصيبوا من أطراف المدينة.

خرج رسول الله ﷺ ومعه أربعمائة وخمسون رجلًا، وفي أثناء الطريق أصابوا رجلًا منهم، يُقال له: جَبَّار، من بني ثعلبة، فأُدخل على رسول الله ﷺ، فأخبره مِن خَبَرِهم، وقال: لن يلاقوك، لو سمعوا بمسيرك لهَرَبوا في رؤوس الجبال، وأنا سائر معك، فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام، فأسلم.

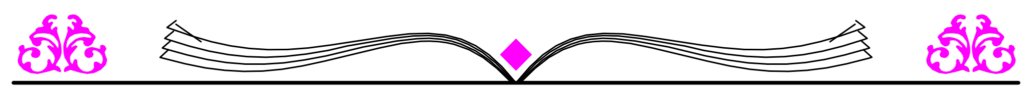
سار رسول الله ﷺ حتى بلغ ماءً يُقال له: ذو أمر، فعسكر به، وتفَرَّقت غَطَفان في رؤوس الجبال، ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، ولم يَلْقَ كيدًا، وكانت غَيبته إحدى عشرة ليلة[(٣)].

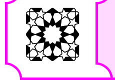
---

(١) سماها بذلك ابن إسحاق في السيرة (٣/ ٥٢).

(٢) سماها بذلك ابن سعد في طبقاته (٢/ ٢٦٦).
وسماها الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٤/ ٣٧٥): غزوة نجد.

(٣) هذا ما ذكره ابن سعد في طبقاته (٢/ ٢٦٧)، وذكر ابن إسحاق في السيرة (٣/ ٥٢) أن رسول الله ﷺ أقام بنجدٍ شهر صَفَر كُلَّه، أو قريبًا من ذلك. =



غزوة أُحُـد[١]

وقعت غزوة أُحُد يوم السبت للنصف[٢] من شهر شوال من السنة الثالثة للهجرة.

قال الحافظ في «الفتح»: وكانت عنده[٣] الوقعةُ المشهورة في شوال سنة ثلاث باتفاق الجمهور[٤].

ونزل في هذه الغزوة العظيمة آيات كثيرة من سورة آل عمران، ابتداءً من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [آل عمران: ١٢٢، ١٢٣].

قال الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآيات: المراد بهذه الوقعة يوم أُحُد عند الجمهور، قاله ابن عباس، والحسن، وقتادة، والسُّدي، وغير واحد، وعن الحسن البصري: المراد بذلك يوم الأحزاب، رواه ابن جرير، وهو غريب لا يُعوَّل عليه[٥].

= وانظر تفاصيل هذه الغزوة في: سيرة ابن هشام (٣/ ٥٢)، الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٢٦٦، ٢٦٧).

(١) قال ابن إسحاق في السيرة (٣/ ١١٧): كان يوم أُحُد يومَ بلاء ومصيبة وتمحيص، اختبر الله به المؤمنين، ومَحَن به المنافقين، ممن كان يُظهر الإيمان بلسانه، وهو مُستَخْفٍ بالكفر في قلبه، ويومًا أكرم الله فيه مَن أراد كرامته بالشهادة من أهل ولايته.

(٢) هذا ما ذهب إليه ابن إسحاق في السيرة (٣/ ١١٢)، وذهب ابن سعد في طبقاته (٢/ ٢٦٧) إلى أنها وقعت لسبع ليال خلون من شوال.

(٣) يعني: عند جبل أُحُد.

(٤) انظر: فتح الباري (٨/ ٨٨).

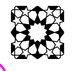
(٥) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ١٠٩).

سبب الغزوة

قال ابن إسحاق: لما أُصيب يومَ بدر من كفَّار قريش أصحاب القليب، ورجع فَلُّهم إلى مكة، ورجع أبو سفيان بن حرب بِعِيرِه؛ مشى عبد الله بن أبي ربيعة، وعكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أُمَيَّة، في رجال من قريش ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم يوم بدر، فكلَّموا أبا سفيان بن حرب، ومَن كانت له في تلك العِير من قريش تجارة، فقالوا: يا معشر قريش، إن محمدًا قد وَتَرَكم[(١)]، وقَتَل خياركم؛ فأعينونا بهذا المال على حربه، فلعلَّنا نُدرك منه ثأرنا بمن أصاب منا، ففعلوا، ففيهم ـ كما ذكر لي بعض أهل العلم ـ أنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنفال: ٣٦][(٢)].

قال الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية: كذا رُوي عن مجاهد، وسعيد بن جُبير، والحكم بن عتيبة، وقتادة، والسُّدِّي، وابن أبزى: أنها نزلت في أبي سفيان ونفقته الأموال في أُحُد لقتال رسول الله ﷺ. وقال الضَّحَّاك: نزلت في أهل بدر، وعلى محل تقدير، فهي عامة، وإن كان سبب نزولها خاصًّا[(٣)].

تحريض القبائل وعدد جيش الكفار

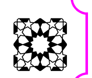


تجهَّزت قريش لحرب رسول الله ﷺ، وبعثت نفرًا يسيرون في العرب يدعونهم إلى نصرتهم، ويُؤلِّبون على رسول الله ﷺ وعلى المسلمين، فاجتمع

(١) **الموتور**: الذي قُتِلَ له قتيلٌ، فلم يُدرِكْ بدَمِه. انظر: لسان العرب (١٥/ ٢٠٥).
(٢) الخبر في سيرة ابن هشام (٣/ ٦٨).
(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٥٣).

إليهم ثلاثة آلاف من قريش وحلفائها والأحابيش، وجاؤوا بنسائهم؛ لئلا يفرُّوا، وانضم إليهم أبو عامر الفاسق، وهو والِدُ حنظلةَ غسيلِ الملائكةِ رضي الله عنه، في خمسين رجلًا من قومه، وكان دوره حَفْر الحُفَر في أرض المعركة؛ ليسقط بها المسلمون، فخرج أبو سفيان بن حرب، وهو قائد الناس، وأقبل بهم نحو المدينة، فنزل قريبًا من جبل أُحُد بمكان يُقال له: عينين[(١)].

قال ابن إسحاق: فاجتمعت قريش لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فعل ذلك أبو سفيان بن حرب، وأصحاب العِير بأحابيشها، ومن أطاعها من قبائل كِنانة وأهل تِهامة، وخرجوا معهم بالظُّعُن[(٢)] التماسَ الحفيظة[(٣)]، وألا يفروا، فأقبلوا حتى نزلوا بعينين، بجبل ببطن السبخة، من قناة[(٤)] على شفير الوادي، مقابل المدينة[(٥)].



جُبَير بن مُطعِم وقَتْل حمزة رضي الله عنه

ودعا جُبَيرُ بن مُطعِم رضي الله عنه ـ وكان مشركًا ـ غلامًا له حبشيًّا، يُقال له:

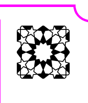
---

(١) **جبل عينين**: هو جبل بأُحُد، وهو الجبل الذي أقام عليه الرماة يومئذٍ. انظر: النهاية (٣/ ٣٠١).
وفي صحيح البخاري، رقم الحديث (٤٠٧٢)، قال وَحشِيٌّ: فلما أن خرج الناس عامَ عينين، وعينين: جبل بحيال أُحُد بينه وبينه واد.
وفي رواية الإمام أحمد، رقم الحديث (١٦٠٧٧) قال: وعينين: جُبيل تحت أُحُد.
قال الحافظ في الفتح (٨/ ١١٧): قوله: عينين جبل بحيال أُحُد: أي: من ناحية أُحُد، يُقال: فلان حيالَ كذا؛ أي: مُقابِلَه، وهو تفسير من بعض رواته، والسبب في نسبة وحشي العام إليه دون أُحُد: أن قريشًا كانوا نزلوا عنده.
(٢) **الظُّعُنُ**: النساء، واحدتها: ظعينة. انظر: النهاية (٣/ ١٤٣).
(٣) **الحفيظة**: يعني: الغضب. انظر: النهاية (١/ ٣٩٢).
(٤) **قناة**: وادي من أودية المدينة عليه حرث ومال وزرع. انظر: النهاية (٤/ ١٠٣).
(٥) انظر: سيرة ابن هشام (٣/ ٦٨، ٧٠).

وَحْشي، يقذف بحربة له قَذْفَ الحبشة، قَلَّما يُخطئُ بها، فقال له: اخرج من الناس، فإن أنت قتَلْتَ حمزة عمَّ محمد بعمِّي طُعيمة بن عَدي، فأنت عَتيق[(١)].

وروى الإمام البخاري في «صحيحه» عن جعفر بن عمرو بن أُمَيَّةَ الضَّمْريِّ، قال: قال وحشيٌّ: إن حمزة قَتَل طُعَيمة بن عَدِي بن الخيار ببدر، فقال لي مولاي جُبَير بن مُطعِم: إن قتَلْتَ حمزة بعمِّي، فأنت حرٌّ[(٢)].

قال وحشيٌّ: ولم تكن لي بشيءٍ حاجةٌ غيره[(٣)].



رسالة العباس[(٤)] بن عبد المُطَّلِب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى رسول الله ﷺ

وكان العباس بن عبد المُطَّلِب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَرقُبُ حركات قريش واستعداداتها العسكرية، فلما تحرك هذا الجيش بعث العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رسالة مُستعجَلة إلى رسول الله ﷺ، ضَمَّنها جميع تفاصيل الجيش[(٥)].

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٣/ ٦٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٠٧٢).

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (٣/ ٧٨).

(٤) قال الحافظ ابن عبد البر في الاستيعاب (٢/ ٣٥٩): كان العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يكتب بأخبار المشركين إلى رسول الله ﷺ، وكان المسلمون يتقوَّون به بمكة.
وقال الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء (٢/ ٩٦): لم يزل العبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مشفقًا على النبي ﷺ، محبًّا له، صابرًا على الأذى، ولمَّا يُسلِمْ بَعْدُ، بحيث إنه ليلة العَقَبة عرف وقام مع ابن أخيه في الليل، وتوثق له من السبعين، ثم خرج إلى بدر مع قومه مُكرَهًا، فأُسِرَ، فأبدى لهم أنه كان أسلم، ثم رجع إلى مكة، فما أدري لماذا أقام بها، ثم لا ذِكْرَ له يوم أُحُد، ولا يوم الخندق، ولا خرج مع أبي سفيان، ولا قالت له قريش في ذلك شيئًا، فيما علمت، ثم جاء إلى النبي ﷺ مُهاجِرًا قُبيلَ فتح مكة، فلم يتحرَّرْ لنا قدومُه.

(٥) انظر: الرحيق المختوم، ص (٢٥٠).

استشارة رسول الله ﷺ أصحابه

وبعدما تأكَّد رسول الله ﷺ من خبر قريش، جمع أصحابه واستشارهم: أيخرج إليهم أم يمكث في المدينة؟ وكان رأي رسول الله ﷺ أن لا يخرجوا من المدينة، وأن يتحصَّنوا بها، فإن دخلها المشركون قاتلهم المسلمون على أفواه الأزِقَّة، والنساء من فوق البيوت، ثم أخبرهم رسول الله ﷺ برؤيا رآها في منامه؛ فقد روى الإمام أحمد في «مسنده» بسند حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: تَنفَّل رسولُ الله ﷺ سيفَه ذا الفَقَار يوم بدر، وهو الذي رأى فيه الرؤيا يوم أُحُدٍ، فقال: «**رأيتُ في سيفي ذي الفَقَار فَلًّا**[١]**، فأَوَّلْتُه: فَلًّا يكون فيكم! ورأيتُ أني مُردِفٌ كبشًا، فأَوَّلْتُه: كَبْشَ الكتيبة**[٢]**، ورأيتُ أني في دِرعٍ حصينة، فأَوَّلْتُها: المدينة، ورأيتُ بَقَرًا تُذبَحُ، فبَقَرٌ**[٣]**، وَاللهُ خَيرٌ**[٤]**، فبَقَرٌ، وَاللهُ خَيرٌ**»[٥].

وروى الإمام النَّسائي في «السنن الكبرى» بسند صحيح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: استشار رسولُ الله ﷺ الناس يوم أُحُد، فقال: «**إني رأيتُ فيما يرى النائم كأني لَفِي دِرعٍ حصينة، وكأنَّ بَقَرًا تُنحَر وتُباع، ففسَّرتُ الدِّرعَ: المدينة، والبَقَرَ: نَفَرًا، وَاللهُ خَيرٌ، فلو قاتلتُموهم في السِّكَك**[٦]**،**

---

(١) **الفَلُّ**: الثَّلْم في السيف، والفَلُّ: الكسر. انظر: لسان العرب (١٠/ ٣٢٤).

(٢) **كبش القوم**: رئيسُهم وسَيِّدهم، وقيل: كبش القوم: حاميتُهم والمنظور إليه فيهم. انظر: لسان العرب (١٢/ ١٨).
والكتيبة: القطعة العظيمة من الجيش. انظر: النهاية (٤/ ١٢٩).

(٣) قال السندي في شرحه للمسند (٢/ ٤٩٠): قوله ﷺ: «**فبَقَر**»: أي: فيُذبَح بَقرٌ بعد ذلك، كأن المراد: بيان كثرة البقر المذبوحة، وأنه يُذبَح بعضُها بعد بعض.

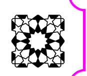
(٤) قال الحافظ في الفتح (٨/ ١٢٨): قوله ﷺ: «**والله خير**»، هذا من جملة الرؤيا كما جزم به عياض وغيره، كذا بالرفع فيهما على أنه مبتدأ وخبر، وفيه حذف تقديره: وصُنعُ اللهِ خيرٌ.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٤٤٥).

(٦) **السِّكَّة**: الطريق. انظر: النهاية (٢/ ٣٤٥).

فرماهم النِّساءُ من فوق الحيطانِ!»[١] .

وفي رواية الإمام أحمد بسند صحيح عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو أنَّا أقَمْنا بالمدينة، فإن دخلوا علينا فيها قاتَلْناهم**»[٢] .



رأيُ مَن لم يشهد بدرًا

فبادر جماعة من فضلاء الصحابة ﷺ ممن فاته الخروجُ يوم بدر إلى الإشارة بالخروج إليهم، وألحُّوا على رسول الله ﷺ في ذلك، فقالوا: يا رسول الله ﷺ، وَاللهِ ما دُخِلَ علينا فيها في الجاهليَّة، فكيف يُدخَل علينا فيها في الإسلام؟ فقال رسول الله ﷺ: «**شأنَكم إذًا**»[٣] .

وفي رواية النَّسائي في «السنن الكبرى» بسند صحيح، قالوا: فيدخلون علينا المدينة؟ ما دُخِلَت علينا قطُّ، ولكِنَّا نخرج إليهم، فقال رسول الله ﷺ: «**فشأنَكم إذًا**»[٤] .

وروى الحاكم في «المستدرك» بسند حسن عن ابن عباس ﷺ، قال: تنفَّل رسولُ الله ﷺ سيفَه ذا الفَقَار يوم بدر، وهو الذي رأى فيه الرؤيا يوم أُحُد، وذلك أن رسول الله ﷺ لما جاءه المشركون يوم أُحُد كان رأيُ رسول الله ﷺ أن يُقيم بالمدينة يُقاتلهم فيها، فقال له ناس لم يكونوا شهدوا بدرًا: يَخرُجُ بنا رسول الله ﷺ إليهم نقاتلهم بأُحُد، وتَرجَّوا أن يُصيبوا من الفضيلة ما أصاب أهلُ بدر[٥] .

---

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، رقم الحديث (٧٦٠٠).
(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٤٧٨٧).
(٣) أخرج ذلك الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٤٧٨٧) وإسناده صحيح.
(٤) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، رقم الحديث (٧٦٠٠).
(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٢٦٢٠).

قال الحافظ ابن كثير: وأبى كثير من الناس إلا الخروجَ إلى العدو، ولم يتناهوا إلى قول رسول الله ﷺ ورأيه، ولو رَضُوا بالذي أمرهم كان ذلك، ولكن غَلَب القضاءُ والقَدَر، وعامَّةُ من أشار إليه بالخروج رجالٌ لم يشهدوا بدرًا، قد علموا الذي سبق لأصحاب بدر من الفضيلة(١).

تهيُّؤ الرسول ﷺ للخروج إلى أُحُد

فنهض رسول الله ﷺ ودخل بيته ولَبِسَ لَأْمَتَه(٢)، وظاهَرَ بين دِرعَين(٣)؛ فقد روى الإمام الترمذي في «جامعه» بسند حسن عن الزُّبير بن العوام رضي الله عنه، قال: كان على النبي ﷺ درعانِ يومَ أُحُد(٤).

وفي رواية الإمام أحمد وابن ماجه بسند صحيح عن السائب بن يزيد رضي الله عنه، قال: إن النبي ﷺ ظاهر بين دِرعَينِ يوم أُحُد(٥).

وقد انثنى عزمُ أولئك الصحابة رضي الله عنهم، وقالوا: رَدَدْنا على رسول الله ﷺ رأيَه، فلما خرج عليهم رسول الله ﷺ، قالوا: يا رسول الله، أَقِمْ، فالرأيُ رأيُك، فقال رسول الله ﷺ: «**ما ينبغي لنبيٍّ أن يضَعَ أداتَه(٦) بعد أن لَبِسَها، حتى يحكُمَ الله بينه وبين عدوِّه**»(٧).

---

(١) انظر: البداية والنهاية (٤/ ٣٨٧). (٢) **اللأْمة**: الدِّرْعُ. انظر: النهاية (٤/ ١٩١).

(٣) يعني: لَبِس درعًا فوق دِرعٍ. انظر: النهاية (٣/ ١٥٢).
قال السندي في تعليقه على سنن ابن ماجه (٣/ ٣٦٥): ومنه يُعلَمُ أن مباشرة الأسباب لا تُنافي التوكل.

(٤) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه، رقم الحديث (١٧٨٧).

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٥٧٢٢)، وابن ماجه في سننه، رقم الحديث (٢٨٠٦).

(٦) يعني: سلاحه. انظر: لسان العرب (١/ ١٠٠).

(٧) أخرج ذلك الحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٢٦٢٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما وإسناده =

وقال الإمام البخاري في «صحيحه»: فإذا عزم الرسولُ ﷺ لم يكن لبشَرٍ التقدُّمُ على الله ورسوله ﷺ، وشاور النبي ﷺ أصحابه يوم أُحُد في المُقام والخروج، فرأوا له الخروجَ، فلما لَبِسَ لْأمَتَه وعزم، قالوا: أَقِمْ، فلم يَمِلْ إليهم بعد العزمِ، وقال: «**لا ينبغي لنبيٍّ يلبَسُ لْأمَتَه فيضَعُها، حتى يحكُمَ اللهُ**»[(١)].

خروج الرسول ﷺ إلى أُحُد

ثم أذَّن رسولُ الله ﷺ في الناس بالخروج إلى العدُوِّ، فخرج رسول الله ﷺ في ألف مقاتل من الصحابة ﷺ، وفيهم المنافقون، على رأسهم عبدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ ابنُ سَلُولَ.

ردُّ مَن استُصغِرَ من الصحابة

فلما وصل رسول الله ﷺ إلى مكان يُقال له: الشيخين، عسكر فيه، ثم أخذ يستعرض جيشه، فردَّ مَن استصغره ولم يَرَه مطيقًا للقتال، وكان منهم: عبد الله بن عمر بن الخَطَّاب، وزيد بن ثابت، وأسامة بن زيد، والبراء بن عازب[(٢)]، وأبو سعيد الخُدْري، وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين،

= حسن، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٤٧٨٧) عن جابر بن عبد الله ﷺ، وإسناده صحيح.

(١) انظر: صحيح البخاري (١٥/ ٢٨٣).

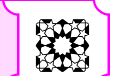
(٢) اختُلف في شهود البراء بن عازب ﷺ غزوةَ أُحُد، والذي يظهر أنه حضرها لكنه لم يُباشر القتال؛ لصِغَرِ سِنِّه ﷺ، وقد روى الإمام أحمد في مسنده بسند صحيح، رقم الحديث (١٨٥٨٦) عن البراء بن عازب ﷺ أنه قال: أنا وعبد الله بن عمر لِدَة.

اللِّدَةُ، بكسر اللام: هو الذي وُلِدَ يوم ولادِك. انظر: المعجم الوسيط (٢/ ١٠٥٦).

وروى الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٠٣٩) عن البراء بن عازب ﷺ، =

وكانوا في سنٍّ دون البلوغ[١].

روى الشيخان في «صحيحيهما» عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: إن رسول الله ﷺ عرضه يوم أُحُد، وهو ابن أربع عشرة سنة، فلم يُجِزْني[٢]، ثم عرضني يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة فأجازني[٣].



تمُرُّد عبد الله بن أُبَيٍّ[٤] وأصحابه

وقبل طلوع فجر يوم السبت أدلج[٥] رسولُ الله ﷺ، حتى إذا كان بالشوط صلى الفجر، وكان بمقربة جدًّا من العدو، وهناك انسحب عبد الله بن أُبيٍّ ابن سلول بنحو ثلُث الجيش؛ ثلاثمائة رجل، وهو يقول: ما ندري علامَ

= قال: ... فهزموهم، فأنا، والله، رأيت النساء يَشددْنَ، قد بدت خلاخِلُهن وأسواقُهن، رافعاتٍ ثيابَهن.

* **قلت**: وذلك بعد هزيمة الكفَّار أول المعركة يوم أُحُد.

وروى الحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٦٥٠١)، وابن أبي شيبة في مصنفه، رقم الحديث (٣٤٣٨٨) بسند صحيح عن البراء بن عازب رضي الله عنه، قال: عُرِضتُ أنا وابن عمر على رسول الله ﷺ يوم بدر فاستصغَرَنا، وشَهِدْنا أُحُدًا.

وأخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٩٥٦) دون قوله: وشَهِدْنا أُحُدًا.

قال الحافظ في الفتح (٨/١٨): فهذه الزيادة إن حُمِلَت على أن المراد بقوله: وشهدنا أُحُدًا، نفْسُه وحده دون ابن عمر، وإلا فما في الصحيح أصحُّ.

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٣/ ٧٤).

(٢) قال الحافظ في الفتح (٨/ ١٥٠): **المراد بالإجازة**: الإمضاء للقتال.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٢٦٦٤) (٤٠٩٧)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٨٦٨).

(٤) قال الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات (١/٦٠٣): عبد الله بن أُبَي رأس المنافقين، نزل في ذَمِّه آيات كثيرة مشهورة، تُوفي في زمن رسول الله ﷺ.

(٥) **الدُّلجة**: هو سير الليل. انظر: النهاية (٢/ ١٢٠).

نقتُلُ أنفُسَنا هاهنا أيُّها الناس؟! فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والرَّيب، ولَحِقَهم عبد الله بن عمرو بن حرام رضي الله عنه، فقال لهم: يا قومِ، أُذَكِّرُكم اللهَ ألَّا تَخذُلوا قومَكم ونبيَّكم عندما حضر من عدوِّهم، فقالوا: لو نعلم أنكم تُقاتِلون لَمَا أسلمناكم، ولكنا لا نرى أنه يكون قتالٌ، فلما استعصَوا عليه وأبَوا إلا الانصراف عنهم، قال رضي الله عنه: أبعدكم اللهُ أعداءَ الله، فسيُغني اللهُ عنكم نبيَّه ﷺ[1].

وأنزل الله في هؤلاء المنافقين قولَه تعالى: ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٦٦ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ١٦٧﴾ [آل عمران: ١٦٦، ١٦٧].

ونزل فيهم قولُه تعالى: ﴿فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ[2] فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم[3] بِمَا كَسَبُوٓاْۚ﴾[4] [النساء: ٨٨].

وروى الشيخان في «صحيحيهما» عن زيد بن ثابت رضي الله عنه، قال: لما خرج النبي ﷺ إلى غزوة أُحُد، رجع ناس ممن خرج معه[5]، وكان أصحاب النبي ﷺ فيهم فرقتين؛ فرقة تقول: نُقاتلهم، وفرقة تقول: لا نُقاتلهم، فنزلت: ﴿فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ﴾[6].

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٣/ ٧٢).

(٢) قال الإمام القرطبي في تفسيره (٦/ ٥٠٣): المعنيُّ بالمنافقين هنا: عبد الله بن أُبي وأصحابه الذين خذلوا رسول الله ﷺ يوم أُحُد، ورجعوا بعسكرهم بعد أن خرجوا.

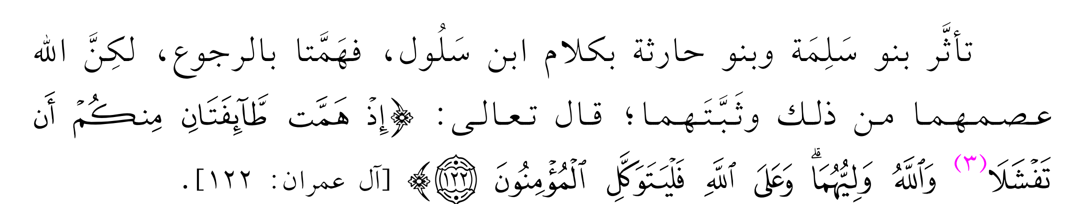
(٣) قال ابن عباس رضي الله عنهما: **أركَسَهم**: أوقعهم. انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٣٧١).

(٤) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢/ ٣٧١): أي: بسبب عصيانِهم ومخالفتِهم الرسولَ ﷺ، واتباعِهم الباطِلَ.

(٥) قال الحافظ في الفتح (٤/ ٥٨٥): هم عبد الله بن أُبي ومَن تبعه.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٠٥٠)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٧٧٦).

قال الحافظ في «الفتح»: هذا هو الصحيح في سبب نزولها[١].



تأثُّر بني سَلِمةَ[٢] وبني حارثة بالمنافقين

تأثَّر بنو سَلِمَة وبنو حارثة بكلام ابن سَلُول، فهَمَّتا بالرجوع، لكِنَّ الله عصمهما من ذلك وثَبَّتهما؛ قال تعالى: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا[٣] وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [آل عمران: ١٢٢].

قال الإمام القرطبي: الطائفتان: بنو سَلِمَة من الخزرج، وبنو حارثة من الأوس، وكانا جناحَيِ العسكر يوم أُحُد[٤].

وروى الشيخان في «صحيحيهما» عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: فينا نزلت: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾، نحن الطائفتان: بنو حارثة، وبنو سَلِمَة، وما نُحِبُّ ـ وقال سفيان مرة: وما يَسُرُّني ـ أنَّها لم تنزِلْ؛ لقول اللهِ: وَاللهُ وليُّهما[٥].

متابعةُ الرسول ﷺ مَسيرَه إلى أُحُد

قام رسول الله ﷺ بعد رجوع المنافقين ببقية الجيش، وكانوا سبعَمائة مقاتل[٦]،

---

(١) انظر: فتح الباري (٨/ ١٠١).

(٢) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٦/ ٥٥): بنو سَلِمَةَ، هو بكسر اللام.

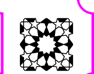
(٣) **الفشل**: الجُبن والضعف. انظر: النهاية (٣/ ٤٠٢).

(٤) انظر: تفسير القرطبي (٥/ ٢٨٥).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٠٥١) (٤٥٥٨)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٥٠٥).

(٦) قال البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٢٢٠): هذا هو المشهور عند أهل المغازي؛ أنهم بَقُوا في سبعمائة مقاتل.

واختُلِفَ هل كان معهم شيء من الخيل أم لا[١]؟ ومضى حتى نزل الشِّعْبَ من أُحُد، في عُدوة الوادي إلى الجبل، فعسكر بجيشه مستقبِلًا المدينة، وجاعلًا ظَهْرَه إلى جبل أُحُد، وجعل جَبَل عينين عن يسارِه، وعلى هذا صار جيش العدو فاصلًا بين المسلمين وبين المدينة[٢].



تعبئة[٣] الرسول ﷺ جيشَه ووصيَّتُه للرُّماة

وفي صبيحة يوم السبت الخامس عشر من شوال عبَّأ رسولُ الله ﷺ أصحابه للقتال، واختار منهم أمهر الرماة، وعددهم خمسون[٤] راميًا، وأَمَّر عليهم عبدَ اللهِ بن جُبَير بن النعمان الأنصاري الأوسي البدري رضي الله عنه، وأمرهم بالتمركز على جبل صغير عُرِف بعد ذلك بجَبَل الرماة، وأمرهم رسول الله ﷺ بأوامر واضحة لا لبس فيها، فقال: «**احموا ظُهورنا، فإن رأيتُمونا نُقتَل فلا تنصُرونا، وإن رأيتُمونا قد غَنِمْنا فلا تَشْرَكُونا**»[٥].

وروى الإمام البخاري وأبو داود عن البراء بن عازب رضي الله عنهما، قال: جعل رسول الله ﷺ على الرماة يوم أُحُد ـ وكانوا خمسين رجلًا ـ عبدَ الله بنَ

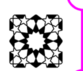
---

(١) **قلت**: وَهِمَ الإمام ابن القيم في زاد المعاد (٣/ ٢٢٧)، والحافظ ابن كثير في الفصول في سيرة الرسول (ص١١٦) فقالا: وكان فيهم خمسون فارسًا.
❊ قال الحافظ في الفتح (٨/ ٩٣): وهو غلط بيِّن، وقد جزم موسى بن عقبة بأنه لم يكن معهم في أُحُدٍ شيء من الخيل، ووقع عند الواقدي، ونقله عنه ابن سعد في طبقاته (٢/ ٢٦٩): كان معهم فرس لرسول الله ﷺ، وفرس لأبي بُردة.
(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٣/ ٧٣).
(٣) **عبَّأهم**: أي: رَتَّبهم في مواضعهم وهيَّأهم للحرب. انظر: لسان العرب (٩/ ٦).
(٤) قال الحافظ في الفتح (٨/ ٩٣): هذا هو المعتمد.
(٥) أخرج ذلك الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٦٠٩)، والحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٣٢٠١) وإسناده حسن.

جُبير، وقال: «**إن رأيتمونا تخَطَّفُنا الطَّيرُ**[(١)] **فلا تبرحوا مكانَكم**[(٢)] **هذا، حتى أُرسل إليكم، وإن رأيتُمونا هَزَمْنا القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسِلَ إليكم**»[(٣)].

وفي لفظ آخر في «صحيح البخاري» عن البراء بن عازب ﵄، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تبرحوا، إن رأيتُمونا ظهَرْنا عليهم فلا تبرَحوا، وإن رأيتُموهم ظَهَروا علينا فلا تُعِينونا**»[(٤)].

وبتعيين هذه الفصيلة في الجبل مع هذه الأوامر العسكرية الشديدة سَدَّ رسول الله ﷺ الثُّلمة الوحيدة التي كان يمكن لفرسان المشركين أن يتسللوا من ورائها إلى صفوف المسلمين، ويقوموا بحركات الالتفاف وعملية التطويق[(٥)].



تشجيع النبي ﷺ أصحابَه على القتال

دفع رسول الله ﷺ اللواء إلى مُصعَب بن عُمَير ﵁، ثم أخذ رسول الله ﷺ سيفًا قاطعًا، وعرضه على أصحابه ﵃؛ فقد روى الإمام مسلم في «صحيحه» عن أنس ﵁، قال: إن رسول الله ﷺ أخذ سيفًا يوم أُحُد، فقال: «**مَن يأخُذُ مني هذا؟**»[(٦)]، فبَسَطوا أيديهم، كل إنسان منهم يقول: أنا، أنا، قال: «**من يأخذه بحقِّه؟**».

---

(١) **الخَطْف**: استلابُ الشيء وأخْذُه بسرعة، وقوله ﷺ: «تخطَّفُنا الطير»: أي: تستلِبُنا وتطير بنا، وهو مبالغة في الهلاك. انظر: النهاية (٢/٤٧).

(٢) أي: لا تتركوا مكانكم.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٠٣٩)، وأبو داود في سننه، رقم الحديث (٢٦٦٢).

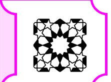
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٠٤٣).

(٥) انظر: الرحيق المختوم، ص (٣٥٥).

(٦) زاد الإمام أحمد: السيف.

قال: فأحجم القومُ[١]، فقال سِمَاكُ بنُ خَرَشَة[٢] أبو دُجانة: أنا آخُذُه بحقِّه، فأخذه ففَلَق به هامَ المُشرِكين[٣].

وفي رواية الحاكم في «مُستدرَكِه» بسند حسن عن الزُّبَير بن العَوَّام رضي الله عنه، قال: عرض رسولُ الله ﷺ سيفًا يوم أُحُد، فقال: «**مَن يأخذ هذا السيف بحقِّه؟**» فقمت، فقلت: أنا يا رسول الله، فأعرض عني، ثم قال: «**مَن يأخذ هذا السيف بحقِّه؟**»، فقمتُ فقلت: أنا يا رسول الله، فأعرض عني، ثم قال: «**مَن يأخذ هذا السيف بحقه؟**»، فقام أبو دجانة سِمَاك بن خَرَشَة، فقال: أنا آخذه يا رسول الله بحقه، فما حقُّه؟ قال رسول الله ﷺ: «**أن لا تقتُلَ به مسلِمًا، ولا تفِرَّ به عن كافر**»، قال: فدفعه إليه، وكان إذا أراد القتال أَعْلَمَ بعصابة[٤]، قال: قلتُ: لأنظُرَنَّ اليوم كيف يصنع، فجعل لا يرتفع له شيءٌ إلا هتكه وأفراه![٥].



تعبئة جيش المشركين

وعبَّأَت قريش جيشها حسب نظام الصفوف، فكانت القيادة العامة إلى أبي سفيان، وعلى مَيسَرتها عِكْرِمة بن أبي جهل، واستعملوا على ميمنة

---

(١) **أحجم القوم**: تأخَّروا وتهيَّبوا أخْذَه. انظر: النهاية (١/ ٣٣٤).

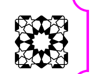
(٢) قال ابن الأثير في جامع الأصول (١/ ٤٤٩)، قسم التراجم: سِمَاك: بكسر السين، وتخفيف الميم، والكاف، **وخَرَشة**: بفتح الخاء المعجمة والراء، والشين المعجمة.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٤٧٠)، والإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٢٢٣٥).

(٤) **العِصابة**: هي كل ما عصَبْتَ به رأسك؛ من عمامة، أو منديل، أو خِرقة. انظر: النهاية (٣/ ٢٢٠).

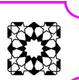
(٥) **أصل الفَرْي**: القطع. انظر: النهاية (٣/ ٣٩٦).
والخبر أخرجه الحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٥٠٨٩).

خيلِهم خالد بن الوليد، ودفعوا اللواء إلى طلحة بن أبي طلحة من بني عبد الدار، وقبل بدء القتال حاول أبو عامر الفاسق[(١)] ـ وهو من الأوس ـ أن يتألَّف قومَه، فذهب إليهم، وأخذ يُناديهم: يا معشر الأوسِ، أنا أبو عامر، فرَدَّ عليه الصحابةُ من الأوس ﭫ: لا أنعَمَ اللهُ بك عينًا يا فاسِقُ، فقال: لقد أصاب قومي بعدي شَرٌّ، فتركهم ورجع إلى المشركين[(٢)].



بدءُ القِتال وإبادة حَمَلَةِ لواء المُشرِكين

ثم التحم الجيشان، واقتتل الناس يومئذٍ اقتتالًا شديدًا في كل مكان من ميدان المعركة، واشتد القتال حول لواء المشركين، فقُتِلَ من حَمَلَته سبعة أو تسعة، فما يحمله أحد إلا قُتِلَ؛ فقد روى الإمام أحمد والحاكم بسند حسن عن ابن عباس ﭭ، قال: كان لرسول الله ﷺ وأصحابه أوَّلُ النهار، حتى قُتِلَ من أصحاب لواء المشركين سبعة أو تسعة[(٣)].



شدة أبي دُجانة ﭬ

وقاتل أبو دُجانة ﭬ بسيف رسول الله ﷺ قتالًا عظيمًا، وجعل لا يلقى مشركًا إلا قتله؛ فقد روى الحاكم في المستدرك بسند حسن عن الزُّبَير بن العَوَّام ﭬ، قال: لأنظُرَنَّ اليوم كيف يصنعُ، قال: فجعل لا يرتفعُ له شيء

(١) قال الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٤١٨، ٤١٩): أبو عامر: يُعرف في الجاهلية بالراهب، وكان هو وعبد الله بن أُبي ابن سلول منافقين؛ فعبد الله يُبطِن نفاقه، وأبو عامر يُظهِره.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٣/ ٧٥).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٦٠٩)، والحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٣٢٠١).

إلا هتكه وأفراه حتى انتهى، إلا نسوة في سَفْح الجبل[١] معهن دفوفٌ لهن، فيهن امرأةٌ، وهي تقول:

نحن بناتُ طارِقْ نمشي على النَّمارِق[٢]
إن تُقبلوا نُعانِقْ ونَبسُطِ النَّمارِقْ
أو تُدبِروا نُفارِقْ فِراقَ غيرِ وامِق

قال: فأهوى بالسيف إلى المرأة ليضرِبَها، ثم كفَّ عنها، فلما انكشف القتال، قلتُ له: كلُّ عملك قد رأيتُ ما خلا رفْعَك السيف على المرأة، ثم لم تضرِبْها، قال: إني ـ وَاللهِ ـ أكرمتُ سيف رسول الله ﷺ أن أقتُلَ به امرأة[٣]!

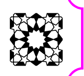
استشهاد عبد الله بن عمرو رضي الله عنه

استُشهِدَ عبد الله بن عمرو بن حرام والِدُ جابر رضي الله عنهما في غزوة أُحُدٍ بعد أن ثبت مع رسول الله ﷺ؛ فقد روى الشيخان في «صحيحيهما» عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: أُصيب أبي يوم أُحُد، فجعلتُ أكشف الثوب عن وجهه وأبكي، وجعلوا ينهونني، ورسول الله ﷺ لا ينهاني، وجعَلَت فاطمة بنت عمرو تبكيه[٤]، فقال رسول الله ﷺ: «**تبكيه أو لا تبكيه، ما زالت الملائكة تُظِلُّه بأجنِحَتِها، حتى رفعْتُموه!**»[٥].

قال الحافظ في «الفتح»: ومُحَصَّلُه أن هذا الجليل القدر الذي تُظِلُّه

(١) **سفْح الجبل**: أسفَلُه. انظر: المعجم الوسيط (١/ ٤٣٢).
(٢) **النمارق**: أي: الوسائد، واحدتها: نُمرُقة، ـ بضم النون والراء وبكسرهما ـ. انظر: النهاية (٥/ ١٠٤).
(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٥٠٨٩).
(٤) في رواية أخرى في صحيح البخاري، رقم الحديث (١٢٤٤): فجعلت عمَّتي فاطمة تبكي.
(٥) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٢٤٤) (١٢٩٣)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٤٧١) (١٣٠).

الملائكة بأجنحتها، لا ينبغي أن يُبكَى عليه؛ بل يُفرَح له بما صار إليه[(١)].



انتصار المسلمين الساحق

سَحَق المسلمون عدوَّهم، وانتصروا عليهم، والفضل بعد الله ﷻ يعود لثبات الرُّماة على الجبل الذي أمرهم رسول الله ﷺ بالثبات عليه، فأنزل الله نصره على المسلمين، وصَدَقَهم وعده، فحَسُّوهم بالسيوف حتى كاشفوهم عن المعسكر، وكانت الهزيمة التي لا شك فيها.

روى الإمام أحمد في «مسنده» والحاكم في «المستدرك» بسند حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: ما نُصِرَ النبي ﷺ في موطنٍ كما نُصِرَ في[(٢)] أُحُد، قال: فأنكَرْنا عليه، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: بيني وبين مَن أنكر ذلك كتاب الله ﷿؛ إن الله ﷿ يقول في يوم أُحُد: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، يقول ابن عباس: والحس: القتل[(٣)].

وروى الإمام البخاري في «صحيحه» عن عائشة رضي الله عنها، قالت: لما كان يوم أُحُد هُزِم المشركون هزيمةً بَيِّنة[(٤)].

وروى الحاكم وابن إسحاق في «السيرة» بسند حسن عن الزُّبَير بن العَوَّام رضي الله عنه، قال: والله لقد رأيتُني أنظُرُ على خَدَمِ[(٥)] هند بنت عُتبة وصواحِبِها مُشَمِّراتٍ هوارِبَ[(٦)].

---

(١) انظر: فتح الباري (٣/ ٥١٢).

(٢) في رواية الإمام أحمد: يوم.

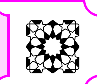
(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٦٠٩)، والحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٣٢٠١).

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٨٢٤).

(٥) **خَدَم**: جَمعُ خَدَمَة، وهو الخَلْخال. انظر: النهاية (٢/ ١٥).

(٦) أخرجه الحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٤٣٦٢)، وابن إسحاق في السيرة (٣/ ٨٦)، وأورده الحافظ في الفتح (٨/ ١٠٦) وحسَّن إسناده.

وروى الإمام البخاري في «صحيحه» عن البراء بن عازب رضي الله عنهما، قال: فهزموهم، فأنا ـ وَاللهِ ـ رأيتُ النساء يَشدُدْن[(١)]، قد بدت خلاخِلُهن[(٢)] وأسواقُهن[(٣)]، رافعاتٍ ثيابَهن[(٤)].



مخالفة الرماة أمر النبي ﷺ

كانت الدولةُ أوَّلَ النهار للمسلمين على الكفار، فانهزموا راجعين، ووَلَّوا مُدْبِرين حتى انتهوا إلى نسائهم، فلما رأى الرماة هزيمتهم، تركوا مركزهم الذي أمرهم رسول الله ﷺ بحفظه، وقالوا: يا قوم، الغنيمةَ الغنيمةَ! فذكَّرَهم أميرُهم عبد الله بن جُبير رضي الله عنه عَهْدَ رسول الله ﷺ إليهم، فلم يلتفتوا إليه، وظنوا أنْ ليس للمشركين رجعةٌ، وأنهم لا تقوم لهم قائمة بعد ذلك، فذهبوا في طلب الغنيمة، وأخْلَوا الثَّغر![(٥)].

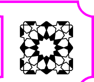
روى الإمام البخاري في «صحيحه» عن البراء بن عازب رضي الله عنهما، قال: قال أصحاب ابن جُبير: الغنيمةَ أيْ قَومِ الغنيمةَ، ظهر[(٦)] أصحابكم فما تنتظرون؟! فقال عبد الله بن جُبير رضي الله عنه: أنسِيتُم ما قال لكم رسولُ الله ﷺ؟[(٧)] قالوا: وَاللهِ لنأتيَنَّ النَّاسَ، فلنُصيبَنَّ من الغنيمةِ[(٨)]!

(١) **الشَّدُّ**: العَدْو. انظر: النهاية (٢/ ٤٠٥).
(٢) **الخَلْخال**: نوع من أنواع الحُليِّ تلبسه المرأة في ساقها. انظر: لسان العرب (٤/ ٢٠٥).
(٣) قال الحافظ في الفتح (٨/ ٩٣): **أسواقُهن**: جمع ساق، وسبب رفعهن ثيابهن؛ ليُعينَهن ذلك على سُرعة الهَرَب.
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٠٣٩).
(٥) انظر: زاد المعاد (٣/ ٢٣٠)، الفصول في سيرة الرسول، ص (١٢٠، ١٢١).
(٦) ظهر: غلب. انظر: النهاية (٣/ ١٥٢).
(٧) في رواية أخرى في صحيح البخاري، رقم الحديث (٤٠٤٣): عَهِدَ إليَّ النبيُّ ﷺ أن لا تَبْرَحوا.
(٨) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٠٣٩).

وروى الإمام أحمد والحاكم بسند حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: فلما غَنِمَ رسول الله ﷺ وأباحوا[١] عسكر المشركين، انْكَفَتَ[٢] الرُّماةُ جميعًا[٣]، فدخلوا في العسكر ينتَهِبون[٤]!

وترك عامة الرماة الخمسين أماكنهم التي أمرهم رسول الله ﷺ بحفظها، وخَلَّوا ظهور المسلمين للعدو، وثبت أميرهم عبد الله بن جُبير رضي الله عنه في نفرٍ يسير دون العشرة مكانَهم[٥].

قال تعالى في ذلك: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ[٦] مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا[٧] وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾[٨] [آل عمران: ١٥٢].



التفاف خالد بن الوليد واضطراب المسلمين

فلما ترك الرُّماةُ الثَّغرَ الذي أوصاهم به رسول الله ﷺ، كَرَّ فُرسانُ

(١) **أباحوا**: استأصلوا. انظر: لسان العرب (١/ ٥٣٤).
(٢) **انْكَفَتَ**: أسرع وأقبل. انظر: لسان العرب (١٢/ ١١٦).
وفي رواية الإمام أحمد: **أَكَبَّ على الشيء**: أقبل عليه ولَزِمَه. انظر: لسان العرب (١٢/ ٨).
(٣) قلت: يُفهَم من كلام ابن عباس رضي الله عنه: أن كل الرماة نزلوا عن الجبل؛ ليُدرِكوا الغنائم، وهو صحيحٌ، إلَّا عددًا قليلًا لا يتجاوز العشرة.
(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٦٠٩)، والحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٣٢٠١).
(٥) انظر: سيرة ابن هشام (٣/ ٨٦)، الطبقات الكبرى، لابن سعد (٣/ ٢٧٠).
(٦) روى الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٨٦٠٠) بسند صحيح عن البراء بن عازب رضي الله عنهما، قال: عصيتُم الرسولَ من بعد ما أراكم الغنائمَ وهزيمةَ العدوِّ.
(٧) قال الإمام القرطبي في تفسيره (٥/ ٣٦٣): يعني: الغنيمةَ.
(٨) قال الإمام القرطبي في تفسيره (٥/ ٣٦٣): هم الذين ثَبَتوا في مراكزهم، ولم يُخالفوا أمر نبيهم ﷺ مع أميرهم عبد الله بن جُبَير رضي الله عنه.

المشركين بقيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه، فوجدوا الثَّغرَ خاليًا، قد خلا مِن الرُّماة، فجازُوا منه وتمكَّنوا حتى أقبل آخِرُهم، فأحاطوا بالمسلمين، فأكرم الله سبحانه عَدَدًا منهم بالشهادة، على رأسِهم عبدُ الله بن جُبير رضي الله عنه، ثم التفَّ من وراء المسلمين، وصاح فرسانهم صيحةً عرف المشركون المنهزمون بسرعةٍ تبدُّلَ الحال؛ فانقلبوا على المسلمين!

روى الإمام أحمد، والحاكم بسند حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: فلما غنم النبي ﷺ وأباحوا عسكر المشركين، أَكبَّ الرماة جميعًا، فدخلوا في العسكر ينهبون، وقد التقت صفوف أصحاب رسول الله ﷺ، فهم هكذا ـ وشَبَّك بين أصابع يديه ـ والتبسوا، فلما أَخلَّ الرُّماةَ تلك الخَلَّة[1] التي كانوا فيها، دخل الخيل من ذلك الموضع على أصحاب النبي ﷺ، فضرب بعضُهم بعضًا، والتبسوا، وقُتِلَ من المسلمين ناس كثير[2]!

وروى ابن إسحاق في «السيرة» بسند حسن عن الزُّبَير بن العَوَّام رضي الله عنه، قال: مالت الرماة إلى العسكر حين كشفنا القوم عنه، وخلَّوا ظهورَنا للخيل، فأُتِيَنا مِن خَلْفِنا، وصرخ صارخ: ألا إن محمدًا قد قُتِلَ، فانكفَأْنا[3] وانكفأ علينا القومُ[4]!

وروى الحاكم في «المستدرك» بسند حسن عن الزُّبَير بن العَوَّام رضي الله عنه،

---

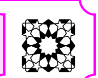
(١) قال السندي في شرحه للمسند (٣/ ٣٤): **الخَلَّة**، بفتح فتشديد، أي: تلك الحاجة التي هي دفع العساكر من وراء الظهر؛ أي: قصَّروا فيها، مِن: أَخَلَّ بالشيءِ، أو المراد بالخَلَّة: تلك البقعة، سُمِّيَت خَلَّة؛ لأنَّها محل الخَلَّة بمعنى: الحاجة؛ لأنها كانت محتاجة إلى وجود العسكر فيها؛ أي: تركوا تلك البقعة، مِن: أَخَلَّ الرجلُ بمركزِهِ؛ أي: ترَكَه.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٦٠٩)، والحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٣٢٠١).

(٣) **انكفأ**: مال. انظر: لسان العرب (١٢/ ١١٣).

(٤) أخرجه ابن إسحاق في السيرة (٣/ ٨٦)، وأورده الحافظ في الفتح (٨/ ١٠٦) وحسَّن إسناده.

قال: والله لقد رأيتُني أنظر إلى خَدَمِ هند بنت عُتبة وصواحباتِها مُشَمِّراتٍ هوارِبَ، ما دونَ أخْذِهن قليلٌ ولا كثير؛ إذ مالت الرماةُ إلى العسكر حين كشَفْنا القومَ عنه، يُريدون النَّهْب، وخَلَّوا ظهورنا للخيل، فأُتِينا من أدبارنا، وصرخ صارخ: ألا إن محمدًا قد قُتِلَ، فانكفَأْنا وانكفأ القوم بعد أن أصبنا اللواءَ(١) حتى ما يدنو منه أحدٌ من القومِ(٢).



مقتل اليمانِ والد حُذيفة رضي الله عنهما خطأً

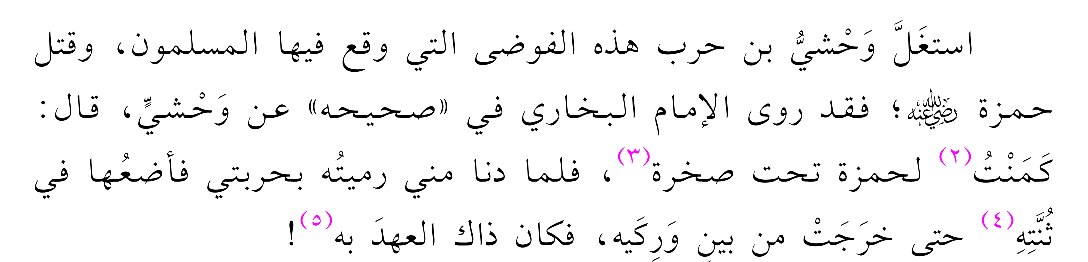
روى الإمام البخاري في «صحيحه» عن عائشة رضي الله عنها، قالت: لما كان يوم أُحُد هُزِم المشركون، فصاح إبليس: أيْ عِبادَ اللهِ، أُخراكم(٣)، فرجَعَت أُولاهم فاجتلَدَتْ(٤) هي وأُخراهم، فنظر حُذيفة رضي الله عنه، فإذا هو بأبيه اليمان، فقال: أيْ عبادَ اللهِ، أبي أبي! فوالله ما احتجزوا(٥) حتى قتلوه، فقال حذيفة رضي الله عنه: غفر الله لكم(٦).

وروى الإمام أحمد والحاكم بسند حسن عن محمود بن لَبيد رضي الله عنه، قال: اختَلَفَت سيوف المسلمين على اليمانِ أبي حُذيفة يوم أُحُد ولا يعرفونه، فقتلوه، فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يَدِيَهُ(٧)، فتصَدَّق حذيفة بدِيَتِه على

(١) يعني: لواء المشركين.
(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٤٣٦٢).
(٣) قال القسطلاني في إرشاد الساري (٩/١٠٦): أي: احتَرِزوا من الذين وراءَكم متأخِّرين عنكم، وهي كلمةٌ تُقال لمن يُخشى أن يُوتى عند القتال من ورائه، وغَرَضُ إبليس اللعين أن يُغلِطَهم ليقتل المسلمون بعضُهم بعضًا.
(٤) **جالدناهم بالسيوف**: ضاربناهم. انظر: لسان العرب (٢/٣٢٣).
(٥) قال الحافظ في الفتح (٧/٥٢٣): **احتجَزوا**: أي: انفصلوا من القتال، وامتنع بعضُهم من بعض.
(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٢٩٠).
(٧) يعني: يجمَعُ دِيَتَه.

المسلمين[(١)].

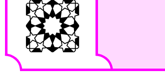
استشهاد حمزة بن عبد المُطَّلِب رضي الله عنه



استغَلَّ وَحْشيُّ بن حرب هذه الفوضى التي وقع فيها المسلمون، وقتل حمزة رضي الله عنه؛ فقد روى الإمام البخاري في «صحيحه» عن وَحْشيٍّ، قال: كَمَنْتُ[(٢)] لحمزة تحت صخرة[(٣)]، فلما دنا مني رميتُه بحربتي فأضعُها في ثُنَّتِهِ[(٤)] حتى خرَجَتْ من بينِ وَرِكَيه، فكان ذاك العهدَ به[(٥)]!

وفي رواية ابن إسحاق، قال وحشي: هززتُ حربتي، حتى إذا رضيتُ منها، دفعتُها عليه، فوقعت في ثُنَّتِهِ حتى خرجت من بين رِجْليه، وذهب لينوءَ[(٦)] نحوي، فغُلِبَ، وتَرَكْتُه وإيَّاها حتى مات، ثم أتيتُه فأخذتُ حربتي، ثم رجعتُ إلى العسكر، فقعدتُ فيه، ولم يكن لي بغيره حاجة، وإنما قتلتُه لأُعْتَق[(٧)]!

استشهادُ حنظلةَ رضي الله عنه غَسيلِ الملائكة



استُشهِدَ حنظلةُ بن أبي عامر رضي الله عنه في هذه الغزوة، فقتله شَدَّاد بن

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٣٦٣٩)، والحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٤٩٧٠).

(٢) **كَمَن**: استتر واختفى. انظر: النهاية (٤/ ١٧٤).

(٣) زاد الإمام أحمد: حتى إذا مَرَّ عليَّ.

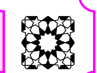
(٤) **الثُنَّة**: ما بين السُّرة والعانة من أسفل البطن. انظر: النهاية (١/ ٢١٨).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٠٧٢)، والإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٦٠٧٧).

(٦) **ينوء**: ينهض. انظر: النهاية (٥/ ١٠٧).

(٧) انظر: سيرة ابن هشام (٣/ ٨٠).

الأسود؛ فقد روى ابن حِبَّان في «صحيحه» والحاكم في «المستدرك» بسند حسن عن الزُّبَير بن العَوَّام ﷺ، قال: كان الناس انهزموا عن رسول الله ﷺ حتى انتهى بعضُهم إلى دون الأعراض[١] إلى جبل بناحية المدينة، ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ، وقد كان حنظلةُ بن أبي عامر التقى هو وأبو سفيان بن حرب[٢]، فلما استعلاه حنظلة رآه شداد بن الأسود، فعلاه شدَّاد بالسيف حتى قتله، وقد كاد يَقتُل أبا سفيان، فقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ صاحِبَكم حنظلة تُغسِّله الملائكة، فسَلُوا صاحبتَه!**»[٣]، فقالت: خرج وهو جُنُبٌ لما سَمِعَ الهائعةَ[٤]! فقال رسول الله ﷺ: «**فذاك قد غسَّلَتْه الملائكة!**»[٥].



ثبات الرسول ﷺ

كان رسول الله ﷺ في مجموعة من أصحابه يُراقب الوضع بعدما تغيرت الأحوال؛ فقد روى النسائي في «السنن الكبرى» والبيهقي في «دلائل النبوة» بسند جيد عن جابر بن عبد الله ﷺ، قال: لما كان يوم أُحُد، وولَّى الناس، كان رسول الله ﷺ في ناحية في اثني عشر رجلًا من الأنصار، وفيهم طلحة بن عبيد الله، فأدركه المشركون، فالتفت رسولُ الله ﷺ، فقال: «**مَن للقومِ؟**» فقال طلحةُ ﷺ: أنا، فقال رسول الله ﷺ: «**كما أنت**»، فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «**أنت**» فقاتل حتى

(١) **الأعراض**: هي قرى المدينة التي في أوديتها. انظر: معجم البلدان (١/ ١٧٨).

(٢) في رواية الحاكم: أبو سفيان بن الحارث.

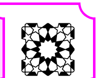
(٣) قال الحافظ في التلخيص الحبير (٣/ ١١٩٧): صاحبتُه هي زوجتُه جميلة بنت أُبَيٍّ بن سلول.

(٤) **الهائعة**: صوت الصارخ للفزع. انظر: لسان العرب (١٥/ ١٨٠).

(٥) أخرجه ابن حبان في صحيحه، رقم الحديث (٧٠٢٥)، والحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٤٩٧٩).

قُتِلَ، ثم التفت، فإذا بالمشركين، فقال: «مَن للقوم؟» فقال طلحة ﷺ: أنا، فقال رسول الله ﷺ: «كما أنت» فقال رجل من الأنصار: أنا، فقال رسول الله ﷺ: «أنت»، فقاتل حتى قُتِلَ، ثم لم يَزَلْ يقول ذلك، ويخرج إليهم رجلٌ من الأنصار، فيقاتل قتالَ مَن قبله حتى يُقتَل، حتى بقي رسول الله ﷺ وطلحة بن عبيد الله، فقال رسول الله ﷺ: «مَن للقوم؟» فقال طلحة ﷺ: أنا. فقاتل طلحةُ ﷺ قتال الأحَدَ عَشَر حتى ضُرِبَت يده، فقُطِعَت أصابعُه[١].

وروى الإمام البخاري في «صحيحه» عن قيس بن أبي حازم، قال: رأيتُ يد طلحة شَلَّاءَ؛ وقى بها النبيَّ ﷺ يوم أُحُد[٢].



دفاع الصحابة عن رسول الله ﷺ

قال ابن سعد في «طبقاته»: وثبت مع رسول الله ﷺ عصابةٌ من أصحابه؛ أربعةَ عَشَرَ رجلًا، سبعةٌ من المهاجرين، فيهم أبو بكر الصِّدِّيق ﷺ، وسبعةٌ من الأنصار[٣].

وروى الإمام مسلم في «صحيحه» عن أنس بن مالك ﷺ، قال: إن رسول الله ﷺ أُفِردَ يوم أُحُد في سبعة من الأنصار، ورجلين من المهاجرين[٤]، فلما رَهِقوه[٥] قال: «**مَن يردُّهم عَنَّا وله الجنة، أو هو رفيقي في الجنة؟**».

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، رقم الحديث (٤٣٤٢)، والبيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٢٣٦)، وأورده الحافظ في الفتح (٨/ ١٠٦) وجَوَّد إسناده، وحَسَّنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦/ القسم الأول/ ٧٠١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٠٦٣).

(٣) انظر: الطبقات الكبرى (٢/ ٢٧٠).

(٤) قال الحافظ في الفتح (٨/ ١٠٦): هما طلحة وسعد بن أبي وقاص ﷺ.

(٥) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٢/ ١٢٥): **رَهِقوه**: هو بكسر الهاء؛ =

فتقدَّم رجل من الأنصار، فقاتل حتى قُتِلَ، ثم رَهِقوه أيضًا، فقال رسول الله ﷺ: «**مَن يردُّهم عنا وله الجنة أو: هو رفيقي في الجنة؟**» فتقدَّم رجل من الأنصار، فقاتل حتى قُتِلَ، فلم يزل كذلك حتى قُتِلَ السبعة[١].

فلما قُتِلَ هؤلاء الأنصار السبعة رضي الله عنهم لم يبْقَ مع رسول الله ﷺ إلا طلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما؛ فقد روى الشيخان في «صحيحيهما» عن أبي عثمان النَّهديِّ، قال: لم يَبْقَ مع رسول الله ﷺ في بعض تلك الأيام[٢] التي قاتل فيهنَّ رسولُ الله ﷺ غيرُ طلحةَ وسَعدٍ[٣].

وكانت أحرَجَ ساعة بالنسبة إلى حياة رسول الله ﷺ، وفرصة ذهبية بالنسبة إلى المشركين، ولم يتوانَ المشركون في انتهاز تلك الفرصة؛ فقد ركَّزوا حملتهم على رسول الله ﷺ، وطَمِعوا في القضاء عليه، حتى أُصيبتَ رَبَاعِيَتُه[٤] اليُمنى السُّفلى، وشُجَّ في جبهته، وحتى دخلت حلْقتان من حِلَقِ المِغْفَرَ[٥] في وجْنَتِه[٦]؛ فقد روى الشيخان في «صحيحيهما» عن سهل بن سعد رضي الله عنه، أنه سُئِلَ عن جُرح النبي ﷺ يوم أُحُد، فقال: جُرِحَ وجهُ

= أي: غَشُوه وقَرُبوا منه.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٧٨٩).

(٢) قال الحافظ في الفتح (٧/٤٤٨): يُريد يومَ أُحُد.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٧٢٢) (٣٧٢٣) (٤٠٦٠) (٤٠٦١)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٤١٤).

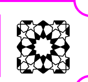
(٤) **الرَّبَاعِيَة**، بفتح الراء: هي إحدى الأسنان الأربع التي تلي الثنايا والناب. انظر: لسان العرب (٥/١١٩).
قال الحافظ في الفتح (٨/١١٣): والمراد بكسر الرَّباعِيَة، أنها كُسِرَت فذهبت منها فِلقة، ولم تُقلع من أصلها.

(٥) **المِغفَر**: ما يلبسه الدارع على رأسه. انظر: النهاية (٣/٣٣٦).

(٦) **الوَجْنة**: أعلى الخَدِّ. انظر: النهاية (٥/١٣٨).

النبي ﷺ، وكُسِرَت رَباعِيَتُه، وهُشِمَت[١] البيضة[٢] على رأسِه[٣]!

وروى عبد الرزاق الصنعاني في «مصنَّفِه» بسند مرسَل قوي عن الزُّهري، قال: ضُرِب وجهُ رسولِ الله ﷺ يومَئذٍ بالسيف سبعين ضربةً[٤] وقاه الله شرَّها كُلَّها[٥]!



نزول الملائكة

وفي هذه اللحظات الحرجة أنزل الله ﷻ ملائكته لحماية رسوله ﷺ؛ فقد روى الشيخان في «صحيحيهما» عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: رأيتُ رسول الله ﷺ يوم أُحُد ومعه رجلان يُقاتلان عنه، عليهما ثيابٌ بِيض؛ كأشَدِّ القتال، ما رأيتُهما قبلُ ولا بَعْدُ[٦]!

وفي رواية أخرى في «صحيح مسلم»، قال سعد رضي الله عنه: رأيتُ عن يمين رسول الله ﷺ وعن شِماله يوم أُحُد رجلين عليهما ثيابُ بَياضٍ، ما رأيتُهما قَبلُ ولا بعدُ؛ يعني: جِبريلَ وميكائيلَ عليهما السلام[٧].

---

(١) **هُشِمَ**: كُسِر. انظر: النهاية (٥/ ٢٢٨).

(٢) **البَيضة**: الخُوذة. انظر: النهاية (١/ ١٦٩).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٢٩١١)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٧٩٠).

(٤) قال الحافظ في الفتح (٨/ ١١٢): يحتمل أن يكون أراد بالسبعين حقيقتَها أو المبالغةَ في الكثرة.

(٥) أخرجه عبد الرزاق الصنعاني في مصنَّفِه، رقم الحديث (٩٧٣٦)، وأورده الحافظ في الفتح (٨/ ١٢٢)، وقال: إسناده مُرسَل قوي.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٠٥٤)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٣٠٦) (٤٧).

(٧) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٣٠٦) (٤٦).

تجمُّع الصحابة حول النبي ﷺ

وقعت هذه الأحداث كلها بسرعة هائلة في لحظات خاطفة، وإلا فقد ثبت أبو بكر الصِّدِّيق، وعمر بن الخَطَّاب، وعلي بن أبي طالب، ومُصعَب بن عُمير، وغيرهم الذين كانوا في الصفوف المتقدمة عند القتال، لم يكادوا يرون تطور الموقف، أو يسمعون صوته ﷺ، حتى أسرعوا إليه، إلا أنهم وصلوا وقد لقي رسولُ الله ﷺ ما لقي من الجراحات، ودفعوا أولئك الكفار عنه(١).

قال الحافظ في «الفتح» ـ بعد أن جمع أسماء مَن ثبت مع رسول الله ﷺ ـ قال: وإن ثَبَت حُمِلَ على أنهم ثبتوا في الجملة، وما تقدم فيمن حضر عنده ﷺ أولًا فأوَّلَ، والله أعلم(٢).

وأقبل رسول الله ﷺ نحو المسلمين، فكان أول مَن عرفه تحت المِغْفَر كعب بن مالك رضي الله عنه، فصاح بأعلى صوت: يا معشر المسلمين، أبشِروا؛ هذا رسول الله ﷺ، فأشار إليه أنِ اسكُتْ، واجتمع إليه المسلمون ونهضوا معه إلى الشِّعْب الذي نزل فيه، ومعه أبو بكر الصِّدِّيق، وعمر بن الخَطَّاب، وعلي بن أبي طالب، وطلحة بن عبيد الله، والزُّبَير بن العَوَّام، والحارث بن الصِّمَّة، وغيرهم رضي الله عنهم(٣).

الرسول ﷺ يقتُل أُبَيَّ بن خلف قَبَّحه الله

روى الحاكم في «المستدرك» بسند حسن عن سعيد بن المسيب عن أبيه، قال: أقبل أُبَيُّ بن خلف يوم أُحُد إلى النبي ﷺ يُريده، فاعترض له

---

(١) انظر: الرحيق المختوم، ص (٢٧٠). (٢) انظر: فتح الباري (٨/ ١٠٦).

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (٣/ ٩٣).

رجالٌ من المؤمنين، فأمرهم رسول الله ﷺ فخَلَّوا سبيله، فاستقبله مُصعَب بن عُمير أخو بني عبد الدار، ورأى رسولُ الله ﷺ تَرْقُوةَ[١] أُبَيٍّ من فُرجة بين سابغة الدِّرع والبيضة، فطعنه بحربته، فسقط أُبَيٌّ عن فرسه ولم يَخرج من طعنته دمٌ، فكَسَر ضِلَعًا من أضلاعه، فأتاه أصحابه وهو يخور خُوارَ الثَّور، فقالوا له: ما أعجزك! إنما هو خَدْشٌ، فذكر لهم قول رسول الله ﷺ: «**بل أنا أقتُلُ أُبيًّا**»، ثم قال: والذي نفسي بيده، لو كان هذا الذي بي بأهل ذي المَجاز لماتوا أجمعين، فمات أُبيٌّ إلى النار ـ فسُحْقًا لأصحاب السعير ـ قبل أن يَقدَمَ مكة، فأنزل الله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ [الأنفال: ١٧][٢].

قال الحافظ ابن كثير: وهذا القول عن هذين الإمامين[٣] غريبٌ جدًّا، ولعلهما أرادا أن الآية تتناوله بعمومها، لا أنها نزلت فيه خاصة، وإلا فسياق الآية في سورة الأنفال في قصة بدر لا محالة، وهذا مما لا يخفى على أئمة العلم. والله أعلم[٤].

وروى الإمام البخاري في «صحيحه» عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**اشتدَّ غَضَبُ الله على مَن قتله النبي ﷺ في سبيل الله**»[٥].

قال الإمام النووي: قوله ﷺ: «**في سبيل الله**»: احتراز ممن يقتله في حدٍّ أو قِصاص؛ لأن مَن يقتله في سبيل الله كان قاصدًا قَتْلَ النبي ﷺ[٦].

---

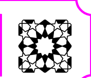
(١) **التَّرْقُوة**: هي العظم الذي بين ثُغْرة النحر والعاتق، وهما تَرْقُوتان من الجانبين. انظر: النهاية (١/ ١٨٣).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٣٣٠٢)، وأورده الحافظ ابن كثير في تفسيره (٤/ ٣٢) وصَحَّح إسناده.

(٣) هما: الإمام سعيد بن المسيب والزُّهْري. (٤) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٣٢).

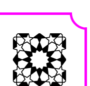
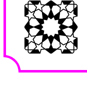
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٠٧٤)، وأخرجه مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٧٩٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١٢/ ١٢٧).



انحياز النبي ﷺ بأصحابه نحو الجبل

كان الشيطان ـ لعنه الله ـ قد صاح بمقتل الرسول ﷺ، فأَثَّر ذلك على معنويات الصحابة ﵃، وما إن رأوه معافًى حتى دَبَّت فيهم الحياة، وانحاز بهم نحو جبل أُحُد؛ فقد روى الإمام أحمد في «مسنده» والحاكم في «المستدرك» بسند حسن عن ابن عباس ﵄، قال: صاح الشيطان: قُتِلَ محمد، فلم نشُكَّ فيه أنه حقٌّ، فما زلنا كذلك ما نشُكُّ أنه قد قُتِلَ حتى طلع رسول الله ﷺ بين السَّعدينِ[(١)] نعرفه بتكفُّئِه[(٢)] إذا مشى، ففَرِحْنا حتى كأنَّه لم يُصِبْنا ما أصابنا، فرَقِيَ نحونا، وهو يقول: «**اشتد غضب الله على قوم دَمَّوا وَجْهَ رسوله ﷺ !**»[(٣)]، ويقول مرة أخرى: «**اللَّهُمَّ إنه ليس لهم أن يَعْلُونا**»، حتى انتهى إلينا[(٤)].

صعود الرسول ﷺ الصخرة في الجبل

وأراد رسول الله ﷺ أن يعلوا الصخرة التي عرَضَت له من الجبل، فنهض إليها ليعلوها، فلم يستطع؛ لأنه ﷺ كان قد بَدَن[(٥)]، وظاهَرَ بين درعَينِ، وقد أصابه الضَّعفُ؛ لكثرة ما نزف من جراحه، فجلس تحته

---

(١) **هما**: سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة ﵄ كما في مغازي الواقدي.

(٢) جاء في صفة مشي النبي ﷺ: ما رواه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٣٣٠) (٨٢) عن أنس بن مالك ﵁، قال: كان رسول الله ﷺ أزهر اللون، كأن عرقة اللؤلؤ، إذا مشى تكفأ. قال ابن الاثير في النهاية (٤/١٥٨): أي: تمايل إلى قُدام.

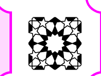
(٣) أخرج منه هذا اللفظ: البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٠٧٤) (٤٠٧٦).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٦٠٩)، والحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٣٢٠١).

(٥) قال ابن الأثير في النهاية (١/١٠٧): بَدَن: من البَدَانة، وهي كثرة اللحم، ولم يكن رسول الله ﷺ سمينًا، فقد جاء في صفته ﷺ في حديث ابن أبي هالة: بادن متماسك، والبادن: الضخم، وهو الذي يُمسك بعض أعضائه بعضًا، فهو مُعتدل الخَلْق.

طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه، فصَعِد رسول الله ﷺ على ظهره حتى استوى.

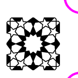
روى الإمام أحمد والترمذي والحاكم بسند حسن ـ واللفظ للترمذي ـ عن الزُّبَير بن العَوَّام رضي الله عنه، قال: كان على النبي ﷺ درعان يوم أُحُد، فنهض إلى الصخرة، فلم يستطع، فأقعد طلحة تحته، فصعد النبي ﷺ حتى استوى على الصخرة، فقال رسول الله ﷺ: «**أوجبَ طلحةُ**»(١).



آخر هجوم للمشركين

فلما استقر رسول الله ﷺ في الشِّعْب، ومعه أصحابه رضي الله عنهم قام المشركون بآخر هجوم حاولوا فيه النَّيل من المسلمين.

قال ابن إسحاق: فبينا رسولُ الله ﷺ بالشِّعْبِ معه أولئك النفر من أصحابه، إذ علت عاليةٌ من قريشٍ الجبلَ، فقال رسول الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ إنَّه لا ينبغي لهم أن يعلونا**»، فقاتل عمر بن الخَطَّاب رضي الله عنه ورهطٌ معه من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل(٢).



نزول النعاس على المسلمين

ولما انتهت هذه المعركة العظيمة، أنزل الله سبحانه وتعالى النُّعاس على المؤمنين، بعدما نزل بهم مِن الجراح والقتل؛ لتهدأ نفوسهم، فقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

قال ابن إسحاق: فأنزل الله النُّعاسَ؛ أَمَنَةً منه على أهل اليقين به، فهم

---

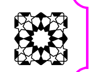
(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٤١٧)، والترمذي في جامعه، رقم الحديث (١٧٨٧) (٤٠٧١)، والحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٤٣٥٨).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٣/ ٩٦).

نيام لا يخافون[١].

وروى الإمام البخاري في «صحيحه» عن أبي طلحة ﷺ، قال: كنتُ فيمن تغشَّاه النعاس يوم أُحُد حتى سقط سيفي من يدي مرارًا، يسقط وآخُذُه، ويسقُطُ وآخُذُه![٢].

وروى الإمام الترمذي والحاكم بسند صحيح عن أبي طلحة الأنصاري ﷺ، قال: رفعتُ رأسي يوم أُحُد، فجعلت أنظر وما منهم أحد إلا وهو يَميدُ[٣] تحت حَجَفَتِه[٤]؛ من النُّعاس، فذلك قوله ﷻ: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾[٥] [آل عمران: ١٥٤].



شماتة أبي سفيان بعد نهاية المعركة

قال ابن عباس ﷺ: فمكث ساعة، فإذا أبو سفيان يصيح في أسفل الجبل: اعلُ هُبَلُ[٦]، اعْلُ هُبَلُ؛ يعني: آلهتَه - أين ابن أبي كبشة[٧]؟ أين ابن أبي قُحافة؟ أين ابن الخطَّاب[٨]؟

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٣/ ١٢٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٠٦٨).

(٣) **ماد الشيء**: تحرَّك ومال. انظر: لسان العرب (١٣/ ٢٣٠).

(٤) **الحَجَفةُ**: التُّرْسُ. انظر: النهاية (١/ ٣٣٣).

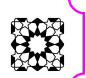
(٥) أخرجه الترمذي في جامعه، رقم الحديث (٣٢٥٢)، والحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٣٢٠٢) وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٦) **هُبَل**، بضم الهاء: اسم صنم للمشركين معروف، كانوا يعبُدونه. انظر: النهاية (٥/ ٢٠٩).

(٧) قال الإمام البيهقي في دلائل النبوة (١/ ١٨٢): بلغني أن أبا كبشة أول مَن عبد الشِّعْرى، وخالف دينَ قومه، فلما خالف النبيُّ ﷺ دين قريش، وجاء بالحنيفيَّة، شبَّهوه بأبي كبشة، ونسبوه إليه، فقالوا: ابن أبي كبشة، وبلغني أنه كان سيدًا في قومه خُزاعة.

(٨) قال الإمام ابن القيم في زاد المعاد (٣/ ٢٣٥): ولم يسأل إلا عن هؤلاء الثلاثة؛ لعلمه =

فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله، ألا أُجيبه؟ فقال رسول الله ﷺ: بلى، فقال عمر رضي الله عنه: اللهُ أعلى وأجَلُّ! فقال أبو سفيان: يا ابن الخطاب، إنه يومُ الصَّمتِ، فعاد فقال: أين ابنُ أبي كبشة؟ أين ابن أبي قُحافة؟ أين ابن الخطاب؟ فقال عمر رضي الله عنه: هذا رسول الله ﷺ، وهذا أبو بكر، وها أنا ذا عُمَرُ! فقال أبو سفيان: يومٌ بيوم بدر، والأيام دُوَل[(١)]، والحرب سِجال[(٢)]، فقال عمر رضي الله عنه: لا سواءً؛ قَتْلانا في الجنة، وقتلاكم في النار، فقال أبو سفيان: إنكم لتزعمون ذلك، لقد خِبْنا إذًا وخَسِرْنا، ثم قال أبو سفيان: أمَا إنكم سوف تَجِدون في قتلاكم مُثْلةً[(٣)]، ولم يكن ذلك عن رأيِ سَرَاتِنا[(٤)]، ثم أدركَتْه حَمِيَّةُ الجاهلية، فقال: أمَا إنه إذا كان ذلك لم نكرَهْه[(٥)].



مواعدة المشركين اللقاء في بدر

قال ابن إسحاق: ولما انصرف أبو سفيان ومَن معه نادى: إن موعدكم بدرٌ للعام القابل، فقال رسول الله ﷺ لرجُلٍ من أصحابه: قُلْ: «**نَعَمْ، هو بيننا وبينكم موعِدٌ**»[(٦)].

= وعلم قومه أن قيام الإسلام بهم.

(١) **دالت الأيام**: دارت. انظر: لسان العرب (٤/ ٤٤٤).

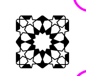
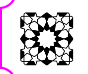
(٢) **الحرب سِجال**: يعني: مَرَّة لنا، ومَرَّة علينا. انظر: النهاية (٢/ ٣١٠).

(٣) **مَثَلْتُ بالقتيل**: إذا قطعتَ أطرافَه وشَوَّهْتَ به. انظر: النهاية (٤/ ٢٥١).

(٤) **سَرَاتنا**: أشرافُنا. انظر: النهاية (٢/ ٣٢٧).

(٥) أخرج ذلك: الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٦٠٩)، والحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٣٢٠١)، وأخرجه مختصرًا: البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٠٣٩) (٤٠٤٣).

(٦) انظر: سيرة ابن هشام (٣/ ١٠٥).

مداواة الرسول ﷺ

ولما انتهى أمر المعركة أخذ الصحابة ﷺ يُعالجون جراح الرسول ﷺ؛ فقد روى ابن حبان في «صحيحه» بسند قوي عن الزُّبَير بن العَوَّام رضي الله عنه، قال: أمر رسولُ الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه فأتى المِهراس[(١)]، وأتاه بماء في دَرَقتِه[(٢)]، فأراد رسول الله ﷺ أن يشرب منه، فوجد له ريحًا فعافه، فغسل به الدَّمَ الذي في وجهه، وهو يقول ﷺ: «**اشتَدَّ غَضَبُ الله على مَن دَمَّى وجه رسول الله ﷺ**»[(٣)].

قال الإمام القرطبي: يعني بذلك المُباشِرَ لذلك[(٤)] وإنما قلنا: إنه خُصوصٌ في المُباشِر، لأنه قد أسلم جماعةٌ ممن شهدَ أُحُداً وحَسُنَ إسلامهم[(٥)].

وروى الشيخان في «صحيحيهما» عن سهل بن سعد رضي الله عنه أنه سُئِلَ عن جُرح رسول الله ﷺ يوم أُحُد؟ فقال رضي الله عنه: جُرِحَ وجهُ رسول الله ﷺ، وكُسِرَت رَباعِيَتُه، وهُشِمَت البيضة على رأسه، فكانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تغسل الدم، وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يسكُب[(٦)] عليها بالمِجَنِّ[(٧)]، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدمَ إلا كثرةً، أخذت قطعةَ حصير[(٨)]، فأحرقَتْه حتى صار رَمادًا، ثم ألصقته بالجُرح، فاستمسك الدَّمُ[(٩)].

---

(١) **المِهراس**: هو ماء بجبل أُحُد. انظر: النهاية (٥/ ٢٢٤).

(٢) **الدَّرَقة**: التُّرس من جُلُود. انظر: لسان العرب (٤/ ٣٣٣).

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه، رقم الحديث (٦٩٧٩).

(٤) أي الذي رمى رسول الله ﷺ وأدماه. (٥) انظر: تفسير القرطبي (٥/ ٣٠٨).

(٦) **سكب**: صبَّ. انظر: لسان العرب (٦/ ٣٠٢).

(٧) **المِجَنُّ**: التُّرسُ. انظر: لسان العرب (٤/ ٢٥٦).

(٨) **الحصير**: هو البِساط الصغير من النبات، يُبسَط في البيت. انظر: لسان العرب (٣/ ٢٠٣)، النهاية (١/ ٣٨٠).

(٩) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٢٩١١) (٤٠٧٥)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٧٩٠) (١٠١).

تفقُّد المسلمين شهداءهم ودفنُهم

ثم نزل رسول الله ﷺ وأصحابه يتفقَّدون قتلاهم، وأمر رسول الله ﷺ أن يُجمَع شهداء أُحُد، ويُدفَنوا في مصارِعِهم، ولا يُحمَلوا إلى المدينة، فيُدفنوا بها؛ فقد روى أبو داود في «سننه» بسند صحيح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: كنا حمَلْنا القتلى يوم أُحُد لندفِنَهم، فجاء منادي النبي ﷺ، فقال: إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تدفنوا القتلى في مضاجعهم، فرَدَدْناهم[(١)].

وفي رواية الإمام الترمذي في «جامعه» بسند صحيح قال جابر رضي الله عنه: لما كان يوم أُحُد جاءت عمَّتي بأبي لتدفِنَه في مقابرنا، فنادى منادي رسول الله ﷺ: ردُّوا القتلى إلى مضاجعِها[(٢)].

وأمر رسول الله ﷺ أن يُجمَعَ الرجلان والثلاثة في القبر الواحد، والسبب في ذلك: أنهم كانوا عاجزين عن حفر القبور بسبب ما أصابهم من الجِراح؛ فقد روى أبو داود في «سننه»، والترمذي في «جامعه» بسند صحيح ـ واللفظ لأبي داود ـ عن هشام بن عامر رضي الله عنهما، قال: جاءت الأنصارُ إلى رسول الله ﷺ يوم أُحُد، فقالوا: أصابنا قَرْحٌ[(٣)] وجَهْدٌ، فكيف تأمُرُنا؟ فقال رسول الله ﷺ: «**احفِروا وأوسِعوا، واجعلوا الرجلين والثلاثة في القبر**»، فقيل: فأيهم يُقدَّم؟ قال رسول الله ﷺ: «**أكثرهم قرآنًا**»، قال هشام: أُصيب أبي يومئذ عامرٌ بين اثنين، أو قال: واحد.

وفي لفظ الإمام الترمذي، قال هشام: فمات أبي، فَقُدِّم بين يَدَيْ رجُلَين[(٤)].

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، رقم الحديث (٣١٦٥).

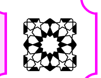
(٢) أخرجه الترمذي في جامعه، رقم الحديث (١٨١٤) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) **القَرْح**، بفتح القاف، وسكون الراء: هو الجُرح. انظر: النهاية (٤/ ٣٢).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه، رقم الحديث (٣٢١٥)، والترمذي في جامعه، رقم الحديث (١٨١٠) وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وروى الإمام البخاري في «صحيحه» عن جابر بن عبد الله ﵄، قال: كان النبي ﷺ يجمع بين الرجلين من قتلى أُحُد في ثوب واحد، ثم يقول: «**أيهم أكثر أخذًا للقرآن؟**» فإذا أُشير له إلى أحدهم قَدَّمه في اللحد[(١)].

قال الإمام ابن القيم: السُّنَّة في الشهداء أن يُدفَنوا في مصارعهم، ولا يُنقلوا إلى مكان آخر[(٢)].



فضل شهداء أُحُد

روى الإمام البخاري في «صحيحه» عن جابر بن عبد الله ﵄، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا شهيد على هؤلاء**»[(٣)].

وروى الإمام أحمد في «مسنده» بسند حسن عن جابر بن عبد الله ﵄، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول إذا ذُكر أصحاب أُحُد: «**أما وَاللهِ لوَدِدْتُ أني غُودِرتُ مع أصحابِ نُحْصِ الجبل**»؛ يعني: سَفْح الجبل[(٤)].

وروى الإمام أحمد في «مسنده» وأبو داود والحاكم بسند حسن عن ابن عباس ﵄، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما أُصيب إخوانكم بأُحُد جعل الله أرواحهم في جوف طيرٍ خُضر تَرِدُ أنهار الجنة، تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديلَ من ذهَبٍ مُعَلَّقة في ظِلِّ العرش، فلما وجدوا طِيبَ مأكلهم ومشربهم ومَقِيلهم، قالوا: مَن يُبَلِّغُ إخواننا عنا أنَّا أحياءٌ في الجنة نُرزَقُ؛ لئلَّا يزهدوا في الجهاد، ولا يَنكُلوا**[(٥)] **عند الحرب؟! فقال الله تعالى: أنا أُبلِّغُهم عنكم،**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٣٤٣).

(٢) انظر: زاد المعاد (٣/ ٢٤٩).

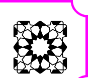
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٣٤٣).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٥٠٢٥).

(٥) **نَكَل عن الأمر**: إذا امتنع. انظر: النهاية (٥/ ١٠٢).

قال: فأنزل الله ﷻ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩]»[١].

قال الحافظ ابن كثير: أما أرواح الشهداء فهي في حواصل طير خُضر، فهي كالكواكب بالنسبة إلى أرواح عموم المؤمنين، فإنها تطير بأنفُسِها، فنسأل الله الكريمَ المَنَّان أن يُثبِّتنا على الإيمان[٢].



عدد شهداء غزوة أُحُد

بلغ عدد شهداء غزوة أُحُد سبعون شهيدًا، وعامَّتُهم من الأنصار؛ فقد روى الإمام البخاري في «صحيحه» عن قتادة، قال: حدَّثنا أنس بن مالك رضي الله عنه: أنه قُتِلَ منهم[٣] يوم أُحُد سبعون[٤].

قال الحافظ في «الفتح»: ظاهر كلام أنس رضي الله عنه أن الجميع من الأنصار، وهو كذلك إلا القليل[٥].

وروى الإمام الترمذي في «جامعه» والإمام أحمد في «مسنده» بسند حسن عن أُبَيِّ بن كعب رضي الله عنه، قال: لما كان يوم أُحُد قُتِلَ من الأنصار أربعة وستون رجلًا، ومن المهاجرين ستة[٦].

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٣٨٨)، وأبو داود في سننه، رقم الحديث (٢٥٢٠)، والحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٢٤٧٥) (٣٢٠٣).

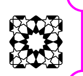
(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ١٦٤).

(٣) يعني: من الأنصار؛ لأن أنسًا رضي الله عنه من الأنصار.

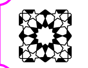
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٠٧٨).

(٥) انظر: فتح الباري (٨/ ١٢٦).

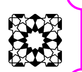
(٦) أخرجه الترمذي في جامعه، رقم الحديث (٣٣٩٥)، والإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢١٢٢٩).



عدد قتلى المشركين



قال ابن إسحاق: فجميع مَن قَتَل الله تبارك وتعالى يوم أُحُد من المشركين: اثنان وعشرون رجلًا[(١)].



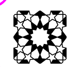
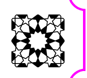
ثناء الرسول ﷺ على ربه عز وجل

فلما انتهى أمر هذه الغزوة العظيمة، وقبل رجوع النبي ﷺ إلى المدينة: أمر أصحابه بالاستواء ليُثنِيَ على ربِّه جل جلاله؛ فقد روى الإمام أحمد والحاكم في «المستدرك» بسند صحيح عن رفاعة بن رافع الزُّرَقيِّ رضي الله عنه، قال: لما كان يومُ أُحُد وانكفأ المشركون، قال رسول الله ﷺ: «**استووا حتى أُثنِيَ على ربي عز وجل**»، فصاروا خلفه صفوفًا، فقال: «**اللَّهُمَّ لك الحمدُ كُلُّه، اللَّهُمَّ لا قابِضَ لما بسطْتَ، ولا باسط لما قبَضْتَ، ولا هاديَ لمن أضلَلْتَ، ولا مُضِلَّ لمن هَدَيتَ، ولا معطيَ لما منَعْتَ، ولا مانعَ لما أعطيتَ، ولا مُقَرِّبَ لما باعَدْتَ، ولا مباعِدَ لما قرَّبْتَ، اللَّهُمَّ ابسُطْ علينا من بركاتِك ورحمتك وفضلك ورِزْقك، اللَّهُمَّ إني أسأَلُك النعيم المقيم الذي لا يَحول ولا يزول، اللَّهُمَّ إني أسألك الأمن يوم الخوف، اللَّهُمَّ عائِذٌ من شَرِّ ما أعطيتَنا، وشرِّ ما منَعْتَنا، اللَّهُمَّ حَبِّب إلينا الإيمان وزَيِّنه في قلوبنا، وكَرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعَلْنا من الراشدين، اللَّهُمَّ توفَّنا مسلمين، وأحْيِنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، غيرَ خزايا ولا مفتونين، اللَّهُمَّ قاتِلِ الكفرةَ الذين يُكَذِّبون رُسُلَك، ويَصُدُّون عن سبيلك، واجعل عليهم رِجْزَك وعذابك، إلٰهَ الحَقِّ، آمين**»[(٢)].

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٣/ ١٤٤).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٥٤٩٢)، والحاكم في المستدرك، رقم الحديث (١٨٨٩) (٤٣٥٤).

عودة الرسول ﷺ إلى المدينة

ثم انصرف رسول الله ﷺ راجعًا إلى المدينة، ودخلها مساء يوم السبت الخامس عشر من شهر شوال من السنة الثالثة للهجرة.

وأنزل الله ﷻ آيات كثيرة من سورة آل عمران لأحداث هذه الغزوة العظيمة، من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾﴾ [آل عمران: ١٢١].

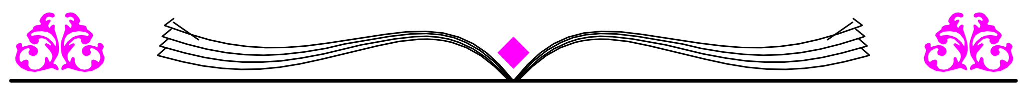
* فائدة نفسية:

ذكر الله سبحانه وتعالى في سياق الآيات عن غزوة أُحُد في سورة آل عمران، آية النهي عن الربا، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةًۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾﴾، ولم أعثر على مَن ذكر مناسبة ذكر هذه الآية في سياق الآيات عن غزوة أُحُد، حتى وقفتُ على كلام الإمام الحافظ ابن حجر يذكر مناسبتها، فقال رحمه الله: ما زلت أبحث عن مناسبة ذكر آية الربا في وسط ذكر قصة أحد، حتى وقفت على هذا الحديث[1]، فكأنها نزلت فيه فترك الربا، وخرج إلى الجهاد فاستُشهد، أو أن ورثته طالبوا بما كان له من الربا، فنُهوا عنه بالآية المذكورة[2].

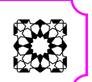
---

(١) الحديث رواه أبو داود في سُننه رقم الحديث (٢٥٣٧) بسند حسن في قصة عَمْرَو بْنَ بن ثابت بن أُقَيْش الأنصاري، والمعروف بالأُصيرم رضي الله عنه، ولفظه:
عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: أَنْ عَمْرَو بْنَ أُقَيْشٍ كَانَ لَهُ رِبًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَكَرِهَ أَنْ يُسْلِمَ حَتَّى يَأْخُذَهُ، فَجَاءَ يَوْمُ أُحُدٍ فَقَالَ: أَيْنَ بَنُو عَمِّي؟
قَالُوا: بِأُحُدٍ، قَالَ: أَيْنَ فُلَانٌ؟ قَالُوا: بِأُحُدٍ، قَالَ: فَأَيْنَ فُلَانٌ؟ قَالُوا: بِأُحُدٍ، فَلَبِسَ لَأْمَته وَرَكِبَ فَرَسَهُ، ثُمَّ تَوَجَّهَ قِبَلَهُمْ، فَلَمَّا رَآهُ الْمُسْلِمُونَ قَالُوا: إِلَيْكَ عَنَّا يَا عَمْرُو، قَالَ: إِنِّي قَدْ آمَنْتُ، فَقَاتَلَ حَتَّى جُرِحَ، فَحُمِلَ إِلَى أَهْلِهِ جَرِيحًا، فَجَاءَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فَقَالَ لِأُخْتِهِ: سَلِيهِ: حَمِيَّةً لِقَوْمِكَ أَوْ غَضَبًا لَهُمْ، أَمْ غَضَبًا لله؟
فَقَالَ: بَلْ غَضَبًا للهِ وَلِرَسُولِهِ، فَمَاتَ، فَدَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَا صَلَّى للهِ صَلَاةً

(٢) انظر: العُجاب في بيان الأسباب (٢/ ٧٥٣)



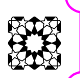




غزوة حمراء الأسد

قال ابن إسحاق: فلمَّا كان الغدُ من يوم الأحد لسِتَّ عشرة ليلة من شوال، أَذَّن مؤذِّن رسول الله ﷺ في الناس بطلب العدُوِّ، وأن لا يخرُجَنَّ معنا إلا مَن حضر أُحُدًا، فلم يخرج مع رسول الله ﷺ إلا مَن شَهِد أُحُدًا، سوى جابر[١] رضي الله عنه، فقد خَلَّفه أبوه على أخواتِه، واستُشهِدَ أبوه يوم أُحُد رضي الله عنهما، فاستأذن رسولَ الله ﷺ في الخروج إلى حمراء الأسد، فأَذِنَ له[٢].

وروى الإمام مسلم في «صحيحه» عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: لم أشهد بدرًا ولا أُحُدًا، منعني أبي، فلما قُتِلَ عبد الله[٣] يوم أُحُد، لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوةٍ قطُّ[٤].



سبب هذه الغزوة

بلغ رسولَ الله ﷺ أن أبا سفيان يريد الرجوع إلى المدينة ليستأصل مَن بقي من المسلمين، فأمر رسول الله ﷺ أصحابه بملاحقة الكفار؛ فقد روى الإمام النسائي في «السنن الكبرى» بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال:

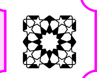
(١) قال الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٣٦٣): وحيث أُطلِق جابر في هذه الكتب فهو جابر بن عبد الله، وإذا أراد ابن سَمُرَة، قَيَّده.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٣/ ١١٢).

(٣) هو: عبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٨١٣).

لما انصرف المشركون عن أُحُدٍ وبلغوا الرَّوْحاءَ[١]، قالوا: لا محمَّدٌ قتْلُتموه، ولا الكواعِبَ[٢] أردفتُم، وبئس ما صنعتُم! ارجعوا، فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ فندب الناس، فانتدبوا حتى بلغوا حمراءَ الأسَدِ[٣].



وصول الرسول ﷺ إلى حمراء الأسد

نهض رسول الله ﷺ وهو مجروح في وجهه، ومشجوج في جبهته، ورَباعِيَته، ومعه أصحابه الذين شهدوا غزوة أُحُد، وهم مُثقَلون بالجراح، حتى بلغ حمراء الأسد.

روى الإمام البخاري في «صحيحه» عن عائشة ﵂، قالت في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾ [آل عمران: ١٧٢][٤].

قالت لعُروة: يا ابن أختي، كان أبواك منهم الزبير، وأبو بكر، لما أصاب رسولَ الله ﷺ ما أصاب يوم أُحُد، وانصرف المشركون، خاف أن يرجعوا، قال: «**مَن يذهَبُ في أثرهم؟**»، فانتدب منهم سبعون[٥] رجلًا، قال:

---

(١) قال ابن الأثير في جامع الأصول (٩/ ٣٧٩): **الرَّوحاءُ**: موضع بينه وبين المدينة ستة وثلاثين ميلًا.

(٢) **الكواعب**: جمع كاعب، وهي الفتاة إذا نَهَد ثديُها. انظر: النهاية (٤/ ١٥٥).

(٣) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، رقم الحديث (١١٠١٧)، وصَحَّح إسناده السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٧٨)، والشوكاني في فتح القدير (١/ ٦٥١)، وأورده الحافظ في الفتح (٩/ ٩٦) وقال: أخرجه النسائي وابن مردويه، ورجاله رجال الصحيح، إلا أن المحفوظ إرساله عن عكرمة، ليس فيه ابن عباس، ومن الطريق المرسَلة أخرجه ابن أبي حاتم وغيره.

(٤) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢/ ١٦٥): هذا كان يوم حمراء الأسد.

(٥) قال الشامي في سبل الهُدى والرشاد (٤/ ٣١٤): ولا تخالف بين قول عائشة ﵂ وما ذكر أصحاب المغازي؛ لأنه يمكن أن يكون السبعون سبقوا غيرهم، ثم تلاحق الباقون.

كان فيهم أبو بكر، والزبير[(١)].

مضى رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد، حتى عسكر بها، وأقام فيها ثلاث ليال، فلما علم بذلك المشركون خافوا وانصرفوا إلى مكة، وفي يوم الأربعاء عاد رسول الله ﷺ إلى المدينة، وقد استردَّ المسلمون الكثير من هيبتهم، بعدما كادت تتزعزع بسبب غزوة أُحُد.

نزول الآيات في حمراء الأسد

وأنزل الله سبحانه في هذه الغزوة قولَه تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران: ١٧٢ ـ ١٧٤].

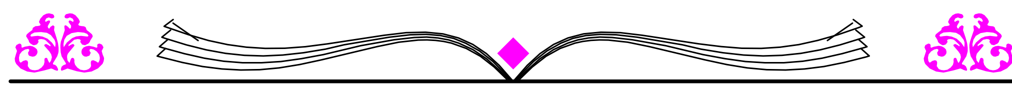
قال الإمام القرطبي: أخبرهم تعالى أن الأجر العظيم قد تَحصَّل لهم بهذه القَفْلة[(٢)].

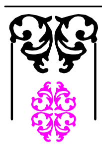


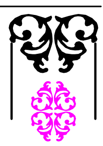
(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٠٧٧)، وأخرجه مختصَرًا الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٤١٨).

(٢) **القَفْلة**: المَرَّة من القُفول: أي: إنَّ أجرَ المجاهد في انصرافه إلى أهله بعد غزوه كأجْرِه في إقباله إلى الجهاد؛ لأن في قُفُوله راحة للنفس، واستعدادًا بالقوة للعود، وحفظًا لأهله برجوعه إليهم. انظر: النهاية (٤/ ٨٢).

وانظر: كلام القرطبي في تفسيره (٥/ ٤٢١).



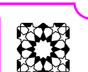




السنة الرابعة للهجرة

أهمُّ السَّرايا والبُعُوث بين أُحُد والخندق

كان لغزوة أُحُد أثر سيِّئ على سمعة المسلمين؛ فقد زالت هيبتهم عن النفوس، وطمعت بهم القبائل، وكاشفهم[١] اليهود والمنافقون بما كانوا يُضمِرونه[٢] من العداوة والبغض، فلم يمضِ على غزوة أُحُد إلا عدةُ أشهر حتى تهيأت بعض القبائل للإغارة على المدينة، وحاول يهودُ بني النضير قَتْلَ النبي ﷺ، ولم يكن رسول الله ﷺ غافلًا عن هذا كله؛ بل كان يُواجهه بحكمته حتى استطاع أن يُعيد للمسلمين هيبتَهم.



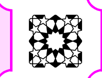
سَرِيَّة أبي سلمة رضي الله عنه إلى بني أسد

بعث رسولُ الله ﷺ أبا سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي رضي الله عنه، ومعه مائة وخمسون رجلًا من المهاجرين والأنصار، إلى قَطَن، وهو جبل بناحية فَيْد، به ماء لبني أسد بن خزيمة، وذلك في هلال مُحَرَّم من السنة الرابعة للهجرة، وكان سبب بعث هذه السَرِيَّة ما بلغ رسولَ الله ﷺ أنَّ طُليحة وسلمة ابنَيْ خويلد قد سارا في قومهما ومَن أطاعهما، يدعوانهم إلى حرب رسول الله ﷺ.

(١) **كاشفه بالعداوة:** باداه بها. انظر: لسان العرب (١٢/ ١٠٢).

(٢) **أضمرتُ الشيء:** أخفيتُه. انظر: لسان العرب (٨/ ٨٥).

خرج أبو سلمة رضي الله عنه، فأغار على سَرْح[١] لهم، وأخذوا رعاءً لهم مماليك ثلاثة، وأفلت سائرُهم، فجاؤوا جمْعَهم فحَذِروهم فتفرقوا في كل ناحية، وعاد أبو سلمة رضي الله عنه ومن معه إلى المدينة سالمين غانمين، لم يلقَوْا كيدًا[٢].



وفاة أبي سلمة رضي الله عنه

فلما دخل أبو سلمة رضي الله عنه المدينة انتفض جرحُه الذي أُصيب به يوم أُحُد، فمات رضي الله عنه، وذلك لثلاث بقيت من جُمادى الآخرة من السنة الرابعة للهجرة.

روى الإمام مسلم في «صحيحه» عن أم سلمة رضي الله عنها، قالت: دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة، وقد شَقَّ بصَرُه[٣]، فأغمضه، ثم قال: «**إن الرُّوحَ إذا قُبِضَ تَبِعَه البصر، فَضَجَّ**[٤] **ناسٌ من أهله**»، فقال رسول الله: «**لا تدعُوا على أنفسكم إلا بخير؛ فإن الملائكة يُؤمِّنون على ما تقولون**»، ثم قال: «**اللَّهُمَّ اغفِرْ لأبي سلمة وارفع درجته في المهديِّين، واخلُفْه في عَقِبِه في الغابرين**[٥]**، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وافسَحْ له في قبره، ونَوِّرْ له فيه**»[٦].

---

(١) **السَّرْح**: الماشية. انظر: النهاية (٢/٣٢٨).

(٢) انظر: تفاصيل هذه السرية في: الطبقات الكبرى (٢/ ٢٧٤) لابن سعد، البداية والنهاية (٤/ ٤٤٢).

(٣) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٦/ ١٩٨): **شَقَّ بَصَرُه**، بفتح الشين؛ أي: ارتفع.

(٤) في رواية أبي داود في سننه: فَصَيَّحَ.
الضجيج: الصياح عند المكروه والمشقة والجَزَع. انظر: النهاية (٣/ ٦٩).

(٥) **الغابرين**: الباقين، ومنه قوله تعالى في سورة الأعراف، آية (٨٣): ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾﴾. انظر: النهاية (٣/ ٣٠٥).

(٦) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (٩٢٠) (٧)، وأبو داود في سننه، رقم الحديث (٣١١٨).

سَرِيَّة عبد الله بن أُنَيس رضي الله عنه

وفي الخامس من محرم من السنة الرابعة للهجرة بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن أُنيس رضي الله عنه لقتل خالد بن سفيان الهُذلي؛ فقد روى الإمام أحمد في «مسنده» وابن حبان في «صحيحه» بسند حسن عن عبد الله بن أُنيس رضي الله عنه، قال: دعاني رسول الله ﷺ، فقال: «**إنه قد بلغني أن خالد بن سفيان بن نُبيح الهُذلي يجمع لي الناس؛ ليغزوني، وهو بعُرَنَة**[١]**، فأْتِه فاقتُلْه**»، قلت: يا رسول الله، انعَتْه[٢] لي حتى أعرِفَه، قال رسول الله ﷺ: «**إذا رأيتَه وجَدْتَ له إقشَعْريرة**»[٣]، قال: فخرجتُ متوشحًا بسيفي حتى وقعتُ عليه، وهو بعُرَنة مع ظُعُن[٤] يرتاد[٥] لهن منزلًا، وحين كان وقت العصر، فلما رأيته وجدتُ ما وصف لي رسول الله ﷺ من الإقشَعْريرة، فأقبَلْتُ نحوه، وخشيتُ أن يكون بيني وبينه محاولة[٦] تشغلني عن الصلاة، فصليتُ وأنا أمشي نحوه أُومئُ برأسي الركوع والسجود، فلما انتهيت إليه، قال: مَن الرجل؟ قلتُ: رجل من العرب سَمِعَ بك وبجَمْعِك لهذا الرجل[٧]، فجاءك لهذا، قال: أجَلْ أنا في ذلك، قال: فمشيتُ معه شيئًا، حتى إذا أمكنني حملتُ عليه السيف حتى قتَلْتُه، ثم خرجتُ وتركت ظعائنَه

---

(١) **عُرَنة**، بضم العين: موضع عند المَوقِف بعَرَفات. انظر: النهاية (٣/ ٢٠٢).

(٢) **النَّعتُ**: وَصْف الشيء. انظر: النهاية (٥/ ٦٨).

(٣) قال السندي في شرحه للمسند (٩/ ١٩٣): المشهور قُشْعَريرة؛ بلا ألف، وهي قيام الشَّعر على الجِلْد.

وفي لسان العرب (١١/ ١٧٤): **القُشْعَريرة**: الرِّعْدة.

(٤) **الظُّعُن**: النساء، واحدتها: ظعينة. انظر: النهاية (٣/ ١٤٣).

(٥) **يرتاد**: يطلب. انظر: لسان العرب (٥/ ٣٦٥).

(٦) **المحاولة**: طلب الشيء بحيلة. انظر: النهاية (١/ ٤٤٤).

(٧) يعني: الرسول ﷺ.

مُكِبَّات[١] عليه، فلما قدمتُ على رسول الله ﷺ فرآني، قال: «**أفلح الوَجهُ**»، قلت: قتلتُه يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ: «**صدقت**»، قال: ثم قام معي رسول الله ﷺ فدخل بي بيته، فأعطاني عصًا، فقال رسول الله ﷺ: «**أمسك هذه عندك يا عبد الله بن أُنيس**»، قال: فخرجتُ بها على الناس، فقالوا: ما هذه العصا؟ قلت: أعطانيها رسول الله ﷺ، وأمرني أن أُمسِكَها، قالوا: أوَلا ترجع إلى رسول الله فتسأله عن ذلك؟ قال: فرجعتُ إلى رسول الله ﷺ، فقلتُ: يا رسول الله، لِمَ أعطيتَني هذه العصا؟ فقال رسول الله ﷺ: «**آيةٌ[٢] بيني وبينك يوم القيامة؛ إن أقَلَّ الناس المتَخصِّرون[٣] يومئذٍ**»، قال: فقَرَنها عبد الله بسيفه، فلم تَزَلْ معه حتى إذا مات أمَرَ بها فَضُمَّت معه في كفنه، ثم دُفِنَا جميعًا[٤].

سَرِيَّة الرَّجيع[٥]

كانت هذه السَرِيَّة في صَفَر من السنة الرابعة للهجرة[٦].

---

(١) قال السندي في شرحه للمسند (٩/ ١٩٤): **مُكِبَّات**: أي: ساقطات باكيات.

(٢) **الآية**: العلامة. انظر: النهاية (١/ ٨٨).

ومنه قوله ﷺ: «**آيةُ الإيمان حبُّ الأنصار، وآية النفاق بُغْض الأنصار**»، رواه البخاري، رقم الحديث (١٧)، ومسلم، رقم الحديث (٧٤).

(٣) قال السندي في شرحه للمسند (٩/ ١٩٤): **المتخَصِّر**: مَن يُمسِك العصا بيده، وقد يتكئُ عليها.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٦٠٤٧)، وابن حبان في صحيحه، رقم الحديث (٧١٦٠)، وأخرجه مختصَرًا أبو داود في سننه، رقم الحديث (١٢٤٩)، وأورده الحافظ ابن كثير في تفسيره (١/ ٦٥٦) وجوَّد إسناده، والحافظ في الفتح (٣/ ١١٠) (٨/ ١٣٣) وحَسَّن إسناده.

(٥) **الرجيع**: هو ماء لقبيلة هُذَيل. انظر: النهاية (٢/ ١٨٦).

وقال الحافظ في الفتح (٨/ ١٣١): **الرَّجيع**: موضع من بلاد هُذيل كانت الوَقْعة بقرب منه؛ فسُمِّيَت به.

(٦) جزم بذلك الواقدي في مغازيه (١/ ٣٥٤) وتبعه على ذلك تلميذه ابن سعد في طبقاته =

روى الإمام البخاري في «صحيحه» عن أبي هريرة ﵁، قال: بعث[١] رسولُ الله ﷺ عشَرةً[٢] عينًا[٣]، وأَمَّر عليهم عاصِمَ بن ثابت[٤] الأنصاري جَدَّ عاصمِ بن عمر بن الخَطَّاب، حتى إذا كانوا بالهَدَّة بين عُسفان ومكة ذُكِروا لحيٍّ من هُذيل يُقال لهم: بنو لحيان، فنفروا لهم بقريب من مائة رجل رامٍ، فاقتصُّوا آثارهم حتى وجدوا مأكلهم التمر في منزل نزلوه، فقالوا: تَمرُ يثرِبَ، فاتَّبعوا آثارهم، فلما أحسَّ بهم عاصم وأصحابه لجؤوا إلى موضع، فأحاط بهم القوم، فقالوا لهم: انزِلوا فأعطوا بأيديكم، ولكم العَهدُ والميثاق أن لا نقتُلَ منكم أحدًا، فقال عاصم بن ثابت ﵁: أيها القوم، أمَّا أنا فلا أنزل في ذمة كافر، ثم قال: اللَّهُمَّ أخبِرْ عنا نبيَّك ﷺ، فرَمَوهم بالنَّبْلِ فقتلوا

= (٢/ ٢٧٧)، وعليه الأكثر، وجعلها ابن إسحاق في السيرة (٣/ ١٨٧) بعد غزوة أُحُد مباشرة، ولم يُحدِّد الشهر الذي وقعت فيه، فقال: ذِكْرُ يوم الرجيع في سنة ثلاث.

(١) اختُلِف في سبب بَعْث هذه السَّرِية على النحو التالي:

١ ـ روى الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٩٨٩) عن أبي هريرة ﵁، قال: بعث رسول الله ﷺ عشرةً عينًا.

* وروى الواقدي في مغازيه (١/ ٣٥٤) عن أبي الأسود، قال: بعث رسول الله ﷺ أصحاب الرجيع عيونًا إلى مكة؛ ليُخبروه خبر قريش، فسلكوا طريق النجدية حتى كانوا بالرجيع، فاعترضت لهم بنو لحيان.

٢ ـ وقال ابن إسحاق في السيرة (٣/ ١٨٨): قَدِمَ على رسول الله ﷺ بعد أُحُد رهط من عَضل والقَارة، فقالوا: يا رسول الله، إن فينا إسلامًا، فابعث معنا نفرًا من أصحابك يُفقِّهوننا في الدين، ويُقرِئُوننا القرآن، ويُعلِّموننا شرائع الإسلام؛ فبعث رسول الله ﷺ معهم نفرًا ستة من أصحابه.

(٢) في رواية ابن إسحاق في السيرة (٣/ ١٨٨): ستة.

قال السُّهيلي في الروض الأُنُف (٣/ ٣٦١): وفي الجامع الصحيح للبخاري أنهم كانوا عشرة، وهو أصح.

(٣) **العين**: الجاسوس. انظر: النهاية (٣/ ٢٩٩).

(٤) في رواية ابن إسحاق في السيرة (٣/ ١٨٨): مرثد بن أبي مرثد الغنوي ﵁.

قال الحافظ في الفتح (٨/ ١٣٣): وما في الصحيح أصح.

عاصمًا[١]، ونزل إليهم ثلاثة نفر على العهد والميثاق؛ منهم: خُبيب، وزيد بن الدَّثِنَة[٢] ورجل آخر[٣]، فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قِسيِّهم فربطوهم بها، فقال الرجل الثالث[٤]: هذا أول الغدر، وَاللهِ لا أصحبكم، إن لي بهؤلاء أُسوة ـ يريد القتلى ـ فَجَرَّروه وعالجوه[٥] فأبى أن يصحبهم[٦]، فانطُلِقَ بخُبيب وزيد بن الدَّثِنَة حتى باعوهما بعد وقعة بدر، فابتاع[٧] بنو الحارث بن عامر بن نوفل خُبَيبًا ـ وكان خُبيبٌ هو قَتَل الحارث بن عامر يوم بدر ـ فلبث خُبيبٌ عندهم أسيرًا حتى أجمعوا قتله، فاستعار من بعض بنات الحارث موسى يستحِدُّ بها، فأعارته، فدرج بُنيٌّ لها وهي غافلة حتى أتاه، فوجدته مُجلِسَه على فخذه والموسى بيده، قالت: ففزعتُ فزعةً عرفها خُبيبٌ، فقال: أتخشين أن أقتله؟! ما كنتُ لأفعل ذلك، قالت: والله ما رأيتُ أسيرًا قط خيرًا من خُبيب، والله لقد وجدته يومًا يأكل قِطفًا من عنبٍ في يده وإنَّه لموثق بالحديد، وما بمكة من ثمرة، وكانت تقول: إنه لرزق رزقه اللهُ خُبيبًا! فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه في الحِلِّ، قال لهم خُبيب: دعوني أُصلِّي ركعتين، فتركوه فركع ركعتين، فقال: والله لولا أن تحسبوا أنَّ ما بي جزعٌ

---

(١) في رواية أخرى في صحيح البخاري، رقم الحديث (٤٠٨٦): فقاتلوهم حتى قَتَلوا عاصمًا في سبعة نفر بالنَّبل، وبقي خُبيب وزيد ورجل آخر.

(٢) قال ابن الأثير في جامع الأصول (١/ ٤١٠)، قسم التراجم: زيد بن الدَّثِنة الأنصاري رضي الله عنه، شهد بدرًا وأُحُدًا، وأُسِرَ يوم الرجيع، والدَّثنة، بفتح الدال المهملة، وكسر الثاء.

(٣) هو: عبد الله بن طارق البلوي رضي الله عنه كما في رواية ابن إسحاق في السيرة (٣/ ١٩٠).
قال الحافظ ابن عبد البر في الاستيعاب (٣/ ٦١): عبد الله بن طارق البلوي رضي الله عنه، حليف لبني ظفر من الأنصار، شهد بدرًا وأُحُدًا.

(٤) هو: عبد الله بن طارق رضي الله عنه.

(٥) **المعالجة**: مدافعته ومحاولته ليسير معهم. انظر: لسان العرب (٩/ ٣٥٠).

(٦) زاد البخاري في رواية أخرى، رقم الحديث (٤٠٨٦): فقتلوه.

(٧) **ابتاع الشيء**: اشتراه. انظر: لسان العرب (١/ ٥٥٧).

لزدتُ، ثم قال: اللَّهُمَّ أحصهم عددًا، واقتُلهم بَدَدًا، ولا تُبْقِ منهم أحدًا، ثم أنشأ يقول:

فلستُ أُبالي حين أُقتَلُ مُسلمًا ... على أيِّ جنبٍ كان للَّه مصرعي

وذلك في ذات الإلٰه وإن يشَأْ ... يُبارِكْ على أوصالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

ثم قام إليه أبو سِرْوَعَة[١] عُقبة بن الحارث فقتله[٢]، وكان خُبيب هو مَن سَنَّ لكل مسلم قُتِلَ صبرًا الصلاةَ.

وبعث ناسٌ من قريش إلى عاصم بن ثابت حين حُدِّثوا أنه قُتِلَ أن يُؤتَوا بشيء منه يُعرَف، وكان قَتَل رجلًا عظيمًا من عظمائهم[٣]، فبعث الله لعاصم مِثْلَ الظُّلَّة[٤] من الدَّبْرِ[٥]، فحمَتْه من رسُلِهم، فلم يقدروا أن يقطعوا منه شيئًا[٦].

زاد ابن إسحاق: فلما حالت بينه وبينهم الدَّبْرُ، قالوا: دَعُوه حتى يُمسِيَ فتذهب عنه، فنأخذه، فبعث الله الوادي[٧]، فاحتَمَلَ عاصمًا، فذهب به[٨].

---

(١) قال ابن الأثير في جامع الأصول (٢/ ٦٠٤)، قسم التراجم: **سِرْوَعَة**: بكسر السين المهملة، وسكون الراء، وفتح الواو والعين المهملة.

(٢) روى ابن إسحاق في السيرة (٣/ ١٩٢) بسند صحيح عن عقبة بن الحارث، قال: ما أنا وَاللهِ قتلْتُ خُبيبًا؛ لأنِّي كنت أصغر من ذلك، ولكِنَّ أبا ميسرة، أخا بني عبد الدار، أخذ الحربة فجعلها في يدي، ثم أخذ بيدي وبالحربة، ثم طعن بها حتى قتله.

(٣) قال الحافظ في الفتح (٨/ ١٣٨): لعل العظيم المذكور عُقبة بن أبي مُعَيط؛ فإن عاصمًا قتله صَبْرًا بأمر النبي ﷺ بعد أن انصرفوا من بدر.

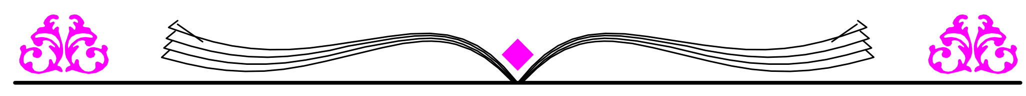
(٤) **الظُّلَّة**، بضم الظاء: هي السحابة. انظر: النهاية (٣/ ١٤٦).

(٥) **الدَّبْر**، بفتح الدال، وسكون الباء: هي الزنانير. وقيل: النحل. انظر: النهاية (٢/ ٩٢).

(٦) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٩٨٩) (٤٠٨٦).

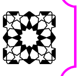
(٧) يعني بعث سيلًا.

(٨) انظر: سيرة ابن هشام (٣/ ١٩٠).









فاجعةُ بئر مَعُونة[١] أو سَرِيَّة القُرَّاء[٢]

وقعت هذه الفاجعة في صَفَر من السنة الرابعة للهجرة[٣].

اختُلِف في سبب بَعْث رسول الله ﷺ هذه السَرِيَّة، على النحو التالي:

١ ـ طلب العون من رسول الله ﷺ على عدو:

روى الإمام البخاري في «صحيحه» عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: إن رِعْلًا وذكوانَ وعُصيَّة وبني لحيان[٤]، استمدُّوا رسولَ الله ﷺ على عدوٍّ، فأمدهم بسبعين[٥] من الأنصار كُنَّا نُسمِّيهم القُرَّاءَ في زمانهم، كانوا يحتَطِبون بالنهار، ويُصلُّون بالليل[٦].

---

(١) **بئر مَعُونة**، بفتح الميم، وضم العين: في أرض بني سُليم بين مكة والمدينة. انظر: النهاية (٤/ ٢٩٣).

(٢) قال الحافظ في الفتح (١٥/ ١٨٤): **القُرَّاء**، بضم القاف، وتشديد الراء، مهموز، جمع قارئ، والمراد بهم: العُلَماء بالقُرآن والسُّنَّة.
وقال الإمام البخاري في صحيحه (١٠/ ٥٦): باب القُرَّاء من أصحاب النبي ﷺ.
قال الحافظ في الفتح (١٠/ ٥٧): أي: الذين اشتَهروا بحفظ القرآن والتصدي لتعليمه، وهذا اللفظ كان في عرف السلف أيضًا لمن تفقَّه في القرآن.

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (٣/ ٢٠٤)، الطبقات الكبرى، لابن سعد (٢/ ٢٧٥).

(٤) قال ابن سيد الناس في عيون الأثر (٢/ ٧٢): كذا وقع في هذه الرواية، وهو يُوهِمُ أن بني لحيان ممن أصاب القُراء يوم بئر معونة، وليس كذلك، وإنما أصاب هؤلاء رِعْل وذكوان وعُصَيَّة ومَن صحبهم من سُليم، وأما بنو لحيان فهم الذين أصابوا بَعْثَ الرجيع، وإنما أتى الخبر إلى رسول الله ﷺ عنهم كلهم في وقت واحد، فدعا على الذين أصابوا أصحابه في الموضعين دعاءً واحدًا.

(٥) في رواية ابن إسحاق في السيرة (٣/ ٢٠٤): أربعين.
قال الإمام السهيلي في الروض الأُنُف (٣/ ٣٧٩): والصحيح أنهم كانوا سبعين، كذا وقع في صحيح البخاري ومسلم.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٠٩٠).

٢ ـ طلب تعليم القرآن والسُّنَّة:

روى الإمام مسلم في «صحيحه» عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: جاء ناس إلى النبي ﷺ، فقالوا: أنِ ابعَثْ معنا رجالًا يُعلِّمونا القرآن والسُّنَّة، فبعث إليهم سبعين رجلًا من الأنصار، يُقال لهم: القُرَّاء(١).

وقال ابن إسحاق: قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر مُلاعِبُ الأسنَّة، على رسول الله ﷺ المدينة، فعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام، ودعاه إليه، فلم يُسلِمْ ولَمَ يَبعُد من الإسلام، وقال: يا محمد، لو بعَثْتَ رجالًا من أصحابك إلى أهل نجد، فدعوهم إلى أمرك، رجوتُ أن يستجيبوا لك، فقال رسول الله ﷺ: «**إني أخشى عليهم أهلَ نجد**»، فقال أبو براء: أنا لهم جارٌ، فابعثهم فلْيَدعوا الناس إلى أمرك، فبعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو في أربعين رجلًا من أصحابه، من خيار المسلمين(٢).



وصول الصحابة رضي الله عنهم إلى بئر معونة

خرج أصحابُ النبي ﷺ السبعون من المدينة، وأَمَّر عليهم رسولُ الله ﷺ المنذر بن عمرو العقبي البدري رضي الله عنه، حتى إذا بلغوا بئر معونة عرض لهم حَيَّان من بني سليم، فغدروا بهم وقتلوهم؛ فقد روى الإمام البخاري في «صحيحه» عن أنس رضي الله عنه، قال: فعرض لهم حَيَّان من بني سُليم: رِعْلٌ، وذكوان، عند بئر يُقال لها: بئر معونة، فقال القوم: وَاللهِ ما إيَّاكم أَرَدْنا، إنما نحن مجتازون في حاجةٍ للنبي ﷺ، فقتلوهم(٣).

وفي لفظ آخر في «صحيح البخاري»، قال أنس رضي الله عنه: فانطلقوا حتى

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (٦٧٧).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٣/ ٢٠٤).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٠٨٨).

بلغوا بئر معونة، غدروا بهم وقتلوهم[(١)].

وروى الإمام أحمد في «مسنده» بسند صحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: فأتوا على حَيٍّ من بني سُليم، وفيهم خالي حرام، فقال حرام لأميرهم: دعني فلأُخبِرْ هؤلاء أَنَّا لسنا إياهم نريد، حتى يُخَلُّوا وجْهَنا، فقال لهم حرام: إنَّا لسنا إياكم نريد، فاستقبله رجل بالرمح، فأنفَذَه منه، فلما وَجَدَ الرُّمح في جوفه، قال: الله أكبر، فزتُ وربِّ الكعبةِ! قال: فانطووا عليهم[(٢)]، فما بَقِي منهم أحد[(٣)]!

فلما قُتِلَ هؤلاء القراء رضي الله عنهم، قالوا لربهم سبحانه: اللَّهُمَّ بلِّغْ عنا نبيك؛ فقد روى الإمام مسلم في «صحيحه» عن أنس رضي الله عنه، قال: فقتلوهم قبل أن يبلغوا المكان[(٤)]، فقالوا: اللَّهُمَّ بلِّغْ عنا نبيَّك أَنَّا قد لقيناك فرَضِينا عنك، ورَضِيتَ عَنَّا[(٥)]!

*** لم ينجُ من هذه المقتلة إلا رجلان، وهما:**

١ ـ قال أنس بن مالك رضي الله عنه: فقتلوهم إلا رجلًا أعرجَ صَعِد الجَبَلَ[(٦)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٠٦٤).

(٢) **انطوَوا عليهم**: التفَّ بعضهم حول بعض. انظر: المعجم الوسيط (٢/ ٥٧٢).
وفي رواية أخرى في المسند، رقم الحديث (١٤٠٧٤): ثم مالوا على بقية أصحابه فقتلوهم.

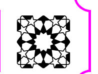
(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٢٤٠٢).

(٤) أي: ديار بني عامر، وهم قوم مُلاعِب الأسِنَّة.

(٥) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (٦٧٧).

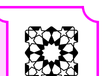
(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٢٨٠١).
سَمَّى ابن إسحاق في السيرة (٣/ ٢٠٥) الرجل الأعرج، فقال: قُتِلُوا من عند آخرهم إلا كعب بن زيد أخا بني دينار بن النجار؛ فإنَّهم تركوه وبه رَمَق، فارتُثَّ من بين القتلى، فعاش حتى قُتِلَ يوم الخندق شهيدًا، يرحمه الله.
الرَّمَق: يعني: بقية الروح وآخر التنفُّس. انظر: النهاية (٢/ ٢٤٠).
=

٢ ـ والرجل الثاني: هو عمرو بن أُمَية الضَّمْريُّ ﷺ، وكان قد أُسِرَ، فأُطلِقَ، كما سيأتي.



فضل عامر بن فُهيرة ﷺ

كان من بين قتلى فاجعة بئر معونة عامِرُ بن فُهَيرة مولى أبي بكر الصِّدِّيق ﷺ؛ فقد روى الإمام البخاري في «صحيحه» عن عروة بن الزبير، قال: لما قُتِلَ الذين ببئر معونة وأُسِرَ عمرو بن أمية الضمري ﷺ، قال له عامر بن الطُّفيل[1]: من هذا؟ فأشار إلى قتيل، فقال له عمرو بن أمية: هذا عامِرُ بن فُهَيرة، فقال: لقد رأيته بعد ما قُتِلَ رُفِعَ إلى السماء، حتى إني لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض، ثم وُضِعَ[2]!



حُزْن النبي ﷺ على شهداء بئر معونة

بلغ رسولَ الله خبرُ فاجعة بئر معونة، وأصحاب سَرِيَّة الرجيع في يوم واحد، فحَزِن عليهم حزنًا شديدًا، وأخذ يدعو على مَن غدر بأصحابه شهرًا كاملًا في كل صلاة؛ فقد روى الإمام مسلم في «صحيحه» عن أنس بن مالك ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**إنَّ إخوانكم قد قُتِلُوا، وإنهم**

= **الرثيث**: الجريح. انظر: النهاية (٢/ ١٧٩).

(١) **قلت**: هذا الرجل، قبحه الله، رأس من رؤوس بني سُليم الذين غدروا بالقُراء ﷺ؛ فقد روى الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٠٩١) عن أنس ﷺ، قال: إن النبي ﷺ بعث خاله، أخٌ لأم سُلَيم، في سبعين راكبًا، وكان رئيسُ المشركين عامرَ بن الطُّفيل.

قال السندي في شرحه للمسند (٢٠/ ٤٢١) قوله: عامر بن الطفيل، هو العامري، مات كافرًا، وليس هو عامر بن الطفيل الأسلمي الصحابي.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٠٩٣).

قالوا: اللَّهُمَّ بلِّغ عَنَّا نبيَّنا أنَّا قد لقيناك، فرَضِينا عنك، ورضَيِت عَنا!»[(١)].

وروى الشيخان في «صحيحيهما» والإمام أحمد في «مسنده» ـ واللفظ لأحمد ـ عن أنس ﷺ، قال: ما رأيتُ رسول الله ﷺ وَجَد[(٢)] على شيءٍ قطُّ ما وَجَد على أصحاب بئر معونة؛ أصحابِ سَرِيَّة المُنذر بن عمرو، فمكث شهرًا يدعو على الذين أصابوهم، في قُنُوت صلاة الغَداة[(٣)]، يدعو على رِعْلٍ، وذَكوانَ، وعُصيَّةَ، ولَحْيانَ، وهم من بني سُلَيم[(٤)].

وروى الإمام أحمد في «مسنده» وأبو داود والحاكم بسند صحيح عن ابن عباس ﷺ، قال: قَنَت رسول الله ﷺ شهرًا متتابعًا في الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح، في دُبُر كل صلاة إذا قال: **سمع الله لمن حَمِده** من الركعة الأخيرة، يدعو عليهم؛ على حي من بني سُليم، على رِعْل وذكوان وعُصيَّة، ويُؤمِّن مَن خلفه، وكان أرسل إليهم يدعوهم إلى الإسلام، فقتلوهم[(٥)].

وروى الشيخان في «صحيحيهما» عن أنس ﷺ، قال: أنزل الله ﷻ في الذين قُتلوا ببئر معونةَ قرآنًا قرأناه حتى نُسِخ بَعدُ: ﴿أن بَلِّغوا قومنا أنْ قد لَقِينا رَبَّنا فرَضِيَ عنَّا ورَضِينا عنه﴾[(٦)].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، رقم الحديث (٦٧٧).

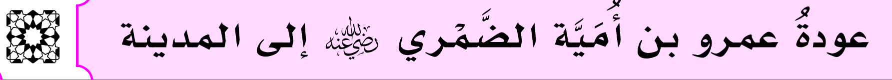
(٢) **وَجَدَ**: حَزِن. انظر: لسان العرب (١٥/ ٢١٩).

(٣) هي: صلاة الفجر.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٣٠٠) (٦٣٩٤)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٦٧٧) (٣٠٢)، والإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٣٠٢٧).

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٧٤٦)، وأبو داود في سننه، رقم الحديث (١٤٤٣)، والحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٩١٥).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٢٨١٤) (٤٠٩٥)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٦٧٧) (٢٩٧).

عودةُ عمرو بن أُمَيَّة الضَّمْري رضي الله عنه إلى المدينة

أُسِرَ عمرو بن أمَيَّة الضَّمْري رضي الله عنه، فلما علموا أنه من مُضَر أطلقوه؛ لسبب غريب.

قال ابن إسحاق: وأخذوا عمرو بن أُمَيَّة أسيرًا، فلما أخبرهم أنه من مُضَر، أطلقه عامر بن الطُّفيل، وجَزَّ ناصيتَه[(١)]، وأعتقه عن رقبةٍ زعم أنها كانت على أمِّه![(٢)].

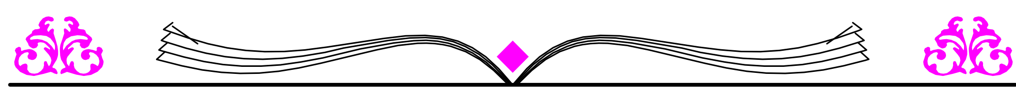
قتل العامِريَّين

رجع عمرو بن أُمَية الضَّمْري رضي الله عنه إلى المدينة، حتى إذا كان بالقَرْقَرَة، أقبل رجلان من بني عامر[(٣)]، حتى نزلا معه في ظلٍّ هو فيه، وكان مع العامريَّين عَقدٌ من رسول الله ﷺ وجوارٌ، لم يَعلم به عمرو بن أُمَيَّة رضي الله عنه، وقد سألهما حين نزلا: ممن أنتما؟ قالا: من بني عامر، فأمهلهما، حتى إذا ناما قتلهما، وهو يرى أنه قد أصاب بهما ثأرَه من بني عامر، فلما قدم عمرو بن أمية رضي الله عنه على رسول الله ﷺ أخبره خبر أصحابه، وأخبره خبر قتله الرجلين من بني عامر، فقال رسول الله ﷺ: «**لقد قتلت قتيلين، لَأَدِيَنَّهما**»[(٤)].

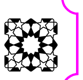
فكان قَتْلُ عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه هذين الرجلين وجَمعُ النبيِّ ﷺ دِيَتَهما: سببًا لغزوة بني النَّضير، كما ذكر ابن إسحاق.

---

(١) **الناصية**: منبت الشعر في مُقدَّم الرأس. انظر: لسان العرب (١٤/ ١٦٩).
(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٣/ ٢٠٦).
(٣) وهي قبيلة الذين غدروا بالصحابة القُرَّاء رضي الله عنهم.
(٤) انظر: سيرة ابن هشام (٣/ ٢٠٦).





غزوة بني النَّضير

كانت في ربيع الأوَّلِ من السنة الرابعة للهجرة[(١)].

واختُلِف في سبب هذه الغزوة على النحو التالي:

* السبب الأول: جمع دِيَة القتيلين:

قال ابن إسحاق: ثم خرج رسول الله ﷺ إلى بني النَّضير يستعينُهم في دِيَة ذينك القتيلينِ من بني عامر، اللذين قَتل عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه؛ للجِوار الذي كان رسول الله ﷺ عقد لهما، كما حدَّثني يزيد بن رُومان، وكان بين بني النضير وبين بني عامر عقدٌ وحِلف، فلما أتاهم رسول الله ﷺ يستعينهم في دية ذينك القتيلين، قالوا: نعم يا أبا القاسم، نُعينُك على ما أحببتَ ممَّا استعنتَ بنا عليه، ثم خلا بعضهم ببعض، فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه ـ ورسول الله إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد ـ فمَن رَجُلٌ يعلو على هذا البيت، فَيُلقي عليه صخرة، فيُريحنا منه؟ فانتدب لذلك عمرو بن جِحَاشِ بن كعب، أحدهم، فقال: أَنَّا لذلك، فصعد لِيُلقي عليه صخرة كما قال، ورسول الله ﷺ في نفر من أصحابه؛ فيهم: أبو

---

(١) هذا تاريخها عند ابن إسحاق (٣/ ٢١٠)، وابن سعد في طبقاته (٢/ ٢٧٨)، وهو قول عامة أهل المغازي.

وقال الإمام البخاري في صحيحه: قال الزُّهري عن عروة بن الزبير: كانت على رأس ستة أشهر من وقعة بدر قبل وقعة أُحُد.

وتعقَّبه الإمام ابن القيم في زاد المعاد (٣/ ٢٩١) بقوله: هذا وَهْم منه أو غلط عليه؛ بل الذي لا شك فيه أنها كانت بعد أُحُد، والتي كانت بعد بدر بستة أشهر هي غزوة بني قَينُقاع، وقُرَيظة بعد الخندق، وخيبر بعد الحُديبيَة.

بكر، وعمر وعلي، رضوان الله عليهم، فأتى رسولَ الله ﷺ الخبرُ من السماء بما أراد القوم، فقام وخرج راجعًا إلى المدينة، فلما استلبث النبي ﷺ أصحابُه، قاموا في طلبه، فلَقُوا رجلًا مقبلًا من المدينة، فسألوه عنه، فقال: رأيته داخلًا المدينة، فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ، حتى انتهوا إليه ﷺ، فأخبرهم الخبر بما كانت اليهود أرادت من الغَدْر به، وأمر رسول الله ﷺ بالتهيؤ لحربهم، والسير إليهم(١).

* السبب الثاني: الغدر برسول الله ﷺ وقتله:

روى أبو داود في «سننه»، وعبد الرزاق الصنعاني في «مصنفه» بسند صحيح ـ واللفظ لعبد الرزاق ـ عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، قال: إن كفار قريش كتبوا إلى عبد الله بن أُبَي ابن سلول، ومَن معه يعبد الأوثان من الأوس والخزرج، ورسول الله ﷺ يومئذٍ بالمدينة قبل وقعة بدر، يقولون: إنكم آويتم صاحبنا، وإنكم أكثرُ أهل المدينة عددًا، وإنَّا نُقسِم بالله لَتَقتُلُنَّه أو لتُخرِجُنَّهُ أو لنستعينُ عليكم العرب، ثم لنسيرنَّ إليكم بأجمعنا، حتى نقتُلَ مقاتِلَتَكم، ونستبيحَ نساءَكم، فلما بلغ ذلك عبد الله بن أُبي ومَن معه من عبدة الأوثان، تراسلوا فاجتمعوا، وأجمعوا لقتال النبي ﷺ وأصحابه، فلما بلغ ذلك النبي ﷺ لقيهم في جماعة، فقال: «**لقد بلغ وعيدُ قريش منكم المبالِغَ، ما كانت لِتكيدَكم بأكثَرَ مما تريدون أن تكيدوا به أنفُسَكم! فأنتم هؤلاء تريدون أن تقتلوا أبناءكم وإخوانكم؟**»، فلما سمعوا ذلك من النبي ﷺ تفرَّقوا، فبلغ ذلك كفَّارَ قريش، وكانت وقعةُ بدر، فكتبت كفار قريش بعد وقعة بدر إلى اليهود: إنكم أهلُ الحَلْقَةِ(٢) والحُصُون، وإنكم لَتُقاتِلُنَّ صاحبنا

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٣/ ٢١٠، ٢١١)، وذكره بنحوه ابن سعد في طبقاته (٢/ ٢٧٨) بدون إسناد، وذكره الألباني في السلسلة الضعيفة (١٠/ القسم الثاني، ٤٦٩) وقال: فاتفاق هؤلاء الرواة على إرسال الحديث وسَوْقُه بغير إسناد، لدليلٌ واضح على أنه لا يُعرَف إسناده عندهم، وإلا لساقوه.

(٢) **الحَلْقة**، بسكون اللام: السلاح عامًّا. انظر: النهاية (١/ ٤١٠).

أو لنفعلَنَّ كذا وكذا، ولا يحول بيننا وبين خَدَمِ نسائِكم شيءٌ، فلما بلغ كتابُهم اليهودَ أجمعت بنو النضير على الغدْرِ، فأرسلت إلى النبي ﷺ: اخرُجْ إلينا في ثلاثين رجُلًا من أصحابك، ولنَخرُج في ثلاثين حَبْرًا[(١)]، حتى نلتقيَ بمكان كذا ـ نَصَف بيننا وبينكم ـ [(٢)] فيسمعوا منك، فإن صَدَّقوك وآمنوا بك آمَنَّا كلنا، فخرج رسول الله ﷺ في ثلاثين من أصحابه، وخرج إليه ثلاثون حَبْرًا من يهود، حتى إذا برزوا في بَرازٍ[(٣)] من الأرض، قال بعض اليهود لبعض: كيف تَخلُصون[(٤)] إليه، ومعه ثلاثون رجلًا من أصحابه، كلهم يُحب أن يموت دونه، فأرسَلوا إليه: كيف تفهم ونفهم، ونحن ستون رجلًا؟ اخرُج في ثلاثة من أصحابك، ويخرج إليك ثلاثة من علمائنا، فلْيَسمعوا منك، فإن آمنوا بك آمنَّا كلنا وصدَّقناك، فخرج النبي ﷺ في ثلاثة من أصحابه، واشتملوا[(٥)] على الخناجر، وأرادوا الفَتْكَ[(٦)] برسول الله ﷺ؛ فأرسلت امرأةٌ ناصحة من بني النضير إلى بني أخيها، وهو رجل مسلم من الأنصار؛ فأخبرته خبر ما أراد بنو النضير من الغدر برسول الله ﷺ، فأقبل أخوها سريعًا، حتى أدرك النبي ﷺ، فسارَّه بخبرهم قبل أن يصل النبي ﷺ إليهم، فرجع النبي ﷺ، فلما كان من الغدِ غدا عليهم رسول الله ﷺ بالكتائب؛ فحاصرهم[(٧)].

---

(١) **الأحبار**: هم العلماء: جمع حَبْر، بالفتح والكسر. انظر: النهاية (١/ ٣١٧).

(٢) في رواية أبي داود: بمكان المَنْصَف.
المَنْصَف: أي: الموضع الوسَط بين الموضعين. انظر: النهاية (٥/ ٥٧).

(٣) **البَراز**، بفتح الباء: المكان الفضاء من الأرض، البعيد الواسع. انظر: لسان العرب (١/ ٣٧٣).

(٤) **خَلَصَ**: وصل. انظر: لسان العرب (٤/ ١٧٣).

(٥) **الاشتمال**: افتعال من الشَّملة، وهو كساء يُتغطى به ويُتلفَّف فيه. انظر: النهاية (٢/ ٤٤٨).
والمقصود: أنهم أخفَوا الخناجر تحت الشَّملة.

(٦) **الفَتْك**: أن يأتي الرجل صاحبه وهو غَارٌّ غافل، فيشد عليه فيقتُله. انظر: النهاية (٣/ ٣٦٧).

(٧) أخرجه أبو داود في سننه، رقم الحديث (٣٠٠٤)، وعبد الرزاق الصنعاني في مصنفه، رقم الحديث (٩٧٣٣)، وأورده الحافظ في الفتح (٨/ ٧٠) وصَحَّح إسناده.

* قال الحافظ في «الفتح»: فهذا أقوى مما ذكر ابن إسحاق من أن سبب غزوة بني النضير طلبه ﷺ أن يُعينوه في دِيَة الرجلين، لكن وافق ابنَ إسحاق جُلُّ أهل المغازي، والله أعلم[١].

حصار بني النضير واستسلامهم

سار رسول الله ﷺ في أصحابه إلى بني النضير، واستخلف على المدينة: ابن أم مكتوم رضي الله عنه، فلما رآه يهود بني النضير تحصنوا في حصونهم، فحاصرهم رسول الله ﷺ ستَّ ليال[٢]، وأمر بحرق وبقطع نخيلهم؛ فقد روى الشيخان في «صحيحيهما» عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: حَرَّق رسول الله ﷺ نخل بني النضير وقَطَعَ، وهي البُوَيرةُ[٣]، فنزلت: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ۝٥﴾ [الحشر: ٥][٤].

وروى الإمام الترمذي في «جامعه» بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال في قوله الله عز وجل: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا﴾، قال: اللِّيْنَةُ: النَّخلةُ، ﴿وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ۝٥﴾، قال: استنزلهم من حصونهم، وأُمِروا بقطع النخل[٥].

اشتدَّ الحصار على يهود بني النضير، وأيقنوا أن حصونهم لن تمنعهم

---

(١) انظر: فتح الباري (٨/ ٧٠).

(٢) هذا ما ذكره ابن هشام في السيرة (٣/ ٢١١)، وقال الواقدي في مغازيه (١/ ٣٧٤)، وابن سعد في طبقاته (٢/ ٢٧٨): خمسة عشر يومًا.

(٣) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٢/ ٤٥): **البُويرة**، بضم الباء الموحدة، وهي موضعي النضير.

(٤) والخبر أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٠٣١)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٧٤٦) (٢٩).

(٥) أخرجه الترمذي في جامعه، رقم الحديث (٣٥٨٨).

من الله، وقذف الله ﷻ الرُّعبَ[(١)] في قلوبهم، فعند ذلك صالحوا رسول الله ﷺ على الجلاء[(٢)]، وعلى أن لهم ما أَقَلَّت[(٣)] الإبلُ من الأموال والأمتعة إلا السلاح.

روى الحاكم في «المستدرك» بسند حسن عن عائشة رضي الله عنها، قالت: كانت غزوة بني النضير ـ وهم طائفة من اليهود ـ على رأس ستة أشهر من وقعة بدر[(٤)]، وكان منزلهم ونخلهم بناحية المدينة، فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على الجلاء، وعلى أن لهم ما أقلَّت الإبلُ من الأمتعة والأموال إلا الحَلْقَةَ ـ يعني: السلاح ـ[(٥)].

وروى الشيخان في «صحيحيهما» عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: إن يهود بني النضير وقريظة حاربوا رسول الله ﷺ، فأجلى رسولُ الله ﷺ بني النضير، وأَقَرَّ قريظةَ ومَنَّ عليهم، حتى حاربت قريظةُ بعد ذلك، فقَتَل رجالَهم، وقسَّم نساءَهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين[(٦)].

---

(١) قال الإمام القرطبي في تفسيره (٢٠/ ٣٣٦): وفي الصحيح: أن النبي ﷺ قال: «**نُصِرْتُ بالرعب بين يَدَيَّ مسيرةَ شهر**»، فكيف لا يُنصَرُ به مسيرةَ ميل من المدينة إلى مَحلَّة بني النضير؟! وهذه خصيصة لمحمد ﷺ دون غيره.

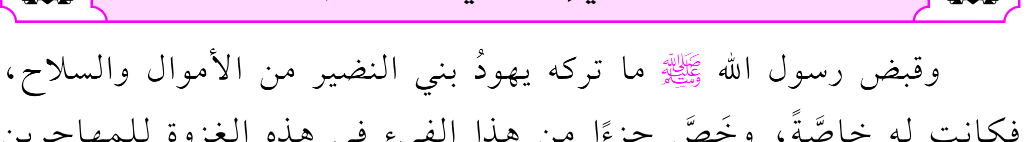
(٢) قال الإمام القرطبي في تفسيره (٢٠/ ٣٣٩): **الجَلاءُ**: مفارقة الوطن... والفرق بين الجلاء والإخراج، وإن كان معناهما واحدًا، من وجهين:
أحدهما: أن الجلاء ما كان مع الأهل والولد، والإخراج: قد يكون مع بقاء الأهل والولد.
الثاني: أن الجلاء لا يكون إلا لجماعة، والإخراج يكون لواحد ولجماعة.

(٣) **أَقَلَّ الشيء واستقلَّه**: إذا رفعه وحمله. انظر: النهاية (٤/ ٩١).

(٤) تقدم أن هذا أيضًا قول عروة بن الزبير، فيما علقه عنه الإمام البخاري في صحيحه، ويظهر أن عروة أخذ ذلك من خالته عائشة رضي الله عنها، والذي أجمع عليه أهل المغازي أنها وقعت في ربيع الأول من السنة الرابعة للهجرة.

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٣٨٣٩).

(٦) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٠٢٨)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٧٦٦).



أولُ فَيءٍ[1] في الإسلام

وقبض رسول الله ﷺ ما تركه يهودُ بني النضير من الأموال والسلاح، فكانت له خاصَّةً، وخَصَّ جزءًا من هذا الفيء في هذه الغزوة للمهاجرين خاصَّةً؛ لفَقْرِهم، وجعل باقيها له ﷺ.

قال الإمام ابن القيم: وكانت[2] بنو النضير خالصة لرسول الله ﷺ لنوائبه ومصالح المسلمين، ولم يُخَمِّسْها؛ لأن الله ﷻ أفاءها عليه ولم يُوجِفِ[3] المسلمون عليها بِخَيلٍ ولا رِكابٍ[4].

وروى الشيخان في «صحيحيهما» عن عمر رضي الله عنه، قال: كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله ﷺ، ممَّا لم يُوجفِ المسلمون عليه بِخَيلٍ ولا رِكابٍ، فكانت لرسول الله ﷺ خاصة[5].

وروى الشيخان في «صحيحيهما» عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: كان الرجل يجعل للنبي ﷺ النَّخلات، حتى افتتح قريظة والنضير، فكان بعد ذلك يردُّ عليهم[6].

وروى أبو داود في «سننه» بسند صحيح عن رجل من أصحاب

---

(١) **الفَيء**: ما حصل للمسلمين من أموال الكفار من غير حرب ولا جهاد. انظر: النهاية (٣/ ٤٣٤).

(٢) يعني: أموال.

(٣) قال ابن قُرقُول في مطالع الأنوار (٦/ ١٧٩): لم يُوجف: أي: لم يُؤخَذ بغَلَبة جيش، وأصله من الإيجاف في السير، وهو الإسراع.

(٤) انظر: زاد المعاد (٣/ ١٥٢).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٢٩٠٤)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٧٥٧) (٤٨).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٠٣٠)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٧٧١) (٧١).

النبي ﷺ، قال: كان نخل بني النضير لرسول الله ﷺ خاصَّةً، أعطاه الله إياه وخَصَّه بها، فقال: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ﴾ [الحشر: ٦]، يقول: بغير قتال، فأعطى النبي ﷺ أكثرها للمهاجرين، وقَسَمها بينهم، وقسَم منها لرجلين من الأنصار[١] كانا ذَوَيْ حاجةٍ، لم يَقسِم لأحد من الأنصار غيرهما، وبقي منها صدقةُ رسول الله ﷺ التي في أيدي بني فاطمة رضي الله عنها[٢].

نزول سورة الحشر[٣]

قال ابن إسحاق: ونزل في بني النضير سورةُ الحشر بأسْرِها[٤].

وروى الإمام البخاري في «صحيحه» عن سعيد بن جُبير، قال: قلت لابن عباس رضي الله عنهما: سورة الحشر. قال: نزلت في بني النضير[٥].

وفي لفظ آخر في «صحيح البخاري»، قال سعيد بن جُبير: قلت لابن عباس رضي الله عنهما: سورة الحشر. قال: قل: سورة النضير[٦].

قال الحافظ في «الفتح»: كأنه كره تسميتها بالحشر؛ لئلا يُظَنَّ أن المراد يوم القيامة، وإنما المراد به هنا إخراج بني النضير[٧].

---

(١) سماهما ابن إسحاق في السيرة (٣/ ٢١٣): سهل بن حُنيف، وأبو دُجانة سِمَاك بن خَرَشَة رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، رقم الحديث (٣٠٠٤).

(٣) قال الإمام القرطبي في تفسيره (٢٠/ ٣٣٣): مدنية في قول الجميع، وهي أربع وعشرون آية.

(٤) انظر: سيرة ابن هشام (٣/ ٢١٤).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٨٨٢).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٨٨٣).

(٧) انظر: فتح الباري (٩/ ٦١٨).



غزوة بدر الآخرة[١]

وقعت غزوة بدر الأخرى في شعبان من السنة الرابعة للهجرة[٢].

واعد أبو سفيان عند انصرافه من غزوة أُحُد رسولَ الله ﷺ على القتال في العام القابل من أُحُد في بدر، فلما كان في شعبان من العام القابل ـ سنة أربع للهجرة ـ خرج رسول الله لموعده ﷺ في ألف وخمسمائة، حتى انتهى إلى بدر، فأقام بها ثمانية أيام ينتظر المشركين، وخرج أبو سفيان من مكة ومعه ألفان، فلما انتهى إلى مَرِّ الظهران، قال لمن معه: إنَّ العامَ عامُ جَدْب[٣]، وقد رأيتُ أن أرجع بكم، فانصَرفوا راجعين وأخلفوا الموعد، ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة النبوية، وقد سمع الناسُ بمسيره[٤].

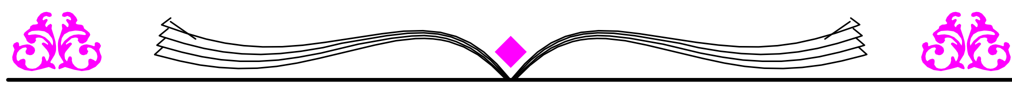


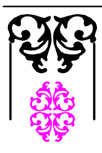
(١) وتُسمى بدرًا الصغرى؛ لعدم وقوع قتال فيها، وتُسمَّى أيضًا بدر المَوعِد؛ لمواعدة أبي سفيان يوم أُحُد على اللقاء في بدر من العام القابل، وتُسمى بدرًا الثالثة.

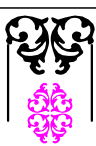
(٢) هذا تاريخها عند ابن إسحاق (٣/ ٢٣١)، وعند ابن سعد في طبقاته (٢/ ٢٧٩): أنها كانت في ذي القعدة من نفس السنة.
قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٤/ ٤٧١): والصحيح قول ابن إسحاق؛ أن ذلك في شعبان من هذه السنة الرابعة، ووافق قول موسى بن عُقبة أنها في شعبان، لكن قال: في سنة ثلاث، وهذا وَهْمٌ؛ فإن هذه تواعدوا إليها من أُحُد، وكانت أُحُد في شوال سنة ثلاث.

(٣) **الجَدْب**: القحْط. انظر: النهاية (١/ ٢٣٥).

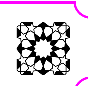
(٤) انظر: سيرة ابن هشام (٢٣١)، والطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٢٧٩).





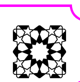


السنة الخامسة للهجرة



غزوة الخندق[١] أو الأحزاب[٢]

وقعت في شوال من السنة الخامسة للهجرة[٣].



سبب هذه الغزوة

كان سبب هذه الغزوة: أن نفرًا من أشراف يهود بني النضير الذين أجلاهم رسول الله ﷺ من المدينة واستقروا في خيبر؛ منهم: سلَّام بن أبي الحُقَيق النَّضري، وحُيَيُّ بن أخطب، وكِنانة بن أبي الحُقيق النضري،

---

(١) قال الحافظ في الفتح (٨/١٤٨): فأما تسميتها الخندق؛ فلأجل الخندق الذي حُفِر حول المدينة بأمر النبي ﷺ، وكان الذي أشار بذلك سلمان رضي الله عنه، فيما ذكر أصحاب المغازي.
وقال الإمام السهيلي في الروض الأُنُف (٣/٤١٦): وحَفْرُ الخندق لم يكن من عادة العرب، ولكنه من مكايد الفُرسِ وحروبها.

(٢) قال الحافظ في الفتح (٨/١٤٨): وأما تسميتها الأحزاب؛ فلاجتماع طوائف من المشركين على حرب المسلمين، وهم قريش وغَطَفان واليهود ومَن تبعهم.

(٣) هذا قول ابن إسحاق في السيرة (٣/٢٣٦)، وتبعه على ذلك الجمهور.
قال الحافظ ابن كثير في الفصول، ص (١٥٤): كانت في سنة خمس في شوالها، على الصحيح من قولَيْ أهل المغازي.
وقال في البداية والنهاية (٤/٤٧٦): والصحيح قول الجمهور؛ أن الخندق في شوال سنة خمس من الهجرة. والله أعلم.
وقال الإمام ابن القيم في زاد المعاد (٣/٣١٥): فصْلٌ في غزوة الخندق، وكانت في سنة خمس من الهجرة في شوال، على أصح القولينِ.

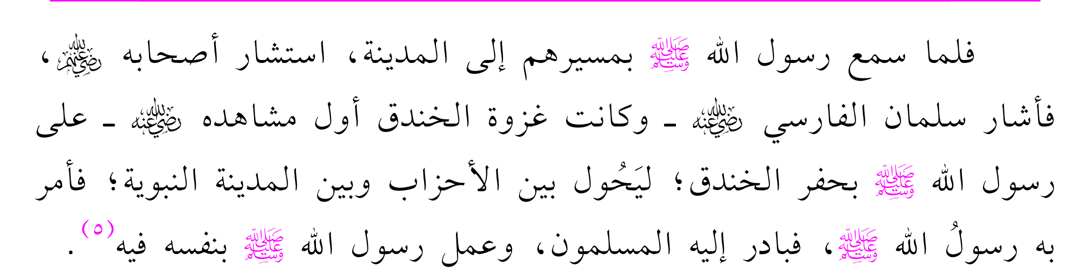
وسَلَّام بن مِشْكَم، وكنانة بن الربيع، خرجوا إلى مكة واجتمعوا بأشراف قريش، وألَّبُوهم[١] على حرب رسول الله ﷺ ووعدوهم من أنفسهم النصر والإعانة، فأجابوهم إلى ذلك، ثم خرجوا إلى غَطَفان، فاستجابوا لهم أيضًا، وخرجت قريش في أحابيشها[٢] ومَن تابعها، ووافتهم بنو سليم بمَرِّ الظهران، وخرجت بنو أسد، وفزارة، وأشجع، وبنو مُرَّة[٣].



عدد جيش الأحزاب وخروجهم

تجمَّع عشرة آلاف من الأحزاب، وقائدهم أبو سفيان صخر بن حرب، وتوجَّهوا نحو المدينة النبوية على غير ميعاد كانوا قد تعاهدوا عليه[٤].

مشاورة النبي ﷺ أصحابَه وحَفْرُ الخندق



فلما سمع رسول الله ﷺ بمسيرهم إلى المدينة، استشار أصحابه رضي الله عنهم، فأشار سلمان الفارسي رضي الله عنه - وكانت غزوة الخندق أول مشاهده رضي الله عنه - على رسول الله ﷺ بحفر الخندق؛ ليَحُول بين الأحزاب وبين المدينة النبوية؛ فأمر به رسولُ الله ﷺ، فبادر إليه المسلمون، وعمل رسول الله ﷺ بنفسه فيه[٥].

قال الحافظ ابن كثير: وكانت في حَفْرِه آياتٌ مُفَصَّلة يطول شرحها، وأعلامُ نُبوَّة قد تواتر خبَرُها[٦].

---

(١) **التأليب**: التحريض. انظر: لسان العرب (١/ ١٧٧).

(٢) قال ابن الأثير في جامع الأصول (٨/ ٣٠٦): **الأحابيش**: الجماعات المجتمعة من قبائل شتى متفرقة.

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (٣/ ٢٣٧)، دلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٣٩٨) وما بعدها.

(٤) انظر: سيرة ابن هشام (٣/ ٢٣٨).

(٥) انظر: سيرة ابن هشام (٣/ ٢٣٨).

(٦) انظر: الفصول في سيرة الرسول، ص (١٥٦).

وروى الإمام البخاري في «صحيحه» عن أنس ﷺ، قال: خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق، فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداةٍ[(١)] باردة، فلم يكن لهم عبيدٌ يعملون ذلك لهم، فلما رأى ما بهم مِن النَّصَب[(٢)] والجوع، قال:

«اللَّهُمَّ إن العيشَ عيشُ الآخِرَهْ
فاغفِرْ للأنصار والمُهاجِرَهْ»

فقالوا مجيبين له:

نحن الذين بايعوا محمَّدَا   على الجِهاد ما بقينا أبدَا[(٣)]

وروى الشيخان في «صحيحيهما» عن البراء بن عازب ﷺ، قال: لما كان يوم الأحزاب، وخندق رسولُ الله ﷺ، رأيتُه ينقل من تراب الخندق حتى وارى[(٤)] عني الترابُ جِلدةَ بطنِه[(٥)]، وكان كثيرَ الشَّعر، فسمعته يرتجز بكلمات ابن رَواحة، وهو ينقل من التراب، يقول:

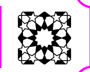
«اللَّهُمَّ لولا أنت ما اهتدينا
ولا تصدَّقنا ولا صلَّينا
فأنزِلَنْ سكينةً علينا
وثَبِّتِ الأقدامَ إن لاقَيْنا
إن الأُلى[(٦)] قد بَغَوا علينا

(١) **الغَداة:** ما بين الفجر وطلوع الشمس. انظر: المعجم الوسيط (٢/ ٦٤٦).
(٢) **النَّصَب**: التَّعَب. انظر: النهاية (٥/ ٥٣).
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٠٩٩)، ومسلم في صحيحه مختصرًا، رقم الحديث (١٨٠٥) (١٣٠).
(٤) **وَرَيت الشيء وواريتُه**: أخفيته. انظر: لسان العرب (١٥/ ٢٨٣).
(٥) في رواية أخرى في صحيح البخاري، رقم الحديث (٢٨٣٧)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٨٠٣): بياضُ بطنِه.
(٦) قال ابن قُرقول في مطالع الأنوار (١/ ٢٦١): **الأُلى**، بقصر الهمزة، ومعناه: الذين.

وإن أرادوا فـــتـــنـــةً أَبَـــيـــنـــا»[(١)]

قال الإمام القرطبي: عمل المسلمون في الخندق مجتهدين، ونكص المنافقون، وجعلوا يتسلَّلون لِواذًا[(٢)]، فنزلت فيهم آياتٌ من القرآن، ذكرها ابن إسحاق[(٣)] وغيره، وكان مَن فرغ من المسلمين من حصَّته عاد إلى غيره، حتى كَمَلَ الخندق، وكانت فيه آيات بيِّنات وعلامات للنبُوَّات[(٤)].

شدة الجوع والبرد الذي أصابهم



واصل الصحابة ﷺ حَفْرَ الخندق، وكانوا يُقاسون وهم يَحفِرون الخندق، شِدَّةَ الجوع، والجَهْد الشديد؛ فقد روى الإمام أحمد في «مسنده» بسند صحيح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: لما حفر النبي ﷺ وأصحابه الخندق أصابهم جَهْدٌ شديد، حتى ربط النبي ﷺ على بطنه حجرًا؛ من الجوع[(٥)].

وروى الإمام البخاري في «صحيحه» عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: إنَّا يوم الخندق نحفِر فعَرضَت كُدْيةٌ[(٦)] شديدة، فجاؤوا النبيَّ ﷺ، فقالوا: هذه كُدْية عرضت في الخندق، فقال: «**أنا نازل**»، ثم قام وبطنُه معصوب بحجر[(٧)]،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤١٠٦)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٨٠٣).

(٢) **لِواذًا**: أي: مُستخْفِين ومُستَترين. انظر: النهاية (٤/ ٢٣٧).

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (٣/ ٢٧٠) وما بعدها.

(٤) انظر: تفسير القرطبي (١٧/ ٧٢).

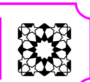
(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٤٢٢٠).

(٦) **كُدْية**، بضم الكاف، وسكون الدال: قطعة غليظة صُلبة لا تعمل فيها الفأس. انظر: النهاية (٤/ ١٣٦).

(٧) قال الإمام ابن القيم في عدة الصابرين، ص (٣٧٩): وهل ذلك إلا من أعظَمِ شواهد =

ولبثنا ثلاثةَ أيام لا نذوق ذَواقًا، فأخذ النبي ﷺ المِعْوَلَ[١]، فضرب في الكُدْية، فعاد كَثيبًا[٢] أَهْيَلَ[٣] أو أَهْيَمَ[٤].

وروى الإمام ابن جرير الطبري في «تفسيره» بسند صحيح عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: أرسلني خالي عثمان بن مظعون[٥] ليلة الخندق في برد شديد وريح، إلى المدينة، فقال: ائتنا بطعام ولحاف، قال: فاستأذنتُ رسول الله ﷺ، فأَذِنَ لي[٦].



الانتهاء من حفر الخندق

انتهى الصحابة رضي الله عنهم من حفر الخندق قبل وصول الأحزاب.

= صِدْقِه؟ فإنه لو كان كما يقول أعداؤه وأعداء ربه: إنه مَلِك طالب مُلكٍ ودنيا، لكان عَيشُه عَيشَ الملوك، وسيرتُه سيرتَهم، ولقد توفاه الله وإنَّ دِرعَه مرهونةٌ عند يهودي على طعام أخذه لأهله! وقد فتح الله عليه بلاد العرب وجُبِيت إليه الأموال، ومات ولم يترك درهمًا واحدًا ولا دينارًا ولا شاة ولا بعيرًا ولا عبدًا ولا أَمة.

(١) **المِعْوَل**: الفأس. انظر: لسان العرب (٩/ ٤٨٢).

(٢) **الكَثيبُ**: الرمل. انظر: النهاية (٤/ ١٣٢).

(٣) **أَهْيَل**: أي: رملًا سائلًا. انظر: النهاية (٥/ ٢٤٩).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤١٠١).

(٥) كذا وقع في هذا الخبر عثمان بن مظعون، ولا شك أنه وَهْمٌ؛ لأن عثمان بن مظعون رضي الله عنه مات بعد غزوة بدر الكبرى مباشرة، وذلك في السنة الثانية للهجرة، ودُفِنَ بالبقيع، وهو أول مَن دُفِنَ بالبقيع من المهاجرين، فكيف يشهد الخندق؟!
قال ابن سيد الناس في عيون الأثر (٢/ ٨٦): كذا وقع في هذا الخبر: عثمان بن مظعون، وعثمان بن مظعون تُوفي قبل هذا، وإخوة عثمان: قُدامة، والسائب، وعبد الله، تأخروا، وقُدامة مذكور فيمن شهد الخندق، وهم أخوال عبد الله بن عمر رضي الله عنهم.

(٦) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٠/ ٢٦٣)، وأورده الحافظ ابن كثير في تفسيره (٦/ ٣٨٥)، والحافظ في الفتح (٨/ ١٦١) وصحح الحافظ إسناده في الفتح، ولم يُنبه أحد منهم على هذا الإشكال.

قال الإمام ابن القيم: وكان حَفْرُ الخندق أمام سَلْعٍ، وجَبَلُ سَلْعٍ خلف ظهور المسلمين، والخندق بينهم وبين الكفار[(١)].

وخرج رسول الله ﷺ في ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب هناك عسكره، فتحصَّن بالجبل مِن خَلْفِه، وبالخندق أمامه، وأمر رسول الله ﷺ بالنساء والذراري، فجُعِلوا في آطامِ المدينة[(٢)]، وكان شعار المسلمين يومئذ: حم لا يُنصَرون؛ فقد روى الإمام الترمذي، وأبو داود بسند صحيح ـ واللفظ لأبي داود ـ عن المهلَّب بن أبي صُفرة، قال: أخبرني مَن سمع النبي ﷺ[(٣)] يقول: «**إن بُيِّتُّم**[(٤)] **فليكن شِعارُكم**[(٥)]: **حم لا يُنصَرون**»[(٦)].

وقال ابن إسحاق: كان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم الخندق وبني قريظة: حم لا يُنصرون[(٧)].

---

(١) انظر: زاد المعاد (٣/ ٣١٧).

(٢) **آطام المدينة**: يعني: أبنيتها المرتفعة كالحصون. انظر: النهاية (١/ ٥٧).
والخبر في سيرة ابن هشام (٣/ ٢٤٣).

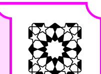
(٣) زاد النسائي في السنن الكبرى، رقم الحديث (٨٨١٠) (١٠٣٧٨): ليلة الخندق.

(٤) في رواية الترمذي: إنْ بَيَّتَكم العدوُّ.
بَيَّتكم: أي: أصابوكم ليلًا، وتبييت العدو: هو أن يُقصَد في الليل من غير أن يَعلَم، فيُؤخَذ بغتةً. انظر: النهاية (١/ ١٦٧).

(٥) قال السندي في شرحه للمسند (٩/ ٤٣٤): أي: علامتكم التي تتميزون أنتم فيما بينكم بها من عدوكم.

(٦) قال السندي في شرحه للمسند (٩/ ٤٣٤): قوله ﷺ: «**حم لا يُنصرون**»: فإنه مع كونه علامة، دعاءٌ عليهم أيضًا.
والحديث أخرجه الترمذي في جامعه، رقم الحديث (١٧٧٧)، وأبو داود في سننه، رقم الحديث (٢٥٩٦)، وأورده الحافظ ابن كثير في تفسيره (٧/ ١٢٧) وقال: إسناده صحيح.

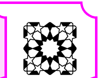
(٧) انظر: سيرة ابن هشام (٣/ ٢٤٩).



قدوم الأحزاب ودهشتهم من الخندق

وصل الأحزاب إلى أطراف المدينة النبوية، وإذا بهم يتفاجؤون بالخندق، فنزلت قريش بمجمع الأسيال من رُومة، بين الجُرُف وزُغابة، وأقبلت غَطَفان حتى نزلوا بذَنب نَقْمَى إلى جانب أُحُد، ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ [الأحزاب: ٢٢].

قال الحافظ ابن كثير: أي: هذا ما وعدنا الله ورسوله من الابتلاء والاختبار والامتحان الذي يعقبه النصر القريب؛ ولهذا قال: ﴿وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ﴾[1].



نقض بني قريظة العهد

وكانت حصون بني قريظة ـ وهم طائفة من اليهود ـ شرقيَّ المدينة، ولهم عهد من رسول الله ﷺ وذمة، وهم قريب من أربعمائة مقاتل، وقيل: سبعمائة، فذهب إليهم عدو الله حُيَيُّ بن أخطَبَ النَّضْري.

وصل حُيي بن أخطب إلى ديار بني قريظة، وطرق على كعب بن أسد ـ سيد بني قريظة ـ الباب، فلم يأذن له وأبى أن يُقابله، فناداه حُيَيٌّ: ويحك يا كعب، افتح لي، فقال: ويحك يا حُيَيُّ، إنك امرؤ مشؤوم، وإني قد عاهدتُ محمدًا، فلستُ بناقض ما بيني وبينه، ولم أرَ منه إلا وفاءً وصِدقًا، فما زال حُيَيٌّ يُكلمه حتى فتح له كعب بابه، فقال حُيي: جئتك بعز الدهر وببحر طامٍ[2]: جئتك بقريش على قادتها وسادتها، حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٣٩٢).

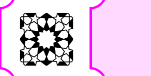
(٢) **طَمَا البحر**: ارتفع بأمواجه. انظر: النهاية (٣/ ١٢٦).

رُومة، وغَطَفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذَنَب نَقْمى إلى أُحُد، قد عاهدوني وعاقدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمدًا ومَن معه.

فقال له كعب: جئتني ـ والله ـ بذُلِّ الدهر، وبجَهام[١] قد هراق ماءَه، فهو يُرْعِد ويُبرِق، ليس فيه شيء، ويحك يا حُيي! فدعني وما أنا عليه؛ فإني لم أرَ من محمد إلا صدقًا ووفاءً.

فلم يزل حُيي بكعب يَفْتِلَهُ في الذِّروة والغاربِ[٢]، حتى سمح له على أن أعطاه عهدًا من الله وميثاقًا: لئن رجَعَت قريش وغَطَفان، ولم يُصيبوا محمدًا، أن أدخل معك في حِصنك حتى يُصيبني ما أصابك، فنقض كعبُ بن أسد عهده، وبرئَ مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ[٣]!

بَعْثُ النبي ﷺ الزبير رضي الله عنه لبني قُرَيظة



لم يكن رسول الله ﷺ غافلًا عن تحركات بني قريظة، فبعث الزُّبَير بن العَوَّام رضي الله عنه، ليتأكد من خبر بني قريظة؛ فقد روى الشيخان في «صحيحيهما» عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما، قال: كنتُ يوم الأحزاب[٤] جُعِلْتُ[٥] أنا وعمر بن أبي سلمة[٦] في النساء، فنظرتُ فإذا أنا بالزبير على فرسه يختلف[٧] إلى بني

(١) الجَهَام، بفتح الجيم: السحاب الذي أفرغ ماءه. انظر: النهاية (١/ ٣١١).

(٢) **الغارب**: مُقدَّم السِّنان، وهو الرمح، **والذِّروة**: أعلاه، أراد أنه ما زال يُخادعه ويتلطف حتى أجابه. انظر: النهاية (٣/ ٣١٥).

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (٣/ ٢٤٤).

(٤) في رواية الإمام مسلم: الخندق.

(٥) كان عُمْرُ عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما يوم الخندق خمس سنين؛ لأنه وُلِدَ في السنة الأولى للهجرة.

(٦) عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما ربيب النبي ﷺ، وابن أم سلمة زوج النبي ﷺ، وهو الذي كانت يده تطيش في الصحفة، فقال له رسول الله ﷺ: «**يا غلام، سَمِّ الله، وكُلْ بيمينك، وكل مما يليك**»، رواه البخاري، رقم الحديث (٥٣٧٦)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٠٢٢) (١٠٨).

(٧) **اختلف إلى المكان**: تردد. انظر: المعجم الوسيط (١/ ٢٥١).

قريظة مرتين أو ثلاثًا، فلما رجعتُ قلت: يا أبتِ رأيتك تختلف، قال: أَوَهل رأيتَني يا بُني؟ قلت: نعم، قال: كان رسول الله ﷺ قال: «**مَن يأتِ بني قريظة فيأتيني بخبرهم؟**» فانطلقت، فلما رجعتُ جمع لي رسول الله ﷺ أبويه، فقال: «**فداك أبي وأمي!**»(١).

وفي لفظ آخر في «الصحيحين» عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب(٢): «**مَن يأتينا بخبر القوم؟**»

فقال الزبير رضي الله عنه: أنا، ثم قال رسول الله ﷺ: «**مَن يأتينا بخبر القوم؟**» فقال الزبير رضي الله عنه: أنا، ثم قال رسول الله ﷺ: «**مَن يأتينا بخبر القوم؟**» فقال الزبير رضي الله عنه: أنا، ثم قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ لكلِّ نبيٍّ حواريًّا**(٣)**، وإن حوارِيَّ الزُّبَيرُ**»(٤).

قال الحافظ في «الفتح»: فقصة الزبير رضي الله عنه كانت لكشف خبر بني قريظة: هل نقضوا العهد بينهم وبين المسلمين، ووافقوا قريشًا على محاربة المسلمين(٥).

بَعْثُ السَّعْدَينِ رضي الله عنهما لبني قُرَيظة

ثم بعث رسول الله ﷺ سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة، ومعهما

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٧٢٠)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٤١٦).

(٢) في رواية الإمام مسلم: الخندق.

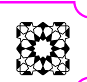
(٣) **الحواريُّ**: أي: خاصَّتي من أصحابي، وناصري. انظر: النهاية (١/ ٤٤٠).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٢٨٤٦) (٢٨٤٧) (٤١١٣)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٤١٥).

(٥) انظر: فتح الباري (٨/ ١٦٦).

عبد الله بن رواحة، وخَوَّات بن جُبير رضي الله عنهم، إلى بني قريظة؛ ليتأكَّدوا من خبر التزامهم بالعهد مع رسول الله ﷺ، أم أنهم نقضوا العهد، وقال رسول الله ﷺ لهم: «**انطلقوا حتى تنظروا: أحقٌّ ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا؟ فإن كان حَقًّا فألحِنوا لي لَحْنًا**(١) **أعرفه، ولا تَفُتُّوا**(٢) **في أعضاد الناس، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس**».

فخرجوا حتى أتوهم، فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم، وجاهروهم بالسَّبِّ والعدوان، ونالوا من رسول الله ﷺ، وقالوا: لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد، فانصرفوا عنهم، ثم أقبلوا إلى رسول الله ﷺ، وقالوا: عَضَل والقارَة(٣)، فقال رسول الله ﷺ: «**الله أكبر، أبشروا يا معشر المسلمين!**»(٤).



اشتداد الخوف وظهور النفاق

وعلى الرغم من إخفاء حقيقة نقض بني قريظة العهد فإنَّ الخبر انتشر بين الناس، فعَظُم الخَطْبُ، وضاق الحال، واشتد الخوف، وخِيفَ على الذراريِّ والنساء، فلم يكن يحول بين المسلمين وبين بني قريظة شيء يمنعهم من الإغارة عليهم، والأحزاب بجيشهم العرمرم أمامهم، وصار حالهم كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ(٥) وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠

---

(١) بمعنى: أشِيرا إليَّ ولا تُفصِحا، وعَرِّضا بما رأيتُما، أمَرَهما بذلك؛ لأنهما ربما أخبرا عن العدو ببأسٍ وقوة، فأحَبَّ ألا يقِفَ عليه المسلمون. انظر: النهاية (٤/ ٢٠٨).

(٢) يُقال: **كَلَّمه بشيء ففتَّ في ساعده**: أي: أضعفه وأوهنه. انظر: لسان العرب (١٠/ ١٧٠).

(٣) أي: كغَدْرِ عَضَل والقارة بأصحابِ الرجيع.

(٤) انظر: سيرة ابن هشام (٣/ ٢٤٥).

(٥) قال الإمام القرطبي في تفسيره (١٧/ ٩١): أي: شخصت، فلم تلتفت إلا إلى عدوِّها دَهَشًا من فَرْط الهَوْل.

﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾ [الأحزاب: ١٠، ١١].

وروى الإمام أحمد في «مسنده» وابن إسحاق في «السيرة» بسند حسن عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، قال: والله لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ بالخندق... فقال رسول الله: «**مَن رجلٌ يقوم فينظر لنا ما فعل القومُ ثم يرجع؟**» - يشرط له رسول الله ﷺ الرجعة - «**أسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة**»، فما قام رجل من القوم؛ من شدة الخوف، وشدة الجوع، وشدة الرِّيح[1].

ونَجَم[2] النفاق، وتكلم الذين في قلوبهم مرض بما في نفوسهم؛ قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ[3] مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾[4] وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ[5] فَٱرْجِعُوا۟[6] وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ[7] إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾ [الأحزاب: ١٢، ١٣].

قال الحافظ ابن كثير: أما المنافق فنجَمَ نفاقُه، والذي في قلبه شُبهةٌ أو حَسيكةٌ[8]، ضَعُف حاله، فتنفس بما يجده من الوسواس في نفسه؛ لضعف إيمانه، وشدة ما هو فيه من ضيق الحال[9].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٣٣٣٤)، وابن إسحاق في السيرة (٣/ ٢٥٥).

(٢) **نَجَم**: ظَهَر. انظر: النهاية (٥/ ٢٠).

(٣) قال الإمام القرطبي في تفسيره (١٧/ ٩٦): أي: شَكٌّ ونفاقٌ.

(٤) قال الإمام القرطبي في تفسيره (١٧/ ٩٦): أي: باطلًا من القول.

(٥) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٦/ ٣٨٩): أي: هاهنا، يعنون عند النبي ﷺ في مقام المرابطة.

(٦) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٦/ ٣٨٩): أي: إلى بيوتكم ومنازلكم.

(٧) قال الإمام القرطبي في تفسيره (١٧/ ٩٧): أي: سائبة ضائعة ليست بحصينة، وهي مما يلي العدوَّ.

(٨) **حسيكة**: أي: عداوة وحقد. انظر: النهاية (١/ ٣٧١).

(٩) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣٨٨، ٣٨٩).

سعي النبي ﷺ إلى مصالحة غَطَفان

فلما اشتدَّ البلاء على المسلمين، وطال عليهم هذا الحال، بعث رسول الله ﷺ إلى عُيَينة بن حِصن، وإلى الحارث بن عوف المُرِّي ـ وهما قائدا غَطَفان ـ وصالحهما على ثُلُث ثمار المدينة على أن يَرْجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه، فقَبِلا وجرت المُراوضة(١) على ذلك، فاستشار رسول الله ﷺ السَّعدينِ؛ سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة(٢) رضي الله عنهما في ذلك، فقالا: يا رسول الله، إن كان الله أمرك بهذا فَسَمْعًا وطاعة، وإن كان شيئًا تصنعُه لنا، فلا حاجة لنا به، فلقد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان، وهم لا يَطمعُون أن يأكلوا منها ثمرةً إلا قِرًى(٣) أو بَيعًا، أفحينَ أكرَمَنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزَّنا بك وبه، نُعطيهم أموالنا؟! وَاللهِ لا نُعطيهم إلا السيف حتى يحكُمَ الله بيننا وبينهم! فقال رسول الله ﷺ: «**فأنت وذاك، ولم يتم الأمر**»(٤).

قال الحافظ ابن كثير: وصَوَّب رسولُ الله ﷺ رأيهما رضي الله عنهما، ولم يفعل من ذلك شيئًا(٥).

إصابة سعد بن معاذ رضي الله عنه



استمرَّت المناوشات بين المسلمين والكفار، فرمى حِبَّان بن العَرِقة

---

(١) **المراوضة**: هو أن تُواصِفَ الرجل بالسلعة ليست عندك. انظر: النهاية (٢/ ٢٥١).

(٢) السبب في استشارة رسول الله ﷺ سعد بن معاذ وسعد بن عبادة رضي الله عنهما؛ لأنهما سيدا الأنصار، الأوس والخزرج، وهم أصحاب المزارع والعقار في المدينة النبوية.

(٣) **قَرَى الضيفَ**: أضافَه. انظر: لسان العرب (١١/ ١٤٩).

(٤) انظر: سيرة ابن هشام (٣/ ٢٤٦).

(٥) انظر: الفصول في سيرة الرسول، ص (١٥٩).

بسهم، فأصاب سعد بن معاذ رضي الله عنه بأَكْحَلِه[١].

روى الإمام أحمد في «مسنده» وابن حبان في «صحيحه» بسند حسن عن عائشة رضي الله عنها، قالت: خرجتُ يومَ الخندق أقفو آثار الناس، فسمعتُ وئيد الأرض[٢] ورائي - يعني: حِسَّ الأرض - فالتفتُّ، فإذا أنا بسعد بن معاذ رضي الله عنه، ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس، يحمل مِجَنَّة[٣]، قالت: فجلستُ على الأرض، فمر سعد وعليه درع من حديد، قد خرَجَت منها أطرافه، فأنا أتخوَّف على أطراف سعد، وكان من أعظم الناس وأطولِهم... قالت رضي الله عنها: ورمى سعدًا رجلٌ من المشركين - يُقال له: ابن العَرِقة - بسهم له، فقال له: خذها وأنا ابن العَرِقة، فأصاب أَكْحَلَهُ، فقطعه[٤].

وروى الإمام أحمد في «مسنده» والترمذي في «جامعه» بسند صحيح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: رُمِيَ يوم الأحزاب سعدُ بن معاذ رضي الله عنه، فقطعوا أَكْحَلَه، فحسمه[٥] رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنار؛ فانتفخت يده، فتركه، فنزفه الدمُ، فحسمه أخرى فانتفخت يده، فلما رأى ذلك، قال رضي الله عنه: اللَّهُمَّ لا تُخرِجْ نفْسي حتى تُقِرَّ عيني من بني قُرَيظة، فاستمسَكَ عِرقُه، فما قطر قطرةً حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ[٦].

---

(١) قال الحافظ في الفتح (٨/ ١٧٤): **الأَكْحَل**، بفتح الهمزة والمهملة، بينهما كاف ساكنة: هو عِرق في وسَط الذراع.

(٢) **الوَئيد**: صوت شِدَّة الوطء على الأرض، يُسمع كالدويِّ مِن بُعدٍ. انظر: النهاية (٥/ ١٢٥).

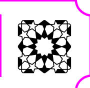
(٣) **المِجَنُّ**: التُّرس. انظر: النهاية (٤/ ٢٥٦).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٥٠٩٧)، وابن حبان في صحيحه، رقم الحديث (٧٠٢٨).

(٥) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٤/ ١٦٤): **حَسَمَهُ**: أي: كواه؛ ليقطع دمه، وأصل الحَسْم: القَطْع.

(٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٤٧٧٣)، والترمذي في جامعه، رقم الحديث (١٦٧٣)، وأخرجه مختصَرًا جدًّا: الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٢٠٨).

ثم أمر رسول الله ﷺ أن يُحمَل سعد بن معاذ ﵁ إلى المسجد ليُطَبَّب فيه، وليعودَه من قريب؛ فقد روى الشيخان في «صحيحيهما» عن عائشة ﵂، قالت: أُصيب سعد يوم الخندق؛ رماه رجل من قريش ـ يُقال له: حِبَّان بن العَرِقة ـ رماه في الأَكْحَلِ، فضرب النبي ﷺ خيمة في المسجد؛ ليعوده من قريب[(١)].



استمرار المناوشات وفوات الصلاة

لما طال المُقام على المشركين، اتَّعَدوا[(٢)] أن يَغدُوا[(٣)] من الغد، فباتوا يُعَبِّئون[(٤)] أصحابهم، وفرَّقوا كتائبهم في كل وجه من الخندق، ووجَّهوا إلى قُبَّة النبي ﷺ كتيبة غليظة، فيها خالد بن الوليد، فتصدى لهم الصحابة ﵃، وقاتلوهم يومهم ذلك إلى هَوِيٍّ[(٥)] من الليل، ما يقدرون أن يزولوا عن موضعهم، ولا صلى رسول الله ﷺ ولا أصحابه صلاة العصر، وفي بعض الروايات صلاة الظهر والعصر والمغرب في وقتها، ثم انصرف المشركون إلى منازلهم وعسكرهم، ولم يكن بعد ذلك اليوم قتال حتى انصرف المشركون، لكنهم لم يكونوا يَدَعون الطلائع[(٦)] بالليل، يطمعون في الغارة[(٧)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤١٢٢)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٧٦٩) (٦٥).

(٢) **اتَّعدوا**: أي: تواعدوا. انظر: لسان العرب (١٥/ ٣٤٢).

(٣) **الغُدوة**: هو سير أول النهار. انظر: النهاية (٣/ ٣١١).

(٤) **عبأتُ الجيشَ**: أي: رتَّبتُهم في مواضعهم وهيَّأتُهم للحرب. انظر: لسان العرب (٩/ ٦).

(٥) **الهَوِيُّ من الليل**: الحين الطويل من الزمان، وقيل: هو مختص بالليل. انظر: النهاية (٥/ ٢٤٥).

(٦) **الطلائع**: هم القوم الذين يُبعَثون؛ ليطَّلِعوا على العدوِّ، كالجواسيس. انظر: لسان العرب (٨/ ١٨٥).

(٧) **الإغارة**: النَّهْب. انظر: لسان العرب (١٠/ ١٤٢). =

وروى الشيخان في «صحيحيهما» عن جابر بن عبد الله ﵄، قال: إن عمر بن الخَطَّاب ﵁ جاء يوم الخندق بعدما غربت الشمسُ، فجعل يَسُبُّ كفار قريش، قال: يا رسول الله ما كدتُ أُصلي العصر حتى كادت الشمس تغرُب! فقال رسول الله ﷺ: «**وَاللهِ ما صليتُها**»، فقمنا إلى بُطحان[(١)]، فتوضَّأَ للصلاة وتوضأنا لها، فصلى العصر بعد ما غربت الشمس، ثم صلى بعدها المغرب[(٢)].

وروى الشيخان في «صحيحيهما» ـ واللفظ لمسلم ـ عن علي بن أبي طالب ﵁، قال: قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب[(٣)]: «**شغلونا عن الصلاة الوسطى؛ صلاة العصر[(٤)]، ملأ اللهُ بيوتهم وقبورهم نارًا**»، ثم صلَّاها بين العشاءَين؛ بين المغرب والعشاء[(٥)].

وروى الإمام أحمد في «مسنده» بسند صحيح على شرط مسلم عن أبي سعيد الخدري ﵁، قال: حُبِسْنا يوم الخندق عن الصلاة حتى كان بعد المغرب بهَوِيٍّ من الليل حتى كُفينا، وذلك قول الله تعالى: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ

= والخبر في الطبقات الكبرى، لابن سعد (٢/ ٢٨٣).

(١) قال الحافظ في الفتح (٢/ ٢٦٧): **بُطْحانُ**، بضم أوله، وسكون ثانيه: وادٍ بالمدينة.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٥٩٦)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٦٣١).

(٣) في رواية الإمام البخاري: يوم الخندق.

(٤) **قلت**: كون صلاة العصر هي الصلاة الوسطى، هو الصحيح الذي عليه أكثر أهل العلم.
قال الإمام الترمذي في جامعه (١/ ٢٢٩): هو قول أكثر العلماء من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم.
وقال الحافظ في الفتح (٩/ ٥٥): كونها العصر هو المعتمد، وبه قال ابن مسعود، وأبو هريرة، وهو الصحيح من مذهب أبي حنيفة، وقول أحمد، والذي صار إليه معظم الشافعية؛ لصحة الحديث فيه.

(٥) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٢٩٣١) (٤١١١) (٤٥٣٣)، ومسلم في صحيحه (٦٢٧) (٢٠٥).

﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ۝٢٥﴾ [الأحزاب: ٢٥]، قال: فدعا رسول الله ﷺ بلالًا، فأقام صلاة الظهر، فصلاها، وأحسَنَ صلاتها، كما كان يُصلِّيها في وقتها، ثم أمره فأقام العصر، فصلاها، وأحسن صلاتها، كما كان يُصليها في وقتها، ثم أمره فأقام المغرب، فصلاها كذلك، قال: وذلكم قبل أن يُنزِلَ الله في صلاة الخوف: ﴿فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًاۖ﴾ [البقرة: ٢٣٩][(١)].

قال الإمام النووي: واعلم أنه وقع في هذا الحديث هنا وفي البخاري أن الصلاة الفائتة كانت صلاة العصر، وظاهره أنه لم يَفُتْ غيرها، وفي المُوَطَّأ أنها الظهر والعصر، وفي غيره أنه أخَّر أربع صلوات: الظهر والعصر والمغرب والعشاء، حتى ذهب هَوِيٌّ من الليل. وطريق الجمع بين هذه الروايات: أن وقعة الخندق بقيت أيامًا، فكان هذا في بعض الأيام، وهذا في بعضها[(٢)].



هزيمة الأحزاب

ثم إن الله ﷻ نصر رسوله ﷺ وعباده المؤمنين بالدعاء والريح والملائكة، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَاۚ[(٣)] وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝٩﴾ [الأحزاب: ٩].

---

(١) الخبر أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١١٤٦٥).

(٢) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (٥/ ١١١)، ومال الحافظ في الفتح (٢/ ٢٦٧) إلى ما ذهب إليه الإمام النووي.

(٣) قال الإمام القرطبي في تفسيره (١٧/ ٧٠): يعني: غزوة الخندق والأحزاب وبني قريظة، وكانت حالًا شديدة مُعْقَبة بنعمة ورخاء وغِبطة، وتضمَّنت أحكامًا كثيرة، وآيات باهرات عزيزة.

قال الحافظ ابن كثير: ثم أرسل الله ﷻ على الأحزاب ريحًا شديدة الهبوب قوية، حتى لم تَبْقَ لهم خيمةٌ ولا شيء، ولا تُوقَد لهم نارٌ، ولم يَقِرَّ لهم قرار حتى ارتحلوا خائبين خاسرين. وقوله تعالى: ﴿وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: ٩]: هم الملائكة، زلزلتهم وألقت في قلوبهم الرُّعبَ والخوف؛ فكان رئيس كل قبيلة يقول: يا بَنِي فلانٍ، إلَيَّ، فيجتمعون إليه، فيقول: النَّجاءَ النَّجاءَ! لما ألقى الله تعالى في قلوبهم من الرعب[(١)].

وروى الإمام أحمد في «مسنده» بسند حسن عن عائشة رضي الله عنها، قالت: وبعث الله ﷻ الريح على المشركين، فكفى الله ﷻ المؤمنين القتال، وكان الله قويًّا عزيزًا[(٢)].

وروى الشيخان في «صحيحيهما» عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**نُصِرتُ بالصَّبَا**[(٣)]، **وأُهلِكَت عادٌ بالدَّبُور**»[(٤)].

قال الحافظ في «الفتح»: عُرِف بهذا وجه إيراد المصنِّف[(٥)] هذا الحديث هنا[(٦)]، وأن الله نصر نبيَّه ﷺ في غزوة الخندق بالريح، قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾[(٧)].

وروى الشيخان في «صحيحيهما» عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما، قال:

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٣٨٤).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٥٠٩٧)، وأورده الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٤/ ٥٠٨) وجوَّد إسناده.

(٣) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٦/ ١٧٥): **الصَّبَا**، هي بفتح الصاد: الريح الشَّرقيَّة.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٢٠٥)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٩٠٠).

(٥) أي: الإمام البخاري.

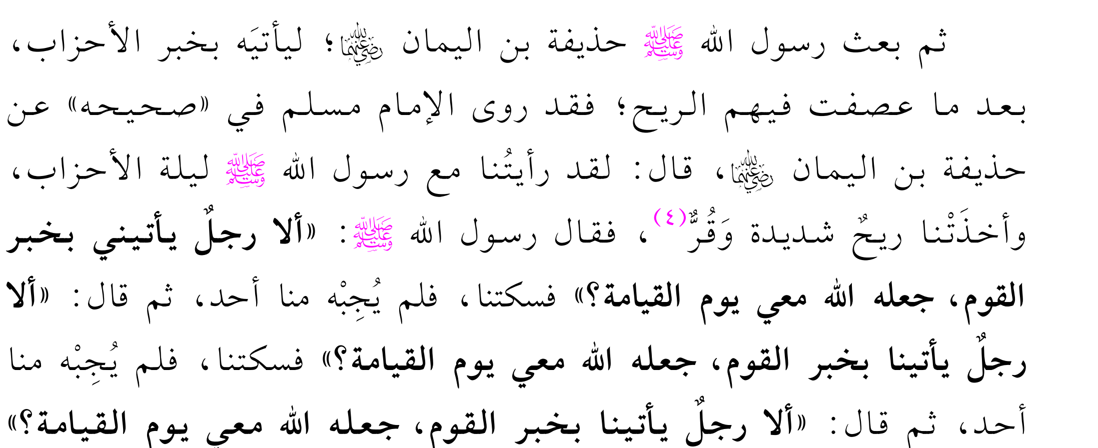
(٦) في باب غزوة الخندق من صحيحه.

(٧) انظر: فتح الباري (٨/ ١٦٠).

دعا رسول الله ﷺ يوم الأحزاب على المشركين، فقال: «**اللَّهُمَّ مُنزِلَ الكتاب، سريع الحساب، اهزِمِ الأحزاب، اللَّهُمَّ اهزِمْهم وزلزِلْهم**»(١).

وروى الإمام أحمد في «مسنده» بسند ضعيف ـ وله شواهد يتقوى بها ـ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قلنا يوم الخندق: يا رسول الله ﷺ، هل من شيء نقوله؛ فقد بلغت القلوبُ الحناجرَ؟(٢)، فقال رسول الله ﷺ: «**نعم، اللَّهُمَّ استر عَوْراتِنا، وآمِن روْعاتِنا**»، قال: فضرب الله عز وجل وجوه أعدائه بالريح، فهزمهم الله عز وجل بالرِّيح(٣).

بَعْثُ حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما للأحزاب



ثم بعث رسول الله ﷺ حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما؛ ليأتيَه بخبر الأحزاب، بعد ما عصفت فيهم الريح؛ فقد روى الإمام مسلم في «صحيحه» عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما، قال: لقد رأيتُنا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب، وأخذَتْنا ريحٌ شديدة وَقُرٌّ(٤)، فقال رسول الله ﷺ: «**ألا رجلٌ يأتيني بخبر القوم، جعله الله معي يوم القيامة؟**» فسكتنا، فلم يُجِبْه منا أحد، ثم قال: «**ألا رجلٌ يأتينا بخبر القوم، جعله الله معي يوم القيامة؟**» فسكتنا، فلم يُجِبْه منا أحد، ثم قال: «**ألا رجلٌ يأتينا بخبر القوم، جعله الله معي يوم القيامة؟**» فسكتنا، فلم يُجبه منا أحد، فقال: «**قم يا حذيفة، فأْتِنا بخبر القوم**»، فلم

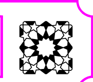
(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٢٩٣٣) (٤١١٥)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٧٤٢) (٢١).

(٢) قال السندي في شرحه للمسند (٦/ ٣٣٤): أي: كادت تخرُجُ من البدن، وتنشَقُّ من شدة الخوف.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٠٩٩٦)، وحسنه الألباني في تحقيقه لفقه السيرة للغزالي، ص (٣٠٤)، والسلسلة الصحيحة، رقم الحديث (٢٠١٨).

(٤) **القُرُّ**، بضم القاف: البرد. انظر: النهاية (٤/ ٣٤).

أجِدْ بُدًّا إذ دعاني باسمي أن أقوم، فقال: «**اذهب، فأْتِني بخبر القوم، ولا تَذْعَرْهم**[(١)] **عليَّ**»، فلما ولَّيتُ من عنده جعلتُ كأنما أمشي في حمَّام[(٢)] حتى أتيتُهم، فرأيتُ أبا سفيان يَصْلِي[(٣)] ظَهْره بالنار، فوضعتُ سَهمًا في كَبِد القوس[(٤)]، فأردتُ أن أرميَه، فتذكرتُ قول رسول الله ﷺ: «**ولا تَذْعَرهم عليَّ**»، ولو رميتُه لأصبته، فرجعتُ وأنا أمشي في مِثلِ حَمَّام، فلما أتيته فأخبرته بخبر القوم وفرَغْتُ، قُرِرْتُ، فألبسني رسول الله ﷺ من فضل عباءة كانت عليه يُصلِّي فيها، فلم أزل نائمًا حتى أصبحتُ، فلما أصبحتُ قال: «**قم يا نَومانُ!**»[(٥)].



رجوع النبي ﷺ وأصحابه إلى منازلهم

رجع رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام إلى منازلهم، وذلك بعد ذهاب الأحزاب إلى ديارهم، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾ [الأحزاب: ٢٥].

---

(١) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٢/ ١٢٣): **تَذْعَرْهم**، هو بفتح التاء، معناه: لا تُفزِعهم عليَّ ولا تُحَرِّكْهم عليَّ، والمراد: لا تحرِّكهم عليك؛ فإنهم إن أخذوك كان ذلك ضررًا عليَّ؛ لأنك رسولي وصاحبي.

(٢) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٢/ ١٢٣): يعني: أنه لم يجد البرد الذي يجده الناس، ولا من تلك الريح الشديدة شيئًا؛ بل عافاه الله منه ببركة إجابته للنبي ﷺ وذهابه فيما وجَّهه له، ودعائه ﷺ له، واستمر ذلك اللطف به ومعافاته من البرد حتى عاد إلى النبي ﷺ، فلما رجع ووصل، عاد إليه البرد الذي يجده الناس! وهذه من معجزات رسول الله ﷺ، ولفظة الحمَّام عربية، وهو مذكَّر مشتق من الحميم، وهو: الماء الحار.

(٣) **يَصْلي**، بفتح الياء، يعني: يُدفِئُه. انظر: النهاية (٣/ ٤٧).

(٤) قال ابن الأثير في جامع الأصول (٨/ ٢٧١): **كَبِد القوس**: وَسَطُها.

(٥) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٧٨٨).

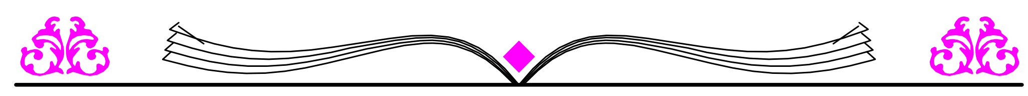
قال الحافظ ابن كثير: ولولا أن جعل الله رسوله ﷺ رحمة للعالمين، لكانت هذه الريح عليهم أشدَّ من الريح العقيم على عادٍ، ولكِنْ قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣]، فسلط عليهم هواءً فَرَّق شَمْلَهم، كما كان سبب اجتماعهم من الهَوَى، وهم أخلاط من قبائل شتى، أحزاب وآراء؛ فناسب أن يرسِل عليهم الهواء الذي فرَّق جماعتهم، وردَّهم خائبين خاسرين بغيظهم وحَنَقِهم[(١)]، لم ينالوا خيرًا لا في الدنيا مما كان في أنفسهم من الظَّفَر والمغنم، ولا في الآخرة بما تحملوه من الآثام في مبارزة الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ بالعداوة، وهَمِّهم بقتله، واستئصال جيشه، ومَن هَمَّ بشيء وصَدَّق هَمَّه بفعله، فهو في الحقيقة كفاعله[(٢)].

وروى الإمام البخاري في «صحيحه» عن سليمان بن صُرَد رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول حين أُجلِيَ[(٣)] الأحزاب عنه: «**الآن نغزوهم ولا يغزونَنا، نحن نسيرُ إليهم**»[(٤)].

قال الحافظ في «الفتح»: وفي هذا الحديث عَلَم من أعلام النبوة؛ فإنه ﷺ اعتمر في السنة المُقبِلة، فصدَّتْه قريش عن البيت، ووقعت الهُدْنة بينهم إلى أن نقضوها، فكان ذلك سبب فتح مكة؛ فوقع الأمر كما قال رسول الله ﷺ[(٥)].

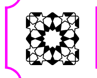
---

(١) **الحَنَق**: الغيظ. انظر: النهاية (١/ ٤٣٤).
(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٣٩٥).
(٣) قال الحافظ في الفتح (٨/ ١٦٤): **أُجْلِيَ**، بضم الهمزة، وسكون الجيم، وكسر اللام: أي: رجَعوا عنه.
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤١١٠).
(٥) انظر: فتح الباري (٨/ ١٦٤).









غزوة بني قُرَيظة[(١)]

وقعت في يوم الأربعاء لسبع بقين من ذي القعدة من السنة الخامسة للهجرة[(٢)].

ذكرنا في غزوة الخندق نَقْضَ بني قريظة العهد مع رسول الله ﷺ، وتآمرهم مع الأحزاب على حرب المسلمين؛ فجاء جبريل عليه السلام إلى رسول الله ﷺ، وأمره بقتال يهود بني قريظة.

قال الحافظ ابن كثير: فصلٌ في غزوة بني قريظة، وما أحلَّ الله تعالى بهم من البأس الشديد، مع ما أعد الله لهم في الآخرة من العذاب الأليم؛ وذلك لكفرهم ونقضهم العهود التي كانت بينهم وبين رسول الله ﷺ، وممالأتهم الأحزاب عليه، فما أجدى[(٣)] ذلك عنهم شيئًا، وباؤوا بغضبٍ من الله ورسوله، والصفقةِ الخاسرة في الدنيا والآخرة[(٤)].

وروى الشيخان في «صحيحيهما» عن عائشة رضي الله عنها، قالت: لما رجع النبي ﷺ من الخندق ووضع السلاح واغتسل، أتاه جبريل عليه السلام، فقال: قد وضعْتَ السلاحَ؟! وَاللهِ ما وضَعْناه؛ فاخرج إليهم، فقال رسول الله ﷺ: «**فإلى أين؟**» قال: هاهنا، وأشار إلى قريظة، فخرج النبي ﷺ إليهم[(٥)].

---

(١) قال الإمام ابن القيم في زاد المعاد (٣/ ١٥٣): وأما قُرَيظة فكانت أشد اليهود عداوةً لرسول الله ﷺ وأغلَظَهم كفرًا؛ ولذلك جرى عليهم ما لم يَجْرِ على إخوانهم.

(٢) هذا ما ذكره ابن سعد في طبقاته (٢/ ٢٨٧)، وذكر ابن إسحاق في السيرة (٣/ ٢٥٧) أنها وقعت في السنة الخامسة للهجرة، ولم يزد على ذلك.

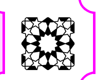
(٣) **فما أجدى**: أي: فما أغنى. انظر: لسان العرب (٢/ ٢١٥).

(٤) انظر: البداية والنهاية (٤/ ٤٩٩).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤١١٧)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٧٦٩) (٦٥).

وروى الإمام أحمد في «مسنده» بسند صحيح عن عائشة رضي الله عنها، قالت: إن رسول الله ﷺ لما فرغ من الأحزاب، دخل المغتَسَل ليغتسل، فجاء جبريل عليه السلام، فقال: أوقَدْ وضعتم السلاح؟! ما وضعنا أسلحتنا بعدُ، انهَدْ[١] إلى بني قريظة، قالت عائشة رضي الله عنها: كأني أنظر إلى جبريل عليه السلام من خَلَلِ[٢] الباب، قد عصَب رأسَه من الغُبار[٣].

وروى الحاكم في «المستدرك» بسند حسن عن عائشة رضي الله عنها، قالت: إن رسول الله ﷺ كان عندها، فَسَلَّم علينا رجل ونحن في البيت، فقام رسول الله ﷺ فَزِعًا، فقمتُ في أثره، فإذا دِحْية الكَلْبي، فقال: «**هذا جبريلُ يأمرني أن أذهب إلى بني قريظة**»[٤].



خروج النبي ﷺ إلى بني قريظة

خرج رسول الله ﷺ في ثلاثة آلاف من أصحابه متوجِّهًا إلى بني قريظة، ودفع اللواء إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وبعث بلالًا رضي الله عنه يُنادي في الناس: أنَّ رسول الله ﷺ يأمركم ألا تُصَلُّوا العصر إلا في بني قريظة؛ فقد روى الحاكم في «المستدرك» بسند حسن عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**عزمتُ عليكم أن لا تُصلُّوا صلاة العصر حتى تأتوا بني قُرَيظة**»[٥].

---

(١) **نهد**: نهض. انظر: النهاية (٥/ ١١٨).
(٢) **الخَلَل**: الفرجة بين الشيئين، **والخَلَّة**: الثقبة الصغيرة. انظر: لسان العرب (٤/ ١٩٩).
(٣) **عَصَب رأسَه من الغبار**: أي: رَكِبَهُ وعَلِق به. انظر: النهاية (٣/ ٢٢١).
والخبر أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٤٩٩٤).
(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٤٣٧٩).
(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٤٣٧٩).

وروى الإمام البخاري في «صحيحه» عن ابن عمر ﭬ، قال: قال النبي ﷺ لنا لما رجع من الأحزاب: «**لا يُصلِّيَنَّ أحد العصر إلا في بني قريظة**»، فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نُصلِّي حتى نأتيَها، وقال بعضهم: بل نُصلي، لم يُرَدْ منا ذلك، فذُكِرَ للنبي ﷺ فلم يُعنِّفْ واحدًا منهم(١).

وفي رواية الحاكم في «مستدركه» بسند حسن قالت عائشة ﵂: فغرَبَت الشمس قبل أن يأتوهم، فقالت طائفة من المسلمين: إن النبي ﷺ لم يُرِدْ أن تَدَعوا الصلاة، فصَلَّوا، وقالت طائفة: إنا لفي عزيمة النبي ﷺ، وما علينا من إثم، فصَلَّت طائفة إيمانًا واحتسابًا، وتركت طائفةٌ إيمانًا واحتسابًا(٢)، ولم يَعِبِ النبيُّ ﷺ واحدًا من الفريقين(٣).

قال الإمام ابن حزم: وعَلِمَ الله تعالى أننا لو كنا هناك ما صلَّينا العصر في ذلك اليوم إلَّا في بني قريظة، ولو بعد أيام(٤).

وقال الحافظ ابن كثير: بَيَّنَّا أن الذين صلوا العصر لوقتها أقرب إلى إصابة الحق في نفس الأمر، وإن كان الآخرون معذورين أيضًا، والحُجة هاهنا في عذرهم في تأخير الصلاة لأجل الجهاد والمبادرة إلى حصار الناكثين للعهد من الطائفة الملعونة(٥).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٩٤٦) (٤١١٩).

(٢) يعني: تركوا صلاة العصر في وقتها، ولم يصلوها إلا في بني قريظة، وذلك بعدما غربت الشمس.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٤٣٧٩).

(٤) انظر: جوامع السيرة للإمام ابن حزم، ص (١١٥).

قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٤/ ٥٠٢) معلِّقًا على قول ابن حزم: وهذا القول منه ماشٍ على قاعدته الأصلية في الأخذ بالظاهر.

(٥) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٣٩٩).

حصار بني قريظة

وبعث الله ﷻ جبريل عليه السلام إلى بني قريظة ليُزلزِلَهم ويُلقيَ في قلوبهم الرعب؛ فقد روى الحاكم في «المستدرك» بسند حسن عن عائشة رضي الله عنها، قالت: خرج النبي ﷺ فمر بمجالس بينه وبين قريظة، فقال: هل مر بكم من أحد؟ قالوا: مرَّ علينا دِحْية الكلبي على بغلةٍ شهباءَ، تحته قطيفة ديباج، فقال النبي ﷺ: «**ليس ذلك بدحية، ولكنه جبريل عليه السلام أُرسِلَ إلى بني قريظة؛ ليُزلزلهم ويقذف في قلوبهم الرعب**»[(١)].

وروى الإمام البخاري في «صحيحه» عن أنس رضي الله عنه، قال: كأني أنظر إلى الغُبار ساطعًا[(٢)] في زُقاق[(٣)] بني غَنْمٍ[(٤)] مَوكِبَ جبريل حين سار رسولُ الله إلى بني قريظة[(٥)].

وصل رسول الله ﷺ بحفظ الله ورعايته إلى ديار بني قريظة، فلما رأوه تحصنوا بحصونهم، فناداهم رسول الله ﷺ، فقال: «**يا إخوة القِرَدة والخنازيرِ**»[(٦)]، ثم فرض عليهم الحصار، واستمر الحصار خمسًا وعشرين ليلة حتى اشتد عليهم الحال، وقذف الله الرعب في قلوبهم؛ فأذعنوا ونزلوا على حُكمِ سعد بن معاذ رضي الله عنه، وكانوا حلفاءه[(٧)].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٤٣٧٩).

(٢) **ساطعًا**: مرتفعًا. انظر: النهاية (٢/ ٣٢٩).

(٣) **الزُّقاق**، بضم الزاي: الطريق. انظر: النهاية (٢/ ٢٧٧).

(٤) قال ابن الأثير في جامع الأصول (٢/ ٧٦٤)، قسم التراجم: **بنو غَنْم**: بفتح الغين وسكون النون. وقال الحافظ في الفتح (٦/ ٤٥٥): هم بطن من الخزرج، وهم بنو غَنْم بن مالك بن النجَّار، منهم أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه.

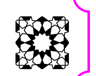
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٢١٤) (٤١١٨).

(٦) أخرج ذلك إلى هذا القدر: الحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٤٣٧٩) إسناده حسن.

(٧) أخرج ذلك إلى هذا القدر: الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٥٠٩٧)، وابن حبان =

وفي رواية ابن إسحاق: فنزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فتواثبت الأوس، فقالوا: يا رسول الله إنهم موالينا دون الخزرج، وقد فعَلْتَ في موالي إخواننا بالأمس ما قد عَلِمْتَ[(١)]، فقال رسول الله ﷺ: «**ألا ترضَون يا معشر الأوسِ أن يحكُمَ فيهم رجل منكم؟**» قالوا: بلى، فقال رسول الله ﷺ: «**فذاك سعد بن معاذ**»[(٢)].

وروى الإمام أحمد في «مسنده» وابن حبان في «صحيحه» بسند حسن عن عائشة رضي الله عنها، قالت: فلما اشتد حَصْرُهُم واشتد البلاء، قيل لهم: انزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فاستشاروا أبا لُبابة بن عبد المنذر، فأشار إليهم أنه الذبح، فقالوا: ننزل على حكم سعد بن معاذ، فقال رسول الله ﷺ: «**انزلوا على حكم سعد بن معاذ**»[(٣)].



قدوم سعد بن معاذ رضي الله عنه وحكمه في بني قريظة

وبعث رسول الله ﷺ إلى سعد بن معاذ رضي الله عنه، فأُتِيَ به على حمار عليه إكافٌ[(٤)] من ليف، قد حُمِلَ عليه، وحَفَّ[(٥)] به قومه، فقالوا: يا أبا عَمرٍو، حلفاؤك ومواليك وأهل النكاية، ومَن قد علمتَ، فلا يَرجِعُ إليهم قولًا، ولا

= في صحيحه، رقم الحديث (٧٠٢٨)، وأورده الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٤/ ٥٠٨) وجوَّد إسناده.

(١) يعنون: يهود بني قَينُقاع حلفاء الخزرج، لما ترك رسول الله ﷺ الحكم فيهم بيد عبد الله بن أُبَي ابن سلول، وذلك في غزوة بني قَينُقاع، وقد تقدم ذلك.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٣/ ٢٦٣).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٥٠٩٧)، وابن حبان في صحيحه، رقم الحديث (٧٠٢٨)، وجوَّد إسناده الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٤/ ٥٠٨).

(٤) **الإكاف**: الحبل. انظر: النهاية (٤/ ١٦٧).

(٥) **حَفَّ القوم بالشيء**: أحدقوا به واستداروا حوله. انظر: لسان العرب (٣/ ٢٤٤).

يلتفت إليهم، حتى إذا دنا من دُورِهم التفت إلى قومه، فقال: قد آن لسعدٍ أَلَّا يُباليَ في الله لومة لائم، فلما طلع على رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ: «**قوموا**(١) **إلى سيدكم فأنزِلوه**»، فأنزَلوه(٢)، فقال رسول الله ﷺ: «**احكُمْ فيهم**»، فقال سعد رضي الله عنه: فإني أحكم فيهم: أن تُقتَلَ مُقاتِلَتُهم، وتُسبَى ذراريُّهم، وتُقسَّم أموالُهم، فقال رسول الله ﷺ: «**لقد حكم فيهم بحكم الله عز وجل وحكم رسوله**»(٣).

وفي رواية الإمام أحمد والترمذي بسند صحيح عن جابر رضي الله عنه، قال: فحَكَم أن تُقتَلَ رجالُهم، وتُستَحْيا نساؤهم وذراريُّهم؛ ليستعين بهم المسلمون، فقال رسول الله ﷺ: «**أصبت حكم الله فيهم**»(٤).

وفي رواية الحاكم بسند حسن عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: فقال رسول الله ﷺ: «**لقد حكم اليوم فيهم بحكم الله الذي حَكَم به من فوق سبع سماوات!**»(٥).

---

(١) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٦/ ٣٩٨): فقام إليه المسلمون، فأنزلوه؛ إعظامًا وإكرامًا واحترامًا له في محل ولايته؛ ليكون أنفذ لحكمه فيهم.
وقال الإمام النووي في الأذكار، ص (٤٣٧): وأما إكرام الداخل بالقيام: فالذي نختاره أنه مستحبٌّ لمن كان فيه فضيلة ظاهرة؛ من علم أو صلاح أو شرف، أو ولاية مصحوبة بصيانة، أو له ولادة أو رحم مع سنٍّ، ونحو ذلك، ويكون هذا القيام للبر والإكرام والاحترام لا للرياء والإعظام، وعلى هذا الذي اخترناه استمرَّ عَمَل السلف والخلف.

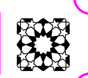
(٢) في رواية أبي داود، رقم الحديث (٥٢١٦) بسند صحيح، قال للأنصار: قوموا إلى سيِّدكم.

(٣) أخرج ذلك إلى هذا القدر: الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٥٠٩٧)، وابن حبان في صحيحه، رقم الحديث (٧٠٢٨)، وأورده الحافظ في الفتح (١٢/ ٣١٩) وحسَّن إسناده.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٤٧٧٣)، والترمذي في جامعه، رقم الحديث (١٦٧٣)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٢٦٠٢).

وصدق الله سبحانه إذ يقول: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم[١] مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ[٢] مِن صَيَاصِيهِمْ[٣] وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾ [الأحزاب: ٢٦، ٢٧].



تنفيذ الحكم في بني قريظة

أمر رسول الله ﷺ بتنفيذ حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه في يهود بني قريظة، بأن يُقتَل كل مَن أنبت[٤] منهم، ومَن لم يكن أنبت تُرِك، فضرب أعناقهم في خنادق حُفِرت في سوق المدينة، وكانوا أربعمائة[٥] رجل.

روى الإمام أحمد في «مسنده» والترمذي وأبو داود بسند صحيح عن عطية القُرَظي، قال: عُرِضْنا على النبي ﷺ يوم قريظة، فكان مَن أنبت قُتِلَ، ومَن لم يُنبِت خُلِّي سبيله، فكنتُ فيمن لم يُنبِت، فَخُلِّي سبيلي[٦].

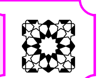
وفي رواية ابن حبان في «صحيحه» بسند صحيح قال عطية القرظي: كنتُ أول مَن حكم فيهم سعد، فجيء بي وأنا أرى أنه سيقتلني، فكشفوا عن

(١) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٦/ ٣٩٨): أي: عاوَنوا الأحزاب وساعَدوهم على حرب رسول الله ﷺ.
(٢) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٦/ ٣٩٨): يعني: بني قريظة من اليهود.
(٣) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٦/ ٣٩٨): **صياصيهم**؛ يعني: حُصُونَهم.
(٤) **أنبت**: أراد نبات شَعر العانة، فجعله رسول الله ﷺ علامة البلوغ. انظر: النهاية (٥/ ٤).
(٥) هذه رواية الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٤٧٧٣)، والترمذي في جامعه، رقم الحديث (١٦٧٣) وإسناده صحيح.
وقال ابن إسحاق في السيرة (٣/ ٢٦٥): وهم سِتُّمائة أو سبعمائة، والمُكثر لهم يقول: كانوا بين الثمانمائة والتسعمائة.
(٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٨٧٧٦)، والترمذي في جامعه، رقم الحديث (١٦٧٥)، وأبو داود في سننه، رقم الحديث (٤٤٠٤).

عانتي، فوجدوني لم أُنبِت، فجعلوني في السَّبْيِ[١].

قال الإمام الترمذي في «جامعه»: والعمل على هذا عند بعض أهل العلم؛ أنهم يرون الإنبات بُلُوغًا إن لم يُعرَفِ احتلامه ولا سِنُّه، وهو قول أحمد، وإسحاق[٢].

وروى الشيخان في «صحيحيهما» عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: إن يهود بني النضير وقريظة حاربوا رسول الله ﷺ، فأجلى بني النضير، وأقرَّ قُرَيظة ومَنَّ عليهم، حتى حاربت قريظةُ بعد ذلك، فقتل رجالهم، وقسم نساءهم وأولادهم بين المسلمين[٣].



لم يُقتَلْ من نساء بني قريظة إلا امرأة

ولم يُقتَلْ من نساء يهود بني قريظة سوى امرأة واحدة؛ فقد روى الإمام أحمد، وأبو داود، والحاكم ـ واللفظ للحاكم ـ بسند حسن عن عائشة رضي الله عنها، قالت: ما قَتَل رسولُ الله ﷺ امرأةً من بني قريظة إلا امرأةً واحدة، وَاللهِ إنَّها لعندي تضحك ظَهرًا لبطن، وإن رسول الله ﷺ لَيقتُلُ رجالهم بالسيوف[٤]، إذ يقول[٥] هاتفٌ باسمها: أين فلانة؟ فقالت: أنا والله. قلتُ: وَيلَكِ ما لكِ؟! فقالت: أُقتَلُ والله، فقلت: ولِمَ؟ قالت: لحَدَثٍ أحدثته[٦]، فانطُلِقَ بها

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه، رقم الحديث (٤٧٨٣).

(٢) انظر: جامع الإمام الترمذي (٣/ ٤١٠).

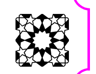
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٠٢٨)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٧٦٦).

(٤) في رواية الإمام أحمد: بالسوق.

(٥) في رواية الإمام أحمد وأبي داود: هتف.
هتف: يعني: نادى. انظر: النهاية (٥/ ٢١١).

(٦) قال ابن هشام في السيرة (٣/ ٢٦٦): هي التي طرحت الرَّحى على خلَّاد بن سُوَيد رضي الله عنه، فقتَله.

فضُرِبَت عنُقُها، فما أنسى عَجَبًا منها طِيبةَ نفسها وكثرة ضحكها، وقد عَرَفَت أنها تُقتَل![(١)].



وفاة السَّيد الكبير سعد بن معاذ رضي الله عنه

استجاب الله جل جلاله دعوة عبده الصالح سعد بن معاذ رضي الله عنه وأقرَّ عينه وشفى صدره من يهود بني قريظة، فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قَتْلِ رجالهم، انتفض جُرحُه، فمات رضي الله عنه.

روى الإمام أحمد في «مسنده» والترمذي في «جامعه» بسند صحيح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: فلما فُرِغ من قتلهم[(٢)]، انفتق[(٣)] عِرْقُه، فمات[(٤)].

وروى الشيخان في «صحيحيهما» عن عائشة رضي الله عنها، قالت: إن سعدًا قال[(٥)]: اللَّهُمَّ إنك تعلم أنه ليس أحدٌ أحبَّ إليَّ أن أُجاهِدَهم فيك من قوم كذَّبوا رسولك صلى الله عليه وسلم وأخرجوه، اللَّهُمَّ فإني أظن[(٦)] أنك قد وضَعْتَ الحرب بيننا

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٦٣٦٤)، وأبو داود في سننه، رقم الحديث (٢٦٧١)، والحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٤٣٨١).

(٢) يعني: يهود بني قريظة.

(٣) **أصل الفتق**: الشَّقُّ والفتح. انظر: النهاية (٣/ ٣٦٧).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٤٧٧٣)، والترمذي في جامعه، رقم الحديث (١٦٧٣).

(٥) وذلك بعدما حكم في يهود بني قريظة.

(٦) قال الحافظ في الفتح (٨/ ١٧٦): والذي يظهر لي أن ظن سعد كان مصيبًا، وأن دعاءه في هذه القصة كان مجابًا، وذلك أنه لم يقع بين المسلمين وبين قريش من بعد وقعة الخندق حربٌ يكون ابتداء القصد فيها من المشركين؛ فإنه صلى الله عليه وسلم تجهز إلى العمرة فصدُّوه عن دخول مكة، وكاد الحرب أن يقع بينهم فلم يقع، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٢٤]، ثم وقعت الهدنة، واعتمر =

وبينهم، فإن كان بقي مِن حرب قريش شيء فأبقني له، حتى أُجاهِدَهم فيك، وإن كنتَ وضَعْتَ الحرب فافْجُرْها[(١)]، واجعل موتي فيها، فانفجرت مِن لَبَّتِه[(٢)]، فلم يَرُعْهم[(٣)]، وفي المسجد خيمة من بني غفار إلا الدم يسيل إليهم! فقالوا: يا أهل الخيمة، ما هذا الذي يأتينا من قِبَلِكم؟! فإذا سعد يَغذو[(٤)] جُرحُه دمًا، فمات منها رضي الله عنه[(٥)].

ثم حُمِل سعد رضي الله عنه ـ بعد ما فُرِغ من جَهازه ـ وحملته الملائكة مع الناس، فكانت جنازته خفيفة بسبب حمل الملائكة؛ فقد روى الإمام الترمذي، والحاكم بسند صحيح عن أنس رضي الله عنه، قال: لما حُمِلَت جِنازة سعد بن معاذ رضي الله عنه، قال المنافقون: ما أَخَفَّ جنازتَه! وما ذاك إلا لحُكمه في بني قريظة، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: «**لا، ولكن الملائكة كانت تحمِلُه**»[(٦)].

وروى الشيخان في «صحيحيهما» ـ واللفظ للبخاري ـ عن جابر بن

= رسول الله ﷺ من قابلٍ، واستمر ذلك إلى أن نقضوا العهد، فتوجه إليهم غازيًا فَفُتِحت مكة، فعلى هذا فالمراد بقوله: أظنُّ أنك وضعتَ الحرب: أي: أن يقصِدونا محاربين.

(١) قال الحافظ في الفتح (٨/ ١٧٦): أي: الجراحة.

(٢) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٢/ ٨٢): **لَبَّته**، بفتح اللام وبعدها باء مشددة، وهي: النحر.
وقال الحافظ في الفتح (٨/ ١٧٦): وكأن موضع الجرح ورم حتى اتصل الورم إلى صدره فانفجر من ثَمَّ.

(٣) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٢/ ٨٢): أي: لم يفجَأْهم.

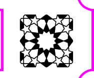
(٤) **يَغذو**: يسيل. انظر: النهاية (٣/ ٣١٢).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤١٢٢)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٧٦٩) (٦٧).

(٦) أخرجه الترمذي في جامعه، رقم الحديث (٤١٨١)، والحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٤٩٩٠).

عبد الله ﵄، قال: قال رسول الله ﷺ[1]: «**اهتزَّ العرش**[2] **لموت سعد بن معاذ!**»[3].

قال الإمام الذهبي: والعرش خَلْقٌ لله مُسَخَّر إذا شاء أن يهتز اهتز بمشيئة الله، وجَعَل فيه شعورًا لحُبِّ سعد ﵁، كما جعل تعالى شعورًا في جبل أُحُد بحبِّه النبي ﷺ[4]، وقال تعالى: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾ [سبأ: ١٠]، وقال: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ [الإسراء: ٤٤]، ثم عَمَّم، فقال: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤]، وهذا حق، وفي «صحيح البخاري» قول ابن مسعود ﵁: كنا نسمع الطعام وهو يؤكَل[5]، وهذا باب واسع سبيله الإيمان[6].

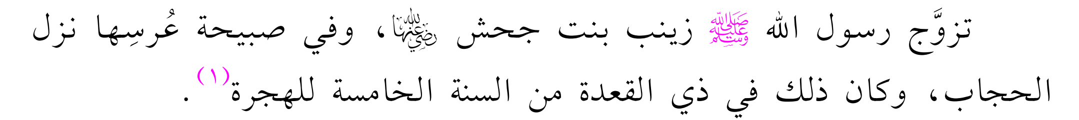


نزول سورة الأحزاب

قال ابن إسحاق: وأنزل الله تعالى في أَمْرِ الخندق، وأَمْرِ بني قريظة من القرآن: سورة الأحزاب، يذكر فيها ما نزل من البلاء، ونعمَتَه عليهم، وكفايتَه إياهم حين فَرَّج ذلك عنهم، بعد مقالة مَن قال من أهل النفاق[7].

---

(١) زاد الإمام مسلم في صحيحه: وجنازة سعد بن معاذ ﵁ بين أيديهم.
(٢) في رواية الإمام مسلم: عرش الرحمٰن.
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٨٠٣)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٤٦٦) (١٢٣).
(٤) أخرج ذلك الإمام البخاري، رقم الحديث (٤٠٨٣)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٣٩٣).
(٥) أخرج ذلك البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٥٧٩).
(٦) انظر: سير أعلام النبلاء (١/ ٢٩٧).
(٧) انظر: سيرة ابن هشام (٣/ ٢٧٠).



زواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش رضي الله عنها

تزوَّج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش رضي الله عنها، وفي صبيحة عُرسِها نزل الحجاب، وكان ذلك في ذي القعدة من السنة الخامسة للهجرة(١).

كانت الحكمة من زواج النبي ﷺ بزينب بنت جحش رضي الله عنها: إبطال عادة التبنِّي المنتشرة في ذلك الزمان، كما قال تعالى: ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾ [الأحزاب: ٣٧].

قال الحافظ ابن كثير: أي: إنما أبحنا لك تزويجها وفعَلْنا ذلك؛ لئلا يبقى حرج على المؤمنين في تزويج مطلَّقات الأدعياء(٢)؛ وذلك أن رسول الله ﷺ كان قبل النبوة قد تبنى زيد بن حارثة رضي الله عنه، فكان يُقال له: زيد بن محمد(٣)، فلما قطع الله هذه النسبة بقوله تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ

---

(١) قال الإمام ابن القيم في زاد المعاد (٣/ ٣١٠): ذكر أرباب التواريخ أن تزويجه ﷺ بزينب رضي الله عنها كان في ذي القعدة سنة خمس.
وقال الحافظ في الفتح (٩/ ٣٩٩): ولا خلاف أن آية الحجاب نزلت حين دخوله ﷺ بزينب بنت جحش رضي الله عنها، فثبت أن الحجاب كان قبل قصة الإفك، وقد كنت أمليت في أوائل كتاب الوضوء أن قصة الإفك وقعت قبل نزول الحجاب، وهو سهو، والصواب بعد نزول الحجاب فليُصلح هناك.

(٢) أي: الأبناء بالتبنِّي.

(٣) روى البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٧٨٢)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٤٢٥) عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد، حتى نزل في القرآن: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٥].
وروى الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٥٠٨٨) عن عائشة رضي الله عنها، قالت: تبنى النبي ﷺ زيدًا رضي الله عنه، وكان مَن تبنى رجلًا في الجاهلية دعاه الناس إليه، وورث من ميراثه، حتى أنزل الله: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ فَرُدُّوا إلى آبائهم، فمن لم يُعلَمْ له أب كان مولًى وأخًا في الدِّين.

مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٤، ٥]، ثم زاد ذلك بيانًا وتأكيدًا بوقوع تزويج رسول الله ﷺ بزينب بن جحش رضي الله عنها لما طلقها زيد بن حارثة رضي الله عنه؛ ولهذا قال في آية التحريم: ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ﴾ [النساء: ٢٣] ليتحرز من الابن الدَّعِيِّ؛ فإن ذلك كان كثيرًا فيهم[١].

خِطبة زينب بنت جحش رضي الله عنها

خطب رسول الله ﷺ زينب بنت جحش رضي الله عنها، فظنت أنه ﷺ يريدها لنفسه، فلما علمت أنه يُريديها لزيد بن حارثة رضي الله عنه أبت؛ فقد روى الإمام ابن جرير الطبري في «تفسيره» بسند مرسل صحيح عن قتادة، قال في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، قال: نزلت هذه الآية في زينب بنت جحش رضي الله عنها، وكانت بنت عمة رسول الله ﷺ، فخطبها رسول الله ﷺ فرضيت، ورأت أنه يخطبها على نفسه، فلما علمت أنه يخطبها على زيد بن حارثة رضي الله عنه أبت وأنكرت، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾، قال: فتابعَتْه بعدَ ذلك ورَضِيَت[٢].

مكثت زينب رضي الله عنها عند زيد بن حارثة رضي الله عنه قريبًا من سنة، ثم إنه جاء يشكوها إلى رسول الله ﷺ؛ فقد روى الإمام البخاري والترمذي ـ واللفظ للترمذي ـ عن أنس رضي الله عنه، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، في شأن زينب بنت جحش رضي الله عنها، جاء زيد رضي الله عنه

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٤٢٦).
(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٠/ ٣٠١).

يشكو، فَهمَّ بطلاقها، فاستأمر النبيَّ ﷺ، فقال النبي ﷺ: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٧][(١)].

قال الحافظ في «الفتح»: والحاصل أن الذي كان يُخفيه النبي ﷺ هو إخبار الله إياه أنها ستصير زوجته، والذي كان يحمله على إخفاء ذلك خشيةُ قول الناس: تزوج امرأة ابنه! وأراد الله إبطال ما كان أهل الجاهلية عليه من أحكام التبنِّي بأمرٍ لا أبلَغَ في الإبطال منه، وهو تزَوُّج امرأة الذي يُدعى ابنًا، ووقع ذلك من إمام المسلمين؛ ليكون أدعى لقبوله[(٢)].

وروى الإمام مسلم في «صحيحه» عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما انقضت عدة زينب، قال رسول الله ﷺ لزيد: «**اذهب فاذكُرْها علَيَّ**»[(٣)]، قال: فانطلق حتى أتاها، وهي تُخمِّرُ عجينها، قال: فلما رأيتها عَظُمَت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها؛ أنَّ رسول الله ﷺ ذكَرَها[(٤)]، فوَلَّيتُها ظهري، ونكَصْتُ[(٥)] على عَقِبي، فقلتُ: يا زينبُ أبشري، أرسلني رسول الله ﷺ يذكُرُكِ، قالت: ما أنا بصانعة شيئًا حتى أُؤامِرَ ربي عز وجل، فقامت في مسجدها[(٦)]، ونزل القرآن[(٧)]، وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٧٨٧) (٧٤٢٠)، والترمذي في جامعه، رقم الحديث (٣٤٩١).

(٢) انظر: فتح الباري (٩/ ٤٧٩).

(٣) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٩/ ١٩٤): أي: فاخطُبها لي من نَفْسِها.

(٤) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٩/ ١٩٤): معناه: أنه هابها واستجَلَّها؛ من أجل إرادة النبي ﷺ تزوُّجها، فعاملها معاملة من تزوجها ﷺ في الإعظام والإجلال والمهابة!

(٥) **النكوص**: الرجوع إلى الوراء. انظر: النهاية (٥/ ١٠١).

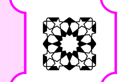
(٦) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٩/ ١٩٥): أي: موضع صلاتها من بيتها.

(٧) بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧].

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره: أي: لما فرغ منها، زيد، وفارقها، زوجناكها، وكان الذي وَلَّى تزويجها منه هو الله عز وجل، بمعنى: أنه أوحى إليه أن يدخل عليها بلا وليٍّ =

بغير إذن[١].

وروى الإمام البخاري في «صحيحه» والترمذي في «جامعه» ـ واللفظ للترمذي ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: لما نزلت هذه الآية في زينب بنت جحش رضي الله عنها: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧] قال: فكانت تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، تقول: زوجَكُنَّ أهلُكن[٢]، وزوَّجني الله من فوق سبع سماوات[٣]!



وليمة[٤] زواج النبي صلى الله عليه وسلم بزينب رضي الله عنها

وأولَمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بنى[٥] بزينب بنت جحش رضي الله عنها؛ فقد روى الإمام البخاري في «صحيحه» عن أنس رضي الله عنه، قال: أولَمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بنى بزينب ابنة جحش رضي الله عنها، فأشبع الناس خُبزًا ولحمًا[٦].

وروى الإمام مسلم في «صحيحه» عن أنس رضي الله عنه قال: ما أولَمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم على امرأة من نسائه أكثَرَ أو أفضَلَ مما أولم على زينب[٧].

= ولا مهرٍ ولا عقدٍ ولا شهودٍ من البشر!

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٤٢٨) (٨٩)، والإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٣٠٢٥).

(٢) قال الحافظ في الفتح (١٥/٣٧١): وهذا الإطلاق محمول على البعض، وإلا فالمُحَقَّق أن التي زوجَّها أبوها منهن: عائشة وحفصة فقط، وفي سودة وزينب بنت خزيمة وجويرية: احتمال، وأما أم سلمة وأم حبيبة وصفية وميمونة، فلم يزوِّجْ واحدةً منهنَّ أبوها.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٧٤٢٠)، والترمذي في جامعه، رقم الحديث (٣٤٩٢).

(٤) **الوليمة**: الطعام الذي يُصنَع عند العُرْس. انظر: النهاية (٥/١٩٦).

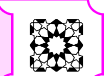
(٥) **البناء**: الدخول بالزوجة. انظر: النهاية (١/١٥٦).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٧٩٣).

(٧) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٤٢٨) (٩١).

قال الإمام النووي: يحتمل أن سبب ذلك الشكر لنعمة الله في أن الله تعالى زوجه إياها بالوحي، لا بولي وشهود، بخلاف غيرها، ومذهبنا الصحيح المشهور عند أصحابنا صحة نكاحه ﷺ بلا ولي ولا شهود؛ لعدم الحاجة إلى ذلك في حقه ﷺ، وهذا الخلاف في غير زينب، وأما زينب فمنصوص عليها، والله أعلم(١).

وروى الإمام البخاري في «صحيحه» عن أنس رضي الله عنه، قال: بُنِيَ على النبي ﷺ بزينب بنت جحش بخبز ولحم، فأُرسِلْتُ على الطعام داعيًا، فيجيء قوم، فيأكلون ويخرجون، ثم يجيء قوم، فيأكلون ويخرجون، فدعوتُ حتى ما أجد أحدًا أدعو(٢).



نزول الحجاب

فلمَّا طَعِمَ الناسُ جلس طوائف منهم يتحدَّثون في بيت رسول الله ﷺ؛ فقد روى الإمام مسلم في «صحيحه» عن أنس رضي الله عنه: ... وجلس طوائف منهم يتحدثون في بيت الرسول ﷺ، ورسولُ الله ﷺ جالس، وزوجته مولِّية وجهها إلى الحائط، فثَقُلُوا على رسول الله ﷺ، فخرج رسول الله ﷺ فسلَّم على نسائه، ثم رجع، فلما رأوا رسول الله ﷺ قد رجع ظنوا أنهم قد ثَقُلُوا عليه، فقال: فابتَدَروا البابَ فخرجوا كلهم، وجاء رسول الله ﷺ حتى أرخى الستر، ودخل فلم يلبَثْ إلا يسيرًا حتى خرج عليَّ، وأُنزِلَت هذه الآية، فخرج رسول الله ﷺ وقرأهنَّ على الناس: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣](٣).

(١) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (٩/١٩٦).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٧٩٣).
(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٤٢٨) (٩٤).

وروى الشيخان في «صحيحيهما» عن أنس بن مالك ﷺ، قال: أصبح رسول الله ﷺ عروسًا[(١)] بزينب بنت جحش ﵂، وكان تزوَّجها بالمدينة، فدعا الناس للطعام بعد ارتفاع النهار، فجلس رسول الله ﷺ وجلس معه رجال بعدما قام القوم، حتى قام رسول الله ﷺ فمشى ومشيتُ معه، حتى بلغ حجرة عائشة ﵂، ثم ظن أنهم خرجوا، فرجع ورجعتُ معه، فإذا هم جلوس مكانهم، فرجع ورجعتُ الثانية، حتى بلغ باب حجرة عائشة ﵂، فرجع ورجعتُ معه، فإذا هم قد قاموا، فضرب بيني وبينه سِترًا، وأُنزِل الحِجابُ[(٢)].

قال أنس ﵁: أنا أحدث الناس عهدًا بهذه الآيات، وحُجِبْن نساءُ النبي ﷺ[(٣)].

* وقال الإمام ابن القيم: فهؤلاء نساء النبي ﷺ هن أمهات المؤمنين في التحريم والحرمة فقط لا في المَحرميَّة؛ فليس لأحد أن يخلو بهن ولا ينظر إليهن؛ بل قد أمرهن الله بالاحتجاب عمن حَرُم عليه نكاحُهن من غير أقاربهن، ومَن بينَهن وبينه رَضاع، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ﴾ [الأحزاب: ٥٣][(٤)].

وقال الحافظ ابن كثير: فناسب نزولُ الحجاب في هذا العرس؛ صيانةً لها ولأخواتها من أمهات المؤمنين، وذلك وَفْق الرأي العُمَري[(٥)].

---

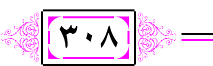
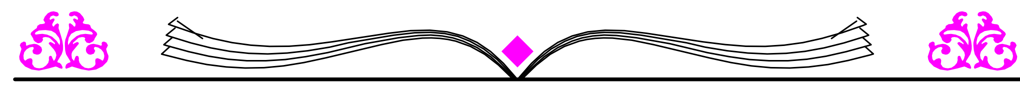
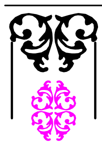
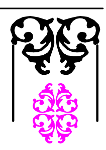
(١) يُقال للرجل: عروس، كما يُقال للمرأة، وهو اسم لهما عند دخول أحدهما بالآخر: انظر: النهاية (٣/ ١٨٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٥٤٦٦)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٤٢٨) (٩٣).

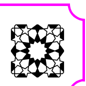
(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٤٢٨) (٩٤).

(٤) انظر: زاد المعاد (٦/ ١٦٦).

(٥) يعني: رأي عمر بن الخطاب ﵁، وانظر: كلام الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٤/ ٥٣٣).

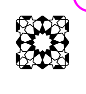





السنة السادسة للهجرة



مرحلة جديدة للدعوة

نستطيع أن نُسمِّيَ مرحلة ما بعد غزوة الخندق: مرحلة التمكين والفتح، وعَبَّر عن ذلك رسول الله ﷺ بعبارة دقيقة، فقال: «**الآن نغزوهم ولا يغزوننا، نحن نسير إليهم**»[(١)]؛ فإنه لما فرغ رسول الله ﷺ من أمر الأحزاب ويهود بني قريظة، وهدأ وضعُ المدينة النبوية، أخذ يُوجِّه الحملات التأديبية لكل مَن غدر بالمسلمين في حوادث سابقة؛ ليُعزِّز قوة الدولة الإسلامية، ويفرض هيبتها في الجزيرة العربية.



سَرِيَّة عبد الله بن عتيك رضي الله عنه لقتل سَلَّام بن أبي الحُقَيق

قال ابن إسحاق: ولما انقضى شأن الخندق، وأَمْرُ بني قريظة، وكان سَلَّام بن أبي الحُقَيق، وهو أبو رافع، فيمن حَزَّب الأحزاب على رسول الله ﷺ، وكانت الأوس قبل أُحُد قد قتلت كعب بن الأشرف، في عداوته لرسول الله ﷺ وتحريضه عليه، استأذَنَت الخزرجُ رسولَ الله ﷺ في قتل سَلَّام بن أبي الحُقَيق، وهو بخيبر، فأذِنَ لهم[(٢)].

---

(١) تقدم تخريج هذا الحديث قريبًا.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٣/ ٣٠٠).

قصة قتله

روى الإمام البخاري في «صحيحه» عن البراء بن عازب رضي الله عنهما، قال: بعث رسول الله ﷺ إلى أبي رافع اليهودي رجالًا من الأنصار[(١)]، فأمَّر عليهم عبد الله بن عتيك رضي الله عنه، وكان أبو رافع يُؤذي رسول الله ﷺ ويُعين عليه، وكان في حِصن له بأرض الحجاز، فلما دَنَوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسَرْحِهم[(٢)]، فقال عبد الله لأصحابه: اجلِسوا مكانكم؛ فإني منطلق ومُتلطِّف للبوَّاب؛ لعلي أن أدخل، فأقبل حتى دنا من الباب، ثم تَقَنَّع[(٣)] بثوبه

---

(١) في رواية أخرى في صحيح البخاري، رقم الحديث (٣٠٢٢): بعث رسول الله ﷺ رهطًا من الأنصار إلى أبي رافع؛ ليقتلوه.

وفي رواية أخرى في صحيح البخاري، رقم الحديث (٤٠٤٠): بعث رسول الله ﷺ إلى أبي رافع: عبد الله بن عتيك، وعبد الله بن عُتبة في ناس معهم.

قال الحافظ في الفتح (٨/ ٨٤): سُمِّيَ منهم في هذا الباب عبد الله بن عتيك، وعبد الله بن عتبة، وعند ابن إسحاق في السيرة (٣/ ٣٠١): عبد الله بن عتيك، ومسعود بن سنان، وعبد الله بن أُنيس، وأبو قتادة الحارث بن رِبْعي، وخزاعي بن أسود، فإن كان عبد الله بن عتبة محفوظًا فقد كانوا ستة.

* **قلتُ**: وَهِمَ ابن الأثير في جامع الأصول (٢/ ٥٨١)، قسم التراجم: في اسم عبد الله بن عتبة رضي الله عنه، فقال: عبد الله بن عِنَبة، هو أبو عِنَبة عبد الله بن عنبة الخولاني، له ذكر في قتل أبي رافع بن أبي الحُقيق.

عِنَبة: بكسر العين المهملة، وفتح النون.

والعجيب أنه ذكره في كتاب الغزوات من جامع الأصول (٨/ ٢٣٠) باسمه الصحيح: عبد الله بن عُتبة.

قال الحافظ في الفتح (٨/ ٨٤): وزعم ابن الأثير في جامع الأصول: أنه ابن عِنَبة، بكسر العين وفتح النون، وهو غلط منه؛ فإنه خولاني لا أنصاري، ومتأخر الإسلام، وهذه القصة متقدمة، والرواية: بضم العين وسكون المثناة، لا بالنون. والله أعلم.

(٢) **السَّرْحُ**: الماشية. انظر: النهاية (٢/ ٣٢٢).

(٣) **تقنَّع**: تغطى. انظر: النهاية (٤/ ١٠٠).

كأنه يقضي حاجة، وقد دخل الناس، فهتف[١] به البوَّاب: يا عبد الله، إن كنتَ تريد أن تدخل فادخل، فإني أُريد أن أُغلِقَ الباب، فدخلتُ فكمَنْتُ[٢]، فلما دخل الناس أغلق الباب، ثم عَلَّق الأغاليق[٣] على وَدٍّ[٤]، قال: فقمتُ على الأقاليد[٥] فأخذتها ففتحتُ الباب[٦]، وكان أبو رافع يُسمَر عنده، وكان في عَلاليَّ له، فلما ذهب عنه أهلُ سَمَرِه صَعِدتُ إليه، فجعلت كلما فتحتُ بابًا أغلقتُ عليَّ من داخل، قلتُ: إنِ القومُ نَذِروا[٧] بي لم يخلُصوا إليَّ حتى أقتُلَه، فانتهيتُ إليه، فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله، لا أدري أين هو من البيت؟ فقلت: أبا رافع: قال: مَن هذا؟ فأهوَيتُ[٨] نحو الصوت فأضرِبُه ضربة بالسيف، وأنا دَهِشٌ[٩] فما أغنيتُ شيئًا[١٠]، وصاح، فخرجتُ من البيت فأمكثُ غيرَ بعيد، ثم دخلتُ إليه، فقلت[١١]: ما هذا الصوت يا أبا رافع؟ فقال: لأُمِّك الوَيلُ! إنَّ رجلًا في البيت ضربني قَبْلُ بالسيف. قال: فأضرِبُه ضربةً أثخَنْتُه[١٢]، ولم أقتُلْه، ثم وضعتُ ضَبيبَ[١٣] السيف في بطنه

---

(١) **هتف**: نادى. انظر: النهاية (٥/ ٢١١).

(٢) **كمن**: استتر واستخفى. انظر: النهاية (٤/ ١٧٤).

(٣) قال ابن الأثير في جامع الأصول (٨/ ٢٣٢): **الأقاليق والأغاليق**: المفاتيح.

(٤) قال ابن الأثير في جامع الأصول (٨/ ٢٣٢): **الوَدُّ**: الوَتِدُ في لغة تميم.

(٥) **الأقاليد**: جمع إقليد، وهو المِفتاح. انظر: النهاية (٤/ ٨٧).

(٦) في رواية أخرى في صحيح البخاري: ففتحتُ باب الحصن.

(٧) **نذِروا**، بكسر الذال؛ أي: علموا وأحسُّوا بمكانه. انظر: النهاية (٥/ ٣٣).

(٨) في رواية أخرى في صحيح البخاري: **فتعمَّدتُ**.
قال الحافظ في الفتح (٨/ ٨٥): أي: قصَدْتُ.

(٩) **دَهِش**، بكسر الهاء: ذَهَلَ. انظر: لسان العرب (٤/ ٤٢٧).

(١٠) قال الحافظ في الفتح (٨/ ٨٥): أي: لم أقتله.

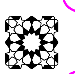
(١١) زاد البخاري في رواية أخرى: وغيَّرت صوتي.

(١٢) **الإثخان في الشيء**: المبالغة فيه. انظر: النهاية (١/ ٢٠٣).

(١٣) قال ابن الأثير في جامع الأصول (٨/ ٢٣٣): **ظُبَة السيف**: طَرَفه، وصبيب السيف قد =

حتى أخذ في ظهره، فعرفتُ أني قتلته، فجعلت أفتح الأبواب بابًا بابًا حتى انتهيتُ إلى درجة له، فوضعتُ رجلي وأنا أُرَى[(١)] أني قد انتهيتُ إلى الأرض، فوقعتُ في ليلة مقمرة، فانكسَرَت ساقي فعصَبْتُها بعمامة، ثم انطلقتُ حتى جلستُ على الباب، فقلتُ: لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتَلْتُه، فلما صاح الديك قام الناعي على السور، فقال: أَنْعَى أبا رافع تاجر أهل الحجاز، فانطلقتُ إلى أصحابي، فقلت: النَّجاءَ، فقد قَتَل الله أبا رافع، فانتهيتُ إلى النبي ﷺ فحدَّثْتُه، فقال لي: «**ابسُطْ رجلك**»، فبسطتُ رجلي فمسحها، فكأنَّها لم أشتَكِها قطُّ[(٢)]!

وفي رواية ابن إسحاق: أن جميع النفر دخلوا على أبي رافع، واشتركوا في قتله، وأن الذي تحامل عليه بالسيف عبد الله بن أُنيس رضي الله عنه، وفيه أنهم لما قتلوه ليلًا، وانكسرت ساق عبد الله بن عتيك حملوه، وأتوا مَنهرًا[(٣)] من عيونهم، فدخلوا فيه، وأوقد اليهود النيران، واشتدوا في كل وجه، حتى إذا يئسوا رجعوا على صاحبهم، وإنهم حين رجعوا احتملوا عبد الله بن عتيك رضي الله عنه حتى قدموا على رسول الله ﷺ[(٤)].



سَرِيَّة زيد بن حارثة رضي الله عنه إلى العِيص[(٥)]

بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة رضي الله عنه في سبعين ومائة راكب، وذلك

= اختلفوا فيه؛ فقيل: هو بالصاد المهملة، وهو طَرَفه، وقيل: بالظاء المعجمة، ولا أدري له معنًى، والصحيح: أنه بالصاد المهملة كما قلنا. والله أعلم.

(١) قال الحافظ في الفتح (٨/ ٨٦): **أُرى**، بضم الهمزة، أي: أظُنُّ.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٠٢٢) (٤٠٣٩) (٤٠٤٠).

(٣) **المنهر**: خَرقٌ في الحصن نافذ يدخل فيه الماء. انظر: النهاية (٤/ ٣١٢).

(٤) انظر: سيرة ابن هشام (٣/ ٣٠١، ٣٠٢).

(٥) **العِيص**، بكسر العين: موضع قرب المدينة على ساحل البحر. انظر: النهاية (٣/ ٢٩٧).

في جمادى الأولى من السنة السادسة[(١)] للهجرة، والهدف اعتراض عِير لقريش أقبلت من الشام يقودها أبو العاصِ بن الربيع ﵁ زوجُ زينب بنت النبي ﷺ ـ وكان ما زال مشركًا ـ فأدركوها فأخذوها وما فيها، وأسَروا ناسًا ممن كان في العِير؛ منهم: أبو العاصِ بن الربيع[(٢)] ﵁، وقدموا بهم إلى المدينة[(٣)].

فأرسل أبو العاص بن الربيع ﵁ إلى زينب بنت رسول الله ﷺ في المدينة ـ وكانت هاجرت إلى المدينة ـ فاستجار بها، فأجارته؛ فقد روى الحاكم والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» بسند حسن عن أم سلمة ﵄، قالت: إن زينب بنت رسول الله ﷺ أرسل إليها أبو العاص بن الربيع: أنْ خُذي لي أمانًا من أبيك، فخرَجَتْ فأطلَعَتْ رأسها من باب حُجرتها، والنبي ﷺ في الصبح يُصلي بالناس، فقالت: أيها الناس، إني زينب بنت رسول الله ﷺ، وإني قد أجرتُ أبا العاص، فلما فرغ النبي ﷺ من الصلاة، قال: «**أيها الناس، إنه لا عِلْمَ لي بهذا حتى سمعتموه، ألا وإنه يُجِير على المسلمين أدناهم**»[(٤)].

وطلب رسول الله ﷺ من أصحاب السَرِيَّة رد الأموال التي غنموها من قافلة أبي العاص بن الربيع ﵁ من غير أن يُكرِهَهم، فردوا عليه كل ما

---

(١) هذا ما ذكره ابن سعد في طبقاته (٢/ ٢٩٣)، وذكر ابن إسحاق في السيرة (٢/ ٢٦٩) أن رسول الله ﷺ بعث هذه السرية قُبيل فتح مكة، لكنه لم يحدد لها تاريخًا، فقال: حتى إذا كان قُبَيل الفتح خرج أبو العاص تاجرًا.... وساق خبر هذه السَّرية.

(٢) هذا ما ذكره ابن سعد في طبقاته (٢/ ٢٩٣)، وذكر ابن إسحاق في السيرة (٢/ ٢٦٩): أن العاص بن الربيع أعجزهم هربًا، ولم يُؤسَر.

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٢٦٩)، الطبقات الكبرى، لابن سعد (٢/ ٢٩٣).

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٧٠١٥)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار، رقم الحديث (١٢٤٤)، وذكره الإمام ابن القيم في زاد المعاد (٥/ ١٢٩) فقال: وثبت عن رسول الله ﷺ أنه أجار أبا العاص بن الربيع لمَّا أجارته ابنته زينب ﵂.

أخذوه من القافلة، حتى إن الرجل ليأتي بالدَّلوِ ويأتي بالشَّنَّة[(١)] والإداوة[(٢)]، حتى العِقال[(٣)]، حتى ردُّوا عليه ماله كله، ما يُفقَد منه شيء[(٤)]!

عودة أبي العاص رضي الله عنه إلى مكة وإسلامه

ثم رجع أبو العاص بن الربيع رضي الله عنه إلى مكة، فأدَّى إلى كل ذي مال من قريش ماله، ومن كان أبضع له، ثم قال: يا معشر قريش، هل بقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه؟ قالوا: لا، فجزاك الله خيرًا، فقد وجدناك وفيًّا كريمًا، فقال رضي الله عنه: فأنا أشهد أنْ لا إلٰه إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، وَاللهِ ما منعني من الإسلام عنده إلا تخوُّفُ أن تظنوا أني إنما أردتُ أن آكُلُ أموالكم، فلما أداها الله إليكم وفرغت منها أسلمتُ. ثم خرج رضي الله عنه حتى قَدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم[(٥)].

قال الإمام الذهبي: أسلم قبل الحُديبيَة بخمسة أشهر[(٦)].

هل رد النبي صلى الله عليه وسلم زينب لأبي العاص بعقد جديد؟

ورَدَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم زينب رضي الله عنها لأبي العاص بن الربيع رضي الله عنه على النكاح الأول، ولم يُحدِث شهادةً ولا صَداقًا؛ لأن آية تحريم المسلمات على الكفار لم تكن نزلت إذ ذاك.

روى الإمام الترمذي وأبو داود وابن ماجه بسند حسن عن ابن

---

(١) **الشَّنَّة**: القِربة. انظر: النهاية (٢/ ٤٥٣).

(٢) **الإداوة**، بكسر الهمزة: إناء صغير من جِلد يُتخذ للماء. انظر: النهاية (١/ ٣٦).

(٣) **العِقال**: هو الحبل الذي يُربَط به البعير. انظر: النهاية (٣/ ٢٥٣).

(٤) انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٢٦٩).

(٥) انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٢٧٠).

(٦) انظر: سير أعلام النبلاء (١/ ٣٣١).

عباس رضي الله عنهما، قال: رد النبي ﷺ ابنته زينب على أبي العاص بن الربيع رضي الله عنهما، بعد ستٍّ(١) سنين بالنكاح الأول، ولم يُحدِث نِكاحًا(٢).

قال الإمام السندي: فإن قيل: حديثه أنه ﷺ ردها عليه بعد ست سنين، والعِدَّة لا تبقى إلى هذه المدة غالبًا، قلنا: لم يُؤثِّر إسلامها وبقاؤه على الكفر في قطع النكاح الأول، إلا بعد نزول الآية في الممتحَنة، وذلك بعد صُلح الحُديبيَة، فتوقُّف نكاحها على انقضاء العدة من حين النزول، وكان إسلام أبي العاص بعد الحُديبيَة بزمان يسير(٣)، بحيث يمكن أن تكون عدتها لم تنقضِ في الغالب، فيشبه أن يكون الرد بالنكاح الأول؛ لأجل ذلك(٤).

وقال الإمام ابن القيم: ولا يُعرَف اعتبار العِدَّة في شيء من الأحاديث، ولا كان النبي ﷺ يسأل المرأة: هل انقضت عدتها أم لا، ولا ريب أن الإسلام كان بمجَرَّده فُرقةً، لم تكن فُرقة رجعية بل بائنة، فلا أثر للعدة في بقاء النكاح، وإنما أثرها في منع نكاحها للغير، فلو كان الإسلام قد نَجَّز الفُرقة بينهما، لم يكن أحقَّ بها في العدة، ولكن الذي دل عليه حكمه ﷺ

(١) في رواية ابن ماجه: بعد سنتين.
قال الحافظ في الفتح (١٠/ ٥٣٠): وأشار بذلك؛ يعني: الإمام الترمذي، إلى أنَّ رَدَّها إليه بعد ست سنين، أو بعد سنتين، أو ثلاث: مشكل؛ لاستبعاد أن تبقى في العدة هذه المدة، ولم يذهب أحد إلى جواز تقرير المسلمة تحت المشرك إذا تأخر إسلامه عن إسلامها حتى انقضت عدتها، وممَّن نقل الإجماع في ذلك ابن عبد البر، وأشار إلى أن بعض أهل الظاهر قال بجوازه، ورده بالإجماع المذكور، وتعقب بثبوت الخلاف فيه قديمًا، وهو منقول عن علي وعن إبراهيم النخعي، أخرجه ابن أبي شيبة عنهما بطرق قوية، وبه أفتى حماد شيخ أبي حنيفة.

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه، رقم الحديث (١١٧٥)، وأبو داود في سننه، رقم الحديث (٢٢٤٠)، وابن ماجه في سننه، رقم الحديث (٢٠٠٩).

(٣) اختُلِفَ في وقت إسلام أبي العاص رضي الله عنه؛ فقيل: قبل الحُديبية، وقيل: بعدها بيسير.

(٤) انظر: شرح السندي، للمسند (٢/ ٢٧٦).

أن النكاح موقوف، فإنْ أسلم قبل انقضاء عِدَّتِها فهي زوجته، وإن انقضت عدتها فلها أن تنكِح مَن شاءت، وإن أحبَّت انتظرته، فإن أسلم كانت زوجته من غير حاجة إلى تجديد نكاح، ولا نعلم أحدًا جَدَّد للإسلام نكاحه البتة؛ بل كان الواقع أحد أمرين: إما افتراقهما ونكاحها غيره، وإما بقاؤها عليه وإن تأخر إسلامها أو إسلامه[١].

*** تنبيه مهم:**

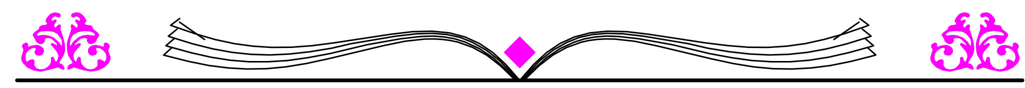
ذهب موسى بن عقبة[٢] إلى أن قصة أبي العاص بن الربيع ﵁ وأسْرِه وقعت بعد هدنة الحُديبيَة، وأن الذين تعرَّضوا لقافلته هم: أبو بَصير وأبو جَندل وأصحابهما زمن هدنة الحُديبيَة، ولم يكن ذلك بأمر رسول الله ﷺ؛ لأنهم كانوا منحازين عنه بسِيفِ البحرِ[٣]، وكان لا يمر بهم مِن عِير لقريش إلا أخذوها، وهذا قول الزُّهري[٤]، خلافًا لما ذهب إليه الواقدي[٥]، وابن سعد في «طبقاته»[٦]، وغيرهما من أصحاب المغازي؛ من أن سَرِيَّة زيد بن حارثة ﵁ هي التي اعترضت قافلته، وصوَّب ذلك الإمام ابن القيم.

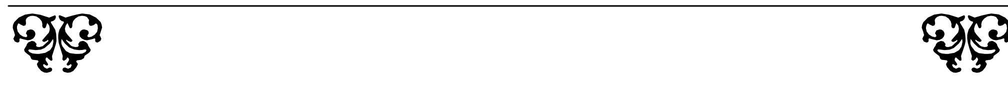
قال الإمام ابن القيم: وقول موسى بن عقبة أصوب، وأبو العاص إنما أسلم زمن الهُدنة، وقريش إنما انبسطت عِيرها إلى الشام في زمن الهدنة، وسياق الزُّهري للقصة بَيِّن ظاهر أنها كانت في زمن الهدنة[٧].

---

(١) انظر: زاد المعاد (٥/ ١٨٨، ١٨٩).
(٢) كما في دلائل النبوة، للبيهقي (٤/ ١٧٤).
(٣) **سِيفُ البحر**: ساحِلُه. انظر: النهاية (٢/ ٣٩٠).
(٤) أورد ذلك عنه البيهقي في دلائل النبوة (٤/ ١٧٢، ١٧٥).
(٥) أورد ذلك عنه البيهقي في دلائل النبوة (٤/ ٨٥).
(٦) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (٢/ ٢٩٣).
(٧) انظر: زاد المعاد (٣/ ٣٣٤).











سَرِيَّة الخَبَط[(١)]

روى الشيخان في «صحيحيهما» ـ واللفظ لمسلم ـ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: بعَثَنا رسول الله ﷺ وأَمَّر علينا أبا عُبيدة، نتلقى[(٢)] عِيرًا لقريش[(٣)]، وزوَّدَنا جِرابًا[(٤)] من تمر لم يجد لنا غيره، فكان أبو عبيدة يُعطينا تمرةً تمرةً، فقلتُ: كيف كنتم تصنعون بها؟

قال: نَمَصُّها كما يَمَصُّ الصبي، ثم نشرب عليها من الماء، فتكفينا يومنا إلى الليل، وكنا نضرب بعِصِينا الخَبَط[(٥)]، ثم نبُلُّه بالماء فنأكله،

---

(١) **الخَبَط**: ما سقط من ورق الشجر بالخَبْط والنَّفْض. انظر: النهاية (٢/ ٨).

(٢) في رواية أخرى في الصحيحين: نرصد.
والرصد: المراقبة . انظر: لسان العرب (٥/ ٢٢٣).

(٣) في رواية ابن سعد في طبقاته (٢/ ٣١٥): أن النبي ﷺ بعثهم إلى حي من جُهينة بالقَبَلية مما يلي ساحل البحر.
القَبَلية، بفتح القاف والباء، هي ناحية من ساحل البحر، بينها وبين المدينة خمسة أيام. انظر: النهاية (٤/ ٩).
قال الحافظ في الفتح (٨/ ٤٠٨): وهذا لا يُغاير ظاهره ما في الصحيح؛ لأنه يمكن الجمع بين كونهم يتلقون عيرًا لقريش ويقصدون حيًّا من جُهينة، ويقوي هذا الجمع ما عند مسلم من طريق عبيد الله بن مقسم عن جابر رضي الله عنه، قال: بعث النبي ﷺ بعثًا إلى أرض جُهينة، فذكر هذه القصة، لكن تَلَقِّي عير قريش ما يُتصور أن يكون في الوقت الذي ذكره ابن سعد في رجب سنة ثمان؛ لأنهم كانوا حينئذ في الهدنة؛ بل مقتضى ما في الصحيح أن تكون هذه السَّرية في سنة ست أو قبلها قبل هدنة الحُديبيَة، نعم يُحتمل أن يكون تلقيهم للعير ليس لمحاربتهم؛ بل لحفظهم من جُهينة؛ ولهذا لم يقع شيء من طرق الخبر أنهم قاتلوا أحدًا؛ بل فيه أنهم قاموا نصف شهر أو أكثر في مكان واحد. والله أعلم.

(٤) **الجراب**، بكسر الجيم، وعاء من جلد، لا يُوضع فيه إلا يابس. انظر: لسان العرب (٢/ ٢٢٨).

(٥) في رواية أخرى في الصحيحين: فأصابنا جوع شديد، حتى أكلنا الخَبَط.

وانطلقنا على ساحل البحر، فَرُفع لنا على ساحل البحر كهيئة الكثيب الضخم، فأتيناه فإذا هي دابة تُدعى العنبر[(١)]، فقال أبو عبيدة: ميتة! ثم قال: لا؛ بل نحن رُسُل رسول الله ﷺ، وفي سبيل الله، وقد اضطُررتم فكلوا، قال: فأقمنا عليه شهرًا[(٢)]، ونحن ثلاثمائة حتى سَمِنَّا! ولقد رأيتنا نغترف من وَقْب[(٣)] عينه بالقلال[(٤)] الدُّهْنَ، ونقتطع منه الفِدَر[(٥)] كالثور ـ أو كقدر الثور ـ، فلقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلًا، فأقعدهم في وَقْب عينه، وأخذ ضِلَعًا مَن أضلاعه فأقامها، ثم رَحَل[(٦)] أعظم بعير معنا، فمر من تحتها[(٧)]،

(١) **العنبر**: هي سمكة بحرية كبيرة. انظر: النهاية (٣/ ٢٧٦).
وفي رواية أخرى في صحيح البخاري، رقم الحديث (٥٤٩٣): فألقى البحر حوتًا ميتًا لم يُر مثله.
وفي رواية أخرى في صحيح البخاري، رقم الحديث (٤٣٦٠): فإذا حوت مثل الظَّرِب.
الظراب: الجبال الصغيرة، واحدتها: ظَرِبٌ بوزن كتِف، وقد يُجمع في القلة على أظْرُب. انظر: النهاية (٣/ ١٤٢).

(٢) في رواية أخرى في الصحيحين: نصف شهر.
وفي رواية أخرى في الصحيحين: ثمان عشرة ليلة.
قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٣/ ٧٥): طريق الجمع بين الروايات: أن من روى شهرًا هو الأصل ومعه زيادة علم، ومَن روى دونه لم ينفِ الزيادة، ولو نفاها قُدِّم المثبت، وقد قدمنا مرات أن المشهور الصحيح عند الأصوليين أن مفهوم العدد لا حكم له؛ فلا يلزم منه نفي الزيادة لو لم يُعارضه إثبات الزيادة، كيف وقد عارضه؟ فوجب قبول الزيادة.

(٣) قال الحافظ في الفتح (٨/ ٤١١): **الوَقْب**، بفتح الواو وسكون القاف: حفرة العين في عظم الوجه.

(٤) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٣/ ٧٤): **القِلال**، بكسر القاف: جمع قُلة، بضمها، هي: الجَرَّة الكبيرة.

(٥) قال الحافظ في الفتح (٨/ ٤١١): **الفِدَر**، بكسر الفاء وفتح الدال، جمع فِدْرة، بفتح ثم سكون، وهي: القطعة من اللحم.

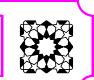
(٦) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٣/ ٧٥): **رَحَل**: بفتح الحاء؛ أي: جعل عليه رَحْلًا، والرحل للبعير: كالسرج للفرس. انظر: النهاية (٢/ ١٩٢).

(٧) في رواية أخرى في الصحيحين: فأخذ أبو عبيدة ضِلَعًا من أضلاعه فنصبه، ثم نظر إلى =

وتزوَّدْنا من لحمه وشائقَ[١]، فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله ﷺ، فذكرنا ذلك له، فقال: «**هو رزق أخرجه الله لكم، فهل معكم من لحمه شيء فتُطعمونا؟**»

قال: فأرسلنا إلى رسول الله ﷺ منه، فأكله[٢].

وفي لفظ آخر في «الصحيحين»، قال جابر رضي الله عنه: وكان فينا رجل[٣]، فلما اشتد الجوع نحر ثلاث جزائر[٤]، ثم ثلاث جزائر، ثم نهاه أبو عبيدة رضي الله عنه[٥].



فوائد من سَرِيَّة الخَبَطِ

قال الحافظ في «الفتح»: فيُستفاد منه: إباحة مَيتة البحر، سواء مات بنفسه، أو مات بالاصطياد، وهو قول الجمهور[٦].

= أطول رجل في الجيش، وأطول جمل، فحمله عليه، فمرَّ تحته!
زاد الإمام أحمد في مسنده بسند صحيح، رقم الحديث (١٤٢٨٦): فلم يُصِبها شيء.

(١) **الوشائق**: جمع وشيقة، وهو أن يُؤخذ اللحم فيُغلى قليلًا ولا يُنضج، ويُحمل في الأسفار. انظر: النهاية (٥/ ١٦٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٣٦٠) (٤٣٦١) (٤٣٦٢)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٩٣٥) (١٧) (١٨).

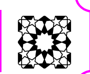
(٣) قال الحافظ في الفتح (١١/ ٤٣): هذا الرجل هو قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنه، وكان اشترى الجُزُر من أعرابي جهني: كل جَزور بِوَسْق من تمر يُوفيه إياه بالمدينة.
الوَسْق: بفتح الواو وسكون السين: ستون صاعًا. انظر: النهاية (٥/ ١٦١).

(٤) قال الحافظ في الفتح (١١/ ٤٣): **الجزائر**: جمع جزور، وفيه نظر؛ فإن جزائر جمع جزيرة، والجَزور إنما يُجمع على جُزُر بضمتين، فلعله جمع الجمع.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٥٤٩٤)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٩٣٥) (١٩).

(٦) انظر: فتح الباري (١١/ ٤٣).

وقال الإمام ابن القيم: وفيها[١] دليل على جواز الاجتهاد في الوقائع في حياة النبي ﷺ، وإقرارِه على ذلك، لكن هذا كان في حال الحاجة إلى الاجتهاد، وعدم تمكُّنِهم من مراجعة النص، وقد اجتهد أبو بكر وعمر رضي الله عنهما بين يدي رسول الله ﷺ في عِدَّة من الوقائع، وأقرهما على ذلك، لكن في قضايا جُزْئِيَّة معيَّنة لا في أحكام عامة وشرائع كلية؛ فإن هذا لم يقع من أحد من الصحابة في حضوره ﷺ البتة[٢].



وَهْم أهل المغازي في تاريخ هذه السَّرية

ذهب عامة أهل المغازي إلى أن سرية الخَبَط وقعت في رجب من السنة الثامنة للهجرة، وهذا فيه نظر.

قال الحافظ ابن كثير: ومقتضى أكثر هذه السياقات أن هذه السرية كانت قبل صلح الحُديبيَة[٣].

وقال الإمام ابن القيم: وهذا السياق يدل على أن هذه الغزوة كانت قبل الهُدنة، وقبل عُمرة الحُديبيَة؛ فإنه من حين صالح أهل مكة بالحُديبية لم يكن يرصد لهم عِيرًا؛ بل كان زمن أمن وهُدنة إلى حين الفتح، ويبعد أن تكون سَرية الخَبَط على هذا الوجه مرتين؛ مرةً قبل الصلح، ومرة بعده. والله أعلم[٤].

وقال أيضًا: فصل في فقه هذه القصة؛ ففيها: جواز القتال في الشهر الحرام، إن كان ذِكْرُ التاريخ فيها برجب محفوظًا، والظاهر ـ والله أعلم ـ أنه وَهْم غير محفوظ؛ إذ لم يُحفظ عن النبي ﷺ أنه غزا في الشهر الحرام ولا أغار فيه، ولا بعث فيه سَرية[٥].

---

(١) يعني: سَرِيَّةَ الخَبَطِ.
(٢) انظر: زاد المعاد (٣/ ٤٧٧).
(٣) انظر: البداية والنهاية (٤/ ٦٧٠).
(٤) انظر: زاد المعاد (٣/ ٤٧٢).
(٥) انظر: زاد المعاد (٣/ ٤٧٣).

وقال الحافظ في «الفتح»: تَلقِّي عِير قريش ما يُتصوَّر أن يكون في الوقت الذي ذكره ابن سعد في رجب سنة ثمانٍ؛ لأنهم كانوا حينئذٍ في الهُدنة؛ بل مقتضى ما في الصحيح أن تكون هذه السَّرية في سنة ستٍّ، أو قبلها قبل هُدنة الحُدَيبيَة[١].

* تنبيه مهم:

قلت: وقع في «صحيح مسلم» غزوة للنبي ﷺ شبيهة أحداثها بأحداث سَرية الخَبَط، وهو أيضًا عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما، الذي روى قصة سرية الخَبَط مع أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهما، فقال جابر رضي الله عنه: سرنا مع رسول الله ﷺ في غزوة بطن بُوَاط[٢] وهو يطلب المجدي بن عمرو الجُهني، وكان الناضح[٣] يَعقُبُه منا الخمسة والستة والسبعة... إلى أن قال: وكان قوت[٤] كل رجل منا في كل يوم تمرة، فكان يَمَصُّها ثم يَصُرُّها[٥] في ثوبه، وكنا نختبط[٦] بقِسِيِّنا[٧] ونأكل، حتى قَرِحت أشداقنا[٨]... إلى أن قال: وشكا

(١) انظر: فتح الباري (٨/٤٠٨).

(٢) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٨/١٠٨): **بُواط** ـ بضم الباء الموحدة وفتحها، والواو مخففة، والطاء مهملة ـ.

وقال الحافظ في الفتح (٨/٤): **بواط**: هو جبل من جبال جهينة بقرب ينبع.

(٣) **النواضح**: هي الإبل التي يُستقى عليها، واحدها: ناضح. انظر: النهاية (٥/٥٩).

(٤) **القوت**: قدر ما يُمسك الرَّمَق من المطعم. انظر: النهاية (٤/١٠٤).

(٥) **يَصُرُّها**: يجمعها ويشدها. انظر: لسان العرب (٧/٣٢٣).

(٦) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٨/١١١): معنى **نختبط**: نضرب الشجر؛ ليتحاتَّ ورقه فنأكله.

(٧) **القِسِيُّ**: جمع قوس. انظر: لسان العرب (١١/٣٤٥).

(٨) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٨/١١١): أي: تجرَّحت من خشونة الورق وحرارته.

والأشداق: جوانب الفم. انظر: النهاية (٢/٤٠٦).

الناس إلى رسول الله ﷺ الجوع، فقال رسول الله ﷺ: «**عسى الله أن يُطعمكم**»، فأتينا سِيفَ البحر، فزَخَر[١] البحر زخرة، فألقى دابة، فأَورينا[٢] على شِقِّها النار، فاطَّبَخْنا واشتوينا وأكلنا حتى شبعنا، فدخلتُ أنا وفلان وفلان ـ حتى عد خمسةً ـ في حِجاج[٣] عينها، ما يرانا أحد! حتى خرجنا، فأخذنا ضِلَعًا من أضلاعه فَقَوَّسناه، ثم دعونا بأعظم رجل في الركب، وأعظم جمَل في الركب، وأعظم كِفْل[٤] في الركب، فدخل تحته ما يُطأطئ[٥] رأسه[٦]!

ذكر الحافظ ابن كثير أحداث سرية الخَبَط مع أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، ثم قال: وفي بعض روايات مسلم أنهم كانوا مع النبي ﷺ حين وجدوا هذه السمكة، فقال بعضهم: هي واقعة أخرى، وقال بعضهم: بل هي قضية واحدة، ولكن كانوا أولًا مع النبي ﷺ، ثم بعثهم سَريةً مع أبي عبيدة رضي الله عنه، فوجدوا هذه[٧] في سريتهم تلك مع أبي عبيدة رضي الله عنه، والله أعلم[٨].

وقال الحافظ في «الفتح»: وظاهر سياق هذه القصة[٩] يقتضي مغايرة القصة المذكورة في الباب[١٠]، وهي من رواية جابر أيضًا، حتى قال

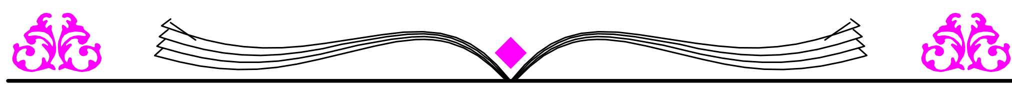
(١) **زخر**: ارتفعت أمواجه. انظر: النهاية (٢/ ٢٧١).
(٢) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٨/ ١١١): **أورينا**: أوقدنا.
(٣) **الحِجاج**، بكسر الحاء وفتحها: العظم المستدير حول العين. انظر: النهاية (١/ ٣٢٩).
(٤) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٨/ ١١١): **الكِفْل**، بكسر الكاف وإسكان الفاء، قال الجمهور: الكساء الذي يحويه راكب البعير على سنامه؛ لئلا يسقط، فيحفظ الكِفل الراكب.
(٥) **طاطأ**: خفض. انظر: لسان العرب (٨/ ١١٣).
(٦) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب حديث جابر الطويل، وقصة أبي اليَسَر، رقم الحديث (٣٠٠٩) (٣٠١١) (٣٠١٤).
(٧) أي: السمكة الكبيرة، وهو الحوت.
(٨) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ١٩٨).
(٩) يعني: قصة الغزوة التي خرج فيها رسول الله ﷺ، وهي شبيهة بأحداث سرية الخَبَط مع أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه.
(١٠) هي: سَرية الخَبَط.

عبد الحق في الجمع بين «الصحيحين»: هذه واقعة أخرى غير تلك؛ فإن هذه كانت بحضرة النبي ﷺ، وما ذكره ليس بنص في ذلك؛ لاحتمال أن تكون الفاء في قول جابر رضي الله عنه: فأتينا سِيفَ البحر، هي الفصيحة، وهي مُعقبة لمحذوف تقديره: فأرسلَنا النبيُّ ﷺ مع أبي عبيدة، فأتينا سِيفَ البحر؛ فتتحد القصتان، وهذا هو الراجح عندي، والأصل عدم التعدد، ومما يُنبَّه عليه هنا أيضًا أن الواقدي زعم أن قصة بعْث أبي عبيدة كانت في رجب سنة ثمانٍ، وهو عندي خطأ؛ لأن في نفس الخبر الصحيح أنهم خرجوا يترصدون عِير قريش، وقريش في سنة ثمان كانوا مع النبي ﷺ في هُدنة، وقد نبهتُ على ذلك في المغازي، وجوزتُ أن يكون ذلك قبل الهُدنة في سنة ستٍّ أو قبلها، ثم ظهر لي الآن تقوية ذلك بقول جابر رضي الله عنه في رواية مسلم هذه: إنهم خرجوا في غزوة بُوَاط، وغزوة بواط كانت في السنة الثانية من الهجرة قبل وقعة بدر، وكان النبي ﷺ خرج في مائتين من أصحابه يعترض عِيرًا لقريش فيها أُمَية بن خلف، فبلغ بُواطًا، فلم يلق أحدًا فرجع، فكأنه أفرد أبا عبيدة فيمن معه يرصدون العير المذكورة، ويؤيد تقدُّمَ أمرها ما ذُكر فيها من القلة والجَهد، والواقع أنهم في سنة ثمانٍ كان حالهم اتسع بفتح خيبر وغيرها، والجَهد المذكور في القصة يناسب ابتداء الأمر؛ فيَرجَح ما ذكرته، والله أعلم[١].

❁ ❁ ❁

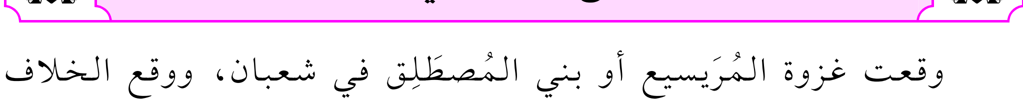
(١) انظر: فتح الباري (١١/ ٤٥، ٤٦).











غزوة المُرَيْسِيع[١] أو بني المُصْطَلِق[٢]

وقعت غزوة المُرَيسيع أو بني المُصطَلِق في شعبان، ووقع الخلاف في السنة التي وقعت فيها هذه الغزوة، على النحو التالي:

* **القول الأول: وقعت في السنة الخامسة للهجرة**[٣].

---

(١) قال الحافظ في الفتح (٨/ ١٩٥): **المُرَيسيع**، بضم الميم، وفتح الراء: هو ماءٌ لبني خُزاعة.

(٢) قال الحافظ في الفتح (٨/ ١٩٥): **المُصْطَلِق**، بضم الميم، وسكون المهملة، وفتح الطاء، وكسر اللام، هو لقب، واسمه جُذَيمة بن سعد بن عمرو بن ربيعة بن حارثة؛ بطن من بني خزاعة.

(٣) أبرز مَن ذهب إلى ذلك:

* الإمام موسى بن عقبة، كما في دلائل النبوة للبيهقي (٤/ ٤٥).
* محمد بن عمر الواقدي في مغازيه، وكما في دلائل النبوة للبيهقي (٤/ ٤٥).
* ابن سعد في طبقاته (٢/ ٢٨١).
* الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٦١)، والسيرة النبوية (١/ ٤٦٨).
* الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٨/ ١٩٦).
* الإمام ابن القيم في زاد المعاد (٣/ ٢٩٩).

* **قلت**: ويُعكِّر على أصحاب هذا القول: أن الحجاب فُرِضَ في ذي القعدة سنة خمس للهجرة في قول الأكثر، ولا خلاف أن آية الحجاب نزلت حين دخول النبي ﷺ بزينب بنت جحش رضي الله عنها، وثبت في قصة الإفك التي وقعت في هذه الغزوة أن الحجاب فُرض قبل قصة الإفك.

* قال الإمام ابن القيم في زاد المعاد (٣/ ٣١٠): ذكر أرباب التواريخ أن تزويجه ﷺ بزينب رضي الله عنها كان في ذي القعدة سنة خمس، وعلى هذا فلا يصح قول موسى بن عقبة، يعني في قوله: وقعت غزوة المُريسيع أو بني المصطلق في شعبان سنة خمس.

* وذهب الحافظ في الفتح (٨/ ١٩٦) إلى أن فرض الحجاب كان في ذي القعدة سنة أربع للهجرة، وعند ذلك فلا إشكال، فقال: والحجاب كان في ذي القعدة سنة أربع عند جماعة، فيكون المُريسيع بعد ذلك، فيرجح أنها سنة خمس.

* **القول الثاني**: **وقعت في السنة السادسة للهجرة**[(١)].

(١) أبرز مَن ذهب إلى ذلك:
* إمام أهل المغازي محمد بن إسحاق في السيرة (٣/ ٣١٧).
* الحافظ ابن عبد البر في الدرر في اختصار المغازي والسير، ص (٢٠٠).
* الإمام ابن حزم في جوامع السيرة، ص (١٢١).
* الإمام ابن الأثير في أُسد الغابة (٥/ ٤٤٧).
* الحافظ ابن كثير في الفصول في سيرة الرسول، ص (١٧٨).

قلت: ويعكِّر على أصحاب هذا القول ذكر سعد بن معاذ ﵁، وأنه تنازع مع سعد بن عبادة ﵁ في أصحاب الإفك، كما في الصحيحين، فجَعَل أصحاب هذا القول ذِكْرَ سعد بن معاذ ﵁ وَهْمًا؛ لأنه لم يختلف أحد أن سعد بن معاذ ﵁ مات إثر غزوة بني قُرَيظة، وكان عقب الخندق سنة خمس من الهجرة، وقد ذكر ابن إسحاق في السيرة (٣/ ٣٢٨) أن الذي تنازع مع سعد بن عبادة ﵁ هو أُسَيد بن حضير ﵁، وبذلك يزول الإشكال.

* قال الإمام ابن حزم في جوامع السيرة، ص (١٢٣): وقد روينا من طرق صحاح: أن سعد بن معاذ ﵁ كانت له في شيء من ذلك مراجعة مع سعد بن عبادة ﵁، وهذا عندنا وهم؛ لأن سعد بن معاذ ﵁ مات إثر فتح قريظة بلا شك... وذكر ابن إسحاق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله وغيره: أن المقاول لسعد بن عبادة ﵁ إنما كان أُسيد بن حضير ﵁، وهذا هو الصحيح، والوهم لم يَعْرَ منه من بني آدم إلا مَن عصم الله تعالى.

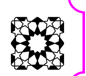
* وعلَّق الحافظ ابن كثير في الفصول في سيرة الرسول، ص (١٨٦) على كلام ابن حزم، بقوله: وهو كما قال إن شاء الله.

* وذهب الحافظ ابن عبد البر في الدرر في اختصار المغازي والسير، ص (٢٠٢) إلى ما ذهب إليه الإمام ابن حزم.

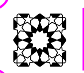
* **تنبيه مهم:**

* قال ابن سيد الناس في عيون الأثر (٢/ ١٤٦): وقع في هذا الحديث، يعني: حديث الإفك الذي وقع في غزوة المُريسيع: فقام سعد بن معاذ الأنصاري ﵁، فقال: يا رسول الله، أنا أعذِرُك منه، ووقع عند ابن إسحاق في هذا الخبر بدل سعد بن معاذ أُسيد بن حضير ﵁، فمن الناس مَن يرى أن ذِكْر سعد في هذا الخبر وَهْم؛ لأن سعدًا مات عند انقضاء أمر بني قريظة، ويرى أن الصواب ما ذكره ابن إسحاق من ذكر أُسيد بن حُضير ﵁، ولو اتفق أهل المغازي على أن وقعة الخندق وبني قريظة متقدمة على غزوة بني المُصطَلق لكان الوَهم لازمًا لمن رآه كذلك، ولكن هم مختلفون في ترتيب هذه المغازي، كما سبق في هذه وغيرها، ورأيتُ عند الحاكم أبي عبد الله أن سبب هذا الخلاف إنما هو لاختلاف في التاريخ: هل هو لمَقْدَم النبي ﷺ في ربيع الأول، كما هو عند قوم، أو للعام الذي قدم فيه كما هو عند آخرين، وذلك لا يتم؛ لأمرين:

=



سبب هذه الغزوة



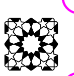
بلغ رسولَ الله ﷺ أنَّ الحارث بن أبي ضرار سيدَ بني المُصطَلِق جمع قومه ومَن قدر عليه من العرب لحرب رسول الله ﷺ، فبعث رسول الله ﷺ بُريدة بن الحُصيب رضي الله عنه؛ لِيَعلَم علم ذلك، فأتاهم ولقي الحارث بن ضرار وكَلَّمه، فرجع إلى رسول الله ﷺ وأخبره الخبر(١).





خروج النبي ﷺ إليهم

ندب رسول الله ﷺ الناس، فأسرعوا في الخروج، وخرج معه عدد كثير من المنافقين لم يخرجوا في غزوة قط مثلها، واستعمل على المدينة زيد بن حارثة رضي الله عنه، وخرج رسول الله ﷺ من المدينة يوم الاثنين لليلتين خلتا من شعبان، فلما بلغ الحارث بن أبي ضرار ومَن معه مسير رسول الله ﷺ إليهم، خافوا خوفًا شديدًا، وتفَرَّق عنهم مَن كان معهم من العرب(٢).



هل وقع قتال في هذه الغزوة؟

وصل رسولُ الله ﷺ إلى المُرَيسِيع، واختُلِف هل دعاهم النبي ﷺ إلى الإسلام قبل أن يُباغتهم أم لا؟

= * **أحدهما**: أن تلك المدة التي وقع الاختلاف فيها إنما هي نحو ثلاثة أشهر، وهي من أول العام إلى ربيع الأول، وزمن الخلاف أوسع من ذلك؛ فهذه الغزوة عند ابن عقبة في سنة أربع، وعند غيره في شعبان سنة ست.

* **الثاني**: أنها مختلفة الترتيب عندهم في تقديم بعضها على بعض؛ فهذه عند ابن سعد وجماعة قبل الخندق، وعند ابن إسحاق وآخرين بعدها، وذلك غير الأول، وأما ابن سعد فإنه يُؤَرِّخ هذه الوقائع بالأشهر لا بالسنين.

(١) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٢٨١).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٣/ ٣١٧)، الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٢٨١).

والذي يظهر أنه لم يَدْعُهم؛ لأن الدعوة قد بلغتهم؛ فقد روى الشيخان في «صحيحيهما» ـ واللفظ لمسلم ـ عن ابن عون، قال: كتبتُ إلى نافع أسأله عن الدعاء[(١)] قبل القتال[(٢)]؟

قال: فكتب إليَّ: إنما كان ذلك أول الإسلام، قد أغار رسول الله ﷺ على بني المُصطَلِق وهُم غَارُّون[(٣)]، وأنعامهم تُسقى على الماء، فقتل مقاتِلَتَهم وسبى سَبْيَهم، وأصاب يومئذٍ جُوَيْرية[(٤)] ابنة الحارث، حدَّثني هذا الحديث عبدُ الله بن عمر رضي الله عنهما، وكان في ذاك الجيش[(٥)].

قال الإمام النووي: وفي هذا الحديث جواز الإغارة على الكفار الذين بلغتهم الدعوة، من غير إنذار[(٦)].

وقال الحافظ في «الفتح»: هي مسألة خلافية[(٧)]؛ فذهب طائفة، منهم عمر بن عبد العزيز، إلى اشتراط الدعاء إلى الإسلام قبل القتال، وذهب الأكثر إلى أن ذلك كان في بدء الأمر قبل انتشار دعوة الإسلام، فإن وُجِدَ مَن لم تبلغه الدعوة لم يُقاتَل حتى يُدعى. نصَّ عليه الشافعي، وقال مالك: مَن قَرُبت داره قُوتل بغير دعوة؛ لاشتهار الإسلام، ومَن بَعُدت داره فالدعوة

---

(١) في رواية الإمام أحمد: الدعوة.
قال السندي في شرحه للمسند (٤/ ٧١): أي: إلى الإسلام.

(٢) قال السندي في شرحه للمسند (٤/ ٧١): أي: واجبة قبل القتال، بحيث إنه لا يجوز لهم أن يُقاتلوا قبلها.

(٣) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٢/ ٣٣): **غارُّون**، بالْغَين المعجمة، وتشديد الراء؛ أي: غافِلون.

(٤) قال الحافظ في الفتح (٥/ ٤٧٨): جُويرية، مصغَّرًا، بنت الحارث بن أبي ضِرار، بكسر المعجمة وتخفيف الراء، وكان أبوها سيد قومه، وقد أسلم بعد ذلك.

(٥) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٢٥٤١)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٧٣٠)، والإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٤٨٥٧).

(٦) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١٢/ ٣٣).

(٧) يعني: اشتراط الدعاء قبل القتال.

أقطع للشك[١].

وذهب الواقدي وابن سعد وابن إسحاق إلى أن رسول الله ﷺ دعاهم إلى الإسلام، ووقع القتال بين الطرفين؛ فقال الواقدي: انتهى رسول الله ﷺ إلى المُرَيسيع، وهو الماء، فنزل وضرب ﷺ قُبَّةً له من أَدَم[٢]، ومعه من نسائه: عائشة، وأم سلمة ﵄، وقد اجتمعوا على الماء، وأعدُّوا وتهيؤوا للقتال، وصفَّ رسول الله ﷺ أصحابه، ثم أمر رسول الله ﷺ عمر بن الخَطَّاب ﵁، فنادى في الناس: قولوا لا إلٰه إلا الله، تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم، فأبَوا، فكان أوَّلَ مَن رمى رجلٌ منهم بسهمٍ، فرمى المسلمون ساعة بالنَّبْل، ثم إن رسول الله ﷺ أمر أصحابه أن يحملوا، فحملوا حملة رجل واحد، فما أفلت منهم إنسان، وقُتِل عشرة منهم، وأُسِرَ سائرهم، وسبى رسول الله ﷺ الرجال والنساء والذرية والنَّعَم[٣] والشَّاء[٤].

قال الإمام ابن القيم: هكذا قال عبد المؤمن بن خَلَف في سيرته وغيره، وهو وَهْم؛ فإنه لم يكن بينهم قتال، وإنما أغار عليهم على الماء، فسبى ذراريَّهم وأموالهم، كما في «الصحيح»[٥].

وجمع بينهما الحافظ في «الفتح»، فقال: يحتمل أن يكون حين الإيقاع بهم ثبتوا قليلًا، فلما كَثُر فيهم القتل انهزموا، بأن يكون لما دهمهم وهم على الماء ثبتوا وتصافُّوا، ووقع القتال بين الطائفتين، ثم بعد ذلك وقعت الغَلَبة عليهم[٦].

---

(١) انظر: فتح الباري (٦/ ٢٠٩).
(٢) **الأَدَم**: الجِلد. انظر: لسان العرب (١/ ٩٦).
(٣) **النَّعَم**: الإبل والغنم. انظر: لسان العرب (١٤/ ٢٣٢).
(٤) انظر: دلائل النبوة للبيهقي (٤/ ٤٧، ٤٨)، الطبقات الكبرى، لابن سعد (٢/ ٢٨١)، سيرة ابن هشام (٣/ ٣١٨).
(٥) انظر: زاد المعاد (٣/ ٣٠٠).
(٦) انظر: فتح الباري (٨/ ١٩٦).

قلت: والعجب من ابن سعد كيف رَجَّح رواية أهل المغازي المُرسَلة على رواية البخاري ومسلم؟! فقال بعد أن ذكر رواية أهل المغازي التي ذكرتُها قبل قليل: وكان ابن عمر رضي الله عنهما يُحدِّث أن النبي ﷺ أغار عليهم وهم غارُّون، ونَعَمهم تُسقى على الماء، فقتل مقاتِلَتَهم وسَبى ذارريَّهم، والأول أثبتُ[1].

وتعقبه الحافظ في «الفتح» بقوله: والحكم بكون الذي في السِّيَر أثبتَ مما في الصحيح مردود، ولا سيما مع إمكان الجمع. والله أعلم[2].

زواج الرسول ﷺ من جُويرية بنت الحارث رضي الله عنها

تزوج رسول الله ﷺ جويرية بنت الحارث رضي الله عنها وذلك بعد أن أعتقها، وقصتها أخرجها الإمام أحمد في «مسنده» وأبو داود في «سننه» بسند حسن عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: لما قسم رسول الله ﷺ سبايا بني المُصطَلِق، وقعت جُوَيرية بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس بن شَمَّاس رضي الله عنه ـ أو لابن عم له ـ وكاتَبَتْه[3] على نفسها، وكانت امرأةً حُلوة مُلَاحَة[4] لا يراها أحد إلا أخذت بنفسِه، فأتت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها، قالت: فوالله ما هو إلا أن رأيتُها على باب حُجرتي فكرهتها، وعرفتُ أنه سيرى منها ما رأيتُ، فدخَلَت عليه، فقالت: يا رسول الله، أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيِّدِ قومي، وقد أصابني من البلاء ما لم يَخْفَ عليك، فوقعتُ في

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٢٨١).
(٢) انظر: فتح الباري (٨/ ١٩٧).
(٣) **الكتابة**: أن يُكاتب الرجل عبده على مال يُؤديه إليه منجَّمًا؛ يعني: مفَرَّقًا، فإذا أداه صار حُرًّا. انظر: النهاية (٤/ ١٢٩).
(٤) في رواية الحاكم: مَلِيحة.
قال الزرقاني في شرحه للمواهب (٤/ ٤٢٥): **مُلَاحة**: ذات بهجة وحُسن منظر.

السهم لثابت بن قيس بن شَمَّاس، فكاتبتُه على نفسي، فجئتُك أستعينك على كتابتي، فقال رسول الله ﷺ: «**فهل لكِ في خير من ذلك؟**» قالت: وما هو يا رسول الله ﷺ؟ قال رسول الله ﷺ: «**أقضي كتابتَكِ وأتزوَّجُكِ**»، قالت: نعم يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «**قد فعلتُ**»، قالت: وخرج الخبر إلى الناس أنَّ رسول الله ﷺ تزوج جويرية بنت الحارث، فقال الناس: أصهارُ رسول الله ﷺ، فأرسَلوا ما بأيديهم[(١)]، قالت: فلقد أُعتِقَ بتزويجه إيَّاها مئةُ أهل بيت من بني المُصطَلِق! فما أعلم امرأة كانت أعظَمَ بركةً على قومها منها[(٢)].

سعي المنافقين لإثارة الفتنة

قدَّمْنا أنه خرج مع رسول الله ﷺ في هذه الغزوة عدد كبير من المنافقين، وعلى رأسهم عبد الله بن أُبي بن سلول رأس المنافقين، ولم يكن خروجهم مع رسول الله ﷺ في هذه الغزوة إلا لإثارة الفتن بين المسلمين، ووقعت أحداث عظيمة بسببهم؛ منها:

١ ـ إثارة نعرات الجاهلية:

روى الشيخان في «صحيحيهما» عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: كنا مع النبي ﷺ في غزاة[(٣)]، فكَسَع[(٤)] رجل من المهاجرين[(٥)] رجلًا من

(١) زاد أبو داود في سننه: من السَّبْي.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٦٢٦٥)، وأبو داود في سننه، رقم الحديث (٣٩٣١)، وأخرجه مختصرًا الحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٦٩٤٢).

(٣) في رواية أحمد والترمذي: غزوة بني المصطلق.

(٤) قال الحافظ في الفتح (٩/ ٦٤٤): **الكَسْعُ**: ضرب الدُّبُر باليد أو بالرِّجل.

(٥) سماه ابن إسحاق في السيرة (٣/ ٣١٨): هو: جَهْجاه بن سعيد، وكان أجيرًا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه يقود له فرسَه.

الأنصار[١]، فقال الأنصاري: يا لَلأنصارِ، وقال المهاجريُّ: يا لَلمهاجرينَ، فسمع ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «**ما بالُ دعوى الجاهلية؟!**»[٢]، قالوا: يا رسول الله، كَسَع رجل من المهاجرين رجلًا من الأنصار، فقال رسول الله ﷺ: «**دعُوها؛ فإنها منتنة**»[٣].

زاد الإمام مسلم في «صحيحه» في رواية أخرى: «**لِيَنصُرِ الرجل أخاه ظالمًا أو مظلومًا؛ إن كان ظالمًا فلينْهَه، فإنَّه له نصرٌ، وإن كان مظلومًا فلْيَنصُرْه**»[٤].

* موقف ابن سلول من ذلك:

فلما بلغ عبدَ الله بن أُبي ابن سلول ذلك غَضِب، وقال قولًا منكَرًا؛ فقد روى ابن إسحاق في «السيرة» عن شيوخه، قالوا: فغضب عبد الله بن أُبي ابن سلول، وعنده رهط من قومه فيهم: زيد بن أرقم رضي الله عنه، غلام حَدَث، فقال: أوَقَد فعلوها، قد نافَرونا[٥] وكاثَرونا في بلادِنا، والله ما أَعُدُّنا وجلابيبَ قريش إلا كما قال الأول: سَمِّن كلبك يأكلك، أما والله لئن رجعْنا

(١) سماه ابن إسحاق في السيرة (٣/ ٣١٨): هو سنان بن وَبْرة الجهني.

(٢) قال الإمام ابن القيم في مدارج السالكين (٣/ ١٣١): هذا، وهما اسمان شريفان، سماهم الله بهما في كتابه، فنهاهم عن ذلك، وأرشدهم إلى أن يتداعَوا بالمسلمين والمؤمنين عباد الله، وهي الدعوى الجامعة، بخلاف الدعوى المفَرِّقة؛ كالفلانيَّة والفلانيَّة؛ فالله المستعان.

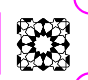
(٣) **النَّتْن**: الرائحة الكريهة، ومعنى الحديث: أن الدعوة بدعوى الجاهلية مذمومة في الشرع مجتنَبة مكروهة، كما يُجتنَب الشيء النَّتِن. انظر: لسان العرب (١٤/ ٣٦)، النهاية (٥/ ١٢).
والحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٩٠٥)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٥٨٤) (٦٣)، والإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٥٢٢٣)، والترمذي في جامعه، رقم الحديث (٣٦٠٢).

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٥٨٤) (٦٢).

(٥) **نافره**: غلبه. انظر: النهاية (٥/ ٨٠).

إلى المدينة لَيُخرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذَلَّ، ثم أقبل على مَن حضره من قومه، فقال لهم: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموه بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم، لتحوَّلوا إلى غير داركم(١).

وروى الإمام البخاري ومسلم والترمذي ـ واللفظ للترمذي ـ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: فسمع ذلك عبدُ الله بن أُبي ابن سلول، فقال: أوقَد فعلوها؟(٢) والله لئن رجعْنا إلى المدينة لَيُخرجَنَّ الأعزُّ منها الأذَلَّ، فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله، دعني أضربْ عُنُقَ هذا المنافق(٣)، فقال رسول الله ﷺ: «**دعْه، لا يتحَدَّث الناسُ أن محمدًا يقتل أصحابه**»(٤).



زيد بن أرقم رضي الله عنه(٥) يُخبر بالخبر

فلمَّا سمع زيد بن أرقم رضي الله عنه ذلك من هذا المنافق، ذهب وأخبر عمَّه(٦)

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٣/ ٣١٨، ٣١٩).

(٢) في رواية البخاري: فعلوها؟
قال الحافظ في الفتح (٩/ ٦٤٥): هو استفهام بحذف الأداة: أي: أفَعَلوها؟ أي: **الأَثَرة**؛ أي: شَرِكْناهم فيما نحن فيه، فأرادوا الاستبداد به علينا.

(٣) في رواية أخرى في صحيح البخاري، رقم الحديث (٣٥١٨): الخبيث.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٩٠٥)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٥٨٤) (٦٣)، والترمذي في جامعه، رقم الحديث (٣٦٠٢).

(٥) قال الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٤٧٨): زيد بن أرقم الأنصاري الخزرجي الصحابي رضي الله عنه، غزا مع رسول الله ﷺ سبع عشرة غزوة، استصغره يوم أُحُد، وكان يتيمًا في حجر عبد الله بن رواحة، وسار معه في غزوة مُؤتة، وله مناقب، منها: ما روينا في صحيحي البخاري ومسلم في قصة إخباره بقول المنافقين.

(٦) في رواية الطحاوي في شرح مشكل الآثار، رقم الحديث (٥٨٨٥) بسند حسن، قال زيد رضي الله عنه: فأتيت سعد بن عبادة، فأخبرته، فأتى النبيَّ ﷺ فذكر ذلك له.
قال الحافظ في الفتح (٩/ ٦٣٩): وليس سعد بن عبادة رضي الله عنه عمه حقيقة، وإنما هو سيد =

بذلك؛ فقد روى الإمام البخاري في «صحيحه» عن زيد بن أرقم رضي الله عنه، قال: كنتُ في غزوة[(١)]، فسمعتُ عبد الله بن أُبي، يقول: لا تُنفقوا على مَن عندَ رسول الله حتى ينفضُّوا مِن حوله، ولو رجعنا من عنده ليُخرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذَلَّ، فذكرتُ ذلك لعمي أو لعُمَرَ[(٢)]، فذكره للنبي ﷺ فدعاني فحدَّثتُه، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أُبي وأصحابه فحلفوا ما قالوا، فكذَّبني رسول الله ﷺ[(٣)].

وفي لفظ آخر في «الصحيحين»، قال زيد رضي الله عنه: فأرسل إلى عبد الله بن أُبيٍّ فسأله، فاجتهد يمينَه ما فعل، وقال: كَذَبَ زَيدٌ رسولَ الله ﷺ[(٤)].

وفي رواية الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» بسند حسن، قال

= قومه الخزرج، وعم زيد بن أرقم الحقيقي ثابت بن قيس، له صحبة، وعمه زوج أمه عبد الله بن رواحة رضي الله عنهم خزرجي أيضًا.

(١) في رواية الإمام الترمذي في جامعه، رقم الحديث (٣٦٠١): غزوة تبوك.
قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٨/ ١٢٧): قوله: غزوة تبوك، فيه نظر؛ بل ليس بجيد؛ فإن عبد الله بن أبي ابن سلول لم يكن ممن خرج في غزوة تبوك؛ بل رجع بطائفة من الجيش، وإنما المشهور عند أصحاب المغازي والسِّيَر أن ذلك كان في غزوة المُرَيسيع، وهي غزوة بني المُصطَلِق.
وقال الحافظ في الفتح (٩/ ٦٣٨): والذي عليه أهل المغازي أنها غزوة بني المصطلق.
وفي صحيح البخاري، رقم الحديث (٤٩٠٥) من حديث جابر رضي الله عنه، في نفس القصة، قال: وكانت الأنصار أكثر من المهاجرين حين قدموا المدينة، ثم إن المهاجرين كَثُروا بعدُ.
قال الحافظ في الفتح (٩/ ٦٤٥): هذا مما يؤيد تقدُّم القصة، ويُوضح وَهْم مَن قال: إنها كانت بتبوك؛ لأن المهاجرين حينئذ كانوا كثيرًا جدًّا، وقد انضافت إليهم مُسلِمةُ الفتحِ في غزوة تبوك؛ فكانوا حينئذ أكثر من الأنصار. والله أعلم.

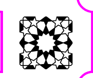
(٢) قال الحافظ في الفتح (٩/ ٦٣٩): كذا بالشك، وفي سائر الروايات الآتية: لعَمِّي؛ بلا شكٍّ.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٩٠٠)، والترمذي في جامعه، رقم الحديث (٣٥٩٩).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٩٠٣)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٧٧٢).

زيد رضي الله عنه: فنظر رسول الله ﷺ إلى سعد بن عبادة رضي الله عنه، فقال سعد: يا رسول الله، إنما أخبَرَنيه الغلامُ، لزيدِ بن أرقم، فجاء سعد فأخذ بيدي، فانطلق بي، فقال: هذا حدَّثَني، فانتهرني عبد الله بي أُبي، فأجهَشْتُ[١] إلى رسول الله ﷺ، فبكيتُ، فقلتُ: والذي أنزل عليك النبُوَّةَ، لقد قال[٢].

قال زيد رضي الله عنه: فأصابني هَمٌّ لم يُصِبْني مثلُه قطُّ، وقال لي عمي: ما أردتَ إلى أن كذَّبك رسول الله ﷺ ومَقَتَك[٣]؟.



تصديق الوحي لزيد بن أرقم رضي الله عنه

قال زيد بن أرقم رضي الله عنه: فبينما أنا أسير مع رسول الله ﷺ قد خفَقْتُ[٤] برأسي من الهَمِّ، إذ أتاني رسولُ الله ﷺ فعَرَكَ[٥] أُذني وضَحِك في وجهي، فما كان يَسُرُّني أنَّ لي بها الخُلْدَ في الدنيا! ثم إن أبا بكر لحقني، فقال: ما قال لك رسولُ الله ﷺ؟

قلت: ما قال لي شيئًا، إلا أنه عرك أُذني، وضَحِك في وجهي، فقال: أبشِرْ، ثم لحقني عمر رضي الله عنه، فقلتُ له مثلَ قولي لأبي بكر، فلما أصبحنا، قرأ رسول الله ﷺ سورةَ المنافقين[٦].

---

(١) **الجَهْش**: أن يفزع الإنسان إلى الإنسان ويلجأ إليه، وهو مع ذلك يريد البكاء، كما يفزع الصبي إلى أمه وأبيه. انظر: النهاية (١/ ٣١٠).

(٢) أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار، رقم الحديث (٥٨٨٥).

(٣) **المقت**: أشد البُغض. انظر: النهاية (٤/ ٢٩٥).

والخبر أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٩٠٠) (٤٩٠٤).

(٤) يُقال: **خفق فلانًا خفقة**: إذا نام نومة خفيفة. انظر: لسان العرب (٤/ ١٥٧).

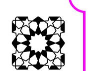
(٥) **عَرَك**: دَلَك. انظر: لسان العرب (٩/ ١٦٨).

(٦) أخرج ذلك الإمام الترمذي في جامعه، رقم الحديث (٣٦٠٠) وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وروى الإمام البخاري والإمام أحمد ـ واللفظ لأحمد ـ عن زيد بن أرقم رضي الله عنه، قال: فأرسل إليَّ نبي الله ـ أو أتيتُ رسول الله ﷺ ـ فقال: إن الله عز وجل قد أنزل عُذرَك، وصَدَّقَك، قال: فنزلت هذه الآية: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟﴾، حتى بلغ: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٧، ٨][(١)].

وروى الإمام البخاري في «صحيحه» عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**هذا الذي أوفى اللهُ له بأُذُنِه**»[(٢)].

قال الحافظ في «الفتح»: أي: أظهر صِدقَه فيما أعلَمَ به، والمعنى: أوفى صِدْقَه[(٣)].



قصة الإفك

وفي هذه الغزوة وقعت قصة الإفك الذي افتراه ابن سلول ـ قبَّحه الله ـ ومَن معه من المنافقين، في أم المؤمنين الطاهرة عائشة بنت أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنهما، وأنزل الله عز وجل عشر آيات من سورة النور في ذلك؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [النور: ١١] إلى آخر الآيات.

قال الإمام القرطبي: وسبب نزول هذه الآيات ما رواه الأئمة من حديث الإفك الطويل في قصة عائشة رضوان الله عليها، وهو خبر صحيح

---

(١) الخبر أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٩٠٢) (٤٩٠٤)، والإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٩٢٨٥) (١٩٢٩٥).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٩٠٦).

(٣) انظر: فتح الباري (٩/ ٦٤٧).

مشهور، أغنى اشتهاره عن ذِكْره[(١)].

وقال الحافظ ابن كثير: هذه العشر الآيات[(٢)] كلها نزلت في شأن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، حين رماها أهل الإفك والبهتان من المنافقين بما قالوه من الكذب البَحْت والفِرية، التي غار الله تعالى لها ولنبيه صلوات الله وسلامه عليه، فأنزل الله عز وجل براءتها؛ صيانة لعِرض الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ [النور: ١١]؛ أي: جماعة منكم؛ يعني: ما هو واحد ولا اثنان بل جماعة، فكان المقَدَّم في هذه اللعنة عبد الله بن أُبي ابن سلول رأس المنافقين؛ فإنه كان يجمعه ويستوشيه، حتى دخل ذلك في أذهان بعض المسلمين، فتكلَّموا به، وجَوَّزه آخرون منهم، وبقي الأمر كذلك قريبًا من شهر، حتى نزل القرآن، وسياق ذلك في الأحاديث الصحيحة[(٣)].

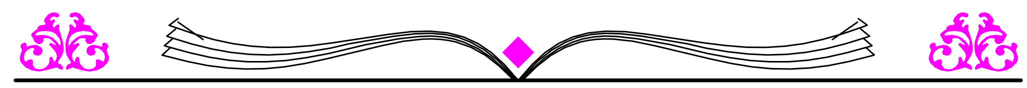


(١) انظر: تفسير القرطبي (١٥/ ١٦١).

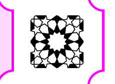
(٢) من سورة النور، الآيات (١١ ـ ٢٢).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ١٩).









قدوم العُرَنِيِّين

قَدِمَ على رسول الله ﷺ في المدينة رهط من عُكْل[١] وعُرَينة[٢]، وذلك في شوال من السنة السادسة للهجرة[٣]، فأظهروا الإسلام، وبايعوا رسول الله ﷺ، فاجتَوَوُا المدينة[٤]، وسقمت أجسامهم، فعَظُمت بطونهم، وانتهشت[٥] أعضاؤهم[٦].

قال الحافظ في «الفتح»: والظاهر أنهم قَدِموا سِقامًا، فلما صحُّوا من السقم كرهوا الإقامة بالمدينة لوَخمِها، فأما السقم الذي كان بهم فهو الهزال الشديد والجَهد من الجوع، فعند أبي عَوانة من رواية غيلان عن أنس ﵁: كان بهم هزال شديد، وعنده من رواية ابن سعد عنه: مُصْفَرَّة ألوانهم[٧].

روى الإمام البخاري في «صحيحه» عن أنس ﵁، قال: إن ناسًا من عُكْلٍ وعُرَينة قدموا المدينة على النبي ﷺ، وتكلموا بالإسلام[٨]، فقالوا: يا

---

(١) قال الحافظ في الفتح (١/ ٤٤٩): **عُكْل**، بضم العين، وإسكان الكاف: قبيلة من تَيم الرِّبابِ.

(٢) قال الحافظ في الفتح (١/ ٤٤٩): **عُرَيْنة**، بضم العين، **مُصَغَّرًا**: حيٌّ من قبيلة بَجيلة.

(٣) هذا تاريخ قدومهم عند ابن سعد في طبقاته (٢/ ٢٩٦)، وذكر ابن إسحاق أن قدومهم كان بعد غزوة ذي قَرَد، وكانت عنده في جمادى الآخرة سنة ست من الهجرة.

(٤) أي: أصابهم الجوى، وهو المرض وداء الجوف إذا تطاول، وذلك إذا لم يوافقهم هواؤها. انظر: النهاية (١/ ٣٠٧).

(٥) **انتهشت**: هَزلت. انظر: النهاية (٥/ ١٢٠).

(٦) أخرج ذلك الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٤٠٨٦) وإسناده صحيح.

(٧) انظر: فتح الباري (١/ ٤٥٠).

(٨) في رواية أخرى في صحيح البخاري، رقم الحديث (٦٨٩٩)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٦٧١) (١٠): فبايعوه على الإسلام. =

نبي الله إنا كنا أهل ضرع ولم نكن أهل ريف[(١)]، واستوخموا[(٢)] المدينة، فأمر لهم رسول الله ﷺ بذَوْدٍ[(٣)] وراعٍ، وأمرهم أن يخرجوا فيه فيشربوا من ألبانها وأبوالها، فانطلقوا حتى إذا كانوا ناحية الحَرَّة[(٤)] كفروا بعد إسلامهم، وقتلوا راعيَ[(٥)] النبي ﷺ واستاقوا الذَّوْدَ، فبلغ النبيَّ ﷺ، فبعث الطَّلَبَ في آثارِهم[(٦)]، فأمر بهم فسَمَروا[(٧)] أعيُنَهم وقَطَعوا أيديهم، وتُرِكوا في ناحية

= وفي رواية أخرى في صحيح مسلم: رقم الحديث (١٦٧١) (١٣): فأسلموا وبايعوه.

(١) قال الإمام ابن الأثير في جامع الأصول (٣/ ٤٩٠): أراد: أننا أهل ماشية وبادية، ولسنا من أهل المدن والحَضَر، وإنما عيشُنا من اللَّبَن.

(٢) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١١/ ١٢٩): أي: لم توافقهم، وكرهوها لسقم أصابهم، وهو مشتقٌّ من الجوى، وهو داء في الجوف.

(٣) قال الحافظ في الفتح (٤/ ٦٦): **الذَّوْدُ**: بفتح المعجمة وسكون الواو.
وقال ابن الأثير في جامع الأصول (٣/ ٤٩١): الذَّودُ من الإبل: من الثلاثة إلى العشرة.

(٤) قال الحافظ في الفتح (١/ ٤٥٣): **الحَرَّة**: هي أرض ذات حجارة سُود معروفة بالمدينة.

(٥) اسم راعي النبي ﷺ المقتول: يَسار، كما في رواية ابن إسحاق في السيرة (٤/ ٢٩٧).
قال الحافظ في الفتح (١/ ٤٥٢): ولم تختلف روايات البخاري في أن المقتول راعي النبي ﷺ وفي ذكره بالإفراد، وكذا لمسلم، لكن عنده من رواية عبد العزيز بن صهيب عن أنس: ثم مالوا على الرُّعاة فقتلوهم، بصيغة الجمع، ونحوه لابن حبان من رواية يحيى بن سعيد عن أنس، فيحتمل أن إبل الصدقة كان لها رعاة، فقُتِلَ بعضهم مع راعي اللقاح، فاقتصر بعض الرواة على راعي النبي ﷺ، وذكر بعضهم معه غيره، ويحتمل أن يكون بعض الرواة ذكره بالمعنى، فتجوز في الإتيان بصيغة الجمع، وهذا أرجح؛ لأن أصحاب المغازي لم يذكر أحد منهم أنهم قتلوا غيرَ يسارٍ، والله أعلم.

(٦) في رواية أخرى في صحيح مسلم، رقم الحديث (١٦٧١) (١٣) قال أنس ﵁: وعنده، يعني: الرسول ﷺ، شباب من الأنصار قريب من عشرين، فأرسلهم، وبعث معهم قائفًا يقتصُّ أثرهم.
قلت: وأَمَّر عليهم كُرْز بن جابر الفهري ﵁، كذا ذكره ابن إسحاق في السيرة (٤/ ٢٩٧) والأكثرون.
قال الحافظ في الفتح (١/ ٤٥٢): **كُرْز**: هو بضم الكاف وسكون الراء بعدها زاي.
وقال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١١/ ١٣٠): **القائف**: هو الذي يتتبَّع الآثار وغيرها.

(٧) قال الحافظ في الفتح (١/ ٤٥٣): **فسَمَروا**: بتخفيف الميم. =

الحَرَّةِ، حتى ماتوا على حالِهم[١].

وفي لفظ آخر في «الصحيحين» عن أنس ﵁، قال: فخرجوا فشَرِبوا من أبوالها وألبانها، فصحُّوا، فقتلوا الراعيَ وأطْرَدوا[٢] الإبِلَ[٣]، فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ، فبعث في آثارهم، فأُدرِكوا، فجيء بهم، فأمر بهم فقُطِعَت أيديهم وأرجلهم، وسَمَرَ أعيُنَهم، ثم نُبِذُوا[٤] في الشمس حتى ماتوا[٥].

وروى الإمام مسلم في «صحيحه» عن أنس ﵁، قال: إنما سَمَلَ النبي ﷺ أعين أولئك؛ لأنهم سَمَلُوا أعيُنَ الرِّعاءِ[٦].

قال أبو قِلابة: فهؤلاء سرقوا، وقتلوا، وكفروا بعد إيمانهم، وحاربوا الله ورسوله[٧].

= وفي رواية أخرى في صحيح البخاري، رقم الحديث (٢٣٣): وسُمِّرَت.
قال الحافظ في الفتح (١/ ٤٥٢): **سُمِّرت**: بتشديد الميم، ولم تختلف روايات البخاري في أنه بالراء.
وفي صحيح مسلم، رقم الحديث (١٦٧١) (٩): وسَمَلَ أعيُنَهم.
قال ابن الأثير في جامع الأصول (٣/ ٤٩١): **سَمَر العين**: هو أن تُحمى لها مسامير الحديد وتُكحل ليذهب بصرُها، وسُمِلَت عينُه: إذا فُقِئَت بحديدةٍ مُحْماة.
وفي لفظ آخر في صحيح البخاري، رقم الحديث (٣٠١٨)، قال أنس ﵁: ثم أمر بمسامير فأُحمِيَت فكَحَلَهم بها.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤١٩٢).

(٢) **واطَّردوا**: أي: ساقوا.

(٣) في رواية الإمام البخاري: النَّعَم.
والنَّعَم، بفتح النون المشددة والعين: هي الإبل. انظر: لسان العرب (١٤/ ٢١٢).

(٤) **نُبِذُوا**: طُرِحوا. انظر: لسان العرب (١٤/ ١٧).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٦٨٩٩)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٦٧١) (١٠).

(٦) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٦٧١) (١٤).

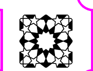
(٧) أخرج ذلك عنه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٢٣٣).

وقال الحافظ ابن كثير: فكان ما فُعِلَ بهم قِصاصًا، والله أعلم(١).

وروى أبو داود في «سننه» والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» بسند صحيح عن أنس ﵁، قال: فأنزل الله ﷿ في ذلك: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ [المائدة: ٣٣](٢).

قال الإمام القرطبي: اختلف الناس في سبب نزول هذه الآية؛ فالذي عليه الجمهور أنها نزلت في العُرَنيِّين(٣).

وقال الحافظ ابن كثير: والصحيح أن هذه الآية عامة في المُشركين وغيرهم ممن ارتكب هذه الصِّفات(٤).



من فوائد قصة العُرَنيِّين

قال الإمام ابن القيم: وفيها من الفقه:

١ ـ جواز شرب أبوال الإبل.

٢ ـ طهارة بول مأكول اللحم.

٣ ـ الجمع للمحارب ـ إذا أخذ المال وقتَل ـ بين قطع يده ورجله، وقَتْلِه، وأن يُفعَل بالجاني كما فَعَل؛ فإنهم لما سَمَلوا عين الراعي سَمَلَ أعينهم، وقد ظهر بهذا أن القصة مُحكَمة ليست منسوخة، وإن كانت قبل أن تنزل الحدود؛ فالحدود نزلت بتقريرها لا بإبطالها، والله أعلم(٥).



---

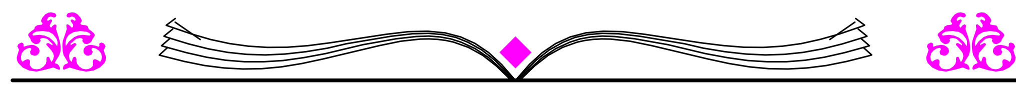
(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٩٧).

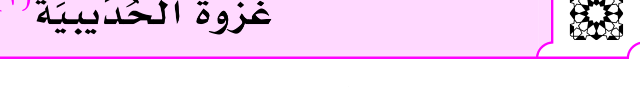
(٢) الخبر أخرجه أبو داود في سننه، رقم الحديث (٤٣٦٦)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار، رقم الحديث (١٨١٠).

(٣) انظر: تفسير القرطبي (٧/ ٤٣١).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٩٥).

(٥) انظر: زاد المعاد (٣/ ٣٣٧).



غزوة الحُدَيبيَة[(١)]

وقعت غزوة الحُديبيَة في ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة، بالإجماع.

---

(١) قال الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات (٣/ ١٤٤): **الحُدَيبيَة**: بضم الحاء، وفتح الدال، وتخفيف الياء، كذا قاله الشافعي ﷺ، وأهل اللغة، وبعض أهل الحديث، وقال أكثر المحدِّثين بتشديد الياء، وهما وجهان مشهوران.

وقال ابن الأثير في النهاية (١/ ٣٣٧): الحُديبيَة: هي بئر، ثم عُرِفَ المكان كله بذلك.

* **قلت**: واختُلِفَ في تسمية هذه الحادثة، على النحو التالي:

* فبَوَّب لها الإمام البخاري في صحيحه، وعنون لها الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٤/ ٥٥٢)، والفصول في سيرة الرسول، ص (١٨٦): بغزوة الحديبية.

* وعنون لها ابن إسحاق في السيرة (٣/ ٣٣٦) بأمر الحديبية.

* وعنون لها الإمام ابن جرير الطبري في تاريخه (٢/ ١١٥)، والإمام ابن القيم في زاد المعاد (٣/ ٣٣٨) بقصة الحديبية.

* وعنون لها الحافظ ابن عبد البر في الدرر في اختصار المغازي والسير، ص (٢٠٤)، والإمام البيهقي في دلائل النبوة (٤/ ٩٠) بعُمرة الحديبية.

* قال الشيخ حافظ الحكمي في كتابه مرويات غزوة الحُديبية، ص (١٤، ١٥): بعد دراسة وتأمل لتلك العناوين رأيتُ أن العنوان المناسب لهذه الحادثة هو: غزوة الحديبية؛ وذلك للأمور التالية:

أولًا: أنه موافق لاصطلاح أهل السِّيَر والمحدِّثين.

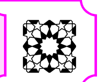
قال الزرقاني في شرح المواهب (٢/ ٢٢٠): جرت عادة المحَدِّثين وأهل السِّيَر واصطلاحاتهم غالبًا أن يُسمُّوا كل عسكر حضره النبي ﷺ بنفسه الكريمة غزوة، وما لم يحضره بل أرسل بعضًا من أصحابه إلى العدو، سَرِيَّةً أو بعثًا.

ثانيًا: ما يحمله لفظ: غزوة من إيماءات عميقة تُعطي الحادثة اعتبارًا خاصًّا في شعور المسلم، ولا توجد في لفظ: قصة وأمر ذلك؛ لأن لفظ غزوة أصبح ملازمًا لشخص =

روى الإمام البيهقي في «دلائل النبوة» عن نافع مولى عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: كانت الحُديبيَة سنة ست بعد مَقْدَم النبي ﷺ المدينة، في ذي القَعدة[١].

قال الإمام البيهقي: هذا هو الصحيح، وإليه ذهب الزُّهري وقتادة، وموسى بن عقبة، ومحمد بن إسحاق بن يسار، وغيرهم[٢].

وقال الحافظ ابن كثير: غزوة الحُديبية كانت في ذي القعدة سنة سِتٍّ بلا خلاف[٣].



سبب هذه الغزوة

كان رسول الله ﷺ قد أُرِيَ في المنام[٤] أنه دخل مكة هو وأصحابه آمنين محلِّقين رؤوسَهم ومُقصِّرين، فأخبر أصحابه بذلك وهو بالمدينة، ففرح الصحابة بذلك، ودعاهم للخروج إلى مكَّة للعمرة، وذكر الله سبحانه هذه

= رسول الله ﷺ، فما تكاد ترى أو تسمع هذه اللفظة حتى يسرح بك الخيال من وراء تلك الأجيال المتعاقبة؛ لترى تحركات رسول الله ﷺ وأصحابه الأبرار يُزلزلون الطغاة وأتباعهم.

ثالثًا: شمول هذا العنوان لجميع تحركات الرسول ﷺ في هذه الحادثة، ابتداء من إحرامه بالعمرة ومرورًا بالبيعة والصُّلح إلى رجوعه للمدينة.

رابعًا: ورود عدة أحاديث تُصرح بأن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يسمُّونها غزوة.

(١) انظر: دلائل النبوة للبيهقي (٤/ ٩١). (٢) انظر: دلائل النبوة للبيهقي (٤/ ٩١).

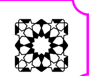
(٣) انظر: البداية والنهاية (٤/ ٥٥٢).

(٤) رُؤيا الأنبياء وحيٌ؛ فقد روى الحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٣٦٥٥) بسند حسن عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: رُؤيا الأنبياء وحي.

وقال الإمام ابن القيم في مدارج السالكين (١/ ٨٣): ورؤيا الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وحي؛ فإنها معصومة من الشيطان، وهذا باتفاق الأمة؛ ولهذا أقدم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ على ذبح إسماعيل بالرؤيا.

الرؤيا في كتابه الكريم، فقال تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾ [الفتح: ٢٧].

قال الحافظ ابن كثير: قوله تعالى: ﴿لَا تَخَافُونَ﴾: حال مؤكِّدة في المعنى، فأثبت لهم الأمن حال الدخول، ونفى عنهم الخوف حال استقرارهم في البلد، لا يخافون من أحد، وهذا كان في عُمرة القضاء في ذي القعدة سنة سبع؛ فإن النبي ﷺ لما رجع من الحُديبية في ذي القعدة رجع إلى المدينة، فأقام بها ذا الحجة والمحرم.. فلما كان في ذي القعدة في سنة سبع خرج إلى مكة معتمرًا هو وأهل الحُديبية، فأحرم من ذي الحُلَيفة، وساق معه الهَدْيَ[1].



عدد الذين خرجوا مع النبي ﷺ

خرج رسول الله ﷺ من المدينة يوم الاثنين هلالَ ذي القعدة سنة ستٍّ للهجرة، ومعه زوجته أم سلمة رضي الله عنها، وخرج معه من المهاجرين والأنصار ألف وأربعمائة، في قول الأكثر؛ فقد روى الشيخان في «صحيحيهما» عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: كنا يوم الحُديبيَة ألفًا وأربعمائة[2].

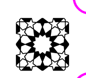
(١) انظر: تفسير ابن كثير (٧/٣٥٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٨٤٠)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٨٥٦) (٦٧).

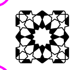
* وفي رواية أخرى في صحيح البخاري، رقم الحديث (٣٥٧٦) (٤١٥٢)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٨٥٦) (٧٢) (٧٣) عن جابر رضي الله عنه، قال: كنا ألفًا وخمسمائة.

* وفي رواية أخرى في صحيح البخاري، رقم الحديث (٤١٥٥)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٨٥٧) عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه، قال: كان أصحاب الشجرة ألفًا وثلاثمائة.

=



إحرام النبي ﷺ من الميقات



ولم يُخرِج رسول الله ﷺ معه السلاحَ، إلا سلاحَ المسافر، وهي السيوف في القُرُب[١]، وساق معه الهَدي[٢] سبعين بَدَنةً[٣]، فيها جمل لأبي جهل ـ قبحه الله ـ في رأسه أو أنفه بُرَّةٌ[٤] من فِضة؛ ليغيظ بذلك المشركين، وبعثها مع ناجية بن جُندب الخزاعي الأسلمي رضي الله عنه، فلما وصل رسول الله ﷺ

= * قال الإمام البيهقي في دلائل النبوة (٤/ ٢٤٠): الأكثر من حفَّاظ الرواة، قالوا: كانوا ألفًا وأربعمائة.

* وقال الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات (٣/ ١٤٥): وأكثر الروايات أن أهل الحُديبية كانوا ألفًا وأربعمائة رضي الله تعالى عنهم.

* وقال الإمام ابن القيم في زاد المعاد (٣/ ٣٣٩): والقلب إلى هذا أميل، يعني: ألفًا وأربعمائة، وهو قول البراء بن عازب، ومَعقِل بن يسار، وسلمة بن الأكوع، في أصح الروايتين عنه.

* **قلتُ**: وقع وَهْم في مسند الإمام أحمد، رقم الحديث (١٨٩١٠)، والسيرة النبوية لابن إسحاق (٣/ ٣٣٧) بسند حسن عن المِسْوَر بن مَخْرَمة، ومروان بن الحكم، قالا: وكان الناس سبعمائة رجل.

* قال الإمام ابن حزم في جوامع السيرة، ص (١٢٣): وهذا وَهْم شديدٌ البتةَ، والصحيح بلا شك بين الألف والثلاثمائة إلى الألف وخمسمائة.

* وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٧/ ٣٣١): كذا قال ابن إسحاق، وهو معدود من أوهامه؛ فإن المحفوظ في الصحيحين أنهم كانوا بضع عشرة مائة.

(١) **القُرُب**، بضم القاف: جمع قِراب، بكسر القاف: هو غِمْد السيف. انظر: لسان العرب (١١/ ٨٦).

(٢) **الهَدْي**: هو ما يُهدى إلى البيت الحرام من النَّعَم لتُنحَر. انظر: النهاية (٥/ ٢٢٠).

(٣) **البَدَنة**: تقع على الجمل والناقة والبقرة، وهي بالإبل أشبه، وسُمِّيَت بدنة؛ لعِظَمِها وسِمَنِها. انظر: النهاية (١/ ١٠٨).

(٤) **البُرَّة**: حلقة تُجعَل في لحم الأنف، وربما كانت من شَعْرٍ. انظر: النهاية (١/ ١٢٢).

إلى ميقات ذي الحُليفة[(١)] قَلَّد هَدْيَه[(٢)]، ثم أشعَرَه[(٣)]، وأحرم بالعُمرة.

روى الإمام البخاري في «صحيحه» عن المِسْوَر بن مَخْرَمة ومروان، قالا: خرج النبي ﷺ زمن الحُديبيَة في بضع عشرة مائة من أصحابه حتى إذا كانوا بذي الحُليفة قَلَّد النبيُّ ﷺ الهَدْيَ وأشعره، وأحرم بالعُمرة[(٤)].

وروى الإمام أحمد في «مسنده» وأبو داود والحاكم بسند حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: إن رسول الله ﷺ قد كان أهدى جَمَلَ أبي جهل، الذي كان استُلِبَ يوم بدر، في رأسه[(٥)] بُرَّة مِن فِضَّة، عام الحُديبيةِ في هَدْيِه؛ ليَغِيظَ بذلك المشركين[(٦)].

وبعث رسولُ الله ﷺ بين يديه بُسْرَ[(٧)] بن سفيان الخُزاعي عينًا[(٨)] له إلى قريش؛ ليأتيَه بخبرهم[(٩)].

---

(١) قال الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات (٣/ ٢٠٣): **ذو الحُلَيفة**: ميقات أهل المدينة، زادها الله شرفًا، بضم الحاء المهملة، وفتح اللام، وإسكان الياء، وهي على نحو ستة أميال من المدينة.

(٢) **تقليد الهَدي**: أن يُجعَلَ في عنقها شِعار يُعلَمُ به أنها هَدْيٌ. انظر: لسان العرب (١١/ ٢٧٦).

(٣) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٨/ ١٨٥): **الإشعار في الهَدي**: هو أن يجرحها في صفحة سَنامها اليُمنى بحربة أو سكين أو حديدة، أو نحوها، ثم يَسلُت الدَّمَ عنها، ويجعل ذلك لها علامةً تُعرف بها أنها هَدْيٌ.

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٦٩٤) (١٦٩٥).

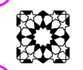
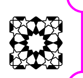
(٥) في رواية أخرى في المسند، رقم الحديث (٢٤٦٦): أنفه.

(٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٣٦٢)، وأبو داود في سننه، رقم الحديث (١٧٤٩)، والحاكم في المستدرك، رقم الحديث (١٧٣٣).

(٧) قال الحافظ في الفتح (٥/ ٦٨٠): بُسْر: بضم الباء، وسكون السين، على الصحيح.

(٨) **العين**: الجاسوس. انظر: النهاية (٣/ ٢٩٩).

(٩) أخرج ذلك الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤١٧٨) (٤١٧٩)، ولم يقع في صحيح البخاري تسمية الجاسوس، وسَمَّاه ابن إسحاق في السيرة (٣/ ٣٣٧).

جموع قريش تتصدى للمسلمين

سار رسول الله ﷺ حتى إذا بلغ غَدير الأشطاط أتاه عينُه الخزاعي، فقال: إن قريشًا جمعوا لك جموعًا، وقد جمعوا لك الأحابيش(١)، وهم مقاتلوك وصادُّوك عن البيت ومانِعوك(٢).

وفي رواية الإمام أحمد في «مسنده» بسند حسن عن المِسْوَر بن مَخْرَمة ومروان بن الحكم، قالا: حتى إذا كان بعُسفان(٣) لقيه بُسر بن سفيان الكعبي رضي الله عنه، فقال: يا رسول الله، هذه قريش قد سَمِعَت بمسيرك، فخرجت معها العُوذُ المطافيلُ(٤) قد لبسوا جلود النمور، يعاهدون الله أن لا تدخلها عليهم عَنوةً(٥) أبدًا، وهذا خالد بن الوليد في خيلِهم قد قدَّموها إلى كُراع الغميم(٦)، فقال رسول الله ﷺ: **«يا ويحَ قريش! لقد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خَلَّوا بيني وبين سائر الناس، فإن أصابوني كان الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وهم وافرون، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم**

---

(١) **الأحابيش**: هم أحياء انضموا إلى بعض، فَسُمُّوا بذلك، والتحبش: التجمع. انظر: النهاية (١/ ٣١٩).

(٢) أخرج ذلك إلى هذا القدر: الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤١٧٨) (٤١٧٩)، والإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٨٩٢٨).

(٣) **عُسْفان**: قرية جامعة بين مكة والمدينة. انظر: النهاية (٣/ ٢١٤).

(٤) قال الحافظ في الفتح (٥/ ٦٨٦): **العُوذ**، بضم العين، وسكون الواو: جمع عائذ، وهي الناقة ذات اللبن، **والمطافيل**: الأمهات اللاتي معها أطفالها، يريد أنهم خرجوا معهم بذوات الألبان من الإبل؛ ليتزودوا بألبانها ولا يرجعوا حتى يمنعوه.

(٥) **عَنوة**: أي: قَهْرًا. انظر: النهاية (٣/ ٢٨٤).

(٦) قال الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات (٣/ ٤٦٠): **كُرَاع**: هو بضم الكاف، **والغَمِيم**: بفتح الغين، وكسر الميم، وهو واد بين مكة والمدينة، بينه وبين مكة نحو مرحلتين.

قُوَّة، فماذا تظن قريش؟! والله إني لا أزال أجاهدهم على الذي بعثني الله له حتى يُظهِرَه اللهُ له، أو تنفَرِدَ هذه السَّالفةُ»[(١)].

مشاورة النبي ﷺ أصحابه

ثم قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**أشِيروا ـ أيُّها الناس ـ عليَّ، أتَرون أن أميل إلى عيالهم وذراريِّ هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت، فإن يأتونا كان الله ﷻ قد قطع عينًا من المشركين، وإلا تركناهم محروبين؟**»[(٢)].

وفي رواية أخرى للإمام أحمد في «مسنده» بسند صحيح، قال رسول الله ﷺ: «**أشيروا عليَّ، أتَرون أن نميل إلى ذراري هؤلاء الذين أعانوهم فنُصيبَهم، فإن قعدوا قعدوا موتورين محروبين، وإن يجيئون تكن عُنُقًا قطعها الله، أو تَرَون أن نَؤُمَّ**[(٣)] **البيت، فمن صَدَّنا عنه قاتلناه؟**»[(٤)].

قال الحافظ في «الفتح»: والمراد أنه ﷺ استشار أصحابه: هل يخالف الذين نصروا قريشًا إلى مواضعهم، فيسبي أهلهم، فإن جاؤوا إلى نصرهم اشتغلوا بهم، وانفرد هو وأصحابه بقريش، وذلك المراد بقوله: تكن عنقًا

---

(١) **السَّالفة**: صفحة العنق، وكنَّى بانفرادها عن الموت؛ لأنها لا تنفرد عما يليها إلا بالموت. انظر: النهاية (٢/ ٣٥١).
والحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٨٩١٠).

(٢) **محروبين**: أي: مسلوبين منهوبين. انظر: النهاية (١/ ٣٤٥).
وأخرج ذلك إلى هذا القدر: الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤١٧٨) (٤١٧٩).

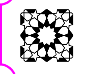
(٣) **نَؤُم**: نقصد. انظر: النهاية (١/ ٧٠).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٨٩٢٨).

قطعها الله[(١)].

فقال أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه: يا رسول الله خرجتَ عامدًا لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرب أحد، فتوجَّهْ له، فمن صَدَّنا عنه قاتَلْناه[(٢)].

وفي رواية الإمام أحمد في «مسنده» بسند صحيح، قال أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه: يا نبيَّ الله، إنما جئنا معتمرين، ولم نجئْ نقاتل أحدًا، ولكن مَن حال بيننا وبين البيت قاتلناه[(٣)].

وقال المقداد بن عمرو رضي الله عنه: أما والله لا نكون كالملأ من بني إسرائيل إذ قالوا لنبيّهم: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ [المائدة: ٢٤]، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا معكم مقاتلون[(٤)].

فقال رسول الله ﷺ: «**امضوا على اسم الله**»[(٥)].

نزول الرسول ﷺ بالحُديبيَة

ثم أمر رسول الله ﷺ الناس، فسلكوا ذات اليمين بين ظَهْرَي الحَمض

(١) انظر: فتح الباري (٥/ ٦٨١).

(٢) أخرج ذلك إلى هذا القدر: الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤١٧٨) (٤١٧٩).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٨٩٢٨).

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٤/ ٥٢١)، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة (٧، القسم الثاني/ ١٠٢١، ١٠٢٢) وقال: وهذا إسناد مرسَل صحيح، وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٣/ ٧٩): وهذا إن كان محفوظًا يوم الحُديبية، فيحتمل أنه كرر هذه المقالة يومئذٍ كما قاله يوم بدر.

(٥) أخرج ذلك البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤١٧٨) (٤١٧٩).

على طريق تُخرجه على ثَنِيَّة[١] المُرارِ[٢]، والحُديبيَة من أسفل مكة، فسلك بالجيش تلك الطريق، فلما رأت خيل قريش قَترة[٣] الجيش قد خالفوا عن طريقهم، نكصوا راجعين إلى قريش، فخرج رسول الله ﷺ حتى إذا سلك ثَنِيَّة المُرار[٤]، قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**مَن يَصعَدُ الثَّنِيَّةَ؛ ثنيةَ المُرار؛ فإنه يُحَطُّ عنه ما حُطَّ عن بني إسرائيل**»[٥].

قال جابر رضي الله عنه: فكان أوَّلَ مَن صَعِدها خيلُنا؛ خيلُ بني الخزرج، ثم تتامَّ الناس[٦].

فلما كان رسول الله ﷺ بالثنية؛ ثنية المُرار التي يُهبَط عليهم منها، بركت ناقته ﷺ، فقال الناس: حَل حَل[٧]، فألَحَّت[٨]، فقالوا: خَلَأتِ[٩]

---

(١) **الثَّنِيَّة**: هو الطريق العالي في الجبل. انظر: النهاية (١/ ٢٢٠).

(٢) **المُرار**، بكسر الميم وبضمها، موضع بين مكة والمدينة من طريق الحديبية. انظر: النهاية (١/ ٢٢٠).

(٣) **القَترة**، بفتح القاف: الغُبار. انظر: النهاية (٤/ ١١).

(٤) أخرج ذلك إلى هذا القدر: الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٨٩١٠) وإسناده حسن.

(٥) قال ابن الأثير في النهاية (١/ ٢٢٠): وإنما حثهم على صعودها؛ لأنها عَقَبة شاقة وصلوا إليها ليلًا، فرغَّبهم في صعودها، والذي حُطَّ عن بني إسرائيل هو ذنوبهم؛ قال تعالى: ﴿وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَـٰيَـٰكُمْ﴾ [البقرة: ٥٨].

(٦) أخرج ذلك إلى هذا القدر: الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٨٨٠).

(٧) قال الحافظ في الفتح (٥/ ٦٨٢): **حَلْ حَلْ**، بفتح الحاء، وسكون اللام: كلمة تقال للناقة إذا تَرَكت السير.

(٨) قال الحافظ في الفتح (٥/ ٦٨٢): **فألحَّت**، بتشديد الحاء؛ أي: تمادت على عدم القيامِ، وهو من الإلحاح.

(٩) **خلأ**: إذا برك فلم يقُم. انظر: لسان العرب (٤/ ١٦٤).

القصواء، فقال رسول الله ﷺ: «**ما خَلَأَت القَصواءُ، وما ذاك لها بخُلُقٍ**[(١)]، **ولكِنْ حبسها حابِسُ الفيل**»[(٢)]، ثم قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده، لا يسألونَني خُطَّةً**[(٣)] **يُعظِّمون فيها حرمات الله**[(٤)] **إلا أعطيتهم إيَّاها**»[(٥)].

وفي لفظ آخر في «المسند» بسند حسن، قال رسول الله ﷺ: «**وَاللهِ لا تدعوني قريش اليوم إلى خُطَّة يسألوني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها**»[(٦)].

ثم زجر رسولُ الله ﷺ ناقته، فوثبت[(٧)]، فعدل[(٨)] عنهم حتى نزل بأقصى الحُديبية على ثَمَد[(٩)] قليل يتبرَّضُه[(١٠)] الناس تبرُّضًا، فلم يُلَبِّثْه الناسُ حتى نزَحوه[(١١)]، وشُكي إلى رسول الله ﷺ العطش، فانتزع سهمًا من كنانتِه[(١٢)]، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فما زال يجيش[(١٣)] لهم بالرِّيِّ حتى

---

(١) قال الحافظ في الفتح (٥/ ٦٨٣): أي: بِعَادةٍ.

(٢) زاد الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٨٩١٠) بسند حسن: عن مكَّة.

(٣) **الخُطَّة**: الحال والأمر. انظر: النهاية (٢/ ٤٦).

(٤) قال الحافظ في الفتح (٥/ ٦٨٤): أي: مِن تَرْكِ القِتالِ في الحرم، وفي رواية أخرى قال رسول الله ﷺ: «**يسألوني فيها صلة رحم**»، وهي من جملة حُرُمات الله.

(٥) أخرج ذلك إلى هذا القدر: الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٢٧٣١) (٢٧٣٢).

(٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٨٩١٠).

(٧) قال الحافظ في الفتح (٥/ ٦٨٤): **وثبت**: قامت.

(٨) **عدل عن الطريق**: مال عنه. انظر: لسان العرب (٩/ ٨٦).

(٩) **الثَّمَد**، بالتحريك: الماءُ القليل. انظر: النهاية (١/ ٢١٥).

(١٠) **يتبرَّضه الناس**: أي: يأخذونه قليلًا قليلًا. انظر: النهاية (١/ ١١٩).

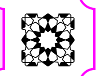
(١١) **النَّزَح**، بالتحريك: البئر التي أُخِذَ ماؤها، والمراد: أنهم لم يُبقوا من الماء شيئًا. انظر: النهاية (٥/ ٣٤).

(١٢) **الكِنانة**: جَعبة السِّهام تُتخَذ من جلود. انظر: لسان العرب (١٢/ ١٧٣).

(١٣) **يَجيش**، بفتح الياء وكسر الجيم؛ أي: يفور. انظر: النهاية (١/ ٣١٢).

صَدَروا[١] عنه[٢]!

وفي رواية الإمام أحمد في «مسنده» بسند حسن عن المِسْوَر بن مَخْرَمة ومروان بن الحكم، قالا: قالوا: يا رسول الله، ما بالوادي من ماء ينزل عليه الناس، فأخرجَ رسول الله ﷺ سهمًا من كِنانته، فأعطاه رجلًا من أصحابه، فنزل في قليب من تلك القُلُب، فغرزه فيه، فجاش[٣] الماء بالرِّواءِ حتى ضرب الناس عنه بعَطَنٍ[٤].



وساطة بُدَيل بن ورقاء رضي الله عنه

فلما اطمأنَّ رسول الله ﷺ في منزله بالحُديبية أتاه بُديل بن ورقاء الخزاعي رضي الله عنه ـ وكان ما زال مشركًا ـ في نفر من قومه من خُزاعة، فقال لرسول الله ﷺ: إني تركتُ كعبَ بن لُؤي وعامر بن لُؤي نزلوا أعداد مياه الحُديبيَة، ومعهم العُوذ المَطافيل، وهم مقاتلوك وصادُّوك عن البيت، فقال رسول الله ﷺ: «**إنا لم نجئْ لقتال أحد، ولكنا جئنا معتمرين، وإن قريشًا قد نَهَكَتْهم[٥] الحرب وأضرَّت بهم، فإن شاؤوا مادَدْتُهم مدةً ويُخْلوا بيني وبين الناس، فإن أظهرْ فإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جَمُّوا[٦]، وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأُقاتلنَّهم على أمري هذا حتى تنفرِدَ سالفتي، وليُنفِذَنَّ اللهُ أمْرَه**»، فقال بُديل رضي الله عنه: سأُبلِّغهم ما تقول.

---

(١) قال الحافظ في الفتح (٥/ ٦٨٥): أي: رَجعوا رواءً بعد ورودهم.

(٢) أخرج ذلك إلى هذا القدر: الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٢٧٣١) (٢٧٣٢).

(٣) **جاش**: أي: فارَ ماؤه وارتفَع. انظر: النهاية (١/ ٣١٢).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٨٩١٠).

(٥) **نهكتهم**: أي: جَهَدَتْهم وأضعَفَتْهم. انظر: لسان العرب (١٤/ ٣٠٩).

(٦) **جَمُّوا**، بفتح الجيم وتشديد الميم: أي: استراحوا وكثُروا. انظر: النهاية (١/ ٢٩٠).

فانطلق بُديل بن ورقاء ﷺ ومَن معه من خُزاعة حتى أتوا قريشًا، فقال: إنا جئناكم من هذا الرجل، وسمعناه يقول قولًا، فإن شئتم أن نَعرِضَه عليكم فعَلْنا، فقال سُفهاؤهم: لا حاجة لنا أن تُخبرونا عنه بشيء، وقال ذوو الرأي منهم: هاتِ ما سمعتَه يقول، قال: سمعته يقول: كذا وكذا، فحدَّثهم بما قال النبي ﷺ[(١)].

وفي رواية الإمام أحمد في «مسنده» بسند حسن عن المِسْوَر بن مَخْرَمة ومروان بن الحكم، قالا: فرجعوا إلى قريش[(٢)]، فقالوا: يا معشر قريش، إنكم تعجَلون على محمد، وإن محمدًا لم يأتِ لقتال، إنما جاء زائرًا لهذا البيت، معظِّمًا لحقه.

فاتَّهموهم[(٣)]، وقالوا: وإن كان إنما جاء لذلك، فلا والله لا يدخلُها أبدًا علينا عَنوة[(٤)]، ولا تتحدَّثُ بذلك العرب[(٥)].

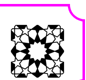


بَعْثُ عثمان بن عفان ﷺ لقريش

ثم بعث رسولُ الله ﷺ عثمان بن عفان ﷺ إلى مكة ليُبلِّغَ رسالة النبي ﷺ إلى سادة مكة، وأنه إنما قَدِم لأداء العمرة؛ فقد روى الإمام أحمد في «مسنده»، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» بسند حسن عن المِسْوَر بن مَخْرَمة ومروان بن الحكم، قالا: دعا رسولُ الله ﷺ عُمَرَ ﷺ ليبعثه إلى

(١) أخرج ذلك إلى هذا القدر: الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٢٧٣١) (٢٧٣٢).
(٢) يعني: بُدَيل بن ورقاء ﷺ ومَن معه من خُزاعة.
(٣) قال الحافظ في الفتح (٥/ ٦٨٧): أي: اتهموا بُديلًا والذين معه؛ لأنهم كانوا يعرفون مَيلَ خُزاعة إلى النبي ﷺ.
(٤) **عَنوة**: أي: قهرًا. انظر: النهاية (٣/ ٢٨٤).
(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٨٩١٠).

مكة، فقال: يا رسول الله، إني أخاف قريشًا على نفسي، وليس بها من بني عَدِيٍّ بن كعب أحدٌ يمنعني، وقد عَرَفَت قريش عداوتي إيَّاها وغِلْظَتي عليها، ولكني أدلُّك على رجلٍ أعزَّ بها مني؛ عُثمانَ بنِ عَفَّان، فدعاه رسول الله ﷺ، فبعثه إلى قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب، وأنه إنما جاء زائرًا لهذا البيت معظِّمًا لحرمته، فخرج عثمان رضي الله عنه حتى أتى مكة، فلَقِيَه أبانُ بن سعيد بن العاص[(١)]، فنزل عن دابَّتِه، وحمله فردفه وأجاره، حتى يُبلِّغَ رسالة النبي ﷺ، فانطلق عثمان رضي الله عنه حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش، فبلَّغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به، فقالوا لعثمان: إن شئتَ أن تطوف بالبيت فَطُفْ، فقال عثمان رضي الله عنه: ما كنتُ لأفعَلَ حتى يطوف رسولُ الله ﷺ، واحتبسَتْه قريشٌ عندها، فبَلَغ رسولَ الله ﷺ والمسلمين أنَّ عثمان قد قُتِلَ[(٢)].



بيعة الرِّضوان

فأمر رسولُ الله ﷺ الصحابةَ رضي الله عنهم للبيعة، وعُرِفَت هذه البيعةُ ببيعة الرضوان؛ لأن الله سبحانه رضي عن أصحابها، وكان رسول الله ﷺ جالِسًا تحت شجرة؛ فقد روى الإمام مسلم في «صحيحه» عن مَعقِل بن يَسار رضي الله عنه، قال: لقد رأيتُنا يوم الشجرة، والنبي ﷺ يُبايع الناس، وأنا رافِعٌ غصنًا من أغصانها عن رأسه، ونحن أربع عشرة مائة[(٣)].

وروى الإمام مسلم في «صحيحه» عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: كنَّا

---

(١) قال ابن الأثير في جامع الأصول (١/ ١٣٥)، قسم التراجم: أبان بن سعيد بن العاص رضي الله عنه أسلم بين الحُديبية وخيبر، وأَمَّره رسول الله ﷺ على بعض سراياه.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٨٩١٠)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار، رقم الحديث (٥٧٧١).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٨٥٨) (٧٦).

يوم الحُديبية ألفًا وأربعمائة، فبايعناه، وعُمَرُ ﷺ آخذ بيده[١] تحت الشجرة[٢].

وبايع رسولُ الله ﷺ نفسَه نيابة عن عثمان ﷺ؛ فقد روى الإمام البخاري في «صحيحه» عن ابن عمر ﷺ، قال: وأمَّا تغَيُّبُه[٣] عن بيعة الرِّضوان، فلو كان أحدٌ أعزَّ ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانَه، فبعث رسول الله ﷺ عثمان، وكانت بيعة الرِّضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة، فقال رسول الله ﷺ بيده اليُمنى: «**هذه يدُ عُثمان**»، فضرب بها على يده، فقال: «**هذه لعُثمانَ**»[٤].

وروى الإمام الترمذي في «جامعه» بسند حسن عن أنس بن مالك ﷺ، قال: لما أمر رسول الله ﷺ ببيعة الرضوان، كان عثمان بن عفان ﷺ رسولَ رسولِ الله ﷺ إلى أهل مكة، قال: فبايع الناس، فقال رسول الله ﷺ: «**إن عثمان في حاجة الله وحاجة رسوله**»، فضرب بإحدى يديه على الأخرى، فكانت يدُ رسول الله ﷺ لعثمان خيرًا من أيديهم لأنفسهم[٥]!

قال الحافظ ابن كثير: فكان ذلك أجَلَّ من شهودِه ﷺ تلك البيعةَ[٦].

وأنزل الله سبحانه في ذلك: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

---

(١) يعني: يد النبي ﷺ.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٨٥٦) (٦٧).

(٣) يعني: عثمان بن عفان ﷺ.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٦٩٩).

(٥) أخرجه الترمذي في جامعه، رقم الحديث (٤٠٣٥) وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٦) انظر: الفصول في سيرة الرسول، ص (١٩١).

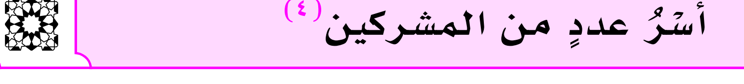
فضل أهل بيعة الرضوان

أعظم ما ورد في فضل أهل بيعة الرضوان قولُه تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

وروى الشيخان في «صحيحيهما» عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحُديبية: «**أنتم خير أهل الأرض**»، وكنا ألفًا وأربعمائة(١).

قال الحافظ في «الفتح»: هذا صريح في فضل أصحاب الشجرة؛ فقد كان من المسلمين إذ ذاك جماعة بمكة والمدينة، وبغيرهما(٢).

وروى الإمام أحمد في «مسنده» والترمذي وأبو داود عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يدخل النَّارَ أحدٌ ممن بايع تحت الشجرة**»(٣).



أَسْرُ عددٍ من المشركين(٤)

لما عَلِمَت قريش بالبيعة بعَثَت سَرِيَّة ليلًا إلى معسكر المسلمين، فوقعوا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤١٥٤)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٨٥٦) (٧١).

(٢) انظر: فتح الباري (٨/ ٢١١).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٤٧٧٨)، والترمذي في جامعه، رقم الحديث (٤١٩٧)، وأبو داود في سننه، رقم الحديث (٤٦٥٣).

(٤) اختلف في عددهم على النحو التالي:

* في صحيح مسلم، رقم الحديث (١٨٠٧) من حديث سلمة رضي الله عنه، قال سَبْعُون مِنَ الْمُشْرِكِينَ.
* وفي صحيح مسلم، رقم الحديث (١٨٠٨)، من حديث أنس رضي الله عنه، قال: ثَمَانُون رَجُلًا.
* وفي مسند الإمام أحمد، رقم الحديث (١٦٨٠٠) من حديث عبد الله بن مغفل رضي الله عنه، قال: ثلاثون شَابًّا.
* وفي سيرة ابن هشام (٣/ ٣٤٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال أربعون رجلًا أو خمسون رجلًا.

كلُّهم في الأسْر؛ فقد روى الإمام مسلم في «صحيحه» والإمام أحمد في «مسنده» ـ واللفظ لأحمد ـ عن أنس بن مالك ﷺ قال: لما كان يومُ الحُديبية هبط على رسول الله ﷺ وأصحابه ثمانون رجلًا من أهل مكة في السلاح، من قِبَلِ جبل التنعيم[1]، فدعا عليهم، فأُخِذوا، ونزلت هذه الآية: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الفتح: ٢٤][2].

وفي رواية أخرى في «المُسنَد» و«المُستدرَك» بسند صحيح عن عبد الله بن مُغَفَّل المُزَني ﷺ، قال: فبينا نحن كذلك إذ خرج علينا ثلاثون شابًّا عليهم السلاح، فثاروا في وجوهنا، فدعا عليهم النبي ﷺ، فأخذ الله أبصارَهم، فقمنا إليهم فأخذناهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**هل جئتم في عهد أحد؟ أو: هل جعل لكم أحدٌ أمانًا؟**»، فقالوا: اللَّهُمَّ لا، فخلَّى سبيلهم[3]،

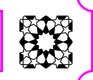
---

(١) زاد الإمام مسلم في صحيحه: يريدون غِرَّة النبي ﷺ وأصحابه.
الغِرَّة، بكسر الغين: الغفلة. انظر: النهاية (٣/ ٣١٨).
وزاد أبو داود في سننه والإمام أحمد في رواية أخرى، بعد قوله: التنعيم: عند صلاة الفجر.

(٢) الخبر أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٨٠٨)، والإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٢٢٢٧) (١٤٠٩٠)، وأبو داود في سننه، رقم الحديث (٢٦٨٨).

(٣) ذهب الحافظ ابن كثير في تفسيره (١/ ٥٢٧) إلى أن سبب ترك رسول الله ﷺ القتال في غزوة الحديبية هو الشهر الحرام، فقال في قوله تعالى: ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ﴾ [البقرة: ١٩٤].
قال: ولهذا لما بلغ النبي ﷺ وهو مخيم بالحُديبية أن عثمان قد قُتل وكان قد بعثه في رسالة إلى المشركين بايع أصحابه، وكانوا ألفًا وأربعمائة تحت الشجرة على قتال المشركين، فلما بلغه أن عثمان لم يُقتل كف عن ذلك، وجنح إلى المُسالمة والمُصالحة، فكان ما كان، وكذلك لما فرغ من قتال هوزان يوم حُنين وتحصن فَلْهم بالطائف، عدل إليها، فحاصرها، ودخل ذو القعدة وهو محاصرها بالمنجنيق، واستمر عليها إلى كمال أربعين يومًا، كما ثبت في الصحيحين عن أنس، فلما كَثُر القتل في أصحابه انصرف عنها =

وأنـزل الله ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝٢٤﴾ [الفتح: ٢٤][(١)].



متى وقع أسْرُهم؟

قلتُ: يظهر أن هذه الحادثة وقعت بعدما تم الصلح أو قُبَيلَه بقليل؛ فقد روى الإمام مسلم في «صحيحه» عن سَلمةَ بنِ الأكوع رضي الله عنه، قال: ثم إن المشركين راسَلونا الصلح، حتى مشى بعضنا في بعض، واصطلحنا، وكنتُ تبيعًا[(٢)] لطلحة بن عُبيد الله، أسقي فرسه، وأَحُسُّهُ[(٣)]، وأخدُمه، وآكُلُ من طعامه، وتركتُ أهلي ومالي، مهاجِرًا إلى الله ورسوله ﷺ[(٤)]، فلما اصطلحنا نحن وأهل مكة، واختلط بعضنا ببعض، أتيت شجرة فكسَحْتُ[(٥)] شوكها، فاضطجعت في أصلها، فأتاني أربعة من المشركين من أهل مكة، فجعلوا يقعون في رسول الله ﷺ؛ فأبغَضْتُهم، فتحوَّلتُ إلى شجرة أُخرى، وعلَّقوا سلاحهم، واضطجعوا، فبينا هم كذلك إذ نادى منادٍ من أسفل الوادي: يا

= ولم تُفتح، ثم كَرَّ راجعًا إلى مكة واعتمر من الجعرانة، حيث قسم غنائم حنين، وكانت عُمرته هذه في ذي القعدة أيضًا عام ثمان، صلوات الله وسلامه عليه.

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٦٨٠٠)، والحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٣٧٥٨)، وأورده الحافظ في الفتح (٥/ ٧٠٤) وصَحَّح إسناده.

(٢) **تبيعًا**: أي: خادمًا. انظر: النهاية (١/ ١٧٦).

(٣) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٢/ ١٤٨): أي: أحكُّ ظَهرَه بالمِحَسَّة؛ لأُزيل عنه الغبار ونحوه.

(٤) قال الحافظ في الإصابة (٣/ ١٢٧): سلمة بن عمرو بن الأكوع رضي الله عنه، أولُ مَشاهِدِه الحديبية، كان من الشُّجعان.

(٥) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٢/ ١٤٨): أي: كنستُ ما تحتها من الشَّوك.

لَلمهاجرين قُتِلَ ابن زُنَيم[١]، قال: فاخترطتُ[٢] سيفي، ثم شددتُ على أولئك الأربعة وهم رقودٌ، فأخذتُ سلاحَهم، فجعلته ضِغثًا[٣] في يدي، ثم قلتُ: والذي كَرَّم وجهَ محمد، لا يرفع أحد منكم رأسه إلا ضربت الذي فيه عيناه، ثم جئتُ بهم أسوقهم إلى رسول الله ﷺ، قال: وجاء عمِّي عامر برجُلٍ من العَبَلات[٤] ـ يُقال له: مِكْرِز[٥] ـ يقوده إلى رسول الله ﷺ على فرس مُجَفَّفٍ[٦] في سبعين من المشركين، فنظر إليهم رسول الله ﷺ، فقال: «**دعوهم، يكُنْ لهم بَدءُ الفُجور وثِنَاه**»[٧]، فعفا عنهم رسول الله ﷺ، وأنزل الله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الفتح: ٢٤][٨].

قال الحافظ ابن كثير في تفسير الآية: هذا امتنان من الله على عباده المؤمنين حين كفَّ أيديَ المشركين عنهم، فلم يصِلْ إليهم منهم سوء، وكفَّ أيديَ المؤمنين من المشركين، فلم يُقاتلوهم عند المسجد الحرام؛ بل صان كلًّا من الفريقين، وأوجد بينهم صلحًا فيه خِيرة للمؤمنين، وعاقبة لهم في الدنيا والآخرة[٩].

---

(١) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٢/ ١٤٨): **زُنَيم**: هو بضم الزاي وفتح النون.
(٢) **اخترط السيف**: سَلَّه من غِمْدِه. انظر: لسان العرب (٤/ ٦٥).
(٣) **ضِغثًا**: أي: حُزمة. انظر: النهاية (٣/ ٨٣).
(٤) **العَبَلَات**، بالتحريك: اسم أمية الصغرى من قريش، والنسب إليهم: عَبْلِيٌّ. انظر: النهاية (٣/ ١٥٨).
(٥) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٢/ ١٤٨): **مِكرِز**: هو بميم مكسورة، ثم كاف، ثم راء مكسورة.
(٦) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٢/ ١٤٨): **مُجَفَّف**، هو بفتح الجيم، وفتح الفاء الأولى المشددة؛ أي: عليه تِجفاف، بكسر التاء، وهو ثوب كالجُلِّ يلبسه الفرس ليقيَه من السلاح، وجمعه تجافيف.
(٧) **وثِناه**: أي: أَوَّلُه وآخِرُه. انظر: النهاية (١/ ٢١٩).
(٨) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٨٠٧).
(٩) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٣٤٢).

صُلح الحُديبيَة

فلما أطلق رسول الله ﷺ هؤلاء السبعين بعثت قريش سُهَيل بن عمرو، ومعه حُويطب بن عبد العُزَّى، ومِكرَز بن حفص؛ ليُصالح رسول الله ﷺ على أن يرجع عنهم عامهم هذا، وأن يعتمر من العام المقبل، واتفقوا على أمور أخرى؛ فقد روى الإمام أحمد في «مسنده» بسند حسن عن المِسْوَر بن مَخْرَمَة ومروان بن الحكم، قالا: إن قريشًا بعثوا سهيل بن عمرو؛ أحدَ بني عامر بن لُؤَي، فقالوا: ائتِ محمدًا فصالِحْه، ولا يكون في صُلحه إلا أن يرجِعَ عنا عَامَهُ هذا، فوالله لا تتحدث العرب أنه دخلها علينا عَنوة أبدًا، فأتاه سُهَيل بن عمرو، فلما رآه النبي ﷺ، قال: «**قد أراد القومُ الصلح حين بعثوا هذا الرجل**»[(١)]، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ تكلما، وأطالا الكلام، وتراجعا حتى جرى بينهما الصلح[(٢)].

❋ اتفق الطرفان على أمور؛ من أهمها:

١ ـ ما روى الإمام أحمد في «مسنده» بسند حسن عن المِسْوَر بن مَخْرَمَة ومروان بن الحكم، قالا: هذا ما صالح عليه محمدُ بن عبد الله سُهَيلَ بن عمرو: ترجِعُ عنا عامنا هذا، فلا تدخل علينا مكة، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك، فتدخلها بأصحابك، وأقمتَ فيهم ثلاثًا، معك سلاح الراكب لا تدخلها بغير السيوف في القُرُب[(٣)].

وفي رواية الإمام البخاري في «صحيحه»، قال رسول الله ﷺ: «**على أن تُخَلُّوا بيننا وبين البيت فنطوف به**»، فقال سهيل: والله لا تتحدث العرب

---

(١) في رواية الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٢٧٣١) (٢٧٣٢) قال رسول الله ﷺ لما رأى سُهيل بن عمرو: «**قد سَهُل لكم من أمرِكم**».

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٨٩١٠).

(٣) أخرجه الإمام في مسنده، رقم الحديث (١٨٩١٠).

أنا أُخِذْنا ضُغْطةً[١]، ولكن ذلك من العام المقبل[٢].

٢ ـ روى الإمام أحمد في «مسنده» وأبو داود في «سننه» بسند حسن عن المِسْوَر بن مَخْرَمة ومروان بن الحكم، قالا: إنهم اصطلحوا على وضع الحرب عشر سنين[٣] يأمَنُ فيهن الناس، ويكفُّ بعضهم عن بعض[٤].

٣ ـ روى الإمام أحمد في «مسنده» بسند حسن عن المِسْوَر بن مَخْرَمة ومروان بن الحكم، قالا: وكان في شرطهم حين كتبوا الكتاب أنه مَن أحبَّ أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومَن أحبَّ أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، فتواثبت خُزاعة، فقالوا: نحن في عقد رسول الله ﷺ وعهده، وتواثبت بنو بكر، فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدِهم[٥].

٤ ـ روى الإمام البخاري في «صحيحه» عن المِسْوَر بن مَخْرَمة ومروان بن الحكم، قالا: قال سهيل بن عمرو: وعلى أنه لا يأتيك منا رجل ـ وإن كان على دينك ـ إلا رَدَدْتَه علينا[٦].

وفي رواية الإمام مسلم في «صحيحه» عن أنس رضي الله عنه، قال: فاشترطوا على النبي ﷺ أن مَن جاء منكم لم نرُدَّه عليكم، ومَن جاءكم منا رَدَدْتُموه علينا، فقالوا: يا رسول الله، أنكتُبُ هذا؟ قال رسول الله ﷺ: «**نعم، إنه من ذهب منَّا إليهم فأبعَدَه اللهُ، ومَن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجًا ومخرجًا**»[٧].

---

(١) **ضُغطة**: أي: قهرًا. انظر: النهاية (٣/ ٨٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٢٧٣١) (٢٧٣٢).

(٣) قال الحافظ في الفتح (٥/ ٦٩٣): هذا القدر الذي ذكره ابن إسحاق، في السيرة (٣/ ٣٤٦)، أنه مدة الصلح، هو المعتَمَد.

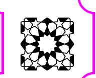
(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٨٩١٠)، وأبو داود في سننه، رقم الحديث (٢٧٦٦).

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٨٩١٠).

(٦) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٢٧٣١) (٢٧٣٢).

(٧) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٧٨٤).

٥ - روى الشيخان في «صحيحيهما» - واللفظ لمسلم - عن البراء بن عازب رضي الله عنهما، قال: لما أُحْصِرَ النبي ﷺ عند البيت صالحه أهل مكة على أن يدخلها[١]، فيقيم بها ثلاثًا، ولا يدخلها إلا بجُلْبان[٢] السلاح؛ السَّيفِ وقِرابه[٣]، ولا يَخرج بأحد معه من أهلها، ولا يمنع أحدًا يمكث بها ممن كان معه[٤].



أمْرُ النبي ﷺ أصحابه بالتحلُّل

فلما فرغ رسول الله ﷺ من صُلح الحُديبية قال لأصحابه: «**قوموا فانحَروا ثم احلِقوا**»، فما قام منهم رجل! حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة رضي الله عنها، فذكر لها ما لَقِيَ من الناس، فقالت رضي الله عنها: يا نبيَّ الله أتحبُّ ذلك؟ اخرُجْ، ثم لا تُكلِّم أحدًا منهم كلمةً حتى تنحرَ بُدْنَك[٥]، وتدعو حالِقَك فيَحلِقك، فخرج رسول الله ﷺ فلم يُكلم أحدًا منهم حتى فعل ذلك؛ نحر بُدْنَه ودعا حالقه[٦]، فحلقه، فلمَّا رأوا ذلك

(١) يعني: في العام القادم، وذلك في عُمرة القَضيَّة.

(٢) **الجُلْبان**، بضم الجيم، وسكون اللام: شِبْهُ الجراب من الأَدَم، يُوضع فيه السيف مغمودًا، ويَطرَح فيه الراكب سوطه وأداته. انظر: النهاية (١/ ٢٧٣).

(٣) في رواية الإمام البخاري: ما جُلبان السلاح؟
قال: القِراب بما فيه.
والقِراب، بكسر الراء: هو غِمد السيف. انظر: لسان العرب (١١/ ٨٦).

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٢٦٩٨) (٢٦٩٩) (٤٢٥١)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٧٨٣) (٩٢).

(٥) **البُدْن**: جمع بَدَنة، وهي تقع على الجمل والناقة والبقرة، وهي بالإبل أشبه، وسُمِّيَت بدنة لعِظَمِها وسِمَنِها. انظر: النهاية (١/ ١٠٨).

(٦) قال الحافظ في الفتح (١/ ٣٦٨): الصحيح أن خِراش بن أُمَية كان الحالِقَ لرسول الله ﷺ بالحُديبيَة.

قاموا فنحروا، وجعل بعضُهم يحلق بعضًا، حتى كاد يَقتُل بعضًا غَمًّا![(١)].

قال الحافظ ابن كثير: فلم يفعلوا؛ انتظارًا للنَّسْخ، حتى خرج فحلق رأسه، ففعل الناس[(٢)].

ودعا رسول الله ﷺ للمُحَلِّقين ثلاثًا، وللمُقَصِّرين مرة؛ فقد روى الإمام أحمد في «مسنده» بسند حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: حلق رجالٌ يوم الحُديبية، وقَصَّر آخرون، فقال رسول الله ﷺ: «**يرحَمُ الله المُحَلِّقين**»، قالوا: يا رسول الله، والمُقَصِّرين؟ قال: «**يرحم الله المُحَلِّقين**»، قالوا: يا رسول الله والمُقَصِّرين؟ قال: «**يرحم الله المحلقين**»، قالوا: يا رسول الله، والمقصرين؟ قال: «**والمُقَصِّرين**»[(٣)].

ثم نحر الصحابةُ رضي الله عنهم هَدْيَهم[(٤)]؛ فقد روى الإمام مسلم في «صحيحه» عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: نَحَرْنا مع رسول الله ﷺ عام الحُديبية:

---

(١) أخرج ذلك إلى هذا القدر: الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٢٧٣١) (٢٧٣٢).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٥٣٣).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٣٣١١)، وأخرجه عن ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما: البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٧٢٧) (١٧٢٨)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٣٠١) (٣١٧) (٣١٨)، (١٣٠٢) (٣٢٠)، وليس عندهما أن ذلك كان يوم الحُدَيبيَة.

قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٩/ ٤٣): كل هذا، يعني الدعاء للمحلِّقين ثلاثًا، والمقصِّرين مرة واحدة، كان في حَجَّة الوداع: هذا هو الصحيح المشهور، وحكى القاضي عِياض عن بعضهم أن هذا كان يومَ الحديبية.

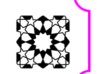
وقال الحافظ في الفتح (٤/ ٣٨٩): بل هو المتعين؛ لتظاهر الروايات بذلك في الموضعين، إلا أن السبب في الموضعين مختلف؛ فالذي في الحُديبيَة كان بسبب توقُّف من توقف من الصحابة عن الإحلال؛ لِمَا دخل عليهم من الحزن؛ لكونهم مُنِعوا من الوصول إلى البيت، وأما السبب في تكرير الدعاء للمحلِّقين في حجة الوداع: أن عادة العرب أنها كانت تُحب توفير الشعر والتزين به، وكان الحلق فيهم قليلًا، وربما كانوا يرونه من الشهرة ومن زي الأعاجم؛ فلذلك كَرِهوا الحَلْقَ واقتصروا على التقصير.

(٤) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢/ ٩٥): ولم يُنقل عن أحد منهم أنه ذبح في تَحلله ذلك شاة، وإنما ذبحوا الإبل والبقر.

البَدَنة عن سبعة، والبقرةَ عن سبعة[١].

وروى ابن حبان في «صحيحه» بسند صحيح عن جابر رضي الله عنه قال: نحرنا يوم الحُديبية سبعين بَدَنة، البَدَنةُ عن سبعة، فقال رسول الله ﷺ: «**يشتَرِكُ النَّفَرُ في الهَدْيِ**»[٢].

قال الإمام الترمذي: والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم؛ يرون الجَزورَ عن سبعة، والبقرةَ عن سبعة، وهو قول سفيان الثوري، والشافعي، وأحمد[٣].



نزول آية الفِدْية

نزلت آية الفِديةِ في كَعْبِ بنِ عُجْرَةَ[٤] رضي الله عنه، وهي قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ﴾ [البقرة: ١٩٦].

وروى الشيخان في «صحيحيهما» عن كعب بن عُجْرَة رضي الله عنه، قال: وقف عليَّ رسول الله ﷺ بالحُديبية، ورأسي يتهافت[٥] قَملًا، فقال: «**يؤذيك هوامُّك؟**»[٦] قلتُ: نعم، فقال: «**فاحلِقْ رأسك**»، أو قال: «**احلِقْ**»، قال: فيَّ نزلت هذه الآية:

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٣١٨).

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه، رقم الحديث (٤٠٠٤).

(٣) انظر: جامع الإمام الترمذي (٢/ ٤١١).

(٤) قال الإمام ابن الأثير في جامع الأصول (٢/ ٨١٢)، قسم التراجم: **عُجْرَة**: بضم العين المهملة، وسكون الجيم.
وقال الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ١٤٢، ١٤٣): كعب بن عُجْرَة رضي الله عنه، حليف الأنصار، تأخر إسلامُه وشهد بيعة الرِّضوان وغيرَها.

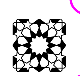
(٥) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٨/ ٩٩): **يتهافت**: يتساقط ويتناثر.

(٦) قال ابن الأثير في جامع الأصول (٣/ ٣٩١): **الهَوامُّ**: جمع هامَّة، وهي الدبيب؛ كالقَملِ ونحوه مما يكون في الشَّعر والبَدَن.

﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ﴾ [البقرة: ١٩٦] إلى آخرها، فقال النبي ﷺ: «**صُمْ ثلاثة أيام، أو تَصَدَّق بِفَرَقٍ**[١] **بين سِتَّة، أو انسُكْ**[٢] **بما تَيسَّر**»[٣].

وفي لفظ آخر في «الصحيحين»، قال كعب بن عُجْرَة رضي الله عنه: حُمِلتُ إلى النبي ﷺ، والقملُ يتناثرُ على وجهي، فقال النبي ﷺ: «**ما كنتُ أُرى أنَّ الجَهْدَ**[٤] **قد بلغ بك هذا، أما تجِدُ شاةً؟**» قلتُ: لا، فقال رسول الله ﷺ: «**صُم ثلاثة أيام، أو أطعم ستة مساكين، لكل مسكين نصفُ صاع من طعام، واحلِقْ رأسَك**»[٥].

قال الحافظ ابن كثير: مذهب الأئمة الأربعة، وعامة العلماء: أنه مُخيَّر في هذا المقام؛ إن شاء صام، وإن شاء تصدق بِفَرَقٍ، وهو ثلاثة آصُع، لكل مسكين نصف صاع، وهو مُدَّان، وإن شاء ذبح شاة وتَصَدَّق بها على الفقراء، أيَّ ذلك فَعَل أجزَأه[٦].



الإحصار[٧] في عمرة الحُديبية

ولم يتمكن رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام من أداء العمرة؛ بسبب منع قريش لهم، وهذا ما يُعرف بالإحصار في العمرة؛ فقد روى الإمام مسلم في «صحيحه» عن البراء بن عازب رضي الله عنهما، قال: لما أُحْصِرَ النبي ﷺ عند البيت،

---

(١) **الفَرَق**، بالتحريك: مكيال يسع ستة عشر رطلًا، وهي اثنا عشر مُدًّا، أو ثلاثة آصع عند أهل الحجاز. انظر: النهاية (٣/ ٣٩١).

(٢) **نَسَك يَنْسُك نَسْكًا**: إذا ذبح. انظر: النهاية (٥/ ٤١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٨١٥)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٢٠١) (٨٣).

(٤) **الجَهْد**، بفتح الجيم: المشقة. انظر: النهاية (١/ ٣٠٨).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٥١٧)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٢٠١) (٨٥).

(٦) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٩٧).

(٧) **الإحصار**: المنع والحبس. انظر: النهاية (١/ ٣٨٠).

صالحه أهل مكة على أن يدخلها[١]، فيُقيم بها ثلاثًا[٢].

وروى الإمام البخاري في «صحيحه» عن ابن عباس ﵄ قال: قد أُحْصِرَ رسول الله ﷺ، فحلق رأسه، وجامع نساءَه، ونَحَر هَدْيَه، حتى اعتمر عامًا قابلًا[٣].

ونزل في ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾﴾ [البقرة: ١٩٦].

قال الإمام السُهيلي، وهو يتحدث عن عمرة القضاء التي وقعت بعد عمرة الحُديبيَة بسنة، قال: وسُمِّيت عمرةَ القضاء؛ لأن النبي ﷺ قاضى قريشًا عليها[٤]، لا أنه قضى العمرة التي صُدَّ عن البيت فيها؛ فإنَّها لم تَكُ فسدت بصَدِّهم عن البيت؛ بل كانت عمرة تامة متقبَّلة، فهي معدودة في عُمَرِ النبي ﷺ، وهي أربع: عمرة الحُديبية، وعمرة القضاء، وعمرة الجِعْرَانة، والعمرة التي قرنها مع حَجِّه في حجة الوداع[٥].



حُزْن المسلمين من هذا الصلح

قال المِسْوَر بن مَخْرَمة ومروان بن الحكم: وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ خرجوا وهم لا يشكُّون في الفتح؛ لرُؤيا رآها رسول الله ﷺ، فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع، وما تحمَّل رسول الله ﷺ على نفسه،

(١) يعني: يدخل مكة في العام القادم.
(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٧٨٣) (٩٢).
(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٨٠٩).
(٤) في الحديبية.
(٥) انظر: الروض الأُنُف (٤/ ١١٤).

دخل الناسَ من ذلك أمرٌ عظيم حتى كادوا أن يَهلِكوا(١).

وروى الشيخان في «صحيحيهما» عن سهل بن حُنيف رضي الله عنه قال: أتى عُمَرُ بن الخَطَّاب رضي الله عنه رسولَ الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، ألسنا على حق وهم على باطل؟ قال: «**بلى**»، قال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: «**بلى**»، قال: ففيمَ نُعطي الدَّنِيَّةَ(٢) في ديننا، ونرجع ولَمَّا يحكُمِ الله بيننا وبينهم؟ فقال رسول الله ﷺ: «**يا ابن الخطاب إني رسول الله، ولن يُضيِّعَني الله أبدًا**»؛ فانطلق عمر رضي الله عنه فلم يصبر متغيظًا، فأتى أبا بكر رضي الله عنه، فقال: يا أبا بكر، ألسنا على حق وهم على باطل؟ قال: بلى. قال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: بلى، قال: فعلام نعطي الدَّنِيَّةَ في ديننا، نرجع ولمَّا يحكُمِ الله بيننا وبينهم؟ فقال رضي الله عنه: يا ابن الخطاب، إنه رسول الله، ولن يُضيِّعَه الله أبدًا(٣).

وفي رواية أخرى في «صحيح البخاري»، قال عمر رضي الله عنه: أوليس كنت تُحدِّثنا أنَّا سنأتي البيت فنطوف به؟ فقال رسول الله ﷺ: «**بلى، فأخبَرْتُك أنَّا نأتيه العام؟**» قال: قلت: لا، فقال رسول الله ﷺ: «**فإنَّك آتيه ومُطَّوِّفٌ به**»(٤).

قال عمر رضي الله عنه: ما زلتُ أصوم وأتصدَّق وأصلِّي وأُعتِق؛ من الذي صنعتُ؛ مخافة كلامي الذي تكلمتُ به يومئذ حتى رجوتُ أن يكون خيرًا(٥).

قال الإمام النووي: قال العلماء: لم يكن سؤال عمر رضي الله عنه وكلامه

---

(١) أخرج ذلك الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٨٩١٠) وإسناده حسن.
(٢) **الدَّنِيَّة**، بفتح الدال، وكسر النون، وتشديد الياء؛ أي: الخصلة المذمومة. انظر: النهاية (١٢٨/٢).
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣١٨٢)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٧٨٥) (٩٤).
(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٢٧٣١) (٢٧٣٢).
(٥) أخرج ذلك الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٨٩١٠) وإسناده حسن.

المذكور شكًّا؛ بل طلبًا لكشف ما خفي عليه وحثًّا على إذلال الكفار وظهور الإسلام، كما عُرِف من خُلُقِه ﵁ وقُوَّتِه في نُصرة الدين وإذلال المُبطلين(١).

عودة النبي ﷺ إلى المدينة ونزول سورة الفتح(٢)

عاد رسول الله ﷺ إلى المدينة، بعد أن أقام بالحُديبية عشرين يومًا، وفي طريق عودته نزل عليه الوحي بسورة الفتح كاملة؛ فقد روى الحاكم في «مستدركه» بسند حسن عن المِسْوَر بن مَخْرَمة ومروان بن الحكم، قالا: أُنزلت سورة الفتح بين مكة والمدينة في شأن الحُديبية، من أولها إلى آخرها(٣).

وروى الإمام مسلم في «صحيحه» عن أنس بن مالك ﵁ قال: لما نزلت: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٤ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٥﴾ [الفتح: ١ ـ ٥] مَرْجِعَه من الحُديبية وهم يُخالطهم الحُزن والكآبة، وقد نَحَر الهَدْيَ بالحُديبية، فقال رسول الله ﷺ: «**لقد أُنزِلَت عليَّ آيةٌ هي أحبُّ إليَّ من الدنيا جميعًا**»(٤).

فلما نزلت سورة الفتح بعث رسول الله ﷺ إلى عمر بن الخَطَّاب ﵁،

(١) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١٢/ ١٢٠).

(٢) قال الإمام القرطبي في تفسيره (١٩/ ٢٩٤): سورة الفتح مَدَنية بإجماع، وهي تسع وعشرون آية، ونزلت ليلًا بين مكة والمدينة في شأن الحُدَيبيَة.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٣٧٥٢).

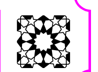
(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٧٨٦).

وقرأها عليه؛ فقد روى الشيخان في «صحيحيهما» ـ واللفظ للبخاري ـ عن سهل بن حُنيف ﵁ قال: نزلت سورة الفتح، فقرأها رسول الله ﷺ على عمر ﵁ إلى آخرها، فقال عمر ﵁: يا رسول الله ﷺ أوفَتْحٌ هو؟! فقال رسول الله ﷺ: «**نعم**».

زاد مسلم: فطابت نفسُه ورجع[(١)].

قال القاضي عياض: تضمنت هذه الآيات من فضله والثناء عليه وكريم منزلته عند الله تعالى، ونعمته لديه ما يَقصر الوصف عن الانتهاء إليه، فابتدأ ﷻ بإعلامه بما قضاه له من القضاء البَيِّن بظهوره، وغلبته على عدوه، وعُلو كلمته وشريعته، وأنه مغفور له غير مؤاخذ بما كان وما يكون[(٢)].

صلح الحُديبية أعظم الفتوح



قال الحافظ ابن كثير: فكانت هذه الهُدنة من أكبر الفتوحات للمسلمين[(٣)].

وروى الإمام البخاري في «صحيحه» عن أنس ﵁، قال في قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ [الفتح: ١]، قال: الحُديبيَة[(٤)].

وروى الإمام البخاري في «صحيحه» عن البراء بن عازب ﵁ قال: تَعدُّون أنتم الفتحَ فَتحَ مكَّةَ، وقد كان فتحُ مكة فتحًا، ونحن نعُدُّ الفتحَ بيعةَ الرِّضوان يوم الحُديبيَة[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣١٨٢)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٧٨٥) (٩٤).

(٢) انظر: كتاب الشفا (١/ ٥٢).

(٣) انظر: الفصول في سيرة الرسول، ص (١٨٩).

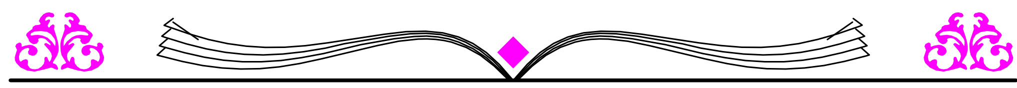
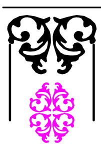
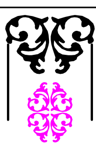
(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤١٧٢).

(٥) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤١٥٠).

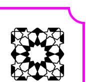
وقال الإمام النووي: قال العلماء: والمصلحة المترتبة على إتمام هذا الصلح ما ظهر من ثمراته الباهرة وفوائده المتظاهرة التي كانت عاقبتُها فتحَ مكة، وإسلام أهلها كلها، ودخول الناس في دين الله أفواجًا، وذلك أنهم قبل الصلح لم يكونوا يختلطون بالمسلمين، ولا تتظاهر عندهم أمور النبي ﷺ كما هي، ولا يحلُّون بمن يُعلمهم بها مفصَّلة، فلما حصل صلح الحُديبية اختلطوا بالمسلمين، وجاؤوا إلى المدينة، وذهب المسلمون إلى مكة وحلُّوا بأهلهم وأصدقائهم وغيرهم ممن يستنصحونه، وسمعوا منهم أحوال النبي ﷺ مفصَّلة بجزئياتها، ومعجزاته الظاهرة، وأعلام نبوته المتظاهرة، وحُسْن سيرته وجميل طريقته، وعاينوا بأنفسهم كثيرًا من ذلك، فمالت نفوسهم إلى الإيمان حتى بادر خَلقٌ منهم إلى الإسلام قبل فتح مكة؛ فأسلموا بين صلح الحُديبية وفتح مكة، وازداد الآخرون ميلًا إلى الإسلام، فلما كان يوم الفتح أسلموا كلهم، لمَّا كان قد تمهَّد لهم من الميل، وكانت العرب من غير قريش في البوادي ينتظرون بإسلامهم إسلامَ قريش، فلما أسلمت قريش أسلمت العرب في البوادي(١).



(١) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١٢/ ١٢٠).

السنة السابعة للهجرة



مكاتبة النبي ﷺ الملوك والأمراء

في مُحَرَّم من السنة السابعة[(١)] للهجرة أرسل رسول الله ﷺ رسله إلى

---

(١) اختُلف في الوقت الذي بعث فيه رسول الله ﷺ كُتُبَه إلى الملوك والأمراء:

* قال ابن سعد في طبقاته (١/ ١٢٥): قالوا: إن رسول الله ﷺ لما رجع من الحُديبية في ذي الحجة سنة ستٍّ، أرسل الرُّسُل إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام، وكتب إليهم كُتبًا.

* ولم يُحدد ابن إسحاق في السيرة (٤/ ٢٦٢) تاريخ إرسال الكتب، واستدرك عليه ابن هشام (٤/ ٢٦٢) وجعلها بعد عمرته ﷺ التي صُدَّ عنها يوم الحُديبية.

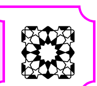
* وذهب الإمام البيهقي في دلائل النبوة (٤/ ٣٧٦) إلى أن إرسال الكتب كان بعد غزوة مؤتة، وذلك في السنة الثامنة للهجرة.

* وجعل الإمام البخاري في صحيحه (٨/ ٤٦٩) إرسال الكتب إلى كسرى وقيصر بعد غزوة تبوك، والتي وقعت في رجب من السنة التاسعة للهجرة.

* قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٤/ ٦٥٥): ولا خلاف بينهم أن بدء ذلك كان قبل فتح مكة وبعد الحُديبية.

* وقال الحافظ في الفتح (٨/ ٤٧٣): في إيراد هذا الحديث، هو حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه بَعْث عبد الله بن حُذافة السهمي بكتاب النبي ﷺ إلى كسرى، آخر هذا الباب إشارةٌ إلى أن إرسال الكتب إلى الملوك كان في سنة غزوة تبوك، ولكن لا يدفع ذلك قول مَن قال: إنه كاتَبَ الملوكَ في سنة الهُدنة كقيصر، والجمع بين القولين أنَّه كاتَبَ قيصر مرتين، وهذه الثانية قد وقع التصريح بها في مسند أحمد، رقم الحديث (١٥٦٥٥)، وكاتَبَ النجاشي الذي أسلم وصلى عليه لما مات، ثم كاتب النجاشي الذي وَلِيَ بعده وكان كافرًا، وقد روى مسلم من حديث أنس رضي الله عنه، قال: كتب النبي ﷺ إلى كل جبار، يدعوهم إلى الله، وسمَّى منهم كسرى وقيصر والنجاشي، قال: وليس بالنجاشي الذي أسلم.

ملوك العرب والعَجَم، وكتب إليهم كُتبًا يدعوهم فيها إلى الإسلام؛ فقد روى الإمام مسلم في «صحيحه» عن أنس بن مالك ﵁ قال: إن نبي الله ﷺ كتب[(١)] إلى كِسرى، وإلى قَيصر، وإلى النَّجاشي[(٢)]، وإلى كل جبَّار، يدعوهم إلى الله تعالى، وليس بالنجاشي الذي صلى عليه النبي ﷺ[(٣)].



اتخاذ النبي ﷺ الخاتَمَ لكُتُبه

فلما أراد رسول الله ﷺ أن يكتب إلى الملوك والأمراء، قيل له: إنهم لا يَقبَلون كتابًا إلا وعليه خاتَم، فاتخذ رسول الله ﷺ خاتمًا من فضة؛ فقد روى الشيخان في «صحيحيهما» عن أنس بن مالك ﵁، قال: إن نبي الله ﷺ

---

(١) زاد الإمام الترمذي في جامعه: قبل موته.

(٢) في رواية الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٢٣٥٥): أُكَيدِر دُومة بدل النجاشي.

قال الحافظ في الفتح (٥/ ٥٥٢): **أُكيدِر دومة**: هو أُكيدِر تصغير أكْدَر، ودُومة، بضم الدال وسكون الواو: بلد بين الحجاز والشام، وهي دُومة الجَنْدَل؛ مدينة بقرب تبوك بها نخل وزرع وحصن، على عشر مراحل من المدينة، وثمانٍ من دمشق، وكان أُكيدِر مَلِكَها.

قلت: ذهب الإمام ابن حزم في جوامع السيرة، ص (٢٤)، والإمام ابن القيم في زاد المعاد (١/ ١١١)، والحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٣/ ٩٠): إلى أن رسول الله ﷺ لم يبعث إلى النجاشي أصحمة الذي آمن به، وآوى مهاجري الحبشة، وصلى عليه صلاة الغائب؛ لأنه مسلم.

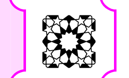
وذهب الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١١٥)، والحافظ في الفتح (٨/ ٤٧٣) إلى أن رسول الله ﷺ بعث إليهما جميعًا: النجاشي أصحمة ﵁، والنجاشي الآخر الذي حكم بعد أصحمة.

قلت: والأظهر أنه بعث إليهما جميعًا، كما سيأتي في الحديث عن رسالة النبي ﷺ للنجاشي أصحمة.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٧٧٤)، والإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٢٣٥٥)، والترمذي في جامعه، رقم الحديث (٢٩١٣).

أراد أن يكتب إلى رهط أو أُناس من الأعاجم[١]، فقيل له: إنهم لا يَقبَلون[٢] كتابًا إلا عليه خاتَم؛ فاتَّخذ النبي ﷺ خاتمًا من فضة، نَقْشُه: محمد رسول الله[٣].

وفي لفظ آخر في «صحيح البخاري» عن أنس ﷺ، قال: وكان نقش الخاتم ثلاثة أسطر؛ محمد: سطر، ورسول: سطر، والله: سطر[٤].



كتاب النبي ﷺ إلى النَّجاشي أَصْحَمة[٥] رضي الله عنه

بعث رسول الله ﷺ عمرَو بن أمية الضَّمْري رضي الله عنه إلى النجاشي

(١) في رواية أخرى في صحيح مسلم، رقم الحديث (٢٠٩٢) (٥٨): إلى كسرى وقيصر والنجاشي.

(٢) في رواية أخرى في الصحيحين: يقرؤون.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٥٨٧٢) (٥٨٧٥)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٠٩٢) (٥٦) (٥٧) (٥٨).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣١٠٦) (٥٨٧٨)، والترمذي في جامعه، رقم الحديث (١٨٤٢).

* قال الحافظ في الفتح (١١/ ٥١٦): ظاهره أنه كان على هذا الترتيب، لكن لم تكن كتابته على السياق العادي؛ فإن ضرورة الاحتياج إلى أن يختم به يقتضي أن تكون الأحرف المنقوشة مقلوبة؛ ليخرج الختم مستويًا، وأما قول بعض الشيوخ: إن كتابته كانت من أسفل إلى فوق؛ يعني: أن الجلالة في أعلى الأسطر الثلاثة، ومحمد في أسفلها، فلم أرَ التصريح بذلك في شيء من الأحاديث.

* وقال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٦/ ٣٧٥): وكان فَصُّهُ منه، يعني: ليس فيه فَص ينفَصِلُ عنه، ومَن روى أنه كان فيه صورة شخص، فقد أبعد وأخطأ؛ بل كان فِضَّة كله وفَصُّه منه، ونَقْشُه: محمد رسول الله، ثلاثة أسطر؛ محمد: سطر، رسول: سطر، الله: سطر، وكان منقوشًا وكتابته مقلوبة؛ ليُطبَع على الاستقامة كما جرت العادة بهذا، وقد قيل: إن كتابته كانت مستقيمة، وتُطبَع كذلك، وفي صحة هذا نظر، ولستُ أعرف لذلك إسنادًا صحيحًا ولا ضعيفًا.

(٥) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٧/ ٢٠): **أَصْحَمة**: هو بفتح الهمزة، وإسكان =

أَصْحَمة ﵁، ويظهر من خلال الروايات: أنه بعثه أكثر من مرة وفي أزمان مختلفة، وتضمَّنت رسائله ﷺ إلى النجاشي أصحمة ﵁ أمورًا؛ منها:

١ ـ دعوته إلى الإسلام.

٢ ـ الوصية بمهاجري الحبشة.

٣ ـ تزويجه أمَّ حبيبة رملة بنت أبي سفيان ﵄.

قال ابن سعد في «طبقاته»: بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضَّمْري إلى النجاشي، وكتب إليه كتابين، يدعوه في أحدهما إلى الإسلام، ويتلو عليه القرآن، وفي الكتاب الآخر يأمره أن يزَوِّجه أمَّ حبيبة بنت أبي سفيان، وكانت قد هاجرت إلى الحبشة[(١)].

وقال الحافظ ابن كثير: أرسل رسول الله ﷺ عمرَو بن أُمَيَّة الضَّمْري ﵁ إلى النجاشي بكتابه؛ فأسلم ﵁[(٢)].

وروى الإمام أحمد في «مسنده» بسند حسن عن حبيب بن أبي أوس، قال: حدثني عمرو بن العاص مِن فيه، قال: لما انصرفنا من الأحزاب عن الخندق، جمعتُ رجالًا من قريش كانوا يرون مكاني، ويسمعون مني، فقلت لهم: تعلمون، والله إني لأرى أمر محمد يعلو الأمور علوًّا كبيرًا، وإني قد

= الصاد وفتح الحاء المهملتين، وهذا الذي وقع في رواية مسلم، رقم الحديث (٩٥٢) (٦٤)، هو الصواب المعروف فيه، وهكذا هو في كتب الحديث والمغازي وغيرها، ووقع في مسند ابن أبي شيبة في هذا الحديث تسميته: صَحْمة، بفتح الصاد وإسكان الحاء، وقال: هكذا قال لنا يزيد، وإنما هو صَمْحة؛ يعني: بتقديم الميم على الحاء، وهذان شاذَّان، والصواب: أَصْحَمة، بالألف.

قال العلماء: **والنَّجاشي**: لقَبٌ لكل مَن ملك الحبشة، وأما أَصْحَمة، فهو اسم عَلَم لهذا الملك الصالح الذي كان في زمن النبي ﷺ.

(١) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ١٢٥).

(٢) انظر: الفصول في سيرة الرسول، ص (٣٢٦).

رأيت رأيًا، فما ترون فيه؟ قالوا: وما رأيتَ؟ قال: رأيتُ أن نلحق بالنجاشي فنكون عنده، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي؛ فإنَّا أن نكون تحت يديه أحبُّ إلينا من أن نكون تحت يَدَيْ محمد، وإن ظهر قومنا فنحن من قد عَرَفوا، فلن يأتينا منهم إلا خير، فقالوا: إن هذا الرأي، قال: فقلت لهم: فاجمعوا له ما نُهدي له، وكان أحبَّ ما يُهدى إليه من أرضنا الأُدُمُ[(١)]، فجمعنا له أُدُمًا كثيرًا، فخرجنا حتى قدمنا عليه، فوالله إنا لعنده إذ جاء عمرو بن أمية الضَّمْري، وكان رسول الله ﷺ قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه[(٢)].

وروى البيهقي في «دلائل النبوة» عن محمد بن إسحاق، قال: بعث رسول الله ﷺ عمرَو بن أمية الضَّمْري رضي الله عنه إلى النجاشي في شأن جعفر بن أبي طالب وأصحابه، وكتب معه كتابًا: «**بسم الله الرحمٰن الرحيم. من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم ملك الحبشة، سلامٌ عليك؛ فإني أحمد إليك اللهَ الملك القدوس المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى ابن مريم رُوحُ الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيِّبة الحصينة، فحملت بعيسى، فخَلَقَه من رُوحه ونَفَخَه، كما خلق آدم بيده ونفخه، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتَّبِعَني وتُؤمن بي وبالذي جاءني؛ فإني رسول الله، وقد بعثتُ إليكم ابن عمي جعفرًا ومعه نفر من المسلمين، فإذا جاؤوك فأَقْرِهم[(٣)] ودَعِ التجبُّرَ[(٤)]؛ فإني أدعوك وجنودك إلى الله، وقد بَلَّغتُ**

---

(١) **الأُدُمُ**: جمع أديم، وهو الجلد. انظر: لسان العرب (١/ ٩٦).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٧٧٧٧).

(٣) **قَرى الضيف**: أضافه. انظر: لسان العرب (١١/ ١٤٩).

(٤) قلت: يظهر من صيغة رسالة النبي ﷺ هذه: أن رسول الله ﷺ بعثها بعد وصول مهاجري الحبشة الهجرة الثانية إلى الحبشة، وذلك قبل الهجرة إلى المدينة النبوية، وهو ما ذهب إليه البيهقي في دلائل النبوة، وأورد ذلك بعد أحداث الهجرة الثانية إلى الحبشة، ورجحه الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٣/ ٩٠).

ونصَحْتُ؛ فاقبلوا نصيحتي، والسلامُ على مَن اتَّبَع الهدى»[١].

وروى أبو داود في «سننه» والحاكم في «مستدركه» بسند صحيح عن أم حبيبة رضي الله عنها: أنها كانت تحت عُبَيد الله بن جَحش، فمات بأرض الحبشة، فزوَّجَها النجاشي[٢] النبيَّ ﷺ، وأمهرها عنه أربعة آلاف، وبعث بها إلى رسول الله ﷺ مع شُرَحْبيل بن حَسَنة[٣].

قال الحافظ في «التلخيص الحَبير»: اشتَهَرَ في السِّيَر: أنه ﷺ بعث عمرَو بن أمية الضَّمْري رضي الله عنه إلى النجاشي رضي الله عنه، فزوَّجه أم حبيبة، وهو محتمل أن يكون هو الوكيل في القبول أو النجاشي، وظاهِرُ ما في أبي داود والنسائي: أن النجاشي عقد عليها عن النبي ﷺ، ووَلِيَ النكاحَ خالدُ بن سعيد بن العاص، كما في «المغازي»، وقيل: عثمان بن عفان[٤]، وهو وَهْم[٥].

وقال الإمام ابن القيم: وتزويج أم حبيبة، واسمها رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب، القُرَشية الأموية، وقيل اسمها: هند[٦]، تزوجها وهي ببلاد الحبشة مهاجِرةً، وأصدقها عنه النجاشي أربعمائة دينار، وسِيقَت إليه من هنالك، وماتت في أيام أخيها معاوية، هذا المعروف المتواتر عند أهل السِّيَر

---

(١) انظر: دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٣٠٩).

(٢) في رواية ابن إسحاق في السيرة (٤/ ٣٠٢): زوَّجه إياها خالد بن سعيد بن العاص، وهما بأرض الحبشة.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، رقم الحديث (٢١٠٧)، والحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٢٧٧٦).

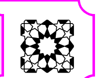
(٤) هي رواية الحاكم في مستدركه، رقم الحديث (٦٩٢٣)، من قول الإمام الزهري، وإسناده جيد إليه.

(٥) انظر: التلخيص الحبير (٤/ ١٨٨٩).

(٦) قال الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٨١٥): الصحيح المشهور: رملة، وبه قال الأكثرون.

والتواريخ، وهو عندهم بمنزلة نكاحه لخديجة بمكة، ولحفصة بالمدينة، ولصفيَّة بعد خيبر(١).

وقال في «تهذيب سنن أبي داود»: وتزويج النجاشي لها حقيقةٌ؛ فإنه كان مسلمًا، وهو أمير البلد وسلطانه، وقد تأوله بعض المتكلِّفين على أنه ساق المهر من عنده؛ فأضيف التزويج إليه، وتأوله بعضهم على أنه كان هو الخاطب، والذي وَلِيَ العقد عثمان بن عفان، وقيل: عمرو بن أمية الضَّمْري، والصحيح أن عمرو بن أمية كان وكيل رسول الله ﷺ في ذلك، بعث به إلى النجاشي يزوِّجُه إياها، وقيل: الذي وَلِيَ العقد عليها خالد بن سعيد بن العاص؛ ابن عم أبيها(٢).



كتاب النجاشي أصحمة رضي الله عنه وهداياه

كتب النجاشي أصحمة رضي الله عنه إلى النبي ﷺ بإجابته وتصديقه وإسلامه، وأهدى إلى رسول الله ﷺ؛ فقد روى الإمام الترمذي وأبو داود بسند حسن عن ابن بُريدة بن الحُصَيب رضي الله عنه عن أبيه، قال: إن النجاشي أهدى إلى النبي ﷺ خُفَّين أسودَين ساذَجين(٣)، فلبسهما، ثم توضأ ومسح عليهما(٤).

وروى الإمام أحمد في «مسنده» وأبو داود في «سننه» بسند حسن عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قَدِمَت على النبي ﷺ حِلْية(٥) من عند النجاشي، أهداها

---

(١) انظر: زاد المعاد (٣/ ٩٩).
(٢) انظر: تهذيب سنن أبي داود (١/ ٤٣٠).
(٣) **السَّاذَج**: الخالص غير المنقوش. انظر: المعجم الوسيط (١/ ٤٢٤).
(٤) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه، رقم الحديث (٣٠٣٠)، وأبو داود في سننه، رقم الحديث (١٥٥)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن، وحَسَّنه الإمام البغوي في شرح السُّنَّة (١٢/ ٧١).
(٥) **الحَلْيُ**: اسم لكل ما يُتزيَّن به من مَصاغ الذهب والفضة، والجمع حُلِيٌّ بالضم والكسر. انظر: النهاية (١/ ٤١٨).

له، فيها خاتم من ذهب، فيه فَصٌّ[(١)] حبشي، فأخذه النبي ﷺ بِعُود ببعض أصابعه، مُعرِضًا عنه، ثم دعا أُمامة بنت أبي العاص، ابنة ابنته[(٢)]، فقال: «**تَحلَّي بهذا يا بُنَيَّة**»[(٣)].

وفاة النجاشي أَصْحَمة رضي الله عنه

تُوفي النجاشي أصحمة رضي الله عنه في رجب من السنة التاسعة للهجرة، ونعاه[(٤)] رسول الله ﷺ إلى أصحابه يوم وفاته، وصلى عليه صلاة الغائب؛ فقد روى الشيخان في «صحيحيهما» عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: نعى لنا رسولُ الله ﷺ النجاشي صاحب الحبشة في اليوم الذي مات فيه، فقال: «**استَغفِروا لأخيكم**»[(٥)].

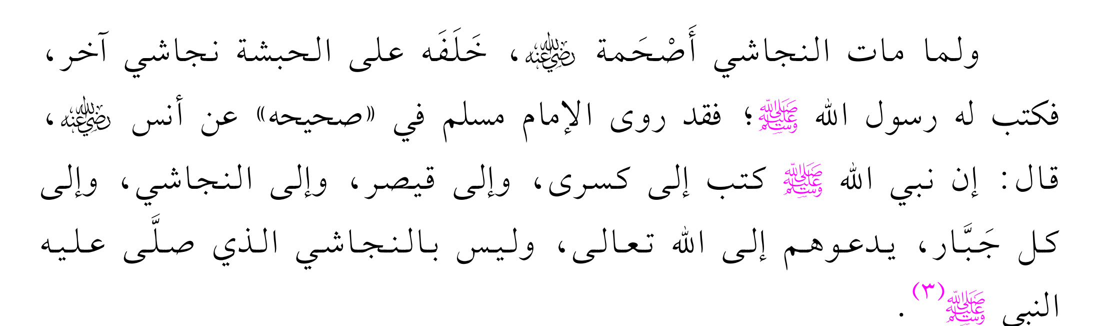
وروى الشيخان في «صحيحيهما» عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: إن رسول الله ﷺ نعى للناس النجاشي في اليوم الذي مات فيه، فخرج بهم إلى المصلى[(٦)]، وكبَّر أربع تكبيرات[(٧)].

---

(١) **فَصُّ الخاتم**: المُركَّب فيه. انظر: لسان العرب (١٠/ ٣٧١).
(٢) زينب رضي الله عنها.
(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٤٨٨٠)، وأبو داود في سننه، رقم الحديث (٤٢٣٥).
(٤) **نعى الميِّت**: إذا أذاع موتَه، وأخبر به. انظر: النهاية (٥/ ٧٣).
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٣٢٧)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٩٥١) (٦٣).
(٦) في رواية ابن ماجه في سننه، رقم الحديث (١٥٣٤): البقيع.
قال الحافظ في الفتح (٣/ ٥٤٣): المراد بالبقيع: بَقيع بُطحان، أو يكون المراد بالمُصَلَّى موضعًا مُعَدًّا للجنائز ببقيع الغرقد غير مُصَلَّى العيدين، والأول أظهر.
(٧) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٢٤٥)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٩٥١) (٦٢).

وروى الشيخان في «صحيحيهما» عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: قال النبي ﷺ حين مات النجاشي: **«مات اليوم رجل صالح؛ فقوموا فصَلُّوا على أخيكم أَصْحَمة»**[(١)].

قال الإمام الذهبي: النجاشي، واسمه أَصْحَمة ملك الحبشة، معدود في الصحابة رضي الله عنهم، وكان ممن حَسُن إسلامه ولم يُهاجِر، ولا له رُؤية، فهو تابعي من وجه، صاحِبٌ من وجه، وقد تُوفي في حياة النبي ﷺ، فصلى عليه بالناس صلاةَ الغائب، ولم يثبُت أنه صلى ﷺ على غائب سواه، وسبب ذلك أنه مات بين قوم نصارى، ولم يكن عنده مَن يُصلِّي عليه؛ لأن الصحابة الذين كانوا مهاجرين عنده خرجوا من عنده مهاجرين إلى المدينة عام خيبر[(٢)].



كتاب النبي ﷺ إلى النجاشي الآخَر

ولما مات النجاشي أَصْحَمة رضي الله عنه، خَلَفَه على الحبشة نجاشي آخر، فكتب له رسول الله ﷺ؛ فقد روى الإمام مسلم في «صحيحه» عن أنس رضي الله عنه، قال: إن نبي الله ﷺ كتب إلى كسرى، وإلى قيصر، وإلى النجاشي، وإلى كل جَبَّار، يدعوهم إلى الله تعالى، وليس بالنجاشي الذي صلَّى عليه النبي ﷺ[(٣)].

وروى الحاكم في «مستدركه» والبيهقي في «دلائل النبوة» عن ابن إسحاق، قال: هذا كتاب من النبي محمد ﷺ إلى النجاشي: **«بسم الله**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٨٧٧)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٩٥٢) (٦٥).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (١/ ٤٢٨).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٧٧٤).

الرحمٰن الرحيم، هذا كتاب من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم عظيم الحبشة، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله، وشهد أنْ لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأدعوك بدعاية الله، فإني رسوله؛ فأسلِمْ تسلَمْ، ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٦٤﴾ [آل عمران: ٦٤]، **فإن أبيت فعليك إثم النصارى من قومك**»[(١)].

قال الحافظ ابن كثير: الظاهر أن هذا الكتاب إنما هو إلى النجاشي الذي كان بعد المسلم صاحب جعفر وأصحابه، وذلك حين كتب إلى ملوك الأرض يدعوهم إلى الله ﷻ قُبيل الفتح، كما كتب إلى هِرَقل عظيم الروم، وقيصر الشام، وإلى كِسرى ملك الفرس، وإلى صاحب مصر، وإلى النجاشي، وكلها فيها هذه الآية، وهي من سورة آل عمران، وهي مدنية بلا خلاف، فهذا الكتاب إلى الثاني لا إلى الأول، وقوله فيه: إلى النجاشي الأصحم، لعل الأصحم مُقحَم من الراوي بحسَب ما فَهِمَ. والله أعلم[(٢)].

كتاب النبي ﷺ إلى كِسرى[(٣)]

وبعث رسولُ الله ﷺ عبدَ الله بن حُذافة السهمي ﵁ بكتابه إلى كِسرى ملك الفرس؛ فقد روى الإمام البخاري في «صحيحه» عن ابن عباس ﵄،

(١) انظر: دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٣٠٨)، ومستدرك الحاكم، رقم الحديث (٤٢٩٠).

(٢) انظر: البداية والنهاية (٣/ ٩٠).

(٣) قال الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ١٤٠): **كسرى** بن هرمز الكافر، عظيم الفُرس في العراق وحواليها، وهو بكسر الكاف وفتحها، قال ابن الجواليقي: الكسر أفصح، وهو فارسي مُعَرَّب، قال: وجمعه أكاسرة، وكُسور وأكاسر، والنسبة إليه كَسْرَوي، بفتح الكاف.

قال: إن رسول الله ﷺ بعث بكتابه إلى كسرى مع عبد الله بن حُذافة السهمي رضي الله عنه، فأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين[(١)]، فدفعه عظيم البحرين إلى كِسرى، فلما قرأه مَزَّقه[(٢)]، فحَسِبْتُ[(٣)] أن ابن المُسَيِّب قال: فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يُمَزَّقوا كلَّ مُمَزَّقٍ[(٤)].

قال الإمام السندي: أراد بتمزيقهم تفَرُّقَهم، وزوال مُلْكِهم، وقَطْعَ دابِرِهم، وقد وقع ذلك؛ فما بَقِيَ فيهم المُلك[(٥)].

وروى الإمام ابن جرير الطبري في «تاريخه» عن يزيد بن حبيب، قال: بَعَثَ[(٦)] عبدَ الله بنَ حُذافة السَّهمي إلى كِسرى بن هرمز ملك فارس، وكَتَب معه: «**بسم الله الرحمٰن الرحيم. من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على مَن اتبع الهُدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأدعوك بدعاء الله؛ فإني أنا رسول الله إلى الناس كافَّةً؛ لأُنذِرَ مَن كان حيًّا ويَحِقَّ القولُ على الكافرين؛ فأسلِمْ تَسلَمْ، فإن أبيتَ فإن إثم المجوس عليك**».

فلما قرأه مَزَّقَهُ، وقال: يكتب إليَّ هذا، وهو عبدي![(٧)].

ومات كِسرى هذا في حياة النبي ﷺ، وأخبر رسول كسرى بذلك؛ فقد روى ابن أبي شيبة في «مصنفه» بسند مرسل رجاله ثقات، عن عبد الله بن شدَّاد،

---

(١) قال الحافظ في الفتح (١/ ٢١٠): هو المُنذِرُ بن ساوَى بالمهملة وفتح الواو الممالة.
(٢) في رواية أخرى في صحيح البخاري، رقم الحديث (٢٩٣٩): حَرَّقه.
(٣) قال الحافظ في الفتح (١/ ٢١٠): القائل: هو ابن شهاب راوي الحديث.
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٤٢٤).
(٥) انظر: شرح السندي، للمسند (٢/ ٣٩٤).
(٦) يعني: رسول الله ﷺ.
(٧) أخرجه ابن جرير الطبري في تاريخه (٢/ ١٣٣)، وحسنه الألباني في تعليقه على فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي، ص (٣٥٨).

قال: كتب كسرى إلى باذان[١]: إني نُبِّئتُ أن رجلًا يقول شيئًا لا أدري ما هو، فأرسِلْ إليه فليقعد في بيته، ولا يكن من الناس في شيء، وإلَّا فليواعدني موعدًا ألقاه به، قال: فأرسل باذان إلى رسول الله ﷺ رجلين حالقَي لحاهما، مُرسِلَي شوارِبهما، فقال رسول الله ﷺ: «**ما يحمِلُكما على هذا؟**»[٢]. فقالا: يأمرنا به الذين يزعمون أنه ربُّهم، فقال رسول الله ﷺ: «**لَكِنَّا نُخالف سُنَّتكم؛ نَجُزُّ هذا**[٣]**، ونُرسِل هذا**»[٤]، قال: فتركهما بضعًا وعشرين يومًا، ثم قال: «**اذهبا إلى الذي تزعمون أنه ربكما**[٥]**، فأخبِراه أنَّ رَبِّي قَتَل الذي يزعُمُ أنَّه رَبُّه**»[٦]، قالا: متى؟ قال رسول الله ﷺ: «**اليوم، فذهبا إلى باذان فأخبَراه الخبر**»، قال: فكتب إلى كِسرى، فوجدوا اليومَ هو الذي قُتِلَ فيه كسرى![٧]

كتاب النبي ﷺ إلى قيصر[٨]

بعث رسول الله ﷺ دِحْية[٩] بن خليفة الكلبي رضي الله عنه بكتابه إلى قيصر ملك الروم، فدفعه إلى عظيم بُصرى[١٠]، فدفعه إلى هرقل؛ فقد روى الإمام

---

(١) **باذان**: هو عامِلُ كِسرى على اليمن.

(٢) أي: على حلق اللحية وإرسال الشوارب.

(٣) يعني: الشارب.

(٤) يعني: اللحية.

(٥) هو: باذان.

(٦) يعني: كسرى.

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، رقم الحديث (٣٧٧٨١)، وأورد طرقه الألباني في تحقيقه لفقه السيرة، ص (٣٥٩)، للشيخ محمد الغزالي، وحسنه.

(٨) قال الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ١٣٦): **قيصر**: عظيم الروم في الشام، وقيصر: لقب لكل مَن ملك الروم، وكان اسم قيصر الذي كان بالشام، وكتب له النبي ﷺ بكتابه: هِرَقْل، بكسر الهاء وفتح الراء، هذا هو المشهور.

(٩) قال ابن الأثير في جامع الأصول (١/ ٣٦٥)، قسم التراجم: **دِحْيَة**، بكسر الدال، وسكون الحاء المهملة، وبالياء تحتها نقطتان، كذا يرويه أكثر أصحاب الحديث وأهل اللغة.

(١٠) قال الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات (٣/ ٦٣): **بُصرى**، بضم الباء: مدينة =

البخاري في «صحيحه» عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: إن رسول الله ﷺ كتب إلى قيصر يدعوه إلى الإسلام، وبعث بكتابه إليه مع دحية الكلبي رضي الله عنه، وأمره رسول الله ﷺ أن يدفعه إلى عظيم بُصرى؛ ليدفعه إلى قيصر(١).

وروى الشيخان في «صحيحيهما» عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: حدثني أبو سفيان من فيه إلى فِيَّ(٢)، قال: انطلقتُ في المدة(٣) التي كانت بيني وبين رسول الله ﷺ، قال: فبينما أنا بالشام إذ جيء بكتاب من النبي ﷺ إلى هرقل، وكان دِحْية الكلبي جاء به فدفعه إلى عظيم بُصرى، فدفعه عظيم بُصرى إلى هِرَقْل، فقال هِرَقْل: هل هاهنا أحد من قوم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقالوا: نعم، قال: فدُعيتُ في نفر من قريش، فدخلنا على هرقل فأجلَسَنا بين يديه، فقال: أيُّكم أقرب نسبًا من هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: فقلت: أنا. فأجلسوني بين يديه وأجلسوا أصحابي خلفي، ثم دعا بتَرْجُمانه(٤)، فقال: قل لهم إني سائل هذا عن هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي، فإن كَذَبَني فكَذِّبوه. قال أبو سفيان: وأيمُ الله لولا أن يُؤثِروا(٥) عليَّ الكَذِبَ لكذَبْتُ.

= حوران، فُتحت صُلحًا في شهر ربيع الأول لخمس بقين منه، سنة ثلاث عشرة، وهي أول مدينة فُتحت بالشام.

وقال في شرحه لصحيح مسلم (١٢/ ٨٨): والمراد بعظيم بُصرى أميرُها.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٢٩٤٠).

(٢) قال الحافظ في الفتح (٩/ ٨٠): إنما لم يقل إلى أذني، يُشير إلى أنه كان متمكنًا من الإصغاء إليه بحيث يُجيبه إذا احتاج إلى الجواب؛ فلذلك جعل التحديث معلقًا بفمه، وهو في الحقيقة إنما يتعلق بأذنه.

(٣) قال الحافظ في الفتح (١/ ٤٩): يعني: مدة الصلح بالحُديبية.

(٤) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٢/ ٨٨): قوله: **ترجمانه**: هو بضم التاء وفتحها، والفتح أفصح، وهو المعَبِّر عن لغة بلغة أخرى.

(٥) قال الحافظ في الفتح (٩/ ٨١): **يُؤثَر**، بفتح المثلثة، أي: يُنقَل.

ثم قال لترجمانه: سَلْه كيف حَسَبُه[١] فيكم؟ قال: قلتُ: هو فينا ذو حَسَب، قال: فهل كان من آبائه مَلِك؟ قال: قلت: لا، قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا، قال: أيتَّبِعُه أشراف الناس أم ضعفاؤهم؟ قلت: بل ضعفاؤهم، قال: يزيدون أو يَنقُصون؟ قلت: لا؛ بل يزيدون، قال: هل يرتدُّ أحد منهم عن دينه بعد أن يدخُلَ فيه سَخْطةً[٢] له؟ قلت: لا، قال: فهل قاتلتُموه؟ قلت: نعم، قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت: تكون الحرب بيننا وبينه سِجالًا؛ يُصيب منا ونُصيب منه، قال: فهل يغدر؟ قلت: لا، ونحن منه في هذه المدة، لا ندري ما هو صانع فيها، قال: والله ما أمكنني من كلمة أُدخِلُ فيها شيئًا غير هذه، قال: فهل قال هذا القول أحد قبله؟ قلت: لا.

ثم قال لترجمانه: قل له: إني سألتُك عن حَسَبِه فيكم فزعَمْتَ أنَّه فيكم ذو حَسَبٍ، وكذلك الرسُلُ تُبعَث في أحساب قومها، وسألتُك هل كان في آبائه مَلِك، فزعمت: أنْ لا، فقلتُ: لو كان من آبائه مَلِك، قلتُ: رجل يطلب مُلك آبائه، وسألتك عن أتباعه: أضعفاؤهم أم أشرافهم، فقلتَ: بل ضعفاؤهم، وهم أتباعُ الرسل. وسألتُك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فزعمت أنْ لا، فعرفتُ أنه لم يكن لِيَدَعَ الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله، وسألتك هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سَخطة له، فزعمت أنْ لا، وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشةَ القلوب، وسألتك هل يزيدون أم ينقصون، فزعمت أنهم يزيدون، وكذلك الإيمان حتى يَتِمَّ، وسألتك هل قاتلتموه، فزعمت أنكم قاتلتموه، فتكون الحرب بينكم وبينه سجالًا ينال منكم وتنالون منه، وكذلك الرسل تُبتلى ثم تكون لهم العاقبة، وسألتك هل يغدر، فزعمت أنه لا يغدر، وكذلك الرسل

---

(١) في رواية أخرى في صحيح البخاري، رقم الحديث (٧): نَسَبُه.

(٢) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٢/ ٨٩): سَخْطة، هو بفتح السين، **والسَّخَط**: كراهية الشيء وعدم الرضا به.

لا تغدر، وسألتك هل قال أحد هذا القول قبله، فزعمت أنْ لا، فقلتُ: لو كان قال هذا القول أحد قبله، قلتُ: رجل ائتمَّ بقول قيل قبله.

ثم قال: بم يأمركم؟ قلت: يأمرنا بالصلاة والزكاة، والصِّلة والعفاف، قال: إن يكُ ما تقول فيه حقًّا فإنه نَبيٌّ، وقد كنتُ أعلم أنه خارج، ولم أكُ أظنه منكم، ولو أني أعلم أني أَخلُصُ إليه لأحببتُ[(١)] لقاءَه، ولو كنتُ عنده لغسلتُ عن قدَمَيه، وليبلغن مُلكُه ما تحت قدميَّ، قال: ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ فقرأه، فإذا فيه:

بسم الله الرحمٰن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على مَن اتبع الهدى، أما بعد؛ فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلِمْ تَسلَمْ، وأسلِمْ يُؤتِك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثمَ الأَريسِيِّين[(٢)]، ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤]».

فلما فرغ من قراءة الكتاب ارتفعت الأصوات عنده وكثُر اللغط، وأُمِرَ بنا فأُخرِجْنا، قال: فقلتُ لأصِحابي حين خرجنا: لقد أَمِرَ[(٣)] أَمْرُ ابنِ أبي

---

(١) في رواية أخرى في صحيح البخاري، رقم الحديث (٧): لتجشَّمتُ.
قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٢/ ٩١): وهو أصح، يعني قوله: **لتجشَّمتُ**، في المعنى، ومعناه: لتكلفتُ الوصول إليه، وارتكبت المشقة في ذلك، ولكن أخاف أن أُقتطَع دونه، ولا عذر له في هذا؛ لأنه عرف صدق النبي ﷺ، وإنما شَحَّ في المُلك ورغب في الرياسة، فآثرها على الإسلام.

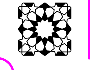
(٢) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٢/ ٩٣): أي: الفلاحون والزراعون، ومعناه: أن عليك إثم رعاياك الذين يتَّبعونك وينقادون بانقيادك، ونَبَّه بهؤلاء على جميع الرعايا؛ لأنهم الأغلب، ولأنهم أسرع انقيادًا.

(٣) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٢/ ٩٤): **أَمِرَ**، بفتح الهمزة وكسر الميم؛ أي: عَظُم.
وقال ابن الأثير في النهاية (١/ ٦٧): أي: كَثُر وارتفع شأنه؛ يعني: النبي ﷺ.

كبشة! إنَّه لَيَخافُه مَلِكُ بني الأصفر! فما زلتُ موقنًا بأمر رسول الله ﷺ أنه سيظهر حتى أدخل اللهُ عليَّ الإسلامَ[(١)].

قلت: فآثَرَ هِرَقلُ المُلْكَ على الإسلام، والدنيا على الآخرة؛ فقد روى ابن حبان في «صحيحه» بسند صحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: فقال[(٢)] لِرَسولِ رَسولِ الله ﷺ: قد ترى أني خائف على مملكتي... وكتب قيصر إلى رسول الله ﷺ: إني مسلمٌ، وبعث إليه بدنانيرَ، فقال رسول الله ﷺ حين قرأ الكتاب: «**كَذَب عدُوُّ الله، ليس بمسلم، وهو على النصرانيَّة**»، وقَسَم الدنانيرَ[(٣)].

وقال الحافظ في «الفتح»: ومما يقوِّي أن هرقل آثر ملكه على الإيمان، واستمر على الضلال: أنه حارب المسلمين في غزوة مُؤتة سنة ثمانٍ بعد هذه القصة بدون[(٤)] السَّنتين[(٥)].



كتاب النبي ﷺ إلى المُقَوْقِس[(٦)]

قال الحافظ ابن كثير: بعث رسولُ الله ﷺ حاطِبَ بن أبي بلتعة رضي الله عنه إلى المُقَوقِس ملك الإسكندرية ومصر، فقارب ولم يُذكَر له إسلام، وبعث الهدايا إليه ﷺ والتُّحَف[(٧)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٧) (٤٥٥٣)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٧٧٣).

(٢) يعني: هرقل عظيم الروم.

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه، رقم الحديث (٤٥٠٤).

(٤) **بدون**: أي: بأقل.

(٥) انظر: فتح الباري (١/ ٥٥).

(٦) قال الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٢٤٠): **المُقَوْقِس** صاحب الإسكندرية الكافر، الذي أهدى للنبي ﷺ مارية وأختها سيرين، والبغلة.
وقال ابن الأثير في أُسد الغابة (٤/ ١٨٧): ذكره ابن منده وأبو نعيم، ولا مدخل له في الصحابة؛ فإنه لم يُسلِم، ولم يزل نصرانيًّا، ومنه فتح المسلمون مصر في خلافة عُمَر رضي الله عنه.

(٧) انظر: الفصول في سيرة الرسول، ص (٣٢٧).

وروى الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» بسند حسن عن عبد الرحمٰن بن عبد القاري، قال: إن رسول الله ﷺ بعث حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه إلى المقوقس صاحب الإسكندرية؛ يعني: بكتابه معه إليه، فَقَبَّلَ كتابه وأكرم حاطبًا، وأحسن نُزُلَه، ثم سَرَّحَهُ إلى رسول الله ﷺ، وأهدى له مع حاطب كسوةً وبغلةً[1] شهباءَ بسَرْجِها، وجاريتين[2]، إحداهما أمُّ إبراهيم[3]، وأما الأخرى، فوهبها لجَهْمِ بن قَيس العَبْدَري، وهي أم زكريا بن جهم الذي كان خليفة عمرو بن العاص رضي الله عنه على مصر[4].

وروى الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» بسند حسن عن بُريدة، قال: أهدى أمير القِبط لرسول الله ﷺ جاريتين أختين قِبطيَّتين، وبغلة، فأما البغلة فكان رسول الله ﷺ يركبها، وأما إحدى الجاريتين، فتسَرَّاها[5] فولدت له إبراهيمَ، وأما الأخرى فأعطاها حسَّان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه[6].

وروى الإمام الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» بسند ضعيف عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: أهدى المُقوقِس صاحب مصر إلى رسول الله ﷺ قَدَحًا من زجاج، وكان يشرب فيه[7].

---

(١) قال الإمام ابن القيم في زاد المعاد(١/ ١٣٠): كان له ﷺ من البغال دُلْدُل، وكانت شَهباء أهداها له المُقَوْقِس.
قال الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٣٧): **دُلْدُل**: بضم الدالين المهملتين.

(٢) في رواية البيهقي في دلائل النبوة (٤/ ٣٩٦): ثلاث جوارٍ.

(٣) هي: مارية القبطية رضي الله عنها.

(٤) أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار، رقم الحديث (٤٣٤٩).

(٥) قال الحافظ في الفتح (١٠/ ١٥٨): **السُّرِّيَّة**، بضم السين، وكسر الراء الثقيلة، سُميت بذلك لأنها مشتقَّة من التسَرُّر، وأصلُه من السِّرِّ، وهو من أسماء الجماع.

(٦) أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار، رقم الحديث (٤٣٥٠).

(٧) أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار، رقم الحديث (٤٣٤٣)، وأورده الحافظ في الفتح (١/ ٤٠٦) وعزاه لمسند الإمام أحمد، وقال: في إسناده مقال.

تبشير النبي ﷺ بفتح فارِسَ والرُّوم ومِصرَ

روى الشيخان في «صحيحيهما» عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا هلك كِسرى فلا كِسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسُ محمد بيده لتُنفِقُنَّ كنوزَهما في سبيل الله»**[(١)].

قال الحافظ ابن كثير: وفي هذا بشارة عظيمة بأن مُلك الروم لا يعود أبدًا إلى أرض الشام[(٢)].

وقال الإمام النووي: قال الشافعي وسائر العلماء: معناه لا يكون كسرى بالعراق، ولا قيصر بالشام، كما كان في زمنه ﷺ، فأعلَمَنا بانقطاع ملكهما في هذين الإقليمين، فكان كما قال ﷺ؛ فأما كسرى فانقطع ملكه وزال بالكلية من جميع الأرض، وتمزَّق مُلكه كلَّ مُمَزَّق، واضمحلَّ بدعوة رسول الله ﷺ، وأما قيصر فانهزم من الشام ودخل أقاصي بلاده، فافتتح المسلمون بلادهما، واستقرت للمسلمين ولله الحمد، وأنفق المسلمون كنوزهما في سبيل الله كما أخبر رسول الله ﷺ، وهذه معجزات ظاهرة[(٣)].

وروى الإمام مسلم في «صحيحه» عن جابر بن سَمُرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لَتفتَحَنَّ عصابة من المسلمين - أو من المؤمنين - كنز آل كسرى الذي في الأبيض»**[(٤)].

وفي لفظ آخر في «صحيح مسلم» عن جابر بن سَمُرَة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«عُصَيبة[(٥)] من المسلمين يفتتحون البيت الأبيض؛ بيت**

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٦١٨)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٩١٨).

(٢) انظر: البداية والنهاية (٤/ ٦٦٥).

(٣) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١٨/ ٣٤).

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٩١٩) (٧٨).

(٥) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٢/ ١٧٢): **العُصَيبة**: تصغير عُصْبة، وهي الجماعة.

كسرى، أو آل كسرى»[١].

وروى الإمام مسلم في «صحيحه» عن أبي ذر ﵁، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنكم ستفتحون مصر، وهي أرض يُسمَّى فيها القيراطُ**[٢]**، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها؛ فإن لهم ذمةً ورَحِمًا، أو قال: ذِمَّةً وصِهرًا»**[٣].

قال الإمام النووي: أما الذمة فهي الحُرمة والحق، وهي هنا بمعنى الذِّمام، وأما الرحم فلكون هاجر أم إسماعيل منهم، وأما الصِّهر فلكون مارية أم إبراهيم منهم[٤].

وروى الحاكم في «المستدرك» والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» بسند صحيح عن كعب بن مالك ﵁، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا افتتحتم**[٥] **مصر، فاستوصوا بالقِبط خيرًا؛ فإن لهم ذِمَّةً ورَحِمًا»**[٦].

وروى الطبراني في «المعجم الكبير» بسند صحيح عن أم سلمة ﵂، قالت: إن رسول الله ﷺ أوصى عند وفاته، فقال: «**اللهَ اللهَ في قِبْط مصر؛ فإنكم ستَظهرون عليهم، ويكونون لكم عُدَّةً وأعوانًا في سبيل الله»**[٧].

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٨٢٢).

(٢) قال ابن الأثير في النهاية (٤/ ٣٧): **القيراط**: جزء من أجزاء الدينار، وأراد بالأرض المستفتَحة مصر، وخصها بالذكر وإن كان القيراط مذكورًا في غيرها؛ لأنه كان يَغلب على أهلها أن يقولوا: أعطيت فلانًا قراريطَ، إذا أسمعه ما يكرَهُه، واذهب لا أعطيك قراريطك: أي: سَبَّك وإسماعك المكروه، ولا يُوجد ذلك في كلام غيرهم.

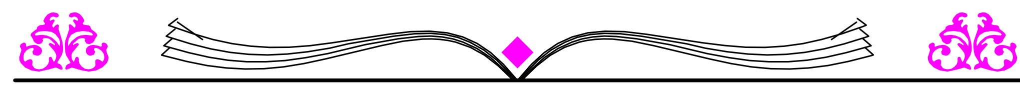
(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٥٤٣) (٢٢٧).

(٤) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١٦/ ٧٩).

(٥) في رواية الطحاوي: إن دخلتم.

(٦) أخرجه الحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٤٠٧٦)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار، رقم الحديث (٢٣٦٤)، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم الحديث (١٣٧٤) وصحَّحه.

(٧) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، رقم الحديث (١٨٢٥٩)، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم الحديث (٣١١٣) وصحَّحه.




غزوة ذي قَرَد[١] أو الغابة[٢]

وقعت غزوة ذي قَرَد بعد الحُديبيَة، وقبل غزوة خيبر بثلاثة أيام على الصحيح[٣]؛ لما ثبت في «صحيح مسلم» عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه ـ وهو بطل هذه الغزوة ـ قال: قَدِمنا الحُديبيَة مع رسول الله ﷺ، ونحن أربع عشرة مائة... ثم ساق خبر غزوة ذي قَرَد، ورجوعهم مع رسول الله ﷺ إلى المدينة، ثم قال: فوالله ما لبثنا إلا ثلاث ليال حتى خرجنا إلى خيبر مع رسول الله ﷺ[٤].

قال الإمام البيهقي: والذي لا شك فيه أنها كانت بعد الحُديبيَة، وحديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه ينطق بذلك[٥].

---

(١) ذي قَرَد، بفتح القاف والراء: ماء على ليلتين من المدينة بينها وبين خيبر. انظر: النهاية (٤/ ٣٣).

وقال الإمام السهيلي في الروض الأُنُف (٤/ ٣): والقَرَد في اللغة: الصوف الرديء.

(٢) قال ابن سيد الناس في عيون الأثر (٢/ ١٢٥): غزوة ذي قَرَد، ويُقال لها: غزوة الغابة.

وقال ابن سعد في طبقاته (٢/ ٢٨٩): ثم غزوة رسول الله ﷺ الغابة، وهي على بريد من المدينة طريق الشام.

قلت: وأُضيفت إليها الغزوة؛ لأن لِقاح النبي ﷺ التي أُغير عليها كانت بها.

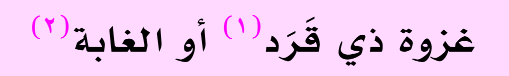
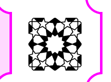
قال الحافظ في الفتح (٨/ ٢٣٤): **اللِّقاح**، بكسر اللام وتخفيف القاف، ثم مهملة: ذوات الدَّرِّ من الإبل، واحدها: لِقْحة، بالكسر والفتح أيضًا.

(٣) وذهب عامة أهل المغازي إلى أنها وقعت قبل الحُديبيَة، وهو قول: ابن إسحاق في السيرة (٣/ ٣٠٨)، وابن سعد في طبقاته (٢/ ٢٨٩) وغيرهما.

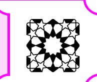
(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٨٠٧).

(٥) انظر: دلائل النبوة (٣/ ٣٦٨).

=

وقال الإمام ابن القيم: وقد وَهِمَ فيها جماعة من أهل المغازي والسِّيَر، فذكروا أنها قبل الحُديبيَة[١].



سبب هذه الغزوة

روى الشيخان في «صحيحيهما» ـ واللفظ لمسلم ـ عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، قال: خرجتُ قبل أن يُؤذَّن بالأُولى[٢]، وكانت لِقاحُ رسول الله ﷺ ترعى بذي قَرَد، قال: فلقيني غلام لعبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه، فقال: أُخِذَت لِقاح رسول الله ﷺ، فقلت: مَن أخذها؟ قال: غَطَفان، قال: فصرختُ ثلاث صَرَخات: يا صباحاه! فأسمعتُ ما بين لابَتَي[٣] المدينة[٤]، ثم اندفعتُ على

= * قلت: ذهب إلى ما ذهب إليه الإمام البيهقي:

* الإمام البخاري في صحيحه (٨/ ٢٣٣).

* الحافظ في الفتح (٨/ ٢٣٤).

* الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٤/ ٥٤١)، وفي الفصول في سيرة الرسول، ص (١٧٨).

* والإمام ابن القيم في زاد المعاد (٣/ ٣٢٨).

(١) انظر: زاد المعاد (٣/ ٣٢٨).

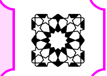
(٢) قال الحافظ في الفتح (٨/ ٢٣٤): يعني: صلاة الصبح، ويدل عليه في رواية الإمام مسلم أنه تبعهم من الغَلَس إلى غروب الشمس.
الغَلَس: ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح. انظر: النهاية (٣/ ٣٣٩).

(٣) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٩/ ١١٥): قال أهل اللغة وغريب الحديث: **اللَّابتان**: الحَرَّتان، واحدتها: لابَةٌ، وهي الأرض المُلبَسة حجارة سوداء، وللمدينة لابتان شرقية وغربية، وهي بينهما.

(٤) في رواية أخرى في صحيح مسلم، قال رضي الله عنه: ثم قمتُ على أَكَمَةٍ، فاستقبلتُ المدينة، فناديتُ ثلاثًا: يا صباحاه.
الأَكَمة: التل الصغير. انظر: لسان العرب (١/ ١٧٣). =

وجهي حتى أدركتُهم بذي قَرَد[١].

وفي لفظ آخر في «صحيح مسلم»، قال سلمة رضي الله عنه: بعث رسول الله ﷺ بظَهْره[٢] مع رَبَاح غلام رسول الله ﷺ، وأنا معه، وخرجتُ معه بفرس طلحة، أُنَدِّيه[٣] مع الظَّهْر، فلما أصبحنا إذا عبد الرحمٰن الفَزاري قد أغار على ظَهر رسول الله ﷺ، فاستاقه أجمع، وقتل راعيَه، فقلت: يا رَبَاح، خُذ هذا الفرس فأبلِغْه طلحة بن عبيد الله، وأخبِرْ رسول الله ﷺ أن المشركين قد أغاروا على سَرْحِه[٤].



مطاردةُ سَلَمة رضي الله عنه غَطَفان

قال سَلَمة رضي الله عنه: ثم اتَّبعتُ القوم معي سيفي ونَبْلي، فجعلتُ أرميهم، وأعقِرُ بهم[٥]، وذلك حين يكثُر الشجر، فإذا رجع إليَّ فارس جلستُ له في

= قال الحافظ في الفتح (٨/ ٢٣٥): فيه إشعار بأنه كان واسع الصوت جدًّا، ويحتمل أن يكون ذلك من خوارق العادات.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤١٩٤)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٨٠٦).

(٢) **الظَّهْر**: الإبل التي يُحمل عليها وتُركب. انظر: النهاية (٣/ ١٥١).

(٣) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٢/ ١٤٩): **أُنَدِّيه**، بهمزة مضمومة، ثم نون مفتوحة، ثم دال مكسورة مشددة، ومعناه: أن يُورِد الماشيةَ الماءَ، فتُسقى قليلًا، ثم تُرسَل في المرعى، ثم تَرِد الماء فتَرِد قليلًا ثم تُرَدَّ إلى المرعى.
وفي رواية الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٦٥٣٩): أُبَدِّيه.
قال الإمام السندي في شرحه للمسند (٩/ ٣٩٧): بالموحدة وتشديد الدال؛ أي: أُخرِجه إلى البادية.

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٨٠٧).

(٥) **أعقر بهم**: أي: أقتُل مركوبَهم. انظر: النهاية (٣/ ٢٤٦).

أصل شجرة، ثم رميتُ، فلا يُقبِل عليَّ فارس إلا عقرتُ به، فجعلت أرميهم، وأنا أقول:

أنا ابن الأكوع ... واليومُ يومُ الرُّضَّع[(١)]

فألحقُ برجل منهم، فأرميه وهو على راحلته، فيقعُ سَهمي في الرَّجُلِ، حتى انتظَمَتْ[(٢)] كَتِفَه[(٣)]، فقلتُ: خُذْها:

أنا ابن الأكوع ... واليومُ يومُ الرُّضَّع

فإذا كنتُ في الشجر أحرقتُهم بالنَّبل، فإذا تضايقتِ الثنايا[(٤)] علوتُ الجبل، فرَدَّيتُهم بالحجارة، فما زال ذاك شأني وشأنهم، أَتبَعُهم فأرتجِزُ، حتى ما خلق الله شيئًا من ظهر رسول الله ﷺ إلا خَلَّفتُه وراء ظهري، فاستنقذته من أيديهم، ثم لم أزل أرميهم حتى ألقَوا أكثر من ثلاثين رمحًا، وأكثر من ثلاثين بُردة يستخفُّون منها، ولا يُلقون من ذلك شيئًا إلا جعلتُ عليه حجارةً[(٥)]، وجمعتُ على طريق رسول الله ﷺ[(٦)] حتى إذا امتدَّ الضُّحى، أتاهم عُيَينة بن بدر الفَزاري مَدَدًا لهم، وهم في ثَنِية ضَيِّقة، ثم علوت الجبل، فأنا فوقهم، فقال عُيَينة: ما هذا الذي أرى؟! قالوا: لقينا من هذا

---

(١) قال الحافظ في الفتح (٨/ ٢٣٥): **الرُّضَّع**، بضم الراء، وتشديد المعجمة: جمع راضع، وهو اللئيم، فمعناه: اليومُ يومُ هَلاك اللِّئام.

(٢) قال السندي في شرحه للمسند (٩/ ٣٩٧): أي: السَّهم.

(٣) قال السندي في شرحه للمسند (٩/ ٣٩٧): **كَتِفَه**: بالنَّصْب، يُقال: **طعنه فانتظمه**: أي: اختَلَّه.

(٤) **الثنايا**: جمع ثَنِية، وهي الطريق العالي في الجبل. انظر: النهاية (١/ ٢٢٠).

(٥) في رواية الإمام مسلم: آرامًا من الحجارة.

الآرام: الأعلام. انظر: النهاية (١/ ٤٤).

(٦) في رواية الإمام مسلم: يعرفها رسول الله ﷺ وأصحابه.

البَرْحَ[١]، ما فارَقَنا بسَحَرٍ[٢] حتى الآن، وأخذ كل شيء في أيدينا، وجعله وراء ظهره! فقال عيينة: لولا أن هذا يرى أن وراءه طَلَبًا لقد ترككم، لِيَقُمْ إليه نفر منكم، فقام إليه نفر منهم أربعة، فَصَعِدوا في الجبل، فلما أسمعتهم الصوت، قلت: أتعرفوني؟ قالوا: مَن أنت؟ قلتُ: أنا ابن الأكوع، والذي كَرَّم وجهَ محمد ﷺ لا يَطلُبُني منكم رجل فيُدرِكَني، ولا أطلُبُه فيفوتَني[٣].

خروج الرسول ﷺ في طلب القوم

لما بلغ رسولَ الله ﷺ صياحُ سَلَمةَ بن الأكوع رضي الله عنه، صرخ بالمدينة: «الفَزَعَ الفَزَعَ»، فترامت الخيول إلى رسول الله ﷺ، وكان أوَّلُ مَن انتهى إلى النبي ﷺ من الفُرسان المقدادُ بنُ عمرو رضي الله عنه، ثم كان أوَّلَ فارس وقف على رسول الله ﷺ بعد المقداد من الأنصار: عَبَّادُ بن بشر رضي الله عنه، وسعد بن زيد، وأُسيد بن ظُهير، وعكَّاشة بن مِحصَن، ومُحرِز بن نَضْلة، وأبو قتادة الحارث بن ربعي، وأبو عياش عبيد بن زيد بن الصامت رضي الله عنهم أجمعين، فلما اجتمعوا إلى رسول الله ﷺ أَمَّرَ عليهم سعد بن زيد رضي الله عنه، ثم قال: اخرج في طلب القوم، حتى ألحقك في الناس[٤].

قال سلمة رضي الله عنه: فما برحتُ مقعدي ذلك حتى نظرتُ إلى فوارس رسول الله ﷺ يتخلَّلون الشجر، وإذا أوَّلُهم: الأخرم الأسدي ـ وهو مُحرِز بن نَضْلة رضي الله عنه ـ وعلى أثره أبو قتادة فارس النبي ﷺ، وعلى أثر أبي قتادة

---

(١) **البَرْح**، بفتح الباء، وسكون الراء؛ أي: الشِّدَّة. انظر: النهاية (١/ ١١٣).

(٢) في رواية الإمام مسلم: ما فارَقَنا منذ غَلَس.

(٣) أخرج ذلك إلى هذا القدر: الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٨٠٧)، والإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٦٥٣٩)، واللفظ لأحمد.

(٤) انظر: سيرة ابن هشام (٣/ ٣٠٩).

المقداد بن عمرو رضي الله عنه، قال: فولى المشركون مدبرين، فنزلتُ من الجبل، فأخذتُ بعِنانِ[١] فرس الأخرم، وقلت له: يا أخرَمُ، ائذَنِ القوم ـ يعني: احذرهم ـ فإني لا آمن أن يقطعوك، فاتَّئِدْ حتى يَلْحَقَ رسول الله ﷺ وأصحابه، فقال: يا سَلَمة، إن كنتَ تُؤمن بالله واليوم الآخر، وتعلم أن الجنة حق، والنار حق؛ فلا تَحُلْ بيني وبين الشهادة، قال: فخليتُ عِنان فرسه، فيلحق بعبد الرحمٰن بن عُيينة، ويعطف عليه عبد الرحمٰن[٢]، فاختلفا طعنتين، فعقر الأخرمُ بعبد الرحمٰن، وطعنه عبد الرحمٰن فقتله، فتحول عبد الرحمٰن على فرس الأخرم، فلحق أبو قتادة رضي الله عنه بعبد الرحمٰن فاختلفا طعنتين، فَعُقِرَ بأبي قتادة، وقتله أبو قتادة، وتحوَّل أبو قتادة على فرس الأخرم، ثم إني خرجتُ أعدو[٣] في أَثَرِ القوم، حتى ما أرى من غُبار صحابة النبي ﷺ شيئًا، ويعرضون قبل غيبوبة الشمس إلى شِعْبٍ فيه ماء يُقال له: ذو قَرَد، فأرادوا أن يشربوا منه[٤]، فأبصروني أعدو وراءهم، فَعَطَفوا[٥] عنه، واشتدُّوا في الثنية ـ ثنية ذي نثر ـ وغربت الشمس، فألحق رجلًا، فأرميه، فقلت: خُذْها:

أنا ابن الأكوع واليوم يوم الرُّضَّع

فقال: يا ثُكْلَ أُمِّ[٦]، أكوعُ بُكْرَةَ[٧]! قلت: نعم، أيْ عَدُوَّ نفسِه، وكان الذي رميته بُكْرَةَ[٨]، فأتبعته سهمًا آخر، فعَلِقَ به سهمان، ويُخَلِّفون فرسين،

---

(١) **العِنان**: سير اللجام. انظر: النهاية (٣/ ٢٨٣).
(٢) في رواية الإمام مسلم: فالتقى هو وعبد الرحمٰن.
(٣) زاد الإمام مسلم في صحيحه: على رِجْلي.
(٤) زاد الإمام مسلم في صحيحه: وهم عطاش.
(٥) **عطف**: انصرف. انظر: لسان العرب (٩/ ٢٦٨).
(٦) **ثَكِلَتْك أمك**: أي: فقَدَتْك. انظر: النهاية (١/ ٢١٢).
(٧) **أكوعُ بُكرةَ**: أي: أنت الأكوع الذي كان قد تَبِعَنا بكرةَ هذا النهارِ. انظر: النهاية (٤/ ١٨٢).
(٨) في رواية الإمام مسلم: أكوَعُك بُكْرةَ.

فجئتُ بهما أسوقهما إلى رسول الله ﷺ، وهو على الماء الذي حَلَّيتهم عنه[١]؛ ذو قَرَد، فإذا نبي الله ﷺ في خمسمائة، وإذا بلالٌ قد نَحَرَ جَزُورًا مما خَلَّفتُ، فهو يشوي لرسول الله ﷺ من كَبِدها وسَنامِها، فأتيت رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، خَلِّني فأنتخب[٢] من أصحابك مائة، فآخذ[٣] على الكُفَّار بالعَشْوة[٤]، فلا يبقى منهم مُخبِرٌ إلا قتلتُه، فقال رسول الله ﷺ: «**أكنتَ فاعلًا ذلك يا سلمة؟**» قلت: نعم، والذي أكرمك، فضحك رسول الله ﷺ حتى رأيت نواجِذَه[٥] في ضوء النار، ثم قال رسول الله ﷺ: «**إنهم يُقْرَون[٦] الآن بأرض غَطَفان**»[٧]، فجاء رجل من غَطَفان، فقال: مَرُّوا على فلان الغَطَفاني فنحر لهم جزورًا، قال: فلما أخذوا

---

(١) قال الإمام السندي في شرحه للمسند (٩/ ٣٩٨): حَلَّيتهم عنه: هو بحاء مهملة ولام مشددة غير مهموز، أي: طردتهم عنه.

(٢) **أنتخب**: أختار. انظر: النهاية (٥/ ٢٦).

(٣) في رواية الإمام مسلم: فأتبع.

(٤) قال السندي في شرحه للمسند (٩/ ٣٩٨): **بالعَشْوة**، بفتح فسكون: هو ما بين أول الليل إلى رُبُعه، يُقال: أخذتُ عليهم بالعَشوة؛ أي: بالسواد من الليل.

(٥) **النواجذ من الأسنان**: الضواحك، وهي التي تبدو عند الضحك، والأكثر الأشهر أنها أقصى الأسنان. انظر: النهاية (٥/ ١٧).

(٦) قال الحافظ في الفتح (٨/ ٢٣٧): **يُقْرَون**، بضم الياء، وسكون القاف، وفتح الراء، وسكون الواو: مِنَ القِرى، وهي الضِّيافة.

وفي رواية ابن إسحاق في السيرة (٣/ ٣١٢): يَغْبُقون.

قال الحافظ في الفتح (٨/ ٢٣٧): **الغَبوق**: هو شرب اللبن أول الليل، والمراد: أنهم فاتوا وأنهم وصلوا إلى بلاد قومهم ونزلوا عليهم، فهم الآن يذبحون لهم ويُطعِمونهم.

(٧) في رواية أخرى في الصحيحين، قال رسول الله ﷺ: «**يا ابن الأكوع، ملَكْتَ فأسجِحْ**».

قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٢/ ١٤٦): **فأسجح**: هو بهمزة قطع، ثم سين مهملة ساكنة، ثم جيم مكسورة، ثم حاء مهملة، ومعناه: فأحسِنْ وارفُق، **والسجاحة**: السهولة؛ أي: لا تأخذ بالشدة؛ بل ارفُق، فقد حَصَلت النِّكاية في العدو. ولله الحمد.

يَكشِطون[١] جِلْدَها رأوا غَبَرَة، فتركوها وخرجوا هُرَّبًا، فلما أصبحنا قال رسول الله ﷺ: «**خير فرساننا اليوم أبو قتادة، وخير رَجَّالتِنَا سلمة**»، فأعطاني رسول الله ﷺ سَهْم الرَّاجِل والفارس جميعًا، ثم أردفني وراءه على العضباء راجعين إلى المدينة، فلما كان بيننا وبينها قريبًا من ضَحْوَةٍ، وفي القوم رجل من الأنصار كان لا يُسبَق، جعل يُنادي: هل مِن مسابق؟ ألا رجلٌ يسابق إلى المدينة؟ فأعاد ذلك مرارًا، وأنا وراء رسول الله ﷺ مُردفي، فقلتُ له: أما تُكْرِمُ كريمًا، ولا تَهَابُ شريفًا؟! قال: لا، إلا رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، خَلِّني فلأُسابقِ الرجلَ، قال رسول الله ﷺ: «**إن شئتَ**»، قلتُ: اذهب إليك، فَطَفَرَ[٢] عن راحلته، وثنيتُ رجلي فَطَفَرتُ عن الناقة، ثم إني رَبطْتُ[٣] عليها شَرَفًا[٤] أو شَرَفَين؛ يعني: استبقيتُ نفسي، ثم إني عدوتُ حتى ألحقه، فأَصُكُّ[٥] بين كتفيه بيدي، قلت: سبقتُك والله ـ أو كلمة نحوها ـ قال: فضحك، وقال: إنْ أظنُّ، حتى قدمنا المدينة[٦].



(١) **كشط**: رفع وقلع وكشف. انظر: النهاية (٤/ ١٥٢).

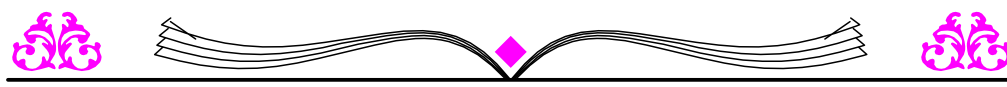
(٢) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٢/ ١٥٢) **طَفَر**: أي: وَثَب وقَفَز.

(٣) **ربطتُ**: أي: تأخرتُ عنه. انظر: النهاية (٢/ ١٧١).

(٤) قال السندي في شرحه للمسند (٩/ ٣٩٩): **الشَّرَف**: هو ما ارتفع مِن الأرض؛ أي: قدْرًا من الأرض.

(٥) **صَكَّه**: ضربه. انظر: النهاية (٣/ ٤٠).

(٦) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٨٠٧)، والإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٦٥٣٩)، واللفظ لأحمد، وأخرجه مختصرًا الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٠٤١) (٤١٩٤)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٨٠٦).



غزوة خيبر[(١)]

وقعت غزوة خيبر بعد غزوة ذي قَرَد بثلاث ليال، وذلك في مُحَرَّم من السنة السابعة للهجرة؛ فقد روى الإمام مسلم في «صحيحه» عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، قال: فوالله ما لبثنا[(٢)] إلا ثلاثَ ليال حتى خرجنا إلى خيبر مع رسول الله ﷺ[(٣)].

قال الحافظ في «التلخيص الحَبير»: وأما غزوة خيبر في السابعة، فهو المشهور الذي عليه الجمهور من أهل المغازي[(٤)].

---

(١) قال الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات (٣/ ١٨٤): **خيبر**: البلدة المعروفة على نحو أربع مراحل من المدينة إلى جهة الشام، ذات نخل ومزارع، فتحها رسول الله ﷺ في أوائل سنة سبع مِن الهجرة.

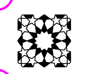
(٢) يعني: بعد قدومهم من غزوة ذي قَرَد.

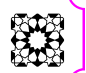
(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٨٠٧).

(٤) انظر: التلخيص الحبير (٦/ ٢٨٦٦).

قلت: وجزم بذلك الإمام ابن القيم في زاد المعاد (٣/ ٣٧٦)، والحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٤/ ٥٧٠)، وفي الفصول في سيرة الرسول، ص (١٩٥)، بينما ذهب الإمام ابن حزم في جوامع السيرة، ص (١٢٦) إلى أنها وقعت في بقية من المحرم، وذلك قرب آخر السنة السادسة من الهجرة.

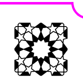
قال الحافظ ابن كثير في الفصول، ص (١٩٥): وأما ابن حزم، فعنه أنها في سنة ست بلا شك، وذلك بناء على اصطلاحه، وهو أنه يرى أن أول السنين الهجرية شهر ربيع الأول الذي قدم فيه رسول الله ﷺ إلى المدينة مهاجرًا، ولكن لم يتابَع عليه، إذ الجمهور على أن أول التاريخ من مُحَرَّم تلك السنة.





سبب هذه الغزوة

كانت خيبر مركزًا للدسائس والتآمر ضد المسلمين ـ ولا يسكنها إلا يهود ـ؛ فهم الذين جمعوا الأحزاب للقضاء على المسلمين في غزوة الخندق، وحرَّضوا يهود بني قُرَيظة على نقض العهد مع رسول الله ﷺ في غزوة الخندق، وحاولوا اغتيال النبي ﷺ، وقاموا بدعم قريش بالمال والسلاح في معاركهم ضد المسلمين؛ فكان من المهم القضاء على هذه الشوكة الخبيثة التي هي أحد أسباب فقْد الأمن والأمان والهدوء حول المدينة النبوية، والمنطقة بأسرها.



الوعد الرباني بفتح خيبر

وعد الله سبحانه رسوله ﷺ والمسلمين بفتح خيبر في كتابه الكريم، وأعطى غنائمها لأهل الحُديبيَة خاصة، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ [الفتح: ٢٠].

قال مجاهد: قوله تعالى: ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾: عَجَّل لكم خيبرَ[(١)].

وقال الإمام ابن جرير الطبري في تفسير هذه الآية بعد أن ساق الأقوال فيها: وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب ما قاله مجاهد، وهو أن الذي أثابهم الله من مسيرهم ذلك مع الفتح القريب: المغانمُ الكثيرةُ من مغانِمِ خيبرَ، وذلك أن المسلمين لم يغنموا بعد الحُديبية غنيمةً، ولم يفتحوا فتحًا أقرب من بيعتهم النبي ﷺ بالحُديبيَة إليها من فتح خيبر وغنائمِها[(٢)].

(١) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٣٥١).
(٢) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٣٥١).

وقال ﷻ: ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُواْ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾﴾ [الفتح: ١٥].

قال الحافظ ابن كثير: يقول تعالى مخبرًا عن الأعراب الذين تخلَّفوا عن النبي ﷺ في غزوة الحُديبيَة إذ ذهب النبي ﷺ وأصحابه إلى خيبر يفتتحونها: إنهم يسألون أن يخرجوا معهم إلى المغنم، وقد تخلَّفوا عن وقت محاربة الأعداء ومجالدتهم ومصابرتهم، فأمر الله رسوله ﷺ ألا يأذن لهم في ذلك؛ معاقبةً لهم من جنس ذنبهم؛ فإن الله تعالى وعد أهل الحُديبية بمغانِم خيبر وحدهم لا يَشرَكُهم فيها غيرُهم من الأعراب المتخلفين، فلا يقع غير ذلك شرعًا وقَدَرًا؛ ولهذا قال: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾، قال مجاهد، وقتادة، وجويبر: هو الوعد الذي وعد به أهل الحُديبية ـ واختاره ابن جرير[(١)].

خروج النبي ﷺ إلى خيبر

خرج مع رسول الله ﷺ في هذه الغزوة كل مَن شهد معه غزوة الحُديبية، إلا مَن مات منهم، ﭫ أجمعين[(٢)]، واستعمل على المدينةِ سِبَاع بن

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٣٣٧).

(٢) قال ابن إسحاق في السيرة (٣/ ٣٨٠): وقُسِّمت خيبر على أهل الحُديبيَة؛ مَن شهد خيبر، ومَن غاب عنها، ولم يَغِبْ عنها إلا جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام ﭬ، فَقَسم له رسول الله ﷺ كَسَهمِ مَن حضَرها.

قلت: ثبت في الصحيحين وغيرهما ما يخالف قول ابن إسحاق، وأن جابرًا ﭬ شهد غزوة خيبر؛ فمن ذلك ما رواه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٨١٣) عن جابر بن عبد الله ﭬ، قال: لم أشهد بدرًا ولا أُحُدًا، منعني أبي، فلما قُتِلَ عبد الله يوم أُحُد، لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة قط.

=

عُرفُطة الغِفاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[(١)]، وقَدِم أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ المدينة مهاجرًا، وذلك بعدما خرج رسول الله ﷺ إلى خيبر، فوافى سباع بن عرفطة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في صلاة الصبح؛ فقد روى الإمام أحمد في «مسنده» والحاكم في «مستدركه» بسند صحيح عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: لما خرج رسول الله ﷺ إلى خيبر استخلف[(٢)] سِباع بن عُرفُطة الغِفاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فقَدِمْنا فشهدنا معه صلاة الصبح، فقرأ في أول ركعة: ﴿كٓهيعٓصٓ ①﴾ [مريم: ١]، وفي الثانية: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ①﴾ [المطففين: ١]، فقلت في نفسي: ويلٌ لأبي فلان! له مكيالان يستوفي بواحد ويبخس بآخر، فأتينا سباع بن عرفطة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فجَهَّزَنا، فأتينا رسول الله ﷺ قبل الفتح[(٣)] بيوم أو بعده بيوم[(٤)].

= وروى الإمام أحمد في مسنده بسند حسن، رقم الحديث (١٤٤٦٣) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: لما كان يوم خيبر، أصاب الناسَ مجاعةٌ، فأخذوا الحُمُرَ الإنسية، فذبحوها وملؤوا منها القدور، فبلغ ذلك نبيَّ الله ﷺ، قال جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فأمَرَنا رسول الله ﷺ فكَفَأنا القُدور.

وروى البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٢١٩)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٩٤١) (٣٦) (٣٧)، والإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٤٨٤٠)، واللفظ لأحمد، عن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: ذَبَحْنا يوم خيبر الخيلَ والبِغال والحَمير، فنهانا رسول الله ﷺ عن البغال والحمير، ولم ينْهَنا عن الخيل.

(١) قال ابن هشام في السيرة (٣/ ٣٥٧): واستعمل على المدينة نُميلة بن عبد الله الليثي.
قلت: والصحيح رواية الإمام أحمد والحاكم.

(٢) في رواية أخرى في المستدرك: استعمل.

(٣) يعني: فتح خيبر.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٨٥٥٢)، والحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٢٢٧٢) (٤٣٨٤).

مسير النبي ﷺ إلى خيبر

سار رسول الله ﷺ بجيشه إلى خيبر، وحدثت أحداثٌ وهم في طريقهم إلى خيبر؛ فمن ذلك:

١ ـ صلاته ﷺ على دابته:

روى الإمام مسلم والإمام أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: رأيتُ رسول الله ﷺ يُصلي على حمار، وهو مُتوجِّه إلى خيبر[(١)].

قال الإمام القرطبي: وأجمعوا على أنه لا يجوز لأحد صحيح أن يُصلِّيَ فريضة إلا بالأرض، إلا في الخوف الشديد خاصَّةً[(٢)].

٢ ـ حُدَاء[(٣)] عامر بن الأكوع رضي الله عنه:

روى الشيخان في «صحيحيهما» عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، قال: خرجنا مع النبي ﷺ إلى خيبر، فسرنا ليلًا، فقال رجل من القوم لعامر: يا عامِرُ، ألا تُسمِعُنا من هُنَيهاتِك؟[(٤)].

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (٧٠٠) (٣٥)، والإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٤٥٢٠).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٢/٣٢٦).

(٣) قال الحافظ في الفتح (١٢/ ١٧٢): **الحُداء**: هو بضم الحاء وتخفيف الدال المهملتين، يُمَدُّ ويُقصَر: سَوْقُ الإبل بضَربٍ مخصوص من الغناء، والحُداء في الغالب إنما يكون بالرَّجَز، وقد يكون بغيره من الشِّعر، وقد جرت عادة الإبل أنها تُسرِع السير إذا حُدِيَ بها.

(٤) في رواية أخرى في صحيح البخاري ومسلم: هُنَيَّاتك.

قال الحافظ في الفتح (١٤/ ٤٠٦): **هُنَيَّاتك**: بضم أوله، وتشديد التحتانية بعد النون.

وقال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٢/ ١٤٠): **هُنَيَّاتك**: أي: أراجيزك.

وكان عامر رجلًا شاعرًا، فنزل يحدو[(١)] بالقوم[(٢)]، يقول:

اللَّهُمَّ لولا أنت ما اهتَدَينا ... ولا تصَدَّقْنا ولا صَلَّينا

فاغفِرْ فِداءً لك ما أبقَينا ... وثبِّتِ الأقدامَ إن لاقَينا

وألقِيَنْ سكينةً علينا ... إنَّا إذا صِيحَ بنا أَبَينا

وبالصِّياح عَوَّلوا علينا

فقال رسول الله ﷺ: «**مَن هذا السائقُ؟**»[(٣)]

قالوا: عامر بن الأكوع، فقال رسول الله ﷺ: «**يرحمُه الله**»[(٤)]، فقال رجل من القوم[(٥)]: وجَبَت[(٦)] يا نبيَّ الله، لولا أمتَعْتَنا به[(٧)]!

---

(١) في رواية أخرى في صحيح مسلم، رقم الحديث (١٨٠٧) (١٣٢): يرتجِز.
الرَّجَزُ: بحر من بحور الشعر، معروف، ونوع من أنواعه، يكون كل مِصراع منه مُفردًا، وتسمى قصائده أراجيز، واحدها أُرجوزة. انظر: النهاية (٢/ ١٨٢).

(٢) في رواية الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٨٥٣٨) قال سلمة رضي الله عنه: جعل يرتجز بأصحاب رسول الله ﷺ، وفيهم النبي ﷺ يسوق الركاب.
قال الحافظ في الفتح (٨/ ٢٤١): وهذه كانت عادتهم إذا أرادوا تنشيط الإبل في السير؛ ينزِل بعضهم فيسوقها ويحدو في تلك الحال.

(٣) في رواية الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٦٥١١): «الحادي».

(٤) زاد الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٨٠٧) (١٣٢): قال سلمة رضي الله عنه: وما استغفر ﷺ لإنسان يَخُصُّه إلا استُشهِد.

(٥) هو: عمر بن الخطاب رضي الله عنه، جاء التصريح بذلك في رواية أخرى في صحيح مسلم، رقم الحديث (١٨٠٧) (١٣٢)، فنادى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو على جمل له: يا نبي الله، لولا متَّعْتَنا بعامرٍ!

(٦) قال الإمام السندي في شرحه للمسند (٩/ ٣٨٠): أي: الشهادة؛ فقد جاء أن مَن خصَّه بمثل هذا الدعاء وجبت له الشهادة.

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤١٩٦)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٨٠٢) (١٢٣).

وصول المسلمين إلى خيبر وإغارتهم

وصل رسول الله ﷺ بجيشه المبارك إلى خيبر ليلًا، وكان إذا أتى قومًا بليل لم يُغِرْ عليهم حتى يُصبِح، فلما أصبح صلَّى الفجرَ بغَلَس[١] ثم ركب هو وأصحابه، فأتى خيبر، فلما أشرف رسول الله ﷺ على خيبر دعا؛ فقد روى ابن حبان في «صحيحه» والحاكم في «المستدرك» بسند حسن عن صُهَيب رضي الله عنه، قال: إن رسول الله ﷺ لم يكن يَرَ قريةً يريد دخولها إلا قال حين يراها: «**اللَّهُمَّ ربَّ السَّمٰوات السبع وما أظلَلْنَ، وربَّ الأرَضِينَ السبع وما أقلَلْنَ**[٢]**، ورَبَّ الرياح وما ذَرَينَ، وربَّ الشياطين وما أضلَلْنَ، نسألك خير هذه القرية وخير أهلها، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها**»[٣].

وروى الشيخان في «صحيحيهما» عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: إن النبي ﷺ خرج إلى خيبر فجاءها ليلًا، وكان إذا جاء قومًا ليلًا لا يُغير عليهم حتى يُصبِح، فلما أصبح خرجت يهود بمساحيهم[٤] ومكاتِلِهم[٥]، فلما رأوه قالوا: محمد والخميس[٦]، فقال النبي ﷺ: «**الله أكبر، خَرِبَت خيبر، إنا إذا**

---

(١) **الغَلَس**: ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح. انظر: النهاية (٣/ ٣٣٩).

(٢) **أقللن**: حَمَلن. انظر: لسان العرب (١١/ ٢٨٩).

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه، رقم الحديث (٢٧٠٩)، والحاكم في المستدرك، رقم الحديث (١٦٥١).

(٤) **المِسْحاة**: المِجْرَفة من الحديد. انظر: النهاية (٤/ ٢٨٠).

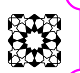
(٥) زاد الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٣٧٧١): إلى زروعهم وأَرَضيهم.
ومكاتلهم: جمع مِكْتَل، بكسر الميم: هو الزَّبيل الكبير. انظر: النهاية (٤/ ١٣١).

(٦) **الخميس**: الجيش، سُمي به؛ لأنه مقسوم بخمسة أقسام: المُقَدِّمة، والسَّاقة، والمَيمنة، والمَيسرة، والقَلْب، وقيل: لأنه تُخَمَّس فيه الغنائم. انظر: النهاية (٢/ ٧٥).

نزلنا بساحة قومٍ، فساء صباحُ المُنذَرين!»[١].

وفي لفظ آخر في «الصحيحين»، قال أنس رضي الله عنه: إن النبي ﷺ غزا خيبر، فصلينا عندها صلاة الغداة[٢] بغَلَس، فرَكِب نبيُّ الله ﷺ، وركب أبو طلحة وأنا رديف أبي طلحة... فلما دخل القرية، قال: «**الله أكبر، خَرِبَت خيبر، إنَّا إذا نزلنا بساحة قوم، فساء صباح المُنذَرين!**»[٣].

قال الإمام السُّهيلي: قوله ﷺ حين رآهم: «**الله أكبر، خَرِبَت خيبرُ**»، فيه التفاؤل؛ وذلك أنه رأى المساحي والمكاتل، وهي من آلات الهدم والحفر، مع أن لفظ المِسْحاة من سَحَوْتُ الأرض: إذا قشَرْتَها؛ فدل ذلك على خراب البلدة التي أشرف عليها[٤].



حصون خيبر

خيبر عبارة عن حصون منيعة، وتنقسم حصونها إلى **قسمين**:

١ ـ حصون النَّطاة والشَّقِّ:

وفيها **خمسة حصون**، وهي: حصن ناعم، وحصن الصعب بن معاذ، وحصن قلعة الزُّبير، وحصن أُبي، وحصن النِّزار.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٢٩٤٥) (٤١٩٧)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٣٦٥) (١٢١).

(٢) هي: صلاة الفجر.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٧١)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٣٦٥) (١٢٠).

(٤) انظر: الروض الأُنف (٤/ ٦٩).

٢ ـ حصون الكُتَيبة[١]:

وفيها **ثلاثة حصون**، وهي: حصن القَموص، وحصن الوَطِيح[٢]، وحصن السُّلالم[٣].

بدء القتال، وفتح حصن ناعم

فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى خيبر، حاصرها حِصنًا حِصنًا، وأول حصن فتحه المسلمون، هو حصن ناعم؛ فإنه لما تصافَّ القوم خرج مرحب يطلب المبارزة، فبرز له عامر بن الأكوع رضي الله عنه؛ فقد روى الشيخان في «صحيحيهما» ـ واللفظ لمسلم ـ عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، قال: لما قدمنا خيبر خرج مَلِكُهم مَرْحَب يَخْطِر بسيفِه[٤]، ويقول:

قد عَلِمَت خيبرُ أني مَرْحَبُ ... شاكي السلاحِ[٥] بَطلٌ مُجَرَّبُ
إذا الحروب أقبلت تَلَهَّبُ

قال: وبرز له عمِّي عامر، فقال:

قد عَلِمَت خيبرُ أني عامِرُ ... شاكي السِّلاحِ بطلٌ مُغامِرُ

فاختلفا ضربتين، فوقع سيف مَرحَب في تُرس عامر، وذهب عامر

---

(١) **الكُتَيبة**، مُصغَّرًا: اسم لبعض قُرى خيبر. انظر: النهاية (٤/ ١٣٠).

(٢) **الوَطِيح**: هو بفتح الواو، وكسر الطاء، وبالحاء المهملة. انظر: النهاية (٥/ ١٧٧).

(٣) **السُّلالم**: هي بضم السين. انظر: النهاية (٢/ ٣٥٧).

(٤) **يَخطِرُ بسيفه**، هو بكسر الطاء: أي: يهزُّه مُعجَبًا بنفسه متعرضًا للمبارزة، أو أنه يخطِر في مِشيته: أي: يتمايل ويمشي مِشية المعجَب، وسيفه في يده. انظر: النهاية (٢/ ٤٤).

(٥) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٢/ ١٥٣): **شاكي السلاح**؛ أي: تامُّ السِّلاح.

يَسفُلُ[١] له، فرجع سيفُه على نفسه، فقطع أَكْحَلَهُ[٢]، فكانت فيها نفسُه!

قال سلمة: فخرجتُ فإذا نفر من أصحاب النبي ﷺ يقولون: بَطَلَ عملُ عامرٍ؛ قَتَل نَفْسَه! فأتيتُ النبي ﷺ وأنا أبكي، فقلت: يا رسول الله، بَطَلَ عمل عامر؟! فقال رسول الله ﷺ: «**مَن قال ذلك؟**» قال: ناس من أصحابك، فقال رسول الله ﷺ: «**كَذَبَ**[٣] **مَن قال ذلك؛ بل له أجرُه مرتين**»[٤].

---

(١) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٢/ ١٥٣): **يَسفُلُ**، بفتح الياء، وضم الفاء: أي: يضربه من أسفل.

(٢) قال الحافظ في الفتح (٨/ ١٧٤): **الأَكْحَل**، بفتح الهمزة والمهملة، بينهما كاف ساكنة: هو عِرق في وَسَطِ الذِّراع.

(٣) قال الحافظ في الفتح (٨/ ٢٤٢): أي: أخطأ.

* وقال الإمام ابن القيم في مدارج السالكين (١/ ٥٥٩): الكذب يُراد به أمران:

* **أحدهما**: الخبر غير المطابق لمُخْبَرِه، وهو نوعان:

١ ـ كَذِب عمد.

٢ ـ وكَذِب خطأ.

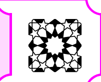
فكَذِب العمد معروف، وكَذِب الخطأ ككَذِب أبي السنابل في فتواه للمتوفَّى عنها إذا وضعت حَمْلَها؛ أنها لا تحِلُّ حتى تُتِمَّ أربعة أشهر وعشرًا، فقال النبي ﷺ: «**كَذَبَ أبو السنابل**»، ومنه قوله ﷺ: «**كذب مَن قالها**»، لمن قال: حَبِطَ عَمَلُ عامر؛ حيث قتل نفسه خطأً، ومنه قول عبادة بن الصامت رضي الله عنه: كَذَب أبو محمد؛ حيث قال: الوِتر واجِب، فهذا كله من كَذِب الخطأ، ومعناه: أخطأ قائلُ ذلك.

* حديث أبي السنابل: أخرجه الترمذي في جامعه، رقم الحديث (١٢٣١) (١٢٣٢)، وابن ماجه في سننه، رقم الحديث (٢٠٢٧)، وأورد طرقه الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم الحديث (٣٢٧٤) وصَحَّحه.

* وحديث عُبادة بن الصامت رضي الله عنه: أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٢٦٩٣)، وأبو داود في سننه، رقم الحديث (٤٢٥) وإسناده صحيح.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤١٩٦) (٦١٤٨)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٨٠٧) (١٣٢).

وفي لفظ آخر في «الصحيحين»، قال رسول الله ﷺ: **«كَذَبَ مَن قال، إن له لأجرين وجمع بين إصبَعَيه: إنه لَجَاهِدٌ مجاهِدٌ[١]، قَلَّ عربيٌّ مشى بها مثله»**[٢].



قتال أبي بكر وعمر رضي الله عنهما

أعطى رسول الله ﷺ اللواءَ لأبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، ثم أعطاه لعمر بن الخَطَّاب رضي الله عنه، ولم يُفتَح لهما؛ فقد روى الإمام أحمد في مسنده والبيهقي في دلائل النبوة ـ واللفظ لأحمد ـ بسند قوي عن بُريدة بن الحُصيب رضي الله عنه، قال: حاصَرْنا خيبر، فأخذ اللواءَ أبو بكر رضي الله عنه؛ فانصرف ولم يُفتَح له، ثم أخذه من الغَدِ عمر رضي الله عنه، فخرج، فرجع ولم يُفتح له، وأصاب الناسَ يومئذ شِدَّةٌ وجَهْدٌ[٣].

زاد البيهقي في «دلائل النبوة»: وقُتِلَ محمود بن مَسلَمة رضي الله عنه.

وقال ابن إسحاق: كان أوَّلَ حصونهم افتُتِحَ حِصنُ ناعم، وعنده قُتِلَ محمود بن مَسلمة رضي الله عنه، أُلقِيَت عليه منه رحًى[٤] فقتلَتْه[٥].

---

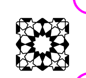
(١) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٢/ ١٤٣): هكذا رواه الجمهور من المتقدمين والمتأخرين: لَجاهِدٌ، بكسر الهاء، وتنوين الدال، ومُجاهِدٌ، بضم الميم، وتنوين الدال أيضًا، وفسروا: **لجاهِدٌ**، بالجادِّ في علمه وعمله؛ أي: إنه لجادٌّ في طاعة الله، والمجاهد: هو المجاهد في سبيل الله، وهو الغازي.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤١٩٦) (٦١٤٨)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٨٠٢) (١٢٣).

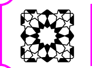
(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٢٩٩٣)، والبيهقي في دلائل النبوة (٤/ ٢١٠).

(٤) **الرَّحى**: هي التي يُطحَن بها. انظر: النهاية (٢/ ١٩٣).

(٥) انظر: سيرة ابن هشام (٣/ ٣٦٠).



تم الفتح على يد أبي الحسن رضي الله عنه



بشَّر رسولُ الله ﷺ أصحابَه بفتح حصن ناعم على يد أبي الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ فقد روى الشيخان في «صحيحيهما» عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «**لأُعطِيَنَّ هذه الراية غدًا رجلًا يفتح الله على يديه، يُحب الله ورسوله، ويُحبه الله ورسوله**»، قال: فبات الناس يَدُوكون[(١)] ليلتهم: أيُّهم يُعطاها، فلما أصبح الناس غدَوا على رسول الله ﷺ، كلهم يرجو أن يُعطاها، فقال رسول الله ﷺ: «**أين علي بن أبي طالب؟**» فقيل: هو يا رسول الله يَشتكي عينيه، قال: «**فأرسلوا إليه**» فأُتي به، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه، ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع! فأعطاه الراية، فقال عليٌّ رضي الله عنه: يا رسول الله أُقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال رسول الله ﷺ: «**انفُذْ[(٢)] على رِسْلِك[(٣)] حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعُهم إلى الإسلام وأخبِرْهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهديَ الله بك رجلًا واحدًا خيرٌ لك من أن يكون لك حُمْرُ النَّعَم**»[(٤)].

---

(١) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٥/ ١٤٥): هكذا هو في معظم النسخ والروايات: **يَدُوكون**، بضم الدال المهملة، وبالواو؛ أي: يخوضون ويتحدثون في ذلك، وفي بعض النسخ: يَذْكُرون، بإسكان الذال المعجمة وبالراء.

(٢) **انفُذ**: امضِ. انظر: النهاية (٥/ ٧٩).

(٣) قال الحافظ في الفتح (٨/ ٢٥٦): **على رِسْلِك**، بكسر الراء؛ أي: على هِينَتِك.

(٤) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٥/ ١٤٥): **حُمْرُ النَّعَم** هي: الإبل الحُمْر، وهي أنفَسُ أموال العرب، يضربون بها المثَل في نفاسة الشيء، وأنه ليس هناك أعظم منه، وقد سبق بيان أن تشبيه أمور الآخرة بأعراض الدنيا إنما هو للتقريب من الأفهام، وإلا فذرة من الآخرة الباقية خير من الأرض بأسْرها وأمثالها معها لو تُصُوِّرت، وفي هذا بيانُ فضيلةِ العِلم، والدعاء إلى الهُدى، وسَنِّ السُّنَن الحسنة.
والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٢١٠)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٤٠٦).

وفي رواية أخرى في «صحيح مسلم» عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، قال: فأتيتُ عليًّا رضي الله عنه فجئتُ به أقوده، وهو أرمَدُ[(١)]، حتى أتيتُ به رسول الله ﷺ، فبسق[(٢)] في عينيه فبرأ، وأعطاه الراية، وخرج مرحبٌ، فقال:

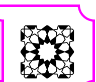
قد عِلَمَت خيبرُ أني مَرحَبُ   شاكي السلاح بطلٌ مُجَرَّبُ
إذا الحروبُ أقبلت تَلَهَّبُ

فقال عليٌّ رضي الله عنه:

أنا الذي سمَّتْني أمي حَيْدَرَهْ   كلَيثِ غاباتٍ كَريهِ المَنظَرَهْ
أُوفِيهِمُ بالصَّاعِ كَيلَ السَّندَرَهْ

قال: فضرب رأسَ مَرحَبٍ فقتله، ثم كان الفتح على يديه[(٣)].

قال ابن الأثير: الصحيح الذي عليه أكثر أهل السِّيَر والحديث أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قَتَل مرحبًا[(٤)].



فتح حِصن الصَّعبِ بن مُعاذ

فرَّ اليهود الذين كانوا في حصن ناعم ـ بعد فتحه ـ إلى حصن الصعب بن معاذ، فحاصر رسولُ الله ﷺ حِصنَ الصعب بن معاذ، وقد أصاب المسلمين مجاعةٌ شديدة حتى ذبحوا حُمُرًا أهليَّة، وأوقدوا تحتها النيران، فنهاهم النبي ﷺ عنها؛ فقد روى الشيخان في «صحيحيهما» عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: نهى رسول الله ﷺ يوم خيبر عن لحوم الحُمُر الأهلية[(٥)].

---

(١) **الرَّمَد**: وجع العين وانتفاخها. انظر: لسان العرب (٥/ ٣١١).
(٢) قال ابن الأثير في النهاية (١/ ١٢٨): بَسَق: لغةٌ في بزق وبصق.
(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٨٠٧) (١٣٢).
(٤) انظر: أُسْد الغابة (٤/ ٨٤).
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٢١٩) (٥٥٢٤)، ومسلم في صحيحه، رقم =

وروى الشيخان في «صحيحيهما» ـ واللفظ لمسلم ـ عن أنس بن مالك ﵁، قال: لما كان يوم خيبر جاءَ جاءٍ، فقال: يا رسول الله، أُكِلَت الحُمُر، ثم جاء آخر، فقال: يا رسول الله، أُفنِيَت الحُمُر، فأمر رسول الله ﷺ أبا طلحة فنادى: إن الله ورسوله ينهيانِكم عن لحوم الحُمُر؛ فإنها رِجْس أو نَجَس[١].

زاد البخاري ومسلم في رواية أخرى، عن أنس ﵁: فأُكفِئَت القدور، وإنها لتفور باللحم[٢].

قال الإمام النووي: وأما الحُمُر الإنسية، فقد وقع في أكثر الروايات أن النبي ﷺ نهى يوم خيبر عن لحومها، وفي رواية: حَرَّم رسول الله ﷺ لحوم الحُمُر الأهلية... واختلف العلماء في المسألة؛ فقال الجماهير من الصحابة والتابعين ومَن بعدهم بتحريم لحومها؛ لهذه الأحاديث الصحيحة الصريحة، وقال ابن عباس: ليست بحرام، وعن مالك ثلاث روايات؛ أشهرها: أنها مكروهة كراهة تنزيه شديدة، والثانية: حرام، والثالثة: مباحة، والصواب التحريم كما قاله الجماهير؛ للأحاديث الصريحة[٣].

= الحديث (١٩٤١) (٣٦).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤١٩٩) (٥٥٢٨)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٩٤٠) (٣٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤١٩٩) (٥٥٢٨)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٩٤٠) (٣٤).

(٣) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١٣/ ٧٧، ٧٨).
قلت: اختُلف في علة تحريم أكل الحُمُر الأهلية، على النحو التالي:
* قال ابن عباس ﵄: لا أدري أنهى عنه رسول الله ﷺ؛ من أجل أنه كان حَمُولة الناس، فكره أن تذهب حَمُولتهم. رواه البخاري، رقم الحديث (٤٢٢٧)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٩٣٩).
* قال عبد الله بن أبي أوفى ﵁: إنما نهى عنها؛ لأنها لم تُخَمَّس. رواه البخاري، رقم =

ثم إن رسول الله ﷺ دعا ربه ﷻ بفتح حصن الصَّعب بن معاذ، فقال ابن إسحاق: إن بني سهم من أسلم أتوا رسول الله ﷺ، فقالوا: والله يا رسولَ اللهِ لقد جُهِدْنا، وما بأيدينا من شيء، فلم يجدوا عند رسول الله ﷺ شيئًا يُعطيهم إياه، فقال رسول الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ إنَّك قد عرفتَ حالهم، وأنْ ليست بهم قوَّةٌ، وأنْ ليس بيدي شيء أعطيهم إياه، فافتح عليهم أعظَمَ حصونهم عنهم غَناءً، وأكثرها طعامًا وَوَدَكًا**[(١)]**، فغدا الناس، ففتح الله ﷻ حصن الصعب بن معاذ، وما بخيبر حصنٌ كان أكثر طعامًا وَوَدَكًا منه**»[(٢)].

= الحديث (٣١٥٥) (٤٤٢٠)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٩٣٧) (٢٦) (٢٧).

* قال بعض الصحابة ﷺ: نهى عنها البتة؛ لأنها كانت تأكل العَذِرَة. رواه البخاري، رقم الحديث (٣١٥٥) (٤٤٢٠)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٩٣٧) (٢٧).

* قال الحافظ في الفتح (٦/ ٣٨٩): والحاصل أن الصحابة ﷺ اختلفوا في علة النهي عن لحوم الحُمُر: هل هو لذاتها أو لعارض.

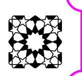
* وقال الإمام ابن القيم في زاد المعاد (٣/ ٤١٠، ٤١١): ومنها: تحريم لحوم الحُمُر الإنسية؛ صح عنه ﷺ تحريمها يوم خيبر، وصح عنه تعليل التحريم بأنها رجس، وهذا مقدَّم على قول مَن قال من الصحابة: إنما حرمها؛ لأنها كانت ظَهْر القوم وحَمُولتهم، فلما قيل له: أُفنِيَ الظَّهر وأُكِلَت الحُمُر، حرَّمها، وعلى قول مَن قال: إنما حرمها لأنها لم تُخَمَّس، وعلى قول مَن قال: إنما حرمها؛ لأنها كانت جَوَالَّ القرية، وكانت تأكل العَذِرَة، وكل هذا في الصحيح، لكن قول رسول الله ﷺ: إنها رجس مُقَدَّم على كل هذا؛ لأنه مِن ظَنِّ الراوي وقوله بخلاف التعليل بكونها رجسًا.

قوله: «**جَوالَّ**»، بتشديد اللام: جمعُ جالَّة، ويُقال لها الجَلَّالة، وهي من الحيوان التي تأكل العَذِرَة. انظر: النهاية (١/ ٢٧٨، ٢٧٩).

* وقال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٤/ ٥٨١): وتحريمها مذهب جمهور العلماء سلفًا وخلفًا، وهو مذهب الأئمة الأربعة.

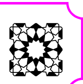
(١) «**الوَدَك**»: هو اسم اللحم ودُهنه الذي يُستخرج منه. انظر: النهاية (٥/ ١٤٨).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٣/ ٣٦٢).



فتح حصن قلعة الزبير

تحوَّل اليهود الذين هربوا من حصن الصعب بن معاذ إلى حصن قلعة الزبير، فحاصره رسول الله ﷺ ثلاثة أيام، فجاء رجل من اليهود، يُقال له: غَزال، فقال لرسول الله ﷺ: يا أبا القاسم تُؤمِّنُني على أن أدلَّك على ما تستريح من أهل النَّطاة وتخرج إلى أهل الشق؛ فإن أهل الشق قد هلكوا رُعبًا منك، فأَمَّنَهُ رسول الله ﷺ على أهله وماله، فقال اليهودي: إنك لو أقمْتَ شهرًا ما بالوا؛ لهم دُبُولٌ[1] تحت الأرض، يَخرُجون بالليل فيشربون منها، ثم يرجعون إلى قلعتهم فيمتنعون منك، فإن قَطَعْتَ مَشرَبَهم عليهم أصحَروا[2] لك، فسار رسول الله ﷺ إلى دبولهم فقطعها، فلما قَطَع عليهم مشاربَهم خرجوا فقاتلوا أشدَّ القتال، وقُتِلَ من المسلمين يومئذٍ نفرٌ، وأُصيب من يهود ذلك اليوم عشرة، وافتتحه رسول الله ﷺ، وكان هذا آخِرَ حصون النَّطاة[3].



هل يُقالُ: فلانٌ شهيد؟

روى الإمام مسلم في «صحيحه» عن عمر بن الخَطَّاب رضي الله عنه، قال: لما كان يوم خيبر أقبل نفر من صحابة رسول الله ﷺ، فقالوا: فلان شهيد، فلان شهيد، حتى مروا على رجل[4]، فقالوا: فلان شهيد، فقال رسول الله ﷺ:

---

(١) **دُبُول**: أي: جداول ماء، واحدها دَبْلٌ، سُميت به لأنها تُدبَل: أي: تُصْلَح وتُعمَر. انظر: النهاية (٢/ ٩٤).

(٢) **أصحر القوم**: برزوا في الصحراء، وقيل: أصحر القوم: إذا برزوا إلى فضاء لا يُواريهم شيء. انظر: لسان العرب (٧/ ٢٨٩).

(٣) انظر: دلائل النبوة، للبيهقي (٤/ ٢٢٤).

(٤) قال الحافظ في الفتح (٨/ ٢٧٢): هذا يمكن تفسيره بكركرة.

«**كلَّا، إني رأيته في النار؛ في بُردة غَلَّها**[١]**، أو عباءة**»، ثم قال رسول الله ﷺ: «**يا ابن الخطاب، اذهب فنادِ في الناس: إنه لا يدخل الجنةَ إلا المؤمنون**»، قال: فخرجتُ فناديت: ألا إنه لا يدخل الجنةَ إلا المؤمنون[٢].

وروى الإمام البخاري في «صحيحه» عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: كان على ثِقْل النبي ﷺ رجل يُقال له: كَرْكَرة[٣]، فمات، فقال رسول الله ﷺ: «**هو في النار**»، فذهبوا ينظرون إليه فوجدوا عباءة قد غلَّها.

* فوائد الحديث:

قال الإمام النووي: وفي الحديث:

---

(١) **الغُلُول**: هو الخيانة في المَغنَم، والسرقة من الغنيمة قبل القِسمة. انظر: النهاية (٣/ ٣٤١).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١١٥).

(٣) قلت: اختُلِفَ في ضبط اسم كركرة، على النحو التالي:

* قال الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٠٧٤): قال ابن سلام: كَرْكَرة: يعني: بفتح الكاف، وهو مضبوط كذا.

* قال الحافظ في «الفتح» (٦/ ٣٠٥): أراد بذلك أن شيخه محمد بن سلام رواه عن ابن عُيينة بهذا الإسناد بفتح الكاف.

* وقال الإمام النووي في شرحه (٢/ ١١١): كِرْكِرة: بفتح الكاف الأولى وكسرها، وأما الثانية فمكسورة فيهما، والله أعلم.

* وقال ابن الأثير في جامع الأصول: (٢/ ٨١٢): كركرة: بفتح الكافين وبكسرهما.

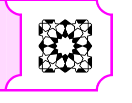
* وقال الحافظ في الإصابة (٥/ ٤٣٩)، وفي مطالع الأنوار (٣/ ٤٠٤): حكى البخاري الخلاف في كَافِهِ: هل هي بالفتح أو الكسر، ونقل ابن قُرقُول أنه يُقال: بفتح الكافين وبكسرهما، ومقتضاه أن فيه أربع لغات.

١ ـ غِلَظ تحريم الغُلُول.

٢ ـ ومنها أنه لا فرق بين قليله وكثيره، حتى الشِّراك.

٣ ـ ومنها أن الغلول يمنع من إطلاق اسم الشهادة على مَن غَلَّ إذا قُتِلَ.

٤ ـ ومنها أنه لا يدخل الجنة أحد ممن مات على الكفر، وهذا بإجماع المسلمين[1].



فتح حصن أُبَي (أحد حِصَنَيِ الشق)

فرغ رسول الله ﷺ من حصون النطاة، وتحول اليهود إلى حصون الشق، وفيها حصنان، هما: حصن أُبي، وحصن النزار، فتوجه رسول الله ﷺ إلى حصن أُبَي وحاصره، فقاتل أهله قتالًا شديدًا حتى هزمهم المسلمون، وفتحوا حصن أُبي، فوجدوا فيه أثاثًا وطعامًا، وفرَّ اليهود الذين كانوا فيه إلى حصن النزار، وهو آخر حصون النطاة والشق[2].

* فتح حصن النزار:

هذا الحصن أمنع حصون النَّطاة والشَّقِّ، وتمنَّع اليهود فيه أشد الامتناع، فزحف إليهم رسول الله ﷺ وأصحابه فتراموا، حتى وصلت نبالهم إلى رسول الله ﷺ، واشتد الحصار على اليهود في حصن النزار، ثم أمر رسول الله ﷺ بنصب المنجنيق[3] ـ ويبدو أنهم عثروا عليها في بعض

---

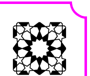
(١) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (٢/ ١١١).

(٢) انظر: دلائل النبوة، للبيهقي (٤/ ٢٢٥).

(٣) **المنجنيق**، بفتح الميم وكسرها: آلة قديمة من آلات الحصار، كانت تُرمى بها حجارة ثقيلة على الأسوار فتهدمها. انظر: لسان العرب (١٣/ ٣٣)، والمعجم الوسيط (٢/ ٨٥٥).

الحصون التي فتحوها ـ فأوقعوا الخلل في جدران حصن النزار، ثم اقتحم الصحابة ﵃ منه، ودار بينهم وبين اليهود داخل الحصن قتال مرير، حتى انهزم اليهود هزيمة منكَرة، وفر مَن فر منهم وتركوا نساءهم وذراريَّهم[(١)].

وبعد فتح حصن النزار، وهو آخر حصن في الشطر الأول من خيبر، وهي ناحية النطاة والشق، تحول رسول الله ﷺ إلى الشطر الثاني من حصون خيبر، وهي حصون الكُتيبة، وفيها ثلاثة حصون، وهي: القموص، والوَطِيح، والسُّلالم.



هل فُتحت حصون الكُتيبة صُلحًا؟

اختلف أهل السِّيَرِ والمغازي في أمر حصون الكُتيبة، هل فُتحت صلحًا أم جرى فيها قتال؟

روى أبو داود في «سننه» بسند صحيح عن أنس بن مالك ﵁، قال: إن رسول الله ﷺ غزا خيبر فأصبناها عَنوةً، فَجُمع السبي[(٢)].

وروى أبو داود في «سننه» بسند صحيح إلى الزهري، قال: بلغني أن رسول الله ﷺ افتتح خيبر عَنوة بعد قتال، ونزل مَن نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال[(٣)].

(١) انظر: دلائل النبوة، للبيهقي (٤/ ٢٢٥).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، رقم الحديث (٣٠٠٩)، وأخرجه مطولًا البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٧١)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٣٦٥) (١٢٠).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، رقم الحديث (٣٠١٨).

وروى أبو داود في «سننه» بسند صحيح مرسل عن بُشَير بن يَسار، قال: لما أفاء الله على نبيه ﷺ خيبرَ قسمها على ستة وثلاثين سهمًا، جَمَعَ كل سهم مئة سهم، فعزل نصفها لنوائبه[(١)] وما ينزل به: الوَطيحة والكُتيبة وما أُحِيز معهما، وعزل النصف الآخر فقسمه بين المسلمين: الشَّق والنَّطاة وما أُحيز معهما، وكان سهم رسول الله ﷺ فيما أُحيز معهما[(٢)].

قال الإمام البيهقي: وهذا لأن بعض خيبر فُتِحَ عَنوة وبعضها صلحًا، فقسم ما فُتح عَنوة بين أهل الخُمُس والغانمين، وعزل ما فُتح صلحًا لنوائبه وما يحتاج إليه في مصالح المسلمين، والله أعلم[(٣)].

وروى الإمام مسلم في «صحيحه» وأبو داود في «سننه» ـ واللفظ لأبي داود ـ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: لما افتُتحت خيبر سألَت يهودُ رسولَ الله ﷺ أن يُقِرَّهم على أن يعملوا على النصف مما يخرج منها[(٤)]، فقال رسول الله ﷺ: «**أُقرُّكم فيها على ذلك ما شئنا**»[(٥)]، فكانوا على ذلك، وكان

---

(١) **النوائب**: جمع نائبة، وهي ما ينوب الإنسان؛ أي: ينزل به من المهمات والحوادث. انظر: النهاية (٥/ ١٠٨).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، رقم الحديث (٣٠١٣)، وقد ثبت سماع بُشير بن يسار ذلك من الصحابة، كما في رواية أخرى في سنن أبي داود، رقم الحديث (٣٠١٠) (٣٠١١) (٣١٢)، ومسند الإمام أحمد، رقم الحديث (١٦٤١٧)، فصح بذلك الحديث، والحمد لله.

(٣) انظر: دلائل النبوة، للبيهقي (٤/ ٢٣٦).

قال الإمام ابن القيم في زاد المعاد (٣/ ٣٩٢): وهذا بناءً منه على أصل الشافعي: أنه يجب قَسْم الأرض المفتتحة عَنوة كما تُقسم سائر الغنائم، فلما لم يجده قَسَم النصف من خيبر، قال: إنه فُتح صلحًا، ومَن تأمل السِّيرَ والمغازي حقَّ التأمل تبيَّن له أن خيبر إنما فُتحت عَنوة، وأن رسول الله ﷺ استولى على أرضها كلها بالسيف عَنوة، ولو فُتح شيء منها صلحًا لم يُجْلِهم رسول الله ﷺ منها.

(٤) زاد الإمام مسلم: من الثمر والزرع.

التمر[١] يُقسَم على السُّهمان من نصف خيبر، ويأخذ رسول الله ﷺ الخُمُس[٢].

قال الإمام النووي: هذا يدل على أن خيبر فُتحت عَنوة[٣]؛ لأن السُّهمان كانت للغانمين، وقوله: يأخذ رسول الله ﷺ الخُمُس: أي: يدفعه إلى مستحِقِّه، وهم خمسة الأصناف المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الأنفال: ٤١]، فيأخذ لنفسه خُمسًا واحدًا من الخُمُس، ويصرِفُ الأخماس الباقية من الخُمُس إلى الأصناف الأربعة الباقين[٤].

وقال الإمام ابن القيم: الصواب الذي لا شك فيه أنها فُتحت عَنوة، والإمام مخيَّر في أرض العَنوة بين قَسْمِها ووَقْفِها، وقَسْم بعضها ووَقْف البعض، وقد فعل رسول الله ﷺ الأنواع الثلاثة: فقَسَم قُرَيظة والنضير، ولم يَقسِم مكة، وقَسَم شَطْرَ خيبر وتَرَك شَطْرَها[٥].

وروى أبو داود وابن حبان بسند صحيح ـ واللفظ لابن حبان ـ عن ابن

---

(١) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٠/ ١٧٩): قال العلماء: هو عائد إلى مدة العهد، والمراد: إنما نُمكِّنُكم من المُقام في خيبر ما شئنا، ثم نخرجكم إذا شئنا؛ لأنه ﷺ كان عازمًا على إخراج الكفار من جزيرة العرب كما أمر به في آخر عمره.

(٢) في رواية الإمام مسلم: الثمر.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٥٥١) (٤)، وأبو داود في سننه، رقم الحديث (٣٠٠٨).

(٤) قلت: ممن ذهب إلى أن خيبر فُتحت عَنوة، وهو قول الأكثر:

* ابن إسحاق في السيرة (٣/ ٣٦٠) وما بعدها.
* ابن عبد البر في الدرر في اختصار المغازي والسِّيَرَ، ص (٢١٤).
* ابن حزم في جوامع السيرة، ص (١٢٧).
* الحافظ ابن كثير في الفصول في سيرة الرسول، (ص١٩٦).

(٥) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١٠/ ١٨٠).

(٦) انظر: زاد المعاد (٣/ ٣٩٢، ٣٩٣).

عمر ﷺ، قال: إن رسول الله ﷺ قاتل أهل خيبر حتى ألجأهم إلى قصرهم، فَغَلَب على الأرض والزرع والنخل؛ فصالحوه على أن يُجْلُوا منها، ولهم ما حملت ركابُهم، ولرسول الله ﷺ الصفراء[١] والبيضاء[٢]، ويخرجوا منها، فاشترط عليهم أن لا يكتموا، ولا يُغَيِّبوا شيئًا، فإن فعلوا فلا ذِمَّة لهم ولا عصمة، فغَيَّبوا مَسْكًا[٣] فيه مال وحُلِيٌّ لِحُيَيِّ بن أخطب، كان احتمله معه إلى خيبر حين أُجلِيَت النضير، فقال رسول الله ﷺ لعم حُيَي[٤]: «**ما فعل مَسْكُ حُيَي الذي جاء به من النضير؟!**»، فقال: أذهَبَته النفقات والحروب، فقال رسول الله ﷺ: «**العهد قريب، والمال أكثر من ذلك**»، فدفعه رسول الله ﷺ إلى الزُّبَير بن العَوَّام ﷺ، فَمسَّه بعذاب، وقد كان حُيَي قبل ذلك قد دخل خَرِبَة، فقال: قد رأيتُ حُيَيًّا يَطوف في خربة هاهنا، فذهبوا فطافوا، فوجدوا المَسْك في خَرِبة، فقتل رسول الله ﷺ ابنَيْ أبي الحُقَيق، وأحدهما زوجُ صفية[٥] بنت حُيي بن أخطب[٦]، وسبى رسول الله ﷺ نساءهم وذراريَّهم، وقَسَمَ أموالهم؛ للنَّكثِ الذي نَكَثوا، وأراد أن يُجلِيَهم منها، فقالوا: يا

---

(١) **الصفراء**: الذهب. انظر: النهاية (٣/ ٣٤).

(٢) **البيضاء**: الفضة. انظر: النهاية (٣/ ٣٤).

(٣) **المَسْك**، بفتح الميم وسكون السين: هو الجِلد. انظر: النهاية (٤/ ٢٨٣).

(٤) في رواية أبي داود: لِسَعْيَة.
قال شهاب الدين المقدسي في شرحه لسنن أبي داود (١٣/ ٥٤): **سَعْيَة**: بفتح العين وسكون السين المهملتين، ثم مثناة تحت: ابن عمرو.

(٥) هو: كنانة بن الربيع بن أبي الحُقَيق.

(٦) قال الإمام ابن القيم في زاد المعاد (٣/ ١٦٩): ولم يَعُمَّهم النبي ﷺ بالقتل كما عَمَّ قريظة؛ لاشتراك أولئك في نقض العهد، وأما هؤلاء فالذين عَلِموا بالمَسْك وغَيَّبوه وشرطوا له أنه إن ظهر فلا ذمة لهم ولا عهد، قَتلهم بشرطهم على أنفسهم، ولم يتعدَّ ذلك إلى سائر أهل خيبر؛ فإنه معلوم قطعًا أن جميعهم لم يعلموا بِمَسْك حُيَي وأنه مدفون في خَرِبة، فهذا نظير الذِّمِّي أو المعاهَد إذا نقض العهد ولم يمالئه عليه غيره؛ فإنَّ حُكمَ النقض يختصُّ به.

محمد، دعنا نكون في هذه الأرض نُصلِحُها، ونقوم عليها، ولم يكن لرسول الله ﷺ ولا لأصحابه غلمان يقومون عليها، فكانوا لا يَتفرَّغون أن يقوموا، فأعطاهم خيبر على أن لهم الشَّطْرَ من كل زرع ونخل وشيء، ما بدا لرسول الله ﷺ[١].

قال ابن سيد الناس: ففي هذا[٢] أنها فُتحت صلحًا، وأن الصلح انتقض، فصارت عَنوة، ثم خَمَّسها رسول الله ﷺ وقسمها[٣].

عِظَم غنائم خيبر

غنم المسلمون غنائم عظيمة من خيبر؛ فقد روى الإمام البخاري في «صحيحه» عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: ما شبعنا حتى فتحنا خيبر[٤].

وروى الإمام البخاري في «صحيحه» عن عائشة رضي الله عنها، قالت: لما فُتحت خيبر قلنا: الآن نشبع من التمر[٥].

قال الحافظ في الفتح: أي: لكثرة ما فيها من النخيل، وفيه إشارة إلى أنهم كانوا قبل فتحها في قلة من العيش[٦].

وروى الإمام البخاري في «صحيحه» عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قسم

(١) أخرجه أبو داود في سننه، رقم الحديث (٣٠٠٦)، وابن حبان في صحيحه، رقم الحديث (٥١٩٩).

(٢) الحديث الذي رواه أبو داود وابن حبان.

(٣) انظر: عيون الأثر (٢/ ١٩١).

قلت: وذهب الحافظ في الفتح (٨/ ٢٥٦) إلى ما ذهب إليه ابن سيد الناس، وختم قوله: فلو كانوا صولحوا على أرضهم لم يُجْلَوا منها، والله أعلم.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٢٤٣).

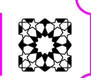
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٢٤٢).

(٦) انظر: فتح الباري (٨/ ٢٨٠).

رسول الله ﷺ يوم خيبر للفَرَس سهمين، وللرَّاجِل[١] سهمًا.

فَسَّرَهُ نافع، فقال: إذا كان مع الرجل فرس فله ثلاثة أسهم، فإن لم يكن له فرس فله سهم[٢].

قال الإمام الترمذي: والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم، وهو قول سفيان الثوري، والأوزاعي، ومالك بن أنس، وابن المبارك، والشافعي، وأحمد، وإسحاق، قالوا: للفارس ثلاثة أسهم؛ سهم له، وسهمان لفرسه، وللراجل سهم[٣].



رد المهاجرين منائح[٤] الأنصار

لما أغنى الله ﷻ المسلمين بفتح خيبر، رد المهاجرون إلى الأنصار منائحهم التي منحوها لهم لما قدموا عليهم المدينة؛ فقد روى الشيخان في صحيحيهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: لما قدم المهاجرون المدينة من مكة، وليس بأيديهم ـ يعني: شيئًا ـ، وكانت الأنصار أهل الأرض والعقار، فقاسمهم الأنصار على أن يُعطوهم ثمار أموالهم كل عام، ويَكْفوهم العملَ والمَؤونة... قال أنس رضي الله عنه: إن رسول الله ﷺ لما فرغ من قتال أهل خيبر فانصرف إلى المدينة، رد المهاجرون إلى الأنصار منائحهم، من ثمارها[٥].

---

(١) في رواية الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٤٤٤٨): وللرَّجُل.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٢٢٨).

(٣) انظر: جامع الإمام الترمذي (٣/ ٣٨٢).

(٤) قال الحافظ في الفتح (٥/ ٥٦٨): **المَنِيحة**، بفتح الميم، وكسر النون، بوزن عظيمة: وهي في الأصل العطِيَّة.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٢٦٣٠)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٧٧١) (٧٠).

قال الإمام النووي: هذا دليل على أنه كانت منائحَ ثمارٍ ـ أي: إباحة للثمار ـ لا تمليك لرقاب النخل؛ فإنها لو كانت هبة لرقبة النخل لم يرجعوا فيها؛ فإن الرجوع في الهبة بعد القبض لا يجوز، وإنما كانت إباحة كما ذكرنا، والإباحة يجوز الرجوع فيها متى شاء، ومع هذا لم يرجعوا فيها حتى اتسعت الحال على المهاجرين بفتح خيبر، واستغنوا عنها، فردوها على الأنصار فقَبِلوها[(١)].



قدوم مهاجري الحبشة ومعهم الأشعريُّون

قَدِمَ على النبي ﷺ بخيبر بعد فتحها ابنُ عمه جعفر بن أبي طالب وأصحابه ﭭ من الحبشة، ففرح به رسول الله ﷺ فرحًا عظيمًا؛ فقد روى الحاكم في «المستدرك» بسند ضعيف ـ وله شواهد يتقوى بها ـ عن جابر ﭬ، قال: لما قدم رسول الله ﷺ من خيبر قدم جعفر من الحبشة، تلقاه رسول الله ﷺ فقبَّل جبهته، ثم قال: «**والله ما أدري بأيهما أنا أفرح؛ بفتح خيبر، أم بقدوم جعفر؟!**»[(٢)].

وقَدِمَ مع مهاجري الحبشة: الأشعريُّون، وفيهم أبو موسى الأشعري ﭬ؛ فقد روى الإمام أحمد في «مسنده» بسند صحيح عن أبي موسى الأشعري ﭬ، قال: قدمتُ على رسول الله ﷺ في ناس من قومي بعدما فتح خيبر بثلاثٍ، فأسهم لنا، ولم يقسِمْ لأحد لم يشهد الفتح غيرنا[(٣)].

---

(١) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١٢/ ٨٥).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٤٢٩٥) (٥٠٠٥)، وقال الألباني في تحقيقه لفقه السيرة للغزالي، ص (٣٥٠): حديث حسن، ثم أورد طرقه، وختم قوله: وبالجملة فالحديث قوي بهذه الطرق، وقد صححه الحاكم، وأورده أيضًا الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم الحديث (٢٦٥٧) وصحَّحه.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٩٦٣٥).

وروى الشيخان في «صحيحيهما» عن أبي موسى الأشعري ﷺ، قال: بلَغَنا مخرج النبي ﷺ ونحن باليمن، فخرجنا مهاجرين إليه أنا وأخوان لي أنا أصغرهم؛ أحدهما: أبو بُردة[١]، والآخر: أبو رُهم[٢] ـ إما قال: في بِضعٍ، وإما قال: في ثلاثة وخمسين، أو اثنين وخمسين رجلًا من قومي ـ فركبنا سفينة، فألقتنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة، ووافَقْنا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عنده، فقال جعفر ﷺ: إن رسول الله ﷺ بعَثَنا هاهنا، وأمرنا بالإقامة، فأقيموا معنا، فأقمنا معه حتى قدمنا جميعًا، فوافَقْنا النبي ﷺ حين افتتح خيبر، فأسهم لنا ـ أو قال: فأعطانا ـ منها، وما قسم لأحد غاب عن فتح خيبر منها شيئًا، إلا لمن شهد معه، إلا أصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه[٣]، قسَم لهم معهم[٤].

---

(١) قال ابن الأثير في جامع الأصول (١/ ٢٢٥)، قسم التراجم: أبو بُردة، بضم الباء، وسكون الراء، وبالدال المهملة: هو عامر بن قيس الأشعري، أخو أبي موسى الأشعري ﷺ.

(٢) قال ابن الأثير في جامع الأصول (١/ ٣٩٧)، قسم التراجم: أبو رُهْم، بضم الراء، وسكون الهاء: هو مجدي بن قيس الأشعري، أخو أبي موسى الأشعري ﷺ، ومَجْدِي: بفتح الميم، وسكون الجيم، وكسر الدال المهملة.

(٣) قلتُ: يخالف ذلك حديث أبي هريرة ﷺ الآتي، وهو في مسند الإمام أحمد، ومستدرك الحاكم، ولفظه: أتينا خيبر، وقد افتتح النبي ﷺ خيبر، فكلم المسلمين، فأشركونا في سهامِهم.

قال السندي في شرحه للمسند (٦/ ٦٠): هذا خلاف المشهور، والمشهور أنه أشرك أهل السفينة دون غيرهم، والله أعلم.

يعني بقوله: أصحاب السفينة: جعفر بن أبي طالب ﷺ ومَن معه؛ كالأشعريين وغيرهم.

* قال الحافظ في الفتح (٨/ ٢٧١): ويُجمَع بين هذا وبين الحصر الذي في حديث أبي موسى ﷺ: أن أبا موسى ﷺ أراد أنه لم يُسهم لأحد لم يشهد الوقعة من غير استرضاء أحد من الغانمين إلا لأصحاب السفينة، وأما أبو هريرة وأصحابه ﷺ، فلم يُعطهم إلا عن طيب خواطر المسلمين. والله أعلم.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣١٣٦)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٥٠٢).

قدوم الدَّوْسِيِّين

وقَدِمَ على رسول الله ﷺ وهو بخيبر بعد فتحها: الدَّوسيُّون، فيهم: الطُّفيل بن عمرو الدوسي، وراوية الإسلام أبو هريرة رضي الله عنه، وغيرهما.

وروى الإمام أحمد في «مسنده» والحاكم في «المستدرك» بسند صحيح عن خُثيم بن عِراك بن مالك عن أبيه، قال: إن أبا هريرة رضي الله عنه قدم المدينة في رهط من قومه، والنبي ﷺ بخيبر، وقد استخلف سِباع بن عرفطة رضي الله عنه على المدينة، قال: فانتهيتُ إليه وهو يقرأ في صلاة الصبح في الركعة الأولى: بـ﴿كٓهيعٓصٓ﴾، وفي الثانية: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ﴾، قال: فقلت لنفسي: ويلٌ لفلان! إذا اكتال اكتال بالوافي، وإذا كال كال بالناقص، قال: فلما صَلَّى زوَّدَنا شيئًا حتى أتينا خيبر، وقد افتتح النبي ﷺ خيبر، قال: فكلم المسلمين، فأشركونا في سهامهم[(١)].

وروى الإمام البخاري في «صحيحه» والإمام أحمد في «مسنده» عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: لما قدمتُ على النبي ﷺ قلتُ في الطريق:

يا ليلةً من طُولها وعَنائِها[(٢)] ... على أنَّها من دارة[(٣)] الكُفرِ نَجَّتِ

وأَبَق[(٤)] غلام لي في الطريق، فلما قدمتُ على النبي ﷺ فبايعته، فبينا

---

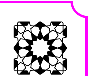
(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٨٥٥٢)، والحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٢٢٧٢).

(٢) قال السندي في شرحه للمسند (٥/ ٣٣٤): **عَنَائِها**، بفتح عين مهملة، وتخفيف نون ممدودة؛ أي: تَعَبِها ومَشَقَّتِها.

(٣) قال الحافظ في الفتح (٥/ ٤٦٧): **الدَّارة** أخصُّ من الدار، وقد كثر استعمالها في أشعار العرب.

(٤) **أبق**: هرب. انظر: النهاية (١/ ١٩).

أنا عنده إذ طلع الغلام، فقال لي النبي ﷺ: «**يا أبا هريرة، هذا غلامك!**»، فقلت: هو لوجه الله، فأعتقتُه[١].



إعتاق النبي ﷺ صفية بنت حُيَي رضي الله عنها

اصطفى رسول الله ﷺ من غنائم خيبر صَفية بنت حُيَي بن أخطب رضي الله عنها لنفسه، فأسلمت فأعتقها وتزوَّجها، وبنى[٢] بها في طريق المدينة بعدما حَلَّت؛ فقد روى الشيخان في «صحيحيهما» عن أنس رضي الله عنه، قال: جاء دِحْيَة رضي الله عنه، فقال: يا نبيَّ الله أعطني جارية من السبيِ، فقال رسول الله ﷺ: «**اذهب فخذ جارية**»، فأخذ صفية بنت حُيَي، فجاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا نبي اللهِ، أعطيتَ دِحْيَةَ صفيةَ بنت حُيَي سيِّدة قُريظة والنضير! لا تصلُحُ إلا لك، فقال رسول الله ﷺ: «**ادعوه بها**»، فجاء بها، فلما نظر إليها النبي ﷺ، قال: «**خُذ جاريةً من السبيِ غيرها**»، قال: فأعتقها النبي ﷺ وتزوَّجها[٣].

وروى الشيخان في «صحيحيهما» عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: إن رسول الله ﷺ أعتق صفية، وجعل عِتقَها صداقَها[٤].

وفي لفظ آخر، قال ثابت البُناني: يا أبا حمزة[٥] ما أصدَقَها؟

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٢٥٣٠) (٢٥٣١) (٤٣٩٣)، والإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٧٨٤٥).

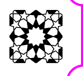
(٢) **البناء**: الدخول بالزوجة. انظر: النهاية (١/ ١٥٦).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٧١)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٣٦٥) (٨٤).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٥٠٨٦)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٣٦٥) (٨٥).

(٥) هي كنية أنس بن مالك رضي الله عنه.

قال: نفسها، أعتقها وتزوجها[١].



هل جَعْلُ عتق الجارية صداقُها خاصٌّ بالنبي ﷺ؟

* اختُلِف في هذه المسألة:

قال الإمام النووي: وقوله: أصدَقَها نَفْسَها، اختُلِفَ في معناه؛ فالصحيح الذي اختاره المحققون أنه أعتقها تبرعًا بلا عوض ولا شرط، ثم تزوجها برضاها بلا صداق، وهذا من خصائصه ﷺ؛ أنه يجوز نكاحه بلا مهر لا في الحال ولا فيما بعدُ، بخلاف غيره[٢].

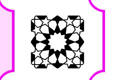
وذهب الإمام ابن القيم إلى أن هذا الحكم ليس من خصائص النبي ﷺ، فقال: فصار ذلك سُنة للأُمَّة إلى يوم القيامة؛ أن يُعتق الرجل أَمَتَه، ويجعل عِتْقَها صداقَها، فتصير زوجته بذلك، فإذا قال: أعتقتُ أَمتي، وجعلتُ عِتقَها صَداقَها، أو قال: جعلتُ عِتق أَمَتي صَداقَها، صح العتق بالنكاح، وصارت زوجته من غير احتياج إلى تجديد عقد ولا ولي، وهذا ظاهر مذهب أحمد، وكثير من أهل الحديث، وقالت طائفة: هذا خاص بالنبي ﷺ، وهو مما خَصَّه الله به في النكاح دون الأُمَّة، وهذا قول الأئمة الثلاثة ومَن وافقهم، والصحيح: القول الأول؛ لأن الأصل عدم الاختصاص حتى يقوم عليه دليل، والله سبحانه لما خَصَّه بنكاح الموهوبة، قال فيها: ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب: ٥٠]، ولم يقل هذا في المُعتَقة، ولا قاله ﷺ ليقطع تأسِّي الأُمة به في ذلك، والله سبحانه أباح له نكاح امرأةِ مَن تبنَّاه؛ لئلَّا يكون على الأُمة حرج في نكاح أزواج من تَبنَّوه، فدل على أنه إذا نكح

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٧١)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٣٦٥) (٨٤).

(٢) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (٩/ ١٨٩).

نكاحًا فلأُمته التأسي به فيه، ما لم يأتِ عن الله ورسوله ﷺ نصٌّ بالاختصاص وقطْع التأسي، وهذا ظاهر، ولتقرير هذه المسألة وبسط الاحتجاج فيها، وتقرير أن جواز مثل هذا هو مقتضى الأصول والقياس موضِعٌ آخر، وإنما نَبَّهنا عليها تنبيهًا[١].



دخول النبي ﷺ بصفية رضي الله عنها

روى الإمام البخاري في «صحيحه» عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قدم النبي ﷺ خيبر، فلما فَتَح الله عليه الحِصن، ذُكِرَ له جمال صَفية بنت حُيَي بن أخطب رضي الله عنها ـ وقد قُتِلَ زوجها وكانت عروسًا ـ فاصطفاها رسول الله ﷺ لنفسه فخرج بها، حتى بلغنا سَدَّ الرَّوْحاء[٢] حَلَّت[٣]، فبنى بها رسول الله ﷺ[٤].

وفي لفظ آخر في «صحيح مسلم»، قال أنس رضي الله عنه: ثم دفعها[٥] إلى أم سُليم تُصنعُها له وتُهيِّئُها ـ قال: وأحسَبُه قال: ـ وتعتدُّ في بيتِها[٦].

قال الإمام النووي: قوله: تعتدُّ: فمعناه: تستبرئُ؛ فإنها كانت مَسْبِيَّة يجب استبراؤُها، وجعَلَها في مدة الاستبراء في بيت أم سُليم، فلما انقضى الاستبراء جهَّزتها أم سُليم، وهيَّأتها؛ أي: زيَّنَتها وجمَّلتها، على عادة العروس بما ليس بمنهي عنه من وَشْمٍ ووصلٍ وغيرِ ذلك من المنهيِّ عنه[٧].

---

(١) انظر: زاد المعاد (١/ ١٠٣، ١٠٤).

(٢) جاء في صحيح مسلم، رقم الحديث (٣٨٨) (١٥): **الروحاء**: موضع يبعد عن المدينة النبوية ستة وثلاثين ميلًا.

(٣) قال الحافظ في الفتح (٥/ ١٧٦): **حَلَّت**: أي: طَهُرَت من حيضِها.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٢٢٣٥).

(٥) يعني: صَفِيَّة بنت حُيي رضي الله عنها.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٣٦٥) (٨٧).

(٧) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (٩/ ١٩٠).

وأطعم رسول الله ﷺ الناس حَيسًا في وليمة صفية رضي الله عنها؛ فقد روى الإمام البخاري في «صحيحه» عن أنس رضي الله عنه، قال: حتى بلَغْنا سَدَّ الصَّهباء، حَلَّت، فبنى بها رسول الله ﷺ، ثم صنع حَيْسًا[١] في نِطْع[٢] صغير، ثم قال لي: «**آذِنْ مَن حولك**»، فكانت تلك وليمتَه ﷺ على صفية[٣].

وفي رواية الإمام مسلم، قال أنس رضي الله عنه: وجعل رسول الله ﷺ وَلِيمَتَها التَّمرَ والأَقِطَ والسَّمنَ[٤].

قال الحافظ في «الفتح»: ولا مخالفة بينهما؛ لأن هذه[٥] من أجزاء الحَيس[٦].

وروى ابن حبان في «صحيحه» بسند صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: رأى رسول الله ﷺ بعينَيْ صفية رضي الله عنها خُضرة، فقال: «**يا صفيةُ، ما هذه الخُضرة؟**» فقالت رضي الله عنها: كان رأسي في حجر ابن أبي الحُقيق وأنا نائمة، فرأيتُ كأنَّ قمرًا وقع في حجري! فأخبرته بذلك فلطَمَني، وقال: تَمَنَّيْنَ مَلِكَ يَثرِبَ[٧]؟! قالت: وكان رسول الله ﷺ من أبغض الناس إليَّ؛ قتل زوجي وأبي وأخي، فما زال يعتذر إليَّ، ويقول: «**إن أباك أَلَّبَ[٨] عليَّ العرب وفعل وفعل**»، حتى ذهب ذلك من نفسي[٩].

---

(١) قال الحافظ في الفتح (٢/ ٣٤): **الحَيْس**، بفتح الحاء: خليطُ السمن والتمر والأَقِط.

(٢) **النِّطع**، بكسر النون: هو بِساط من جِلد. انظر: لسان العرب (١٤/ ١٨٦).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٢٢٣٥) (٤٢١١).

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٣٦٥).

(٥) أي: التمر والأَقِط والسمن.

(٦) انظر: فتح الباري (١٠/ ٢٩٦).

(٧) يعني: رسول الله ﷺ

(٨) **أَلَّب**، بفتح الهمزة، وتشديد اللام: أي: جَمَّعَ. انظر: النهاية (١/ ٦١).

(٩) أخرجه ابن حبان في صحيحه، رقم الحديث (٥١٩٩).

قصة الشاة المسمومة

وفي هذه الغزوة سَمَّ اليهودُ رسول الله ﷺ، فقد روى الإمام البخاري في «صحيحه» عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: لما فُتِحَت خيبر أُهدِيَت لرسول الله ﷺ شاة فيها سُم، فقال رسول الله ﷺ: «**اجمعوا لي مَن كان هاهنا من اليهود**»، فَجُمِعوا له، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**إني سائلكم عن شيء، فهل أنتم صادِقِيَّ عنه؟**» فقالوا: نعم يا أبا القاسم... فقال لهم رسول الله ﷺ: «**هل جعلتم في هذه الشاة سُمًّا؟**» فقالوا: نعم، فقال: «**ما حملكم على ذلك؟**» قالوا: أردنا إن كنت كاذبًا نستريحُ منك، وإن كنت نبيًّا لم يضُرَّك[(١)].

وروى الشيخان في «صحيحيهما» عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: إن امرأة يهودية[(٢)] أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة[(٣)]، فأكل منها[(٤)]، فجيء بها إلى رسول الله ﷺ فسألها عن ذلك؟ فقالت: أردتُ لأقتُلَك، فقال رسول الله ﷺ: «**ما كان الله ليُسلِّطَك على ذاك، أو قال: علَيَّ**»، قالوا: ألا نقتُلُها؟ قال رسول الله ﷺ: «**لا**»، قال: فما زلتُ أعرفها في لَهَواتِ[(٥)] رسول الله ﷺ[(٦)].

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣١٦٩) (٥٧٧٧).

(٢) سماها ابن إسحاق في السيرة (٣/ ٣٦٧): زينب بنت الحارث؛ امرأة سلَّام بن مِشْكَم.

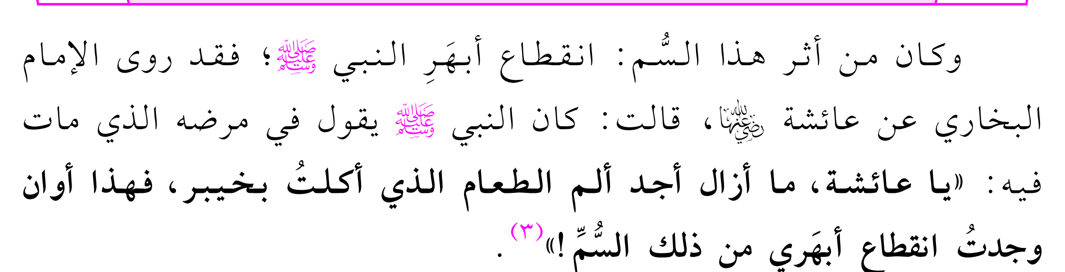
(٣) في رواية الإمام أحمد في مسنده: أن يهودية جعلت سُمًّا في لحم.

(٤) زاد الإمام أحمد في مسنده: فقال رسول الله ﷺ: «**إنها جعلت فيه سُمًّا**».
قال الإمام ابن القيم في زاد المعاد (٣/ ٤٠٣): وقد اختُلف: هل أكل النبي ﷺ منها أو لم يأكل؟ وأكثر الروايات أنه أكل منها.

(٥) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٤/ ١٥٠): لَهَوات، بفتح اللام والهاء: جمع لَهَاة، بفتح اللام، وهي: اللحمة الحمراء المعلَّقة في أصل الحَنَك.
وقوله: ما زلتُ أعرفها: أي: العلامة، كأنه بقي للسُّم علامة وأثر من سواد أو غيره.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٢٦١٧)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث =

وروى الإمام أحمد في «مسنده» بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: إن امرأة من اليهود أهدت لرسول الله ﷺ شاة مسمومة، فأرسل إليها، فقال: «ما حملكِ على ما صنعتِ؟» قالت: أحببتُ ـ أو أردتُ ـ إن كنت نبيًّا فإن الله سيُطلِعُك عليه، وإن لم تكن نبيًّا أُريحُ الناس منك، قال: وكان رسول الله ﷺ إذا وَجَدَ من ذلك شيئًا، احتجم، قال: فسافر مرة، فلما أَحرَم وَجَدَ من ذلك شيئًا فاحتجم(١).



انقطاع أَبهَرِ(٢) النبيِّ ﷺ

وكان من أثر هذا السُّم: انقطاع أبهَرِ النبي ﷺ؛ فقد روى الإمام البخاري عن عائشة رضي الله عنها، قالت: كان النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه: **«يا عائشة، ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلتُ بخيبر، فهذا أوان وجدتُ انقطاع أبهَري من ذلك السُّمِّ!»**(٣).

وروى الإمام أحمد وأبو داود والحاكم بسند صحيح عن أم مُبَشِّر رضي الله عنها، قالت: دخلتُ على رسول الله ﷺ في وجعه الذي قُبِضَ فيه، فقلت: بأبي أنت يا رسول الله، ما تتَّهِم بنفسك؟! فإني لا أتهم بابني إلا الطعام الذي أكله معك بخيبر، وكان ابنُها بشر بن البراء بن معرور رضي الله عنهما مات قبل النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: **«وأنا لا أتَّهم غيرها، هذا أوان انقطاع أَبْهَري»**(٤).

= (٢١٩٠)، والإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٣٢٨٥).

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٧٨٤).

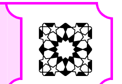
(٢) **الأبهَر**: عِرقٌ في الظهر موصول بالقلب، فإذا انقطع لم تبقَ معه حياة. انظر: النهاية (١/ ٢٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه معلَّقًا بصيغة الجزم، رقم الحديث (٤٤٢٨)، ووصله الحاكم في مستدركه، رقم الحديث (٤٤٤١).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٣٩٣٣)، وأبو داود في سننه، رقم الحديث (٤٥١٣)، والحاكم في مستدركه، رقم الحديث (٥٠٣٢).

وروى الإمام أحمد، والحاكم بسند صحيح عن عبد الله بن مسعود ﷺ، قال: لأن أحلف تِسعًا أن رسول الله ﷺ قُتِلَ قتلًا[(١)]، أحبُّ إليَّ من أن أحلف واحدة أنه لم يُقتَل؛ وذلك أن الله ﷻ اتخذه نبيًّا واتخذه شهيدًا[(٢)].

وقال الإمام ابن القيم: ولما احتجم النبي ﷺ احتجم في الكاهل[(٣)]، وهو أقرب المواضع التي يمكن فيها الحجامة إلى القلب، فخرجت المادة السُّمية مع الدم لا خروجًا كليًّا؛ بل بقي أثرها مع ضعفه؛ لِما يريد الله سبحانه من تكميل مراتب الفضل كلها له، فلما أراد الله إكرامه بالشهادة ظهر تأثير ذلك الأثر الكامن من السُّم؛ ليقضيَ الله أمرًا كان مفعولًا، وظهر سِرُّ قوله تعالى لأعدائه من اليهود: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [البقرة: ٨٧]، فجاء بلفظ ﴿كَذَّبْتُمْ﴾ بالماضي الذي قد وقع منهم وتحقَّق، وجاء بلفظ: ﴿تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾ بالمستقبل الذي يتوقعونه وينتظرونه، والله أعلم[(٤)].



هل قتل رسول الله ﷺ زينب بنت الحارث؟

قال الإمام النووي: قال القاضي عياض: اختلفت الآثار والعلماء؛

---

(١) قال الإمام السندي في شرحه للمسند (٣/ ٢٤٧): ولا يُنافي ذلك قوله تعالى في سورة المائدة، آية (٦٧): ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المائدة: ٦٧]؛ إذ يكفي فيه العصمة عن القتل على الوجه المعتاد فيه، وقد عُصِمَ منه ﷺ بلا ريب.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٣٦١٧) (٣٨٧٣)، والحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٤٤٤٢).

(٣) **الكاهل**: هو مُقدَّم أعلى الظهر. انظر: النهاية (٤/ ١٨٥).
وثبت احتجام النبي ﷺ في كاهله في سنن أبي داود، رقم الحديث (٣٨٦٠)، والترمذي في جامعه، رقم الحديث (٢١٧٦) وإسناده صحيح.

(٤) انظر: زاد المعاد (٤/ ١٧٧ ـ ١٧٨)، وذهب القرطبي في تفسيره (٦/ ٢٦٩) إلى ما ذهب إليه الإمام ابن القيم.

هل قتلها النبي ﷺ أم لا؟ فوقع في «صحيح مسلم»[(١)]، أنهم قالوا: ألا نقتُلُها؟

فقال رسول الله ﷺ: «**لا**»، ومثله عن أبي هريرة، وجابر، وعن جابر من رواية أبي سلمة أنه ﷺ قتلها، وفي رواية ابن عباس أنه ﷺ دفعها إلى أولياء بِشر بن البراء بن معرور رضي الله عنهما، وكان أكل منها فمات بها، فقتلوها، وقال ابن سحنون: أجمع أهل الحديث أن رسول الله ﷺ قتلها.

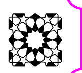
قال القاضي: وجه الجمع بين هذه الروايات والأقاويل: أنه لم يقتلها أولًا حين اطَّلع على سمها، وقيل له: اقتُلْها، فقال: لا، فلما مات بشر بن البراء رضي الله عنهما من ذلك سلَّمها لأوليائه فقتلوها قِصاصًا، فيصح قولهم: لم يقتلها؛ أي: في الحال، ويصح قولهم: قتلها؛ أي: بعد ذلك، والله أعلم[(٢)].

قال الإمام السُّهيلي: ووجه الجمع أنه عليه الصلاة والسلام صفح عنها؛ لأنه كان ﷺ لا ينتقم لنفسه، فلما مات بشر بن البراء رضي الله عنهما من تلك الأكلة، قتلها؛ وذلك أن بشرًا لم يزل معتلًّا من تلك الأكلة حتى مات منها بعد حَوْلٍ[(٣)].

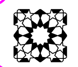
وقال الحافظ في «الفتح»: ويحتمل أن يكون تركها؛ لكونها أسلمت، وإنما أَخَّرَ قتلها حتى مات بشر رضي الله عنه؛ لأن بموته تحقق وجوب القِصاص بشرطه[(٤)].

---

(١) والبخاري أيضًا، وتقدم تخريج الحديث قبل قليل.
(٢) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١٤/ ١٥٠).
(٣) انظر: الروض الأُنُف (٤/ ٨٣)، وذهب البيهقي في دلائل النبوة (٤/ ٢٦٢) إلى مثل ما ذهب إليه السُّهيلي.
(٤) انظر: فتح الباري (٨/ ٢٨٢).



فوائد حادثة الشاة المسمومة



قال الحافظ في «الفتح»: وفي الحديث:

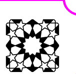
١ ـ إخباره ﷺ عن الغيب.

٢ ـ وتكليم الجماد له.

٣ ـ وفيه معاندة اليهود لاعترافهم بصدقه ﷺ فيما وقع منهم من دسيسة السم، ومع ذلك فعاندوا واستمروا على تكذيبه.

٤ ـ وفيه قَتْل مَن قَتَلَ بالسُّم قِصاصًا.

٥ ـ وفيه أن الأشياء كالسموم وغيرها لا تُؤثِّر بذواتها؛ بل بإذن الله تعالى[١].



مصالحة يهود فَدَك

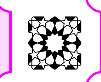
قال ابن إسحاق: فلما فرغ رسول الله ﷺ من خيبر قذف الله الرعب في قلوب أهل فَدَك، حين بلغهم ما أوقع الله تعالى بأهل خيبر، فبعثوا إلى رسول الله ﷺ يُصالحونه على النصف من فَدَك، فقدمت عليه رسلهم بخيبر، أو بالطائف، أو بعد ما قَدِمَ المدينة، فقَبِل ذلك منهم، فكانت فَدَك لرسول الله ﷺ خالصةً؛ لأنه لم يُوجِفْ عليها بخيل ولا رِكَاب[٢].

وروى أبو داود في «سننه» بسند حسن عن مالك بن أوس بن الحَدَثان، قال: كان فيما احتج به[٣] عمر رضي الله عنه أنه، قال: كانت لرسول الله ﷺ ثلاثُ

(١) انظر: فتح الباري (١١/ ٤١٤).
(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٣/ ٣٨٤).
(٣) احتج به على العباس وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما عندما اختصما في إدارة ما ترك رسول الله ﷺ، والقصة في ذلك مطوَّلة، أخرجها: البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٠٩٤)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٧٥٧) (٤٩).
=

صفايا: بنو النضير، وخيبر، وفَدَك، فأما بنو النضير فكانت حُبُسًا لنوائبه، وأما فَـدَك فكانـت حُبُسًا لأبناء السبيل، وأما خيبر فَجَزَّأها رسول الله ﷺ ثلاثة أجزاء: جزأين بين المسلمين، وجُزءًا نفقة لأهله، فما فَضَلَ عن نفقة أهله جعله بين فقراء المهاجرين[١].

وروى أبو داود في «سننه» بسند حسن عن المغيرة، قال: جمع عمر بن عبد العزيز بني مروان حين استُخلف، فقال: إن رسول الله ﷺ كانت له فَدَك، فكان يُنفق منها، ويعود منها على صغير بني هاشم، ويُزوج منها أَيِّمَهم[٢].



حصار وادي القرى، وقصَّة مِدْعَم[٣]

انصرف رسول الله ﷺ من خيبر إلى وادي القرى، وكان بها جماعة من اليهود، فلما نزلوا استقبلهم يهود بالرمي وهم على غير تعبئة، حتى فتحها المسلمون عَنوة، وكان مع رسول الله غلام يُقال له: مِدْعَم، غَلَّ[٤] شَملةً[٥] من المغانم، وقُتِلَ؛ فقد روى الشيخان في «صحيحيهما» والحاكم في «المستدرك» ـ واللفظ للحاكم ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: انصرفنا مع رسول الله ﷺ عن

= قال أبو داود في سننه (٤/ ٥٨٤): إنما سألاه أن يكون يُصَيِّرُهُ نصفين بينهما، لا أنهما جَهِلا أن النبي ﷺ، قال: «**لا نُورَثُ، ما تركْنا صدقةٌ**»؛ فإنهما كانا لا يَطلبان إلا الصواب، فقال عمر رضي الله عنه: لا أُوقع عليه اسم القَسْم، أدعُه على ما هو.

(١) أخرجه أبو داود في سننه، رقم الحديث (٢٩٦٧).

(٢) **الأَيِّم**: التي لا زوج لها، بكرًا كانت أو ثيِّبًا، مطلقة كانت أو متوفًّى عنها. انظر: النهاية (١/ ٨٦).

والخبر أخرجه أبو داود في سننه، رقم الحديث (٢٩٧٢).

(٣) قال الحافظ في الفتح (٨/ ٢٧١): **مِدْعَم**: بكسر الميم، وسكون المهملة، وفتح العين المهملة.

(٤) **الغُلُول**: هو الخيانة في المغنم، والسرقة من الغنيمة قبل القسمة. انظر: النهاية (٣/ ٣٤١).

(٥) **الشَّملة**: كساء يُتغطى به ويُتلفَّف فيه. انظر: النهاية (٢/ ٤٤٨).

خيبر إلى وادي القرى[١]، ومعه غلام[٢] له أهداه له رفاعة بن زيد الجُذَامي، فبينما هو يَضَعُ رَحْلَ رسول الله ﷺ مع مُغَيرِب الشمس أتاه سهم غَرْب فقتله ـ وهو السهم الذي لا يُدرى مَن رمى به ـ فقلنا له: هنيئًا له الجنة[٣]! فقال رسول الله ﷺ: «**كلَّا، والذي نفس محمد بيده، إن شَمْلَتَه الآن لتحتَرِقُ[٤] عليه في النار، غَلَّها من فيء المسلمين يوم خيبر**»[٥]، فجاء رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فَزِعًا حين سمع رسول الله ﷺ يقول ذلك، فقال: يا رسول الله، أصبتُ شِراكين[٦] لنعلينِ لي، فقال رسولُ الله ﷺ: «**يُقَدُّ لك مثلُهما في النار**»[٧].

---

(١) في رواية الإمام البخاري، رقم الحديث (٤٢٣٤): افتتحنا خيبر... ثم انصرفنا مع رسول الله ﷺ إلى وادي القرى.
وفي رواية الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١١٥): خرجنا مع النبي ﷺ إلى خيبر... ثم انطلقنا إلى الوادي.
قال الحافظ في الفتح (٨/ ٢٧٠): حكى الدارقطني عن موسى بن هارون أنه قال: وَهِمَ ثور في هذا الحديث؛ لأن أبا هريرة لم يخرج مع النبي ﷺ إلى خيبر، وإنما قَدِم بعد خروجهم، وقدم عليهم بعد أن فُتحت.
قال الحافظ: وكأن محمد بن إسحاق صاحب المغازي استشعر بوهم ثور بن زيد في هذه اللفظة فروى الحديث عنه بدونها، وأخرجه ابن حبان والحاكم وابن منده من طريقه بلفظ: انصرفنا مع رسول الله ﷺ إلى وادي القرى، ورواية أبي إسحاق الفزاري التي في هذا الباب تَسْلَم من هذا الاعتراض بأن يُحمَل قوله: افتتحنا؛ أي: المسلمون، وقد تقدم نظير ذلك، وروى البيهقي في الدلائل من وجه آخر عن أبي هريرة، قال: خرجنا مع النبي ﷺ من خيبر إلى وادي القرى؛ فلعل هذا أصل الحديث.

(٢) وقع في صحيح البخاري تسميته: مِدْعَمًا. (٣) في رواية الصحيحين: الشهادة.

(٤) في رواية الإمام البخاري: «لتشتعل».
وفي رواية الإمام مسلم: «لتلتهب».

(٥) زاد الإمام مسلم في صحيحه: ففزع الناس.

(٦) قال الحافظ في الفتح (٨/ ٢٧٢): **الشِّرَاكُ**، بكسر المعجمة، وتخفيف الراء: سَيرُ النعل على ظهر القَدَم.

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٢٣٤)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١١٥)، والحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٤٣٩٥).

قال الإمام القرطبي: قوله عليه الصلاة والسلام: «**والذي نفسي بيده**»، وامتناعه من الصلاة على مَنْ غَلَّ دليل على تعظيم الغُلول وتعظيم الذَّنب فيه، وأنه من الكبائر، وهو من حقوق الآدميِّين، ولا بُدَّ فيه من القِصاص بالحسنات والسيئات، ثم صاحِبُه في المشيئة[١].

عودة النبي ﷺ منصورًا إلى المدينة

ثم عاد رسول الله ﷺ إلى المدينة النبوية منصورًا على يهود خيبر، وقد مَكَّنَهُ الله ﷻ منها، وفي طريق عودتهم حدَثَت عدة أحداث؛ منها:

بيان فضل لا حول ولا قوة إلا بالله

روى الشيخان في «صحيحيهما» ـ واللفظ للبخاري ـ عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: لما غزا رسول الله ﷺ خيبر ـ أو قال: لما توجه رسول الله ﷺ ـ أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير: الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: «**ارْبَعُوا**[٢] **على أنفسكم؛ إنَّكم لا تَدْعُون أَصَمَّ ولا غائبًا، إنكم تَدْعُون سميعًا قريبًا**[٣]**، وهو معكم**»، وأنا خلف دابة رسول الله ﷺ، فسمعني وأنا أقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فقال لي: «**يا عبد الله بن قيس**»[٤]، قلتُ: لبَّيك رسول الله، قال: «**ألا أدلك على كلمة من كنز من كنوز الجنة؟**» قلت: بلى يا رسول الله فِداك أبي وأمي! قال: «**لا حول ولا قوة**

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (٥/ ٣٩٢).

(٢) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٧/ ٢٢): **ارْبَعوا**، بهمزة وصل، وبفتح الباء الموحَّدة، معناه: ارفُقوا بأنفسكم واخفِضوا أصواتكم.

(٣) في رواية أخرى في صحيح البخاري، رقم الحديث (٦٣٨٤): «سميعًا بصيرًا».

(٤) هو: اسم أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

إلا بالله»[١].

قال الحافظ في «الفتح»: هذا السياق يُوهم أن ذلك وقع وهم ذاهبون إلى خيبر، وليس كذلك؛ بل إنما وقع ذلك حال رجوعهم؛ لأن أبا موسى إنما قَدِم بعد فتح خيبر مع جعفر ﷺ، وعلى هذا ففي السياق حذف تقديره: لما توجه النبي ﷺ إلى خيبر فحاصرها ففتحها، ففرغ فرجع؛ أشرف الناس... إلخ[٢].

فضل جبل أُحُد والمدينة النبوية

روى الشيخان في «صحيحيهما» ـ واللفظ للبخاري ـ عن أنس بن مالك ﷺ، قال: خرجت مع رسول الله ﷺ إلى خيبر أخدمه، فلما قدم النبي ﷺ راجعًا وبدا[٣] له أُحُدٌ، قال: «**هذا جبلٌ يُحبنا ونُحبه**، ثم أشار بيده إلى المدينة، وقال: **اللَّهُمَّ إني أُحَرِّم ما بين لابَتَيها**[٤] **كتحريم إبراهيم مكة، اللَّهُمَّ بارك لنا في صاعنا ومُدِّنا**»[٥].

قال الإمام النووي: قوله ﷺ: «**هذا جبل يُحبنا ونحبه**»، الصحيح المختار أن معناه: أن أُحُدًا يُحبنا حقيقة، جعل الله تعالى فيه تمييزًا يحب به، كما قال ﷻ: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤]،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٢٠٢) (٦٣٨٤)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٧٠٤) (٤٤).

(٢) انظر: فتح الباري (٨/ ٢٤٧).

(٣) **بدا**: ظهر. انظر: النهاية (١/ ١٠٩).

(٤) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٩/ ١١٥): **اللَّابتان**: الحَرَّتان، واحدتهما لابَة، وهي الأرض الملبَسة حجارة سوداء، وللمدينة لابتان؛ شرقية وغربية، وهي بينهما.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٢٨٨٩)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٣٦٥).

وكما حَنَّ الجِذع اليابس[(١)]، وكما سَبَّحَ الحصى[(٢)]، وكما فَرَّ الحَجَرُ بثوب موسى عليه السلام[(٣)]، وكما قال نبيِّنا ﷺ: «**إني لأعرف حجرًا بمكة كان يُسلِّم علي**»[(٤)]، وكما دعا الشجرتين المفترقتين فاجتمعتا[(٥)]، وكما رجَف حِرَاء، فقال: «**اسكُنْ حِراءُ؛ فليس عليك إلا نبي أو صِدِّيق**»[(٦)]، وكما كَلَّمَهُ ذراع الشاة[(٧)]، وكما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]، والصحيح في معنى هذه الآية: أن كل شَيء يُسبِّح حقيقة بحسب حاله، ولكن لا نفقهه، وهذا وما أشبهه شواهد لما اخترناه واختاره المحققون في معنى الحديث، وأن أُحُدًا يُحبنا حقيقة[(٨)].

---

(١) حنين الجذع من الأحاديث المشهورة جدًّا، وقد أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٥٨٣)، وأورد طرقه الإمام البيهقي في دلائل النبوة (٢/٥٦٣)، وختمها بقوله: هذه الأحاديث التي ذكرناها في أمر الحنانة كلها صحيحة، وأمر الحنانة من الأمور الظاهرة والأعلام النيرة التي أخذها الخلف عن السلف، ورواية الأحاديث فيه كالتكليف، والحمد لله على الإسلام والسنة، وبه العياذ والعصمة.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط، رقم الحديث (١٢٤٤) وإسناده ضعيف.
قال الحافظ في الفتح (٧/٢٩٣): وأما تسبيح الحصى فليست له إلا هذه الطريق الواحدة مع ضعفها.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٢٧٨) (٣٤٠٤)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٣٣٩).

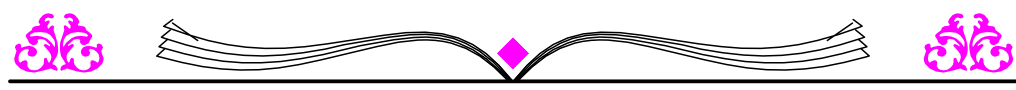
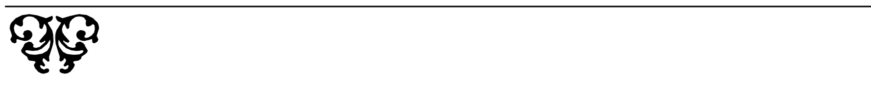
(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٢٧٧).

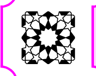
(٥) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (٣٠١٢).

(٦) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٤١٧).

(٧) إخبار ذراع الشاة بأنه مسموم، أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٣٧٣٣)، وأبو داود في سننه، رقم الحديث (٣٧٨١) (٤٥١٠) وإسناده ضعيف،
وأخرجه الحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٧٢٦٧) وفيه نكارة، وقصة الشاة المسمومة تقدم ذكرُها، وأنها ثابتة.

(٨) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (٩/١١٩).



غزوة ذات الرِّقاع[(١)] (أو غزوة نَجْد)[(٢)]

. . . .

---

(١) اختُلِفَ في سبب تسميتها بذلك على النحو التالي:

* قال ابن هشام في السيرة (٣/ ٢٢٦): وإنما قيل لها غزوة ذات الرِّقاع؛ لأنهم رقعوا فيها راياتهم، ويُقال: ذات الرقاع: شجرة بذلك الموضع، يُقال لها: ذات الرقاع.

* وقال الواقدي في مغازيه (١/ ٣٩٥) وتبعه تلميذه ابن سعد في طبقاته (٢/ ٢٨٠): سُميت ذات الرقاع؛ لأنه جبل فيه بُقع حُمر وسواد وبياض.

* وروى الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤١٢٨)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٨١٦) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: خرجنا مع النبي ﷺ في غزوة ونحن في ستة نفر، بيننا بعير نَعْتَقبه، فنَقِبَت أقدامُنا ونَقِبَت قدماي، وسقَطَت أظفاري، فكنا نَلُفُّ على أرجلنا الخِرَق؛ فسُميت غزوة ذات الرقاع.

* قال الإمام السُّهيلي في الروض الأُنُف (٣/ ٤٠١): وأصح هذه الأقوال كلها ما رواه البخاري، ثم ساق حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

* وقال الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات (٣/ ٢٠٢): الصواب ما قاله أبو موسى رضي الله عنه؛ لأنه صحابي شاهَدَ الأمر، وفَسَّرَهُ تفسيرًا موافقًا للواقع واللغة، ولم يُخالفه صريح غيره، فلا يُعدَل عنه.

(٢) وقع تسميتها بذلك في رواية الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٨٢٦٠) -.

وعند أبي داود في سننه، رقم الحديث (١٢٤٠) بإسناد صحيح عن مروان بن الحكم أنه سأل أبا هريرة رضي الله عنه: هل صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الخوف؟ قال أبو هريرة رضي الله عنه: نعم، فقال مروان: متى؟ قال أبو هريرة رضي الله عنه: عامَ غزوة نجد، ثم ساق الحديث، وكيف صلى رسول الله ﷺ بهم صلاة الخوف.

وفي لفظ آخر في سنن أبي داود، رقم الحديث (١٢٤١) بسند صحيح، قال أبو هريرة رضي الله عنه: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى نجد، حتى إذا كنا بذات الرِّقاع من نَخل، لقي جمعًا من غَطَفان.

* وتُسمى غزوة مُحارب خَصَفَة.

قال الإمام البخاري في صحيحه: باب غزوة ذات الرقاع، وهي غزوة مُحارِب خَصَفَةَ من بني ثعلبة من غَطَفان.

=

* اختُلِف في تاريخ هذه الغزوة على النحو التالي:

١ ـ ذهب عامة أهل المغازي إلى أنها وقعت قبل غزوة الخندق في السنة الرابعة للهجرة، وتلقاها الناس عنهم.

قال الحافظ ابن كثير: ذات الرِّقاع كانت قبل الخندق في قول جمهور علماء السير والمغازي، وممن نَصَّ على ذلك محمد بن إسحاق[(١)]، وموسى بن عقبة[(٢)]، والواقدي[(٣)]، ومحمد بن سعد[(٤)] كاتبه، وخليفة بن خياط[(٥)]، وغيرهم[(٦)].

٢ ـ وذهب الإمام البخاري في «صحيحه»[(٧)]، والحافظ ابن كثير[(٨)]،

= قال الحافظ في الفتح (٨/ ١٨١): جمهور أهل المغازي على أن غزوة ذات الرِّقاع هي غزوة مُحارِب، كما جزم ابن إسحاق (٣/ ٢٢٥)، وعند الواقدي أنهما ثنتان، وتبعه القطب الحلبي في شرح السيرة. والله أعلم بالصواب.

قلت: وتردد موسى بن عقبة في تاريخها، فقال، كما في زاد المعاد (٣/ ٢٩٦): ولا يُدرى متى كانت هذه الغزوة؛ قبل بدر أو بعدها، أو فيما بين بدر وأُحُد، أو بعد أُحُد.

وتعقبه الإمام ابن القيم في زاد المعاد (٣/ ٢٩٦) بقوله: ولقد أبعد جدًّا؛ إذ جَوَّز أن تكون قبل بدر، وهذا ظاهر الإحالة، ولا قبل أُحُد، ولا قبل الخندق.

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٣/ ٢٢٥).

(٢) قال الحافظ في الفتح (٨/ ١٨٠): وأما موسى بن عقبة فجزم بتقديم وقوع غزوة ذات الرقاع، لكن تردد في وقتها، فقال: لا ندري كانت قبل بدر أو بعدها، أو قبل أُحُد أو بعدها، وهذا التردد لا حاصل له.

(٣) انظر: مغازي الواقدي (١/ ٣٩٦).

(٤) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٢٨٠).

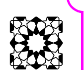
(٥) لم أقف على ذلك في المصنفات التي اطَّلعتُ عليها لخليفة بن خياط، بعد البحث الشديد ـ.

(٦) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٣٩٩).

(٧) انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة ذات الرقاع.

(٨) انظر: الفصول في سيرة الرسول، ص (١٤٧)، والبداية والنهاية (٤/ ٤٦٤).

والإمام ابن القيم(١)، الحافظ ابن حجر(٢)؛ إلى أنها وقعت بعد غزوة خيبر، وهو الصحيح.



سبب هذه الغزوة

بلغ رسولَ الله ﷺ أن بني محارب وبني ثعلبة من غَطَفان جمعوا له

(١) انظر: زاد المعاد (٣/ ٢٩٤).

* قال الحافظ في الفتح (٨/ ١٨٠): الذي ينبغي الجزم به أنها بعد غزوة بني قريظة:

١ ـ لأنه تقدم أن صلاة الخوف في غزوة الخندق لم تكن شُرِعَت، وقد ثبت وقوع صلاة الخوف في غزوة ذات الرقاع؛ فدل على تأخرها بعد الخندق.

٢ ـ ثبت أن أبا موسى شهد غزوة ذات الرقاع، فلزم منه كونها بعد غزوة خيبر.

٣ ـ ذكر عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه صلى مع النبي ﷺ صلاة الخوف بنجد، وقد تقدم أن أول مشاهده الخندق؛ فتكون ذات الرقاع بعد الخندق.

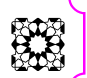
٤ ـ روى الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤١٢٥) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: إن النبي ﷺ صلى بأصحابه في الخوف في غزوة السابعة غزوة ذات الرقاع.

قال الحافظ في الفتح (٨/ ١٨٢): التنصيص على أنها سابع غزوة من غزوات النبي ﷺ تأييد لما ذهب إليه البخاري من أنها بعد خيبر؛ فإنه إن كان المراد الغزوات التي خرج النبي ﷺ فيها بنفسه مطلقًا، وإن لم يُقاتل، فإن السابعة منها تقع قبل أُحُد، ولم يذهب أحد إلى أن ذات الرِّقاع قبل أُحُد إلا ما تقدم من تردد موسى بن عقبة، وفيه نظر؛ لأنهم متفقون على أن صلاة الخوف متأخرة عن غزوة الخندق، فتعين أن تكون ذات الرقاع بعد بني قريظة، فتعين أن المراد الغزوات التي وقع فيها قتال، **والأُولى** منها: بدر، **والثانية**: أُحُد، **والثالثة**: الخندق، **والرابعة**: قريظة، **والخامسة**: المُرَيسيع، **والسادسة**: خيبر، فيلزم من هذا أن تكون ذات الرقاع بعد خيبر؛ للتنصيص على أنها **السابعة**.

* **قلت**: وثبت شهود أبي هريرة رضي الله عنه غزوة ذات الرقاع، وهو لم يَقدَم على النبي ﷺ إلا بعد فتح خيبر كما تقدم؛ فقد روى الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٨٢٦٠) بإسناد صحيح عن مروان بن الحاكم أنه سأل أبا هريرة رضي الله عنه: هل صليتَ مع رسول الله ﷺ صلاة الخوف؟ فقال أبو هريرة رضي الله عنه: نعم، فقال: متى؟ قال رضي الله عنه: عامَ غزوة نجد.

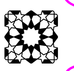
(٢) انظر: فتح الباري (٨/ ١٨١).

جموعًا عظيمة؛ لقتاله[١].

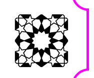
 خروج النبي ﷺ لهم

خرج رسول الله ﷺ إليهم في أربعمائة رجل، وقيل: سبعمائة، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقيل: استخلف أبا ذر الغفاري رضي الله عنه، حتى أتى محالَّهم، فلقي جمعًا عظيمًا من غَطَفان، ولم يكن بينهم قتال، وصلى رسول الله ﷺ بأصحابه صلاة الخوف[٢].

وفي رواية ابن سعد في «طبقاته»: فلم يجد في محالِّهم أحدًا إلا نسوة، فأخذهن وفيهن جارية وضيئة، وهربت الأعراب إلى رؤوس الجبال[٣].

 رجوع النبي ﷺ إلى المدينة وأحداث جرت في الطريق

ثم رجع رسول الله ﷺ بجيشه إلى المدينة النبوية، ولم يلْقَ كيدًا، وفي طريق عودتهم إلى المدينة جرت أحداثٌ؛ منها:

 قصة غورث بن الحارث وصلاة الخوف

روى الشيخان في «صحيحيهما» عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: إنه غزا مع رسول الله ﷺ قِبَلَ نجدٍ[٤]، فلما قفل[٥] رسول الله ﷺ قفل معه،

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٣/ ٢٢٥)، الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٢٨٠).
(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٣/ ٢٢٦).
(٣) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (٢/ ٢٨٠).
(٤) في رواية أخرى في الصحيحين، قال جابر رضي الله عنه: كنا مع النبي ﷺ بذات الرقاع.
(٥) **قفل**: رجع. انظر: النهاية (٤/ ٨٢).

فأدركَتْهم القائلةُ في وادٍ كثير العِضاهِ[١]، فنزل رسول الله ﷺ، وتفرق الناس يستظلُّون بالشجر، فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة وعَلَّق بها سيفَه، ونِمنا نومة، فإذا رسول الله ﷺ يدعونا، وإذا عنده أعرابي[٢]، فقال: «**إن هذا اخترط[٣] عليَّ سيفي وأنا نائم، فاستيقظتُ وهو في يده صَلتًا[٤]، فقال: مَن يمنعك مني؟ فقلت: الله**»، ثلاثًا، ولم يُعاقبْه[٥].

زاد الشيخان في «صحيحيهما» في رواية أخرى عن جابر رضي الله عنه: وأُقيمت[٦] الصلاة، فصلَّى بطائفةٍ ركعتين ثم تأخَّروا، وصَلَّى بالطائفة الأخرى ركعتين، وكان للنبي ﷺ أربع، وللقوم ركعتان[٧].

وروى الإمام أحمد في «مسنده» والحاكم في «مستدركه» بسند صحيح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: قاتل رسول الله ﷺ مُحارب خَصَفَةَ بنَخْلٍ[٨]،

---

(١) قال الحافظ في الفتح (٨/ ١٩٢): **العِضَاه**، بكسر المهملة، وتخفيف المعجمة: كل شجر يعظُم، له شَوكٌ.
وقال ابن الأثير في جامع الأصول (٥/ ٧٣٧): فمنه: الطَّلحُ، والسَّمُرُ.

(٢) قال الإمام البخاري في صحيحه: قال مُسَدَّد عن أبي عوانة عن أبي بشر: اسم الرجل غورث بن الحارث.

(٣) **اخترط السيف**: سَلَّهُ من غِمْده. انظر: النهاية (٢/ ٢٣).

(٤) **صَلْتًا**: أي: مُجَرَّدًا، يُقال: أَصْلَتَ السيفُ: إذا جَرَّده من غِمْدِه. انظر: النهاية (٣/ ٤٢).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٢٩١٠)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٨٤٣) (١٣).

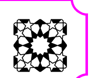
(٦) في رواية الإمام مسلم: فَنُودي.

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤١٣٦)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٨٤٣) (٣١١).

(٨) قال الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات (٣/ ٦٤): **بطن نخل**: الذي صلى به رسول الله ﷺ صلاة الخوف، ونَخْل، بفتح النون، وإسكان الخاء المعجمة، وهو مكان من نجد من أرض غَطَفان، هكذا قاله صاحب المطالع والجمهور.

فرأوا من المسلمين غِرَّة[١]، فجاء رجل منهم يُقال له: غَوْرث بن الحارث، حتى قام على رأس رسول الله ﷺ بالسيف، فقال: مَن يمنعك مني؟ فقال رسول الله ﷺ: «**الله**»، قال: فسقط السيف من يده، فأخذ رسول الله ﷺ السيف، فقال: «**مَن يمنعك؟**» قال: كُنْ خيرَ آخِذٍ[٢]، فقال رسول الله ﷺ: «**تشهد أن لا إلٰه إلا الله وأني رسول الله؟**» قال الأعرابي: أعاهدك أن لا أقاتلك، ولا أكون مع قوم يُقاتِلونك، قال: فخَلَّى رسول الله ﷺ سبيله، فجاء إلى قومه، فقال: جئتكم من عند خير الناس، فلما حضرت الصلاة[٣] صلى رسول الله ﷺ صلاة الخوف، وكان الناس طائفتين؛ طائفة بإزاء العدو، وطائفة تُصلي مع رسول الله ﷺ، فصلى بالطائفة الذين معه ركعتين، فانصرفوا فكانوا مع أولئك الذين بإزاء عدوهم، وجاء أولئك فصلى بهم رسول الله ﷺ ركعتين؛ فكانت للناس ركعتين ركعتين، وللنبي ﷺ أربع ركعات[٤].

قال الحافظ في «الفتح»: وفي الحديث: فرط شجاعة النبي ﷺ، وقوة يقينه، وصبره على الأذى، وحلمه عن الجُهال[٥].



عَبَّاد بن بشر رضي الله عنه وسورة الكهف

روى الإمام أحمد في «مسنده» وأبو داود في «سننه» بسند ضعيف ـ وله شواهد يتقوى بها ويرتقي إلى الحسن ـ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ذات الرِّقاع، فأُصيبت امرأة من

---

(١) **الغِرَّة**: الغفلة. انظر: النهاية (٣/ ٣١٩).

(٢) **خير آخذ**: أي: خير آسِر، والأخيذ: الأسير. انظر: النهاية (١/ ٣٢).

(٣) في رواية الإمام أحمد: فلما كان الظهر أو العصر.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٤٩٢٩)، والحاكم في مستدركه، رقم الحديث (٤٣٦٨).

(٥) انظر: فتح الباري (٨/ ١٩٣).

المشركين، فلما انصرف رسول الله ﷺ قافلًا، وجاء زوجها وكان غائبًا، فحلف أن لا ينتهي حتى يُهريق دمًا في أصحاب محمد ﷺ، فخرج يتبع أثر النبي ﷺ، فنزل النبي ﷺ منزلًا، فقال: «**مَن رجلٌ يكلؤنا**[١] **ليلتنا هذه؟**» فانتَدَب رجلٌ من المهاجرين[٢]، ورجل من الأنصار[٣]، فقالا: نحن يا رسول الله، قال: «**فكونوا**[٤] **بفَمِ الشِّعب**»[٥]، قال: وكانوا نزلوا إلى شِعب من الوادي.

فلما خرج الرجلان إلى فم الشِّعب، قال الأنصاري للمهاجريِّ: أيُّ الليل أحبُّ إليك أن أكفيكَه؛ أوله أو آخره؟ قال: اكفني أوله، فاضطجع المهاجري، فنام، وقام الأنصاري يُصلي، وأتى الرجل، فلما رأى شخص[٦] الرجل عرف أنه رَبيئة[٧] القوم، فرماه بسهم، فوضعه فيه، فنزعه فوضعه وثبت قائمًا، ثم رماه بسهم آخر، فوضعه فيه، فنزعه فوضعه وثبت قائمًا، ثم عاد له بثالث، فوضعه فيه، فنزعه فوضعه، ثم ركع وسجد، ثم أَهَبَّ[٨] صاحِبَه، فقال: اجلس، فقد أُتيت[٩]، فوثب، فلما رآهما الرجل عرف أن قد

---

(١) **الكِلاءة**: الحفظ والحراسة. انظر: النهاية (٤/ ١٦٩).

(٢) سماه البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٣٧٨)، وابن هشام في السيرة (٣/ ٢٣٠): عمار بن ياسر رضي الله عنهما.

(٣) سماه البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٣٧٨)، وابن هشام في السيرة (٣/ ٢٣٠): عَبَّاد بن بشر رضي الله عنه.

(٤) في رواية أبي داود في سُننه: «كُونا».

(٥) **الشِّعب**، بكسر الشين: ما انفرج بين جبلين. انظر: لسان العرب (٧/ ١٢٨).

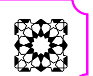
(٦) **الشَّخْص**: كل جسم له ارتفاع وظهور. انظر: النهاية (٢/ ٤٠٤).

(٧) **الرَّبيئة**: هو العين والطليعة الذي ينظر للقوم؛ لئلا يدهمهم عدو، ولا يكون إلا على جبل أو شَرَفٍ ينظر منه. انظر: النهاية (٢/ ١٦٥).

(٨) **أَهَبَّه**: نَبَّهَه. انظر: لسان العرب (١/ ٢٥٢).

(٩) يُقال: **أُتِيَ فلان**: إذا أطَلَّ عليه العدو، وأشرف عليه. انظر: لسان العرب (١/ ٦٧).

نَذِروا[١] به، فهرب، فلما رأى المهاجري ما بالأنصاري من الدماء، قال: سبحان الله! ألا أَهْبَبْتَني[٢]، قال: كنت في سورة أقرؤها[٣]، فلم أُحِبَّ أن أقطعها حتى أُنفِذَها، فلما تابع الرمي ركعتُ فأَرَيتُك، وأيمُ الله لولا أن أُضَيِّعَ ثَغرًا أمرني النبي ﷺ بحفظه، لقطع نفسي قبل أن أقطَعَها أو أُنفِذَها[٤].



قصة بيع جمل جابر رضي الله عنه

تظهر في هذه القصة رحمة وتواضع ولطف النبي ﷺ مع أصحابه الكرام رضي الله عنهم، وقد روى هذه القصة الشيخان في «صحيحيهما» والإمام أحمد في «مسنده» وغيرهم، وساقها الإمام أحمد في «مسنده» مَساقًا مُطوَّلًا ومُفصَّلًا؛ فقد روى الإمام أحمد في «مسنده» بسند حسن عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: خرجتُ مع رسول الله ﷺ في غزوة ذات الرِّقاع[٥]

(١) **نَذِروا به:** علموا به. انظر: لسان العرب (١٤/ ١٠٠).

(٢) في رواية أبي داود: أنبَهْتَني.

(٣) زاد البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٣٧٩): هي الكهف.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٤٧٠٤)، وأبو داود في سننه، رقم الحديث (١٩٨)، والحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٥٦٤)، وعلقه البخاري في صحيحه مختصرًا بصيغة التمريض، في كتاب الوضوء، قبل حديث رقم (١٧٦)، وحسَّنه الألباني في تحقيقه لسنن أبي داود، وحسَّنه الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيقه للمسند ولسنن أبي داود.

(٥) **قلت:** لم يقع في جميع روايات الصحيحين التصريحُ باسم الغزوة التي وقعت فيها هذه الحادثة، ووقع في مسند الإمام أحمد، رقم الحديث (١٤٩٠٣): غزوة تبوك، وإسناده ضعيف، وعلَّقه الإمام البخاري في صحيحه، عقب حديث رقم (٢٧١٨)؛ بلفظ: بطريق تَبُوك.

❋ قال الحافظ في الفتح (٥/ ٦٦٥): جزم ابن إسحاق عن وهب بن كيسان بأن ذلك كان في غزوة ذات الرِّقاع من نَخْل، وكذا أخرجه الواقدي من طريق عطية بن عبد الله بن أُنيس =

مُرتحِلًا على جملٍ لي ضعيف[(١)]، فلما قَفَل رسول الله ﷺ، جعَلَتِ الرِّفَاقُ تمضي، وجعلتُ أتخلَّف حتى أدركني رسول الله ﷺ، فقال: «**ما لك يا جابر؟!**» قال: قلتُ: يا رسول الله، أبطأَ بي جملي هذا، قال: «**فَأَنِخْهُ**»[(٢)]، وأناخ رسول الله ﷺ، ثم قال: «**أعطِني هذه العصا من يديك**»، أو قال: «**اقطع لي عَصًا من شجرة**»، قال: ففعلتُ، فأخذ رسول الله ﷺ فنخسه[(٣)] بها نَخَساتٍ، ثم قال: «**اركَبْ**»، فركبت، فخرج ـ والذي بعثه بالحق ـ يُواهِقُ ناقته مُواهَقة[(٤)]! قال: وتَحدَّث معي رسول الله ﷺ، فقال: «**أتبيعُني جملك هذا يا جابر؟**» قلت: يا رسول الله؛ بل أهبُه لك، قال رسول الله ﷺ: «**لا، ولكن بِعْنِيه**»، قال: قلت: فسُمْني[(٥)] به، قال رسول الله ﷺ: «**قد أخذته**

= عن جابر رضي الله عنه، وهي الراجحة في نظري؛ لأن أهل المغازي أضبط لذلك من غيرهم، وأيضًا فقد وقع في رواية الطحاوي، في شرح مشكل الآثار، رقم الحديث (٤٤١٥)، وهي رواية الإمام مسلم، رقم الحديث (٧١٥) (١١١): أن ذلك وقع في رجوعهم من طريق مكة إلى المدينة، وليست طريق تبوك ملاقية لطريق مكة، بخلاف طريق غزوة ذات الرقاع، وأيضًا فإن في كثير من طرقه أنه ﷺ سأله في تلك القصة: «**هل تزوجتَ؟** قال: نعم، قال ﷺ: **أتزوجتَ بكرًا أم ثيبًا؟**» الحديث، وفيه اعتذاره بتزوجه الثيب بأن أباه استُشهد بأُحُد، وترك أخواته، فتزوج ثيبًا لتُمَشِّطَهنَّ وتقوم عليهن، فأشعَرَ بأن ذلك كان بالقرب من وفاة أبيه، فيكون وقوع القصة في ذات الرقاع أظهر من وقوعها في تبوك.

(١) في رواية أخرى في صحيح البخاري، رقم الحديث (٢٣٠٩): فكنتُ على جمل ثَفَالٍ.
الثَفَال، بفتح الثاء والفاء: هو البطيء الثقيل. انظر: النهاية (١/ ٢١٠).

(٢) **أناخ الإبل**: أبركَها فبَركَت. انظر: لسان العرب (١٤/ ٣٢١).

(٣) **نَخَسَ**: دفعه وحرَّكه. انظر: النهاية (٥/ ٢٧).
وفي رواية أخرى في صحيح البخاري، رقم الحديث (٢٣٠٩): فضربه.

(٤) **يُواهِقُ ناقَتَه**: أي: يُباريها في السير ويُماشيها، ومواهقة الإبل: مدُّ أعناقها في السير. انظر: النهاية (٥/ ٢٠٢).

(٥) **المساومة**: المجاذبة بين البائع والمشتري على السلعة، وفَصْل ثمنها. انظر: النهاية (٢/ ٣٨٢).

بدرهم»، قلت: لا، إذًا يَغْبِنُني[(١)] رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ: «**فبدرهمين**»، قلتُ: لا، قال: فلم يزل يرفع لي رسول الله ﷺ حتى بلغ الأُوقيَّة[(٢)]، قلت: قد رضيتُ، قال رسول الله ﷺ: «**قد رَضِيتَ؟**» قلت: نعم، قال رسول الله ﷺ: «**نعم**»، قلتُ: هو لك، قال رسول الله ﷺ: «**قد أخذتُه**»[(٣)].

---

(١) قال ابن قُرقُول في مطالع الأنوار (٥/ ١٢٥): أصل **الغبن**: النقص.

(٢) في رواية أخرى في صحيح البخاري، رقم الحديث (٢٧١٨)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٧١٥) (١٠٩): وُقية.

قال الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات (٣/ ٦٩١): الأُوقِيَّة: بضم الهمزة على المشهور، وفيها لغة قليلة الاستعمال؛ وُقِيَّة بحذف الألف، وقد ثبتت هذه اللغة القليلة في صحيح البخاري من كلام رسول الله ﷺ من روايات ذكرها من حديث جابر رضي الله عنه في بيعه الجمل، وذكرها مسلم فيه.

وقال ابن الأثير في النهاية (١/ ٨٠): **الأُوقِيَّة**: بضم الهمزة وتشديد الياء، وكانت الأُوقية قديمًا عبارة عن أربعين درهمًا.

* **قلت**: اختُلِف في تحديد ثمن الجمل.

قال الإمام القرطبي فيما نقله عنه الحافظ في الفتح (٥/ ٦٦٥): اختلفوا في ثمن الجمل اختلافًا لا يقبل التلفيق، وتَكَلُّفُ ذلك بعيدٌ عن التحقيق، وهو مبني على أمر لم يستقم ضبطه، مع أنه لا يتعلق بتحقيق ذلك حُكم، وإنما تَحَصَّلَ من مجموع الروايات أنه باعه البعير بثمن معلوم بينهما، وزاده عند الوفاء زيادة معلومة، ولا يَضُرُّ عدم العلم بتحقيق ذلك.

(٣) زاد الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٢٩٦٧)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٧١٥) (١١٠): قال جابر رضي الله عنه لرسول الله ﷺ: على أن لي فَقَار ظهرِه حتى أبلُغَ المدينة، قال: فقلت له: يا رسول الله إني عروس فاستأذنته، فأذن لي.

يُقال: **أفقر البعير** يُفقِره: إذا أعاره. انظر: النهاية (٣/ ٤١٤).

يُقال للرجل عروس، كما يُقال للمرأة، وهو اسم لهما عند دخول أحدهما بالآخر. انظر: النهاية (٣/ ١٨٧).

وفي لفظ آخر في صحيح البخاري، رقم الحديث (٢٧١٨) قال جابر رضي الله عنه: فاستثنيتُ حُمْلانَه إلى أهلي.

قال جابر رضي الله عنه: ثم قال لي: «**يا جابر، هل تزوجت بَعدُ؟**»

قال: قلتُ: نعم يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ: «**أثيبًا أم بكرًا؟**» قلت: بل ثيبًا، قال رسول الله ﷺ: «**أفلا جاريةً تُلاعِبُها وتُلاعِبُك؟**»[(١)] قلت: يا رسول الله، إن أبي أُصيب يوم أُحُد، وترك بنات له سبعًا، فنكحتُ امرأة جامعة تجمع رُؤوسهن، وتقوم عليهن، قال رسول الله ﷺ: «**أصبتَ إن شاء الله**»، قال: «**أمَا إنا لو قد جِئنا صِرارًا**[(٢)]**، أمَرْنا بجَزورٍ**[(٣)] **فنُحِرَت، وأقمنا عليها يومنا ذلك، وسَمِعَتْ بنا، فنَفَضت نمارِقَها**»[(٤)]، قلت: والله يا رسول الله ما لنا من نمارق، قال رسول الله ﷺ: «**إنها ستكون، فإذا أنت قَدِمْتَ فاعمل عملًا كيِّسًا**»[(٥)].

قال جابر رضي الله عنه: فلما جئنا صِرارًا، أمر رسول الله ﷺ بجزور فنُحرت، فأقمنا عليها ذلك اليوم، فلما أمسى رسول الله ﷺ، دخل ودخلنا، قال: فأخبرتُ المرأةَ الحديثَ وما قال لي رسول الله ﷺ، قالت: فدونَك، فسمعًا وطاعة. قال: فلما أصبحتُ أخذتُ برأس الجمل، فأقبلتُ به حتى أنختُه على باب رسول الله ﷺ، ثم جلستُ في المسجد قريبًا منه، وخرج رسول الله ﷺ فرأى الجمل، فقال: «**ما هذا؟**» قالوا: يا رسول الله، هذا جمل جاء به جابر، قال رسول الله ﷺ: «**فأين جابر؟**» فدُعيتُ له، فقال رسول الله ﷺ:

---

(١) في رواية أخرى في صحيح البخاري، رقم الحديث (٦٣٨٧)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٧١٥) (٥٦): أو قال: «**تُضاحكها وتُضاحكك**».

(٢) **صِرار**، بكسر الصاد: موضع على ثلاثة أميال من المدينة. انظر: النهاية (٣/ ٢٢).

(٣) **الجَزور**: البعير ذكرًا كان أو أنثى. انظر: النهاية (١/ ٢٥٨).

(٤) **النمارق**: جمع نُمرُقة، بضم النون، هي الوسائد. انظر: النهاية (٥/ ١٠٤).

(٥) في رواية أخرى في صحيح البخاري، رقم الحديث (٢٠٩٧)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٧١٥) (٥٧): «**فإذا قَدِمْتَ فالكَيسَ الكَيسَ**».

قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٠/ ٤٧): قال ابن الأعرابي: **الكَيْس**: الجماع، والكيْس: العقل، والمراد حثُّه على ابتغاء الولد.

«**تعالَ أيِ ابنَ أخي، خُذ برأس جملك؛ فهو لك**»، فدعا بلالًا ﵁، فقال: «**اذهب بجابر، فأعطِه أُوقيَّة**»، فذهبتُ معه، فأعطاني أوقية، وزادني شيئًا يسيرًا، قال: فوالله ما زال يَنمي عندنا، ونرى مكانه من بيتنا، حتى أُصيبَ أمسِ فيما أُصيبَ الناسُ! يعني: يوم الحَرَّةِ[(١)].

وفي لفظ آخر في «المسند» بسند صحيح، قال جابر ﵁: فلما قدمتُ المدينة، جئتُ به[(٢)]، فقال رسول الله ﷺ: «**يا بلال، زِنْ له وُقيَّة، وزِدْه قيراطًا**»[(٣)]، قال: قلتُ: هذا قيراطٌ زادنيه رسول الله ﷺ لا يُفارقني أبدًا حتى أموتَ، فجعلتُه في كيس، فلم يزل عندي حتى جاء أهلُ الشام يوم الحَرة، فأخذوه فيما أخذوا[(٤)].

وروى ابن ماجه في «سننه» بسند صحيح عن جابر ﵁، قال: كنتُ مع النبي ﷺ في غزوة، فقال لي: «**أتبيع ناضِحَك هذا بدينار، وَاللهُ يغفِرُ لك؟**»... **فما زال يزيدني دينارًا دينارًا، ويقول مكان كل دينار**: «**والله يغفر لك**»، حتى بلغ عشرين دينارًا[(٥)].

وروى الإمام الترمذي وابن حبان والحاكم عن جابر بن عبد الله ﵄، قال: استغفَرَ لي رسول الله ﷺ ليلة البعير[(٦)] خمسًا وعشرين مرة[(٧)].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٥٠٢٦) (١٤٨٦٤)، وأخرجه الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٢٠٩٧) (٢٣٠٩) (٢٧١٨)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٧١٥) (١١٠) (١١١).

(٢) يعني: بالبعير.

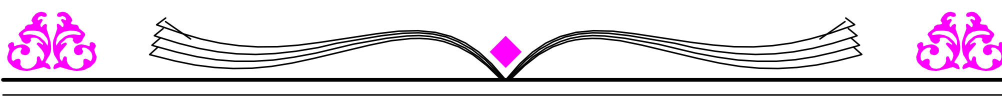
(٣) **القيراط**: جزء من أجزاء الدينار. انظر: النهاية (٤/ ٣٧).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٤٣٧٦).

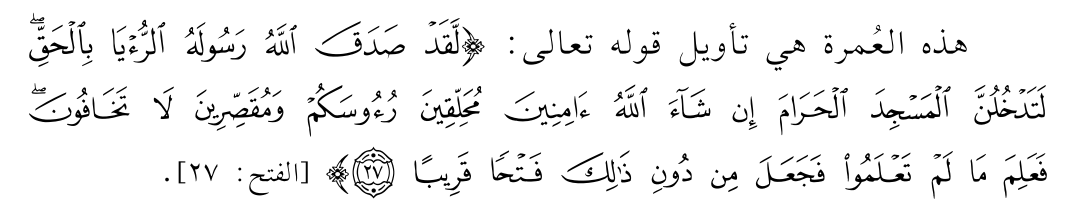
(٥) أخرجه ابن ماجه في سننه، رقم الحديث (٢٢٠٥)، وأخرجه مختصرًا الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (٧١٥) (١١٢).

(٦) في رواية الحاكم: ليلة العَقَبة، وهو وَهْم، والصواب: ليلة البعير.

(٧) أخرجه الترمذي في جامعه، رقم الحديث (٤١٨٨)، وابن حبان في صحيحه، رقم الحديث (٧١٤٢)، والحاكم في مستدركه، رقم الحديث (٦٥٤٥)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب.







عمرة القضاء أو القَضِية[(١)]

هذه العُمرة هي تأويل قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾ [الفتح: ٢٧].

وقعت عمرة القضاء أو القضية في ذي القعدة من السنة السابعة للهجرة؛ فقد روى الإمام البيهقي في «دلائل النبوة» بسند حسن عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: كانت عمرة القضية في ذي القعدة سنة سبع[(٢)].

وروى الشيخان في «صحيحيهما» عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: اعتمر رسول الله ﷺ أربع عُمَرٍ كُلُّهنَّ في ذي القعدة إلا التي كانت مع حجته:

---

(١) قال الإمام ابن القيم في زاد المعاد (٢/ ١١١): الثانية: عمرة القضية في العام المقبل، دخلها فأقام بها ثلاثًا، ثم خرج بعد إكمال عمرته، واختُلِف: هل كانت قضاءً للعمرة التي صُدَّ عنها في العام الماضي، أم عمرة مستأنفة؟

على قولين للعلماء، وهما روايتان عن الإمام أحمد:

أحدهما: أنها قضاء، وهو مذهب أبي حنيفة.

والثاني: ليست بقضاء، وهو قول مالك.

والذين قالوا: كانت قضاءً احتجوا بأنها سُميت عمرة القضاء، وهذا الاسم تابع للحكم، وقال الآخرون: القضاء هنا من المقاضاة؛ لأنه قاضى أهل مكة عليها، لا أنه من قضى يقضي قضاءً، قالوا: ولهذا سُميت عمرة القضية، قالوا: والذين صُدُّوا عن البيت كانوا ألفًا وأربعمائة، وهؤلاء كلهم لم يكونوا معه في عمرة القضية، ولو كانت قضاءً لم يتخلف منهم أحدٌ، وهذا القول أصح؛ لأن رسول الله ﷺ لم يأمر مَن كان معه بالقضاء.

(٢) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٤/ ٣١٣)، وعزاه الحافظ في الفتح (٨/ ٢٨٦) إلى يعقوب بن سفيان في تاريخه، وحسَّن إسناده.

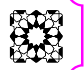
١ ـ عُمرة من الحُديبية في ذي القعدة(١).

٢ ـ وعمرة من العام المقبل(٢) في ذي القعدة.

٣ ـ وعُمرة من الجِعْرَانة(٣) حيث قسم غنائم حُنين في ذي القعدة.

٤ ـ وعمرة مع حجته(٤).

وقال الإمام ابن القيم: والمقصود أن عُمَرَه ﷺ كلها كانت في أشهر الحج مخالَفةً لهَدي المشركين؛ فإنهم كانوا يكرهون العُمرة في أشهر الحج، ويقولون: هي من أفجر الفجور(٥)، وهذا دليل على أن الاعتمار في أشهر الحج أفضل منه في رجب بلا شك(٦).



سبب هذه العُمرة

سبب هذه العمرة المباركة: الاتفاق الذي وقع بين رسول الله ﷺ وسُهَيل بن عمرو؛ رسولِ قريش، في صُلح الحُديبية، بأن يرجع رسول الله ﷺ

---

(١) زاد البخاري في رواية أخرى، رقم الحديث (١٧٧٨): حيث صده المشركون.

(٢) هي عُمرة القضاء أو القضية.

(٣) قال الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات (٣/ ١٠١): **الجِعْرَانة**: بكسر الجيم، وإسكان العين، وتخفيف الراء، هكذا صوابها عند إمامنا الشافعي، والأصمعي رضي الله عنهما، وأهل اللغة ومحققي المحدثين وغيرهم، ومنهم مَن يكسر العين، ويشدِّد الراء، وهو قول عبد الله بن وهب، وأكثر المحدِّثين.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤١٤٨)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٢٥٣).

(٥) ثبت ذلك في صحيح البخاري، رقم الحديث (١٥٦٤)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٢٤٠) (١٩٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كانوا يرون أن العُمرة في أشهر الحج من أفجر الفجور في الأرض!

قال الإمام السندي في شرحه للمسند (٢/ ٤٢٢): قوله: كانوا يرون؛ أي: أهل الجاهلية.

(٦) انظر: زاد المعاد (٢/ ١١٦).

هذا العام، ويعتمر العام القادم؛ فقد روى الإمام البخاري في «صحيحه» عن المِسْوَر بن مَخْرَمة، ومروان بن الحكم، قالا: قال رسول الله ﷺ: «**على أن تُخَلُّوا بيننا وبين البيت فنطوف به**»، فقال سهيل بن عمرو: والله لا تتحدث العرب أَنَّا أُخِذنا ضُغْطةً[1]، ولكن ذلك من العام المقبل[2].

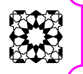
وروى الإمام البخاري في «صحيحه» عن البراء بن عازب رضي الله عنهما، قال: صالح النبي ﷺ المشركين يوم الحُديبية على ثلاثة أشياء:

١ ـ على أن مَن أتاه من المشركين رَدَّهُ إليهم.

٢ ـ ومَن أتاهم من المسلمين لم يردوه.

٣ ـ وعلى أن يدخلها[3] مِن قابلٍ، ويُقيمَ بها ثلاثة أيام[4].

قال الإمام النووي: وأما عُمْرة النبي ﷺ المسمَّاة: عُمرةَ القضاء، وعمرة القضية، فكانت في ذي القعدة سنة سبع من الهجرة، وكان النبي ﷺ أحرم بالعمرة في ذي القعدة سنة ست فصده المشركون، ثم صالحوه، وقاضى سُهيل بن عمرو على الهُدنة، ثم اعتمر في السنة السابعة[5].

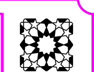


خروج النبي ﷺ لأداء العمرة

خرج النبي ﷺ ومعه المسلمون من المدينة النبوية متوجهين لمكة شرفها الله؛ لأداء العمرة، واستعمل على المدينة عُوَيف[6] بن الأضبط الديلي رضي الله عنه، وحمل

(١) قال الحافظ في الفتح (٥/ ٦٩٤): **ضُغْطة**، بضم الضاد، وسكون الغين، أي: قهرًا.
(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٢٧٣١) (٢٧٣٢).
(٣) يعني: يدخل مكة لأداء العمرة.
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٢٧٠٠).
(٥) انظر: تهذيب الأسماء واللغات (٣/ ٥١١).
(٦) قال الحافظ في الإصابة (٤/ ٦١٩): عُوَيف بمُوحَّدة مُصغَّرًا.

رسول الله ﷺ السلاح والدُّروع والرماح خوفًا من غدر قريش، فلما انتهى إلى ميقات ذي الحُلَيفة[١] قَدَّمَ الخيل أمامه عليها محمد بن مَسلَمة رضي الله عنه، وأحرم رسول الله ﷺ من باب المسجد ولَبَّى، والمسلمون معه يُلبُّون[٢].



إشاعة أطلقتها قريش

فلما بلغ رسولُ الله ﷺ وأصحابُه مَرَّ الظَّهران[٣]؛ بلغته إشاعةُ قريش، وهي إصابة المسلمين بالحُمَّى؛ فقد روى الإمام أحمد في «مسنده» وابن حبان في «صحيحه» بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: إن رسول الله ﷺ لما نزل مَرَّ الظهران في عُمرته؛ بلغ أصحابَ رسول الله ﷺ أن قريشًا تقول: ما يتباعثون[٤] من العَجَف[٥]، فقال أصحابه: لو انتحَرْنا من ظَهْرِنا[٦] فأكَلْنا من لَحمِه وحَسَونا من مَرَقِه، أصبحنا غدًا حين ندخل على القوم وبنا جَمَامةٌ[٧]! قال رسول الله ﷺ: «**لا تفعلوا، ولكن اجمعوا لي من أزوادكم**»، فجمعوا له، وبسطوا الأنطاع[٨]، فأكلوا حتى

---

(١) قال الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات (٣/ ٢٠٣): **ذو الحُلَيفة**: ميقات أهل المدينة، زادها الله شرفًا، بضم الحاء المهملة، وفتح اللام، وإسكان الياء، وهو على نحو ستة أميال من المدينة.

(٢) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٣١٠).

(٣) **مَرُّ الظَّهران**، بفتح الميم، وتشديد الراء: موضع بقرب مكة. انظر: النهاية (٤/ ٢٧١).

(٤) قال السندي في شرحه للمسند (٣/ ٨١): **ما يتباعثون**: أي: ما يقومون؛ أي: الصحابة.

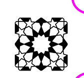
(٥) قال السندي في شرحه للمسند (٣/ ٨١): **العَجَف**، بفتحتين، أي: الضعف الحاصل بالجوع والمرض.

(٦) **الظَّهر**: الإبل التي يُحمَل عليها وتُركَب. انظر: النهاية (٣/ ١٥١).

(٧) **الجَمَامة**: أي: راحة وشِبَع ورِيٌّ. انظر: النهاية (١/ ٢٩٠).

(٨) زاد ابن حبان في صحيحه: فدعا لهم فيها بالبركة.
النِّطْع: الجِلد. انظر: لسان العرب (١٤/ ١٨٦).

تَوَلَّوا[(١)]، وحثا كل واحد منهم في جِرابه[(٢)].



دخول النبي ﷺ مكة

وصل رسول الله ﷺ مكة، وقد خرج عامة أهل مكة إلى قُعَيقِعان[(٣)]، وبعضهم قريبًا من الحِجر، وبعضهم مكث في بيته خوفًا من العدوى بزعمهم، وعَلِمَ رسول الله ﷺ إشاعة قريش التي أطلقتها، فأمر أصحابه ﷺ بالرَّمَلِ[(٤)]، وأصحابُه ﷺ مُحدِقون[(٥)] به يُلبُّون معه، ويحفظونه من أذى قريش؛ فقد روى

---

(١) قال السندي في شرحه للمسند (٣/ ٨١): **حتى تولَّوا**: أي: انصرفوا عن الأكل بشِبَع.

(٢) **الجِراب**، بكسر الجيم: الوِعاء. انظر: لسان العرب (٢/ ٢٢٨).
والحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٧٨٢)، وابن حبان في صحيحه، رقم الحديث (٣٨١٢).

(٣) قال الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات (٣/ ٥٤٠): **قُعَيْقعان**، هو بضم القاف الأولى، وفتح العين: جبل مكة المعروف، مقابِلٌ لأبي قُبيس.

(٤) قال الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات (٣/ ٢٢٦): **الرَّمَلُ** في الطواف، هو بفتح الراء والميم: وهو إسراع المشي مع تقارب الخُطا دون الوثوب والعَدْوِ.
وقال البيهقي في دلائل النبوة (٤/ ٣٢٧): وقد بقي الرَّمَلُ مشروعًا في طواف القدوم، وإن كانت عِلَّته زالت؛ فقد حكى جابر بن عبد الله ﷺ في صفة حج النبي ﷺ: رَمَل ورَمَلوا في عمرة الجِعْرَانة.
قلت: هكذا قال البيهقي، ويظهر أنه وَهِمَ؛ فإن حديث جابر في صفة حج النبي ﷺ مغاير لعُمرة الجِعْرَانة؛ فحديث جابر أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٢١٨) (١٤٧)، وفيه: حتى إذا أتينا البيت معه ﷺ، استلم الركن فرَمَل ثلاثًا ومشى أربعًا.
وحديث اعتمار النبي ﷺ عمرة الجِعْرانة رواه أبو داود في سننه، رقم الحديث (١٨٨٤)، وإسناده صحيح عن ابن عباس ﷺ، قال: إن رسول الله ﷺ وأصحابه اعتمروا من الجِعْرانة، فرَمَلوا بالبيت، وجعلوا أردِيَتَهم تحت آباطِهم، ثم قذفوها على عواتقهم اليُسرَى.
* وقال الإمام ابن الجوزي في صيد الخاطر، (ص٥٠٥): فرَمَلوا، والرَّمَل: شدة السعي، وزال ذلك السبب وبقي الحكم؛ لِيُتذكَّر السبب فيُفهَم معناه.

(٥) كل شيء استدار بشيء وأحاط به، فقد أحدق به. انظر: لسان العرب (٣/ ٨٧).

الشيخان في «صحيحيهما» ـ واللفظ للبخاري ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قَدِمَ رسولُ الله ﷺ وأصحابُه[(١)]، فقال المشركون: إنه يَقدَم عليكم وَفْدٌ وَهنَتْهم[(٢)] حُمَّى يثرب، فأمرهم النبي ﷺ أن يَرمُلوا الأشواطَ الثلاثة[(٣)]، وأن يمشوا ما بين الركنين، ولم يمنعه أن يأمرهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاءُ[(٤)] عليهم... والمشركون من قِبَلِ قُعَيقعان.

زاد الإمام مسلم في «صحيحه»: فقال المشركون: هؤلاء الذين زعمتم أن الحُمى قد وهَنَتهم! هؤلاء أجلَدُ من كذا وكذا[(٥)].

وفي رواية الإمام أحمد وابن حبان بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: ثم أقبل رسول الله ﷺ حتى دخل المسجد، وقعدت قريش نحو الحِجْر، فاضطبع[(٦)] بردائه، ثم قال لأصحابه: «**لا يرى القومُ فيكم غَميزةً**»[(٧)]، فاستلم الركن، ثم دخل حتى إذا تَغيَّبَ بالركن اليماني[(٨)]، مشى

(١) زاد الإمام مسلم: مكة.

(٢) **وهنتهم**: أضعفتهم. انظر: النهاية (٥/ ٢٠٣).

(٣) في رواية الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٣٥٣٦) قال ابن عباس: رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**ارْمُلوا بالبيت؛ ليرى المشركون قوَّتكم**».

(٤) قال الحافظ في الفتح (٨/ ٢٩٨): قوله: إلا الإبقاء عليهم، بكسر الهمزة، وسكون الموحدة: أي: الرفق بهم، والإشفاق عليهم.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٢٥٦)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٢٦٦) (٢٤٠).

(٦) **الاضطباع**: هو أن يأخذ الإزار أو البُرْد فيجعل وسطه تحت إبطه الأيمن، ويُلقي طرَفَيه على كتفه الأيسر من جهتي صدره وظهره. انظر: النهاية (٣/ ٦٨).

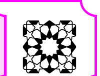
(٧) **الغَميزة**، بفتح الغين؛ أي: ضَعْف. انظر: لسان العرب (١/ ١٢٠).

وفي رواية ابن إسحاق في السيرة (٤/ ١٨) قال رسول الله ﷺ: «**رحم الله امرأً أراهم اليوم من نفسه قوَّةً**».

(٨) أي: تغيب به عن قريش الذين كانوا في الحِجر.

إلى الركن الأسود، فقالت قريش: إنهم لَيَنقُزون نَقْزَ الظِّباء[١].

وروى الإمام البخاري في «صحيحه» عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه، قال: اعتمر رسول الله ﷺ واعتمرنا معه، فلما دخل مكة طاف وطُفْنا معه، وأتى الصفا والمروة وأتيناها معه، وكنا نستره من أهل مكة أن يرميَه أحد[٢].



إنشاد عبد الله بن رواحة رضي الله عنه الشِّعر

روى الإمام الترمذي في «جامعه» وابن حبان في «صحيحه» ـ واللفظ للترمذي ـ بسند صحيح عن أنس رضي الله عنه، قال: إن النبي ﷺ دخل مكة في عمرة القضاء، وعبد الله بن رواحة رضي الله عنه بين يديه يمشي، وهو يقول:

خَلُّوا بني الكُفَّارِ عن سَبيلِهِ ... اليومَ نَضْرِبْكُمْ على تنزيلِه
ضربًا يُزيل الهامَ[٣] عن مَقِيلِهِ[٤] ... ويُذهِلُ الخليلَ عن خَليلِهِ

فقال له عمر رضي الله عنه: يا ابن رواحة، بين يَدَيْ رسول الله ﷺ وفي حَرَم الله تقول الشِّعْر؟!

فقال رسول الله ﷺ: **«خَلِّ عنه يا عُمَر؛ فلَهِيَ أسرَعُ[٥] فيهم من نَضْحِ[٦] النَّبْلِ»**[٧].

---

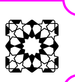
(١) في رواية ابن حبان: الغزلان.
والحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٧٨٢)، وابن حبان في صحيحه، رقم الحديث (٣٨١٢).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٧٩١).
(٣) **الهام**: جمع هامة، وهي أعلى الرأس. انظر: النهاية (٤/ ١١٧).
(٤) **مَقيلِه**: مَوضِعِه. انظر: النهاية (٤/ ١١٧). (٥) في رواية ابن حبان: «أشد».
(٦) **نَضَحَ**: رمى. انظر: النهاية (٥/ ٦٠).
وفي رواية ابن حبان: «وَقْعِ»،
(٧) أخرجه الترمذي في جامعه، رقم الحديث (٣٠٦١)، وابن حبان في صحيحه، رقم الحديث (٥٧٨٨).

نحرُ النبي ﷺ هَدْيَه وتحلُّله

فلما انتهى رسول الله ﷺ من طوافه وسعيه، نحر هديه وحلق رأسه الشريف، ولم يدخل رسول الله ﷺ الكعبة؛ فقد روى الشيخان في «**صحيحيهما**» عن إسماعيل بن أبي خالد، قال: قلت لعبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه صاحب رسول الله ﷺ: أَدَخَل النبي ﷺ البيت في عمرته؟ قال: لا(١).

قال الإمام النووي: هذا مما اتفقوا عليه؛ قال العلماء: والمراد به عمرة القضاء التي كانت سنة سبع من الهجرة قبل فتح مكة، وسبب عدم دخوله ﷺ ما كان في البيت من الأصنام والصُّوَر، ولم يكن المشركون يتركونه لتغييرها، فلما فتح الله تعالى عليه مكة دخل البيت وصلى فيه، وأزال الصُّوَر قبل دخوله، والله أعلم(٢).

وقال الحافظ في «الفتح»: ويحتمل أن يكون دخول البيت لم يقع في الشَّرط، فلو أراد دخوله لمنعوه كما منعوه من الإقامة بمكة زيادة على الثلاث، فلم يقصد دخوله؛ لئلا يمنعوه(٣).



خروج النبي ﷺ من مكة

فلما انقضت الأيام الثلاثة المقررة لدخول المسلمين مكة وتأديتهم العمرة ـ حسب شروط صلح الحُديبيَة ـ بعَثَت قريش حُويطِبَ بن عبد العُزَّى في نفر من قريش إلى رسول الله ﷺ وأخبروه بانتهاء الأيام الثلاثة لمُكثِه في

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٦٠٠) (١٧٩١)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٣٣٢).

(٢) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (٩/ ٧٤).

(٣) انظر: فتح الباري (٤/ ٢٦٧).

مكة؛ فقد روى الإمام البخاري في «صحيحه» عن البراء بن عازب رضي الله عنهما، قال: فلما دخلها ومضى الأجل أتوا عليًّا رضي الله عنه، فقالوا: قُلْ لصاحبك: اخرج عنا؛ فقد مضى الأجل، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم[(١)].

وفي رواية الإمام مسلم، قالوا لعلي رضي الله عنه: هذا آخر يوم من شرط صاحبك، فَأْمُرْه فليخرج، فأخبره بذلك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**نعم**»، فخرج[(٢)].

وروى الحاكم في «المستدرك» بسند حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: فأتاه حُويطِب بن عبد العُزَّى في نفر من قريش في اليوم الثالث، فقالوا له: إنه قد انقضى أجلُك؛ فاخرُجْ عنا، فخرج[(٣)].

قال الإمام النووي: فإن قيل: كيف أحوجوهم إلى أن يطلبوا منهم الخروج ويقوموا بالشَّرط؟ فالجواب: أن هذا الطلب كان قبل انقضاء الأيام الثلاثة بيسير، وكان عزم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه على الارتحال عند انقضاء الثلاثة، فاحتاط الكفار لأنفسهم وطلبوا الارتحال قبل انقضاء الثلاثة بيسير، فخرجوا عند انقضائها وفاءً بالشرط، لا أنهم كانوا مقيمين لو لم يُطلب ارتحالُهم[(٤)].

قضاء النبي صلى الله عليه وسلم في ابنة حمزة رضي الله عنهما

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة، وتبعتهم ابنة حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنهما، فأخذها عليٌّ رضي الله عنه؛ فقد روى الإمام أحمد في «مسنده» والحاكم في «مستدركه» بسند حسن عن علي رضي الله عنه، قال: لما خرجنا من مكة اتبعَتْنا ابنة

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٢٦٩٩) (٤٢٥١).
(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٧٨٣) (٩٢).
(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٦٩٦٣).
(٤) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١٢/ ١١٨).

حمزة، فنادت[١]: يا عَمِّ، يا عَمِّ[٢]، فأخذتُ بيدها فناولتها فاطمة، قلتُ: دونَكِ ابنةَ عمِّك، فلما قدمنا المدينة اختصمنا فيها أنا وزيد وجعفر، فقلت: أنا أخذتها وهي ابنة عمي، وقال زيد: ابنة أخي، وقال جعفر: ابنة عمي وخالتُها عندي[٣]، فقال رسول الله ﷺ لجعفر: «**أشبَهْتَ خَلْقي وخُلُقي**»[٤]، وقال لزيد: «**أنت أخونا ومولانا**»، وقال لي: «**أنت مني وأنا منك، ادفعوها إلى خالتها؛ فإن الخالة أمٌّ**»[٥]، فقلت: ألا تَزوَّجُها يا رسول الله؟

قال رسول الله ﷺ: «**إنها ابنة أخي من الرضاعة**»[٦].

* فوائد الحديث:

قال الحافظ في «الفتح»: وفي الحديث من الفوائد:

١ ـ تعظيم صلة الرحم بحيث تقع المخاصمة بين الكبار في التوصل إليها.

---

(١) نادت النبي ﷺ.

(٢) قال الحافظ في الفتح (٨/ ٢٩٢): كأنها خاطبت النبي ﷺ بذلك إجلالًا له، وإلا فهو ابن عمها، أو بالنسبة إلى كون حمزة وإن كان عمه من النسب فهو أخوه من الرضاعة.

(٣) يعني: زوجتي.

وفي رواية الإمام البخاري في صحيحه من حديث البراء رضي الله عنه: وخالتها تحتي.

خالتها هي أسماء بنت عُمَيس رضي الله عنها، وقع التصريح باسمها في رواية الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٧٧٠).

(٤) قال الحافظ في الفتح (٨/ ٢٩٤): هي منقبة عظيمة لجعفر رضي الله عنه.

(٥) في رواية الإمام البخاري في صحيحه من حديث البراء رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «**الخالة بمنزلة الأم**»، قال الحافظ في الفتح (٨/ ٢٩٤): أي: في هذا الحكم الخاص؛ لأنها تقرب منها في الحنو والشفقة والاهتداء إلى ما يصلح الولد.

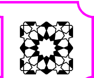
(٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٧٧٠)، والحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٤٦٦٤).

وأخرجه الإمام البخاري في صحيحه من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، رقم الحديث (٢٦٩٩) (٤٢٥١).

٢ ـ وأن الحاكم يُبَيِّن دليل الحُكم للخصم.

٣ ـ وأن الخصم يُدْلِي بحُجَّته.

٤ ـ ويُؤخَذ منه أن الخالة في الحضانة مقدَّمة على العمة؛ لأن صفية بنت عبد المطلب كانت موجودة حينئذٍ، وإذا قُدِّمت على العمة مع كونها أقرب العَصَبات من النساء، فهي مُقدَّمة على غيرها[١].



زواج النبي ﷺ بميمونة رضي الله عنها

ولما خرج رسول الله ﷺ من مكة تزوج أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها، وهي آخر زوجة تزوجها رسول الله ﷺ؛ فقد روى الإمام البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: تزوج النبي ﷺ ميمونة في عمرة القضاء[٢].

وروى الإمام مسلم وابن حبان في «صحيحيهما» ـ واللفظ لابن حبان ـ عن ميمونة رضي الله عنها، قالت: تزوَّجَني رسول الله ﷺ بِسَرِف[٣]، وهما حلالان[٤] بعدما رجعنا من مكة[٥].

وروى الإمام أحمد والترمذي بسند حسن عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ: قال: تزوج رسول الله ﷺ ميمونة وهو حلال، وبَنى[٦] بها

(١) انظر: فتح الباري (٨/ ٢٩٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٢٥٩).

(٣) **سَرِف**، بكسر الراء: موضع من مكة على عشرة أميال. انظر: النهاية (٢/ ٣٢٦).

(٤) يعني: غيرَ مُحرِمَين.

(٥) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٤١١)، وابن حبان في صحيحه، رقم الحديث (٤١٣٨).

(٦) **البناء**: الدخول بالزوجة. انظر: النهاية (١/ ١٥٦).

وهو حلال، وكنتُ أنا الرسولَ فيما بينهما[(١)].

قال الإمام الترمذي: اختلفوا في تزويج النبي ﷺ ميمونة؛ لأن النبي ﷺ تزوجها في طريق مكة، فقال بعضهم: تزوجها حلالًا، وظهر أَمْرُ تزويجها وهو مُحرِم، ثم بنى بها وهو حلال بِسَرِف في طريق مكة، وماتت ميمونةُ بِسَرِف حيث بنى بها رسول الله ﷺ، ودُفِنَت بِسَرِف[(٢)].

وقال الإمام النووي: تزوجها النبي ﷺ حلالًا، هكذا رواه أكثر الصحابة[(٣)].

وقال الإمام ابن القيم: اختُلِفَ عنه ﷺ؛ هل تزوج ميمونة حلالًا أم حرامًا؟

فقال ابن عباس رضي الله عنهما: تزوجها مُحرِمًا[(٤)]، وقال أبو رافع رضي الله عنه: تزوجها حلالًا، وكنتُ الرسولَ بينهما، وقول أبي رافع رضي الله عنه أرجح؛ لعدة أوجه[(٥)]: ثم ذكر ابن القيم سبعة أوجه في ترجيح قول أبي رافع على قول ابن عباس رضي الله عنهما.

وقال الحافظ ابن كثير: قَدَّم جمهور العلماء هذا الحديث[(٦)] على قول ابن عباس رضي الله عنهما؛ لأنها صاحبة القصة، فهي أعلم[(٧)].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٧١٩٧)، والترمذي في جامعه، رقم الحديث (٨٥٧)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن. وصحَّحه الإمام ابن القيم في زاد المعاد (٣/ ٤٤٩).

(٢) انظر: جامع الإمام الترمذي (٢/ ٣٦٦).

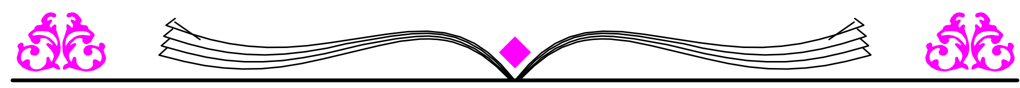
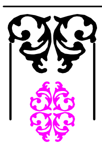
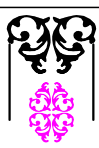
(٣) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (٩/ ١٦٦).

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٨٣٧) (٤٢٥٨)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٤١٠) (٤٦).

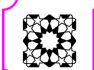
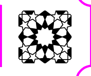
(٥) انظر: زاد المعاد (٥/ ١٥٨)، ورجح الإمام ابن القيم في موضع آخر من زاد المعاد (٣/ ٤٤٨، ٤٥١) زواج النبي ﷺ بميمونة رضي الله عنها، وهما حلالان.

(٦) هو حديث ميمونة رضي الله عنها في قولها: تزوجها رسول الله ﷺ وهو حلال.

(٧) انظر: الفصول في سيرة الرسول، (ص٣١٣).

السنة الثامنة للهجرة

غزوة مُؤْتَة[(١)]

....

(١) قال السُّهيلي في الروض الأُنف (٤/ ١٢٠): **مُؤْتة**: هي مهموزة الواو، وهي قرية من أرض البلقاء من الشام.

وقال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٢/ ٥٨): مؤتة، هي بضم الميم، ثم همزة ساكنة، ويجوز ترك الهمزة كما في نظائره: وهي قرية معروفة في طرَف الشام.

قلت: واختُلِف في تسميتها، هل يُقال لها: غزوة، أم سَرِيَّة؟ والأكثر على تسميتها غزوة.

* أبرز مَن قال: إنها غزوة:

١ ـ الإمام البخاري في صحيحه: كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة من أرض الشأم.

٢ ـ ابن إسحاق في السيرة (٤/ ٢٠).

٣ ـ البيهقي في دلائل النبوة (٤/ ٣٥٨).

٤ ـ الإمام ابن القيم في زاد المعاد (٣/ ٤٦٠).

٥ ـ الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٤/ ٦٣٢).

* ووقع تسميتها بذلك في الأحاديث؛ فمنها:

روى الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٢٦١) عن عبد الله بن عمر ﵄، قال: أَمَّرَ رسول الله ﷺ في غزوة مؤتة زيدَ بن حارثة ﵁.

وروى الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٧٥٣) (٤٤) عن عوف بن مالك الأشجعي ﵁، قال: خرجتُ مع مَن خرج مع زيد بن حارثة ﵁ في غزوة مؤتة.

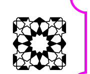
وقال الزرقاني في شرحه للمواهب (٣/ ٣٣٩): وفي بعض الروايات تسميتها غزوة جيش الأمراء؛ وذلك لكثرة جيش المسلمين فيها، وما لاقَوه من الحرب الشديدة مع الكفار.

قلت: والذي يظهر لي أن سبب تسميتها: غزوة، مع أن النبي ﷺ لم يخرج فيها، هو ما =

وقعت هذه الغزوة في جُمادى الأولى سنة ثمانٍ من الهجرة[(١)].

قال الحافظ ابن كثير: هذه الغزوة كانت إرهاصًا[(٢)] لِما بعدها من غَزْوِ الروم، وإرهابًا لأعداء الله ورسوله[(٣)].

ويُسمَّى جيشها بجيش الأمراء؛ فقد روى الإمام أحمد في «مسنده» بسند جيد عن أبي قتادة رضي الله عنه، قال: بعث رسول الله ﷺ جيش الأمراء، وقال: «**عليكم زيدُ بن حارثة، فإن أُصيب زيد، فجعفر، فإن أُصيب جعفر، فعبد الله بن رواحة الأنصاري**»[(٤)].



سبب هذه الغزوة

بعث رسول الله ﷺ الحارثَ بن عُمَير الأزدي رضي الله عنه بكتابه إلى ملك بُصرى، فلما نزل مُؤْتَة عَرَضَ له شُرَحْبيل بن عمرو الغسَّاني فقتله، ولم يُقتَلْ رسولٌ لرسول الله ﷺ غيره[(٥)].

= كَشَفَ اللهُ لرسوله ﷺ من مُجْرَيات أحداث المعركة وهو في المدينة؛ فكان يُخبر أصحابه بذلك، فكان يقول: «**أخذ الراية زيد فأُصيب، ثم أخذ الراية جعفر**...» إلخ الحديث، فكأنه ﷺ كان معهم؛ فلذلك سُميت غزوة. والله أعلم.

* أبرز مَن قال: إنها سَرِيَّة:

١ ـ ابن سعد في طبقاته (٢/ ٣١٤).

٢ ـ نور الدين الحلبي في سيرته الحلبية (٣/ ١٠١).

(١) هذا تاريخها عند عامة أهل المغازي، لا يختلفون في ذلك، إلا ما كان من الحافظ ابن عبد البر في الدرر، (ص٢٢٢)، والحافظ ابن كثير في الفصول، (ص٢٠١)؛ فإنهما جعلاها في جمادى الآخرة.

(٢) **إرهاصًا**: أي: مُقَدِّمة. انظر: لسان العرب (٥/ ٣٤٣).

(٣) انظر: الفصول في سيرة الرسول، ص (٢٠٥).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٢٥٥١).

(٥) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٣١٤).

وكان قَتْل السفراء والرسل من أشنع الجرائم؛ لأنه جرت العادة والعُرف بعدم قتلهم أو التعرض لهم؛ فقد روى الإمام أحمد في «مسنده» وأبو داود في «سننه» والحاكم في «مستدركه» بسند حسن عن نُعيم بن مسعود ﵁، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول لرسولَيْ[1] مُسيلِمةَ حين قرأ كتابَ مُسيلمة: «ما تقولان أنتما؟» قالا: نقول كما قال، فقال رسول الله ﷺ: «**أمَا وَاللهِ لولا أن الرسل لا تُقتَلُ لضرَبْتُ أعناقَكما**»[2].

تجهُّز جيش الأمراء

فلما بلغ رسولَ الله ﷺ خبرُ قَتْل رسولِه الحارث بن عمير الأزدي ﵁، ندب الناس للخروج لقتال الروم والغساسِنة، فتهيَّأ الناس للخروج، فكان قِوام جيش الأمراء ثلاثة آلاف مقاتل، وهو أكبر جيش يتجمع للمسلمين إلى ذلك الوقت.

وأَمَّر رسول الله ﷺ على هذا الجيش مولاه زيد بن حارثة ﵁؛ فقد روى الإمام البخاري في «صحيحه» عن عبد الله بن عمر ﵄، قال: أَمَّرَ رسول الله ﷺ في غزوة مؤتة زيدَ بن حارثة ﵁، فقال رسول الله ﷺ: «**إن قُتِلَ زيد، فجعفر، وإن قُتِلَ جعفر، فعبد الله بن رواحة**»[3].

وفي رواية الإمام أحمد في «مسنده» بسند جيد عن أبي قتادة ﵁،

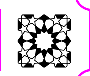
---

(١) هما ابن النواحة، وابن أُثال، كما في رواية أخرى عند الحاكم في مستدركه، رقم الحديث (٤٤٢٦).

(٢) قال السندي في شرحه للمسند (٩/١٥٦): أي: لئلا تنقَطِعَ الكتب والمراسيل.
والحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٥٩٨٩)، وأبو داود في سننه، رقم الحديث (٢٧٦١)، والحاكم في مستدركه، رقم الحديث (٢٦٦٤).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٢٦١).

قال: بعث رسول الله ﷺ جيش الأمراء، وقال: «**عليكم زيد بن حارثة، فإن أُصيب**[(١)] **زيد، فجعفر**[(٢)]**، فإن أُصيب**[(٣)] **جعفر، فعبد الله بن رواحة**[(٤)] **الأنصاري**»[(٥)].



توجُّه جيش الأمراء إلى مؤتة

وعقد رسول الله ﷺ لهم لواءً أبيض، ودفعه إلى زيد بن حارثة رضي الله عنه، وأوصاهم أن يأتوا مقتل الحارث بن عُمير رضي الله عنه، وأن يدعوا مَن هناك إلى الإسلام، فإن أجابوا وإلا استعانوا عليهم بالله وقاتلوهم، وخرج معهم في هذه الغزوة العظيمة خالد بن الوليد رضي الله عنه، وهي أول مشاهده في الإسلام.

مضى جيش الأمراء إلى عدوهم في الشام، حتى إذا كانوا بمَعَان[(٦)] بلَغَهم أن هرقل ملك الروم قد نزل مآب من أرض البلقاء في مئة ألف من الروم، وانضم إليهم من نصارى العرب، من لَخْم وجُذام، وقبائل قضاعة، من بَهراء وبَلي، وبلقين، فكان قِوام جيش الروم والغساسنة مائتي ألف مقاتل[(٧)]!

---

(١) في رواية أخرى في المسند، رقم الحديث (١٧٥٠): قُتِلَ.

(٢) في رواية أخرى في المسند، رقم الحديث (١٧٥٠): فأميركم جعفر.

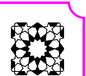
(٣) في رواية أخرى في المسند، رقم الحديث (١٧٥٠): قُتِلَ.

(٤) في رواية أخرى في المسند، رقم الحديث (١٧٥٠): فأميركم عبد الله بن رواحة.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٢٥٥١).

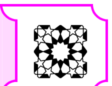
(٦) قال ياقوت الحموي في معجم البلدان (٨/ ٢٨٥): **مَعَان**: بالفتح، وآخره نون، والمحَدِّثون يقولونه بالضم، وإياه عَنَى أهل اللغة، قال الأزهري: هي مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء.

(٧) انظر: سيرة ابن هشام (٤/ ٢٢)، الطبقات الكبرى، لابن سعد (٢/ ٣١٤).



تشاوُرُ المسلمين في أمر الروم والغساسنة

ولم يكن المسلمون أدخلوا في حسابهم لقاء مثل هذا الجيش العرمرم، الذي فُؤجئوا به، فأقاموا في معان ليلتين يُفكرون في أمرهم، وقالوا: نكتب إلى رسول الله ﷺ فنُخبره بعدد عدُوِّنا، فإما أن يَمُدَّنا بالرجال، وإما أن يأمُرَنا بأمره، فنمضي له، فقال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه: يا قوم والله إن التي تكرهون لَلَّتي خرجتم تطلبون؛ الشهادةُ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرَمَنا الله به، فانطَلِقوا؛ فإنما هي إحدى الحُسنيين؛ إما ظهور، وإما شهادة، فوافقه الناس، فنهضوا[1].



تحرُّك جيش الأمراء إلى عدوهم

وحينئذٍ تحرك جيش الأمراء إلى أرض العدو، وذلك بعد أن قضى المسلمون ليلتين في معان، حتى إذا بلغوا تُخوم[2] البلقاء، لقيتهم جموع الروم والغساسنة من نصارى العرب وغيرهم بقرية يُقال لها: مشارف، ثم دنا العدو، وانحاز المسلمون إلى قرية يُقال لها: مؤتة، فالتقى الناس عندها، فتعبأ المسلمون، فجعلوا على ميمنتهم: قُطبة بن قتادة، وعلى ميسرتهم: عباية بن مالك الأنصاري[3].



بدءُ القتال وتناوُبُ القادة

والتقى الجيشان في مؤتة، وبدأ القتال المرير؛ ثلاثة آلاف مقاتل يواجهون مائتي ألف مقاتل! معركة تشاهدها الدنيا بالدهشة والحيرة، ولكن إذا هبت ريح الإيمان جاءت بالعجائب[4]!

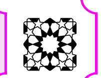
---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٤/ ٢٢).

(٢) **التُّخوم**: الفصل بين الأَرَضين من الحدود والمعالم. انظر: لسان العرب (٢/ ٢١).

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (٤/ ٢٥).

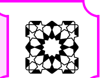
(٤) انظر: الرحيق المختوم، ص (٣٨٩).



الراية بيد زيد بن حارثة رضي الله عنه

أخذ الرايةَ زيد بن حارثة رضي الله عنه؛ حِبُّ رسول الله ﷺ، وجعل يُقاتل بضراوة بالغة، وبسالة نادرة، والمسلمون معه يُقاتلون، حتى قُتِلَ طعنًا بالرماح، وخَرَّ شهيدًا رضي الله عنه.

روى الحاكم في «المستدرك» بسند مرسل لا بأس به عن عروة بن الزبير رضي الله عنهما، قال: بعث رسول الله ﷺ بَعْثَهُ إلى مُؤتة، فقاتل زيد بن حارثة رضي الله عنه براية رسول الله ﷺ في جمادى الأولى سنة ثمانٍ، حتى شاط[(١)] في رماح القوم[(٢)].



الراية بيد جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه

فلما سقط زيد رضي الله عنه حَمَلَ الرايةَ جعفرُ بن أبي طالب رضي الله عنه، وطَفِق[(٣)] يُقاتل قتالًا منقطع النظير، حتى إذا ألحمه[(٤)] القتال نزل عن فرسه فعقرها[(٥)] ـ فكان أول فرس يُعقر في الإسلام ـ، وهو يقول:

يا حبَّذا الجنَّةُ واقترابُها ... طَيِّبةٌ وباردٌ شرابُها
والرومُ رومٌ قد دنا عذابُها ... كافرةٌ بعيدةٌ أنسابُها
عليَّ إذ لاقيتُها ضِرابُها

فقُطِعت يمينه رضي الله عنه، فأخذ الراية بشماله، فَقُطِعت شماله، فاحتضن الراية بعضُديه حتى استُشهد رضي الله عنه! فأثابه الله سبحانه بذلك جناحين في الجنة

(١) **شاط**: هلك. انظر: النهاية (٢/ ٤٦٣).
(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٥٠١٨).
(٣) **طفق**: جعل. انظر: لسان العرب (٨/ ١٧٤).
(٤) يُقال: **ألحم الرجل واستلحم**: إذا نشب في الحرب فلم يجد له مخلصًا. انظر: النهاية (٤/ ٢٠٦).
(٥) **أصل العَقْر**: ضرب قوائم البعير أو الشاة بالسيف وهو قائم. انظر: النهاية (٣/ ٢٤٥).

يطير بهما حيث شاء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ ولذلك سُمِّي بجعفر الطَّيَّار[(١)].

قال الحافظ ابن كثير: قُتِلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن ثلاث وثلاثين سنة على الصحيح[(٢)].

وروى أبو داود في «سننه» والحاكم في «مستدركه» ـ واللفظ للحاكم ـ بسند حسن عن يحيي بن عَبَّاد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن جده، قال: أخبرني أبي الذي كان أرضعني من بني مُرَّة، قال: كأني أنظر إلى جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم مؤتة نزل[(٣)] عن فرسٍ له فَعَرْقَبَهَا[(٤)]، ثم مضى فقاتل حتى قُتِلَ[(٥)].

وروى الإمام البخاري في «صحيحه» عن نافع، قال: إن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أخبره: أنه وقف على جعفر يومئذ، وهو قتيلٌ، فعددتُ به خمسين بين طعنة وضربة، ليس منها شيء في دُبُره؛ يعني: في ظهره[(٦)]!

وروى الإمام الترمذي والحاكم وابن حبان ـ واللفظ لابن حبان ـ بسند حسن عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أُريتُ جَعفرًا مَلَكًا يطير بجناحيه في الجنة!**»[(٧)].

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٤/ ٢٦).

(٢) انظر: الفصول في سيرة الرسول، ص (٢٠٤).

(٣) في رواية أبي داود: اقتحم.

(٤) **عَرْقَبَهَا**: أي: قطع عُرقوبها، وهو الوَتَر الذي خلف الكعبين بين مفصل القدم والساق من ذوات الأربع، وهو من الإنسان فُوَيق العَقِب. انظر: النهاية (٣/ ٢٠٠).
وفي رواية أبي داود: فعقرها.

(٥) أخرجه أبو داود في سننه، رقم الحديث (٢٥٧٣)، والحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٤٩٩٦)، وأورده الحافظ في الفتح (٨/ ٣٠٠) وحَسَّن إسناده.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٢٦٠).

(٧) أخرجه الترمذي في جامعه، رقم الحديث (٤٠٩٦)، والحاكم في مستدركه، رقم الحديث (٤٩٩٩)، وابن حبان في صحيحه، رقم الحديث (٧٠٤٧)، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم الحديث (١٢٢٦) وقال: حديث صحيح.

وروى الإمام البخاري في «صحيحه» عن عامر الشعبي، قال: إن ابن عمر رضي الله عنهما كان إذا سَلَّم على ابن[١] جعفر، قال: السلام عليك يا ابنَ ذي الجَناحين![٢]

الراية بيد عبد الله بن رواحة رضي الله عنه

أخذ عبدُ الله بن رواحة الرايةَ وحملها بعدما استُشهِد جعفر رضي الله عنه، ثم تقدم بها وهو على فرسه، فجعل يستنزل نفسَه، ويتردَّد بعض التردد، ثم قال:

أقسمتُ يا نفسُ لَتَنزِلِنَّهْ ... لتنزِلِنَّ أو لتُكرَهِنَّهْ
إن أجلبَ النَّاسُ[٣] وشَدُّوا الرَّنَّهْ[٤] ... ما لي أراكِ تكرهينَ الجنَّهْ

وقال أيضًا:

يا نفسُ إلَّا تُقتَلي تموتي ... هذا حِمامُ الموتِ قد صَلِيتِ
وما تمنَّيتِ فقد أُعطِيتِ ... إن تفعلي فِعلَيْهما[٥] هُديتِ

ثم تقدم فقاتل حتى قُتِلَ رضي الله عنه[٦].

نعي النبي ﷺ الأمراء الثلاثة

وقد أطلع الله سبحانه وتعالى رسول الله ﷺ على ما وقع في غزوة مؤتة وهو في المدينة النبوية، فنعى لأهل المدينة أمراء الجيش الثلاثة رضي الله عنهم قبل أن يأتيهم

---

(١) قال الحافظ في الفتح (٧/ ٤٤١): يعني: عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٧٠٩) (٤٢٦٤).
(٣) **أجلب الناس**: تجمَّعوا وتألَّبوا. انظر: النهاية (١/ ٢٧٣).
(٤) **والرنَّة**: الصَّيحةُ الشديدة. انظر: لسان العرب (٥/ ٣٣٤).
(٥) يعني: زيدًا وجعفرًا رضي الله عنهما.
(٦) أخرج ذلك ابن إسحاق في السيرة (٤/ ٢٦) وإسناده حسن، وأخرجه مختصَرًا ابن ماجه في سننه، رقم الحديث (٢٧٩٣) وإسناده حسن.

خبرهم؛ فقد روى الإمام أحمد في «مسنده» وابن حبان في «صحيحه» بسند جيد عن أبي قتادة رضي الله عنه، قال: إن رسول الله ﷺ صَعِدَ المنبر وأمر أن يُنادى: الصلاة جامعة، فقال ﷺ: «**ألا أخبِرُكم عن جيشِكم هذا الغازي، إنهم انطلقوا حتى لقوا العدو، فأصيب زيد شهيدًا، فاستغفِروا له، فاستغفر له الناسُ، ثم أخذ اللواءَ جعفرُ بن أبي طالب، فَشَدَّ على القوم حتى قُتِلَ شهيدًا، أشهدُ له بالشهادة، فاستغفِروا له، ثم أخذ اللواء عبدُ الله بن رواحة، فأثبت قدميه حتى أُصيب شهيدًا، فاستغفِروا له**»(١).

وروى الإمام البخاري في «صحيحه» عن أنس رضي الله عنه، قال: خطب النبي ﷺ، فقال: «**أخذ الرايةَ زيدٌ فأُصيب، ثم أخذها جعفر فأُصيب، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأُصيب**»، وقال: «**ما يسرهم أنهم عندنا**»(٢)، وعيناه تَذرِفان(٣).

وروى الإمام البخاري ومسلم في «صحيحيهما» وأبو داود في «سننه» ـ اللفظ لأبي داود ـ عن عائشة رضي الله عنها، قالت: لما قُتِلَ زيد بن حارثة، وجعفر، وعبد الله بن رواحة؛ جلس رسول الله ﷺ في المسجد يُعرَف في وجهه الحُزن(٤).

الراية إلى سيف الله المسلول رضي الله عنه

فلما سقطت الراية باستشهاد عبد الله بن رواحة رضي الله عنه ـ وكان رسول الله ﷺ لم يُكلِّف أحدًا بحملها بعده ـ أخذها ثابت بن أقرم رضي الله عنه،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٢٥٥١)، وابن حبان في صحيحه، رقم الحديث (٧٠٤٨).

(٢) قال الحافظ في الفتح (٦/ ٩٥): أي: لما رأوا من الكرامة بالشهادة.

(٣) **ذَرَفَت العين**: إذا جرى دمعها. انظر: النهاية (٢/ ١٤٧).
والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٢٧٩٨).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٢٩٩)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٩٣٥)، وأبو داود في سننه، رقم الحديث (٣١٢٢).

فقال: يا معشر المسلمين، اصطلِحوا على رجل منكم، قالوا: أنت، قال: ما أنا بفاعل، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد رضي الله عنه[١].

قال رسول الله ﷺ لأصحابه في المدينة: «**ثم أخذها**[٢] **خالد بن الوليد عن غير إِمْرة**[٣] **فَفُتِحَ له**»[٤].

وفي لفظ آخر، قال رسول الله ﷺ: «**حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله**[٥] **حتى فتح الله عليهم**»[٦].

وفي رواية الإمام أحمد وابن حبان بسند جيد، قال رسول الله ﷺ: «**ثم أخذ اللواء خالدُ بن الوليد ولم يكن من الأمراء، هو أَمَّرَ نفسه**»، فرفع رسول الله ﷺ أُصبعيه، وقال: «**اللَّهُمَّ هو سيف من سُيُوفك؛ فانصره**»، فيومئذ سُمِّي خالدٌ سيفَ الله[٧].

قال الحافظ ابن كثير: فأخذ الرايةَ خالد بن الوليد رضي الله عنه، فانحاز بالمسلمين، وتلطَّف، حتى خَلَص المسلمون من العدو، ففتح الله على يديه، كما أخبر بذلك كله رسول الله ﷺ أصحابه الذين بالمدينة يومئذ، وهو قائم

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٤/ ٢٧).

(٢) يعني: أخذ الراية.

(٣) قال الحافظ في الفتح (٨/ ٣٠٢): المراد: نفي كونه كان منصوصًا عليه، وإلا فقد ثبت أنهم اتفقوا عليه.

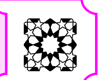
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٢٧٩٨).
وفي لفظ آخر في صحيحه البخاري، رقم الحديث (٣٠٦٣): عليه.

(٥) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٩/ ١٦١): سَمَّاه بذلك رسول الله ﷺ؛ لأنه ينكأ في أعداء الله.
نكأ العدوَّ: هزمه وغلبه. انظر: لسان العرب (١٤/ ٢٧٥).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٢٦٢).

(٧) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٢٥٥١)، وابن حبان في صحيحه، رقم الحديث (٧٠٤٨).

على المنبر، فنعى إليهم الأمراء واحدًا واحدًا، وعيناه تذرفان ﷺ[(١)].



شِدَّة خالد بن الوليد رضي الله عنه

واشتد خالد بن الوليد رضي الله عنه بجيشه على الكفار، وقاتلهم قتالًا عظيمًا؛ فقد روى الإمام البخاري في «صحيحه» عن خالد بن الوليد رضي الله عنه، قال: لقد انقطَعَت في يدي يوم مؤتة تسعةُ أسياف، فما بقي في يدي إلا صحيفةٌ يمانيَةٌ![(٢)].

وفي لفظ آخر في «صحيح البخاري»، قال رضي الله عنه: لقد دُقَّ في يدي يوم مؤته تسعة أسياف، وصبَرَت في يدي صحيفة لي يمانيَة![(٣)].

قال الحافظ في «الفتح»: وهذا الحديث يقتضي أن المسلمين قتلوا من المشركين كثيرًا[(٤)].

وقال الحافظ ابن كثير: وهذا يقتضي أنهم أثخنوا[(٥)] فيهم قتلًا، ولو لم يكن كذلك لما قَدَروا على التخلص منهم، وهذا وحده دليل مستقل. والله أعلم[(٦)].

---

(١) انظر: الفصول في سيرة الرسول، ص (٢٠٤).

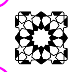
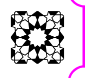
(٢) قال ابن قُرقُول في مطالع الأنوار (٤/ ٢٦٤): **الصَّحيفة**: السيف العريض.
والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٢٦٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٢٦٦).

(٤) انظر: فتح الباري (٨/ ٣٠٦).

(٥) **الإثخان في الشيء**: المبالغة فيه والإكثار منه، والمراد به هاهنا: المبالغة في قتل الكفار. انظر: النهاية (١/ ٢٠٣).

(٦) انظر: البداية والنهاية (٤/ ٦٤١).

مَن المنتصر في هذه المعركة العظيمة؟

قال الحافظ في «الفتح»: واخْتَلَف أهل النقل في المراد بقوله ﷺ: «**حتى فتح الله عليهم**»؛ هل كان هناك قتال فيه هزيمة للمشركين، أو المراد بالفتح انحيازه[١] بالمسلمين حتى رجعوا سالمين؟[٢].

روى ابن سعد في «طبقاته» عن أبي عامر الأشعري رضي الله عنه، قال: ثم انهزم المسلمون أسوأ هزيمة رأيتها قطُّ، حتى لم أرَ اثنين جميعًا.

قلت: وذلك بعد استشهاد عبد الله بن رواحة رضي الله عنه.

قال رضي الله عنه: فأخذ خالد اللواء ثم حمل على القوم فهزمهم الله أسوأ هزيمة رأيتها قط، حتى وضع المسلمون أسيافهم حيث شاؤوا[٣].

وقال ابن إسحاق: فاصطلح الناس على خالد بن الوليد، فلما أخذ الراية دافع القوم، وحاشى بهم، ثم انحاز وانحيز عنه، حتى انصرف الناس[٤].

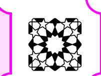
وقال البيهقي: اختلف أهل المغازي في فرارهم وانحيازهم؛ منهم مَن ذهب إلى ذلك، ومنهم مَن زعم أن المسلمين ظهروا على المشركين وانهزم المشركون، وحديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ: ثم أخذها خالد ففُتح عليه يدل على ظهوره عليهم، والله تعالى أعلم بالصواب[٥].

وقال الإمام ابن القيم: والصحيح ما ذكره ابن إسحاق أن كل فئة انحازت عن الأخرى[٦].

---

(١) يعني: انحياز خالد بن الوليد رضي الله عنه.
(٢) انظر: فتح الباري (٨/ ٣٠٢).
(٣) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (٢/ ٣١٥).
(٤) انظر: سيرة ابن هشام (٤/ ٢٧).
(٥) انظر: دلائل النبوة (٤/ ٣٧٥).
(٦) انظر: زاد المعاد (٣/ ٤٦٣).

وقال الحافظ ابن كثير: وكَرَّ[١] المسلمون راجعين، ووقى الله شر الكَفَرة، وله الحمد والمنة[٢].



مواساة النبي ﷺ لآل جعفر رضي الله عنه

روى الإمام أحمد في «مسنده» بسند صحيح عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما، قال: أمهل رسولُ الله ﷺ آل جعفر ثلاثًا أن يأتيهم، ثم أتاهم، فقال: «**لا تبكوا على أخي بعد اليوم، ادعوا إليَّ ابنَيْ أخي**»، قال: فجيء بنا كأنَّا أَفْرُخ، فقال: «**ادعوا لي الحلاق**»، فجيء بالحلاق، فحلق رؤوسنا، ثم قال: «**أما محمد فشبيه عمنا أبي طالب، وأما عبد الله فشبيه خَلْقي وخُلُقي**»، ثم أخذ بيدي، فأشالها[٣] فقال: «**اللَّهُمَّ اخلُف جعفرًا في أهله، وبارِك لعبد الله في صفقة يمينه**»، قالها ثلاث مرات، قال: فجاءت أُمُّنا[٤]، فذكرَت له يُتمَنا، وجعلت تُفْرِحُ[٥] له، فقال رسول الله ﷺ: «**العَيلَةَ[٦] تخافين عليهم، وأنا وليهم في الدنيا والآخرة؟!**»[٧].

---

(١) **الكَرُّ**: الرجوع. انظر: لسان العرب (١٢/ ٦٤).

(٢) انظر: الفصول في سيرة الرسول، ص (٢٠٥).

(٣) **فأشالها**: أي: رفعها. انظر: لسان العرب (٧/ ٢٤١).

(٤) هي: أسماء بنت عُميس الخثعمية رضي الله عنها.

(٥) قال ابن الأثير في النهاية (٣/ ٣٨٠): قال أبو موسى: هكذا وجدتُه بالحاء المهملة، وقد أضرب الطبراني عن هذه الكلمة فتركها من الحديث، فإن كان بالحاء فهو من أفرحه: إذا غَمَّهُ وأزال عنه الفرح، وأفرحَه الدَّينُ: إذا أثقله، وإن كانت بالجيم فهو من المُفْرَج الذي لا عَشيرة له، فكأنها أرادت أن أباهم تُوفي ولا عشيرة لهم، فقال النبي ﷺ: «**أتخافين العَيلَةَ وأنا وليهم**»؟!

(٦) **العَيلة**، بفتح العين: الفقر. انظر: النهاية (٣/ ٢٩٨).

(٧) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٧٥٠)، وأخرجه مختصرًا أبو داود في سننه، رقم الحديث (٤١٩٢).

=

وروى الإمام أحمد في «مسنده» وأبو داود والترمذي بسند حسن عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما، قال: لما جاء نعي جعفر، قال النبي ﷺ: «**اصنعوا لأهل[١] جعفر طعامًا؛ فإنه قد جاءهم ما[٢] يَشغَلُهم**»[٣].

قال الإمام الترمذي: وقد كان بعض أهل العلم يَستحِبُّ أن يُوَجَّهَ إلى أهل الميت بشيء؛ لشُغلهم بالمصيبة، وهو قول الشافعي[٤].

وروى الحاكم في «المستدرك» بسند حسن عن جعفر بن خالد بن سارة عن أبيه، قال: إن عبد الله بن جعفر، قال: لو رأَيتَني وقُثَم وعبيد الله بن العباس نلعب، إذ مَرَّ رسول الله ﷺ على دابة، فقال: «**احملوا هذا إليَّ**، فجعلني أمامه، ثم قال لقُثَم: **احملوا هذا إليَّ**، فجعله وراءه[٥]، ما استحى من عَمِّه العباس أن حَمَلَ قُثَم وترك عبيد الله، ثم مسح برأسي ثلاثًا، فلما مسح قال: **اللَّهُمَّ اخلُفْ جَعفرًا في ولده**»[٦].

قال الحاكم: قد أتى جعفر بن خالد بسُنَّتين عزيزتين:

* **إحداهما**: مَسْحُ رأس اليتيم.

* **والأخرى**: تفقُّد أهل المصيبة بما يَتقوَّتون ليلتَهم، وفقنا الله لاستعماله عنه[٧].



(١) في رواية الإمام أحمد وأبي داود: «لآل». (٢) في رواية الإمام أحمد وأبي داود: «أمر».

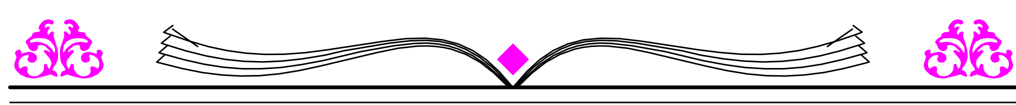
(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٧٥١)، وأبو داود في سننه، رقم الحديث (٣١٣٢)، والترمذي في جامعه، رقم الحديث (١٠١٩).

(٤) انظر: جامع الإمام الترمذي (٢/ ٤٨٦).

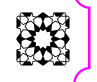
(٥) زاد الحاكم في رواية أخرى: وكان عبيد الله أحب إلى العباس من قُثَم.

(٦) أخرجه الحاكم في مستدركه، رقم الحديث (١٣٩٤) (٦٥٥٣).

(٧) انظر: المستدرك لأبي عبد الله الحاكم (٢/ ٢٨٧).







سَرِيَّة ذات السلاسل[(١)]

وقعت هذه السَرِيَّة في جمادى الآخرة سنة ثمانٍ للهجرة[(٢)].

قال الإمام البخاري في «صحيحه»: باب غزوة ذات السلاسل، وهي غزوة لَخْم وجُذام[(٣)].

قال الحافظ في «الفتح»: وعند ابن إسحاق[(٤)] أنه ماء لبني جُذام

---

(١) اختُلِف في ضبطها على النحو التالي:

١ ـ قال ابن الأثير في النهاية (٢/ ٣٥٠): ذات السُّلاسِل: هو بضم السين الأولى، وكسر الثانية، ماء بأرض جُذام، وبه سُميت الغزوة.

٢ ـ وقال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٥/ ١٢٥)، وتهذيب الأسماء واللغات (٣/ ٢٠٢): ذات السَّلاسِل، بسينين مهملتين، الأولى مفتوحة، والثانية مكسورة، واللام مخففة: موضع معروف بناحية الشام في أرض بني عُذرة... وذكر ابن الأثير في كتابه نهاية الغريب: أنها بالضم، وهو اسم ماء يُقال له: سُلاسِل، بمعنى: سَلْسَال، وهو السهل، وأظن ابن الأثير استنبطه من صحاح الجوهري من غير نقل عنده فيه، ولا دلالة في كلامه.

٣ ـ وقال الإمام ابن القيم في زاد المعاد (٣/ ٤٦٧): فَصْل في غزوة ذات السلاسل، وهي وراء وادي القرى، بضم السين الأولى وفتحها، لغتان.

(٢) هذا تاريخها عند ابن سعد في طبقاته (٢/ ٣١٥)، ونقله عنه ابن سيد الناس في عيون الأثر (٢/ ٢١٤)، والإمام ابن القيم في زاد المعاد (٣/ ٤٦٧) وغيرهما، وذكرها ابن إسحاق في السيرة (٤/ ٢٨٠)، لكنه لم يُحدد تاريخها، ونقل الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٥/ ١٢٥) عن الحافظ ابن عساكر قوله: كانت ذات السلاسل بعد مؤتة، فيما ذكره أهل المغازي إلا ابن إسحاق، فقال قبلها.

قلت: ولم أجد ما ذكر في سيرة ابن إسحاق المطبوع.

(٣) انظر: صحيح البخاري (٨/ ٤٠٢).

(٤) انظر: سيرة ابن هشام (٤/ ٢٨٠).

ولَخْم، أما لَخْم ـ بفتح اللام، وسكون المعجمة ـ: قبيلة كبيرة شهيرة، وأما جُذام ـ فبضم الجيم، بعدها معجمة خفيفة ـ: قبيلة كبيرة شهيرة[١].

وقال الإمام البخاري في «صحيحه»: وقال ابن إسحاق: عن يزيد عن عروة: هي بلاد بَلِيٍّ وعُذْرَة[٢].

قال الحافظ في «الفتح»: أما يزيد فهو ابن رومان، مدني مشهور، وأما عروة فهو ابن الزُّبَير بن العَوَّام، وأما القبائل التي ذكرها فالثلاثة بطونٌ من قُضاعة، أما بَلِيٌّ ـ فبفتح الموحدة، وكسر اللام الخفيفة، بعدها ياء النسب ـ: قبيلة كبيرة يُنسبون إلى بَلِيِّ بن عمرو بن الحافِ بن قُضاعة، وأما عُذْرة ـ فبضم العين المهملة، وسكون الذال المعجمة ـ: قبيلة كبيرة يُنسبون إلى عُذرة بن سعد[٣].

سبب هذه السَرِيَّة

قال ابن سعد في «طبقاته»: بلغ رسولَ الله ﷺ أن جمعًا من قُضاعة قد تجمعوا يريدون أن يدنوا إلى أطراف المدينة[٤].

تأمير عمرو بن العاص رضي الله عنه

دعا رسول الله ﷺ عمرو بن العاص رضي الله عنه وأَمَّره على هذه السَرِيَّة؛ فقد روى الإمام أحمد في «مسنده» والبخاري في «الأدب المفرد» بسند

(١) انظر: فتح الباري (٨/ ٤٠٣).
(٢) انظر: صحيح البخاري (٨/ ٤٠٢).
(٣) انظر: فتح الباري (٨/ ٤٠٣).
(٤) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (٢/ ٣١٥).

صحيح عن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: بعث إليَّ رسول الله ﷺ، فقال: «**خُذ عليك ثيابَك وسلاحك، ثم ائتِني**»، فأتيتُه وهو يتوضأ، فَصَعَّدَ فيَّ النظر[(١)] ثم طأطأه[(٢)]، فقال: «**إني أُريد أن أبعثك على جيش، فيُسلِّمُك الله ويُغْنِمُكَ، وأَزْعَبُ[(٣)] لك من المال زَعْبَةً صالحة**»، فقلت: يا رسول الله، ما أسلمتُ من أجل المال، ولكني أسلمتُ رغبة في الإسلام، وأن أكون مع رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**يا عمرُو، نِعِمَّا بالمال[(٤)] الصالح للرجل الصالح**»[(٥)].

ثم عقد رسول الله ﷺ لعمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لواءً أبيضَ، وبعثه في ثلاثمائة مقاتل من المهاجرين والأنصار، ومعهم ثلاثون فرسًا، فخرج عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يسير بالليل ويكمُن بالنهار، فلما قرب من القوم بلغه أن لهم جمعًا كثيرًا، فبعث رافع بن مَكِيث الجُهني[(٦)] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى رسول الله ﷺ يستمِدُّه[(٧)].

---

(١) أي: نظر إلى أعلاي وأسفلي يتأمَّلُني. انظر: النهاية (٣/ ٢٨).

(٢) **طأطأ رأسه**: خفض رأسه. انظر: لسان العرب (٨/ ١١٣).

(٣) **أَزْعَب**: أي: أُعطيك دُفعة من المال، وأصل الزَّعْب: الدَّفع والقَسْم. انظر: النهاية (٢/ ٢٧٤).

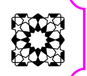
(٤) في رواية الإمام البخاري: نِعم المال.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٧٧٦٣)، والبخاري في الأدب المفرد، رقم الحديث (٢٢٩).

(٦) قال ابن الأثير في جامع الأصول (١/ ٣٨٤)، قسم التراجم: **مَكِيث**: بفتح الميم، وكسر الكاف، وسكون الياء تحتها نقطتان، وبالثاء المثلثة.

وقال الحافظ في الإصابة (٢/ ٣٧٠): رافع بن مَكِيث بوزن عظيم، آخره مثلثة، الجُهني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، شهد بيعة الرضوان، وكان أحد من يحمل ألوية جُهينة يوم الفتح، واستعمله النبي ﷺ على صدقات قومه، وشهد الجابيةَ مع عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٧) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٣١٥).

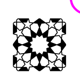


إرسال المدد لعمرو بن العاص رضي الله عنه

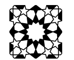


فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه في مائتين مقاتل، وعقد له لواءً، وبعث معه سَراة[١] المهاجرين والأنصار، وفيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وأمره أن يلحق بعمرو، وأن يكونا جميعًا ولا يختلفا، فخرج أبو عبيدة رضي الله عنه حتى إذا قدم عليه قال له عمرو رضي الله عنه: إنما جئتَ مددًا لي، قال أبو عبيدة: لا، ولكني على ما أنا عليه، وأنت على ما أنت عليه ـ وكان أبو عبيدة رضي الله عنه رجلًا ليِّنًا سهلًا، هيِّنًا عليه أمرُ الدنيا ـ فقال له عمرو: بل أنت مدد لي، فقال له أبو عبيدة: يا عمرو، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي: «**لا تختلفا**، وإنك إن عصيتَني أطعتُك»، فقال عمرو: فإني الأميرعليك، وأنت مدد لي، قال أبو عبيدة: فدونَك، فكان عمرو يُصلي بالناس.

سار عمرو بن العاص رضي الله عنه حتى وطئَ بلاد بَلِيٍّ ودَوَّخها، حتى أتى إلى أقصى بلادهم، وبلاد عُذْرة وبَلقين، ولقي في آخر ذلك جمعًا، فحمل عليهم المسلمون فهربوا في البلاد وتفرقوا، وأقام عمرو بن العاص رضي الله عنه أيامًا، ثم رجع إلى المدينة منصورًا[٢].



فقه عمرو بن العاص رضي الله عنه

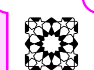


وقع في هذه السَرِيَّة بعض الأحداث التي تجلَّى فيها فقه عمرو بن العاص رضي الله عنه، وحُسن تعامله معها؛ فمن ذلك:

---

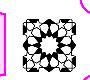
(١) **سَراة:** أشراف. انظر: النهاية (٢/ ٣٢٧).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٤/ ٢٨٠)، الطبقات الكبرى، لابن سعد (٢/ ٣١٥).



صلاته متيممًا بالناس لما أجنب

روى الإمام أحمد في «مسنده» وأبو داود والحاكم وابن حبان عن عمرو بن العاص ﵁ قال: احتلمتُ في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل، فأشفقتُ إن اغتسلت أن أَهْلِك، فتيمَّمتُ[(١)] ثم صليتُ بأصحابي الصبحَ، فذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال: «**يا عمرو، صليتَ بأصحابك وأنت جُنُب؟!**»، فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال، وقلت: إني سمعتُ الله يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۝٢٩﴾ [النساء: ٢٩][(٢)]، فضحك رسول الله ﷺ ولم يَقُل شيئًا[(٣)].



منعُهم من إشعالِ النار ومتابعةِ العدو

روى ابن حبان في «صحيحه» بسند صحيح عن عمرو بن العاص ﵁، قال: إن رسول الله ﷺ بعثه في ذات السلاسل، فسأله أصحابه أن يُوقدوا نارًا، فمنعهم، فكلموا أبا بكر ﵁، فكَلَّمه في ذلك، فقال: لا يُوقِد أحد منهم نارًا إلا قذفتُه فيها، قال: فلَقُوا العدو فهزموهم، فأرادوا أن يَتْبَعوهم

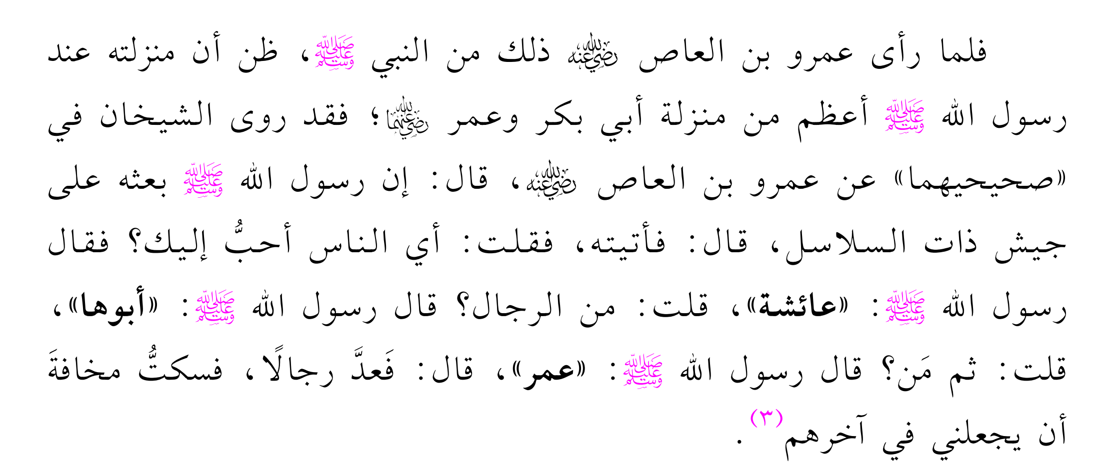
---

(١) في رواية ابن حبان: فغسل مغابِنَه، وتوضأ وضوءه للصلاة.
المغابن: هي بواطن الأفخاذ. انظر: النهاية (٣/ ٣٠٨).
قال الإمام ابن القيم في زاد المعاد (٣/ ٤٧٠): وكأن هذه الرواية أقوى من رواية التيمم.

(٢) زاد ابن حبان في صحيحه: ولو اغتسلتُ مُتُّ.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٧٨١٢)، وأبو داود في سننه، رقم الحديث (٣٣٤)، والحاكم في مستدركه، رقم الحديث (٦٣٩)، وابن حبان في صحيحه، رقم الحديث (١٣١٥)، وعلقه الإمام البخاري في صحيحه مختصرًا، قبل الحديث رقم (٣٤٥)، وذكر الحافظ في الفتح (١/ ٦٠٣) مَن وصله والاختلافَ في إسناده، وختم كلامه: إسناده قوي، وأورد طرقه الألباني في تحقيقه لسنن أبي داود (٢/ ١٥٤) وقال: حديث صحيح، وصححه الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيقه للمسند (٢٩/ ٣٤٧)، ولصحيح ابن حبان (٤/ ١٤٣).

فمنعهم، فلما انصرف ذلك الجيش، ذكروا للنبي ﷺ، وشكَوه إليه، فقال ﵁ للنبي ﷺ: يا رسول الله، إني كرهتُ أن آذن لهم أن يوُقِدوا نارًا، فيرى عدوُّهم قلَّتَهم، وكَرِهتُ أن يَتْبَعوهم، فيكون لهم مدد فيعطِفوا[١] عليهم؛ فحَمِدَ رسولُ الله ﷺ أمْرَه[٢].



مَن أحبُّ الناس إلى النبي ﷺ

فلما رأى عمرو بن العاص ﵁ ذلك من النبي ﷺ، ظن أن منزلته عند رسول الله ﷺ أعظم من منزلة أبي بكر وعمر ﵄؛ فقد روى الشيخان في «صحيحيهما» عن عمرو بن العاص ﵁، قال: إن رسول الله ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل، قال: فأتيته، فقلت: أي الناس أحبُّ إليك؟ فقال رسول الله ﷺ: «**عائشة**»، قلت: من الرجال؟ قال رسول الله ﷺ: «**أبوها**»، قلت: ثم مَن؟ قال رسول الله ﷺ: «**عمر**»، قال: فَعدَّ رجالًا، فسكتُّ مخافةَ أن يجعلني في آخرهم[٣].

زاد ابن حبان في «صحيحه» بإسناد صحيح ـ بعد ذكر عمر ﵁ ـ قال عمرو بن العاص ﵁، قلت: ثم مَن؟ قال رسول الله ﷺ: «**أبو عبيدة بن الجراح**»[٤].

قال الحافظ في «الفتح»: وهذا[٥] يمكن أن يُفسِّرَ بعضَ الرجال الذي

---

(١) **عطف عليه**: رجع. انظر: لسان العرب (٧/ ٢٦٨).

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه، رقم الحديث (٤٥٤٠).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٣٥٨) (٣٦٦٢)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٣٨٤).

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه، رقم الحديث (٦٩٩٨).

(٥) يعني: ذِكْرَ أبي عبيدة بن الجراح ﵁.

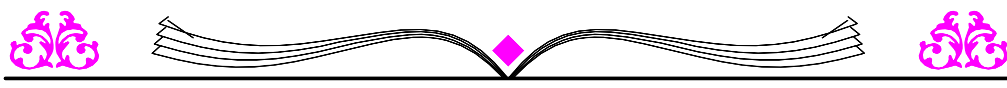
أُبهِموا في حديث الباب[١].

وقال الإمام النووي: هذا تصريح بعظيم فضائل أبي بكر وعمر وعائشة رضي الله عنهم، وفيه دلالة بينة لأهل السُّنَّة في تفضيل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما على جميع الصحابة رضي الله عنهم[٢].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: فتح الباري (٧/ ٣٧٧).

(٢) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١٥/ ١٢٥).



الفتح الأعظم؛ فَتحُ مكَّةَ شرَّفها الله

قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحديد: ١٠].

قال الحافظ ابن كثير: الجمهور على أن المراد بالفتح هاهنا: فتح مكة[١].

وقال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾﴾ [النصر: ١].

قال الحافظ ابن كثير: المراد بالفتح هاهنا: فتح مكة، قولًا واحدًا[٢].

تاريخ الفتح الأعظم

غزا رسول الله ﷺ مكة في رمضان سنة ثمانٍ للهجرة بلا خلاف؛ فقد روى الشيخان في «صحيحيهما» ـ واللفظ للبخاري ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: إنَّ رسول الله ﷺ غزا غزوةَ الفتح في رمضان[٣].

وقال الحافظ في «الفتح»: والذي اتفق عليه أهل السِّيَر[٤] أن

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ١٢).

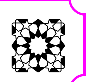
(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٥١٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٢٧٥)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١١١٣) (٨٨).

(٤) انظر: سيرة ابن هشام (٤/ ٤٨)، الطبقات الكبرى، لابن سعد (٢/ ٣١٦) وغيرهما.

رسول الله ﷺ خرج في عاشر رمضان، ودخل مكة لتسعَ عَشرةَ[(١)] ليلةً خَلَت منه[(٢)].

سبب الفتح الأعظم



نَقْضُ قُرَيشٍ وبني بكر بندًا من بنود صلح الحُدَيبيَة؛ فقد روى ابن حبان في «صحيحه» بسند حسن عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: كانت خُزاعةُ حلفاءَ لرسول الله ﷺ، وكانت بنو بكر ـ رهط من بني كنانة ـ حُلفاءَ لأبي سفيان،

---

(١) **قلت**: وقع اختلاف في تاريخ خروج النبي ﷺ من المدينة، وتاريخ الفتح على النحو التالي:

* روى الإمام أحمد في مسنده بسند صحيح، رقم الحديث (١١٨٢٦) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله ﷺ بالرحيل عام الفتح في ليلتين خلتا من رمضان، فخرجنا صُوَّامًا.

* وروى الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١١١٣) (٨٨) عن الزُّهري، قال: صَبَّح رسولُ الله ﷺ مكة لثلاثَ عشرة ليلةً خلت من رمضان.

* قال الحافظ في الفتح (٨/ ٣١٤): وهذا، يعني قول أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، يدفع التردد ويُعيِّن يوم الخروج، وقولُ الزُّهري يُعيِّن يوم الدخول، ويُعطي أنه ﷺ أقام في الطريق اثني عشر يومًا، وأما ما قال الواقدي: إنه خرج لعشرة خَلَون من رمضان، فليس بقويٍّ؛ لمخالفته ما هو أصح منه، وفي تعيين هذا التاريخ أقوال أخرى؛ منها:

* عند مسلم، رقم الحديث (١١١٦) (٩٣): لِستَّ عشرةَ.

* ولأحمد، في مسنده، رقم الحديث (١١٨٧٠): لثماني عشرة.

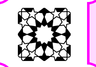
* وفي أخرى، في المسند، رقم الحديث (١١٤١٣): لثنتي عشرة.

والجمع بين هاتين بحمل إحداهما على ما مضى، والأخرى على ما بقي، والذي في المغازي: دخل لتسع عشرة مضت، وهو محمول على الاختلاف في أول الشهر، ووقع في أخرى، في المسند، رقم الحديث (١١٦٨٤) بالشك في تسع عشرة أو سبع عشرة، وروى يعقوب بن سفيان من رواية ابن إسحاق عن جماعة من مشايخه أن الفتح كان في عشر بقين من رمضان، فإن ثبت حُمِلَ على أن مراده أنه وقع في العشرة الأواسط، قبل أن تدخل العَشرة الأخيرة.

(٢) انظر: فتح الباري (٤/ ٦٩١).

قال: وكانت بينهم موادعة أيام الحُديبيَة، فأغارت بنو بكر على خُزاعة في تلك المدة[١]، فبعثوا إلى رسول الله ﷺ يستمدونه؛ فخرج رسول الله ﷺ ممدًّا لهم في شهر رمضان[٢].

وروى ابن إسحاق في «السِّيرة» والبيهقي في «دلائل النبوة» بسند حسن عن مروان بن الحكم والمِسوَر بن مَخرَمةَ، قالا: كان في صُلح رسول الله ﷺ يوم الحُدَيبيَة بينه وبين قريش أنه مَن شاء يدخُلُ في عَقْد محمد وعَهْده دخل، ومَن شاء أن يدخُلَ في عَقْد قريش وعَهْدهم دخل، فتواثبت خُزاعةُ، فقالوا: نحن ندخل في عقد محمد ﷺ وعهده، وتواثبت بنو بكر، فقالوا: نحن ندخل في عقد قريش وعهدهم، فمكثوا في تلك الهُدنة نحو السبعة والثمانية عشر شهرًا، ثم إن بني بكر ـ الذين كانوا دخلوا في عَقد قريش وعهدهم ـ وثبوا على خزاعةَ ـ الذين دخلوا في عَقد رسول الله ﷺ وعهده ـ ليلًا بماءٍ لهم، يُقال له: الوتيرُ، قريبٌ من مكة، فقالت قريشٌ: ما يعلم بنا محمد، وهذا الليل، وما يرانا أحد، فأعانوهم عليهم بالكُراع[٣] والسِّلاح، فقاتلوهم معهم؛ للضِّغْنِ[٤] على رسول الله ﷺ[٥].



وصول الخبر إلى النبي ﷺ

فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعةَ، وأصابوا منهم ما أصابوا،

---

(١) يعني: مدة سريان صُلح الحُديبية.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه، رقم الحديث (٥٩٩٦).

(٣) **الكُراع**، بضم الكاف: اسم لجميع الخيل. انظر: النهاية (٤/ ١٤٣).

(٤) **الضِّغْن**: الحِقد والعداوة والبغضاء. انظر: النهاية (٣/ ٨٤).

(٥) أخرجه ابن إسحاق في السيرة (٤/ ٣٨)، والبيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٦)، وأورده الحافظ في الفتح (٨/ ٣١١) وحسَّن إسناده.

ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد والميثاق بما استحلوا من خزاعة، وكان في عقده وعهده؛ خرج عمرو بن سالم الخُزاعي حتى قدم على رسول الله ﷺ بالمدينة، وكان ذلك مما هاج فتحَ مكة، فوقف عليه وهو جالس في المسجد بين ظهرانَي الناس، فقال:

يَا رَبِّ إنِّي نَاشِدٌ مُحَمَّدَا ... حِلْفَ أَبِينَا وَأَبِيهِ الْأَتْلَدَا[١]

قَدْ كُنْتُمْ وُلْدًا وَكُنَّا وَالِدَا[٢] ... ثُمَّتَ أَسْلَمْنَا فَلَمْ نَنْزِعْ يَدَا

فَانْصُرْ هَدَاكَ اللَّهُ نَصْرًا أَعْتَدَا[٣] ... وَادْعُ عِبَادَ اللَّهِ يَأْتُوا مَدَدَا

فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ تَجَرَّدَا ... إنْ سِيمَ خَسْفًا وَجْهُهُ تَرَبَّدَا

فِي فَيْلَقٍ كَالْبَحْرِ يَجْرِي مُزْبِدَا ... إنَّ قُرَيْشًا أَخْلَفُوكَ الْمَوْعِدَا

وَنَقَضُوا مِيثَاقَكَ الْمُؤَكَّدَا ... وَجَعَلُوا لِي فِي كَدَاءٍ رُصَّدَا

وَزَعَمُوا أَنْ لَسْتُ أَدْعُو أَحَدَا ... وَهُمْ أَذَلُّ وَأَقَلُّ عَدَدَا

هُمْ بَيَّتُونَا بِالْوَتِيرِ هُجَّدَا ... وَقَتَلُونَا رُكَّعًا وَسُجَّدَا

فقال رسول الله ﷺ: «**نُصِرْتَ يا عمرُو بنَ سالم!**»[٤].

ثم أرسل رسول الله ﷺ إلى قريش بأن يتبرؤوا من بني بكر، أو يَدُوا[٥] قتلى خزاعة، أو يَأذَنَهم بحرب؛ فقد روى مُسَدَّد في «مسنده» بسند مرسل صحيح عن محمد بن عَبَّاد بن جعفر، قال: بعث رسول الله ﷺ إلى قريش: «**أمَّا بعدُ؛ فإنكم إن تَبْرؤوا من حِلف بني بكر، أو تَدُوا خزاعة، وإلا أُوذِنكم**

---

(١) **الأتلدا**: القديم. انظر: النهاية (١/ ١٨٩).

(٢) قال السُّهيلي في الروض الأُنُف (٤/ ١٤٦): يريد أن بني عبد مناف أمُّهم من خزاعة، وكذلك قُصَيٌّ، أمُّه فاطمة بنت سعد الخزاعية، والوُلْدُ بمعنى: الوَلَد.

(٣) **أعتدا**: أي: حاضرًا. انظر: لسان العرب (٩/ ٣١).

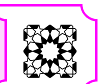
(٤) أخرج ذلك ابن إسحاق في السيرة (٤/ ٤٢)، والبيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٦، ٧)، وأورده الحافظ في الفتح (٨/ ٣١١) وحسن إسناده.

(٥) أي: يدفعوا دِيَةَ القتلى من خُزاعة.

بحرب»، فقال قُرظةُ بن عبدِ عمرِو بن نَوفَل بن عبد مَنافٍ؛ صهرُ معاوية: إنَّ بني بكر قوم مشائيم، فلا نَدِي ما قَتَلوا؛ لا يبقى لنا سَبَد ولا لَبَد[١]، ولا نبرأُ من حِلْفِهم؛ فلم يبقَ على ديننا أحد غيرهم، ولكِنَّا نؤذِنُه بحربٍ[٢].

تهَيُّؤ النبي ﷺ لغزو مكة وكتمانه الأمر

شرع رسول الله ﷺ في الجَهَاز[٣] بغزو مكة ـ شرَّفها الله ـ، وسأل الله ﷻ أن يُعَمِّيَ على قريش الأخبار؛ فاستجاب له ربه ﷻ، وأمر رسول الله ﷺ الناس بالجَهازِ، ولم يذكر لهم الجهةَ التي يريدها، إلا لكبار الصحابة ﭫ، وأرسل إلى القبائل أن يتجهزوا معه؛ فاجتمع لرسول الله ﷺ عشرة آلاف مقاتل، كما سيأتي.



كتاب حاطب بن أبي بلتعة ﷺ إلى أهل مكة

وكتب حاطب بن أبي بلتعة ﷺ كتابًا إلى أهل مكة يُعلِمُهم فيه بما هَمَّ به رسول الله ﷺ من العزم على قتالهم؛ فقد روى الشيخان في «صحيحيهما» عن علي بن أبي طالب ﷺ، قال: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزُّبير والمِقداد[٤]،

---

(١) أي: لا قليل ولا كثير.

(٢) ذكره الحافظ في الفتح (٨/ ٣١٧)، وفي المطالب العالية، رقم الحديث (٤٣٠٠)، وعزاه لمسَدَّد في مسنده، وقال: هذا مرسلٌ صحيح الإسناد.

(٣) **تجهيز الغازي**: إعداد ما يحتاج إليه في غَزْوِه. انظر: النهاية (١/ ٣١٠).

(٤) في رواية أخرى في صحيح البخاري، رقم الحديث (٣٩٨٣): أبو مَرثَد الغَنوي ﷺ بدل المقداد ﷺ.

* قال الحافظ في الفتح (٨/ ٣١٢): يُحتمل أن يكون الثلاثة كانوا معه؛ فذكر أحد الراوينَ عنه ما لم يذكره الآخر، ولم يذكر ابن إسحاق في السيرة (٤/ ٤٧) مع علي والزبير ﭭ أحدًا، وساق الخبر بالتثنية، قال: فخرجا حتى أدركاها فاستنزلاها... إلخ، فالذي يظهر =

فقال: «**انطلقوا حتى تأتوا روضةَ خاخٍ**(١)**؛ فإنَّ بها ظعينةً**(٢) **معها كتاب**(٣)، **فخذوا منها**»، قال: فانطلقنا تَعادى بنا خيلُنا حتى أتينا الروضةَ، فإذا نحن بالظعينة، فقلنا لها: أَخرجي الكتابَ، قالت: ما معي كتاب، فقلنا: لتُخرِجِنَّ الكتابَ أو لنُلقِيَنَّ(٤) الثيابَ، قال: فأخرجَتْه من عِقاصِها(٥)، فأتينا به(٦) رسولَ الله ﷺ، فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس بمكة من

= أنه كان مع كل منهما آخَرُ تبعًا له.

(١) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٦/ ٤٦): **روضة خاخ**: هي بخاءين معجمتين، هذا هو الصواب الذي قاله العلماء كافةً في جميع الطوائف، وفي جميع الروايات والكتب، ووقع في البخاري، رقم الحديث (٦٩٣٩) من رواية أبي عَوانة: حاج: بحاءَ مهملة والجيم، واتفق العلماء على أنه من غلط أبي عَوانة، وإنما اشتبه عليه بذات حاج: بالمهملة والجيم، وهي موضع بين المدينة والشام على طريق الحجيج، وأما روضة خاخ فبين مكَّةَ والمدينة بقرب المدينة.

(٢) قال ابن الأثير في جامع الأصول (٨/ ٣٦١): **الظعينة** في الأصل: المرأة ما دامت في الهودَج، ثم جُعِلَت المرأة إذا سافرت ظعينةً، ثم نُقِلَ إلى المرأة نفسها، سافرت أو أقامت، وظَعَنَ يَظعَن: إذا سافر.

(٣) في رواية أخرى في صحيح البخاري، رقم الحديث (٦٢٥٩) (٦٩٣٩): صحيفة.

(٤) في رواية أخرى في صحيح البخاري، رقم الحديث (٣٠٨١) (٦٩٣٩): لأُجرِّدَنَّك.
قال الحافظ في الفتح (١٤/ ٣١٦): أي: أنزع ثيابك حتى تصيري عريانة.

(٥) قال ابن الأثير في جامع الأصول (٨/ ٣٦١): **العِقاص**: جمع عَقْصة أو عقيصة، وهي الضفيرة من الشَّعْر إذا لُوِيَت وجُعِلَت مثل الرمَّانة، أو لم تُلْوَ، والمعنى: أخرَجَت الكتابَ من ضفائِرِها المعقوصة.
وفي رواية أخرى في صحيح البخاري، رقم الحديث (٣٠٨١): حُجزتها.
قال الحافظ في الفتح (٦/ ٣٠٩): **الحُجْزةُ**، بضم المهملة، وسكون الجيم، بعدها زاي: مَعقِد الإزار والسراويل، والجمع بينهما بأن تكون عقيصتها طويلة بحيث تصل إلى حُجْزَتها، فربطته في عقيصتها وغرزته بحُجزتها.

(٦) أي: الكتاب.
وفي لفظ آخر في صحيح البخاري، رقم الحديث (٦٩٣٩): فأتَوا بها.
قال الحافظ في الفتح (١٤/ ٣١٧): أي: الصحيفة.

المشركين يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**يا حاطب ما هذا؟!**» قال رضي الله عنه: يا رسول الله، لا تعجَلْ عليَّ؛ إني كُنتُ امرأً مُلصَقًا في قريش ـ يقول: كنتُ حليفًا ولم أكن من أنفُسِها ـ وكان مَن معك من المهاجرين مَن لهم بها قرابات يحمون أهليهم وأموالهم، فأحببتُ إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذَ عندهم يدًا يحمون قرابتي، ولم أفعله ارتدادًا عن ديني، ولا رضًا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «**أمَا إنه قد صدَقَكم**»، فقال عمر رضي الله عنه: **يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق!** فقال رسول الله ﷺ: «**إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله اطَّلع على مَن شهد بدرًا، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم؟!**»[(١)]، فأنزل الله ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ إلى قوله: ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝١﴾ [الممتحنة: ١][(٢)].

قال الحافظ ابن كثير: فأطلع الله رسوله ﷺ على ذلك؛ استجابة لدعائه[(٣)].

---

(١) قال الحافظ في الفتح (٩/٦٢٦): أي: ذنوبكم تقع مغفورة، لا أن المراد أنه لا يصدر منهم ذنب، وقد شهد مِسطَح رضي الله عنه بدرًا، ووقع في حق عائشة رضي الله عنها، فكأن الله لكرامتهم عليه بَشَّرهم على لسان نبيّه ﷺ أنهم مغفور لهم ولو وقع منهم ما وقع.

* وقال الإمام ابن القيم في زاد المعاد (٣/٥١٨): وفيها: أن الكبيرة العظيمة مما دون الشرك قد تُكفَّر بالحسنة الكبيرة الماحية، كما وقع الجَسُّ من حاطب مكفَّرًا بشهوده بدرًا؛ فإن ما اشتملت عليه هذه الحسنة العظيمة من المصلحة، وتضمَّنته من محبة الله لها ورضاه بها، وفرحه بها ومباهاته لملائكته بفاعلها: أعظم مما اشتملت عليه سيئة الجَسِّ من المفسدة، وتضمَّنته من بغض الله لها؛ فغَلَب الأقوى على الأضعف، فأزال وأبطل مقتضاه.

(٢) قال الإمام القرطبي في تفسيره (٢٠/٣٩٨): السورة أصل في النهي عن موالاة الكفار.
والحديث أخرجه: البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٢٧٤)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٤٩٤) (١٦١).

(٣) وذلك عندما دعا رسول الله ﷺ الله ﷻ أن يأخذ العيون والأخبار عن قريش حتى يبغتها. وانظر: كلام الحافظ ابن كثير في تفسيره (٨/ ٨٢).

خروج النبي ﷺ من المدينة وإفطاره

اختلف الرواة في ضبط اليوم الذي خرج فيه رسول الله ﷺ من المدينة ـ كما تقدم ـ والذي اتفق عليه أهل السِّيَر أنه خرج لعشر مضين من رمضان، ودخل مكة لتسع عشرة ليلة خلت منه.

قال الإمام النووي: المشهور في كتب المغازي أن النبي ﷺ خرج في غزوة الفتح من المدينة لعشر خلون من رمضان، ودخلها لتسع عشرة خلت منه[١].

خرج رسول الله ﷺ من المدينة النَّبَوية ومعه عشرة آلاف مقاتل، واستخلف رسولُ الله ﷺ على المدينة أبا رُهْم[٢] كلثومَ بن الحُصين الغِفاري رضي الله عنه، وصام ذلك اليوم، وصام الناس معه، حتى إذا بلغ الكَدِيد[٣] ـ وهو ماء بين عُسفان وقُديد ـ أفطر وأفطر الناسُ معه.

روى الإمام أحمد في «مسنده» والحاكم في «المستدرك» وابن إسحاق في السِّيرة بسند حسن ـ واللفظ للحاكم ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: مضى رسول الله ﷺ وأصحابه عام الفتح[٤] حتى نزل مَرَّ الظَّهران في عشرة آلاف من المسلمين، فسَبَّعت[٥] سُليم، وأَلَّفت[٦] مُزينة، وفي كل القبائل عدد وإسلام، وأوعب[٧] مع رسول الله ﷺ المهاجرون والأنصار، فلم يتخلف عنه

---

(١) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (٧/ ٢٠١).

(٢) **أبا رُهْم**: هو بضم الراء وسكون الهاء.

(٣) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٧/ ١٩٨): **الكَديد**، بفتح الكاف، وكسر الدال المهملة: هي عين جارية، بينها وبين المدينة سبع مراحل أو نحوها.

(٤) زاد ابن إسحاق: واستخلف على المدينة أبا رُهْم؛ كلثوم بن حصين الغفاري رضي الله عنه.

(٥) يعني: بلغت السبعمائة. (٦) يعني: بلغت الألف.

(٧) **أوعب القوم**: إذا خرجوا كلهم إلى الغزو. انظر: لسان العرب (١٥/ ٣٤٠).

منهم أحد، وقد عُمِّيَت الأخبار على قريش، فلا يأتيهم خبر رسول الله ﷺ، ولا يدرون ما هو صانع[١].

وروى الشيخان في «صحيحيهما» ـ واللفظ للبخاري ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: إن النبي ﷺ خرج في رمضان من المدينة، ومعه عشرة آلاف، وذلك على رأس ثمانِ سنين ونصف[٢] من مَقْدَمِه المدينة، فسار هو ومَن معه من المسلمين إلى مكة، يصوم ويصومون حتى بلغ الكَديد ـ وهو ماء بين عُسْفانَ[٣] وقُدَيدٍ[٤] ـ أفطر وأفطروا[٥].

وروى الإمام مسلم في «صحيحه» وأبو داود في «سُننه» ـ واللفظ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٣٩٢)، والحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٤٤٠٧)، وابن إسحاق في السيرة (٤/ ٤٨)، وأورد طرقه الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم الحديث (٣٣٤١) وختم قوله: وبالجملة؛ فالحديث صحيح بهذه الطرق والشواهد، وهو أصح وأتم ما وقفتُ عليه مسندًا في قصة فتح مكة حرسها الله.

(٢) قال الحافظ في الفتح (٨/ ٣١٥): هكذا وقع في رواية مَعمَر، وهو وَهْم، والصواب على رأس سبع سنين ونصف، وإنما وقع الوهم من كون غزوة الفتح كانت في سنة ثمانٍ، ومن أثناء ربيع الأول إلى أثناء رمضان نصف سنة سواء؛ فالتحرير أنها سبع سنين ونصف.

(٣) قال الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات (٣/ ٤٤٣): **عُسْفَان**، بعين مضمومة ثم سين ساكنة مهملتين: قرية جامعة، وهي بين مكة والمدينة على نحو مرحلتين من مكة.

(٤) **قُدَيد**: مصغرًا، وهو موضع بين مكة والمدينة. انظر: النهاية (٤/ ٢٠).

* **قلت**: اختلفت الروايات في الموضع الذي أفطر فيه النبي ﷺ، وجمع بين ذلك القاضي عياض فيما نقله عنه الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٧/ ١٩٩) قال: وهذا كله في سفر واحد في غزوة الفتح، وسُميت هذه المواضع في هذه الأحاديث لتقاربها، وإن كانت عُسْفَان متباعدةً شيئًا عن هذه المواضع، لكنها كلها مضافة إليها ومن عملها؛ فاشتمل اسم عُسْفَان عليها.

* قال الإمام النووي معلقًا عليه: هذا كلام القاضي، وهو كما قال.

(٥) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٢٧٦)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١١١٣) (٨٨).

لأبي داود ـ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في رمضان عام الفتح، فكان رسول الله ﷺ يصوم ونصوم، حتى بلغ منزلًا من المنازل، فقال: «**إنكم قد دنوتم من عدوكم، والفطر أقوى لكم**»، فأصبحنا منا الصائم ومنا المفطِر، ثم سِرْنا فنزلنا منزلًا، فقال رسول الله ﷺ: «**إنكم تُصبِّحون عدوكم والفطر أقوى لكم؛ فأفطروا**»، فكانت عزيمةً من النبي ﷺ[(١)].

إسلام أبي سفيان بن الحارث وعبد الله بن أبي أمية

أكمل رسول الله ﷺ طريقه إلى مكة، فلما وصل إلى نِيقِ العُقاب ـ بين مكة والمدينة ـ لقيه ابن عمه وأخوه من الرضاعة: أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطَّلب، وابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب، وأخو أم سلمة زوج النبي ﷺ لأبيها: عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة؛ مُسلمين؛ فقد روى الحاكم في «مستدركه» وابن إسحاق في «السِّيرة» بسند حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة؛ قد لقيا رسول الله ﷺ بنِيقِ العُقَاب فيما بين مكة والمدينة، فالتمسا الدخول عليه، فكلمته أم سلمة فيهما، فقالت: يا رسول الله، ابن عمك وابن عمتك وصِهرك، قال رسول الله ﷺ: «**لا حاجة لي بهما، أما ابن عمي فهَتَك عِرْضي**[(٢)]**، وأما ابن عمتي وصهري فهو الذي**

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١١٢٠)، وأبو داود في سُننه، رقم الحديث (٦٤٠٦).

(٢) قال الحاكم في مستدركه (٥/ ٣٣٥): أبو سفيان بن الحارث أخو النبي ﷺ من الرضاعة؛ أرضعتهما حليمة، وابن عمه، ثم عامل النبي ﷺ بمعاملات قبيحة، وهجاه غير مرة، حتى أجابه حسان بن ثابت رضي الله عنه بقصيدته التي يقول فيها:

هجوتَ محمدًا وأجبتُ عنه … وعند اللَّه في ذاك الجزاءُ

قال لي بمكة ما قال»[(١)]، قال: فلما خرج الخبر إليهما بذلك، ومع أبي سفيان بُنيٌّ له، فقال: والله لَيأذَنَّ لي أو لآخذُنَّ بيدي بُنيَّ هذا، ثم لنذهَبَنَّ في الأرض حتى نموتَ عَطَشًا وجوعًا! فلما بلغ ذلك رسولَ الله ﷺ رَقَّ لهما، ثم أذِن لهما، فدخلا عليه فأسلما[(٢)].

هجرة العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه بعياله

ولما بلغ رسولُ الله ﷺ الجُحفةَ لقيه عمُّه العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه مهاجرًا بعياله[(٣)]، وهو آخِرُ مَن هاجر إلى المدينة؛ لأن فتح مكة وقع بعد هجرتهم، ولا هجرة بعد الفتح، كما قال المعصوم ﷺ[(٤)].

قال الإمام الذهبي: لم يزل العباس رضي الله عنه مُشفقًا على النبي ﷺ، محبًّا له، صابرًا على الأذى، ولَمَّا يُسلِمْ بعدُ، بحيث إنه ليلةَ العقبة عَرَف، وقام مع ابن أخيه ﷺ في الليل، وتوثَّق له من السبعين، ثم خرج إلى بدر مع قومه مُكرَهًا، فأُسِرَ، فأبدى لهم أنه كان أسلم، ثم رجع إلى مكة، فما أدري لماذا أقام بها، ثم لا ذِكْرَ له يوم أُحُد، ولا يوم الخندق، ولا خرج مع أبي سفيان، ولا قالت له قريش في ذلك شيئًا ـ فيما علمتُ ـ ثم جاء إلى

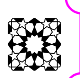
(١) قال، كما في سيرة ابن هشام (١/ ٣٣٥): والله لا أُؤمن بك أبدًا حتى تتخذ إلى السماء سُلَّمًا، ثم ترقى فيه وأنا أنظر إليك حتى تأتيَها، ثم تأتي معك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول، وأيم الله لو فعلتَ ذلك ما ظننتُ أني أُصدِّقُك!

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٤٤٠٧)، وابن إسحاق في السيرة (١/ ٣٣٥)، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم الحديث (٣٣٤١) وصححه.

(٣) أخرج هجرة العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه بعياله، ولقاءه بالنبي ﷺ في الطريق: ابن إسحاق في السيرة (٤/ ٤٨) بإسناد حسن، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم الحديث (٣٣٤١) وصححه.

(٤) أخرج حديث: «**لا هجرة بعد الفتح**»: البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٢٧٨٣) (٢٨٢٥)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٣٥٣) واللفظ للبخاري.

النبي ﷺ مهاجرًا قُبيل فتح مكة، فلم يتحرر لنا قدومُه(١).



تحسُّس(٢) قريش الأخبار وإسلام أبي سفيان

وانقطعت أخبار النبي ﷺ عن قريش، وقد عَمَّى الله عليهم الخبر، فخرج في تلك الليلة ـ التي نزل فيها رسول الله ﷺ وجيشه مَرَّ الظهران ـ أبو سفيان بن حرب سيد مكة، وحكيم بن حِزام، وبُديل بن ورقاء الخُزاعي، يتحسسون الأخبار؛ فقد روى إسحاق بن راهويه في «مسنده»، وابن إسحاق في «السِّيرة»؛ بسند حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال العباس بن عبد المطلب لما رأى جيش النبي ﷺ: واصَباحَ قُرَيشٍ، والله لئن دخل رسول الله ﷺ مكة عَنوةً ليكونَنَّ هلاكُهم إلى آخر الدهر، فركبتُ بغلةَ رسول الله ﷺ البيضاء حتى جئت الأراك(٣)؛ رجاءَ أن ألتمس بعض الحطَّابة، أو صاحِبَ لبن، أو ذا حاجة يأتي مكة، فيخبرهم بأمر رسول الله ﷺ فيخرجوا إليه، فوالله إني لأسير ألتمس ما جئت له، إذ سمعتُ كلام أبي سفيان وبُدَيل بن ورقاء، وهما يتراجعان، فقال أبو سفيان: والله ما رأيتُ كالليلة نيرانًا ولا عسكرًا! فقال بُديل: هذه ـ وَاللهِ ـ خزاعةُ، قد خمشَتْها(٤) الحرب، فقال أبو سفيان: خزاعةُ ـ وَاللهِ ـ أقلُّ وأذل من أن تكون هذه نيرانها! فعرف العباس صوت أبي سفيان، فقال: يا أبا حنظلة(٥) فعرف

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٩٦).

(٢) **التحَسُّس**: طلب معرفة الأخبار. انظر: النهاية (١/ ٢٦٣).
ومنه قوله تعالى في سورة يوسف، آية (٨٧): ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾.

(٣) قال الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات (٣/ ١٣): **الأَراك**، هو بفتح الهمزة: وهو شجر معروف من الحَمْض.

(٤) **خمشَتْها**: ألهبَتْها. انظر: لسان العرب (٣/ ٣٢٥).

(٥) هي: كنية أبي سفيان بن حرب سيد مكة رضي الله عنه.

صوتي، فقال: أبو الفضل[١]؟

قلت: نعم، قال: ما لك؟ فداك أبي وأمي! قلت: هذا ـ والله ـ رسول الله ﷺ في الناس، واصباحَ قُرَيشٍ! قال: فما الحيلة، فداك أبي وأمي؟! قلت: والله لئن ظفر بك ليضربَنَّ عنقك، فاركب عَجُزَ[٢] هذه البغلة، فركب ورجع صاحباه[٣]، فخرجت به، فكلما مررتُ بنار من نيران المسلمين، قالوا: ما هذا؟

فإذا رأوا بغلة رسول الله ﷺ، قالوا: هذه بغلة رسول الله ﷺ عليها عمه، حتى مررتُ بنار عمر بن الخطاب، فقال: مَن هذا؟ وقام إليَّ، فلما رآه[٤] على عَجُزِ البغلة عرفه، فقال: والله[٥] عَدُو الله، الحمد لله الذي أمكن منك، فخرج يشتدُّ[٦] نحو رسول الله ﷺ، ودفعتُ البغلة[٧] فسبقته بقَدْرِ ما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء، فاقتحمتُ[٨] عن البغلة، فدخلت على رسول الله ﷺ ودخل عمر، فقال عمر رضي الله عنه: هذا عدو الله أبو سفيان قد أمكن الله منه في غير عقد ولا عهد، فدعني أضرب عنقه، فقلت: قد أجَرْتُه يا رسول الله، ثم جلستُ إلى النبي ﷺ فأخذتُ برأسه، فقلت: والله لا يُناجيه الليلةَ رجل دوني، فلما أكثر عمر، قلت: مهلًا يا عمر، فوالله لو كان رجلًا من بني عَدي[٩] ما قلتَ هذا، ولكنه من بني عبد مَنافٍ! فقال

---

(١) هي: كنية العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عم رسول الله ﷺ.
(٢) **العَجُز**: مؤخر الشيء. انظر: النهاية (٣/ ١٦٨).
(٣) هما: بُدَيل بن ورقاء، وحكيم بن حزام رضي الله عنهما.
(٤) رأى أبا سفيان رضي الله عنه.
(٥) في رواية ابن إسحاق: أبو سفيان.
(٦) يعني: عمر رضي الله عنه.
(٧) وهذا من فطنة العباس رضي الله عنه؛ لأنه قد يأذن النبي ﷺ لعمر بقتل أبي سفيان قبل أن يُجيره العباس كما سيأتي.
(٨) أي: رمى بنفسه عن البغلة. انظر: لسان العرب (١١/ ٤٨).
(٩) بنو عَدي: قوم عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

عمر رضي الله عنه: مهلًا يا عباس، لا تقل هذا فوالله لإسلامُك حين أسلمتَ كان أحبَّ إليَّ من إسلام أبي الخطَّابِ لو أسلم؛ وذلك أني عرفت أن إسلامك أحب إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطَّابِ! فقال رسول الله ﷺ: «**يا عباس، اذهب به**[(١)] **إلى رَحْلِك، فإذا أصبحت فأْتِنا به**»، قال: فذهبت به، فلما أصبحتُ غدوتُ به[(٢)]، فلما رآه رسول الله ﷺ، قال: «**يا أبا سفيان، ألم يأنِ لك أن تعلم أنْ لا إلٰه إلا الله؟**» فقال: بأبي وأمي، ما أحلَمَك! وما أكرَمَك وأوصَلَك وأعظَمَ عَفْوَك! لقد كاد أن يقع في نفسي أنْ لو كان إلٰهٌ غيره لقد أغنى شيئًا بعدُ، فقال رسول الله ﷺ: «**ويحك يا أبا سفيان! ألم يأنِ لك أن تعلم أني رسول الله؟**» فقال أبو سفيان: بأبي وأمي، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك وأعظم عَفْوَك! أما هذه فإنَّ في النفس منها حتى الآن شيئًا! فقال العباس: ويلَكَ أسلِمْ، واشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأن محمدًا رسول الله قبل أن يُضرَب عنقك، فشهد أن لا إلٰه الا الله، وأن محمدًا رسول الله، فقال العباس للنبي ﷺ: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل يُحب الفخر، فاجعل له شيئًا، فقال رسول الله ﷺ: «**نعم، مَن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومَن أغلق بابه فهو آمن**»،

ثم انصرف أبو سفيان ليُخبر أهل مكة ما رأى، فقال رسول الله ﷺ للعباس رضي الله عنه: «**احبِسْه**[(٣)] **بمَضيقٍ من الوادي عند حَطْمِ الخَيلِ**[(٤)]؛ **حتى تمر**

---

(١) أي: بأبي سفيان رضي الله عنه.

(٢) أي: بأبي سفيان رضي الله عنه.

(٣) أي: أبا سفيان رضي الله عنه.

(٤) هكذا وقع في رواية إسحاق بن راهويه في مسنده، وهي رواية الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٢٨٠)، ووقع في سيرة ابن هشام (٤/ ٥٢): «خَطْم الجبل».

* قال الإمام ابن الأثير في جامع الأصول (٨/ ٣٦٥): «خَطْم الجبل»: هذه اللفظة قد جاءت في كتاب الحُميدي: خَطْم الجبل، وفسرها في غريبه، فقال: **الخَطْم والخُطمة**: رَعْن الجبل، وهو الأنف النادر منه، والذي جاء في كتاب البخاري، فيما قرأناه، وفي غيره من النسخ: **حَطْم الخيل**: مضبوطًا هكذا، وذلك بخلاف رواية الحُمَيدي، فإن صحت =

به جنود الله»، فحبسه العباس حيث أمره رسول الله ﷺ، فمرت القبائل على راياتها، فكلما مرت راية، قال أبو سفيان: مَن هذه؟ فأقول: بنو سُليم، فيقول: ما لي ولبني سُليم؟ ثم تمر أخرى، فيقول: مَن هؤلاء؟ فأقول: مُزَينة، فيقول: ما لي ولـمُزَينة؟ فلم يزل يقول ذلك حتى مرت كتيبة رسول الله ﷺ الخضراء، فيها المهاجرون والأنصار، لا يُرى منهم إلا الحَدَق[(١)]، فقال: مَن هذا؟ فقلت: هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار، فقال: ما لأحد بهؤلاء قِبَل، والله لقد أصبح مُلك ابن أخيك اليوم عظيمًا، فقلت: ويحك يا أبا سفيان، إنها النبوة، قال: فنعم إذًا[(٢)].

وفي «صحيح البخاري» عن عروة بن الزبير، قال: حتى أقبلَت كتيبةٌ لم يُرَ مثلُها، قال: مَن هذه؟ فقال العباس رضي الله عنه: هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية[(٣)]، فقال سعد بن عبادة رضي الله عنه: يا أبا سفيان، اليوم يوم الملحمة[(٤)]، اليوم تُستحَلُّ الكعبة، فقال أبو سفيان: يا عباس حَبَّذا يومُ

= الرواية ولم تكن خطأ من الكُتَّاب، فيكون معناه، والله أعلم، أنه يقف به في الموضع المتضايق الذي تتحطَّم فيه الخيل؛ أي: يدوس بعضها بعضًا، ويحطِمُ بعضها بعضًا، فيراها جميعًا، وتكثُر في عينه، بكونها في ذلك الموضع الضيق، بخلاف ما إذا كانت في موضع مُتَّسع، وكذلك أراد بوقوفه عند خطم الجبل على ما شرحه الحُميدي؛ فإن الأنف النادر من الجبل يضيق الموضع الذي يخرج فيه، والله أعلم.

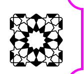
(١) **الحَدَق**: جمع حَدَقة، وهي العَين. انظر: النهاية (١/ ٣٤١).

(٢) أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده، كما في المطالب العالية، رقم الحديث (٤٣٠١)، وابن إسحاق في السيرة (٤/ ٥٠، ٥٢)، قال الحافظ في المطالب العالية (١٧/ ٤٦٢، ٤٦٣): هذا حديث صحيح، ولم يَسُقْه أحد من الأئمة الستة وأحمد بتمامه... والسياق الذي هنا حسن جدًّا، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم الحديث (٣٣٤١) وصححه.

(٣) قال الحافظ في الفتح (٨/ ٣٢٠): أي: راية الأنصار.

(٤) قال ابن الأثير في جامع الأصول (٨/ ٣٦٦): **الملحمة**: الحرب والقتال الذي لا مخلص منه.

الذِّمار[١]، ثم جاءت كتيبة ـ هي أقل الكتائب[٢] ـ فيهم رسول الله ﷺ وأصحابه[٣]، وراية النبي ﷺ مع الزبير بن العوام رضي الله عنه، فلما مَرَّ رسول الله ﷺ بأبي سفيان، قال: ألم تعلم ما قال سعد بن عبادة؟ فقال رسول الله ﷺ: «**ما قال؟**»، قال: كذا وكذا، فقال رسول الله ﷺ: «**كذب[٤] سعد، ولكن هذا يوم يُعَظِّمُ الله فيه الكعبة، ويوم تُكسى فيه الكعبة**»[٥].



رجوع أبي سفيان لمكة وأمرُهم بالاستسلام

فلما رأى أبو سفيان قوة المسلمين، علم أنه لا طاقة له بقتالهم، فانطلق إلى مكة، ونصحهم بالاستسلام؛ فقد روى إسحاق بن راهويه في «مسنده» وابن إسحاق في «السِّيرة» بسند حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال العباس لأبي سفيان: النَّجاءَ[٦] إلى قومك، فخرج حتى أتاهم بمكة، فجعل يصيح بأعلى صوته: يا معشر قريش، هذا محمد، قد أتاكم بما لا قِبَلَ لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، فقامت إليه زوجته هند بنت عتبة، فأخذت بشاربه، فقالت: اقتلوا الحَمِيتَ[٧] الدَّسم[٨] الأحمَس[٩]، قُبِّحَ مِن

---

(١) قال الحافظ في الفتح (٨/ ٣٢٠): **الذِّمار**، بكسر المعجمة وتخفيف الميم؛ أي: الهلاك.

(٢) قال الحافظ في الفتح (٨/ ٣٢١): أي: أقلها عددًا، قال القاضي: وقع للجميع بالقاف، ووقع في الجمع للحُميدي: أجَلُّ، بالجيم، وهي أظهر، ولا يبعد صحة الأولى؛ لأن عدد المهاجرين كان أقل من عدد غيرهم من القبائل.

(٣) أي: المهاجرون.

(٤) **كذب**: أي: أخطأ. انظر: النهاية (٤/ ١٣٨).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٢٨٠).

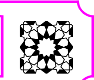
(٦) **النجاء**: السرعة. انظر: النهاية (٥/ ٢١).

(٧) **الحَمِيت**: الزِّق الذي يكون فيه السمن. انظر: النهاية (١/ ٤١٩).

(٨) **الدسم**: الأسود الدنيء. انظر: النهاية (٢/ ١١٠).

(٩) قال السُّهيلي في الروض الأنف (٤/ ١٥٨): الأحمس: الذي لا خير عنده.

طليعة قوم! فقال: ويلكم! لا تغُرَّنَّكم هذه من أنفسكم؛ فإنه قد جاءكم ما لا قِبَلَ لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، قالوا: قاتلك الله، وما تُغني عنا دارك؟! قال: ومَن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومَن دخل المسجد فهو آمن، فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد[١].



توزيع النبي ﷺ جيشه لدخول مكة

أمر رسول الله ﷺ الزبير بن العوام رضي الله عنه أن يركز رايته بالحَجون[٢]، وأمر خالد بن الوليد رضي الله عنه أن يدخل من أعلى مكة من كَداء[٣]، ودخل النبي ﷺ مِن كُدَا[٤].

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: بعث النبي ﷺ الزبير رضي الله عنه على إحدى الـمُجَنِّبتينِ[٥]، وبعث خالدًا رضي الله عنه على الـمُجَنِّبة الأخرى[٦]، وبعث

---

(١) أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده، كما في المطالب العالية، رقم الحديث (٤٣٠١)، وابن إسحاق في السيرة (٤/ ٥٣)، وصححه الحافظ، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم الحديث (٣٣٤١) وصححه.

(٢) **الحَجون**، بفتح الحاء: الجبل المشرف مما يلي شِعب الجزارين بمكة. انظر: النهاية (١/ ٣٣٥).

(٣) **كَداء**، بفتح الكاف: هي الثنية العليا بمكة مما يلي المقابر. انظر: النهاية (٤/ ١٣٦).

(٤) **كُدَا**: بالضم والقَصْر: الثنية السُّفلى مما يلي باب العُمرة. انظر: النهاية (٤/ ١٣٦).
وأخرج ذلك إلى هذا القدر: الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٢٨٠).

(٥) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٢/ ١٠٧): **المُجَنِّبتين**، هي بضم الميم، وفتح الجيم، وكسر النون، وهما الميمنة والميسرة.
وفي رواية أخرى في صحيح مسلم، رقم الحديث (١٧٨٠) (٨٦): وجعل الزبير على المجنِّبة اليُسرى.

(٦) في رواية أخرى في صحيح مسلم، رقم الحديث (١٧٨٠) (٨٦): فجعل خالد بن الوليد على المجنِّبة اليُمنى.

أبا عبيدة ﷺ على الحُسَّر[١]، فأخذوا بطن الوادي، ورسول الله ﷺ في كتيبته[٢].

وعَهِد رسول الله ﷺ إلى أمرائه حين أمرهم أن يدخلوا مكة: أن لا يُقاتلوا إلا من قاتلهم، إلا أنه قد عَهِدَ في نفر سَمَّاهم أمر بقتلهم وإن وُجِدُوا تحت أستار الكعبة؛ فقد روى أبو داود في «سُننه» والحاكم في «مستدركه» بسند حسن ـ واللفظ للحاكم ـ عن مصعب بن سعد عن أبيه، قال: لما كان يوم فتح مكة أَمَّنَ رسول الله ﷺ الناس إلا أربعة نفر وامرأتين، وقال: «**اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة**»؛ عِكْرِمة بن أبي جهل[٣]، وعبد الله بن خَطَل[٤]،

---

(١) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٢/١٠٧): **الحُسَّر**، هو بضم الحاء وتشديد السين المهملتين؛ أي: الذين لا دروع عليهم.
وفي رواية أخرى في صحيح مسلم، رقم الحديث (١٧٨٠) (٨٦): وجعل أبا عبيدة على البياذقة وبطن الوادي.
البَيَاذِقة، هو بفتح الباء والياء، وكسر الذال، هم الرَّجَّالة، واللفظة فارسية مُعرَّبة، وقيل: سُمُّوا بذلك لخفة حركتهم، وأنهم ليس معهم ما يُثقِلُهم. انظر: النهاية (١/١٦٨).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٧٨٠) (٨٤).

(٣) قال الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات (١/٧٧٣): كان أبو جهل وابنه عكرمة من أشد الناس عداوة لرسول الله ﷺ؛ فَقُتِلَ أبا جهل يوم بدر كافرًا، وبقي عكرمة، ثم هداه الله تعالى، فأسلم عكرمة بعد الفتح بقليل.
* وروى الإمام الطحاوي في شرح مشكل الآثار، رقم الحديث (١٥٠٦) بسند حسن عن سعد بن أبي وقاص ﷺ، قال: وأما عكرمة بن أبي جهل فركب البحر؛ فأصابهم ريح عاصف، فقال أصحاب السفينة لأهل السفينة: أخلصوا؛ فإن آلهتكم لا تُغني عنكم شيئًا هاهنا، وقال عكرمة: والله لئن يُنجيني في البحر إلا الإخلاص، لا يُنجيني في البر غيره، اللَّهُمَّ إن لك عليَّ عهدًا إن أنجيتني مما أنا فيه، أني آتي محمدًا، فأضع يدي في يده، فلأَجِدَنَّه عفوًّا كريمًا، فنجا، فأسلم.

(٤) روى الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٨٤٦)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٣٥٧) عن أنس بن مالك ﷺ، قال: إن رسول الله ﷺ دخل عام الفتح وعلى رأسه المِغفَر، فلما نزعه جاء رجل، فقال: إن ابن خَطَل متعلق بأستار الكعبة، فقال =

ومِقْيَس بن صُبابة[١]، وعبد الله بن سعد بن أبي السَّرْح[٢].

وروى الإمام أحمد في «مسنده» والترمذي في «جامعه» بسند حسن ـ واللفظ لأحمد ـ عن أُبي بن كعب رضي الله عنه، قال: لما كان يوم الفتح، قال رجل لا يُعرف: لا قريشَ بعد اليوم، فنادى منادي رسول الله ﷺ: «**أَمِنَ الأسودُ والأبيض إلا فلانًا وفلانًا**؛ ناسًا سماهم»[٣].



دخول كتائب الإسلام مكة

دخلت كتائب المسلمين كما أمرهم رسول الله ﷺ، وقد

= رسول الله ﷺ: «**اقتلوه**»، قال أبو داود في سُننه (٤/ ٣٢٢): ابن خَطَلٍ: اسمه عبد الله، وكان أبو بَرزة الأسلمي رضي الله عنه قتله.

وقال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٩/ ١١٢): قال العلماء: إنما قتله؛ لأنه كان قد ارتد عن الإسلام، وقَتَل مسلمًا كان يخدمُه، وكان يهجو النبي ﷺ ويسبُّه، وكانت له قَينتان تُغنِّيان بهجاء النبي ﷺ والمسلمين.

وقال الإمام البغوي في شرح السُّنَّة (٧/ ٣٠٥): وفي أمره ﷺ بقتل ابن خَطَل دليل على أن الحرم لا يَعصِمُ من إقامة عقوبة وجَبت على إنسان، ولا يُوجِب تأخيرها.

(١) قال الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٧٧٤): **صُبابة**: بضم الصاد المهملة.
روى الإمام النسائي في السنن الكبرى، رقم الحديث (٣٥١٦)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار، رقم الحديث (١٥٠٦) بسند حسن عن مصعب بن سعد عن أبيه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: وأما مِقْيَس بن صُبابة، فأدركه الناس في السوق فقتلوه.
وقال ابن إسحاق في السيرة (٤/ ٥٩): وأما مِقْيَس بن صُبابة فقتله نُميلة بن عبد الله رضي الله عنه.

(٢) روى أبو داود في سُننه، رقم الحديث (٢٦٨٣)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار، رقم الحديث (١٥٠٦) (٤٥٢١) بسند حسن عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: وأما ابن أبي سَرْح، فإنه اختبأ عند عثمان بن عفان، فلما دعا النبي ﷺ الناس إلى البَيعة جاء به حتى أوقفه على النبي ﷺ، فقال: يا نبي الله، بايعْ عبد الله، فرفع رأسه، فنظر إليه ثلاثًا، كل ذلك يأبى عليه، فبايَعَه بعد ثلاث.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢١٢٢٩)، والترمذي في جامعه، رقم الحديث (٣٣٩٥).

وَبَّشت[١] قريشٌ أوباشًا ليقفوا في وجه المسلمين، فأمر رسول الله ﷺ الأنصار بقتلهم؛ فقد روى الإمام مسلم والإمام أحمد في «مسنده» ـ واللفظ لأحمد ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: وَبَّشت قريش أوباشها، فقالوا: نُقدِّم هؤلاء، فإن كان لهم شيء كنا معهم، وإن أُصيبوا أَعْطَينا الذي سُئِلنا، قال: فنظر رسول الله ﷺ فرآني، فقال: «**يا أبا هريرة**»، فقلت: لبيك رسول الله، قال: «**اهتف لي بالأنصار، ولا يأتيني إلا أنصاري**»، فهتفت بهم، فجاؤوا فأطافوا برسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**ترون إلى أوباش قريش وأتباعهم** ـ ثم قال بيديه إحداهما على الأخرى ـ **احصُدوهم حَصْدًا، حتى توافوني بالصَّفا**».

قال أبو هريرة: فانطلقنا فما يشاء أحد مِنَّا أن يَقتُل منهم ما شاء، وما أحدٌ يُوَجِّه إلينا منهم شيئًا[٢]، فقال أبو سفيان: يا رسول الله أُبيحَت[٣] خضراء[٤] قريش، لا قريشَ بعد اليوم، فقال رسول الله ﷺ: «**مَن أغلق بابه فهو آمن، ومَن دخل دار أبي سفيان فهو آمن**»، فَغَلَّق الناس أبوابهم[٥].

---

(١) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٢/١٠٨): **وَبَّشت**: أي: جمعت جموعًا من قبائلَ شتى، وهو بالباء الموحَّدة المشدَّدة، والشين المعجمة.

(٢) في رواية الإمام مسلم: فما أشرف يومئذ أحد إلا أناموه.
قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٢/١٠٨): أي: ما ظهر لهم أحد إلا قتلوه فوقع إلى الأرض.

(٣) في رواية أخرى في صحيح مسلم: أُبيدت.
قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٢/١٠٨): وهما متقاربان: أي: استؤصِلَت قريش بالقتل وأُفنِيَت.

(٤) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٢/١٠٨): **خضراؤهم**: جماعتهم.

(٥) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٧٨٠) (٨٤) (٨٦)، والإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٠٩٤٨).

دخول النبي ﷺ مكة شرَّفها الله

ودخل رسول الله ﷺ مكة شرفها الله من كَدَاء[(١)] التي بأعلى مكة ـ وكان يومًا عظيمًا مشهودًا ـ وبين يديه ﷺ أصحابه من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم، وهو راكب ناقته وعلى رأسه المِغْفَر[(٢)]، ورأسُه يكاد يَمَسُّ مُقَدِّمَةَ الرَّحْلِ؛ من تواضعه لربه عز وجل، وهو يقرأ سورة الفتح يُرَجِّع بها صوته، فطاف بالبيت طوافَ قدوم، ولم يَسْعَ، ولم يكُنْ معتمرًا.

روى الشيخان في «صحيحيهما» عن عائشة رضي الله عنها، قالت: إن رسول الله ﷺ دخل عام الفتح من كَدَاء؛ أعلى مكة[(٣)].

وروى الشيخان في «صحيحيهما» عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: إن النبي ﷺ دخل مكة يوم الفتح وعلى رأسه المِغفَر[(٤)].

وفي لفظ آخر في «صحيح مسلم» عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: إن النبي ﷺ دخل يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء[(٥)].

قال القاضي عياض: وجه الجمع بينهما أن أول دخوله كان على رأسه المِغفَر، ثم بعد ذلك كان على رأسه العمامة بعد إزالة المِغفَر، بدليل قوله: خطب الناسَ[(٦)] وعليه عمامة سوداء؛ لأن الخُطبة إنما كانت عند باب الكعبة

---

(١) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٩/ ٥): قال جمهور العلماء بهذا الفن: **كَدَاء**، بفتح الكاف وبالمد: هي الثَّنِيَّة التي بأعلى مكة.

(٢) **المِغفَر**: هو ما يلبسه الدارع على رأسه. انظر: النهاية (٣/ ٣٣٦).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٥٧٩)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٢٥٨) (٢٢٥).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٢٨٦)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٣٥٧).

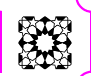
(٥) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٣٥٨).

(٦) ستأتي خطبة النبي ﷺ لأهل مكة بعد قليل.

بعد تمام فتح مكة[(١)].

وروى الحاكم في «المستدرَك» بسند ضعيف ـ وله شاهد يتقوى به ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح وذَقَنُه على رَحْلِه متخَشِّعًا[(٢)].

وروى الشيخان في «صحيحيهما» عن عبد الله بن مُغَفَّل رضي الله عنه، قال: رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على ناقته وهو يقرأ سورة الفتح يُرجِّعُ[(٣)].



تطهير البيت من الأصنام

وروى الإمام مسلم في «صحيحه» عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: أقبل رسول الله ﷺ حتى أقبل على الحَجَر، فاستلَمَه، ثم طاف بالبيت، فأتى على صنم إلى جنب البيت كانوا يعبدونه، وفي يد رسول الله ﷺ قوسٌ، وهو آخذ بسِيَةِ[(٤)] القوس، فلما أتى على الصنم جعل يَطعُنُه في عينه، ويقول: ﴿جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ﴾ [الإسراء: ٨١]، فلما فرغ من طوافه أتى الصفا فعلا عليه، حتى نظر إلى البيت، ورفع يديه فجعل يحمد الله ويدعو بما شاء أن يدعو[(٥)].

(١) نقله الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٩/ ١١١) عن القاضي عياض.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٤٤١٣)، ويشهد له مُرسَل عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم عند ابن إسحاق (٤/ ٥٣)، وأورده الإمام الذهبي في السيرة النبوية (٢/ ١٧٦) وقال: حديث صحيح.

(٣) **الترجيع**: ترديد القراءة، ومنه ترجيع الأذان. انظر: النهاية (٢/ ١٨٥).

والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٢٨١)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٧٩٤) (٢٣٨).

(٤) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٢/ ١١١): **السِّيَة**، بكسر السين، وتخفيف الياء المفتوحة، المنعَطِف من طرَفَيِ القوس.

(٥) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٧٨٠) (٨٤).

قال الإمام النووي: وفي الحديث الابتداء بالطواف في أول دخول مكة، سواء كان محرِمًا بحج أو عمرة، أو غير مُحرِم، وكان النبي ﷺ دخلها في هذا اليوم ـ وهو يوم الفتح ـ غيرَ محرِم بإجماع المسلمين، وكان على رأسه المِغفَر، والأحاديث متظاهرة على ذلك، والإجماع منعقد عليه[(١)].

وروى الشيخان في «صحيحيهما» عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح، وحول البيت ستون وثلاثمائة[(٢)] نُصُبٍ[(٣)]، فجعل يَطعُنُها بعُود في يده، ويقول: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء: ٨١]، ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَـٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾﴾ [سبأ: ٤٩][(٤)].

دخول النبي ﷺ الكعبة وتطهيرها من الصُّوَر

ودعا رسول الله ﷺ بمفتاح الكعبة من حاجبها عثمان بن طلحة رضي الله عنه، فدخل البيت، وأمر بمحو الصُّوَر فيه، وأَذَّن بلال رضي الله عنه يومئذ على ظهر الكعبة، ثم ردَّ رسول الله ﷺ المفتاح لعثمان بن طلحة رضي الله عنه، وأقرَّهم على السِّدانة[(٥)].

روى الإمام البخاري في «صحيحه» عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: أقبل النبي ﷺ عام الفتح، وهو مُردِف أسامة على القصواء، ومعه بلال وعثمان بن

---

(١) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١٢/ ١١٠).

(٢) في رواية أخرى في الصحيح: ثلاثمائة وستون.

(٣) قال الحافظ في الفتح (٨/ ٣٣٠): **النُّصُب**، بضم النون والمهملة وقد تُسَكَّن، بعدها موحَّدة، هي واحدة الأنصاب، وهو ما يُنصَب للعبادة من دون الله تعالى.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٢٤٧٨) (٤٢٨٧)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٧٨١).

(٥) **السِّدانة**: هي خدمتها وتولِّي أمرِها، وفتح بابها وإغلاقه، والجمع سَدَنة. انظر: النهاية (٢/ ٣٢٠).

طلحة، حتى أناخ[١] عند البيت، ثم قال لعثمان: «**ائتنا بالمفتاح**»، فجاء بالمفتاح، ففتح له الباب، فدخل النبي ﷺ وأسامة وبلال وعثمان[٢]، ثم أغلقوا عليهم الباب[٣] فمكث نهارًا طويلًا، ثم خرج وابتدر[٤] الناس الدخول، فسبَقْتُهم، فوجدتُ بلالًا قائمًا من وراء الباب، فقلت له: أين صلى النبي ﷺ؟ فقال: صلى بين ذَيْنِكَ العمودين المقدَّمين، وكان البيت على ستة أعمدةٍ سطرينِ، صلى بين العمودين من السطر المقدَّم، وجعل باب البيت خلف ظهره، واستقبل بوجهه الذي يستقبلك حين تلج[٥] البيت بينه وبين الجدار، قال: ونسيتُ أن اسأله كم صلَّى؟[٦].

وروى الإمام مسلم في «صحيحه» عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: أقبل رسول الله ﷺ عام الفتح، على ناقةٍ لأسامة بن زيد رضي الله عنهما، حتى أناخ بفِناء[٧] الكعبة، ثم دعا عثمان بن طلحة[٨]، فقال: «**ائتني بالمفتاح**»، فذهب إلى

---

(١) **أناخ الإبل**: أبركها فبركت. انظر: لسان العرب (١٤/ ٣٢١).

(٢) زاد الإمام أحمد في مسنده في رواية أخرى، رقم الحديث (٤٤٦٤): الفضل بن عباس.
قال الحافظ في الفتح (٤/ ٢٦٧): لم يثبت أن الفضل كان معهم إلا في رواية شاذة.

(٣) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٩/ ٧٢): إنما أغلقها عليه ﷺ؛ ليكون أسكَنَ لقلبه، وأجمَعَ لخشوعه، ولئلا يجتمع الناس ويدخلوا ويزدحموا فينالهم ضرر، ويتهوش عليه الحال بسبب لغطهم. والله أعلم.

(٤) **تبادر القوم**: أسرعوا. انظر: لسان العرب (١/ ٣٤٠).

(٥) **ولجَ**: دخل. انظر: النهاية (٥/ ١٩٤).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٤٠٠).

(٧) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٩/ ٧٢) **الفِناء**، بكسر الفاء: جانِبُها.

(٨) ويقال له رضي الله عنه: **الحَجبي**، ووقعت هذه اللفظة في رواية أخرى في صحيح البخاري، رقم الحديث (٥٠٥)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٣٢٩) (٣٨٨).
* قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٩/ ٧١): **الحَجَبي**، هو بفتح الحاء والجيم: منسوب إلى حِجابة الكعبة، وهي ولايتها وفتحها وإغلاقها وخدمتها.
* وقال القاضي عياض: قال العلماء: لا يجوز لأحد أن ينزعها منهم، وهي ولاية لهم =

أمه، فأبت أن تُعطِيَه، فقال: وَاللهِ لتُعطينيه أو ليخرُجَنَّ هذا السيفُ من صُلبي، قال: فأعطته إياه، فجاء به إلى النبي ﷺ فدفعه إليه، ففتح الباب(١).

وروى ابن ماجه في «سُننه» وأبو داود في «سُننه» بسند حسن ـ واللفظ لابن ماجه ـ عن صفية بنت شيبة رضي الله عنها، قالت: لما اطمأن رسول الله ﷺ(٢) عام الفتح، طاف على بعير يستلم(٣) الركنَ بمِحْجَنٍ(٤) بيده، ثم دخل الكعبة، فوجد فيها حمامةَ عَيْدَانٍ، فكسرها، ثم قام على باب الكعبة فرمى بها، وأنا أنظر(٥).

وروى الإمام البخاري في «صحيحه» عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: إن رسول الله ﷺ لما قدم مكة أبى أن يدخل البيت، وفيه الآلهة(٦)، فأمر بها فأُخرِجَت، فأُخرج صورةُ إبراهيم وإسماعيل في أيديهما من الأزلامِ(٧)، فقال النبي ﷺ: «**قاتلهم الله! لقد علموا ما استقسما بها قط**»، ثم دخل البيت(٨).

= عليها من النبي ﷺ، فتبقى دائمة لهم ولذرياتهم أبدًا، ولا يُنازَعون فيها ولا يُشارَكون ما داموا موجودين صالحين لذلك. والله أعلم.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٣٢٩) (٣٩٠).

(٢) زاد أبو داود: بمكة.

(٣) **استلم الحجر**: إذا لمسه وتناوله. انظر: النهاية (٢/ ٣٥٦).

(٤) **المِحْجَن**: عصا مُعقَّفة الرأس. انظر: النهاية (١/ ٣٣٥).

(٥) أخرجه ابن ماجه في سُننه، رقم الحديث (٢٩٤٧)، وأبو داود في سُننه، رقم الحديث (١٨٧٨).

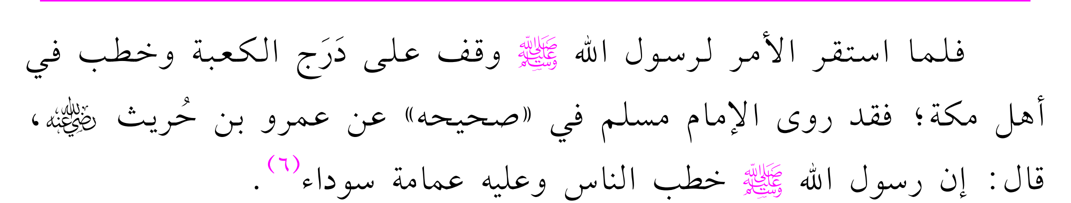
(٦) قال الحافظ في الفتح (٤/ ٢٦٨): أي: الأصنام، وأطلق عليها الآلهة باعتبار ما كانوا يزعمون، وفي جواز إطلاق ذلك وقفة، والذي يظهر كراهته.

(٧) **الزُّلَم والزَّلَم**: واحِدةُ الأزلامِ، وهي القِدَاح، بكسر القاف، التي كانت في الجاهلية عليها مكتوب: الأمر والنهي، افعل، ولا تفعَلْ، كان الرجل منهم يضعها في وعاء له، فإذا أراد سفرًا أو زواجًا أو أمرًا مهمًّا، أدخل يده فأخرج منها زلَمًا، فإن خرج الأمر مضى لشأنه، وإن خرج النهي كَفَّ عنه ولم يفعله. انظر: النهاية (٢/ ٢٨١).

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٢٨٨).

وروى الإمام أحمد في «مسنده» وأبو داود بسند صحيح عن جابر بن عبد الله ﭬ، قال: إن النبي ﷺ أمر عمر بن الخطاب ﭬ زمن[١] الفتح وهو بالبطحاء أن يأتيَ الكعبة فيمحوَ كل صورة فيها، فلم يدخلها النبي ﷺ حتى مُحِيَت كلُّ صورة فيها[٢].

قال الحافظ في «الفتح»: والذي يظهر أنه[٣] محا ما كان من الصور مدهونًا مثلًا، وأخرج ما كان مخروطًا، وأما حديث أسامة ﭬ: أن النبي ﷺ دخل الكعبة فرأى صورة إبراهيم فدعا بماء فجعل يمحوها[٤]، فهو محمول على أنه بَقِيَت بقيَّةٌ خفي على مَن محاها أولًا[٥].



خطبة النبي ﷺ وعفوه عن أهل مكة

فلما استقر الأمر لرسول الله ﷺ وقف على دَرَج الكعبة وخطب في أهل مكة؛ فقد روى الإمام مسلم في «صحيحه» عن عمرو بن حُريث ﭬ، قال: إن رسول الله ﷺ خطب الناس وعليه عمامة سوداء[٦].

وروى أبو داود في «سُننه» بسند صحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﭬ، قال: إن رسول الله ﷺ خطب يوم الفتح بمكة، فكبَّر ثلاثًا، ثم

(١) في رواية الإمام أحمد: يوم.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٥١٠٩)، وأبو داود في سُننه، رقم الحديث (٤١٥٦).

(٣) أي: عمر بن الخطاب ﭬ.

(٤) أخرج هذا الحديث: الطيالسي في مسنده، رقم الحديث (٦٥٧)، وابن أبي شيبة في مصنفه، رقم الحديث (٢٥٧٢٢)، وجوَّد إسناده الحافظ في الفتح (٤/ ٢٦٨).

(٥) انظر: فتح الباري (٨/ ٣٣١).

(٦) زاد الحميدي في مسنده، رقم الحديث (٥٧٦): يوم فتح مكة.
والحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٣٥٩) (٤٥٢).

قال: «**لا إِلٰه إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا إنَّ كل مَأْثُرة كانت في الجاهلية تُذكر وتُدعى من دم أو مال: تحت قدمي، إلا ما كان من سقاية الحاجِّ، وسِدانة البيت**»[(١)].

وروى الشيخان في «صحيحيهما» عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول، وهو بمكة عام الفتح[(٢)]: «**إن الله ورسوله حرَّم بيعَ الخَمرِ والميتةِ والخنزيرِ والأصنامِ**»، فقيل: يا رسول الله أرأيتَ شُحومَ الميتة، فإنه يُطلى بها السفن، ويُدهن بها الجلود ويَستصبِحُ[(٣)] بها الناس؟ فقال رسول الله ﷺ: «**لا، هو حرام**»، ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك: «**قاتل اللهُ اليهود؛ إن الله لما حَرَّم شُحومها جَمَلُوه[(٤)] ثم باعوه فأكلوا ثمنه**»[(٥)].

وروى الإمام مسلم في «صحيحه» عن عبد الله بن مطيع عن أبيه، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول يوم الفتح: «**لا يُقتل قرشي صبرًا[(٦)] بعد هذا اليوم إلى يوم القيامة**»[(٧)].

قال الإمام النووي: قال العلماء: معناه: الإعلام بأن قريشًا يُسلِمون كلهم، ولا يرتد أحد منهم كما ارتد غيرهم بعده ﷺ ممن حورب وقُتِلَ

(١) أخرجه أبو داود في سُننه، رقم الحديث (٤٥٤٧).

(٢) قال الحافظ في الفتح (٥/١٧٧): فيه بيان تاريخ ذلك، وكان ذلك في رمضان سنة ثمان من الهجرة، ويُحتمل أن يكون التحريم وقع قبل ذلك، ثم أعاده ﷺ ليسمعه من لم يكن سمعه.

(٣) قال ابن الأثير في جامع الأصول (١/٤٤٩): **الاستصباح**: استفعال من المصباح، وهو السِّراج؛ أي: يُشعَل بها الضوء.

(٤) **جملتُ الشَّحمَ وأجمَلْتُه**: إذا أذَبْتَه واستخرَجْتَ دُهنَه. انظر: النهاية (١/٢٨٧).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٢٢٣٦)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٥٨١).

(٦) كلُّ مَن قُتِلَ في غير معركة ولا حرب ولا خطأ، فإنه **مقتول صبرًا**. انظر: النهاية (٣/٨).

(٧) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٧٨٢).

صبرًا، وليس المراد أنهم لا يُقتلون ظلمًا صبرًا؛ فقد جرى على قريش بعد ذلك ما هو معلوم، والله أعلم[١].

وروى الإمام أحمد في «مسنده» والترمذي في «جامعه» بسند حسن عن الحارث بن مالك رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة يقول: «**لا تُغزى هذه[٢] بعد اليوم إلى يوم القيامة**»[٣].

وفي لفظ آخر في «المسند» وفي «شرح مشكل الآثار»؛ بسند حسن، عن عبد الله بن مطيع عن أبيه، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ حين أمر بقتل هؤلاء الرهط[٤] بمكة، يقول: «**لا تُغزى مكة بعد هذا العام أبدًا**»[٥].

قال سفيان بن عُيينة ـ راوي الحديث كما في رواية الطحاوي ـ: تفسيره أنهم لا يَكفُرون أبدًا، ولا يُغْزَون على الكُفرِ[٦].

وعفا رسول الله ﷺ عن أهل مكة، واجتمع الناس إليه ليُبايعوه ﷺ؛ فقد روى الإمام النسائي في «السنن الكبرى» بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: جاء رسول الله ﷺ حتى طاف بالبيت، فجعل يمر بتلك الأصنام، فيطعُنُها بسِيَةِ القوس، ويقول: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء: ٨١]، حتى إذا فرغ وصلى، جاء فأخذ

---

(١) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١٢/ ١١٣).

(٢) يعني: مكة شرفها الله.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٥٤٠٤) (١٩٠٢٠)، والترمذي في جامعه، رقم الحديث (١٧٠٣) وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٤) هم الذين أهدر رسول الله ﷺ دمهم قُبيل دخوله مكة، وقد تقدم ذِكْرُ ذلك قبل قليل.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٥٤٠٨)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار، رقم الحديث (١٥٠٩).

(٦) انظر: شرح مشكل الآثار (٤/ ١٦٢، ١٦٣)، وبمثل ما قال سفيان بن عُيينة، قاله الإمام البيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٧٥).

بعِضَادتَي[(١)] الباب، ثم قال: «**يا معشر قريش، ما تقولون؟**» قالوا: ابنُ أخٍ وابنُ عَمٍّ رحيمٌ كريمٌ، ثم عاد عليهم القول، قالوا مثل ذلك، فقال رسول الله ﷺ: «**فإني أقول كما قال أخي يوسف:** ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٩٢﴾ [يوسف: ٩٢]» فخرجوا فبايعوه على الإسلام[(٢)].

وروى الإمام أحمد في «مسنده«والحاكم في «مستدركه» بسند حسن عن محمد بن الأسود بن خلف، قال: إن أباه الأسود حدثه: أنه رأى النبي ﷺ يُبايع الناس يوم الفتح، قال: فجلس عند قَرْن دار ابن سَمُرة، فرأيتُ النبي ﷺ جلس، فجاء الناس؛ الصغارُ والكبارُ والنساء، فبايعوه على الإسلام والشهادة، فقلت: وما الشهادة؟

قال: على الإيمان بالله، وشهادة أن لا إلٰه إلا الله[(٣)].

وروى الشيخان في «صحيحيهما» عن مُجاشِع بن مسعود السُّلَمي رضي الله عنه، قال: أتيتُ النبي ﷺ بأخي بعد الفتح، فقلت: يا رسول الله جئتُك بأخي لتبايعه على الهجرة، فقال رسول الله ﷺ: «**ذهب أهل الهجرة بما فيها**»، فقلت: على أي شيء تبايعه؟

قال رسول الله ﷺ: «**أُبايعه على الإسلام، والإيمان والجهاد**»[(٤)].

---

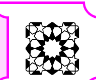
(١) قال الحافظ في الفتح (٧/ ٦٨٤): عِضَادتيه، بكسر العين، وتخفيف المعجمة: تثنية عِضادة، وهي الخشبة التي على كتف الباب، ولكل باب عِضَادتان.

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، رقم الحديث (١١٢٣٤).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٥٤٣١)، والحاكم في مستدركه، رقم الحديث (٥٣٦٧).

(٤) في رواية الإمام مسلم: «على الإسلام والجهاد والخير»، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٣٠٥) (٤٣٠٦)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٨٦٣) (٨٤).

قال الإمام النووي: معناه: أن الهجرة الممدوحة الفاضلة التي لأصحابها المزية الظاهرة إنما كانت قبل الفتح، ولكن أُبايعُك على الإسلام والجهاد وسائر أفعال الخير، وهو من باب ذكر العام بعد الخاص؛ فإن الخير أعم من الجهاد، ومعناه: أُبايعك على أن تفعل هذه الأمور[١].



خطبته ﷺ الغدَ من يوم الفتح

وخطب رسول الله ﷺ الغدَ من يوم الفتح، فبَيَّن حرمة مكة، وأنها لم تحِلَّ لأحد قبله، ولا تحِلُّ لأحد بعده، وقد أُحِلَّت له ﷺ ساعة من نهار؛ فقد روى الشيخان في «صحيحيهما» عن أبي شُريح أنه قال لعمرو بن سعيد ـ وهو يبعث البعوث إلى مكة ـ: ائذن لي ـ أيها الأمير ـ أُحَدِّثك قولًا قام به النبي ﷺ الغدَ من يوم الفتح، سَمِعَته أُذُناي ووعاه قلبي، وأبصَرَته عيناي حين تكلَّم به: حَمِدَ الله وأثنى عليه ثم قال: «**إن مكة حرمها الله ولم يُحرِّمْها الناس**[٢]**، فلا يحِلُّ لامرئ يُؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفِكَ بها دمًا، ولا يَعْضِدَ**[٣] **بها شجرة، فإن أحدٌ تَرخَّص لقتال رسول الله ﷺ فيها، فقولوا: إنَّ الله**

---

(١) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١٣/ ٨).

(٢) قال الإمام ابن القيم في زاد المعاد (٣/ ٥٤٤): فهذا التحريم شَرعي قَدَري سبق به قَدَرُه يوم خلق هذا العالَم، ثم ظهر به أمُره على لسان خليليه؛ إبراهيم ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما.

(٣) **لا يَعضِد**: أي: لا يَقطَع. انظر: النهاية (٣/ ٢٢٧).
وفي لفظ آخر: «**ولا يُعضَد شَوكُه**»، رواه البخاري، رقم الحديث (١٥٨٧) (١٨٣٤)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٣٥٣).
وفي لفظ آخر: «**لا يُخبَط شوكها**»، رواه مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٣٥٥) (٤٤٨).

* قال الإمام ابن القيم في زاد المعاد (٣/ ٥٥٣): لا خلاف بينهم أن الشجر البري الذي لم يُنبِتْه الآدمي على اختلاف أنواعه مرادٌ من هذا اللفظ، واختلفوا فيما أنبته الآدمي من =

قد أذن لرسوله ولم يأذَنْ لكم، وإنما أذِنَ لي فيها ساعة[(١)] من نهار، ثم عادت حرمتُها اليومَ كحرمتها بالأمس، وليُبَلِّغِ الشاهد الغائب»[(٢)].

وروى الشيخان في «صحيحيهما» عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال النبي ﷺ يوم الفتح[(٣)] فتح مكة: «**لا هجرة[(٤)]، ولكن جهادٌ ونِيَّة، وإذا استُنفِرْتم فانفروا، إن هذا البلد حَرمَّه الله يوم خلق السمٰوات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، وإنه لم يحِلَّ القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحِلَّ لي إلا ساعةً من نهار، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يُعْضَدُ شوكه، ولا يُنفَّر صيدُه، ولا يَلتَقِطُ[(٥)] إلا مَن عَرَّفَها[(٦)]، ولا يُختلَى خَلاها**»[(٧)]،

= الشجر في الحرم على ثلاثة أقوال، وهي في مذهب أحمد:

أحدها: أن له قَلْعَه ولا ضمان عليه، وهذا اختيار ابن عقيل وأبي الخطاب وغيرهما.

والثاني: أنه ليس له قلعه، وإن فعل ففيه الجزاء بكل حال، وهذا قول الشافعي، وهو الذي ذكره ابن البناء في خصاله.

والثالث: الفرق بين ما أنبته في الحِلِّ ثم غرسه في الحَرَم، وبين ما أنبته في الحَرَم أولًا، **فالأول:** لا جزاء فيه، **والثاني:** لا يُقلَع، وفيه الجزاء بكل حال، وهذا قول القاضي.

وفي الحديث دليل على أنه إذا انقلعت الشجرة بنفسها أو انكسر الغصن، جاز الانتفاع به؛ لأنه لم يَعضِدْه هو، وهذا لا نزاع فيه.

(١) قال الحافظ في الفتح (١/ ٢٦٨): **ساعة**: أي: مقدارًا من الزمان، والمراد به يوم الفتح.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٠٤)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٣٥٤).

(٣) في رواية البخاري: يوم افتتح مكة.

(٤) زاد البخاري في رواية أخرى، رقم الحديث (٢٧٨٣): بعد الفتح.

(٥) زاد البخاري: «لُقَطته».

اللقُّطَةَ، بضم اللام، وفتح القاف: اسم المال الملقوط: أي: الموجود، **والالتقاط**: أن يُعثَرَ على الشيء من غير قصد وطلب. انظر: النهاية (٤/ ٢٢٦).

(٦) في رواية أخرى في صحيح البخاري، رقم الحديث (٦٨٨٠)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٣٥٥) (٤٤٨): «**ولا يلتَقِطُ ساقِطَتَها إلا مُنشِدٌ**».

(٧) **الخَلا**: النبات الرَّطْب الرقيق ما دام رَطبًا، واختلاؤه: قطعه. انظر: النهاية (٢/ ٧١). =

فقال العباس رضي الله عنه: يا رسول الله إلا الإذْخِرَ[١]، فإنَّه لِقَيْنِهم ولبيوتهم، فقال رسول الله ﷺ: «**إلا الإِذْخِرَ**»[٢].

مدة إقامة النبي ﷺ في مكة بعد فتحها

أقام رسول الله ﷺ بمكة المكرمة ـ شرفها الله ـ بعد فتحها تسعة عشر يومًا[٣]، يَقصُر الصلاة، واستمر ﷺ مُفطِرًا بقية شهر رمضان؛ فقد روى الإمام البخاري في «صحيحه» عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: أقام النبي ﷺ بمكة تسعة عشر يومًا يُصلِّي ركعتين[٤].

وفي لفظ آخر في «الصحيح»، قال ابن عباس رضي الله عنهما: أقام النبي ﷺ تسعة عشر يَقصُر[٥].

وروى الإمام البخاري في «صحيحه» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: صام رسول الله حتى إذا بلغ الكَدِيدَ ـ الماء الذي بين قُدَيد وعُسْفانَ ـ أفطر، فلم يَزَلْ مُفطِرًا حتى انسلخ الشهر[٦].

= قال الإمام ابن القيم في زاد المعاد (٣/٥٥٦): لا خلاف أن المراد من ذلك ما نبت بنفسه دون ما أنبته الآدميون، ولا يدخل اليابس في الحديث؛ بل هو الرَّطب خاصة.

(١) **الإِذْخِر**، بكسر الهمزة: حشيشة طيبة الرائحة تُسقَّف بها البيوت فوق الخشب. انظر: النهاية (١/٣٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٨٣٤)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٣٥٣).

(٣) اختُلِفَ في مدة إقامة النبي ﷺ في مكة بعد فتحها، وأرجح الروايات: تسعة عشر.
قال الحافظ في الفتح (٣/٢٦٩): واقتضى ذلك أن رواية تسعة عشر أرجح الروايات، وبهذا أخذ إسحاق بن راهويه، ويرجحها أيضًا أنها أكثر ما وردت به الروايات الصحيحة.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٢٩٨).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٠٨٠).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٢٧٥).

قال الحافظ ابن كثير: لا خلاف أنه عليه الصلاة والسلام أقام بقية شهر رمضان يَقصُر الصلاة ويُفطِر[١].

فتح مكة وأثره على العرب

كانت العرب تنتظر نهاية الصراع بين رسول الله ﷺ وقريش، فلما فتح رسول الله ﷺ مكة، وانتصر على قريش؛ دخلوا في دين الله أفواجًا؛ فقد روى الإمام البخاري في «صحيحه» عن عمرو بن سَلِمَة[٢] الجَرْمِي[٣] رضي الله عنه، قال: كانت العرب تَلَوَّم[٤] بإسلامهم الفَتحَ، فيقولون: اتركوه وقومه؛ فإنه إن ظهر عليهم فهو نبي صادق، فلما كانت وقعة أهل الفتح بادر كل قوم بإسلامهم، وبَدَرَ أبي قومي بإسلامهم، فلما قدم قال: جئتكم والله من عند النبي ﷺ حقًّا[٥].

وقال ابن إسحاق: وإنما كانت العرب تَرَبَّص[٦] بالإسلام أمْرَ هذا الحيِّ من قريش، وأَمْرَ رسول الله ﷺ؛ وذلك أن قريشًا كانوا إمامَ الناس وهادِيَهم، وأهلَ البيت الحرام، وصريحَ[٧] ولدِ إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام، وقادةَ العرب، لا يُنكرون ذلك، وكانت قريش هي التي نصبت[٨] لحرب

(١) انظر: البداية والنهاية (٤/ ٧١٢).
(٢) قال ابن الأثير في جامع الأصول (٢/ ٦١٥)، قسم التراجم، والإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٥٨): سَلِمَةَ: بكسر اللام.
(٣) قال الحافظ في الفتح (٨/ ٣٣٨): **الجَرْمي**: بفتح الجيم وسكون الراء.
(٤) **تَلَوَّم**، بفتح التاء واللام، وتشديد الواو: أي: تنتظر. انظر: النهاية (٤/ ٢٣٨).
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٣٠٢).
(٦) **التربص**: المُكْث والانتظار. انظر: النهاية (٢/ ١٦٩).
(٧) **الصريح**: الخالص من كل شيء. انظر: النهاية (٣/ ١٩).
(٨) **ناصبه الشَّرَّ والحرب**: أظهَرَه له. انظر: لسان العرب (١٤/ ١٥٦).

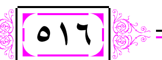
رسول الله ﷺ وخلافه، فلما افتُتِحت مكةُ، ودانت له قريش، ودَوَّخَها[١] الإسلام، عرفت العربُ أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله ﷺ ولا عداوته؛ فدخلوا في دين الله ـ كما قال ﷻ ـ أفواجًا[٢]، يضربون إليه من كل وجهٍ[٣].

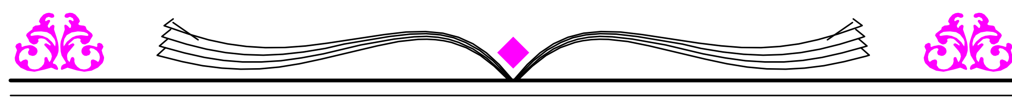


(١) **دَوَّخها**: أذلَّها. انظر: النهاية (٢/ ١٢٩).

(٢) **الفوج**: الجماعة من الناس. انظر: النهاية (٣/ ٤٢٩).

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (٤/ ٢١٤).







غزوة حُنَينٍ[(١)]

وقعت غزوة حُنَينٍ في شوال سنة ثمانٍ من الهجرة[(٢)].

قال الحافظ في «الفتح»: قال أهل المغازي: خرج النبي ﷺ إلى حُنَين لسِتٍّ خلت من شوال، وقيل: لليلتين بَقِيَتا من رمضان، وجمع بعضهم بأنه

---

(١) قال الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات (٣/ ١٥٣): **حُنَيْنٌ**: هو وادٍ بين مكة والطائف وراء عرفات، بينه وبين مكة بضعة عشر ميلًا، وهو مصروف كما نطق به القرآنُ العزيز.

* وتُسمَّى غزوة أوطاس.

قال الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات (٣/ ٣٢): **أَوْطاس**، هو بفتح الهمزة، وإسكان الواو، وبالطاء والسين المهملتين: هو وادٍ في بلاد هوازن، وبه كانت غزوة النبي ﷺ هوازنَ يومَ حُنَينٍ.

* وقال الحافظ في الفتح (٨/ ٣٦٢): والراجح: أن وادي أوطاس غير وادي حُنَين، ويُوضِّح ذلك ما ذكر ابن إسحاق أن الوقعة كانت في وادي حُنين، وأن هوازن لما انهزموا صارت طائفة منهم إلى الطائف، وطائفة إلى بجيلة، وطائفة إلى أوطاس؛ فأرسل النبي ﷺ عسكرًا مُقَدَّمهم أبو عامر الأشعري رضي الله عنه إلى مَن مضى إلى أوطاس، ثم توجه هو وعساكره إلى الطائف.

* وتُسمَّى غزوة هوازن.

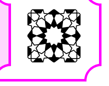
قال ابن سعد في طبقاته (٢/ ٣٢٤): ثم غزوة النبي ﷺ إلى حُنين، وهي غزوة هوازن.

وقال الإمام ابن القيم في زاد المعاد (٣/ ٥٧٥): فصل في غزوة حُنين، وتُسمى غزوة أوطاس، وهما موضعان بين مكة والطائف، فسُميت الغزوة باسم مكانها، وتُسمى: غزوة هوازن؛ لأنهم الذين أتوا لقتال رسول الله ﷺ.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٤/ ٨٧)، الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٣٢٤).

بدأ بالخروج في أواخر رمضان، وسار سادس شوال، وكان وصوله إليها في عاشره[١].

وقال الإمام ابن القيم: افتتح الله سبحانه غزو العرب بغزوة بدر، وختم غزوهم بغَزاة حُنَين؛ فالأولى: خَوَّفتَهم وكسرت مِن حَدِّهم، والثانية: استفرغت قُواهم واستنفدت سهامَهم وأذلَّت جمعَهم، حتى لم يجدوا بُدًّا من الدخول في دين الله[٢].



سبب الغزوة

لما سمعت هوازنُ برسول الله ﷺ وما فتح الله عليه من مكة، جمعها مالك بن عوف النصري، فاجتمع إليه مع هوازِنَ ثقيفٌ كُلُّها، واجتمعت نَصْر وجُشَم كلها، وسعد بن بكر، وناسٌ من بني هلال، وفي بني جُشَم دُرَيد بن الصِّمَّة[٣] شيخ كبير ليس فيه شيء إلا التيمُّنُ[٤] برأيه، ومعرفته بالحرب، وكان شيخًا مُجَرِّبًا، وجماعُ أمر الناس إلى مالك بن عوف النصري، وعزموا على قتال النبي ﷺ، فلما أجمع السَّير إلى رسول الله ﷺ حطَّ مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم، فلما نزل بأوطاس اجتمع إليه الناس[٥].

---

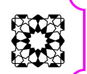
(١) انظر: فتح الباري (٨/ ٣٤٣).

(٢) انظر: زاد المعاد (٣/ ٥٩٤).

(٣) قال الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٤٥١): دُرَيد بن الصِّمَّة: الشاعر الكافر، هو بضم الدال، وفتح الراء، والصِّمَّة: بكسر الصاد وتشديد الميم: من الشعراء المذكورين، قُتِلَ يوم حُنَين كافرًا.

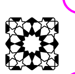
(٤) **التيمُّن**، بتشديد الميم، أي: الابتداء في أخذ رأيه. انظر: لسان العرب (١٥/ ٤٥٧).

(٥) انظر: سيرة ابن هشام (٤/ ٨٧).



بَعْثُ النبي ﷺ عبد الله بن أبي حَدْرَد رضي الله عنه [1]

لما سمع رسول الله ﷺ بهم، بعث إليهم عبد الله بن أبي حَدْرَد رضي الله عنه ليأتيه بخبرهم؛ فقد روى الحاكم في «المستدرك» والبيهقي في «دلائل النبوة» بسند حسن عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: جمع مالك بن عوف النَّصري من بني نَصْر وجُشَم، ومن سعد بني بكر، وأوزاعًا[2] من بني هلال، وناسًا من بني عمرو بن عاصم بن عوف بن عامر، وأَوعَبَت[3] معهم ثقيفٌ الأحلافَ، وبنو مالك، ثم سار بهم إلى رسول الله ﷺ وسار مع الأموال والنساء والأبناء، فلما سمع بهم رسول الله ﷺ بعث عبد الله بن أبي حَدْرَد الأسلمي رضي الله عنه، فقال: «**اذهب فادخل بالقوم حتى تَعلَمَ لنا مِن عِلْمِهم**»، فدخل، فمكث فيهم يومًا أو يومين، ثم أقبل فأخبره الخبر[4].



خروج النبي ﷺ إلى حُنَين

خرج رسول الله ﷺ من مكة المكرمة ـ وذلك بعدما فرغ من فتحها، وتمهَّدت أمورها، وأسلم عامة أهلها، وأطلقهم ـ متوجِّهًا لقتال هوازن ومن معهم، وسار رسول الله ﷺ إليهم في العشرة آلاف الذين كانوا معه في

(١) قال ابن الأثير في جامع الأصول (٢/ ٥٦٩)، قسم التراجم: هو أبو محمد عبد الله بن أبي حَدْرَد رضي الله عنه، أول مشاهده الحُديبية، ثم خيبر، وما بعدها، وحَدْرَد: بفتح الحاء المهملة، وسكون الدال الأولى المهملة، وفتح الراء.

(٢) **أوزاع من الناس**: أي: فِرَق وجماعات. انظر: لسان العرب (١٥/ ٢٨٧).

(٣) **أوعب القوم**: إذا خرجوا كلهم إلى الغزو. انظر: لسان العرب (١٥/ ٣٤٠).

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٤٤١٧)، والبيهقي في دلائل النبوة (٥/ ١٢١)، وذكره ابن إسحاق في السيرة (٤/ ٨٩) بدون إسناد.

الفتح، وألفين من الطُّلَقاء[١] من أهل مكة ـ وأكثرهم حديثو عهد بالإسلام، لم يتمكن الإسلام من قلوبهم ـ، وشهدها معه بعض سادة مكة؛ كصفوان بن أمية، وكان ما زال مُشرِكًا، وسُهَيل بن عمرو، وغيرهم؛ فقد روى الشيخان في «صحيحيهما» عن أنس بن مالك ﵁، قال: لما كان يوم حُنَين أقبلت هوازن وغَطَفان بذراريِّهم ونَعَمِهم[٢]، ومع النبي ﷺ يومئذ عشرة آلاف، ومعه الطلقاء[٣].

وكان رسول الله ﷺ يخشى أن يغتر المسلمون بعددهم ويَعجَبوا بكثرتهم، وقد وقع ذلك بالفعل بنص القرآن، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا﴾ [التوبة: ٢٥].

فأراد رسول الله ﷺ أن يُبيِّن لهم أن ذلك لا يُغني عنهم من الله شيئًا بضرب مثل وقع لنبي من الأنبياء مع قومه؛ فقد روى الإمام أحمد في «مسنده» بسند صحيح عن صُهيب ﵁، قال: كان رسول الله ﷺ يُحَرِّك شفتيه أيام حُنَين بشيء[٤] لم يكن يفعَلُه قبل ذلك[٥]، فقال النبي ﷺ: «**إن نبيًّا كان فيمن كان قبلكم أعجبته أمَّتُه، فقال: لن يرومَ[٦] هؤلاء شيءٌ! فأوحى الله إليه أنْ خَيِّرْهم بين إحدى ثلاث: إما أن أُسلِّطَ عليهم عدوًّا من غيرهم فيستبيحَهم، أو**

---

(١) **الطُّلقاء**، بضم الطاء، وفتح اللام، هم الذين خَلَّى عنهم رسول الله ﷺ يوم فتح مكة، وأطلقهم فلم يستَرِقَّهم. انظر: النهاية (٣/ ١٢٣).

(٢) **النَّعَم**: الإبل والشاء. انظر: لسان العرب (١٤/ ٢١٢).

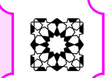
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٣٣٧)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٠٥٩) (١٣٥).

(٤) قال السندي في شرحه للمسند (١١/ ٢٣٢): أي: يقوله خُفيةً.

(٥) زاد الإمام أحمد في مسنده في رواية أخرى: فقال رسول الله ﷺ: «**فَطِنْتُم لي؟**»، فقال قائل: نعم.

(٦) **لن يروم**: لن يَطلُب. انظر: لسان العرب (٥/ ٣٧٧).

الجوع، أو الموت، فقالوا: أما القتل أو الجوع فلا طاقة لنا به، ولكن الموت، فمات في ثلاثٍ سبعون ألفًا!»، قال: فقال رسول الله ﷺ: «**فأنا أقول الآن: اللَّهُمَّ بك أُحاوِل**(١)**، وبك أصول**(٢)**، وبك أُقاتِلُ**»(٣).



شجرةُ ذاتِ أنواطٍ

مرَّ رسول الله ﷺ وهو في طريقه إلى حُنين بشجرة للمشركين، يُقال لها: ذاتُ أنواط؛ فقد روى الإمام أحمد والترمذي بسند صحيح عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه، قال: إنهم خرجوا عن مكة مع رسول الله ﷺ إلى حُنَين(٤)، قال: وكان للكُفَّار سِدْرَة يعكُفون عندها، ويُعلِّقون بها أسلحتهم، يُقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرةٍ خضراء عظيمة(٥)، فقلنا: يا رسول الله، اجعَلْ لنا ذاتَ أنواط(٦)، فقال رسول الله ﷺ: «**قلتم والذي نفسي بيده كما قال قوم موسى:** ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الأعراف: ١٣٨]، **إنها السُّنَن، لتركَبُنَّ سَنَنَ**(٧) **مَن كان قبلكم سُنةً سُنةً**»(٨).

---

(١) **أحاول**: أي: أتحرك. انظر: النهاية (١/ ٤٤٤).

(٢) **أصول**: أي: أسطو وأَقهر. انظر: النهاية (٣/ ٥٧).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٨٩٣٣).

(٤) زاد ابن أبي عاصم: ونحن حديثو عهد بكفر، وكانوا أسلموا يوم الفتح.

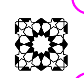
* **قلت**: تحرَّفت كلمة: حُنَين في بعض نسخ جامع الإمام الترمذي، ومسند أبي يعلى، رقم الحديث (١٤٤١) إلى: خيبر، وهو خطأ، والصواب: حُنَين.

(٥) هذا دليل على أنهم قالوا ذلك عندما مروا بشجرة عظيمة أخرى، وليست شجرة ذات أنواط.

(٦) **ذات أنواط**: هي اسم شجرة بعينها كانت للمشركين يَنُوطون بها سلاحَهم؛ أي: يُعلقونه بها، ويعكُفون حولها. انظر: النهاية (٥/ ١١٣).

(٧) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٦/ ١٧٩): **السَّنَن**، بفتح السين والنون: وهو الطريق.

(٨) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢١٨٩٧)، والترمذي في جامعه، رقم =



عيون[1] النبي ﷺ تأتيه بالأخبار

أطنب[2] رسولُ الله ﷺ السير، وبينما هو في الطريق جاءه أحد عيونه بأخبار هوازن؛ فقد روى أبو داود في «سُننه» والحاكم في «المستدرك» بسند صحيح عن سهل ابن الحنظلية رضي الله عنه، قال: إنهم ساروا مع رسول الله ﷺ يوم حُنين، فأطنبوا السَّيرَ حتى كان عشيَّة، فحضرت الصلاة عند رسول الله ﷺ، فجاء رجل فارس، فقال: يا رسول الله، إني انطلقتُ بين أيديكم حتى طلعتُ جبل كذا وكذا، فإذا أنا بهوازن على بَكرةِ آبائهم[3] بظُعُنهم[4] ونَعَمهم وشائِهم، اجتمعوا إلى حُنين، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «**تلك غنيمةُ المسلمين غدًا إن شاء الله!**»، ثم قال رسول الله ﷺ: «**مَن يحرُسُنا الليلة؟**» فقال أنس بن أبي مَرثَد الغَنَوي رضي الله عنه: أنا يا رسول الله، قال: «**فاركب**»، فركب فرسًا له، فجاء إلى رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «**استقبِلْ هذا الشِّعْبَ[5] حتى تكون في أعلاه، ولا نُغَرَّنَّ[6] من قِبَلِك الليلةَ**»، فلما أصبحنا خرج رسول الله ﷺ إلى مُصَلَّاه فركع ركعتين، ثم قال:

= الحديث (٢٣٢١)، وأبو يعلى في مسنده، رقم الحديث (١٤٤١)، وابن أبي عاصم في كتابه السُّنَّة، رقم الحديث (٧٦)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(١) **العيون**: الجواسيس. انظر: النهاية (٣/ ٢٩٩).

(٢) **أطنب في السير**: إذا أبعد. انظر: لسان العرب (٨/ ٢٠٦).

(٣) في رواية الحاكم: أبيهم.

قال ابن الأثير في جامع الأصول (٨/ ٣٨٣): يُقال: جاء القوم على **بَكرة أبيهم**: إذا جاؤوا بأَسْرِهم ولم يتخَلَّفْ منهم أحد.

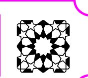
(٤) **الظُّعُن**، بضم الظاء: النساء، واحدتها، ظعينة. انظر: النهاية (٣/ ١٤٣).

(٥) **الشِّعْب**، بكسر الشين: ما انفرج بين جبلين. انظر: لسان العرب (٧/ ١٢٨).

(٦) **الغِرَّة**: الغفلة. انظر: لسان العرب (١٠/ ٤٥).

أي: لا يأتينا العدو من قِبَلِك على غفلةٍ.

«**هل أحسستُم فارسَكم؟**» قالوا: يا رسول الله ما أحسَسْناه، فَثُوِّب بالصلاة[١]، فجعل رسول الله ﷺ يُصلي وهو يلتفت إلى الشِّعْب[٢] حتى إذا قضى صلاته وسَلَّم، قال: «**أبشِروا فقد جاءكم فارسُكم**»، فجعلنا ننظر إلى خِلال الشجر في الشِّعْب، فإذا هو قد جاء حتى وقف على رسول الله فَسَلَّم، فقال: إني انطلقتُ حتى كنتُ في أعلى هذا الشِّعْب حيث أمرني رسول الله ﷺ، فلما أصبحتُ اطَّلعتُ الشِّعبين كليهما، فنظرتُ فلم أرَ أحدًا، فقال له رسول الله ﷺ: «**هل نزلتَ الليلةَ؟**» قال: لا، إلا مصليًا أو قاضيًا حاجة، فقال له رسول الله ﷺ: «**قد أَوْجَبْتَ**[٣]، **فلا عليك أن لا تعمَلَ بعدها**»[٤].



تعبئة مالك بن عوف جيشَه

عَبَّأ مالك بن عوف النَّصري جيشه أحسنَ تعبئةٍ، ووضع الكمائن في مُنحَدَرِ وادي حُنَين؛ فقد روى الإمام مسلم في «صحيحه» عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: افتتحنا مكة، ثم إنا غزونا حُنَينًا، فجاء المشركون بأحسن صفوف رأيتُ، فَصُفَّت الخيل، ثم صُفَّت المقاتِلة، ثم صُفَّت النساء من وراء

(١) **التثويب بالصلاة**: هو إقامة الصلاة. انظر: النهاية (١/ ٢٢٠).

(٢) قال الإمام ابن القيم في زاد المعاد (١/ ٢٨٩): فهذا الالتفات من الاشتغال بالجهاد في الصلاة، وهو يدخل في تداخل العبادات؛ كصلاة الخوف، وقريب منه قول عمر رضي الله عنه: إني لأُجهِّزُ جيشي وأنا في الصلاة، فهذا جمع بين الجهاد والصلاة، ونظيره التفكر في معاني القرآن واستخراج كنوز العلم منه في الصلاة، فهذا جمع بين الصلاة والعلم، فهذا لون، والتفات الغافلين اللاهين وأفكارهم لون آخر، وبالله التوفيق.

(٣) قال ابن الأثير في جامع الأصول (٨/ ٣٨٤): يُقال: أوجب فلان: إذا فعل فعلًا وجبت له به الجنة أو النار، والمراد به هاهنا: الجنة.

(٤) أخرجه أبو داود في سُننه، رقم الحديث (٢٥٠١)، والحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٢٤٦٤).

ذلك، ثم صُفَّت الغَنَم، ثم صُفَّت النَّعَم[(١)].

وروى الإمام أحمد في «مسنده» بسند حسن عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: كان القوم كَمَنوا لنا في شِعابه[(٢)] وفي أحنائِه[(٣)] ومضايقِه، قد أجمعوا وتهيؤوا وأعدُّوا[(٤)].

نزول المسلمين وادي حُنين وانهزامهم

عَبَّأ رسول الله ﷺ جيشه أحسن تعبئة، ولم يتوقع المسلمون كمائن هوازن في أحناء الوادي، فلما نزلوا لوادي حُنين ـ وكان منحدَرًا شديدًا ـ وإذا بهم يُفاجئون بالكتائب قد شَدَّت عليهم؛ فقد روى الإمام أحمد في «مسنده» بسند حسن عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: لما استقبلنا وادي حُنين، انحدرنا في وادٍ من أودية تهامِةَ أجوَفَ[(٥)] حَطُوطٍ[(٦)]، إنما ننحدر منه انحدارًا، قال: وفي عَماية الصبح[(٧)]، وقد كان القوم كمَنوا لنا في شِعابه وفي أحنائه ومضايقِه، قد أجمعوا وتهيؤوا وأعدُّوا، فوالله ما راعنا ونحن مُنحَطُّون إلا الكتائبُ قد شَدَّت علينا شَدَّةَ رجلٍ واحد، وانهزم الناس راجعين، فاستمروا لا يلوي أحد منهم على أحد[(٨)].

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٠٥٩) (١٣٦).

(٢) يعني: شِعاب وادي حُنَين.

(٣) **أحناء الوادي**: مُنعَطفه. انظر: النهاية (١/ ٤٣٧).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٥٠٢٧).

(٥) **أجوف**: أي: واسع. انظر: لسان العرب (٢/ ٤٢٢).

(٦) **حَطُوط**، بفتح الحاء: الأَكَمَة الصَّعبة الانحدار. انظر: لسان العرب (٣/ ٢٢٥).
والأَكَمَة: المكان المرتفع. انظر: لسان العرب (١/ ١٧٣).

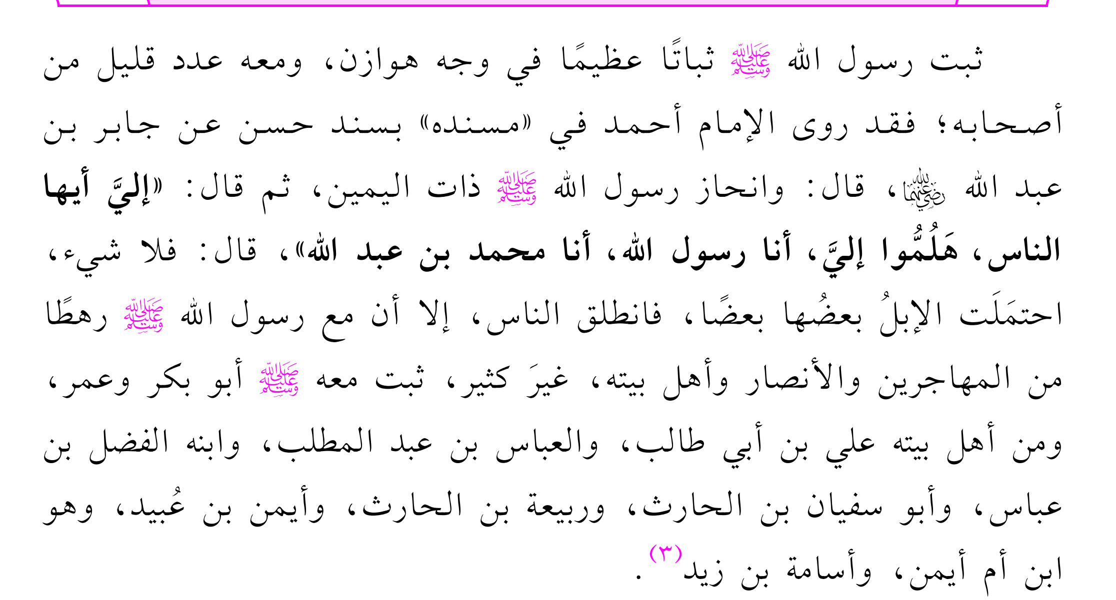
(٧) **عَماية الصبح**: بقيَّة ظلمة الليل. انظر: النهاية (٣/ ٢٧٦).

(٨) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٥٠٢٧).

وفي رواية ابن حبان في «صحيحه» بسند حسن، قال جابر رضي الله عنه: فوالله إن الناس ليُتابِعون لا يعلمون بشيء إذ فَجِئَهم الكتائب من كل ناحية، فلم ينتظر الناس أن انهزموا راجعين[(١)].

وفي «الصحيحين» من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما، قال: فلَقُوا قومًا رماة لا يكاد يسقط لهم سَهْم؛ جمعَ هوازِنَ، وبني نَصْر، فرشقوهم رشقًا ما يكادون يُخطِئون[(٢)].

ثبات النبي ﷺ



ثبت رسول الله ﷺ ثباتًا عظيمًا في وجه هوازن، ومعه عدد قليل من أصحابه؛ فقد روى الإمام أحمد في «مسنده» بسند حسن عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين، ثم قال: «**إليَّ أيها الناس، هَلُمُّوا إليَّ، أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله**»، قال: فلا شيء، احتمَلَت الإبلُ بعضُها بعضًا، فانطلق الناس، إلا أن مع رسول الله ﷺ رهطًا من المهاجرين والأنصار وأهل بيته، غيرَ كثير، ثبت معه ﷺ أبو بكر وعمر، ومن أهل بيته علي بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، وابنه الفضل بن عباس، وأبو سفيان بن الحارث، وربيعة بن الحارث، وأيمن بن عُبيد، وهو ابن أم أيمن، وأسامة بن زيد[(٣)].

وروى الإمام مسلم في «صحيحه» عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، قال: شهدتُ مع رسول الله ﷺ يوم حُنين، فلزمتُ أنا وأبو سفيان بن

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه، رقم الحديث (٤٧٧٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٢٩٣٠)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٧٧٦) (٧٨).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٥٠٢٧).

الحارث بن عبد المطلب رسولَ الله ﷺ، فلم نُفارقْه، ورسول الله ﷺ على بَغلة له بيضاء، أهداها له فروة بن نُفاثة الجُذامي، فلما التقى المسلمون والكفار، ولَّى المسلمون مُدبِرين، فطَفِق[(١)] رسول الله ﷺ يركُض بغلَتَه قِبَلَ الكفَّار، وأنا آخِذٌ بلجام[(٢)] بغلة رسول الله ﷺ، أَكُفُّها إرادة أن لا تُسرِع، وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**أيْ عَبَّاس، نادِ أصحابَ السَّمُرة**»[(٣)]، فقال العباس ـ وكان رجلًا صَيِّتًا[(٤)] ـ فقلت بأعلى صوتي: أين أصحابُ السَّمُرة؟ قال: فوالله لكأنَّ عَطْفَتَهم حين سمعوا صوتي عَطْفةُ البقر على أولادها، فقالوا: يا لبَّيك يا لبَّيك، قال: فاقتتلوا والكُفَّارَ. والدعوةُ في الأنصار، يقولون: يا معشر الأنصار، يا معشر الأنصار، قال: ثم قُصِرَت الدعوة على بني الحارث بنِ الخزرج، فقالوا: يا بني الحارث بنِ الخزرج، يا بني الحارث بنِ الخزرج، فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم، فقال رسول الله ﷺ: «**هذا حينَ حَمِيَ الوطيس**»، ثم أخذ رسول الله ﷺ حصيات فرمى بهنَّ وجوه الكُفَّار، ثم قال: «**انهزموا وربِّ محمد**»، قال: فذهبتُ أنظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى، فوالله ما هو إلا أن رماهم بحَصَياته، فما زلتُ أرى حَدَّهم كَلِيلًا، وأمْرَهم مُدبِرًا[(٥)].

وفي «صحيح مسلم» عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، قال: فلما غَشُوا

---

(١) **طَفِق**: جعل. انظر: النهاية (٣/ ١١٨).

(٢) **اللِّجام**: حبل أو عصا تُدخَل في فم الدابة وتُلزَق إلى قفاه. انظر: لسان العرب (١٢/ ٢٤٢).

(٣) **السَّمُرة**: هي الشجرة التي كانت عندها بيعة الرضوان عام الحُدَيبيَة. انظر: النهاية (٢/ ٣٥٩).

(٤) **صَيِّتًا**: شديدَ الصوتِ عالِيَه. انظر: النهاية (٣/ ٦٠).

(٥) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٧٧٥) (٧٦).

رسول الله ﷺ نزل عن البغلة، ثم قبض قبضةً من تراب من الأرض، ثم استقبل به وجوههم، فقال: «**شاهت الوجوه!**»، فما خَلَقَ الله منهم إنسانًا إلا مَلأَ عينيه تُرابًا بتلك القبضة، فولَّوا مدبرين، فهزمهم الله ﷻ[(١)].

وروى أبو داود في «سُننه» بسند صحيح عن البراء بن عازب رضي الله عنهما، قال: لما لقي النبي ﷺ المشركين يوم حُنين فانكشفوا، نزل عن بغلته فترجَّل[(٢)].

وروى الشيخان في «صحيحيهما» ـ واللفظ لمسلم ـ عن أبي إسحاق، قال: جاء رجل إلى البراء، فقال: أكنتُم ولَّيتم يوم حُنين يا أبا عُمارة؟

فقال رضي الله عنه: أشهد على نبي الله ﷺ ما وَلَّى، ولكنه انطلق أَخِفَّاءُ[(٣)] من الناس، وحُسَّرٌ[(٤)] إلى هذا الحيِّ من هوازن، وهم قوم رماة، فرموهم برِشْقٍ[(٥)] من نَبْلٍ، كأنها رِجْلٌ[(٦)] من جَرادٍ، فانكشفوا[(٧)]، فأقبل القوم إلى رسول الله ﷺ، وأبو سفيان بن الحارث يقود به بغلته، فنزل، ودعا، واستنصر، وهو يقول: «**أنا النبيُّ لا كَذِبْ أنا ابنُ عبدِ المُطَّلِبْ اللَّهُمَّ نَزِّلْ نَصْرَكْ**».

قال البراء رضي الله عنه: كنا والله إذا احْمَرَّ البأسُ[(٨)] نتَّقِي به، وإنَّ الشجاع منا

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٧٧٧).

(٢) أخرجه أبو داود في سُننه، رقم الحديث (٢٦٥٨).

(٣) قال ابن الأثير في جامع الأصول (٨/ ٣٩٦): **الأخِفَّاء**: جمع خفيف، وهم المُسرِعون من الناس الذين ليس لهم ما يُعَوِّقهم.

(٤) **الحُسَّر**: جمع حاسر، وهو الذي لا درع عليه ولا مِغْفَر. انظر: النهاية (١/ ٣٦٩).

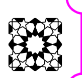
(٥) قال ابن الأثير في جامع الأصول (٨/ ٣٩٦): رَشَقَ يَرشُق رَشْقًا، بفتح الراء: إذا رمى، وبكسر الراء، وهو الاسم من الرَّمي، وهو المراد في الحديث: يُقال: إذا رمى القوم بأَسْرِهم في جهة واحدة: رَمَينا رِشْقًا.

(٦) قال ابن الأثير في جامع الأصول (٨/ ٣٩٧): **الرِّجْل من الجراد**: القطعة الكبيرة منه.

(٧) قال ابن الأثير في جامع الأصول (٨/ ٣٩٧): **انكشفوا**: أي: انهزموا.

(٨) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٢/ ١٠٢): كناية عن شدة الحرب، واستُعير =

للذي يُحاذِي به[(١)]!



نزول الملائكة

وأيَّد الله رسوله ﷺ والمؤمنين بنزول ملائكته، فهزموا هوازن، فقال الله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ۝٢٥ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا[(٢)] وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢٦ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٢٧﴾ [التوبة: ٢٥ ـ ٢٧].

قال الإمام ابن جرير الطبري: يخبرهم تبارك وتعالى أن النصر بيده ومِن عنده، وأنه ليس بكثرة العدد وشدة البطش، وأنه ينصر القليل على الكثير إذا شاء، ويخلِّي الكثير والقليل، فيَهزِمُ الكثيرَ[(٣)].

وروى الإمام أحمد في «مسنده» بسند حسن عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: واجتلد الناس، فوالله ما رجَعَت راجعةُ الناس من هزيمتهم[(٤)] حتى وجدوا الأسرى مُكتَّفين عند رسول الله ﷺ[(٥)].

وروى الإمام أحمد في «مسنده» بسند صحيح عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: فلما رأى ذلك نبيُّ الله ﷺ نزل، فهزمهم اللهُ فَوَلَّوا، فقام نبي الله ﷺ

= ذلك لحمرة الدماء الحاصلة فيها في العادة، أو لاستعار الحرب واشتعالها كاحمرار الجَمْر.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٧٧٦) (٧٩).

(٢) قال الإمام القرطبي في تفسيره (١٠/ ١٥٠): هم الملائكة يقوُّون المؤمنين بما يلقون في قلوبهم من الخواطر والتثبيت، ويُضعفون الكافرين بالتَّجبِين من حيث لا يَرَوْنهم، ومن غير قتال، لأنَّ الملائكةَ لم تُقاتل إلا يومَ بَدْر.

(٣) انظر: تفسير الطبري (٦/ ٣٤٠).

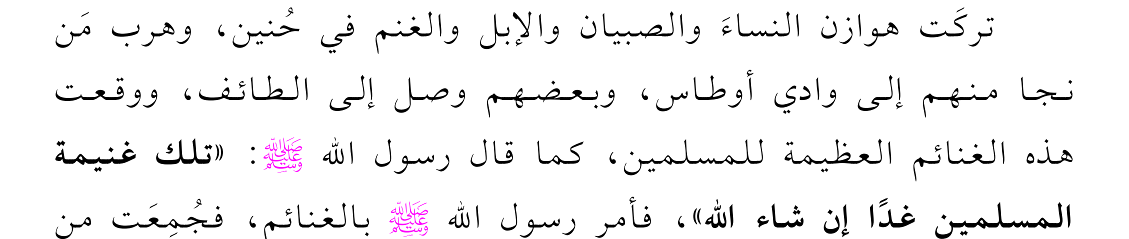
(٤) يعني: الذين فروا من المسلمين في بداية المعركة.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٥٠٢٧).

حين رأى الفتح، فجعل يُجاءُ بهم أُسارى رجلًا رجلًا[(١)].

وروى الإمام أحمد في «مسنده» وأبو داود في «سننه» بسند صحيح عن أنس بن مالك ﵁، قال: فهزم الله المشركين، ولم يُضرَبْ بسيف، ولم يُطعَن برمحٍ، فقال رسول الله ﷺ يومئذٍ: «**مَن قَتَلَ كافرًا**[(٢)]**، فله سَلَبُهُ**»[(٣)]، فقتل أبو طلحة يومئذٍ عشرين رجلًا، وأخذ أسلابَهم[(٤)].

قال الإمام البغوي: وفي الحديث دليل على أن كل مسلم قتل مشركًا في القتال يستحِقُّ سَلَبَه من بين سائر الغانمين، وأن السَّلَب لا يُخمَّس، قَلَّ ذلك أم كَثُر[(٥)].



جمع غنائم حُنَين

تركَت هوازن النساءَ والصبيان والإبل والغنم في حُنين، وهرب مَن نجا منهم إلى وادي أوطاس، وبعضهم وصل إلى الطائف، ووقعت هذه الغنائم العظيمة للمسلمين، كما قال رسول الله ﷺ: «**تلك غنيمة المسلمين غدًا إن شاء الله**»، فأمر رسول الله ﷺ بالغنائم، فجُمِعَت من

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٢٥٢٩).

(٢) في رواية أخرى في صحيح البخاري، رقم الحديث (٣١٤٢) (٤٣٢١)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٧٥١) (٤١) من حديث أبي قتادة ﵁: قتيلًا.

(٣) **السَّلَب**، بالتحريك: هو ما يأخذه أحد القِرْنَين في الحرب من قِرْنه مما يكون عليه ومعه من سلاح وثياب ودابة وغيرها. انظر: النهاية (٢/٣٤٨).

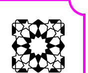
(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٢١٣١) (١٢٢٣٦)، وأبو داود في سُننه، رقم الحديث (٢٧١٨).

قال ابن سيد الناس في عيون الأثر (١/٤٠٧): المشهور أن قول النبي ﷺ: «**مَن قتل قتيلًا فله سَلَبُهُ**»، إنما كان يوم حُنين، وأما قوله ذلك يوم بدر وأُحُد فأكثرُ ما يُوجد من رواية مَن لا يحتجُّ به.

(٥) انظر: شرح السُّنَّة (١١/١٠٧).

الإبل والغنم والرقيق، وأمر أن تساق إلى الجِعْرَانة، فتُحبَس هناك.

قال ابن إسحاق: ثم جُمعت إلى رسول الله ﷺ سبايا حُنين وأموالها، وكان على المغانم مسعود بن عمرو الغِفاري رضي الله عنه، وأمر رسول الله ﷺ بالسبايا والأموال إلى الجِعْرَانة، فحُبِسَت بها[1].



انحياز هوازن إلى وادي أوطاس

انحازت طوائف من هوازن ـ وذلك بعد انهزامهم في حُنين ـ إلى وادي أوطاس، فبعث إليهم رسول الله ﷺ أبا عامر[2] الأشعري رضي الله عنه في سرية، ومعه ابن أخيه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه؛ فقد روى الشيخان في «صحيحيهما» عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: لما فرغ النبي ﷺ من حُنين، بعث أبا عامر على جيشٍ إلى أوطاس، فلقي دُرَيد بن الصِّمَّة، فقُتِلَ دُريد، وهزم الله أصحابه، قال: وبعثني[3] مع أبي عامر، فَرُمي أبو عامر في ركبته، رماه رجلٌ من بني جُشَم بسهم، فأثبته في ركبته، فانتهيتُ إليه، فقلتُ: يا عمِّ مَن رماك؟ فأشار أبو عامر إلى أبي موسى، فقال: إنَّ ذاك قاتلي، تراه ذلك الذي رماني، قال أبو موسى رضي الله عنه: فقصدتُ له فاعتمدته فلحقته، فلما رآني ولَّى عني ذاهبًا، فاتبَعْتُه وجعلت أقول له: ألا تستحي؟ ألستَ عربيًّا؟ ألا تَثبُتُ؟ فكَفَّ، فالتقيتُ أنا وهو، فاختلفنا أنا وهو ضربتين، فضربته بالسيف فقتلته، ثم رجعتُ إلى أبي عامر، فقلت: إن الله قد قَتَلَ صاحبك، فقال: فانزِعْ هذا السهم، فنزعته فنزا[4]

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٤/ ١١٠).

(٢) قال الحافظ في الفتح (٨/ ٣٦٢): هو عبيد بن سليم بن حضار الأشعري، وهو عم أبي موسى، وقال ابن إسحاق في السيرة (٤/ ١٠٥): هو ابن عمه، والأول أشهر.

(٣) يعني: النبي ﷺ.

(٤) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٦/ ٥٠): **فنزا**، هو بالنون والزاي؛ أي: =

منه الماء، فقال: يا ابن أخي انطَلِقْ إلى رسول الله ﷺ فأقْرِئْه مني السلام، وقل له: يقول لك أبو عامر: استغفِرْ لي. قال: واستعملني أبو عامر على الناس، ومكث يسيرًا، ثم إنه مات، فلما رجعتُ إلى النبي ﷺ دخلتُ عليه، وهو في بيتٍ على سرير مُرْمَلٍ[(١)] وعليه فِراشٌ، وقد أَثَّر رِمال السرير بظهر النبي ﷺ وجنبيه، فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر، وقلت له: قال: قُلْ له يستغفر لي، فدعا النبي ﷺ بماءٍ فتوضأ منه، ثم رفع يديه، ثم قال: «**اللَّهُمَّ اغفِرْ لعُبَيدٍ أبي عامرٍ**»، حتى رأيتُ بياض إبْطَيه، ثم قال: «**اللَّهُمَّ اجعله يوم القيامة فوق كثير مِن خَلْقِك، أو من الناس**»، فقلت: ولي يا رسول الله فاستغفِرْ، فقال النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه، وأدخله يوم القيامة مُدخلًا كريمًا**»[(٢)].

وروى الإمام مسلم في «صحيحه» عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: إن رسول الله ﷺ يوم حُنين بعث جيشًا إلى أوطاس، فلقُوا عدوًّا، فقاتلوهم فظهروا عليهم، وأصابوا لهم سبايا، فكأن ناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ تحرَّجوا من غِشْيانهن[(٣)] من أجل أزواجِهن من المشركين، فأنزل الله عز وجل في ذلك: ﴿وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾ [النساء: ٢٤][(٤)]؛ أي: فهنَّ لكم حلال إذا انقضَت عِدَّتُهن[(٥)].

= ظهر وارتفع وجرى ولم ينقطع.

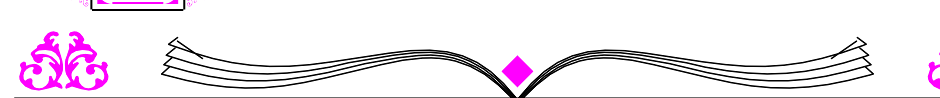
(١) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٦/ ٥٠): **مُرْمَل**: بإسكان الراء وفتح الميم. وقال الحافظ في الفتح (٨/ ٣٦٣): أي: معمول بالرِّمال، وهي حبال الحُصُر التي تُضفر بها الأَسِرَّة.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٣٢٣)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٤٩٨).

(٣) **غِشْيانهن**: أي: جِماعهن. انظر: النهاية (٣/ ٣٣١).

(٤) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٥٦): أي: وحُرِّم عليكم الأجنبيات المحصَنات وهنَّ المزوَّجات، ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾ [النساء: ٢٤]؛ يعني: إلا ما ملكتُموهن بالسَّبي؛ فإنه يحل لكم وَطْؤُهنَّ إذا استبرَأْتموهنَّ.

(٥) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٤٥٦) (٣٣).







غزوة الطائف

قال الإمام البخاري في «صحيحه»: باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمانٍ، قاله موسى بن عقبة(١).

قال الحافظ في «الفتح»: كذا ذكره(٢) في «مغازيه»، وهو قول جمهور أهل المغازي(٣).

سبب الغزوة

قال ابن إسحاق: لما قَدِم فَلُّ(٤) ثقيفٍ(٥) الطائِفَ، أغلقوا عليهم أبواب مدينتها، وصنعوا الصنائع للقتال(٦).

مسير النبي ﷺ إلى الطائف

سار رسول الله ﷺ إلى الطائف حين فرغ من حُنين، وفرض عليهم الحصار؛ فقد روى الإمام مسلم في «صحيحه» عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: ثم انطلقنا إلى الطائف فحاصرناهم أربعين ليلة(٧).

---

(١) انظر: صحيح البخاري (٨/ ٣٦٤).
(٢) يعني: موسى بن عقبة.
(٣) انظر: فتح الباري (٨/ ٣٦٤).
(٤) **الفَلُّ**، بفتح الفاء: القوم المنهزمون، وربما قالوا: فُلول وفِلال. انظر: النهاية (٣/ ٤٢٥).
(٥) وذلك بعد انهزامهم يوم حُنين.
(٦) انظر: سيرة ابن هشام (٤/ ١٣٠).
(٧) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٠٥٩) (١٣٦).

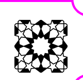
ولم يأذن الله ﷻ لرسوله ﷺ بفتح الطائف، وذلك بعد محاولات من الصحابة ﵃ لفتحها؛ فقد روى الشيخان في «صحيحيهما» عن عبد الله بن عمر[(١)] ﵄، قال: حاصر رسول الله ﷺ أهل الطائف، فلم ينَلْ منهم شيئًا، فقال: «**إنا قافلون**[(٢)] **إن شاء الله**»، فقال أصحابه: نرجع ولم نفتَتِحْه[(٣)]، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**اغدُوا على القتال**»، فغدوا عليه فأصابهم جراح، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**إنا قافلون غدًا**»، فأعجبهم ذلك، فضحك رسول الله ﷺ[(٤)].

قال الحافظ في «الفتح»: وحاصل الخبر أنهم لما أخبرهم بالرجوع بغير

---

(١) في رواية الإمام مسلم: عبد الله بن عمرو.
قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٢/ ١٠٤): هكذا هو في نسخ صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بفتح العين، وهو ابن عمرو بن العاص ﵄.
وقال الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٤٥٨٨): حدثنا سفيان، حدثنا عَمرو، عن أبي العباس، عن عبد الله بن عُمر، قيل لسفيان: ابنُ عَمرٍو؟ قال: لا، ابن عُمَر، وذكر الحديث.
* قال السندي في شرحه للمسند (٣/ ٤٩٥): قوله: قيل لسفيان: ابن عَمرو؛ أي: الحديث عن ابن عمرو بن العاص؟ قال: لا، ابن عُمَر؛ أي: ابن الخطاب، كما لا يخفى، وهو الذي صوَّبه الدارقطني وغيره. والله تعالى أعلم.
* وقال الشيخ أحمد شاكر: ومن البَيِّن الواضح أنهم كلهم لم ينتبهوا إلى رواية الإمام أحمد هنا، وهو من أحفَظِ أصحاب ابن عيينة، إن لم يكن أحفَظَهم، وإثباته بالقبول الصريح الواضح أن ابن عيينة سُئِلَ: ابن عَمرو؟ يعني: ابن العاص، فقال: لا، ابن عُمر، يعني: ابن الخطاب، فهذا يرفع كل خلاف، ويقطع بأن مَن روى بفتح العين أخطأ جدًّا، سواء أكان ممن روى عن سفيان بن عيينة، أم كان ممن بعدهم، أم كان من أصحاب نُسَخ الصحيحين.
(٢) **قَفَلَ**: رجع. انظر: النهاية (٤/ ٨١).
(٣) يعني: حصن الطائف.
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٣٢٥)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٧٧٨).

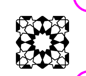
فتح لم يعجبهم، فلما رأى ذلك أمرهم بالقتال، فلم يُفتَحْ لهم فأُصيبوا بالجراح؛ لأنهم رموا عليهم من أعلى السور، فكانوا ينالون منهم بسهامهم ولا تصل السهام إلى مَن على السور، فلما رأوا ذلك تبين لهم تصويب الرجوع، فلما أعاد عليهم القولَ بالرجوعِ أعجبهم حينئذ؛ ولهذا قال: فضحك[(١)].



الدعاء لأهل الطائف بالهداية

فلما أراد رسول الله ﷺ الرجوعَ عن الطائف، دعا لأهلها بالهداية؛ فقد روى الإمام أحمد في «مسنده» بسند صحيح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ اهْدِ ثقيفًا**»[(٢)].

وفي لفظ آخر في «جامع الترمذي» عن جابر رضي الله عنه، قال: قالوا: يا رسول الله، أحرقَتْنا نبالُ ثقيف، فادع الله عليهم، فقال رسول الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ اهْدِ ثقيفًا**»[(٣)].



رجوع النبي ﷺ وتقسيم غنائم حُنين

رجع رسول الله ﷺ إلى الجِعْرَانة ينتظر ثقيفًا؛ لعلهم يُسلِمون فيُحرِزون ما أُصيب منهم من النساء والذرية، فلما تأخروا عليه أخذ بقسمة غنائم حُنَين بين المسلمين، فبدأ رسول الله ﷺ بالمؤلَّفة قلوبُهم[(٤)]، وهم سادات العرب،

(١) انظر: فتح الباري (٨/ ٣٦٦).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٤٧٠٢).

(٣) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه، رقم الحديث (٤٢٨٥) وقال: حديث حسن صحيح غريب.

(٤) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٤/ ٣٠٥): وأما المؤلَّفة قلوبهم، فأقسام: =

يتألف قلوبهم بهذا العطاء إلى الإسلام؛ فقد روى الإمام مسلم في «صحيحه» عن رافع بن خَديج[١] رضي الله عنه، قال: أعطى رسول الله ﷺ أبا سُفيان بن حرب، وصفوان بن أمية، وعُيَينة بن حِصن، والأقرع بن حابس، كل إنسان منهم مائة من الإبل[٢].

وروى الإمام مسلم في «صحيحه» والإمام أحمد والترمذي عن صفوان بن أمية رضي الله عنه، قال: أعطاني رسول الله ﷺ يوم حُنين، وإنه لأبغض الخَلْق إليَّ، فما زال يُعطيني حتى إنه لأحبُّ الخَلْقِ إليَّ[٣].

وأعطى رسول الله ﷺ حكيم بن حزام رضي الله عنه مائة من الإبل[٤]؛ فقد روى الشيخان في «صحيحيهما» عن حكيم بن حزام رضي الله عنه، قال: سألتُ رسول الله ﷺ فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم سألته فأعطاني[٥]، ثم قال:

= * منهم مَن يُعطى ليُسلِم، كما أعطى النبي ﷺ صفوان بن أمية من غنائم حُنين، وقد كان شهدها مشركًا.

* ومنهم مَن يُعطى ليَحسُنَ إسلامه ويثبت قلبه، كما أعطى يوم حُنين أيضًا جماعة من صناديد الطلقاء وأشرافهم مائة من الإبل.

* ومنهم مَن يُعطى لما يُرجى من إسلام نُظَرائه.

* ومنهم مَن يُعطى ليَجبي الصدقات ممن يليه، أو ليدفع عن حوزة المسلمين الضرر من أطراف البلاد، ومحلُّ تفصيل هذا في كتب الفروع، والله أعلم.

(١) قال الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٤٥٣): رافع بن خَدِيج الصحابي رضي الله عنه، وخَدِيج: بفتح الخاء المعجمة، وكسر الدال المهملة، الأنصاري الأوسي، استصغره رسول الله ﷺ يوم بدر، فردَّه، وأجازه يوم أُحُد، فشهد أُحُدًا والخندق وأكثَرَ المشاهدِ.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٠٦٠) (١٣٧).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٣١٣)، والإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٥٣٠٤) (٢٧٦٣٨)، والترمذي في جامعه، رقم الحديث (٦٧٢).

(٤) قال ابن إسحاق في السيرة (٤/ ١٤٥): وأعطى حكيمَ بن حزام مائة بعير.

(٥) في رواية الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٥٣٢١) بسند صحيح عن حكيم بن حزام رضي الله عنه، قال: سألتُ رسول الله ﷺ من المال فألحفتُ. =

«**يا حكيم، إن هذا المال خَضِرة حُلوة، فمن أخذه بسخاوة**[١] **نفسٍ بُورك له فيه، ومَن أخذه بإشرافِ نفسٍ**[٢] **لم يُبارَكْ له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع، واليدُ العليا خير من السُّفلى**»، قال حكيم: فقلت: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق لا أَرزَأُ[٣] أحدًا بعدك شيئًا حتى أُفارِقَ الدنيا، فكان أبو بكر رضي الله عنه، يدعو حكيمًا إلى العطاء فيأبى أن يقبله منه، ثم إن عمر رضي الله عنه دعاه ليعطيه فأبى أن يقبل منه شيئًا، فقال: إني أُشهِدُكم معشرَ المسلمين على حكيم أني أَعرِض عليه حقه من هذا الفيء فيأبى أن يأخذه، فلم يرزَأْ حكيم أحدًا من الناس بعد رسول الله ﷺ حتى تُوفِّيَ[٤].

قال الحافظ في «الفتح»: وإنما امتنع حكيم من أَخْذِ العطاء، مع أنه حقه؛ لأنه خشي أن يقبل من أحد شيئًا فيعتاد عليه، فتتجاوز به نفسه إلى ما لا يريده، ففطمها عن ذلك، وترك ما يَرِيبه إلى ما لا يَريبه[٥].

وازدحم على رسول الله ﷺ ضِعافُ الإيمان من مُسلِمة الفتح وغيرهم؛ فقد روى الإمام أحمد في «مسنده» بسند حسن عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قسَّم رسول الله ﷺ غنائم حُنَين بالجِعْرَانة، فازدحموا عليه، فقال رسول الله ﷺ: «**إن عبدًا من عباد الله بعثه الله عز وجل إلى قومه، فكَذَّبوه وشَجُّوه، فجعل يمسح الدم عن جبينه، ويقول: رب اغفر لقومي؛ فإنهم لا**

= **ألحفت**: بالَغْتُ. انظر: النهاية (٤/ ٢٠٤).

(١) في رواية الإمام مسلم: «**بطِيبِ**».

(٢) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٧/ ١١٢): قال العلماء: **إشراف النفس**: تَطَلُّعُها إليه وتَعَرُّضُها له وطَمَعُها فيه.

(٣) قال الحافظ في الفتح (٤/ ٩٩): **لا أَرْزَأ**، بفتح الهمزة، وإسكان الراء، وفتح الزاي، بعدها همزة؛ أي: لا أَنقُصُ مالَه بالطلب منه.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٤٧٢)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٠٣٥).

(٥) انظر: فتح الباري (٤/ ٩٩).

يعلمون»، قال عبد الله: فكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يمسح جبهته، يحكي الرَّجُلَ[١].

وروى الإمام مسلم في «صحيحه» عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: إن رجلًا سأل النبي ﷺ غنمًا بين جبلين، فأعطاه إياه، فأتى قومَه، فقال: أيْ قومِ، أسلِموا؛ فوالله إن محمدًا ليُعطي عطاءً ما يخاف الفقر.

قال أنس رضي الله عنه: إن كان الرجلُ ليُسلِمُ ما يريد إلا الدنيا، فما يُسلِم حتى يكون الإسلامُ أحبَّ إليه من الدنيا وما عليها![٢].

قال الإمام النووي: المراد أنه يُظهر الإسلام أولًا للدنيا لا بقصدٍ صحيحٍ بقلبه، ثم من بركة النبي ﷺ ونور الإسلام لم يلبث إلا قليلًا حتى ينشرح صدرُه بحقيقة الإيمان، ويتمكَّن من قلبه؛ فيكون حينئذٍ أحبَّ إليه من الدنيا وما فيها[٣].

عَتْب الأنصار رضي الله عنهم

أعطى رسول الله ﷺ قريشًا وقبائل العرب من غنائم حُنين، ولم يُعْطِ الأنصار منها شيئًا؛ لحِكَمٍ عظيمة بالغة ـ كما سيأتي ـ فوجدوا في أنفسهم رضي الله عنهم من ذلك.

قال الحافظ ابن كثير: وعتب بعض الأنصار، فبلغه ﷺ، فخطبهم وحدهم، وامتنَّ عليهم بما أكرمهم الله من الإيمان به، وبما أغناهم الله به بعد فقرهم، وألَّف بينهم بعد العداوة التامة؛ فَرَضُوا، وطابت أنفسهم رضي الله عنهم وأرضاهم[٤].

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٤٠٥٧).
(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٣١٢) (٥٨).
(٣) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١٥/ ٥٩).
(٤) انظر: الفصول في سيرة الرسول، ص (٢٤٠).

روى الإمام أحمد في «مسنده» بسند حسن عن أبي سعيد الخُدْري ﵁، قال: لما أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى من تلك العطايا في قريش وقبائل العرب، ولم يكن في الأنصار منها شيءٌ؛ وَجَدَ[١] هذا الحي من الأنصار في أنفسهم، حتى كَثُرت فيهم القالةُ[٢] حتى قال قائلهم: لقي رسولُ الله ﷺ قومَه! فدخل عليه سعد بن عُبادة ﵁، فقال: يا رسول الله، إن هذا الحيَّ قد وَجَدُوا عليك في أنفسهم؛ لِما صنعت في هذا الفيء الذي أصبتَ؛ قَسَمْتَ في قومك، وأعطيت عطايا عظامًا في قبائل العرب، ولم يكُ في هذا الحي من الأنصار شيءٌ، فقال رسول الله ﷺ: «**فأين أنت من ذلك يا سعدُ؟**» قال: يا رسول الله، ما أنا إلا امرؤٌ من قومي، وما أنا؟ فقال رسول الله ﷺ: «**فاجمع لي قومَك في هذه الحظيرة**»[٣]، فخرج سعد ﵁، فجمع الأنصار في تلك الحظيرة، فلما اجتمعوا أتاه سعد ﵁، فقال: قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار، فأتاهم رسول الله ﷺ، فحَمِد الله وأثنى عليه بالذي هو له أهل، ثم قال: «**يا معشر الأنصار، ما قالةٌ بلغتني عنكم وَجِدَةٌ وجدتموها في أنفسكم؟! ألم آتِكُم ضُلَّالًا فهداكم الله؟ وعالةً[٤] فأغناكم الله؟ وأعداءً فألَّف الله بين قلوبكم؟**» قالوا: بل اللهُ ورسوله أَمَنُّ وأفضل، فقال رسول الله ﷺ: «**ألا تُجيبونني يا معشر الأنصار؟**»، قالوا: وبماذا نُجيبك يا رسول الله، ولله ولرسوله المنُّ والفضل؟! فقال رسول الله ﷺ: «**أما وَاللهِ لو شئتم لقُلتم فَلَصَدَقْتُم وصُدِّقْتُم: أتيْتَنا مُكَذَّبًا فَصَدَّقناك، ومخذولًا فنصَرْناك، وطريدًا فآويناك، وعائلًا فآسيناك، أوَجَدْتُم في أنفسكم ـ يا معشر الأنصار ـ في**

(١) **وَجَدَ**: حَزِن. انظر: لسان العرب (١٥/ ٢٢٠).
(٢) **القالَةُ**: كثرة القول. انظر: النهاية (٤/ ١٠٧).
(٣) **الحظيرة**: الموضع الذي يُحاط عليه. انظر: النهاية (١/ ٣٨٩).
والمراد هاهنا: الخيمة.
(٤) **العائل**: الفقير. انظر: النهاية (٣/ ٢٩٨).

لُعَاعةٍ[١] **من الدنيا، تألَّفْتُ بها قومًا ليُسلِموا، ووكَلْتُكم إلى إسلامِكم؟! أفلا ترضَون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وترجِعون برسول الله في رِحالِكم؟ فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرةُ لكنتُ امْرَأً من الأنصار، ولو سلك الناس شِعْبًا، وسلَكَتِ الأنصارُ شِعْبًا؛ لسلكتُ شِعْب الأنصار، اللَّهُمَّ ارحَمِ الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار**»، فبكى القوم حتى أخْضَلوا لِحاهم[٢]، وقالوا: رضينا برسول الله قِسْمًا وحَظًّا، ثم انصرف رسول الله ﷺ وتفرقوا[٣].

وفي لفظ آخر في «الصحيحين»، قال رسول الله ﷺ للأنصار: «**إني أُعطي رجالًا حديثِي عهد بكفر أتألَّفُهم، أفلا ترضون أن يذهب الناس بالأموال، وترجعون إلى رحالكم برسول الله؟ فوالله لَما تنقلبون**[٤] **به خيرٌ مما ينقلبون به**»، فقالوا: بلى يا رسول الله قد رضينا[٥].

وروى ابن إسحاق في «السِّيرة» بسند مرسل حسن عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمِيِّ، قال: إن قائلًا قال لرسول الله ﷺ من أصحابه: يا رسول الله، أعطيتَ عُيَينةَ بن حِصن، والأقرعَ بن حابِس مئةً مئة، وتركتَ جُعْيل بن سُراقة الضَّمْري[٦]، فقال رسول الله ﷺ: «**أما والذي نفس محمد**

---

(١) **اللُّعاعة**، بضم اللام: نبت ناعم في أول ما يَنبُت؛ يعني: أن الدنيا كالنبات الأخضر قليل البقاء. انظر: النهاية (٤/ ٢١٩).

(٢) **أخضلوا لحاهم**: أي: بَلُّوها بالدموع. انظر: النهاية (٢/ ٤٢).

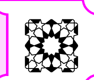
(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١١٧٣٠).

(٤) **الانقلاب**: الرجوع. انظر: النهاية (٤/ ٧٥).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٣٣١)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٠٥٩).

(٦) قال ابن الأثير في أُسد الغابة (١/ ٣٢٤): جُعيل بن سُراقة رضي الله عنه: من أهل الصُّفَّة وفقراء المسلمين، أسلم قديمًا، وشهد مع النبي ﷺ أُحُدًا، وأُصيبت عينه يوم قُرَيظة، وكان دميمًا قبيح الوجه، أثنى عليه النبي ﷺ ووكله إلى إيمانه.

بيده، لجُعْيلُ بنُ سُراقة خيرٌ من طِلاع الأرض[١] كُلِّهم مِثلُ عُيينةَ بنِ حِصن والأقرع بن حابس، ولكنِّي تألَّفتُهما ليُسلِما، ووكلتُ جُعَيْل بن سُراقةَ إلى إسلامِه»[٢].



قدوم وفد هوازن مسلمين

قَدِمَ وفدُ هوازِنَ على رسول الله ـ وهو بالجِعْرَانة ـ مسلمين، وذلك بعدما قسَّم الغنائم، وكان رسول الله ﷺ انتظرهم بعد عودته من الطائف بضع عشرة ليلة؛ لعلهم يأتون مسلمين، فيرد عليهم أبناءهم ونساءهم وأموالهم؛ فقد روى الإمام البخاري في «صحيحه» عن مروان بن الحكم والمِسْوَر بن مَخْرَمة، قالا: إن رسول الله ﷺ قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين، فسألوه أن يَرُدَّ إليهم أموالهم وسَبْيَهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**معي مَن ترون، وأحَبُّ الحديثِ إليَّ أصدَقُه، فاختاروا إحدى الطائفتين: إمَّا السَّبيَ وإما المال، وقد كنتُ استأنيتُ[٣] بكم**»، وكان أنظَرَهم رسولُ الله ﷺ بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف، فلما تبيَّن لهم أن رسول الله ﷺ غيرُ رادٍّ إليهم إلا إحدى الطائفتين، قالوا: فإنَّا نختار سَبْيَنا، فقام رسول الله ﷺ في المسلمين، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: «**أما بعد، فإن إخوانكم قد جاؤونا**

(١) **طِلاع الأرض**: أي: ما يملؤها حتى يطلُعَ عنها ويسيل. انظر: النهاية (٣/ ١٢١).

(٢) أخرجه ابن إسحاق في السيرة (٤/ ١٤٩)، وأورده الحافظ في الإصابة (١/ ٥٩٦) وقال: هذا مرسل حسن، لكن له شاهد موصول، روى الروياني في مسنده، وابن عبد الحكم في فتوح مصر، ثم ذكره، وقال: إسناده صحيح.

(٣) **استأنيتُ**: أي: انتظرتُ. انظر: النهاية (١/ ٧٨).

قال الحافظ في الفتح (٨/ ٣٥٢): أي: أخَّرْتُ قَسْمَ السَّبيِ؛ لتَحضُروا فأبطأتم، وكان تَرَك السَّبيَ بغير قِسمة، وتوجَّه إلى الطائف فحاصرها، ثم رجع عنها إلى الجِعْرانة، ثم قسَّم الغنائم هناك، فجاءه وفد هوازن بعد ذلك؛ فبَيَّن لهم أنه أَخَّرَ القَسْمَ؛ لِيَحضُروا، فأبطَؤوا.

تائبين، وإني قد رأيتُ أن أَرُدَّ إليهم سَبْيَهم، فمن أحب منكم أن يُطيِّب ذلك فليفعَلْ، ومَن أحب منكم أن يكون على حَظِّه[١] حتى نُعطيه إياه من أولِ ما يُفيءُ الله علينا فليفعَلْ»، فقال الناس: قد طَيَّبنا ذلك يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «**إنا لا ندري مَن أَذِنَ منكم في ذلك ممَّن لم يأذَنْ؛ فارجعوا حتى يَرفع إلينا عُرَفاؤكم أمْرَكم**»، فرجع الناس فكلَّمهم عُرفاؤهم، ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ فأخبروه أنهم قد طيَّبُوا وأَذِنوا[٢].

وروى الإمام أحمد في «مسنده» وابن إسحاق في «السِّيرة» بسند حسن عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: إن وفد هوازن[٣] أتوا رسول الله ﷺ وهو بالجِعْرَانة، وقد أسلموا، فقالوا: يا رسول الله، إنَّا أَصْلٌ وعشيرةٌ، وقد أصابَنا من البلاء ما لم يَخْفَ عليك، فامْنُنْ علينا، مَنَّ الله عليك[٤]، فقال رسول الله ﷺ: «**أبناؤكم ونساؤكم أحبُّ إليكم، أم أموالُكم؟**» قالوا: يا رسول الله، خَيَّرْتنا بين أحسابنا وبين أموالنا؛ بل تُرَدُّ علينا نساؤنا وأبناؤنا؛ فهو أحبُّ إلينا، فقال لهم: «**أَمَّا ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، فإذا صليتُ للناس الظهر، فقوموا، فقولوا: إنا نستشفع برسول الله ﷺ إلى المسلمين، وبالمسلمين إلى رسول الله ﷺ في أبنائنا ونسائنا، فسأُعطيكم عند ذلك، وأسأل لكم**»، فلما صلى رسول الله ﷺ بالناس الظهر قاموا، فتكلموا

---

(١) قال السندي في شرحه للمسند (١١/ ٢١٤): أي: نصيبه، بأن يأخذ مني عِوَضَ ذلك.

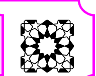
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٣١٨) (٨٣١٩).

(٣) قال السندي في شرحه للمسند (٤/ ٤٣٢): أي: طائفة من هوازن، وهم الذين حاربوا يوم حُنين، ثم هزمهم الله تعالى؛ فصارت أموالهم وأولادهم غنيمة للمسلمين، فحين جاؤوا مسلمين طلبوا ذلك.

(٤) زاد ابن إسحاق في السيرة: وقام رجل من هوازن، ثم أحد بني سعد بن بكر، يُقال له زهير، يكنى أبا صُرَد، فقال: يا رسول الله، إنما في الحظائر عماتُك وخالاتك وحواضِنُك اللاتي كُنَّ يَكفُلْنك!

قلت: يعني بذلك: أنهم قومُ حليمةَ السعدية أمِّ النبي ﷺ من الرَّضاعة.

بالذي أمرهم به، فقال رسول الله ﷺ: «**أَمَّا ما كان لي ولبني عبد المطَّلب فهو لكم**»، وقال المهاجرون: وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ، وقالت الأنصار: وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ، وقال الأقرعُ بن حابس: أَمَّا أنا وبنو تميم فلا، وقال عُيينة بن حَصن: أَمَّا أنا وبنو فَزَارة فلا، وقال العباس بن مِرْداس: أَمَّا أنا وبنو سُليم فلا، فقالت بنو سُليم: لا، ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ، فقال العباس بن مِرداس: يا بني سُليم، وَهَّنْتموني! فقال رسول الله ﷺ: «**أَمَّا مَن تَمَسَّك منكم بحقه من هذا السبي، فله بكل إنسان ستُّ فرائض**[1] **من أول شيء نُصيبُه**»، فرَدُّوا على الناس أبناءهم ونساءهم[2].



اعتمار النبي ﷺ من الجِعْرَانة

ولما فرغ رسول الله ﷺ من قِسمة غنائم حُنين في الجِعْرَانة، أَهَلَّ بالعمرة، وهي عُمرة الجِعْرَانة؛ فقد روى الإمام أحمد والترمذي بسند حسن، عن مُحَرِّش[3] الكعبي رضي الله عنه، قال: إن رسول الله ﷺ خرج من الجِعْرَانة ليلًا معتمرًا، فدخل مكة ليلًا، فقضى عمرته، ثم خرج من ليلته، فأصبح بالجِعْرَانة كبائتٍ، فلما زالت الشمس من الغد، خرج في بطن سَرِفَ[4]، حتى جامع الطريقَ؛ طريقَ جَمْعٍ ببَطْنِ سَرِف؛ فمن أجل ذلك خَفِيت عُمرته على الناس[5].

---

(١) **الفرائض**: جمع فريضة، وهو البعير المأخوذ من الزكاة، سُمي فريضة؛ لأنه فرض واجب على رب المال، ثم اتُّسِع فيه حتى سُمي البعير فريضةً في غير الزكاة. انظر: النهاية (٣/ ٣٨٧).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٧٠٣٧)، وابن إسحاق في السيرة (٤/ ١٤١).

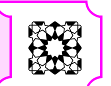
(٣) قال ابن الأثير في جامع الأصول (٢/ ٨٤١)، قسم التراجم: **مُحَرِّش**: بضم الميم، وفتح الحاء المهملة، وتشديد الراء المكسورة.

(٤) **سَرِف**، بفتح السين، وكسر الراء: موضع من مكة على عشرة أميال. انظر: النهاية (٢/ ٣٢٦).

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٥٥١٣)، والترمذي في جامعه، رقم الحديث (٩٥٣).

وروى الإمام أحمد في «مسنده» وأبو داود في «سُننه» بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: إن رسول الله ﷺ وأصحابه اعتمروا من الجِعْرَانة، فرَمَلوا بالبيت، وجعلوا أردِيَتَهم تحت آباطهم، ثم قذفوها على عواتقهم اليُسرى[١].

قال الحافظ في «الفتح»: وأما دخول مكة ليلًا فلم يقعْ منه ﷺ إلا في عُمرة الجِعْرَانة؛ فإنه ﷺ أحرم من الجِعْرَانة ودخل مكة ليلًا، فقضى أمر العمرة ثم رجع ليلًا، فأصبح بالجِعْرَانة كبائتٍ، كما رواه أصحاب السنن الثلاثة من حديث مُحَرِّش الكعبي رضي الله عنه، وترجم عليه النسائي: دخول مكة ليلًا[٢].



استخلاف عَتَّاب بن أَسِيد[٣] رضي الله عنه على مكة

استخلف رسول الله ﷺ عَتَّاب بن أَسِيد رضي الله عنه على مكة، وذلك قبل عودته ﷺ إلى المدينة؛ فقد روى الإمام البغوي في حديث عيسى بن سالم الشاشي بسند جيد، عن عمرو بن شُعَيب عن أبيه عن جده، قال: إن رسول الله ﷺ بعث عَتَّاب بن أَسيد إلى مكة، فقال: «**أتدري إلى أين أبعثُك؟ إلى أهلِ الله، وهم أهلُ مكة**»[٤].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٧٩٢) (٣٥١٢)، وأبو داود في سُننه، رقم الحديث (١٨٨٤).

(٢) انظر: فتح الباري (٤/ ٢٢٦).

(٣) قال الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٧٣٠): عَتَّاب بن أَسيد، بفتح الهمزة، رضي الله عنه أسلم يوم الفتح، واستعمله النبي ﷺ على مكة حين انصرف عنها بعد الفتح، وسِنُّه يومئذٍ عشرون سنة، وكان خَيِّرًا صالحًا فاضلًا.

(٤) أورد هذا الحديث الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم الحديث (١٢١٢) وقال: أخرجه البغوي في حديث عيسى بن سالم الشاشي (ق١٠٨/ ١)، وجَوَّد إسناده.

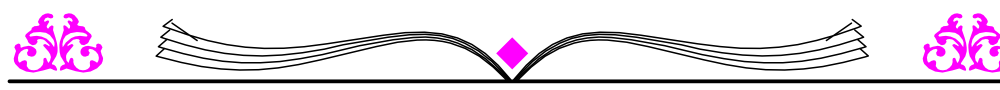
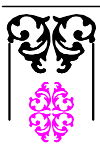
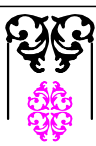
وقال الحافظ ابن كثير: واعتمر رسول الله ﷺ من الجِعْرَانة، ودخل مكة، فلما قضى عمرته ارتحل إلى المدينة، وأقام للناس الحجَّ عامئذ عَتَّابُ بن أَسيد رضي الله عنه، فكان أول مَن حج بالناس من أُمراء المسلمين[١].

وقدم رسول الله ﷺ المدينة النَّبَوية لسِتٍّ ليال بقين من ذي القعدة سنة ثمانٍ للهجرة[٢].

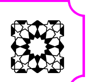
۞ ۞ ۞

(١) انظر: الفصول في سيرة الرسول، ص (٢٤٢).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٤/ ١٥٤).

السنة التاسعة للهجرة

بَعْثُ النبيِّ ﷺ عُمَّالَه على الصدقات

لما استهَلَّ هلال المحرَّم من السنة التاسعة للهجرة، بعث رسول الله ﷺ عُمَّاله على الصدقات إلى كل ما أوطأ الإسلام من البلدان.

قال ابن سعد في «طبقاته»: لما رأى رسول الله ﷺ هلال المحرم سنة تسع من مُهاجَرِه، بعث الـمُصَدِّقين يُصَدِّقون العربَ[(١)].

وقال ابن إسحاق: بعث رسول الله ﷺ أمراءه وعُمَّاله على الصدقات، إلى كل ما أوطأ الإسلام من البلدان، فبعث:

١ ـ المهاجِر بن أبي أُمَيَّة بن المغيرة[(٢)] رضي الله عنه إلى صنعاء، فخرج عليه العَنْسي[(٣)] وهو بها.

٢ ـ وبعث لَبيد بن زياد البياضي رضي الله عنه إلى حضرموت.

٣ ـ وبعث عَدِي بن حاتم رضي الله عنه إلى طيِّئ وبني أسد.

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (٢/ ٣٢٩).

(٢) قال الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٢٤٧): المهاجر بن أبي أمية رضي الله عنه: هو أخو أم سلمة، أم المؤمنين، لأبويها.

(٣) قال الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٦١١): العَنْسي الكَذَّاب الأسود، اسمه عَيْهَلَة، وفي قول: عَبْهَلَة المَذْحِجي ذو الخمار، متنبِّئ مشعوذ من أهل اليمن، أسلم لما أسلمت اليمن، وارتد في أيام النبي ﷺ، وادعى النبوة، واتسع سلطانه، واغتاله أحد المسلمين قبل وفاة النبي ﷺ بشهر واحد.

٤ ـ وبعث مالك بن نُوَيرة رضي الله عنه إلى بني حنظلة، وفَرَّق صدقة بني سعد على رجلين منهم، فبعث الزِّبْرِقان[(١)] بن بدر رضي الله عنه على ناحية منها، وقيس بن عاصم رضي الله عنه على ناحية.

٥ ـ وبعث العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه إلى البحرين.

٦ ـ وبعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى نجران[(٢)].

٧ ـ وبعث رافع بن مَكِيث رضي الله عنه[(٣)] إلى جُهينة.

٨ ـ وبعث عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى بني فزارة.

٩ ـ وبعث الضحاك بن سفيان الكلابي رضي الله عنه إلى بني كلاب.

١٠ ـ وبعث عُيينة[(٤)] بن حِصن رضي الله عنه إلى بني تميم.

١١ ـ وبعث بُرَيدة بن الحُصَيب[(٥)] رضي الله عنه إلى أسلم وغِفار.

١٢ ـ وبعث عَبَّاد بن بشر رضي الله عنه إلى سُليم ومُزينة.

---

(١) قال الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٤٦٥): الزِّبْرِقان، بكسر الزاي والراء، بينهما موحدة ساكنة، والزِّبرِقان لقب له، واسمه الحُصين، وإنما قيل له الزِّبرِقان لحُسنه، **والزِّبْرِقان** في اللغة: القمر، وكان رضي الله عنه مرتفع القدر في الجاهلية، ثم كان سيدًا في الإسلام، وكان من الشعراء المحسِنين.

(٢) إلى هذا القدر ذكره ابن إسحاق في السيرة (٤/ ٢٥٥، ٢٥٦).

(٣) قال ابن الأثير في جامع الأصول (١/ ٣٨٤)، قسم التراجم: رافع بن مَكيث رضي الله عنه شهد الحُدَيبيَة، ومَكِيث: بفتح الميم، وكسر الكاف، وسكون الياء تحتها نقطتان، وبالثاء المثلثة.

(٤) قال ابن الأثير في جامع الأصول (٢/ ٧٣٣)، قسم التراجم: عُيينة: تصغير عين.

(٥) قال ابن الأثير في جامع الأصول (١/ ٢٠٩)، قسم التراجم: بُرَيدة: بضم الباء الموحدة، وفتح الراء، وسكون الياء تحتها نقطتان، وبالدال المهملة.

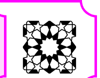
وقال الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٣٤٢): **الحُصَيب**: بضم الحاء المهملة، شهد غزوة خيبر والفتح، وكان معه اللواء، واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم على صدقة قومه، وكان يحمل لواء الأمير أسامة حين غزا أرض البلقاء إثر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم.

١٣ ـ وبعث ابن اللُّتْبِيَّة[١] الأزدي إلى بني ذُبيان.

١٤ ـ وبعث الوليد بن عُقبة رضي الله عنه إلى بني الـمُصطَلِق[٢].

* ملاحظة هامة:

تجدر الإشارة إلى أن رسول الله ﷺ لم يبعث هؤلاء الصحابة الكرام رضي الله عنهم كلهم دفعة واحدة في المحرَّم سنة تسع للهجرة؛ بل تأخر بعضهم إلى وقت اعتناق الإسلام من تلك القبائل التي بُعثوا إليها، ويُؤيد ذلك ما جاء في رواية ابن إسحاق: أن من بين العُمَّال الذين أرسلهم رسول الله ﷺ على صدقات قومهم عَدِيَّ بنَ حاتم رضي الله عنه، وكان إسلام عَدي رضي الله عنه بعد بعثه ﷺ عليًّا رضي الله عنه لهَدْم الفُلْسِ[٣]، وذلك في ربيع الآخر من السنة التاسعة للهجرة.



تحذير النبي ﷺ من غلول[٤] الصدقة

حَذَّر رسول الله ﷺ أصحابه رضي الله عنهم من غُلول الصدقة؛ فقد روى أبو داود في «سُننه» بسند صحيح عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه، قال: بعثني رسول الله ﷺ ساعيًا[٥]، ثم قال: «**انطَلِقْ أبا مسعود لا أُلفِيَنَّك يوم القيامة تجيء على ظهرك بعيرٌ من إبل الصدقة له رُغاءٌ[٦] قد غَلَلْتَه**»، قال: إذًا لا أنطلق، فقال رسول الله ﷺ: «**إذًا لا أُكرِهُك**»[٧].

---

(١) قال الحافظ في الفتح (٤/ ١٣٧): **اللُّتْبِيَّة**: بضم اللام، وسكون التاء: من بني لُتْب؛ حيٍّ من الأزْد، واسمه عبد الله.

(٢) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (٢/ ٣٢٩).

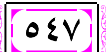
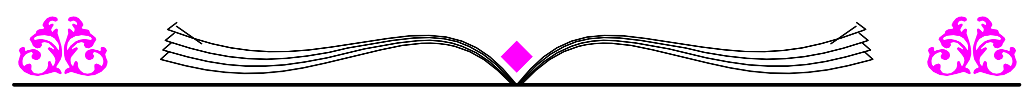
(٣) **الفُلْس**، بضم الفاء، وسكون اللام: هو صنم لقبيلة طيِّئ. انظر: النهاية (٣/ ٤٢٣).

(٤) قال السندي في شرحه للمسند (٩/ ٢٠٢): **غُلول الصدقة**، بضم الغين: الخيانة فيها.

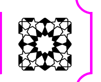
(٥) **الساعي**: مَن يُستعمل على الصدقات، ويتولى استخراجها من أربابها، وبه سُمي عامل الزكاة السَّاعِيَ. انظر: النهاية (٢/ ٣٣٣).

(٦) **الرُّغاء**: صوت الإبل. انظر: النهاية (٢/ ٢١٨).

(٧) أخرجه أبو داود في سُننه، رقم الحديث (٢٩٤٧).





غزوة تَبُوك[(١)] أو (العُسَرة)[(٢)]

وقعت غزوة تَبُوك في رجب سنة تسع للهجرة، وهي آخر غزوات الرسول ﷺ بنفسه الشريفة.

قال الحافظ في «الفتح»: غزوة تَبُوك كانت في شهر رجب من سنة تسع قبل حجة الوداع؛ بلا خلاف[(٣)].

وروى الإمام أحمد في «مسنده» والترمذي في «جامعه» بسند صحيح، عن كعب بن مالك رضي الله عنه، قال: لم أتخلف بَعْدُ عن النبي ﷺ في غزوة غزاها حتى كانت غزوة تَبُوك، وهي آخر غزوة غزاها[(٤)].

وروى الحاكم في «المستدرك» بسند حسن عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما،

---

(١) قال الإمام البخاري في صحيحه: باب غزوة تبوك، وهي غزوة العُسرة.

* وقال الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات (٣/ ٧٣): **تَبُوك**، هي بفتح التاء، وضم الباء، وهي في طرف الشام، صانه الله تعالى، من جهة القبلة، وبينها وبين مدينة النبي ﷺ نحو أربع عشرة مرحلة، وبينها وبين دمشق إحدى عشرة مرحلة.

(٢) قال الحافظ في الفتح (٨/ ٤٤٩): **العُسْرَة**: بمهملتين الأولى مضمومة وبعدها سكون، مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ [التوبة: ١١٧].

* وقال الإمام البغوي في تفسيره (٢/ ٣٣٦) لهذه الآية: أي: في وقت العُسْرَة، ولم يُرد ساعةً بعينها، وكانت غزوة تبوك تُسمَّى غزوة العُسْرَة، والجيش يُسمى جيش العُسْرَة، والعُسْرَة: الشِّدة، وكانت عليهم غزوةَ عُسْرَةٍ في الظَّهر والزاد والماء.

(٣) انظر: فتح الباري (٨/ ٤٤٩).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٧١٧٥)، والترمذي في جامعه، رقم الحديث (٣٣٥٩).

قال: غزا رسول الله ﷺ إحدى وعشرين غزوة، وشهدتُ معه تسعَ عشرةَ غزوة، وكان آخر غزوة غزاها رسول الله ﷺ تَبُوك[(١)].

* سبب الغزوة:

○ اختُلِفَ في سبب غزوة تَبُوك على النحو التالي:

١ ـ قال ابن سعد في «طبقاته»: بلغ رسولَ الله ﷺ أن الروم قد جمعت جموعًا كثيرة بالشام، وأن هِرَقْل قد رَزَق أصحابه لسنة، وأجلبت معه لَخْم وجُذام وعامِلة وغسَّان، وقدَّموا مُقَدِّماتهم إلى البلقاء؛ فندب رسول الله ﷺ الناس إلى الخروج[(٢)].

* **قلت**: ويُؤيِّد هذا السَّبَبَ ما رواه الإمام البخاري في «صحيحه» عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: وكان مَن حولَ رسول الله ﷺ قد استقام له، فلم يَبْقَ إلا مَلِكُ غسان بالشام، كنا نتخوَّف أن يأتينا[(٣)].

وفي لفظ آخر في «الصحيحين»: قال عمر رضي الله عنه: وكنا قد تحدَّثنا أن غَسَّان تُنْعِل الخيل لتَغزونا[(٤)].

* **قلت**: ولعل سبب غطرسة الروم والغساسنة ضد المسلمين ما آل إليه أمر غزوة مؤتة من انكسار الروم والغساسنة أمام المسلمين، فكأنهم أرادوا بذلك أخذ الثأر من المسلمين، فعاجلهم النبي ﷺ، وذهب إلى ذلك الحافظ ابن كثير في «تفسيره»، فقال: غزاها ليقتَصَّ وينتقم ممن قتل أهل مؤتة من أصحابه، والله أعلم[(٥)].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٦٥٤٦).

(٢) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (٢/ ٣٣٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٥٨٤٣).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٥١٩١)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٤٧٩) (٣٤).

(٥) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ١٠١).

٢ ـ إمضاء أمر الجهاد في سبيل الله تعالى:

قال الحافظ ابن كثير: عزم رسول الله ﷺ على قتال الروم؛ لأنهم أقرب الناس إليه، وأولى الناس بالدعوة إلى الحق لقربهم إلى الإسلام وأهله، وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [التوبة: ١٢٣][١]، وزاد في «تفسيره»: وقوله تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التوبة: ٢٩][٢]

* خطورة الموقف:

روى الشيخان في «صحيحيهما» عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: ونحن نتخوف مَلِكًا من ملوك غَسَّانَ، ذُكِرَ لنا أنه يريد أن يسير إلينا، فقد امتلأت صدورنا منه[٣].

* وهذا يدل على خطورة الموقف الذي كان يواجهه المسلمون مِن الروم والغساسنة، وزاد الأمرَ شدةً أن غزوة تَبُوك جاءت في وقت شديد على الناس وجَدْب من البلاد، وقيظ شديد.

قال ابن إسحاق عن شيوخه: أمر رسول الله ﷺ أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم، وذلك في زمان من عُسرة الناس، وشِدَّة من الحَرِّ، وجَدْب من البلاد، وحين طابت الثمار، والناس يُحبون المُقام في ثمارهم وظلالهم،

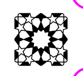
---

(١) انظر: البداية والنهاية (٥/ ٥).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ١٠١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٩١٣)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٤٧٩) (٣١).

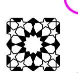
ويكرهون الشُّخوص[١] على الحال من الزمان الذي هم عليه[٢].



الرسول ﷺ القائد

كان رسول الله ﷺ ينظر إلى هذه الظروف بنظر أدَقَّ وأحكَمَ من هذا كله؛ إنه كان يرى أنه لو توانى وتكاسل عن غزو الروم والغساسنة في هذه الظروف الحاسمة، وترك الروم والغساسنة لِتَجُوسَ خلال المناطق التي كانت تحت سيطرة الإسلام ونفوذه، وتزحف إلى المدينة؛ لكان لذلك أسوأُ أثر على الدعوة الإسلامية، وعلى سمعة المسلمين العسكرية؛ فالجاهلية التي تلفظ نَفَسَها الأخير بعد ما لَقِيَت من الضربة القاصمة في حُنَين ستحيا مرة أخرى، والمنافقون الذين يتربصون الدوائر بالمسلمين بخناجرهم من الخلف، في حين تهجم الرومان والغساسنة بحملة ضارية ضد المسلمين من الأمام، وهذا يُضيع كثيرًا من الجهود التي بذلها هو وأصحابه في نشر الإسلام، وتذهب المكاسب التي حصلوا عليها بعد حروب دامية ودوريات عسكرية متتابعة متواصلة، تذهب هذه المكاسب سُدى!

* كان رسول الله ﷺ يعرف كل ذلك جيدًا؛ ولذلك قرر القيام ـ مع ما كان فيه من العسرة والشدة ـ بغزوة فاصلة يخوضها المسلمون ضد الروم والغساسنة في حدودهم، ولا يمهلونهم حتى يزحفوا إلى بلاد الإسلام[٣].



استنفار النبي ﷺ المسلمين لغزو الروم

ندب رسول الله ﷺ الصحابة ﷺ ومَن حوله من العرب إلى التهيُّؤ

(١) **الشُّخوص**: السير من بلد إلى بلد. انظر: لسان العرب (٧/ ٥١).
(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٤/ ١٦٩).
(٣) انظر: الرحيق المختوم، ص (٤٣١، ٤٣٢).

لغزو الروم، وكان من عادته ﷺ أنه لا يريد غزوة إلا وَرَّى[(١)] بغيرها، إلا غزوتين، وهما: غزوة خيبر؛ لأن الله وعده بفتحها بنص القرآن[(٢)]، وغزوة تَبُوك ليتأهبوا؛ لشدة عدُوِّهم وكثرته، ولبُعد المسافة وشدة القيظ؛ فقد روى الشيخان في «صحيحيهما» عن كعب بن مالك رضي الله عنه، قال: لم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا وَرَّى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة[(٣)]، غزاها رسول الله ﷺ في حر شديد، واستقبل سفرًا بعيدًا ومفازًا[(٤)] وعدُوًّا كثيرًا؛ فجلَّى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أُهْبَةَ غزوهم، فأخبرهم بوجهه الذي يريد[(٥)].

وأولُ ما نزل من القرآن في شأن غزوة تَبُوك قولُه تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [التوبة: ٣٨، ٣٩].

قال الحافظ ابن كثير: هذا شروع في عتاب مَن تخلَّف عن رسول الله ﷺ في غزوة تَبُوك حين طابت الثمار والظلال في شدة الحَرِّ، وحَمَارَّةِ القَيظِ[(٦)].

---

(١) **وَرَّى**: أي: ستره وكنَّى عنه، وأوهم أنه يريد غيره. انظر: النهاية (٥/ ١٥٥).

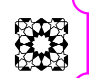
(٢) تقدم ذكر ذلك في الكلام على أحداث غزوة خيبر.

(٣) يعني: غزوة تبوك.

(٤) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٧/ ٧٢): **المفازة**: البَرِّية الطويلة القليلة الماء، يُخاف فيها الهلاكُ.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٤١٨)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٧٦٩) (٥٣).

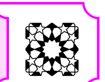
(٦) **حَمَارَّة القيظ**: أي: شدة الحر، وقد تُخفَّف الراء. انظر: النهاية (١/ ٤٢٢).
وانظر: كلام الحافظ ابن كثير في تفسيره (٤/ ٢٩٢).



حث النبي ﷺ على الإنفاق لجيش العُسْرة

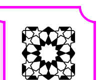
دعا رسول الله ﷺ الناس إلى النفقة والحُمْلان[١] لجيش العُسْرة، فتتابع الصحابة رضي الله عنهم على الإنفاق في سبيل الله لجيش العُسْرة.

قال ابن إسحاق: ثم إن رسول الله ﷺ جَدَّ في سفره، وأمر الناس بالجَهاز والانكماش[٢]، وحَضَّ أهل الغنى على النفقة والحُمْلان في سبيل الله؛ فحمل رجال من أهل الغنى واحتسَبوا[٣].



تنافُسُ الكِبار للإنفاق

تسابَقَ الصحابة رضي الله عنهم إلى الإنفاق على جيش العُسْرَة ـ وكان هذا ديدنهم رضي الله عنهم في الحرص على أمور الآخرة ـ وهذه بعض النفقات الكبيرة لبعض الصحابة رضي الله عنهم:



تسابُقُ أبي بكر وعمر رضي الله عنهما

روى الإمام الترمذي وأبو داود والحاكم بسند حسن عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: أمَرَنا رسول الله ﷺ يومًا أن نتصدق، فوافق ذلك مالًا عندي، فقلت: اليومَ أسبِقُ أبا بكر إن سبقتُه يومًا، فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ: **«ما أبقيتَ لأهلك؟»**،

قلتُ: مِثْلَه، قال: وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال رسول الله ﷺ: **«ما أبقيت لأهلك؟»**

---

(١) **الحُمْلان**: مَصْدَر حَمَلَ يحْمِل حُمْلانًا: أي: يطلب منهم شيئًا يركبون عليه. انظر: النهاية (١/ ٤٢٦).

(٢) يُقال: انكمش في هذا الأمر: أي: تَشمَّر وَجَدَّ. انظر: النهاية (٤/ ١٧٤).

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (٤/ ١٧١).

قال: أبقيتُ لهم الله ورسوله، فقلت: لا أسابقك إلى شيء أبدًا![١].

قال الإمام ابن الجوزي: فإن اعترض جاهل، فقال: جاء أبو بكر ﵁ بكل ماله!!

فالجواب: أن أبا بكر ﵁ صاحب معاشٍ وتجارة، فإذا أخرج الكل، أمكَنَه أن يستدين عليه فَيتعيَّش، فمن كان على هذه الصفة، لا أَذُمُّ إخراجه لماله[٢].



إنفاق عثمان بن عفَّان ﵁

قال ابن إسحاق: وأنفق عثمان بن عفان ﵁ في ذلك نفقةً عظيمة، لم يُنفِقْ أحدٌ مثلها[٣].

وروى الإمام أحمد في «مسنده» والترمذي في «جامعه» بسند حسن، عن عبد الرحمٰن بن سَمُرَةَ ﵁، قال: جاء عثمان بن عفان ﵁ إلى النبي ﷺ بألف دينار في ثوبه حين جَهَّزَ النبي ﷺ جيش العُسْرَة، فَصَبَّها[٤] في حِجر النبي ﷺ، فجعل النبي ﷺ يُقَلِّبها بيده، ويقول: «**ما ضَرَّ ابنَ عَفَّان ما عَمِلَ بعد اليوم!**»، يرَدِّدها مرارًا[٥].

---

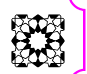
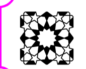
(١) أخرجه الترمذي في جامعه، رقم الحديث (٤٠٠٦)، وأبو داود في سُننه، رقم الحديث (١٦٧٨)، والحاكم في المستدرك، رقم الحديث (١٥٢٤).

(٢) انظر: صيد الخاطر، ص (١١٨).

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (٤/ ١٧١).

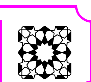
(٤) في رواية الإمام الترمذي: فنثرها.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٠٦٣٠)، والترمذي في جامعه، رقم الحديث (٤٠٣٤).

إنفاق عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه

واختُلفَ في نفقة عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه على جيش العُسْرة، وأورد الحافظ في «الفتح» عدة أخبار بذلك، ثم قال: وهذا اختلاف شديد في القَدْر الذي أحضره عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه، وأصح الطُّرُق فيه ثمانية آلاف درهم(١).



تعدُّد قصة مَن أنفق قَدْرَ صاع

روى الشيخان في «صحيحيهما» عن أبي مسعود عقبة بن عمرو البدري رضي الله عنه، قال: لما أُمِرْنا بالصدقة، كنا نتحامل(٢)، فجاء أبو عَقِيل(٣) بنصف صاع، وجاء إنسان(٤) بأكثر منه(٥)، فقال المنافقون: إن الله لغني عن صدقة هذا(٦)، وما فَعَل هذا الآخَرُ(٧) إلا رياءً! فنزلت: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ(٨) ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ

---

(١) انظر: فتح الباري (٩/ ٢٣٠).

(٢) في رواية الإمام مسلم، وهي رواية أخرى في صحيح البخاري، رقم الحديث (١٤١٥): **نُحامل**.
قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٧/ ٩٣): معناه: نحمل على ظهورنا بالأُجرة ونتصدق من تلك الأجرة، أو نتصدق بها كلها.

(٣) قال الحافظ في الفتح (٤/ ٤٢): أبو عَقِيل: بفتح العين.

(٤) قال الحافظ في الفتح (٤/ ٣٢): هو عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه.

(٥) في رواية أخرى في صحيح البخاري، رقم الحديث (١٤١٥): فجاء رجل فتصدق بشيء كثير.

(٦) يعنون: أبا عَقيل رضي الله عنه.

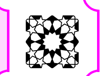
(٧) يعنون: عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه.

(٨) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٧/ ٧٥): **لمزه**: أي: عابوه واحتقروه.

مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [التوبة: ٧٩][1].

وفي «صحيح مسلم» ـ في قصة توبة كعب بن مالك رضي الله عنه ـ قال كعب رضي الله عنه: فبينما هو على ذلك[2] رأى رجلًا مُبَيِّضًا[3] يزول به السرابُ[4]، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**كُنْ أبا خيثمة**»[5] فإذا هو أبو خيثمة الأنصاري رضي الله عنه، وهو الذي تصدَّق بصاع التمر حين لمزه المنافقون[6].

قال الحافظ في «الفتح»: وهذا يدل على تعَدُّد مَن جاء بالصاع، ويُؤيد ذلك أن أكثر الروايات فيها: أنه جاء بصاع، وكذا وقع في الزكاة: فجاء رجل فتصدق بصاع[7]، وفي حديث الباب: فجاء أبو عَقِيل بنصف صاع[8].



توبيخ الله تعالى للأعراب والمنافقين

وجاء ناس من المنافقين يستأذنون رسول الله صلى الله عليه وسلم في التخلف من غير عِلَّة، فأذن لهم، وهم بضعة وثمانون رجلًا، وجاء المعذِّرون من الأعراب ليؤذَن لهم، فاعتذروا إليه، فلم يَعذِرهم، وهم اثنان وثمانون رجلًا[9]؛ فأنزل الله فيهم: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٤١٥) (٤٦٦٨)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٠١٨).

(٢) يعني: رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو في طريقه إلى تَبُوك.

(٣) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٧/ ٧٤): أي: لابِس البياض.

(٤) **يزول به السَّراب**: أي: يرفعُه ويُظهِرُه. انظر: النهاية (٢/ ٢٨٨).

(٥) قال الحافظ في الفتح (٩/ ٢٣٠): اسم أبي خيثمة هذا: عبد الله بن خيثمة، من بني سالم من الأنصار.

(٦) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٧٦٩) (٥٣).

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٤١٥).

(٨) انظر: فتح الباري (٩/ ٢٢٩، ٢٣٠).

(٩) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (٢/ ٣٣٢).

ٱلشُّقَّةُۚ وَسَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا لَخَرَجۡنَا مَعَكُمۡ يُهۡلِكُونَ أَنفُسَهُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [التوبة: ٤٢].

قال الحافظ ابن كثير: يقول تعالى موبِّخًا للذين تخلفوا عن النبي ﷺ في غزوة تَبُوك، وقعدوا بعدما استأذنوه في ذلك مظهرين أنهم ذوو أعذار ولم يكونوا كذلك، فقال: ﴿لَوۡ كَانَ عَرَضٗا[1] قَرِيبٗا وَسَفَرٗا قَاصِدٗا﴾؛ أي: قريبًا، ﴿لَّٱتَّبَعُوكَ﴾؛ أي: لكانوا جاؤوا معك لذلك، ﴿وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ﴾؛ أي: المسافة إلى الشام، ﴿وَسَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ﴾؛ أي: لكم إذا رجعتم إليهم، ﴿لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا لَخَرَجۡنَا مَعَكُمۡ﴾؛ أي: لو لم يكن لنا أعذار لخرجنا معكم، قال الله تعالى: ﴿يُهۡلِكُونَ أَنفُسَهُمۡ[2] وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [التوبة: ٤٢][3].

وعاتب الله ﷻ رسوله ﷺ معاتبة لطيفة، فقال تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [التوبة: ٤٣].

قال الإمام ابن جرير الطبري: هذا عتاب من الله تعالى ذِكْرُه، عاتب به نبيَّه ﷺ في إذنه لمن أذن له في التخلف عنه، حين شخص إلى تَبُوك لغزو الروم؛ من المنافقين[4].

تخَلُّفُ عدد من الصحابة الصادقين

ثم استتبَّ برسول الله ﷺ سفَرُه، وأجمع السَّير، وقد كان نفر من المسلمين أبطأت بهم النية عن رسول الله ﷺ، حتى تخلفوا عنه عن غير شكٍّ

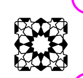
(١) قال الإمام القرطبي في تفسيره (١٠/ ٢٥): **العَرَض**: ما يَعرِضُ من منافع الدنيا، والمعنى: غنيمة قريبة.

(٢) قال الإمام القرطبي في تفسيره (١٠/ ٢٢٧): أي: بالكذب والنفاق.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٢٩٧). (٤) انظر: تفسير الطبري (٦/ ٣٨٠).

ولا ارتياب؛ منهم: كعب بن مالك، ومُرَارة[١] بن الربيع، وهِلال بن أُمَيَّة، وأبو لُبابة بشير بن عبد المنذر، وكانوا نَفَرَ صِدقٍ، لا يُتَّهَمون في إسلامهم[٢].

عدد جيش المسلمين



اجتمع لرسول الله ﷺ ثلاثون ألف مقاتل؛ فقد روى الشيخان في «صحيحيهما» عن كعب بن مالك رضي الله عنه، قال: والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير، ولا يجمعهم كتاب حافظ[٣].

وفي لفظ آخر في «صحيح مسلم»، قال كعب رضي الله عنه: وغزا رسول الله ﷺ بناس كثير يزيدون على عشرة آلاف، ولا يجمعهم ديوان حافظ[٤].

قال الحافظ في «الفتح»: وللحاكم في «الإكليل» من حديث معاذ رضي الله عنه، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى غزوة تَبُوك، ونحن زيادة على ثلاثين ألفًا[٥]، وبهذه العِدَّة جزم ابن إسحاق[٦]، وأورده الواقدي بسند آخر موصول[٧].

---

(١) قال ابن الأثير في جامع الأصول (٢/٨٤٧)، قسم التراجم: **مُرَارة**: بضم الميم، وتخفيف الراء الأولى.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٤/١٧٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٤١٨)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٧٦٩) (٥٣).

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٧٦٩) (٥٥).

(٥) وذكر ذلك الإمام الذهبي في ميزان الاعتدال (٥/١٥٩).

(٦) كما في دلائل النبوة، للبيهقي (٥/٢١٩).

(٧) انظر: فتح الباري (٨/٤٥٧).

استخلاف محمد بن مَسْلَمة رضي الله عنه

قال ابن سعد في «طبقاته»: واستخلف رسول الله ﷺ على المدينة محمد بن مَسْلَمة رضي الله عنه، وهو أثبت عندنا ممن قال: استخلف غيره[(١)].

خَلَّف رسول الله ﷺ عليًّا رضي الله عنه على أهله

خلَّف رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه على أهله، فلم يشهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه غزوة تَبُوك؛ فقد روى الشيخان في صحيحيهما عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: خَلَّفَ رسولُ الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه في غزوة تَبُوك، فقال: يا رسول الله، تُخلِّفُني في النساء والصبيان؟

فقال رسول الله ﷺ: «**أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ غيرَ أنه لا نبي بعدي**»[(٢)].

وفي لفظ آخر في «مسند» الإمام أحمد بسند صحيح عن سعد رضي الله عنه، قال: إن عليًّا خرج مع النبي ﷺ حتى جاء ثَنِيَّة الوداع، وعلي رضي الله عنه يبكي، يقول: تُخلِّفني مع الخوالف؟[(٣)].

فقال رسول الله ﷺ: «**أوَمَا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا النبوة؟**»[(٤)].

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (٢/ ٣٣٢).

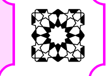
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٤١٦)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٤٠٤) (٣١).

(٣) قال السندي في شرحه للمسند (٢/ ١٠٥): أي: مع النساء التي شأنهن القعود ولزوم البيوت، جمع خالفة، وقيل: **الخالفة**: ما لا خير فيه.

(٤) قال السندي في شرحه للمسند (٢/ ١٠٥): قوله ﷺ: «**إلا النبوة**» استثناء من منزلة هارون عليه السلام.

=

قال الإمام النووي: وفي هذا الحديث إثبات فضيلة لعلي ﷺ، ولا تعَرُّضَ فيه لكونه أفضل من غيره أو مثله، وليس فيه دلالة لاستخلافه بعده؛ لأن النبي ﷺ إنما قال هذا لعلي ﷺ حين استخلفه في المدينة[(١)] في غزوة تَبُوك، ويؤيد هذا أن هارون عليه السلام المشبَّه به لم يكن خليفة بعد موسى عليه السلام؛ بل تُوفي في حياة موسى عليه السلام، وقبل وفاة موسى عليه السلام بنحو أربعين سنة، على ما هو مشهور عند أهل الأخبار والقَصص[(٢)].



خروج الرسول ﷺ ومروره بديار ثمود

خرج رسول الله ﷺ من المدينة النَّبَوية بجيشه العظيم إلى تَبُوك، وفي طريقهم مروا بديار ثمود، فاستحثَّ[(٣)] رسول الله ﷺ راحلته، ونزل قريبًا من ديار ثمود؛ فقد روى الشيخان في «صحيحيهما» عن عبد الله بن عمر ﷺ، قال: لما مَرَّ رسول الله ﷺ بالحِجْر[(٤)]، قال: «**لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم؛ أن يُصيبكم[(٥)] ما أصابهم، إلا أن تكونوا باكين**»، ثم قَنَّعَ[(٦)] رأسه، وأسرع السَّيْرَ حتى أجاز الوادي[(٧)].

= والحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٤٦٣).

(١) على أهله.

(٢) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١٥/ ١٤٢).

(٣) **الحَثُّ**: الاستعجال. انظر: لسان العرب (٣/ ٤٦).

(٤) قال السندي في شرحه للمسند (١٠/ ٤٥٨): **الحِجْر**: بكسر المهملة، وسكون الجيم، وثمود: قوم صالح عليه السلام.

(٥) قال الحافظ في الفتح (٧/ ٢٧): وهذا يتناول مساكن ثمود وغيرهم ممن هو كصفتهم، وإن كان السبب ورد فيهم.

(٦) **قَنَّع**: غطَّى. انظر: النهاية (٤/ ١٠٠).

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٤١٩)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٩٨٠) (٣٩).

وأمرهم رسول الله ﷺ ألَّا يشربوا من آبارها ولا يستقوا؛ فقد روى الشيخان في «صحيحيهما» عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: إن رسول الله ﷺ لما نزل الحِجْرَ في غزوة تَبُوك، أمرهم ألَّا يشربوا من بئرها ولا يَستقوا منها، فقالوا: قد عَجَنَّا منها واستقينا، فأمرهم أن يطرحوا ذلك العجين ويُهريقوا ذلك الماء[١].

وفي لفظ آخر في «الصحيحين»، قال ابن عمر رضي الله عنهما: فأمرهم رسول الله ﷺ أن يُهريقوا ما استقَوا، ويعلفوا الإبِلَ العجينَ[٢].

قال الإمام ابن القيم: ومنها[٣]: أن الماء الذي بآبار ثمود لا يجوز شربه، ولا الطبخ به والعجين به، ولا الطهارة به، ويجوز أن يُسقى البهائم، إلا ما كان من بئر الناقة[٤]، وكانت معلومة باقية إلى زمن النبي ﷺ، ثم استمر عِلْمُ الناس بها قرنًا بعد قرنٍ إلى وقتنا هذا، فلا يَرِد الركوبُ بئرًا غيرها، وهي مطويَّة محكَمة البناء، واسعة الأرجاء، آثار العِتق عليها بادية، لا تشتبه بغيرها[٥].



ظهور المعجزات

أكمل رسول الله ﷺ طريقه إلى تَبُوك، وقد اشتدت على الناس حاجتهم إلى الماء، فرفع رسول الله ﷺ يديه إلى السماء؛ فأنزل الله سبحانه عليهم

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٣٧٨)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٩٨١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٣٧٩)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٩٨١).

(٣) أي: من الفوائد التي تضمنَتْها غزوة تبوك.

(٤) لما ثبت في صحيح البخاري، رقم الحديث (٣٣٧٩)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٩٨١) عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: وأمرهم، يعني: رسول الله ﷺ، أن يستقوا من البئر التي كانت ترِدُها الناقة.

(٥) انظر: زاد المعاد (٣/ ٧٠٤).

الماء؛ فقد روى ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: حدِّثْنا عن شأن العُسْرة، فقال رضي الله عنه: خرجنا إلى تَبُوك في قيظ شديد، فنزلنا منزلًا أصابنا فيه عطش حتى ظننا أنَّ رقابنا ستنقطع، حتى إن الرجل ليذهبُ يَلتمس الماء فلا يرجع حتى نظن أن رقبته ستنقطع، حتى إن الرجل لينحرُ بعيره، فيعصر فَرْثَهُ فيشربه، ويجعل ما بَقِيَ على كبده! فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله، قد عَوَّدك الله في الدعاء خيرًا؛ فادع لنا، فقال رسول الله ﷺ: «**أتُحب ذلك؟**» قال: نعم، قال: فرفع يديه ﷺ، فلم يَرجِعْهما حتى أظلَّت سحابة، فسكبت[(١)]، فملؤوا ما معهم، ثم ذهبنا ننظر، فلم نجدها جاوزت العَسْكَر[(٢)]!

وروى الإمام مسلم في «صحيحه» عن أبي هريرة رضي الله عنه أو عن أبي سعيد الخُدْري رضي الله عنه، قال: لما كان غزوة تَبُوك أصاب الناسَ مجاعةٌ[(٣)]، فقالوا: يا رسول الله، لو أذِنْتَ لنا فنحرنا نواضحنا[(٤)] فأكَلْنا وادَّهَنَّا، فقال رسول الله ﷺ: «**افعلوا**»، فجاء عمر رضي الله عنه، فقال: يا رسول الله، إن فعَلْتَ قَلَّ الظهر[(٥)]، ولكن ادعُهم بفضل أزوادهم، ثم ادعُ الله لهم عليها بالبركة؛ لعل الله أن يجعل في ذلك، فقال رسول الله ﷺ: «**نعم**»، فدعا بنِطَع[(٦)] فبسطه، ثم دعا بفضل أزوادهم، فجعل الرجل يجيء بكفِّ ذُرَة، ويجيء الآخر بكفِّ تمر،

---

(١) **سكب الماء**: صبه. انظر: لسان العرب (٦/ ٣٠٢).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٥٧٥)، وابن حبان في صحيحه، رقم الحديث (١٣٨٣).

(٣) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١/ ١٩٩): **المجاعة**، بفتح الميم: الجوع الشديد.

(٤) **النواضح**: الإبل التي يُستقى عليها، واحدتها: ناضح. انظر: النهاية (٥/ ٥٩).

(٥) **الظهر**: الإبل التي يُحمل عليها وتُركَب. انظر: النهاية (٣/ ١٥١).

(٦) **النِّطع**، بكسر النون، وكسر الطاء وسكونها: بِساط من جلد. انظر: لسان العرب (١٤/ ١٨٦).

ويجيء الآخرة بكِسْرة، حتى اجتمع على النِّطَع من ذلك شيء يسير، فدعا رسول الله ﷺ عليه بالبركة، ثم قال: «**خُذوا في أوعيتكم**»، فأخذوا في أوعيتهم، حتى ما تركوا في العسكر وِعاءً إلا ملؤوه، فأكلوا حتى شبعوا، وفضَلَت فضلة، فقال رسول الله ﷺ: «**أشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبدٌ غيرَ شاكٍّ، فيُحجَبَ عن الجنة**»[(١)].

قال الحافظ ابن كثير: ومن ها هنا تتبين فضيلة أصحاب محمد ﷺ ورضي عنهم، على سائر أصحاب الأنبياء في صبرهم وثباتهم وعدم تعنتهم، كما كانوا معه في أسفاره وغزواته، منها عام تبوك، في ذلك القيظ والحر الشديد والجهد، لم يسألوا خرق عادة، ولا إيجاد أمر، مع أن ذلك كان سهلًا على الرسول ﷺ، ولكن لما أجهدهم الجوع سألوه في تكثير طعامهم فجمعوا ما معهم، فجاء قدر مبرك الشاة، فدعا الله فيه، وأمرهم فملئوا كل وعاء أسقيتهم، وكذا لما احتاجوا إلى الماء سأل الله تعالى، فجاءت سحابة فأمطرتهم، فشربوا وسقوا الإبل وملئوا أسقيتهم، ثم نظروا فإذا هي لم تجاوز العسكر، فهذا هو الأكمل في الاتباع: المشي مع قدر الله، مع متابعة الرسول ﷺ[(٢)].



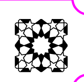
إمامة عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه

نزل رسول الله ﷺ بجيشه العظيم منزلًا، وهم في طريقهم إلى تَبُوك، وقُبيل الفجر ذهب رسول الله ﷺ لقضاء الحاجة، وتأخر على المسلمين حتى كاد يخرج وقت صلاة الفجر، فقَدَّم المسلمون عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه، فأدرك رسولُ الله ﷺ ركعةً، وفاتته ركعة؛ فقد روى الإمام مسلم في «صحيحه» والإمام أحمد في «مسنده» وأبو داود في

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٧) (٤٥).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٤١٠).

«سُننه» ـ واللفظ لأبي داود ـ، عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، قال: عَدَلَ[١] رسول الله ﷺ وأنا معه في غزوة تَبُوك قبل الفجر، فعدلتُ مَعَه، فأناخ[٢] النبي ﷺ فتبرَّز، ثم جاء فسكبتُ على يده من الإداوة[٣]، فَغَسَلَ كَفَّيهِ، ثم غسل وجهه، ثم حَسَرَ[٤] عن ذراعيه فضاق كُمَّا جُبَّته[٥]، فأدخل يديه فأخرجهما من تحت الجُبَّة فغسلهما إلى المِرفَق، ومسح برأسه، ثم توضأ على خُفَّيه[٦]، ثم ركب، فأقبلنا نسير حتى نَجِدَ الناس في الصلاة قد قدَّموا عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه، فصلى بهم حين كان وقتُ الصلاة، ووجدنا عبد الرحمٰن وقد رَكَعَ لهم ركعةً من صلاة الفجر، فقام رسول الله ﷺ فَصَفَّ مع المسلمين، فصلى وراء عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه الركعة الثانية، ثم سَلَّم عبد الرحمٰن، فقام النبي ﷺ في صلاته، ففزع المسلمون، فأكثروا التسبيح؛ لأنهم سبقوا النبي ﷺ بالصلاة، فلما سَلَّم رسول الله ﷺ، قال لهم: **«قد أصبتم»**، أو: **«قد أحسنتم»**[٧].



وصول الرسول ﷺ إلى تَبُوك

أخبر رسول الله ﷺ المسلمين قُبيل وصولهم لتَبُوك بأن ماء العين الذي في تَبُوك قليل، فلا يأخذ منه أحد، لكن بعض المنافقين الذين كانوا في

---

(١) **عَدَلَ**: مال. انظر: النهاية (٣/ ١٧٣).

(٢) **أناخ الإبل**: أبركها فبَرَكت. انظر: لسان العرب (١٤/ ٣٢١).

(٣) **الإداوة**، بكسر الهمزة: إناء صغير من جِلد يُتَّخذ للماء. انظر: النهاية (١/ ٢٦).

(٤) **حَسَرَ**: كشف. انظر: النهاية (١/ ٣٦٨).

(٥) **الجُبَّة**، بضم الجيم: نوع من الثياب تُلبَس. انظر: لسان العرب (٢/ ١٦١).

(٦) في رواية الإمام أحمد: ومسح على خُفَّيه.

(٧) زاد الإمام مسلم: يغبطهم أن صلوا الصلاة لوقتها.

والحديث أخرجه الإمام مسلم، رقم الحديث (٤٢١) (١٠٥)، والإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٨١٣٤)، وأبو داود في سُننه، رقم الحديث (١٤٩).

جيشه لم يأتمر بالأمر النَّبَوي وسبقوه إلى الماء، واستَقَوا منه؛ فقد روى الإمام أحمد في «مسنده» بسند صحيح عن حذيفة بن اليمان ﵁، قال: خرج رسول الله ﷺ يوم غزوة تَبُوك[(١)]، فبلغه أن في الماء قِلَّةً الذي يَرِدُهُ[(٢)]، فأمر مناديًا فنادى في الناس: «**أنْ لا يسبقني إلى الماء أحد**»، فأتى الماءَ، وقد سبقه قوم؛ فلعنهم[(٣)].

وروى الإمام مسلم في «صحيحه» عن معاذ بن جبل ﵁، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام غزوة تَبُوك، فكان يجمع الصلاة، فصلى الظهرَ والعصرَ جميعًا، والمغربَ والعشاءَ جميعًا، حتى إذا كان يومًا أَخَّرَ الصلاة، ثم خرج فصلى الظهر والعصر جميعًا، ثم دخل ثم خرج بعد ذلك، فصلى المغرب والعشاء جميعًا، ثم قال: «**إنكم ستأتون غدًا ـ إن شاء الله ـ عينَ تَبُوك، وإنكم لن تأتوها حتى يُضحي النهار، فمن جاءها منكم فلا يمسَّ من مائها شيئًا حتى آتي**»، فجئناها وقد سبقَنا إليها رجلان[(٤)]، والعين مثل الشِّرَاك تَبِضُّ[(٥)] بشيء من ماء، فسألهما رسول الله ﷺ: «**هل مَسِسْتُما من مائها شيئًا؟**».

قالا: نعم، فسبهما النبي ﷺ، وقال لهما ما شاء الله أن يقول، ثم غرفوا بأيديهم من العين قليلًا قليلًا، حتى اجتمع في شيء، وغسل

(١) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١/ ١٩٩): هكذا ضبطناه: يوم غزوة تبوك، والمراد باليوم هنا: الوقت والزمان، لا اليوم الذي هو ما بين طلوع الفجر وغروب الشمس.

(٢) يُقال: وردتُ الماء أرِدُه ورودًا: إذا حضرته لتشرب. انظر: النهاية (١/ ١٥١).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٣٣٩٥).

(٤) في رواية ابن إسحاق في السيرة (٤/ ١٨١): فسبقه إليه نفر من المنافقين.

(٥) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٥/ ٣٣): هكذا ضبطناه هنا: **تَبِضُّ**: بفتح التاء، وكسر الموحدة، وتشديد الضاد المعجمة، ونقل القاضي اتفاق الرواة هنا على أنه بالضاد المعجمة، ومعناه: تسيل، واختلفوا في ضبطه هناك، فضبطه بعضهم بالمعجمة وبعضهم بالمهملة؛ أي: تَبرُق، **والشِّرَاك**، بكسر الشين: وهو سير النعل ومعناه: ماء قليل جدًّا.

رسول الله ﷺ فيه يديه ووجهه، ثم أعاده فيها، فجرت العين بماء منهمر[(١)] ـ أو قال: غزير ـ حتى استقى الناس، ثم قال رسول الله ﷺ: «**يُوشِك يا معاذ إن طالت بك حياة، أن ترى ما هاهنا قد مُلِئ جِنانًا!**»[(٢)].

إقامة النبي ﷺ في تَبُوك، وأهم أعماله فيها

أقام رسول الله ﷺ في تَبُوك عشرين يومًا؛ فقد روى الإمام أحمد في «مسنده» وأبو داود في «سننه» بسند صحيح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: أقام رسول الله ﷺ بتَبُوك عشرين يومًا يقصُر الصلاة[(٣)].

ولم يلقَ رسولُ الله ﷺ عدوًّا، وبعث البُعوث والسرايا إلى القبائل حول تَبُوك، وصالح رسولُ الله ﷺ يُحَنَّةَ[(٤)] بن رُؤْبةَ[(٥)] صاحِبَ أَيْلَةَ[(٦)]، وبعث خالد بن الوليد رضي الله عنه في سَرِيَّة إلى أُكيدِر[(٧)] دُومةَ، وصالحه؛ فقد روى الشيخان في «صحيحيهما» عن أبي حُمَيد الساعدي رضي الله عنه، قال: غزونا مع النبي ﷺ تَبُوك،

---

(١) **انهمر الماء**: انسكب بقوة. انظر: المعجم الوسيط (٢/ ٩٩٣).

(٢) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٥/ ٣٤): أي: بساتينَ وعُمرانًا، وهو جمع جَنَّة. والحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، بإثر الحديث رقم (٢٢٨١).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٤١٣٩)، وأبو داود في سُننه، رقم الحديث (١٢٣٥).

(٤) قال الحافظ في الفتح (٤/ ١١٠): **يُحَنَّة**: بضم التحتانية، وفتح المهملة، وتشديد النون.

(٥) قال الحافظ في الفتح (٤/ ١١٠): **رُؤبة**: بضم الراء، وسكون الواو، بعدها موحدة.

(٦) قال الحافظ في الفتح (٤/ ١١٠): **أَيْلَة**، بفتح الهمزة، وسكون التحتانية، بعدها لام مفتوحة، بلدة قديمة بساحل البحر.

(٧) قال الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٣٢٢): **أُكَيْدِر**: بضم الهمزة، وفتح الكاف.
* وقال ابن الأثير في أُسد الغابة (١/ ١٣٣): أُكَيْدِر بن عبد الملك، أهدى لرسول الله ﷺ وصالحه ولم يُسلِم، وهذا لا اختلاف بين أهل السِّيَر فيه، ومَن قال: إنه أسلم، فقد أخطأ خطأ ظاهرًا، ثم إن خالدًا رضي الله عنه أسره لما حصر دومة أيام أبي بكر رضي الله عنه، فقتله مشركًا نصرانيًّا.

وأهدى ملكُ أَيْلَةَ للنبي ﷺ بغلةً بيضاءَ[١]، وكساه بُرْدًا[٢]، وكتب له بَبَحْرِهم[٣].

وروى أبو داود في «سننه» عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وعن عثمان بن أبي سليمان: أن النبي ﷺ بعث خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى أُكَيْدِر دُومةَ، فأخذوه، فأتوه به، فحقن له دمه، وصالحه على الجزية[٤].

وروى الإمام أحمد في «مسنده» والترمذي وابن حبان بسند حسن عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: بعث رسول الله ﷺ جيشًا إلى أُكَيْدِر دُومة، فأرسل إلى رسول الله ﷺ بجُبَّةٍ من دِيباج[٥] منسوج فيها الذَّهَب[٦]، فلبسها

---

(١) قال الحافظ في الفتح (٦/ ١٦٨): ومما يُنبَّه عليه هنا أن البغلة التي كان عليها في حُنين غير البغلة البيضاء التي أهداها له ملك أَيْلَة؛ لأن ذلك كان في تبوك، وغزوة حُنين كانت قبلها، وقد وقع في صحيح مسلم، رقم الحديث (١٧٧٥) (٧٦) من حديث العباس أن البغلة التي كانت تحته في حُنين أهداها له فَرْوةُ بن نُفَاثَةَ، بضم النون، بعدها فاء خفيفة، ثم مثلثة، وهذا هو الصحيح.

(٢) **البُرْد**: نوع من الثياب معروف. انظر: النهاية (١/ ١١٦).

(٣) **ببحرهم**: أي: ببلدهم وأرضهم. انظر: النهاية (١/ ١٠٠).
وقال الحافظ في الفتح (٤/ ١١١): أو المراد: بأهل بحرهم؛ لأنهم كانوا سكانًا بساحل البحر؛ أي: أنه أقره عليهم بما التزموه من الجزية.
والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣١٦١)، ومسلم في صحيحه بإثر الحديث رقم (٢٢٨١).

(٤) أخرجه أبو داود في سُننه، رقم الحديث (٣٠٣٧) بإسناد رجاله ثقات غيرَ محمد بن إسحاق، صاحب السيرة، وهو حسن الحديث إذا صرح بالتحديث، ولم يُصرِّح بالتحديث في رواية أبي داود، وصَرَّح بالتَحديث في رواية البيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٢٥٠)، وأورد طرقه الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم الحديث (٣٣٤٦) وصححه.

(٥) وفي رواية أخرى في صحيح البخاري، رقم الحديث (٢٦١٥) (٢٦١٦)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٤٦٩): سُندس.
والسندس: هو ما رَقَّ من الديباج. انظر: النهاية (٢/ ٣٦٧).
وفي رواية أخرى في صحيح البخاري، رقم الحديث (٣٨٠٢)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٤٦٨): حرير.

(٦) زاد الإمام أحمد في رواية أخرى في المسند، رقم الحديث (١٣٤٥٥): وذلك قبل أن ينهى نبيُّ الله ﷺ عن الحرير.

رسول الله ﷺ، فقام على المنبر، أو جلس، فلم يتكلم، ثم نزل فجعل الناس يَلمَسون الجُبَّة، وينظرون إليها، فقال رسول الله ﷺ: «**أتعجبون منها**»، قالوا: ما رأينا ثوبًا قطُّ أحسَنَ منه، فقال رسول الله ﷺ: «**لمناديلُ سعدِ بن معاذ في الجنة أحسَنُ ممَّا ترون!**»(١).

رجوع النبي ﷺ إلى المدينة

أقام رسول الله ﷺ في تَبُوك عشرين يومًا، ولم يَلْقَ عدوًّا، ثم رجع إلى المدينة؛ فقد روى ابن أبي عاصم في «السُّنَّة» بسند حسن، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قام فينا يوم تَبُوك، فحمد الله تعالى، وأثنى عليه، ثم قال: «**إن الله أذن لكم بهذا المسير، وقد أذن لكم بالرجوع**»(٢).

محاولة اغتيال النبي ﷺ



تآمر عددٌ من المنافقين على رسول الله ﷺ، وأرادوا مزاحمته على العَقَبة ليقتلوه، فحفظ الله رسوله ﷺ منهم؛ فقد روى الإمام أحمد في «مسنده» بسند صحيح عن أبي الطُّفَيل، قال: لما أقبل رسول الله ﷺ من غزوة تَبُوك أمر مناديًا، فنادى: إن رسول الله ﷺ أخذ العَقَبة(٣)، فلا يأخذها

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٢٢٢٣)، والترمذي في جامعه، رقم الحديث (١٨٢٠)، وابن حبان في صحيحه، رقم الحديث (٤٠٣٧)، وأخرجه مختَصَرًا: البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٢٦١٥) (٢٦١٦)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٤٦٩).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب السُّنَّة، رقم الحديث (٤١٤).

(٣) **العَقَبة**: الجبل الطويل. انظر: لسان العرب (٩/ ٣٠٦).
قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٧/ ١٠٥): وهذه العَقَبة ليست العقبة المشهورة بمنًى التي كانت بها بيعة الأنصار رضي الله عنهم، وإنما هذه عقبة على طريق تَبُوك، اجتمع المنافقون فيها للغدر برسول الله ﷺ في غزوة تبوك؛ فعصمه الله منهم.

أحد، فبينما رسول الله ﷺ يقوده حُذيفة رضي الله عنه، ويسوق به عمارٌ رضي الله عنه إذ أقبل رَهطٌ(١) ملثَّمون على الرواحل(٢)، غَشُوا عمَّارًا وهو يسوق برسول الله ﷺ، وأقبل عمارٌ يضرب وجوه الرواحل، فقال رسول الله ﷺ لحُذيفة: «**قَدْ**(٣)**، قَدْ**»، حتى هبط رسول الله ﷺ، فلما هبط رسول الله ﷺ نزل ورجع عمَّار، فقال رسول الله ﷺ: «**يا عمار، هل عرفتَ القومَ؟**» قال: قد عرفتُ عامة الرواحل، والقومُ مُلَثَّمون، فقال رسول الله ﷺ: «**هل تدري ما أرادوا؟**»، قال: الله ورسوله أعلم، فقال رسول الله ﷺ: «**أرادوا أن يُنفِروا برسول الله ﷺ فيطرحوه!**»، قال: فسأل عمارٌ رجلًا من أصحاب رسول الله ﷺ، فقال: نشَدْتُك باللهِ، كم تعلم كان أصحابُ العَقَبة؟ فقال: أربعة عشر، فقال: إن كنتَ فيهم فقد كانوا خمسة عشر، فعذر رسول الله ﷺ منهم ثلاثة، فقالوا: وَاللهِ ما سمعنا منادي رسول الله ﷺ، وما علمنا ما أراد القوم، فقال عمار رضي الله عنه: أشهد أن الاثني عشر الباقين حربٌ لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد(٤).

ونزل في ذلك قولُه تعالى: ﴿وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ﴾ [التوبة: ٧٤].

قال الإمام القرطبي في «تفسيره»: يعني: المنافقين، من قَتْلِ النبي ﷺ ليلة العَقَبة في غزوة تَبُوك(٥).

---

(١) **الرهط من الرجال**: ما دون العشرة. انظر: النهاية (٢/ ٢٥٧).

(٢) **الراحلة من الإبل**: البعير القوي على الأسفار والأحمال، والذكر والأنثى فيه سواء. انظر: النهاية (٢/ ١٩١).

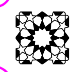
(٣) قَدْ: يعني: حَسْبُك، كَفَى كَفَى.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٣٧٩٣)، وأخرجه مختصرًا الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٧٧٩) (١١).

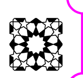
(٥) انظر: تفسير القرطبي (١٠/ ٣٠٤).

* **فائدة جليلة:**

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (١/ ٢٧٨): قول مَن قال: كان عليه الصلاة والسلام يَعلم أعيان بعض المنافقين إنما مستنده حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه في تسمية أولئك الأربعة =



استعجال النبي ﷺ إلى المدينة



فلما وصل رسول الله ﷺ إلى وادي القرى، قال لأصحابه: «**إني متعجِّل إلى المدينة، فمن أراد منكم أن يتعجَّل معي فليتعجَّل**»(١).

ولما أشرف رسول الله ﷺ على المدينة، قال: «**هذه طابة**»، ولما رأى جبل أُحُد، قال: «**هذا أُحُدٌ جَبَلٌ يُحبُّنا ونُحبه**»(٢).

قال الإمام النووي: قوله ﷺ: «**يُحبنا ونحبه**»: الصحيح أنه على ظاهره، وأن معناه: يُحبنا هو بنفسه، وقد جعل الله فيه تمييزًا(٣).

وذكر رسول الله ﷺ لأصحابه أجور أهل الأعذار؛ فقد روى الشيخان في «صحيحيهما» ـ واللفظ للبخاري ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: إن

= عشر منافقًا في غزوة تبوك الذين هَمُّوا أن يفتِكوا برسول الله ﷺ في ظلماء الليل عند عَقَبة هنالك، عزموا على أن يُنفِروا به الناقة ليسقط عنها، فأوحى الله إليه أمرهم، وأطلع على ذلك حذيفة رضي الله عنه، ولعل الكفَّ عن قتلهم كان لمدرك من هذه المدارك أو لغيرها، والله أعلم.

* فأما غير هؤلاء فقد قال الله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ﴾ [التوبة: ١٠١].

وقال تعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾﴾ [الأحزاب: ٦٠، ٦١]؛ ففيها دليل على أنه لم يُغْرِ بهم، ولم يدُلَّ على أعيانهم، وإنما كان يُذكَر له صفاتهم، فيتوسمها في بعضهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ﴾ [محمد: ٣٠].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٤٨١) (١٤٨٢) (٤٤٢٢)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٣٩٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٤١٨) (١٤٨٢) (٤٤٢٢)، ومسلم في صحيحه رقم الحديث (١٣٩٢).

(٣) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (٩/١٣٨).

رسول الله ﷺ رجع من غزوة تَبُوك فدنا من المدينة، فقال: «**إن بالمدينة أقوامًا ما سِرتُم مسيرًا ولا قطعتم واديًا إلا كانوا معكم**»، قالوا: يا رسول الله، وهم بالمدينة؟! فقال رسول الله ﷺ: «**وهم بالمدينة، حبَسَهم العُذر**»[(١)].

قال الإمام النووي: وفي هذا الحديث فضيلة النية في الخير، وأن مَن نوى الغزو وغيره من الطاعات، فعرض له عُذرٌ منعه، حصل له ثوابُ نيِّته، وأنه كلما كان أكثر من التأسف على فوات ذلك، وتمنى كونه مع الغزاة ونحوهم، كَثُر ثوابُه، والله أعلم[(٢)].



استقبال أهل المدينة

وتسامع أهلُ المدينة بقدوم رسول الله ﷺ، فخرجوا إلى ثنية الوداع يتلقَّونه بحفاوة وفَرَح وسرور؛ فقد روى الإمام البخاري في «صحيحه» عن السائب بن يزيد رضي الله عنه، قال: أذكر أني خرجت مع الصبيان نتلقى النبي ﷺ إلى ثنية الوداع مَقْدَمَه من غزوةِ تَبُوك[(٣)].

وفي رواية الإمام الترمذي بسند صحيح، قال السائب رضي الله عنه: لما قدم رسولُ الله ﷺ من تَبُوك خرج الناس يتلقونه إلى ثنية الوداع، قال: فخرجتُ مع الناس وأنا غلام[(٤)].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٤٢٣)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٩١١).

(٢) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١٣/ ٤٩).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٤٢٧).

(٤) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه، رقم الحديث (١٨١٥) وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.





تحريق النبي ﷺ مسجدَ الضِّرَار

أمر رسول الله ﷺ قُبيل دخوله المدينةَ النَّبَوية مالِكَ بن الدُّخْشُم(١)، ومَعْنَ بن عَدِي(٢) رضي الله عنهما، بتحريق وهدم مسجد الضِّرار، الذي بناه المنافقون؛ للضرر بالإسلام والمسلمين، وروى الحاكم في مستدركه بسند جيد عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيَّ، قال: رَأَيْتُ الدُّخَانَ مِنْ مَسْجِدِ الضِّرَارِ حِينَ انْهَارَ(٣)، وفضحهم الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم، فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [التوبة: ١٠٧، ١٠٨].

---

(١) قال الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ١٦٩): **الدُّخْشُم**: بالدال المهملة المضمومة، ثم خاء معجمة ساكنة، ثم شين معجمة مضمومة، ثم ميم، ويُقال: الدُّخَيشِم بالتصغير، ويُقال: الدُّخشُن والدُّخيشِن بالنون، مُكبّرًا ومُصَغَّرًا.

* وقال في شرحه لصحيح مسلم (١/ ٢١٤): واعلم أن مالك بن دخشم رضي الله عنه هذا من الأنصار، ذكر أبو عمر بن عبد البر، في الاستيعاب (٣/ ٤٠٦)، اختلافًا بين العلماء في شهوده العَقَبة، قال: ولم يختلفوا أنه شهد بدرًا وما بعدها من المشاهد.

وقد نص النبي ﷺ على إيمانه باطنًا وبراءته من النفاق، بقوله ﷺ في رواية الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٢٥): «**ألا تراه قد قال لا إلٰه إلا الله يريد بذلك وجهَ الله؟**»

فهذه شهادة من رسول الله ﷺ له بأنه قالها مصدقًا بها معتقدًا صِدْقَها متقربًا بها إلى الله تعالى، وشهد له في شهادته لأهل بدر بما هو معروف، فلا ينبغي أن يُشَكَّ في صدق إيمانه رضي الله عنه.

(٢) قال الحافظ في الفتح (٨/ ٥٨): **مَعْن**: هو بفتح الميم وسكون المهملة.

قال ابن الأثير في جامع الأصول (٢/ ٨٥٨)، قسم التراجم: معن بن عَدي رضي الله عنه: أخو عاصم بن عَدي رضي الله عنه، شهد بدرًا وما بعدها من المشاهد، وشهد العقبة، وقُتِلَ يوم اليمامة في خلافة الصِّدِّيق رضي الله عنه شهيدًا.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك رقم الحديث (٨٩٧٨).

موقف النبي ﷺ من المُخَلَّفين

كانت غزوة تَبُوك لظروفها الخاصة بها اختبارًا شديدًا من الله ﷻ، مَيَّز بها المؤمنين من غيرهم؛ فقد خرج لهذه الغزوة كل مَن كان مؤمنًا صادقًا، حتى صار التخلفُ أمارة[١] على نفاق الرجل إذا لم يكن له عذر يَعذِره الله به؛ فقد روى الشيخان في «صحيحيهما» عن كعب بن مالك رضي الله عنه ـ وهو أحد الثلاثة الذين خُلِّفوا عن هذه الغزوة ـ قال: فلما قيل: إن رسول الله ﷺ قد أظَلَّ قادمًا زاح عني الباطل، وعرفتُ أني لن أخرج منه أبدًا بشيء فيه كَذِبٌ؛ فأجمعتُ صِدْقَه، وأصبح رسول الله ﷺ قادمًا، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد، فيركع فيه ركعتين ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه الـمُخلَّفون، فطَفِقوا[٢] يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلًا، فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتَهم، وبايعَهم واستغفَرَ لهم، ووَكَلَ سرائرهم إلى الله[٣].

ثم إن الله ﷻ تاب على مَن تخلّف من الصحابة الصادقين رضي الله عنهم؛ لصِدْقِهم، وعلى رأسهم: كعبُ بن مالك، وهلالُ بن أُمَيَّةَ، ومُرَارةُ[٤] بنُ الرَّبيع رضي الله عنهم، فقال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة: ١١٩].

قال الحافظ ابن كثير: فكان عاقبةُ صدقهم خيرًا لهم، وتوبةً عليهم[٥].

---

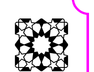
(١) **الأمارة**، بفتح الهمزة: العلامة. انظر: النهاية (١/ ٦٨).

(٢) **طَفِق**: جعل. انظر: النهاية (٣/ ١١٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٤١٨)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٧٦٩).

(٤) قال ابن الأثير في جامع الأصول (٢/ ٨٤٧)، قسم التراجم: **مُرَارة**: بضم الميم، وتخفيف الراء الأولى.

(٥) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٤٦٩).



ما نزل من القرآن حول غزوة تَبُوك

قال الحافظ ابن كثير: وأنزل اللهُ فيها[١] عامَّةَ سورة التوبة[٢].

وقال الإمام القرطبي: تُسمَّى الفاضحةَ، والبَحُوثَ؛ لأنها تبحث عن أسرار المنافقين[٣].

وروى الشيخان في «صحيحيهما» عن سعيد بن جُبير، قال: قلت لابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: سورة التوبة؟

قال: التوبة هي الفاضحة، ما زالت تنزل: ومنهم، ومنهم، حتى ظنُّوا أنها لم تُبْقِ أحدًا منهم إلا ذُكِرَ فيها[٤].

وروى ابن أبي شيبة في «مصنفه» بسند حسن عن حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: تقولون سورة التوبة، وهي سورة العذاب[٥].

وروى الحاكم في «المستدرك» بسند صحيح عن جُبير بن نُفَير، قال: قال رجل للمِقْداد بن الأسود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لو قعدتَ العام عن الغزو! قال: أَبَتْ علينا البَحُوثُ ـ يعني: سورة التوبة ـ؛ قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: ٤١]، ولا أجدني إلا خفيفًا[٦].

وقال ابن إسحاق: وكانت براءة تُسمى في زمان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبعده الـمُبعثِرةَ؛ لما كشفت من سرائر الناس، وكانت تَبُوك آخِرَ غزوة غزاها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[٧].

---

(١) يعني: في غزوة تبوك.

(٢) انظر: الفصول في سيرة الرسول، ص (٢٤٩).

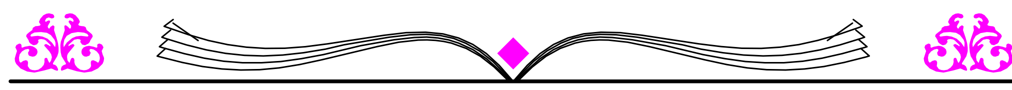
(٣) انظر: تفسير القرطبي (١٠/ ٩٣).

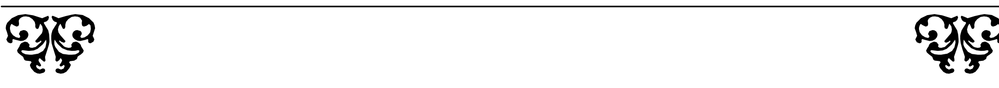
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٨٨٢)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٣٠٣١).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، رقم الحديث (٣٠٨٩٨).

(٦) أخرجه الحاكم في المستدرك، رقم الحديث (٣٣٢١).

(٧) انظر: سيرة ابن هشام (٤/ ٢٠٨).







تأمير أبي بكر الصديق ﷺ على الحج

أَمَّرَ رسولُ الله ﷺ أبا بكر الصديق ﷺ على الحج، وذلك في السنة التاسعة للهجرة[(١)]؛ ليُقيم للمسلمين حَجَّهم، وبقي رسول الله ﷺ في المدينة النَّبَوية يُتابع الدعوة والوفود التي قدمت إليه لتُعلِنَ إسلامها، فخرج أبو بكر الصديق ﷺ في ثلاثمائة رجل من المدينة، وبعث معه رسولُ الله ﷺ بعشرين بَدَنَة[(٢)] قلَّدها[(٣)] وأشعَرَها[(٤)] بيده الشريفة، واستعمل عليها ناجية بن جُندَب الأسلمي ﷺ، وساق أبو بكر ﷺ خمسَ بدنات[(٥)].

وروى الشيخان في «صحيحيهما» عن عائشة ﷺ، قالت: فتلتُ[(٦)] قلائِدَ هَدي رسول الله ﷺ بيديَّ، ثم قَلَّدها رسول الله ﷺ بيديه، ثم بعث بها

(١) قال الإمام البخاري في صحيحه: باب حجِّ أبي بكر بالناس في سنة تسع.
قال الحافظ في الفتح (٨/ ٤١٣): كذا جزم به، ويُؤيده أن ابن إسحاق، في السيرة (٤/ ١٩٧)، صَرَّح بأن النبي ﷺ أقام بعد أن رجع من تبوك رمضان وشوالًا وذا القَعدة، ثم بعث أبا بكر ﷺ أميرًا على الحج، فهو ظاهر في أنَّ بَعْثَ أبي بكر ﷺ كان بعد انسلاخ ذي القَعدة، فيكون حجه في ذي الحجة على هذا. والله أعلم.

(٢) **البَدَنة**: تقع على الجمل والناقة والبقرة، وهي بالإبل أشبه، وسُمِّيت بدنةً؛ لعِظَمِها وسِمَنِها. انظر: النهاية (١/ ١٠٨).

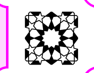
(٣) **تقليد الهَدْيِ**: أن يُجعَل في عنقها شِعارٌ يُعلَمُ به أنها هَدْيٌ. انظر: لسان العرب (١١/ ٢٧٦).

(٤) **إشعار البُدْن**: هو أن يُشقَّق أحد جَنْبي سَنام البَدَنَة حتى يَسيل دمُها، ويُجعَل ذلك لها علامة تُعرَف بها أنها هَدْيٌ. انظر: النهاية (٢/ ٤٢٩).

(٥) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٣٣٤).

(٦) **فتلتُ**: لويتُ. انظر: لسان العرب (١٠/ ١٧٧).

مع أَبِي[(١)]، فلم يَحرُمْ على النبي ﷺ شيءٌ أحله الله له حتى نُحِرَ الهَديُ[(٢)].



بعث عليٍّ رضي الله عنه بسورة براءة

فلما خرج أبو بكر الصديق رضي الله عنه نزل على النبي ﷺ أولُ الآيات من سورة التوبة[(٣)]، فبعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه ليُعلِنَ للناس ما فيها من أحكام.

قال الحافظ في «الفتح»: قال العلماء: الحكمة في إرسال علي رضي الله عنه بعد أبي بكر رضي الله عنه أن عادة العرب جرت بأن لا يَنقُضَ العهد إلا مَن عقده أو مَن هو منه بسبيلٍ من أهل بيته؛ فأجراهم في ذلك على عادتهم[(٤)].

وقال الحافظ ابن كثير: وأول هذه السورة[(٥)] الكريمة نزل على رسول الله ﷺ لما رجع من غزوة تَبُوك، وهم بالحج، ثم ذكر أن المشركين يحضُرون عامهم هذا الموسِمَ[(٦)] على عادتهم في ذلك، وأنهم يطوفون بالبيت عُراةً؛ فكره مخالطَتَهم، وبعث أبا بكر الصديق رضي الله عنه أمِيرًا على الحج تلك السنة؛ ليُقيم للناس مناسكهم[(٧)].

وروى الإمام الترمذي في «جامعه» والحاكم في «مستدركه» بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: إن رسول الله ﷺ بعث أبا بكر رضي الله عنه، وأَمَرَه أن

(١) قال الحافظ في الفتح (٤/ ٣٦٧): أَبِي، بفتح الهمزة، وكسر الموحَّدة الخفيفة، تريد بذلك أباها أبا بكر الصديق رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٧٠٠)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٣٢١) (٣٦٩).

(٣) قال الحافظ في الفتح (٩/ ٢١٠): نزل أول براءة عَقِبَ فتح مكة في سنة تسع عام حج أبي بكر رضي الله عنه... لا شك أن غالبها نزل في غزوة تبوك، وهي آخر غزوات النبي ﷺ.

(٤) انظر: فتح الباري (٩/ ٢١٦).

(٥) يعني: سورة التوبة.

(٦) **الموسِم**: هو الوقت الذي يجتمع فيه الحاجُّ كل سنة، كأنه وُسِمَ بذلك الوَسْمِ، وهو مَفْعِل منه، اسم للزمان؛ لأنه مَعْلَمٌ لهم. انظر: النهاية (٥/ ١٦٢).

(٧) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٢٤٤).

يُناديَ بهؤلاء الكلمات[(١)]، فأتبعه عليًّا رضي الله عنه، فبينا أبو بكر رضي الله عنه ببعض الطريق إذ سمع رُغاءَ[(٢)] ناقة رسول الله ﷺ، فخرج أبو بكر فَزِعًا، فظن أنه ﷺ، فإذا عليٌّ رضي الله عنه، فدفع إليه كتاب النبي ﷺ قد أَمَّره[(٣)] على الموسم، وأمَرَ عليًّا أن يُناديَ بهؤلاء الكلمات، فقام علي رضي الله عنه عنه في أيام التشريق، فنادى:

١ ـ ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: ٣]، ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ﴾ [التوبة: ٢].

٢ ـ لا يحُجَّنَّ بعد العام مُشرِكٌ[(٤)].

٣ ـ ولا يطوفَنَّ بالبيتِ عُريان.

٤ ـ ولا يدخُل الجنَّةَ إلا مؤمن.

فكان علي رضي الله عنه يُنادي بها، فإذا بَحَّ قام أبو هريرة رضي الله عنه فنادى[(٥)].

وروى الشيخان في «صحيحيهما» عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: بعثني أبو بكر الصديق رضي الله عنه في الحجة التي أَمَّرَهُ عليها رسول الله ﷺ، قبل حَجَّة الوداع في رهط يُؤذِّنون[(٦)] في الناس يوم النحر: لا يحُج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عُريان[(٧)].

---

(١) هي التي نادى بها عليٌّ رضي الله عنه، وهي التي في آخر الحديث.

(٢) **الرُّغاء**، بضم الراء: هو صوت البعير. انظر: النهاية (٢/٢١٨).

(٣) يعني: تأمير أبي بكر رضي الله عنه على الحج.

(٤) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٩/٩٨): موافق لقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ﴾ [التوبة: ٢٨]، والمراد بالمسجد الحرام هاهنا الحرم كله، فلا يُمكَّن مشركٌ من دخول الحرم بحالٍ، حتى لو جاء في رسالة أو أمر مهم لا يُمكَّن من الدخول؛ بل يُخْرَج إليه مَن يقضي الأمر المتعلِّق به، ولو دخل خُفيةً ومَرِضَ ومات، نُبِش وأخرِجَ من الحرم.

(٥) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه، رقم الحديث (٣٣٤٥)، والحاكم في مستدركه، رقم الحديث (٤٤٢٣).

(٦) **الأذان**: هو الإعلام بالشيء. انظر: النهاية (١/٣٧).

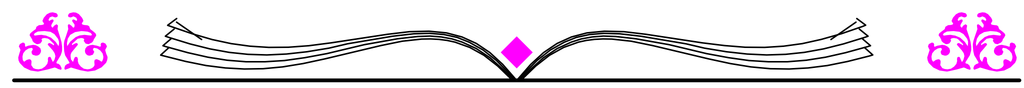
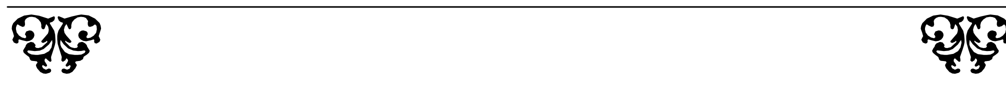
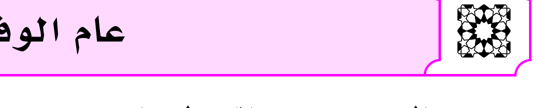
(٧) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٦٢٢)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٣٤٧).

قال الحافظ في «الفتح»: فالحاصل أن مباشرة أبي هريرة رضي الله عنه لذلك[١] كانت بأمر أبي بكر رضي الله عنه، وكان يُنادي بما يُلقيه إليه علي رضي الله عنه مما أُمِرَ بتبليغه[٢].

وروى الإمام أحمد في «مسنده» والترمذي في «جامعه» بسند صحيح عن زيد بن يُثيع، قال: سألنا عليًّا رضي الله عنه: بأي شيء بُعِثْتَ في الحجة؟ قال: بُعثتُ بأربع: أن لا يطوفَنَّ بالبيت عُريان، ومَن كان بينه وبين النبي ﷺ عهد، فهو[٣] إلى مُدَّتِه[٤]، ومَن لم يكن له عهد، فأجَلُه أربعة أشهر، ولا يدخل الجنة إلا نفسٌ مؤمنة، ولا يجتمع المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا[٥].



(١) أي: بالإعلام.
(٢) انظر: فتح الباري (٩/ ٢١٣).
(٣) في رواية الإمام أحمد، ورواية أخرى في جامع الترمذي: فعَهْدُه.
(٤) **قلت**: وقع في رواية أخرى في المسند، رقم الحديث (٧٩٧٧) وَهْمٌ، وهو قوله: ومَن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد، فإنَّ أجَلَه، أو أمَدَه، إلى أربعة أشهر.
قال الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٣٠٦): أخشى أن يكون هذا الخبر وهمًا من ناقله في الأجَلِ؛ لأن الأخبار متظاهرة في الأجَلِ بخلافه.
* وحكم الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٥/ ٤٢) على هذه الرواية بالنكارة، فقال: وهذا إسناد جيد، لكن فيه نكارة من جهة قول الراوي: إن مَن كان له عهد فأجَلُه إلى أربعة أشهر، وقد ذهب إلى هذا ذاهبون، ولكن الصحيح أن مَن كان له عهد فأجَلُه إلى أمَدِه بالغًا ما بلغ، ولو زاد على أربعة أشهر، ومَن ليس له أمدٌ بالكلية فله تأجيل أربعة أشهر، بقي قسم ثالث: وهو مَن له أمد ينتهي إلى أقلَّ من أربعة أشهر من يوم التأجيل، وهذا يُحتَمَل أن يلتحق بالأول، فيكون أجلُه إلى مُدَّتِه وإن قَلَّ، ويُحتمل أن يُقال: إنه يُؤجَّل إلى أربعة أشهر؛ لأنه أولى ممن ليس له عهد بالكلية. والله أعلم.
(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٥٩٤)، والترمذي في جامعه، رقم الحديث (٨٨٦) (٣٣٤٦) وقال الترمذي في الموضعين: حديث حسن صحيح.

عام الوفود[١]

قال ابن إسحاق: لما افتتح رسول الله ﷺ مكة، وفرغ من تَبُوك، وأسلمت ثقيفٌ وبايعت؛ ضربت إليه وفود العرب من كل وجه وإنما كانت العرب تَرَبَّصُ[٢] بالإسلام أمْرَ هذا الحيِّ من قريش، وأمْرَ رسول الله ﷺ؛ وذلك أن قريشًا كانوا إمامَ الناس وهاديَهم، وأهلَ البيت الحرام، وصريحَ ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وقادةَ العرب، لا يُنكرون ذلك، وكانت قريش هي التي نصبت[٣] لحرب رسول الله ﷺ وخلافه، فلما افتُتحت مكة، ودانت[٤] له قريش، وَدَوَّخها[٥] الإسلام، وعرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله ﷺ ولا عداوته؛ فدخلوا في دين الله ـ كما قال ﷻ ـ أفواجًا، يضربون إليه من كل وجه؛ يقول الله تعالى لنبيِّه ﷺ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾ [النصر: ١ ـ ٣]؛ أي: فاحمَدِ الله على ما أظهر من دينك، واستغفِرْه؛ إنه كان توابًا[٦].

وقال الحافظ ابن كثير: وتواترت الوفود في هذه السنة[٧] وما بعدها على رسول الله ﷺ، مُذعِنةً بالإسلام، داخلين في دين الله أفواجًا[٨].

---

(١) قال ابن هشام في السيرة (٤/ ٢١٤): حدثني أبو عبيدة: أن ذلك في سنة تسع، وأنها كانت تُسمَّى سنة الوفود.

(٢) **التربُّص**: المُكث والانتظار. انظر: لسان العرب (٥/ ١٠٨).

(٣) **ناصبه الشر والحرب والعداوة**: أظهره له. انظر: لسان العرب (١٤/ ١٥٦).

(٤) **دانت**: خضعت وذلَّت. انظر: لسان العرب (٤/ ٤٢٢).

(٥) **دَوَّخها**: أذلها وأخضعها. انظر: لسان العرب (٤/ ٤٣٧).

(٦) انظر: سيرة ابن هشام (٤/ ٢١٤). (٧) يعني: سنة تسع للهجرة.

(٨) انظر: الفصول في سورة الرسول، ص (٢٥١).

* **تنبيه مهم:**

قال الحافظ ابن كثير: قد قال الله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [النساء: ٩٥]، وقال رسول الله ﷺ يوم الفتح: «**لا هجرة**(١) **ولكن جِهادٌ ونية**»(٢)؛ فيجب التمييز بين السابق من هؤلاء الوافدين على زمن الفتح ممن يُعَدُّ وفودُه هجرةً، وبين اللاحق لهم بعد الفتح ممن وعد الله خيرًا وحُسنى، ولكن ليس في ذلك كالسابق له في الزمان والفضيلة، والله أعلم(٣).

وَفدُ ثَقيفٍ

قَدِم وَفدُ ثقيفٍ على رسول الله ﷺ في رمضان من السنة التاسعة للهجرة(٤)، فأسلموا، وكانوا اشترطوا بعض الأمور؛ فقد روى أبو داود في «سننه» بسند صحيح عن وهب، قال: سألتُ جابرًا عن شرط ثَقيفٍ إذ بايعت، قال: اشترطَتْ على النبي ﷺ: أنْ لا صَدقة عليها ولا جهاد، وأنه سمع النبيَّ ﷺ بعد ذلك، يقول: «**سيتصَدَّقون ويُجاهِدون إذا أسلَموا**»(٥).

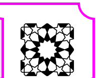
فلما أراد وفد ثقيف الانصراف إلى بلادهم، أَمَّرَ رسول الله ﷺ عليهم عثمانَ بن أبي العاص رضي الله عنه، وكان مِن أحدَثِهم سِنًّا؛ وذلك أنه كان أحرصهم على التفقُّهِ في الإسلام، وتعلُّمِ القرآنِ(٦).

وروى الإمام مسلم في «صحيحه» عن عثمان بن أبي العاص الثقفي رضي الله عنه، قال: إن النبي ﷺ قال له: «**أُمَّ قومَك**»، قلت: يا رسول الله، إني أجد في نفسي

(١) زاد البخاري في صحيحه في رواية أخرى: «بعد الفتح»،
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٢٨٢٥)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٣٥٣).
(٣) انظر: البداية والنهاية (٥/ ٤٤).
(٤) انظر: سيرة ابن هشام (٤/ ١٩١).
(٥) أخرجه أبو داود في سُننه، رقم الحديث (٣٠٢٥).
(٦) انظر: سيرة ابن هشام (٤/ ١٩٤).

شيئًا[١]، فقال رسول الله ﷺ: «**ادْنُهْ**»، فجلَّسني بين يديه، ثم وضع كَفَّهُ في صدري بين ثَدْيَيَّ، ثم قال: «**تحوَّلْ**»، فوضعها في ظهري بين كتفِيَّ، ثم قال: «**أُمَّ قومَك، فمن أَمَّ قومًا فليُخفِّفْ؛ فإن فيهم الكبير، وإن فيهم المريض، وإن فيهم الضعيف، وإن فيهم ذا الحاجة، وإذا صلى أحدُكم وحده فليُصَلِّ كيف شاء**»[٢].

وروى الإمام أحمد في «مسنده» بسند قوي عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه، قال: إن آخر كلام كَلَّمني به رسول الله ﷺ إذ استعملني على الطائف، فقال: «**خَفِّفِ الصلاةَ على الناس**»، حتى وَقَّتَ لي: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ [العلق: ١]، وأشباهها من القرآن[٣].



وهكذا استجاب الله سبحانه وتعالى دعاء رسوله ﷺ بإسلام ثقيف؛ فقد روى الإمام أحمد في «مسنده» بسند قوي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ اهْدِ ثقيفًا**»[٤].

وفد بني تميم

قدم وفد بني تميم على رسول الله ﷺ في السنة التاسعة للهجرة، وفيهم: عُطارد بن حاجب، والأقرع بن حابس، والزِّبْرِقان بن بدر، وعمرو بن الأهتم، والحبحاب بن يزيد، وعُيَينة بن حِصن، وغيرهم.

قال ابن إسحاق: فلما دخل وفد بني تميم المسجِدَ نادَوا رسول الله ﷺ من وراء حُجُراته: أنِ اخرُجْ إلينا يا محمد، فآذى ذلك رسولَ الله ﷺ من

---

(١) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٤/ ١٥٥): يُحتمل أنه أراد الخوف من حصول شيء من الكِبر والإعجاب له بتقدُّمِه على الناس، فأذهبه الله تعالى ببركة كف رسول الله ﷺ ودعائه، ويحتمل أنه أراد الوسوسة في الصلاة؛ فإنه كان مُوَسْوسًا، ولا يَصلُح للإمامة المُوَسْوس.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (٤٦٨).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٧٩١٦).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٤٧٠٢).

صياحهم، فخرج إليهم، فقالوا: يا محمد، جئنا نُفاخِرُك، فَأْذَنْ لشاعرنا وخطيبنا، فقال رسول الله ﷺ: «**قد أذِنْتُ**»، فخطب خطيبهم وهو عُطارد بن حاجب، فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس رضي الله عنه: «**أجِبْه**»، فأجابه، ثم قالوا: يا محمد ائذَنْ لشاعرنا، فأذِنَ له، وهو الزِّبْرِقان بن بدر فأنشد، فقال رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت: «**أجِبْه**»، فأجابه بمثل شِعْرِه، فقالوا: وَاللهِ لخطيبُه أبلَغُ من خطيبنا، ولشاعِرُه أشعرُ من شاعرنا، ولهم أحلَمُ مِنَّا! ونزل فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤﴾ [الحجرات: ٤][(١)].

* واختلف أبو بكر وعمر رضي الله عنهما في اختيار الأمير لوفد بني تميم؛ فقد روى الإمام البخاري في «صحيحه» عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما، قال: قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ، فقال أبو بكر رضي الله عنه: أَمِّرِ القعقاع بن معبد بن زُرارة، فقال عُمَر رضي الله عنه: بل أَمِّرِ الأقرع بن حابس، فقال أبو بكر رضي الله عنه: ما أردتَ إلا خلافي! وقال عمر رضي الله عنه: ما أردتَ إلا خلافي! فتمارَيَا[(٢)] حتى ارتفعت أصواتهما، فنزل في ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١]، حتى انقضَت[(٣)].

وفد بني حنيفة

قدم على رسول الله ﷺ وفد بني حنيفة، فيهم مسيلمة بن حبيب الحنفي الكذَّاب؛ فقد روى الشيخان في «صحيحيهما» عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قدم مُسَيلِمة الكذَّاب على عهد رسول الله ﷺ، فجعل يقول: إن جعل لي مُحمدٌ

(١) والخبر في سيرة ابن هشام (٤/ ٢١٥، ٢٢٢).
قلت: اختُلِف في سبب نزول هذه الآية، وذكرتُ ذلك مفصلًا في «اللؤلؤ المكنون»؛ فأغنى ذلك عن إعادته هنا.

(٢) **المماراة**: المجادلة. انظر: النهاية (٤/ ٢٧٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٣٦٧).

الأمرَ من بعدِه تبِعْتُه، وقَدِمَها في بشر كثير من قومه، فأقبل إليه رسول الله ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شَمَّاس رضي الله عنه، وفي يد النبي ﷺ قطعة جريد[(١)]، حتى وقف على مُسَيلِمة في أصحابه، فقال: «**لو سألتَني هذه القطعةَ ما أعطيتُكها، ولن تعدوَ**[(٢)] **أمْرَ الله فيك، ولئن أدبَرْتَ لَيَعْقِرَنَّك**[(٣)] **الله، وإني لأَراك الذي أُريتُ فيه ما رَأيتُ، وهذا ثابتٌ يُجيبك عني**»[(٤)]، ثم انصرف عنه.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: فسألتُ عن قول النبي ﷺ: «**إنك أُرَى الذي أُريتُ فيه ما أُريت**»، فأخبرني أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ، قال: «**بينا أنا نائم رأيتُ في يديَّ سوارينِ من ذهب، فأَهَمَّني شأنُهما، فأُوحي إليَّ في المنام: أنِ انفُخْهما، فنفختهما فطارَا، فأَوَّلْتُهما كذابينِ يَخرُجان بعدي**[(٥)] **أحدُهما العَنْسِيُّ، والآخرُ مُسَيلمة**»[(٦)].

قال الإمام النووي: مُسَيلِمة الكذَّاب، عدو الله، جمع جموعًا كثيرة من بني حنيفة وغيرهم من سفهاء العرب وغوغائهم، وقصد قتال الصحابة رضي الله عنهم على إثر وفاة النبي ﷺ، فَجَهَّز إليه أبو بكر الصديق رضي الله عنه الجيوش، وأميرهم

---

(١) في رواية الإمام مسلم: جريدة.
الجريدة: السَّعَفة، وجمعها جريد. انظر: النهاية (١/ ٢٤٩).

(٢) في رواية الإمام مسلم: «أتعدَّى».

(٣) قال الإمام ابن الأثير في جامع الأصول (١١/ ٧٠٣): **العَقْر** في الأصل: هو أن تُضرَب قوائم الفرس أو البعير بالسيف فتُقطَع، ثم استُعمِل في القتل والهلاك.

(٤) قال الحافظ في الفتح (٨/ ٤٢٣): أي: لأنه كان خطيب الأنصار، وكان النبي ﷺ قد أُعطِيَ جوامع الكلم، فاكتفى بما قاله لمسيلمة، وأعلمه أنه إن كان يريد الإسهاب في الخطاب فهذا الخطيب يقوم عني في ذلك، ويُؤخَذ منه استعانة الإمام بأهل البلاغة في جواب أهل العناد ونحو ذلك.

(٥) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٥/ ٢٨): قال العلماء: المراد بقوله ﷺ: «**يخرجان بعدي**»؛ أي: يُظهِران شوكتهما أو محاربتهما ودعواهما النبوة، وإلا فقد كانا في زمنه.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٣٧٣) (٤٣٧٤)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٢٧٣).

خالد بن الوليد رضي الله عنه سنة إحدى عشرة من الهجرة، فقاتلوه، فظهروا على مسيلمة، فقتلوه كافرًا[١].

*** تنبيه مهم:**

قال الحافظ في «الفتح»: وسياق هذه القصة[٢] يُخالف ما ذكره ابن إسحاق[٣] أنه قدم[٤] مع وفد قومه، وأنهم تركوه في رحالهم يحفظها لهم، وذكروه لرسول الله ﷺ وأخذوا منه جائزته، وأنه قال لهم[٥]: إنه ليس بشَرِّكم، وأن مسيلمة لما ادَّعى أنه أُشرِكَ في النبوة مع رسول الله ﷺ احتج بهذه المقالة، وهذا مع شذوذه ضعيف السند؛ لانقطاعه، وأَمْرُ مسيلمة كان عند قومه أكثر من ذلك؛ فقد كان يُقال له: رحمان اليمامة؛ لعِظَمِ قَدْرِه فيهم، وكيف يلتئم هذا الخبر الضعيف مع قوله في هذا الحديث الصحيح: إن النبي ﷺ اجتمع به وخاطبه، وصَرَّحَ له بحضرة قومه أنه لو سأله قطعة الجريدة ما أعطاه؟![٦].

وفد نجران

قدم على رسول الله ﷺ بالمدينة النَّبَوية وفد نصارى نجران، ستون راكبًا، فيهم أربعة عشر رجلًا من أشرافهم، وكان من بينهم العاقِبُ والسَّيِّد، وناقشوا رسول الله ﷺ في أمر عيسى عليه السلام، ونزل فيهم آيات من سورة آل عمران بذلك، فقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْأَيَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ

---

(١) انظر: تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٢٠٠).

(٢) يعني: رواية البخاري ومسلم في صحيحيهما.

(٣) في السيرة النبوية (٤/ ٢٣٢).

(٤) يعني: مسيلمة الكذاب.

(٥) يعني: رسول الله ﷺ.

(٦) انظر: فتح الباري (٨/ ٤٢٢).

﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ۝٦٠ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ۝٦١﴾ [آل عمران: ٥٨ ـ ٦١][١]، فخافوا من المباهَلة[٢] ورفضوها[٣].

قال الإمام القرطبي: هذه الآية من أعلام نبوة محمد ﷺ؛ لأنه دعاهم إلى المباهَلة فأبوا منها، ورَضُوا بالجزية بعد أن أعلمهم كبيرُهم العاقبُ أنهم إن باهَلوه اضطرم[٤] عليهم الوادي نارًا؛ فإنَّ محمَّدًا نبي مرسَل، ولقد تعلمون أنه جاءكم بالفصل في أمر عيسى، فتركوا المباهَلة، وانصرفوا إلى بلادهم[٥].

وروى الإمام البخاري في «صحيحه» عن حذيفة رضي الله عنه، قال: جاء العاقب والسَّيِّد صاحبا نجران إلى النبي ﷺ يُريدان أن يُلاعِناه، فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل؛ فوالله لئن كان نبيًّا فلاعَنَنا، لا نُفْلِحُ نحن ولا عَقِبُنا مِن بَعْدِنا[٦].

وروى الإمام أحمد في «مسنده» بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لو خرج الذين يُباهِلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون مالًا ولا أهلًا[٧].

---

(١) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢/ ٣٥٣): سبب نزول هذه المباهَلة وما قبلها من أول السورة إلى هنا: في وفد نجران النصارى حين قدموا فجعلوا يُحاجُّون في عيسى ويزعمون فيه ما يزعمون من النبوة والإلٰهية، فأنزل الله صدر هذه السورة ردًّا عليهم.

(٢) **المباهَلة**: الملاعَنة، وهو أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء، فيقولوا: لعنة الله على الظالم منا. انظر: النهاية (١/ ١٦٤).

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ١٨٥).

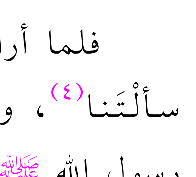
(٤) **اضطرم**: اشتعل. انظر: لسان العرب (٨/ ٥٦).

(٥) انظر: تفسير القرطبي (٥/ ١٥٩).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٣٨٠).

(٧) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٢٢٥).

فقبل منهم رسول الله ﷺ ذلك، ثم صالحهم على الجزية؛ فقد روى أبو داود في «سننه» بسند ضعيف ـ وله شواهد ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: صالح رسول الله ﷺ أهل نجران على ألفَيْ حُلَّة: النِّصْف في صَفَر والنصف في رجب، يُؤدونها إلى المسلمين، وعاريَّةٍ ثلاثين درعًا، وثلاثين فرسًا، وثلاثين بعيرًا، وثلاثين من كُلِّ صِنف من أصناف السلاح، يَغْزُون بها، والمسلمون ضامنون لها حتى يردُّوها عليهم إن كان باليَمَنِ كَيْدٌ أو غَدْرَة، على أن لا تُهدَم لهم بِيعةٌ[1]، ولا يُخرجَ لهم قَسٌّ[2]، ولا يُفتَنوا عن دينهم ما لم يُحدِثوا حَدثًا أو يأكُلوا الرِّبا[3].



بَعْث أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه معهم

فلما أرادوا الرجوع إلى بلادهم، قالوا لرسول الله ﷺ: إنا نُعطيك ما سألْتَنا[4]، وابعث معنا رجلًا أمينًا، ولا تبعَثْ معنا إلا أمينًا، فقال رسول الله ﷺ: «**لأبعثَنَّ معكم رجلًا أمينًا حقَّ أمينٍ**»، فاستشرف لها أصحاب رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**قُمْ يا أبا عُبَيدة بن الجراح**»[5]، فلما

---

(١) **البِيعة**، بكسر الباء: هي كنيسة اليهود، وقيل: كنيسة النصارى. انظر: لسان العرب (١/ ٥٥٨).

(٢) **القَسُّ**، بفتح القاف: هو رئيس من رؤساء النصارى في الدين والعلم. انظر: لسان العرب (١١/ ١٥٧).

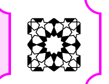
(٣) أخرجه أبو داود في سُننه، رقم الحديث (٣٠٤١)، وذكره الحافظ في التلخيص الحَبير (٦/ ٢٩٦٨) وقال: وفي سماع السُّدِّي من ابن عباس نظر، لكن له شواهد، وحسَّنه الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيقه لسنن أبي داود.

(٤) قال السندي في شرحه للمسند (٣/ ٣٥٧): أي: من الجزية.

(٥) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٥/ ١٥٥): قال العلماء: الأمانة مشتركة بينه وبين غيره من الصحابة، لكن النبي ﷺ خص بعضهم بصفات غلبت عليهم، وكانوا بها أخص.

قام قال رسول الله ﷺ: «**هذا أمينُ هذه الأمة**»[١].

قال الحافظ في «الفتح»: وفي الحديث منقبة ظاهرة لأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه[٢].



قدوم ضِمَام[٣] بن ثعلبة رضي الله عنه

بعَثَت بنو سعد بن بكر ضِمامَ بن ثَعلبة رضي الله عنه وافدًا عنهم إلى رسول الله ﷺ؛ فقد روى الشيخان في «صحيحيهما» ـ واللفظ للبخاري ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: بينما نحن جلوس مع النبي ﷺ في المسجد دخل رجل على جمل، فأناخه[٤] في المسجد[٥]، ثم عَقَلَهُ[٦]، ثم قال لهم: أيُّكم محمدٌ؟ ـ والنبي ﷺ مُتكئ بين ظهرانَيْهم ـ فقلنا: هذا الرجل الأبيض المتكئ، فقال له الرجل: ابنَ عبد المطَّلِبِ، فقال له النبي ﷺ: «**قد**

(١) أخرج ذلك الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٣٨٠)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٤٢٠).

(٢) انظر: فتح الباري (٨/ ٤٢٩).

(٣) قال ابن الأثير في جامع الأصول (١/ ٥٣٣)، قسم التراجم: **ضِمَام**: بكسر الضاد، وتخفيف الميم الأولى.

وقال الحافظ في الفتح (١/ ٢٠٦): الصواب: أن قدوم ضِمام كان في سنة تسع، وبه جزم ابن إسحاق وأبو عبيدة وغيرهما.

(٤) **أناخ الإبل**: أبركها فبركت. انظر: لسان العرب (١٤/ ٣٢١).

(٥) في رواية الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٣٨٠)، وأبي داود في سُننه، رقم الحديث (٤٨٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنه، قال: فأناخ بعيره على باب المسجد.

قال الحافظ في الفتح (١/ ٢٠٤): فهذا السياق يدل على أنه ما دخل به المسجد، فعلى هذا في رواية أنس رضي الله عنه مجاز حذف، والتقدير: فأناخه في ساحة المسجد، أو نحو ذلك.

(٦) **عَقَلَ البعير**: ثنى وَظِيفَه مع ذراعه وشَدَّهما جميعًا في وسط الذراع، وذلك الحبل هو العِقال. انظر: لسان العرب (٩/ ٣٢٧).

أجَبْتُك»، فقال الرجل للنبي ﷺ: إني سائلك فَمُشَدِّدٌ عليك في المسألة، فلا تجِدْ عليَّ في نفسك، فقال النبي ﷺ: «**سَلْ عما بدا لك**»، قال: أسألك بربِّك وربِّ مَن قَبْلَك، آللهُ أرسلك إلى الناس كلهم؟ فقال النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ نعم**»، قال: أَنشُدُك بالله، آللهُ أمرك أن نُصلِّيَ الصلواتِ الخمسَ في اليوم والليلة؟ فقال النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ نعم**»، قال: أَنشُدُك بالله، آللهُ أمرك أن تصوم هذا الشهر من السنة؟ فقال النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ نعم**»، قال: أَنشُدُك بالله اللهُ أمرك أن تأخذَ هذه الصدقة من أغنيائنا فتَقسِمَها على فقرائنا؟ فقال النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ نعم**»، فقال الرجل: آمنتُ بما جئتَ به، وأنا رسولُ مَن ورائي من قومي، وأنا ضِمامُ بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر[(١)].

وفي لفظ آخر في «مسند الإمام أحمد» بسند حسن، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: بعَثَت بنو سعد بن بكر ضِمامَ بن ثعلبة وافدًا إلى رسول الله ﷺ، فقدم عليه، وأناخ بعيره على باب المسجد ثم عَقَلَهُ، ثم دخل المسجد، ورسول الله ﷺ جالس في أصحابه، وكان ضِمامٌ رجلًا جَلْدًا[(٢)] أشعَرَ ذا غديرتينِ[(٣)]، فأقبل حتى وقف على رسول الله ﷺ في أصحابه، فقال: أيكم ابنُ عبد المطلب؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أنا ابن عبد المطلب**»، قال: يا محمد؟ فقال رسول الله ﷺ: «**نعم**»، قال: ابنَ عبد المطلب، إني سائلك ومُغَلِّظٌ في المسألة، فلا تجِدَنَّ في نفسِك، فقال رسول الله ﷺ: «**لا أجِدُ في نفسي، فَسَلْ عَمَّا بدا لك**»، قال: أَنشُدُك اللهَ إلٰهَك، وإلٰهَ مَن كان قبلك، وإله مَن هو كائن بعدك، آللهُ بعثك إلينا رسولًا؟ فقال رسول الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ نعم**»، قال: فأنشُدُك آللهَ إلٰهَك، وإلٰه مَن كان قبلك، وإلٰه مَن هو كائن

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٦٣)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٢).

(٢) **جَلْدًا**: أي: قويًّا في نفسه وجسمه. انظر: النهاية (١/ ٢٧٥).

(٣) **الغدائر**: هي الذوائب. انظر: النهاية (٣/ ٣١٠).

بعدك، آللهُ أمرك أن تأمرنا أن نعبُدَه وحده، لا نشرِكُ به شيئًا، وأن نخلع هذه الأنداد التي كانت آباؤنا يعبدون معه؟ فقال رسول الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ نعم**»، قال: فأنشُدُك اللهَ إلٰهَك، وإله مَن كان قبلك، وإلٰه مَن هو كائن بعدك، آللهُ أمرك أن نُصلِّيَ هذه الصلواتِ الخمسَ؟ فقال رسول الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ نعم**».

قال: ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضةً فريضةً: الزكاة، والصيام، والحج، وشرائع الإسلام كلها، يُناشده عند كل فريضة كما يُناشده في التي قبلها، حتى إذا فرغ قال: فإني أشهَدُ أنْ لا إلٰه إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، وسأُؤدِّي هذه الفرائض، وأجتنب ما نهيتني عنه، ثم لا أزيد ولا أَنقُص، ثم انصرف راجعًا إلى بعيره، فقال رسول الله ﷺ حين وَلَّى: «**إن يَصدُقْ ذو العَقِيصَتَين**[(١)]**، يدخُلِ الجنة**»، قال: فأتى إلى بعيره، فأطلق عقاله، ثم خرج حتى قدم على قومه، فاجتمعوا إليه، فكان أول ما تكلَّم به أن قال: بِئْسَتِ اللاتُ والعُزَّى! قالوا: مَهْ يا ضِمام! اتق البَرَص والجُذام، اتق الجنون! قال: وَيْلَكم! إنهما والله لا يضران ولا ينفعان، إن الله ﷻ قد بعث رسولًا، وأنزل عليه كتابًا استنقذكم به مما كنتم فيه، وإني أشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وإني قد جئتكم من عنده بما أمركم به، ونهاكم عنه، قال: فوالله ما أمسى من ذلك اليوم وفي حاضِرِه[(٢)] رجل ولا امرأة إلا مسلمًا!

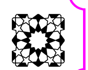
قال ابن عباس رضي الله عنهما: فما سمعنا بوافد قوم كان أفضَلَ من ضِمامِ بن ثعلبة[(٣)].

---

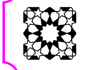
(١) **العَقيصَتَين**: تثنية العَقِيصة، وهي: الشعر المعقوص، وأصل العقْص: اللَّيُّ، وإدخال أطراف الشعر في أصوله. انظر: النهاية (٣/ ٢٤٩).

(٢) قال السندي في شرحه للمسند (٢/ ٤٧٠): **حاضِرِه**: أي: بَلَدِه.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٣٨٠)، وأخرجه أبو داود في سُننه مختصرًا، رقم الحديث (٤٨٧).



وفد بَجِيلة[(١)]



قدم جرير بن عبد الله البَجَلي رضي الله عنه ومعه من قومه مائة وخمسون رجلًا، وكان رسول الله ﷺ ذكره قبل دخوله المسجد؛ فقد روى الإمام أحمد في «مسنده» بسند صحيح عن جرير بن عبد الله البَجَلي رضي الله عنه، قال: لما دنوتُ من المدينة أنختُ راحلتي، ثم حَلَلْتُ عَيبتي[(٢)]، ثم لبستُ حُلَّتي، ثم دخلت، فإذا رسول الله ﷺ يخطب، فرماني الناس بالحَدَقِ[(٣)]، فقلت لجليسي: يا عبد الله، ذكرني رسولُ الله ﷺ؟ قال: نعم، ذكرك آنفًا بأحسَنِ ذِكرٍ! فبينا هو يخطب إذ عَرَض له في خطبته، وقال: «**يدخل عليكم من هذا الباب ـ أو من هذا الفَجِّ ـ من خيرِ ذي يمَنٍ، ألَا إن على وجهه مَسْحَةَ مَلَك**»، قال جرير رضي الله عنه: فحمدتُ الله عز وجل على ما أبلاني[(٤)].

وروى الشيخان في «صحيحيهما» ـ واللفظ للبخاري ـ عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه: بايعتُ رسول الله ﷺ على شهادة أن لا إلٰه إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والسمع والطاعة، والنصح لكل مسلم[(٥)].

وروى الشيخان في «صحيحيهما» عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه، قال: ما

---

(١) قال الحافظ في الفتح (٨/ ٤٠١): **بَجِيلة**، بفتح الموحدة، وكسر الجيم، رهط جرير رضي الله عنه، وبجيلة: امرأة نُسبت إليها القبيلة المشهورة.

(٢) **عَيبتي**، بفتح العين: مُستودَع الثياب. انظر: النهاية (٣/ ٢٩٥).

(٣) **الحَدَق**: جمع حَدَقة، وهي العين، **والتحديق**: شدة النظر. انظر: النهاية (١/ ٣٤١).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٩١٨٠).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٢١٥٧)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٥٦) (٩٧) (٩٨).

حجبني[١] رسول الله ﷺ منذ أسلمت، ولا رآني إلا ضَحِك[٢].

وفي لفظ آخر في «الصحيحين»، قال ﷺ: ولا رآني إلا تبسَّم في وجهي[٣].

* تنبيه مهم:

روى الإمام الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» بسند صحيح عن جرير بن عبد الله ﷺ، قال: أسلمتُ قبل وفاة النبي ﷺ بأربعين يومًا[٤].

قال الإمام الطحاوي: ففي هذا الحديث أن إسلام جرير ﷺ إنما كان قبل وفاة النبي ﷺ بأربعين إما يومًا وإما ليلة، وهذا عندنا حديث منكَر[٥].

وقال الحافظ في «الفتح»: اختُلِف في إسلامه ﷺ، والصحيح أنه في سنة الوفود سنة تسع، ووَهِمَ من قال: إنه أسلم قبل موت النبي ﷺ بأربعين يومًا؛ لما ثبت في «الصحيح»: أن النبي ﷺ قال له في حجة الوداع: «**استَنْصِتِ الناسَ**»[٦]، وذلك قبل موته ﷺ بأكثر من ثمانين يومًا[٧].

وقال في «الإصابة»: جزم الواقدي بأنه وَفَد على النبي ﷺ في شهر

(١) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٦/ ٢٩): معناه: ما منعني الدخول عليه في وقت من الأوقات.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٨٢٢)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٤٧٥) (١٣٤).
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٠٣٥)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٤٧٥) (١٣٥).
(٤) أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٦/ ٢٩٩).
(٥) انظر: شرح مشكل الآثار (٦/ ٣٠٠).
(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٢١)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٦٥).
(٧) انظر: فتح الباري (٧/ ٥٢٢).

رمضان سنة عشر، وفيه عندي نظر؛ لأن شَريكًا حَدَّث عن الشيباني عن الشعبي عن جرير ﵁، قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «**إن أخاكم النجاشي قد مات، فاستغفِروا له**»، أخرجه الطبراني[1]، فهذا يدل على أن إسلام جرير ﵁ كان قبل سنة عشر؛ لأن النجاشي ﵁ مات قبل ذلك[2].

بَعْثُ معاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري ﵄ إلى اليمن[3]

بعث رسول الله ﷺ معاذَ بن جبل وأبا موسى الأشعري ﵄ إلى اليمن، وأمرهما أن يُعلِّما الناس القرآن؛ فقد روى الإمام أحمد في «مسنده» والحاكم في «مستدركه» بسند حسن عن أبي موسى الأشعري ﵁، قال: إن رسول الله ﷺ بعث معاذًا وأبا موسى إلى اليمن، وأمرهما أن يُعلِّما الناس القرآن[4].

وروى الشيخان في «صحيحيهما» عن أبي موسى الأشعري ﵁، قال: إن النبي ﷺ بعثه ومعاذًا إلى اليمن، فقال: «**يَسِّرا ولا تُعسِّرا، وبَشِّرا ولا**

(١) وأخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٩١٨٦)، وحسَّن إسناده الألباني في كتاب أحكام الجنائز، ص (١١٧)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيقه للمسند (٣١/ ٥٢٢): صحيح لغيره.

(٢) انظر: الإصابة (١/ ٥٨٢).

(٣) قال الإمام البخاري في صحيحه: باب بَعْث أبي موسى ومعاذٍ إلى اليمن قبل حجة الوداع.
* وقال الحافظ في الفتح (٤/ ١٢٦): كان بَعْثُ معاذ ﵁ إلى اليمن سنة عشر قبل حج النبي ﷺ كما ذكره المصنِّف؛ أي: البخاري، في أواخر المغازي، وقيل: كان ذلك في أواخر سنة تسع عند مُنصَرَفِه ﷺ من تبوك. رواه الواقدي بإسناده إلى كعب بن مالك ﵁، وأخرجه ابن سعد في طبقاته (٣/ ٢٩٦) عنه.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٩٥٤٤)، والحاكم في مستدركه، رقم الحديث (٢١١١).

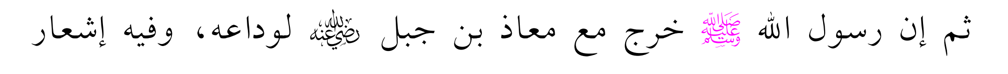
تُنفِّرا، وتطاوَعا ولا تختَلِفا»[١].

قال الإمام النووي: وفي هذا الحديث: الأمرُ بالتبشير بفضل الله وعظيم ثوابه، وجزيل عطائه، وسعة رحمته، والنَّهيُ عن التنفير بذكر التخويف وأنواع الوعيد محضةً من غير ضمِّها إلى التبشير، وفيه تأليفُ مَن قَرُب إسلامه، وتَرْكُ التشديد عليهم، وكذلك مَن قارب البلوغ من الصبيان، ومَن بلغ ومَن تاب من المعاصي؛ كلُّهم يُتلطَّف بهم، ويُدرَّجون في أنواع الطاعة قليلًا قليلًا[٢].

وروى الشيخان في «صحيحيهما» عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن: **«إنك ستأتي قومًا أهل كتاب، فإذا جئْتَهم فادْعُهم إلى أن يشهدوا أن لا إلٰه إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبِرْهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبِرْهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تُؤخذ من أغنيائهم فَتُرَدُّ على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائمَ[٣] أموالهم، واتق دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينه وبين الله حجاب»**[٤].

الوداع الأخير في الدنيا





ثم إن رسول الله ﷺ خرج مع معاذ بن جبل رضي الله عنه لوداعه، وفيه إشعار

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٠٣٨)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٧٣٣).

(٢) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١٢/ ٣٧).

(٣) قال الحافظ في الفتح (٤/ ١٢٩): **الكرائم**: جمع كريمة؛ أي: نفيسة، ففيه ترك أخذ خيار المال، والنكتة فيه: أن الزكاة لمواساة الفقراء، فلا يُناسِب ذلك الإجحاف بمال الأغنياء، إلا إن رَضُوا بذلك.

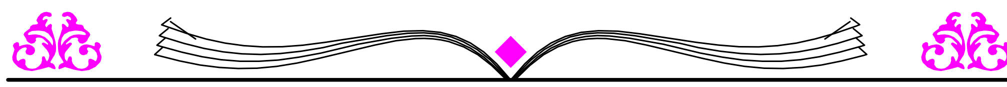
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٤٩٦)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٩) (٢٩).

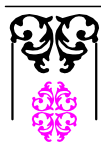
بأنه لن يلتقيَ بالنبي ﷺ في الدنيا؛ فقد روى الإمام أحمد في «مسنده» بسند صحيح عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، قال: لما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن خرج معه رسول الله ﷺ يُوصيه، ومعاذ راكب ورسول الله ﷺ يَمشي تحت راحلته، فلما فرغ، قال: «**يا معاذ، إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا، ولَعلَّك أن تمرَّ بمسجدي هذا وقبري!**»، فبكى معاذ رضي الله عنه جَشَعًا(١) لفراق النبي ﷺ، ثم التفت فأقبل بوجهه نحو المدينة، فقال: «**إنَّ أَولى الناس بي المتقون؛ مَن كانوا وحيث كانوا**»(٢).

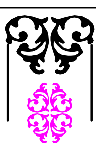
قال الحافظ ابن كثير: وهذا الحديث فيه إشارة وظهور وإيماء إلى أن معاذًا رضي الله عنه لا يجتمع بالنبي ﷺ، وكذلك وقع؛ فإنه أقام باليمن حتى كانت حجة الوداع، ثم كانت وفاته ﷺ بعد أحد وثمانين يومًا من يوم الحج الأكبر(٣).



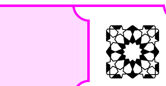
(١) **الجَشَع**: الجزع لفراق الإلف. انظر: النهاية (١/ ٢٦٥).
(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٢٠٥٢).
(٣) انظر: البداية والنهاية (٥/ ١٠٦).







السنة العاشرة للهجرة

 حَجَّة الوداع[(١)]

قال الإمام ابن القيم: لا خلاف أنه ﷺ لم يحجَّ بعد هجرته إلى المدينة سوى حجةٍ واحدة، وهي حَجَّة الوداع، ولا خلاف أنها كانت سنة عشر[(٢)].

(١) سُميت حجة الوداع؛ لأن رسول الله ﷺ وَدَّعَ الناس فيها؛ فقد روى الإمام البخاري في صحيحه، معلَّقًا بصيغة الجزم، ووصله ابن ماجه في سُننه، رقم الحديث (٣٠٥٨) بسند صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: وقف النبي ﷺ يوم النحر بين الجمرات في الحجة التي حج فيها، وقال: «**هذا يوم الحج الأكبر**»، فطفق النبي ﷺ يقول: «**اللَّهُمَّ اشهد**»، وَوَدَّعَ الناس، فقالوا: هذه حجة الوداع.

* وقال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم، رقم الحديث (٢/ ٤٩): سُميت بذلك؛ لأن النبي ﷺ وَدَّعَ الناس فيها، وعلَّمهم في خطبته أمر دينهم، وأوصاهم بتبليغ الشرع فيها إلى مَن غاب عنها، فقال رسول الله ﷺ: «**ليُبلِّغِ الشاهدُ منكم الغائبَ**».

* وتُسمى حجة الإسلام.

قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٥/ ١١٥): وسُميت حجة الإسلام؛ لأنه عليه الصلاة والسلام لم يحجَّ من المدينة غيرها.

* وتُسمى حجة البلاغ.

قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٥/ ١١٥): وسُميت حجة البلاغ؛ لأنه عليه الصلاة والسلام بلَّغ الناس شَرْعَ الله في الحج قولًا وفعلًا، ولم يكن بقي من دعائم الإسلام وقواعده شيء إلا وقد بيَّنه عليه الصلاة والسلام، **فلما بَيَّن لهم شريعة الحج، ووضحه، وشرحه، أنزل الله ﷻ عليه وهو واقف بعرفة**: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [المائدة: ٣].

(٢) انظر: زاد المعاد (٢/ ١٢٢).

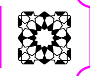
وروى الشيخان في «صحيحيهما» عن زيد بن أرقم ﵁، قال: إن النبي ﷺ غزا تسع عشرة غزوة، وأنه حج بعدما هاجر حجةً واحدة لم يحجَّ بعدها؛ حَجَّةَ الوداع[(١)].

قال الإمام النووي: معناه: بعد الهجرة لم يحجَّ إلا حجةً واحدة، وهي حَجَّة الوداع سنة عشر من الهجرة[(٢)].

وروى الشيخان في «صحيحيهما» عن قتادة، قال: سألتُ أنسًا: كم حج رسول الله ﷺ؟ قال: حجَّةً واحدة[(٣)].

قال الإمام السندي: قوله: كم حج؟ أي: بعد الهجرة[(٤)].

قلتُ: وهي حَجَّة الوداعِ.



إعلام الناس بحج النبي ﷺ

لما عزم رسول الله ﷺ على الحج أعلم الناسَ أنه حاج؛ فتجهزوا للخروج معه، وسمع بذلك مَن حول المدينة، فقدموا يريدون الحج مع رسول الله ﷺ، ووافاه في الطريق خلائقُ لا يُحصَون، فكانوا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله مَدَّ البصر؛ فقد روى الإمام مسلم في «صحيحه» عن جابر بن عبد الله ﵄، قال: إن رسول الله ﷺ مكث تسع

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٤٠٤)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٢٥٤).

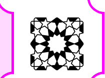
(٢) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (٨/ ١٩٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٧٧٨)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٢٥٣).

(٤) انظر: شرح السندي للمسند (٧/ ٢١٥).

سنين لم يحُجَّ[١]، ثم أَذَّن في الناس في العاشرة، أن رسول الله ﷺ حاجٌّ[٢]، فقدم المدينة بشر كثير، كلهم يلتمس أن يأتمَّ برسول الله ﷺ، ويعمل مثل عمله... قال: فنظرتُ إلى مَدِّ بصري بين يديه[٣]، من راكب وماشٍ، وعن يمينه مثل ذلك، وعن يساره مثل ذلك، ومِن خَلْفِه مثل ذلك[٤].

وفي رواية الإمام النسائي في «السنن الكبرى» بسند صحيح، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: فلم يَبْقَ أحد يقدر على أن يأتي راكبًا أو راجِلًا إلا قَدِم[٥].



خروج النبي ﷺ من المدينة

خرج رسول الله ﷺ من المدينة النَّبَوية متوجهًا إلى مكة - شرفها الله - يوم السبت[٦] لخمسٍ ليال بَقِين من ذي القَعدة، وذلك بعدما صلى الظهر بالمدينة أربعًا؛ فقد روى الشيخان في «صحيحيهما» عن عائشة رضي الله عنها، قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ لخمسٍ بَقِين من ذي القَعدة

---

(١) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٨/ ١٣٩): يعني: مكث بالمدينة بعد الهجرة.

(٢) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٨/ ١٣٩): معناه: أعلمهم بذلك وأشاعه بينهم؛ ليتأهَّبوا للحج معه.

(٣) يعني: رسول الله ﷺ.

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٢١٨).

(٥) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، رقم الحديث (٣٧٢٧).

(٦) هذا ما ذكره ابن سعد في طبقاته (٢/ ٢٣٦) في تحديد يوم خروجه ﷺ من المدينة، وجزم بذلك الإمام ابن القيم في زاد المعاد (٢/ ١٢٤، ١٢٧)، والحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٥/ ١١٨)، والحافظ في الفتح (٦/ ٢١٦) (٨/ ٤٤١).

لا نُرى[١] إلا الحجَّ[٢].

واعتمد ابن إسحاق[٣] قول عائشة ﵂ في تاريخ خروجه ﷺ من المدينة، ولم يتعدَّه.

وروى الإمام البخاري في «صحيحه» عن ابن عباس ﵄، قال: انطلق النبي ﷺ من المدينة بعدما تَرَجَّلَ[٤] وادَّهَنَ ولبس إزاره ورداءه هو وأصحابه، فلم يَنْهَ عن شيء من الأردية والأُزُر تُلبَس إلَّا المُزعْفَرة التي تَرْدَعُ[٥] على الجِلد، فأصبح بذي الحُلَيفة[٦]، ركب راحلته حتى استوى على البيداء؛ أَهَلَّ هو وأصحابه، وقَلَّدَ[٧] بدَنَته[٨]، وذلك لخمسٍ بَقِين من ذي القَعدة[٩].

---

(١) قال الحافظ في الفتح (٤/ ٣٧٣): **لا نُرَى**، بضم النون؛ أي: لا نَظُن.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٧٠٩) (١٧٢٠) (٢٩٥٢)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٢١١) (١٢٥).

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (٤/ ٢٥٧).

(٤) قال الحافظ في الفتح (٤/ ١٧٦): **ترجَّل**: أي: سَرَّحَ شعره.

(٥) قال ابن الأثير في جامع الأصول (٣/ ٤٧٧): **ثوب رَديع**: أي: صَبيغ، وقد ردَعْتُه بالزعفران، والمراد: الذي يُؤثِّر صَبْغُه في الجسد، فيصبغه مِن لَونِه.

(٦) قال الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات (٣/ ٢٠٣): **ذو الحُلَيفة**: ميقاتُ أهل المدينة، زادها الله شرفًا، بضم الحاء المهملة، وفتح اللام، وإسكان الياء.

(٧) **تقليد الهَدْي**: أن يُجعَل في عنقها شعارٌ يُعلَمُ به أنها هَدْيٌ. انظر: لسان العرب (١١/ ٢٧٦).

(٨) **البَدَنة**: تقع على الجمل والناقة والبقرة، وهي بالإبل أشبه، وسُميت بدنة لعِظَمِها وسِمَنِها. انظر: النهاية (١/ ١٠٨).

(٩) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٥٤٥).

قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٥/ ١١٧): قوله ﵁: وذلك لخمس بَقِين من ذي القعدة؛ إن أراد به صبيحة يومه بذي الحُليفة، صح قول ابن حزم في دعواه أنه ﷺ خرج من المدينة يوم الخميس، وبات بذي الحُليفة ليلة الجمعة، وأصبح بها يوم الجمعة، =

خروج نساء النبي ﷺ معه

وخرج رسولُ الله ﷺ بجميع نسائه رضي الله عنهن؛ فقد روى الإمام أحمد في «مسنده» بسند حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: إن رسول الله ﷺ

= وهو اليوم الخامس والعشرين من ذي القعدة، وإن أراد ابن عباس رضي الله عنه بقوله: وذلك لخمس من ذي القعدة، يومَ انطلاقه ﷺ من المدينة بعدما ترجَّل وادَّهَن، ولَبِسَ إزاره ورداءه، كما قالت عائشة وجابر رضي الله عنهما: إنهم خرجوا من المدينة لخمس بقين من ذي القعدة؛ بَعُدَ قولُ ابن حزم، وتعذر المصير إليه، وتعين القول بغيره، ولم ينطبق ذلك إلا على يوم الجمعة إن كان شهر ذي القعدة كاملًا، ولا يجوز أن يكون خروجه ﷺ من المدينة يوم الجمعة؛ لما روى البخاري، رقم الحديث (١٥٤٦)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٦٩٠) (١٠) عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: صلى رسول الله ﷺ ونحن معه الظهر بالمدينة أربعًا، والعصر بذي الحُليفة ركعتين، وفي لفظ آخر في مسند الإمام أحمد، رقم الحديث (١٣٤٨٨): قال أنس رضي الله عنه: صلى بنا رسول الله ﷺ الظهر في مسجده بالمدينة أربع ركعات، ثم صلى بنا العصر بذي الحُليفة ركعتين آمنًا لا يخاف، في حجة الوداع، تفرد به أحمد من هذا الوجه، وهو على شرط الصحيح، وهذا ينفي كون خروجه ﷺ يوم الجمعة قطعًا، ولا يجوز على هذا أن يكون خروجه يوم الخميس، كما قال ابن حزم؛ لأنه كان يوم الرابع والعشرين من ذي القعدة؛ لأنه لا خلاف أن أول ذي الحجة كان يوم الخميس؛ لما ثبت بالتواتر والإجماع من أنه ﷺ وقف بعرفة يوم الجمعة، وهو تاسع ذي الحجة بلا نزاع، فلو كان خروجه يوم الخميس الرابع والعشرين من ذي القعدة، لبقي في الشهر ست ليال قطعًا: ليلة الجمعة، والسبت، والأحد، والاثنين، والثلاثاء، والأربعاء؛ فهذه ست ليال، وقد قال ابن عباس، وعائشة، وجابر: إنه خرج لخمس بقين من ذي القعدة، وتعذر أنه يوم الجمعة؛ لحديث أنس، فتعين على هذا أنه عليه السلام خرج من المدينة يوم السبت، وظن الراوي أن الشهر يكون تامًّا، فاتفق في تلك السنة نقصانه، فانسلخ يوم الأربعاء، واستهلَّ شهر ذي الحجة ليلة الخميس، ويؤيده ما وقع في رواية جابر: لخَمسٍ بقين أو أربعٍ، وهذا التقرير على هذا التقدير لا محيد عنه، ولا بد منه، والله أعلم.

قال لنسائه عام حجة الوداع: «**هذه**[(١)]، **ثُمَّ ظُهُورُ الحُصُرَ**»[(٢)]، قال: فكُنَّ كُلُّهن يَحْجُجْنَ إلَّا زينبَ بنت جحش، وسودة بنت زَمعة، وكانتا تقولان: وَاللهِ لا تُحركُنا دابةٌ بعد أن سمعنا ذلك من النبي ﷺ[(٣)].

طريق النبي ﷺ إلى ميقات ذي الحُليفة وإحرامه

سار رسول الله ﷺ إلى ميقاتِ ذي الحُليفة سالكًا طريق الشجرة حتى بلغها قبل أن يُصلي العصر، فصلاها ركعتين، ثم بات هناك حتى أصبح، وصلى بها المغرب، والعشاء، والصبح، والظهر، فصلى بذي الحُليفة خمس صلوات.

روى الشيخان في «صحيحيهما» عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: إن رسول الله ﷺ كان يخرج من طريق الشجرة[(٤)]، ويدخل من طريق الـمُعَرَّسِ[(٥)].

---

(١) قال السندي في شرحه للمسند (١٣/ ٤٥): أي: حَجَّتُكنَّ هذه.

(٢) قال ابن الأثير في النهاية (١/ ٣٨٠): أي: أنَّكُنَّ لا تَعُدْنَ تَخرُجن من بيوتكن، وتلزَمْنَ الحُصُر، وهي جمع حصير: الذي يُبسَط في البيوت.
وقال السندي في شرحه للمسند (١٣/ ٤٥، ٤٦): لعل المراد به: تطييبُ أنفسهن بترك الحج بَعْدُ وإن لم يتيسَّرْ، أو جواز الترك لهن، لا النهي عن الحج؛ فقد ثبت حجُّهن بعده ﷺ.
قلت: وأَذِنَ لهنَّ في الحج عُمَرُ بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته في آخِرِ حَجَّةٍ حَجَّها، كما في صحيح البخاري، رقم الحديث (١٨٦٠).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٦٧٥١)، وأورده الحافظ في الفتح (٤/ ٥٥٤) وصحح إسناده.

(٤) قال الحافظ في الفتح (٤/ ١٦٩): أي: إلى ذي الحُليفة، فيبيتُ بها، وإذا رجع بات بها أيضًا، ودخل على طريق المُعرَّس، بفتح الراء المثقلة، وبالمهملتين، وهو مكان معروف أيضًا، وكل من الشجرة والمُعَرَّس على ستة أميال من المدينة، لكن المُعَرَّس أقرب.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٥٣٣)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٢٥٧).

وروى الشيخان في «صحيحيهما» عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: صلى رسول الله ﷺ ونحن معه بالمدينة الظهر أربعًا، والعصر بذي الحُليفة ركعتين، ثم بات بها حتى أصبح[(١)].

وروى الإمام مسلم في «صحيحه» عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: صلى رسول الله ﷺ الظهر بذي الحُليفة[(٢)].

وطاف[(٣)] رسول الله ﷺ في تلك الليلة على نسائه التسع رضي الله عنهن؛ فقد روى الشيخان في «صحيحيهما» عن عائشة رضي الله عنها، قالت: طيبتُ رسول الله ﷺ، ثم طاف في نسائه، ثم أصبح محرِمًا[(٤)].

وأتى رسولَ الله ﷺ في تلك الليلة آتٍ[(٥)] من ربه سبحانه في ذلك الموضع ـ وهو وادي العقيق ـ يأمره عن ربه سبحانه أن يقول في حجته هذه: عمرةٌ في حَجَّةٍ[(٦)]؛ فقد روى الإمام البخاري في «صحيحه» عن عمر رضي الله عنه، قال: سمعت النبي ﷺ بوادي العقيق، يقول: «**أتاني الليلة آتٍ من ربي، فقال: صَلِّ في هذا الوادي المبارَك، وقل: عُمرةٌ في حَجَّةٍ**»[(٧)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٥٥١)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٦٩٠).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٢٤٣).

(٣) قال الحافظ في الفتح (١/٥٠٢): طاف: كناية عن الجماع.

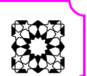
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٢٧٠)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١١٩٢) (٤٩).

(٥) قال الحافظ في الفتح (٤/١٧١): هو جبريل عليه السلام.

(٦) قال الحافظ ابن كثير في الفصول في سيرة الرسول، ص (٢٥٥): ومعنى هذا: أن الله أمره أن يقرن الحج مع العمرة.

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٥٣٤).

قال الحافظ ابن كثير: الظاهر أنَّ أمْرَه ﷺ بالصلاة في وادي العقيق، هو أمر بالإقامة به إلى أن يُصلي صلاة الظهر؛ لأن الأمر إنما جاءه في الليل، وأخبرهم بعد صلاة الصبح، فلم يبق إلا صلاة الظهر، فأُمِرَ أن يُصلِّيَها هنالك، وأن يُوقِعَ الإحرام بعدها[١].



اغتسال النبي ﷺ لإحرامه

فلما أراد رسول الله ﷺ الإحرام، اغتسل غسلًا ثانيًا لإحرامه غيرَ غُسل الجماع الأول، ثم طيَّبَتْه عائشة رضي الله عنها بيدها بذَرِيرةٍ[٢] وبطيبٍ فيه مِسْك، في بدنه ورأسه ﷺ، حتى كان وَبِيصُ[٣] الطِّيبِ يُرى في مَفرِقِ رأسه ﷺ؛ فقد روى الإمام الترمذي في «جامعه» بسند حسن عن زيد بن ثابت رضي الله عنه، قال: إنه رأى النبي ﷺ تَجرَّدَ لإهلاله واغتسل[٤].

قال الإمام الترمذي في «جامعه»: وقد استحب بعض أهل العلم الاغتسال عند الإحرام، وهو قول الشافعي[٥].

وروى الشيخان في «صحيحيهما» عن عائشة رضي الله عنها، قالت: طيبتُ رسول الله ﷺ بيدي بذَرِيرة في حجة الوداع للحِلِّ والإحرامِ[٦].

وروى الشيخان في «صحيحيهما» عن عائشة رضي الله عنها، قالت: كأني أنظر

(١) انظر: البداية والنهاية (٥/ ١٢٠، ١٢١).
(٢) **الذَّريرة**: نوع من الطيب مجموع في أخلاط. انظر: النهاية (٢/ ١٤٦).
(٣) **الوَبِيص**: البريق. انظر: النهاية (٥/ ١٢٨).
(٤) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه، رقم الحديث (٨٤٥).
(٥) انظر: جامع الإمام الترمذي (٢/ ٣٥٦).
(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٥٩٣٠)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١١٨٩) (٣٥).

إلى وَبِيص الطِّيبِ في مَفرِق[١] رسول الله ﷺ وهو مُحرِمٌ[٢].

ثم لَبَّدَ[٣] رسول الله ﷺ شَعْرَ رأسه حتى لا يَشْعَثَ[٤]، ثم تجرد في إزاره وردائه، ثم دعا بهَدْيِه، ثلاث وستون بَدَنَة، فأشعره وقَلَّده، وجعل عليه ناجية بن جندب الأسلمي رضي الله عنه، ثم صلى الظهر في مسجد ذي الحُليفة، وذلك قبل إحرامه.

وروى الشيخان في «صحيحيهما» عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله ﷺ يُهِلُّ مُلَبِّدًا[٥].

وروى الإمام مسلم في «صحيحه» عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: كان رسول الله ﷺ يركع بذي الحُليفة ركعتين[٦]، ثم إذا استوت به الناقة قائمةً عند مسجد الحُليفة؛ أهلَّ بهؤلاء الكلمات[٧].

---

(١) في رواية أخرى: مفارق.
قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٨/ ٨٢): **المَفْرِق**: بفتح الميم، وكسر الراء.
وقال الحافظ في الفتح (٤/ ١٧٨): **مفارق**: جمع مَفْرِق: وهو المكان الذي يفترق فيه الشعر في وسط الرأس.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٢٧١) (١٥٣٨)، ومسلم في صحيحه رقم الحديث (١١٩٠) (٣٩).

(٣) **تَلبيد الشعر**: أن يُجعَل فيه شيء من صَمْغ عند الإحرام؛ لئلا يَشعَثَ ويَقْمَلَ، إبقاءً على الشعر، وإنما يُلَبَّد مَن يطول مكثُه في الإحرام. انظر: النهاية (٤/ ١٩٤).

(٤) **لا يَشعَث**: أي: لا يتفرَّق. انظر: النهاية (٢/ ٤٢٨).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٥٤٠)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١١٨٤) (٢١).

(٦) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٨/ ٧٥): فيه استحباب صلاة الركعتين عند إرادة الإحرام، ويُصليهما قبل الإحرام، ويكونان نافلة، هذا مذهبنا ومذهب العلماء كافة، إلا ما حكاه القاضي وغيره عن الحسن البصري أنه استحب كونهما بعد صلاة فرض، قال: لأنه رُوي أن هاتين الركعتين كانتا صلاة الصبح، والصواب ما قاله الجمهور، وهو ظاهر الحديث.

(٧) يعني: التلبية.

=

وروى الشيخان في «صحيحيهما» ـ واللفظ لمسلم ـ عن ابن عباس ﵄، قال: صلى رسول الله ﷺ الظهر بذي الحُليفة، ثم دعا بناقته فأشعرها في صفحة سَنامها الأيمن، وسَلَتَ الدم، وقَلَّدها نعلين، ثم ركب راحلته[١]، فلما استوت به على البيداء، أهلَّ بالحجِّ[٢].

قال الحافظ ابن كثير: وهذا يدل على أنه ﷺ تعاطى هذا الإشعار والتقليد بيده الكريمة في هذه البَدَنة، وتولى إشعارَ بقية الهَدْيِ وتقليدَه غيرُه؛ فإنه قد كان هَدْيٌ كثير إما مائة بدنة أو أقل منها بقليل[٣].

ثم أهلَّ رسول الله ﷺ بالحج والعمرة في مصلاه، وقرن بينهما، ثم خرج فركب ناقته القصواء، فَأَهَلَّ أيضًا، ثم أَهَلَّ لما استقلَّت[٤] به على البيداء[٥].

روى الإمام البخاري في «صحيحه» عن عمر بن الخطاب ﵁، قال: سمعتُ النبي ﷺ بوادي العَقيق، يقول: «**أتاني الليلةَ آتٍ من ربي، فقال: صَلِّ في هذا الوادي المبارك، وقل: عُمرةٌ في حجة**»[٦].

وروى الإمام مسلم في «صحيحه» عن أنس ﵁، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ أَهَلَّ بهما جميعًا: «**لبيك عمرةً وحجًّا، لبيك عمرةً وحجًّا**»[٧].

= والحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١١٨٤) (٢١).

(١) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٨/ ١٨٦): هي راحلة غير التي أشعرها.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٥٤٥)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٢٤٣).

(٣) انظر: البداية والنهاية (٥/ ١٢٣).

(٤) **استقلَّت**: قامت. انظر: النهاية (٤/ ٩١).

(٥) قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٥/ ١٢٦): **البيداء**: يعني الأرض، وذلك قبل أن يصِلَ إلى المكان المعروف بالبيداء.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٥٣٤).

(٧) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٢٥١).

قال الحافظ ابن كثير: هذا الذي رواه بلفظه ومعناه[١] عنه ﷺ ستة عشر صحابيًّا؛ منهم: خادمه أنس بن مالك رضي الله عنه، وقد رواه عنه رضي الله عنه ستة عشر تابعيًّا، وهو صريح لا يحتمل التأويل، إلا أن يكون بعيدًا، وما عدا ذلك مما جاء من الأحاديث الموهِمةِ التمَتُّعَ، أو ما يدل على الإفراد: فلها محلٌّ غيرُ هذا تُذكَرُ فيه[٢].

ورجَّح الإمام ابن القيم كونه ﷺ حجَّ قارنًا، فقال: وإنما قلنا: إنه ﷺ أحرم قارنًا؛ لاثنين وعشرين حديثًا صريحة صحيحة في ذلك[٣].

وروى ابن ماجه في «سُننه» بسند صحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: إني عند ثَفِنَات[٤] ناقة رسول الله ﷺ عند الشجرة، فلما استوت به قائمةً، قال: «**لبيك بعُمرةٍ وحجة معًا**»، وذلك في حَجَّة الوداع[٥].

وروى الشيخان في «صحيحيهما» عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: أَهَلَّ النبي ﷺ حين استوت به راحلتُه قائمةً[٦].

وروى أبو داود والحاكم بسند حسن إن شاء الله، عن ابن عباس رضي الله عنهما،

(١) في كونه ﷺ حجَّ قارنًا.

(٢) انظر: الفصول في سيرة الرسول، ص (٢٥٥).

(٣) انظر: زاد المعاد (٢/ ١٣٠).

قلت: ممن رَجَّح كون النبي ﷺ كان قارنًا في حجة الوداع: الإمام القرطبي في تفسيره (٣/ ٢٩٨)، والنووي في شرحه لصحيح مسلم (٨/ ١٧٣)، والحافظ ابن حجر في الفتح (٤/ ٢١٥)، ونصره الحافظ ابن كثير في الفصول في سيرة الرسول، ص (٢٥٦).

(٤) **ثَفِنَات**، جمع ثَفِنَة، بكسر الفاء: ما وَلِيَ الأرضَ من كل ذات أربع إذا بركَتْ؛ كالركبتين وغيرهما. انظر: النهاية (١/ ٢١٠).

(٥) أخرجه ابن ماجه في سُننه، رقم الحديث (٢٩١٧).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٥٥٢)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١١٨٧) (٢٨).

قال: وأيمُ الله، لقد أوجب في مصَلَّاه، وأَهَلَّ حين استقلَّت به ناقته، وأَهَلَّ حين عَلَا على شَرَف البيداء[(١)].

ولم يتكلَّف رسولُ الله ﷺ في إحرامه ودابته؛ بل كان متواضعًا في ذلك؛ فقد روى الإمام البخاري في «صحيحه» عن ثُمامةَ بن عبد الله، قال: حجَّ أنس بن مالك رضي الله عنه على رَحْلٍ، ولم يكن شحيحًا[(٢)]، وحَدَّث أن رسول الله ﷺ حَجَّ على رَحْلٍ وكانت زامِلَتَه[(٣)].



تلبية النبي ﷺ وأصحابه

ثم لبَّى رسولُ الله ﷺ؛ فقد روى الشيخان في «صحيحيهما» عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يُهِلُّ مُلَبِّدًا، يقول: «**لبيك اللَّهُمَّ لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والـمُلْك، لا شريك لك**»، لا يزيد عن هؤلاء الكلمات[(٤)].

وروى الإمام أحمد في «مسنده» وابن ماجه في «سُننه» بسند صحيح، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: إن رسول الله ﷺ قال في تلبيته: «**لبيك إلَهَ الحقِّ لبيك**»[(٥)].

---

(١) أخرجه أبو داود في سُننه، رقم الحديث (١٧٧٠)، والحاكم في مستدركه، رقم الحديث (١٦٧٥).

(٢) قال الحافظ في الفتح (٤/ ١٥٦): إشارة إلى أنه فعل ذلك تواضعًا واتباعًا، لا عن قلة وبخل.

(٣) قال الحافظ في الفتح (٤/ ١٥٦): **الزاملة**: البعير الذي يُحمَل عليه الطعام والمتاع، من الزَّمل: وهو الحَمْل، والمراد: أنه لم تكن معه زاملة تحمل طعامه ومتاعه؛ بل كان ذلك محمولًا معه على راحلته، وكانت هي الراحلة والزاملة.
والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٥١٧).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٥٩١٥)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١١٨٤) (٢١).

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٨٤٩٧)، وابن ماجه في سُننه، رقم الحديث (٢٩٢٠).

والناس مع رسول الله ﷺ يزيدون في التلبية ويَنقُصون، وهو ﷺ يُقِرُّهم على ذلك؛ فقد روى الإمام أحمد في «مسنده» بسند صحيح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: خرج رسول الله ﷺ حتى إذا استوت به ناقته على البيداء، أهلَّ بالتوحيد: «**لبيك اللَّهُمَّ لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك**»، ولَبَّى الناس، والناس يزيدون: ذا المعارج، ونحوَه من الكلام، والنبي ﷺ يَسمع، فلم يَقُلْ لهم شيئًا[(١)].

وأتى جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ، وأمره أن يأمر أصحابه رضي الله عنهم برفع أصواتهم بالتلبية؛ فقد روى الإمام أحمد في «مسنده» والترمذي بسند صحيح عن خَلَّاد بن السائب عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أتاني جبريل، فأمرني أن آمُرَ أصحابي أن يرفعوا أصواتَهم بالإهلال والتلبية**»[(٢)].

وروى الإمام الترمذي في «جامعه» وابن ماجه في «سُننه» بسند حسن في الشواهد عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، قال: إن النبي ﷺ سُئِلَ: أي الأعمال[(٣)] أفضل؟

فقال رسول الله ﷺ: «**العَجُّ**[(٤)] **والثَّجُّ**»[(٥)].

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٤٤٤٠).

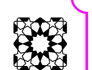
(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٦٥٥٧)، والترمذي في جامعه، رقم الحديث (٨٤٤).

(٣) في رواية الإمام الترمذي: الحج.

(٤) **العَجُّ**، بفتح العين: رفع الصوت بالتلبية. انظر: النهاية (٣/ ١٦٧).

(٥) **الثَّج**، بفتح الثاء: سَيَلان دماء الهَدي والأضاحي. انظر: النهاية (١/ ٢٠٢).

والحديث أخرجه الترمذي في جامعه، رقم الحديث (٨٤١)، وابن ماجه في سُننه، رقم الحديث (٢٩٢٤).



أمْرُ النبي ﷺ أصحابه بفسخ الحج إلى العمرة

فلما وصل رسول الله ﷺ إلى سَرِفَ(١) نزل بها، وخَيَّرَ أصحابه رضي الله عنهم عند الإحرام بين الأنساك الثلاثة، ثم ندبهم عند دنوِّهم من مكة إلى فسخ الحج، إلى العمرة لمن لم يكن معه هَدي(٢)؛ فقد روى الشيخان في «صحيحيهما» عن عائشة رضي الله عنها، قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ في أشهر الحج(٣)، وليالي الحج، وحُرُم(٤) الحجِّ، فنزلنا سَرِفَ، فخرج(٥) إلى أصحابه، فقال: «**مَن لم يكن منكم معه هَدْيٌ فأحَبَّ أن يجعلها عمرة، فليفعل، ومَن كان معه هَدْيٌ فلا**»، قالت: فالآخذ بها والتارك لها من أصحابه، فأما رسول الله ﷺ ورجال من أصحابه فكانوا أهل قُوة، وكان معهم الهَدْي، فلم يَقدِروا على العمرة(٦).

ثم نهض رسول الله ﷺ إلى أن نزل بذي طُوًى(٧)، فبات بها ليلة

---

(١) **سَرِف**، بفتح السين، وكسر الراء: موضِعٌ على عشرة أميال من مكة. انظر: النهاية (٢/ ٣٢٦).

(٢) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٨/ ١١٢): يُقال: **هَدْي**، بإسكان الدال وتخفيف الياء، وهَدِيٌّ، بكسر الدال وتشديد الياء: لغتان مشهورتان، والأُولى أفصح وأشهر، وهو اسمٌ لِما يُهدى إلى الحرم من الأنعام، وسَوْق الهَدْي سُنَّة لمن أراد أن يُحرِم بحج أو عمرة.

(٣) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٨/ ١٢١): اختلف العلماء في المراد بأشهر الحج في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ [البقرة: ١٩٧]، فقال الشافعي وجماهير العلماء من الصحابة والتابعين، فمَن بَعْدَهم: هي شوال، وذو القَعدة، وعشرُ ليال من ذي الحجة تمتد إلى الفجر ليلة النحر.

(٤) قال الحافظ في الفتح (٤/ ٢٠٧): **حُرُم الحج**، بضم الحاء المهملة والراء، أي: أزمِنَتُه وأمكِنَتُه وحالاتُه، ورُوي بفتح الراء، وهو جمعُ حُرْمة؛ أي: ممنوعات الحج.

(٥) يعني: رسول الله ﷺ.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٥٦٠)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٢١١) (١٢٣).

(٧) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٩/ ٦): **طُوًى**: موضع معروف بقرب مكة، =

الأحد لأربع ليال مضين من ذي الحجة، وصلى بها الصبح، ثم اغتسل من يومه ونهض إلى مكة، فدخلها نهارًا من أعلاها من الثنية العليا التي تُشرِف على الحَجُون[١]، ثم سار حتى دخل المسجد الحرام، وذلك ضُحًى.

روى الشيخان في «صحيحيهما» عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: بات النبي ﷺ بذي طُوًى حتى أصبح، ثم دخل مكة[٢].

وروى الشيخان في «صحيحيهما» ـ واللفظ لمسلم ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: صلى رسول الله ﷺ الصبح بذي طُوًى، وقدم لأربع مضين من ذي الحجة[٣].

وروى الشيخان في «صحيحيهما» والإمام أحمد ـ واللفظ لأحمد ـ عن نافع، قال: كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا دخل أدنى الحرم، أمسك عن التلبية، فإذا انتهى إلى ذي طُوًى بات به حتى يُصبح، ثم يُصلِّي الغداة[٤]، ويغتسل، ويُحدِّثُ أن رسول الله ﷺ كان يفعله، ثم يدخل مكة ضحًى[٥].

= يُقال: بفتح الطاء وضمها وكسرها، والفتح أفصح وأشهر.

(١) قال الحافظ في الفتح (٤/ ١٨٩): **الحَجُون**، بفتح المهملة، بعدها جيم مضمومة: هو الجبل المطلُّ على المسجد بأعلى مكة.

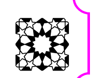
(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٥٧٤)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٢٥٩) (٢٢٦).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٥٦٤)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٢٤٠) (٢٠٢).

(٤) هي: صلاة الفجر.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٥٧٣)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٢٥٩) (٢٢٨)، والإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٤٦٢٨).

دخولُ النبي ﷺ المسجد الحرام وطوافُه وسَعْيُه



قال جابر[١] رضي الله عنه: حتى إذا أتينا البيت[٢] معه[٣]، استلم[٤] الركن[٥] فَرَمَلَ[٦] ثلاثًا ومشى أربعًا[٧]، ثم نفذ[٨] إلى مقام إبراهيم عليه السلام، فقرأ:

---

(١) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٨/ ١١٠): فأما جابر رضي الله عنه فهو أحسن الصحابة سياقةً لرواية حديث حجة الوداع؛ فإنه ذكرها من حين خروج النبي ﷺ من المدينة إلى آخرها، فهو أضبط لها من غيره.

(٢) في رواية الإمام أحمد في مسنده: الكعبة.

(٣) يعني: مع رسول الله ﷺ.

(٤) قال الجوهري فيما نقله عنه الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات (٣/ ٢٦٧): **استلم الحجر**: لمسه إما بالقُبلة أو باليد.

(٥) **المراد بالركن هنا**: الحجر الأسود؛ ففي رواية الإمام أحمد، قال جابر رضي الله عنه: حتى أتينا الكعبة، فاستلم نبي الله ﷺ الحجر الأسود، ثم رَمَلَ ثلاثة ومشى أربعة.

* وقال الإمام ابن القيم في زاد المعاد (٢/ ٢٧٥): ثبت عنه ﷺ أنه قَبَّلَ الحجر الأسود، وثبت عنه أنه استلمه بيده فوضع يده عليه ثم قَبَّلها، وثبت عنه أنه استلمه بمِحْجَن.

المِحْجَن: عصا مُعَقَّفة الرأس. انظر: النهاية (١/ ٣٣٥).

(٦) قال الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات (٣/ ٢٢٦): **الرَّمَلُ في الطواف**: هو بفتح الراء والميم، وهو إسراع المشي مع تقارب الخُطا دون الوثوب والعَدْو.

* وقال الإمام الترمذي في جامعه (٢/ ٣٧٦): والعمل على هذا عند أهل العلم، قال الشافعي: إذا ترك الرَّمَلَ عمدًا، فقد أساء، ولا شيء عليه، وإذا لم يَرْمُلْ في الأشواط الثلاثة، لم يَرْمُلْ فيما بقي.

(٧) قال الإمام ابن القيم في زاد الميعاد (٢/ ٢٧٤): ولم يَدْعُ عند الباب بدعاء، ولا تحت الميزاب، ولا عند ظهر الكعبة وأركانها، ولا وَقَّتَ للطواف ذِكرًا مُعَينًا، لا بفعله ولا بتعليمه؛ بل حُفِظَ عنه بين الركنين: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة: ٢٠١].

(٨) في رواية الإمام أحمد في مسنده: عَمَدَ.

عَمَدَ إلى الشيء: قصده. انظر: المعجم الوسيط (٢/ ٦٢٦).

=

﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ﴾ [البقرة: ١٢٥]، فجعل المقام بينه وبين البيت ـ قال جعفر[(١)]: فكان أبي يقول: ولا أعلمه ذكره إلا عن النبي ﷺ ـ كان يقرأ في الركعتين: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] و﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: ١]، ثم رجع إلى الركنِ، فاستلمه[(٢)]، ثم خرج من الباب إلى الصفا، فلما دنا من الصفا قرأ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ﴾ [البقرة: ١٥٨]، ثم قال: «**أبدأ بما بدأ الله به**»، فبدأ بالصفا[(٣)]، فرَقِيَ[(٤)] عليه، حتى رأى البيت فاستقبل القبلة، فَوَحَّدَ الله وكبره، وقال: «**لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا إلٰه إلا الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده**»، ثم دعا بين ذلك، قال مثل هذا ثلاث مرات، ثم نزل إلى المروة، حتى إذا انصبَّت قدماه في بطن الوادي سعى، حتى إذا صَعِدَتا مشى، حتى أتى المروة، ففعل على المروة كما فعل على الصفا[(٥)].

وروى الشيخان في «صحيحيهما» عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: طاف رسول الله ﷺ حين قدم مكة، فاستلم الركن أول شيء، ثم خَبَّ[(٦)] ثلاثة

= زاد الإمام الترمذي في جامعه: فصلى ركعتين.

(١) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٨/ ١٤٣): هو جعفر بن محمد، روى هذا الحديث عن أبيه عن جابر رضي الله عنه.

(٢) في رواية الإمام الترمذي في جامعه: ثم أتى الحَجَرَ بعد الركعتين، فاستلمه.

(٣) قال الإمام الترمذي في جامعه (٢/ ٣٧٩): والعمل على هذا عند أهل العلم؛ أنه يبدأ بالصفا قبل المروة، فإن بدأ بالمروة قبل الصفا لم يَجْزِه، وبدأ بالصفا.

(٤) رَقِيَ: صعد. انظر: النهاية (٢/ ٢٣٢).

(٥) أخرج ذلك إلى هذا القدر: الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٢١٨) (١٤٧)، والإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٤٤٤٠)، والترمذي في جامعه، رقم الحديث (٨٧٢).

(٦) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٩/ ٧): **الخَبُّ هو الرَّمَل**، بفتح الراء والميم، فالرَّمَل والخَبُّ بمعنى واحد، وهو إسراع المشي مع تقارب الخُطا ولا يَثِبُ وثبًا. =

أطواف من السبع، ومشى أربعة أطواف[(١)]، ثم ركع حين قضى طوافه بالبيت عند المقام ركعتين، ثم سَلَّمَ فانصرف، فأتى الصفا فطاف بالصفا والمروة سبعة أطواف[(٢)].

وروى الشيخان في «صحيحيهما» عن ابن عمر ﵄، قال: لم أرَ النبي ﷺ يستلم[(٣)] من البيت إلا الرُّكنين اليمانِيَيْنِ[(٤)].

وروى الإمام أحمد في «مسنده» وأبو داود في «سُننه» ـ واللفظ لأحمد ـ بسند حسن، عن عبد الله بن السائب ﵁، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول بين الركن اليماني والأسود: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝٢٠١﴾ [البقرة: ٢٠١][(٥)].

= وقال الحافظ في الفتح (٤/٣١١): **الخَبُّ**: بفتح المعجمة وتشديد الموحدة.

(١) قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٥/١٦٧): حجة الوداع كان فيها ثلاثة أطواف:
الأول: طواف القدوم.
والثاني: طواف الإفاضة، وهو طواف الفرض، وكان يوم النحر.
والثالث: طواف الوداع، فلعل ركوبه ﷺ كان في أحد الآخرين أو في كليهما، فأما الأول وهو طواف القدوم، فكان ماشيًا فيه، وقد نص الشافعي على هذا كله.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٦٩١)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٢٢٧).

(٣) في رواية الإمام مسلم: يَمسح.

(٤) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٩/١٣): **الركنان اليمانيَان**: هما الركن الأسود، والركن اليماني، وإنما قيل لهما اليمانيان للتغليب، كما قيل في الأب والأم: الأبوان، وفي الشمس والقمر: القمران، وفي أبي بكر وعمر ﵄: العُمَران، وفي الماء والتمر: الأسودان، ونظائره مشهورة.
الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٦٠٩)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٢٦٧) (٢٤٢).

(٥) والحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٥٣٩٩)، وأبو داود في سُننه، رقم الحديث (١٨٩٢).

أمْرُ النبي ﷺ أصحابه بالتحلل

فلما أكمل رسول الله ﷺ سعيه عند المروة أمر كُلَّ مَن لا هَدِيَ معه أن يَحِلَّ حتمًا ولا بُدَّ، قارنًا كان أو مُفرِدًا، وأمرهم أن يَحِلُّوا الحِلَّ كُلَّهُ؛ مِن وطءِ النساء، والطِّيبِ، والمخيط، وأن يبقوا كذلك إلى يوم التروية، ولم يَحِلَّ هو من أجل هَدْيِه؛ فقد روى الإمام مسلم في «صحيحه» والإمام أحمد في «مسنده» عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: حتى إذا كان آخر طوافه[١] على المروة[٢]، قال رسول الله ﷺ: «**لو أني استقبلتُ من أمري ما استدبرتُ لم أَسُقِ الهَدْيَ، وجعَلْتُها عُمرةً، فمن كان منكم ليس معه هَدي فلْيَحِلَّ، وليجعَلْها عُمرة**»[٣].

وفي رواية أخرى في «الصحيحين» عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: أمرهم النبي ﷺ أن يجعلوها عمرة، قالوا: يا رسول الله؛ أيُّ الحِلِّ؟ قال رسول الله ﷺ: «**الحِلُّ كُلُّه**»[٤].

قال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: فواقَعْنا النساء، وتطيَّبْنا بالطِّيب، ولَبِسْنا ثيابنا، وليس بيننا وبين عرفة إلا أربع ليال[٥]، فقام سُراقة بن مالك بن جُعْشُم[٦] رضي الله عنه، وهو في أسفل المروة، فقال: يا رسول الله، ألعامنا هذا أم

(١) يعني: رسول الله ﷺ.

(٢) في رواية الإمام أحمد: فلما كان السابع عند المروة.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٢١٨) (١٤٧)، والإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٤٤٤٠).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٥٦٤) (٣٨٣٢)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٢٤٠) (١٩٨).

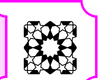
(٥) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٢١٣) (١٣٧).

(٦) قال الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات (١/٥٠٣): **جُعْشُم**: بضم الجيم والشين المعجمة، هذا قول الجمهور من الطوائف، وحكى الجوهري: ضم الشين وفتحها، =

للأبد؟ فشَبَّك رسول الله ﷺ أصابعه واحدة في الأخرى، وقال: «**دخلت العمرةُ في الحج**» ـ مرَّتين ـ «**لا، بل لأبد الأبد**»[(١)].

وفي لفظ آخر في «صحيح مسلم» عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال رسول الله ﷺ: «**فإن العمرة قد دخلت في الحج إلى يوم القيامة**»[(٢)].

وحَلَّ نساء النبي ﷺ، إلا عائشة رضي الله عنها، فإنها لم تَحِلَّ من أجل تَعذُّر الحِلِّ عليها بحيضتها؛ فقد روى الشيخان في «صحيحيهما» عن عائشة رضي الله عنها، قالت: فَحلَّ مَن لم يكن ساق الهَدي ونساؤه لم يَسُقْنَ فأحلَلْنَ، قالت: فَحِضْتُ، فلم أَطُفْ بالبيت[(٣)].



سبب تَرَدُّد الصحابة في التحلل

روى الشيخان في «صحيحيهما» عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كانوا يَرَون[(٤)] أن العمرة في أشهر الحج من أفجَرِ الفجور في الأرض![(٥)].

قال الإمام الترمذي في «جامعه»: ومعنى هذا الحديث: أن أهل الجاهلية كانوا لا يعتمرون في أشهر الحج، فلما جاء الإسلام رَخَّصَ

= وسُراقة: من مشهوري الصحابة، أسلم عند النبي ﷺ بالجِعْرَانة حين انصرف من حُنَين والطائف.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٢٥٠٥) (٢٥٠٦)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٢١٨) (١٤٧)، والإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٤٤٤٠).

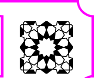
(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٢٤١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٥٦١)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٢١١) (١٢٨).

(٤) قال الحافظ في الفتح (٤/٢١٣): **يَرون**، بفتح أوله، أي: يعتقدون، والمراد أهل الجاهلية.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٥٦٤)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٢٤٠) (١٩٨).

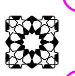
النبي ﷺ في ذلك، فقال: «**دخلت العمرةُ في الحج إلى يوم القيامة**»؛ يعني: لا بأس بالعمرة في أشهر الحج، وأشهر الحج: شوال، وذو القعدة، وعشر من ذي الحجة، لا ينبغي للرجل أن يُهِلَّ بالحج إلا في أشهر الحج[١].



إقامة النبي ﷺ بمكة

ثم سار رسول الله ﷺ بعد فراغه من طوافه بين الصفا والمروة ـ وأَمْرِه بفسخ العمرة عن الحج لمن لم يَسُقِ الهَدي ـ والناس معه حتى نزل بالأبطح شرقيَّ مكة، فأقام هناك بقية يوم الأحد، والاثنين، والثلاثاء، والأربعاء، حتى صلى الصبح من يوم الخميس، كل ذلك يُصلي بأصحابه هنالك، ولم يَعُدْ إلى الكعبة من تلك الأيام كلها؛ فقد روى الإمام البخاري في «صحيحه» عن ابن عباس ﵄، قال: قدم النبي ﷺ مكة، فطاف وسعى بين الصفا والمروة، ولم يَقرَبِ الكعبة بعد طوافه بها حتى رجع من عرفة[٢].

قال الحافظ في «الفتح»: فلعل رسول الله ﷺ ترك الطواف تطوعًا خشية أن يظن أحد أنه واجب، وكان يُحب التخفيف على أمته، واجتزأ عن ذلك بما أخبرهم به من فضل الطواف بالبيت، ونُقِلَ عن مالك أن الطواف بالبيت أفضل من صلاة النافلة لمن كان من أهل البلاد البعيدة، وهو المعتَمَد[٣].



خروج النبي ﷺ وأصحابه إلى منًى

فلما كان ضحى يوم الخميس الثامن من ذي الحجة من السنة العاشرة

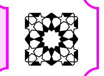
(١) انظر: جامع الإمام الترمذي (٢/ ٤٣٣).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٦٢٥).

(٣) انظر: فتح الباري (٤/ ٢٩٠).

للهجرة ـ وهو يوم التروية[(١)] ـ توجه رسول الله ﷺ بمن معه من المسلمين إلى منًى، فأحرم بالحج مَن كان أَحلَّ منهم، فلما وصل إلى منًى نزل بها، وصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء قصرًا، وبات بمنًى تلك الليلة[(٢)]، وكانت ليلةَ الجمعة، وصلى بها الصبح من يوم الجمعة، ثم مكث قليلًا حتى طلعت الشمس؛ فقد روى الإمام مسلم في «صحيحه» عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: فلما كان يومُ التروية توجهوا إلى منًى، فأَهَلُّوا بالحج، وركب رسول الله ﷺ فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر، ثم مكث قليلًا حتى طلعت الشمس[(٣)].

وروى الإمام الترمذي وأبو داود بسند صحيح، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: صلى رسول الله ﷺ الظهرَ يومَ الترويةِ والفَجرَ يومَ عرفةَ بمنًى[(٤)].



خروج النبي ﷺ وأصحابه إلى عرفات

فلما طلعت الشمس من يوم الجمعة التاسع من ذي الحجة، سار رسول الله ﷺ إلى عرفة، والناس معه منهم الملَبِّي، ومنهم المكَبِّر، وهو يسمع ذلك ولا يُنكر على هؤلاء ولا على هؤلاء؛ فقد روى الشيخان في

---

(١) قال الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات (٣/ ٢٣٠): **يوم التروية**، بفتح التاء، وإسكان الراء: هو اليوم الثامن من ذي الحجة، سُمي يومَ التروية؛ لأنهم كانوا يَرْتَوون فيه الماء، ويحملونه معهم في ذهابهم من مكة إلى عرفات، يُقال: رويتُ القوم أرويهم: أي: استقيتُ لهم.

(٢) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٨/ ١٤٧): وهذا المَبِيتُ سُنَّة ليس بركن ولا واجب، فلو تركه فلا دَمَ عليه بالإجماع.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٢١٨) (١٤٧).

(٤) أخرجه أبو داود في سُننه، رقم الحديث (١٩١١)، والترمذي في جامعه، رقم الحديث (٨٩٥).

«صحيحيهما» عن محمد بن أبي بكر الثقفي، قال: سألت أنسًا رضي الله عنه ـ ونحن غاديان من مِنًى إلى عرفات ـ عن التلبية: كيف كنتم تصنعون مع النبي ﷺ؟ فقال: كان يُلبي الملبي لا يُنكَر عليه، ويُكبِّر المكبِّر فلا يُنكَر عليه[١].

وفي لفظ آخر في «مسند الإمام أحمد» بسند صحيح عن أنس رضي الله عنه، قال: كنا مع رسول الله غداة عرفة، منا المكبِّر، ومنا الـمُهِلُّ، لا يُعاب على المكَبِّرِ تكبيرُه، ولا على الـمُهِلِّ إهلالُه[٢].

وقد كان رسول الله ﷺ أمر أن تُضرَبَ له قُبَّةٌ بِنَمِرة[٣]، فوجد القبة قد ضُرِبت له، فنزل بها، حتى إذا زالت الشمس أمر بناقته القصواء فرُحِلَت له، ثم سار حتى أتى بطن الوادي من أرض عُرَنةَ[٤]، فخطب الناس وهو على راحلته[٥] خطبة عظيمة جامعة، قرر فيها قواعد الإسلام، وهدم فيها قواعد الشرك والجاهلية، وقَرَّر فيها تحريم المحرَّمات التي اتفقت الملل على تحريمها، وهي الدماء والأموال والأعراض؛ فقد روى الإمام مسلم في «صحيحه» عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: أمر رسول الله ﷺ بقُبَّة من شَعَر تُضرب له بنَمِرة، فسار رسول الله ﷺ ولا تشُكُّ قريش إلا أنه واقف عند المشْعَر الحرام[٦] كما كانت قريش تصنع في الجاهلية، فأجاز رسولُ الله ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٩٧٠)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٢٨٥).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٢٤٩٣).

(٣) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٨/ ١٤٧): **نَمِرَة**: هي بفتح النون، وكسر الميم، هذا أصلها، ويجوز فيها ما يجوز في نظيرها، وهو إسكان الميم مع فتح النون وكسرها، وهي موضع بجنب عرفات وليست من عرفات.

(٤) **عُرَنة**: هو بضم العين وفتح الراء، موضع عند الموقف بعرفات. انظر: النهاية (٣/ ٢٠٢).

(٥) وروى الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٠٣٣٥)، وأبو داود في سُننه، رقم الحديث (١٩١٧) بسند صحيح عن خالد بن العَدَّاء بن هوذةَ رضي الله عنه، قال: رأيت رسول الله ﷺ يخطب الناس يوم عرفة على بعير.

(٦) **المشعر الحرام**: هو مُزدَلِفة. انظر: النهاية (٢/ ٢٨٠).

حتى أتى عرفاتٍ، فوجد القبة قد ضُرِبت له بنَمِرة، فنزل بها، حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء فرُحِلَت له، فأتى بطن الوادي فخطب الناسَ، فقال: «**إن دماءكم وأموالكم حرامٌ عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدَمَيَّ موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث، كان مسترضَعًا في بني سعد فقتلَتْه هُذَيل، ورِبا الجاهلية موضوع، وأول ربًا أضع رِبانا؛ رِبا العباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله**[١]**، فاتقوا الله في النساء؛ فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله**[٢]**، ولكم عليهن أن لا يُوطِئْن فُرُشَكم أحدًا تكرهونه، فإن فعَلْنَ ذلك فاضربوهن ضربًا غير مُبَرِّح، ولهنَّ عليكم رزقُهن وكسوتُهن بالمعروف، وقد تركتُ فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتابَ الله، وأنتم تُسألون عني، فما أنتم قائلون؟**»، قالوا: نشهد أنك قد بلَّغْتَ وأدَّيتَ ونصَحْتَ، فقال بإصبعه السَّبابة، يرفعها إلى السماء وينكتها[٣] إلى الناس: «**اللَّهُمَّ اشهد، اللَّهُمَّ اشهد**»، ثلاث مرات[٤].

وروى الإمام أحمد في «مسنده» والترمذي وابن إسحاق في «السِّيرة» ـ واللفظ لابن إسحاق ـ بسند حسن عن عمرو بن خارجة ﵁، قال: بعثني عَتَّاب بن أَسِيد إلى رسول الله ﷺ في حاجة، ورسول الله ﷺ واقف بعرفة، فبلَغْتُه، ثم وقفتُ تحت ناقة رسول الله ﷺ، وإن لُعابَها ليقع على رأسي،

---

(١) قال الإمام القرطبي في تفسيره (٤/ ٣٩٣): بدأ رسول الله ﷺ بعَمِّه وأخصِّ الناس به، وهذا من سنن العدل للإمام أن يُفيض العدلَ على نفسه وخاصَّته، فيستفيض حينئذٍ في الناس.

(٢) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٨/ ١٥٠): المراد بإباحة الله والكلمة، قوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣]، هذا هو الصحيح.

(٣) هكذا وقع في صحيح مسلم: ينكتها بالتاء، ووقع في سنن أبي داود، رقم الحديث (١٩٠٥) بلفظ: وينْكُبُها بالباء.

قال ابن الأثير في النهاية (٥/ ٩٨): أي: يُميلها إليهم، يريد بذلك أن يُشهِد الله عليهم.

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٢١٨) (١٤٧).

فسمعته وهو يقول: «**أيها الناس، إن الله قد أدى إلى كل ذي حق حقَّه، وإنه لا تجوز وصيةٌ لوارث، والولدُ للفِراش[(١)]، وللعاهر[(٢)] الحَجَر[(٣)]، ومَن ادَّعى إلى غير أبيه، أو تولى غير مَواليه؛ فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يَقبَل الله منه صَرْفًا ولا عدلًا**»[(٤)].

جَمْعُ النبي ﷺ الظُّهر والعصر ووقوفُه بعرفة

قال جابر رضي الله عنه: ثم أَذَّن، ثم أقام فصلى الظهر، ثم أقام فصلى العصر، ولم يُصلِّ بينهما شيئًا، ثم ركب رسول الله ﷺ حتى أتى الموقف، فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات، وجعل حَبْلَ[(٥)] المشاة بين يديه، واستقبل القبلة، فلم يزل واقفًا حتى غربت الشمس، وذهبت الصُّفرة قليلًا حتى غاب القُرص[(٦)].

وأمر رسول الله ﷺ الناس أن يرتفعوا عن بطن عُرَنة، وأنَّ عرفة لا تختص بموقفه ذلك؛ فقد روى الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**عرفة كلها موقف،**

---

(١) **الولد للفراش**: أي: لمالِك الفراش، وهو الزوج والمَولى، والمرأة تُسمَّى فِراشًا؛ لأن الرجل يفترشها. انظر: النهاية (٣/ ٣٨٥).

(٢) **العاهر**: الزاني. انظر: النهاية (٣/ ٢٩٤).

(٣) **الحَجَر**: أي: الخيبة؛ يعني: أن الولد لصاحب الفراش من الزوج أو السيد، وللزاني الخيبة والحرمان، وذهب قوم إلى أنه كنَّى بالحجر عن الرجم، وليس كذلك؛ لأنه ليس كل زان يُرجَم. انظر: النهاية (١/ ٣٣١).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٨٠٨٢)، والترمذي في جامعه، رقم الحديث (٢٢٥٤)، وابن إسحاق في السيرة (٤/ ٢٦١)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٥) **الحَبْل**: المستطيل من الرَّمْل، وقيل: الضخم منه. انظر: النهاية (١/ ٣٢١).

(٦) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٢١٨) (١٤٧).

وارفعوا عن بطن عُرَنَة»[١].

وروى الإمام مسلم في «صحيحه» عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**وقفت ههنا، وعرفة كلها موقف**»[٢].

وروى الإمام الترمذي وابن ماجه بسند صحيح عن يزيد بن شيبان، قال: أتانا ابن مِرْبَع الأنصاري[٣] ونحن وقوف بالموقف ـ مكانًا يُباعده عمرو ـ فقال: إني رسولُ رسولِ الله ﷺ إليكم، يقول: «**كونوا على مشاعركم**[٤]**؛ فإنكم على إرث من إرث إبراهيم**»[٥].

وكان رسول الله ﷺ مشتغلًا في عرفة بالدعاء، وكان في دعائه رافعًا يديه؛ فقد روى الإمام أحمد في «مسنده» بسند صحيح عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما، قال: كنتُ رديف رسول الله ﷺ بعرفات، فرفع يديه يدعو، فمالت به ناقته، فسقط خِطامها[٦]، فتناول الخطام بإحدى يديه، وهو رافع يده الأخرى[٧].

---

(١) أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار، رقم الحديث (١١٩٤).
(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٢١٨) (١٤٩).
(٣) قال ابن الأثير في جامع الأصول (١/ ٤١٢)، قسم التراجم: هو زيد بن مِرْبَع الأنصاري رضي الله عنه، من بني حارثة، روى عنه يزيد بن شيبان، عِداده في أهل الحجاز، حديثه في الوقوف بعرفة، **ومِرْبَع**: بكسر الميم، وسكون الراء، وفتح الباء الموحدة، وبالعين المهملة.
(٤) قال ابن الأثير في جامع الأصول (٣/ ٢٣٦): **مشاعركم**: جمع مَشْعَر، وهو المعْلَم، والمراد به: معالم الحج.
(٥) **إرث إبراهيم**: يريد به ميراثَهم مِلَّتَه. انظر: النهاية (١/ ٤٠).
والحديث أخرجه الترمذي في جامعه، رقم الحديث (٨٩٨)، وابن ماجه في سُننه، رقم الحديث (٣٠١١).
(٦) **الخِطام**، بكسر الخاء: هو الحبل الذي يُقاد به البعير. انظر: النهاية (٢/ ٤٩).
(٧) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢١٨٢١).

نزول قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾

وأنزل الله على رسوله ﷺ وهو واقف بعرفة قَولَه تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣]؛ فقد روى الشيخان في «صحيحيهما» عن طارق بن شهاب عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن رجلًا(١) من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين، آيةٌ في كتابكم تقرؤونها لو علينا ـ معشَرَ اليهود ـ نزلت، لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا، فقال رضي الله عنه: أيُّ آية؟ قال: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾، فقال عمر رضي الله عنه: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على رسول الله ﷺ، وهو قائم بعرفة يوم جمعة(٢).

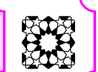
قال الحافظ ابن كثير: هذه أكبر نِعَم الله تعالى على هذه الأمة؛ حيث أكمل لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيّهم صلوات الله وسلامه عليه؛ ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرعه، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا خُلف، كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ﴾ [الأنعام: ١١٥]؛ أي: في الأخبار، وعدلًا في الأوامر والنواهي، فلما أكمل لهم الدين تمَّت عليهم النعمة؛ ولهذا قال: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ

---

(١) قال الحافظ في الفتح (١/ ١٤٥): هذا الرجل هو كعب الأحبار.
وفي رواية أخرى في صحيح البخاري، رقم الحديث (٤٤٠٧): أن أُناسًا من اليهود.
قال الحافظ في الفتح (١/ ١٤٥): يُحمَل على أنهم كانوا حين سؤال كعب عن ذلك جماعةً، وتكلم كعب على لسانهم.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٥) (٤٤٠٧)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٣٠١٧).

دِينًاۚ﴾؛ أي: فارضَوه أنتم لأنفسكم؛ فإنه الدين الذي أحبه الله ورضيه، وبعث به أفضل الرسل الكرام، وأنزل به أشرف كتبه[١].



إفاضة النبي ﷺ من عرفة إلى مزدلفة

فلما غربت الشمس واستحكم غروبها، بحيث ذهبت الصُّفرة، أفاض رسول الله ﷺ من عرفة إلى مزدلفة، وهو يُلبي في مسيره، وقد أردف أسامة بن زيد رضي الله عنهما خلفه، وأفاض رسول الله ﷺ بالسَّكينة[٢]، وجعل رسول الله ﷺ يسير العَنَقَ[٣]، فإذا وجد فَجْوَة[٤] سار النَّصَّ[٥]، وهو فوق العَنَق، وكلما أتى حَبْلًا[٦] من الحِبَال أرخى لناقته زِمامَها قليلًا حتى تصعد، فلما كان في الطريق عند الشِّعْب[٧] نزل عليه الصلاة والسلام، فبال وتوضأ وُضُوءًا خفيفًا[٨]، فقال له أسامة رضي الله عنه: الصلاةَ يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «**الصلاةُ أمامك**».

وروى الشيخان في «صحيحيهما» ـ واللفظ للبخاري ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: إن أسامة رضي الله عنه كان رِدْفَ النبي ﷺ من عرفة إلى المزدلفة، ثم أردف الفضل من المزدلفة إلى مِنًى، فكلاهما قال: لم يزل النبي ﷺ يُلبِّي حتى

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٣١٤).
(٢) **السكينة**: أي: الوقار والتأني في الحركة والسير. انظر: النهاية (٢/ ٣٤٦).
(٣) قال الحافظ في الفتح (٤/ ٣٣٠): **العَنَق**، بفتح العين والنون، هو السير الذي بين الإبطاء والإسراع.
(٤) **الفجوة**: المتسع. انظر: النهاية (٣/ ٣٧١).
(٥) **النَّصُّ**: نوع من السير سريع. انظر: النهاية (٥/ ٥٥).
(٦) **الحَبْل**: القطعة من الرمل ضخمة ممتدة. انظر: النهاية (١/ ٣٢١).
(٧) **الشِّعْب**، بكسر الشين: هو ما انفرج بين جبلين. انظر: لسان العرب (٧/ ١٢٨).
(٨) قال الحافظ في الفتح (٤/ ٣٣٤): أي: خَفَّفه بأن توضَّأ مرة مرة.

رمى جمرة العقبة[(١)].

وروى الإمام مسلم في «صحيحه» عن عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: ونحن بجَمْع سمعتُ الذي أُنزِلَت عليه سورة البقرة[(٢)] يقول في هذا المقام: «**لبيك اللَّهُمَّ لبيك**»[(٣)].

وروى الإمام مسلم في «صحيحه» عن جابر بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قال: فلم يزل[(٤)] واقفًا[(٥)] حتى غربت الشمس، وذهبت الصُّفرة قليلًا حتى غاب القُرْصُ، وأردف أسامة خلفه، ودفع رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وقد شَنقَ[(٦)] للقصواء الزمامَ، حتى إن رأسَها ليُصيبُ مَورِكَ رَحْلِه، ويقول بيده اليُمنى: «**أيها الناس، السكينةَ السكينةَ**»، كلما أتى حَبْلًا من الحبال أرخى لها قليلًا حتى تصعد، حتى أتى مزدلفة[(٧)].

وروى الإمام أحمد في «مسنده» وأبو داود في «سُننه» بسند صحيح، عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قال: أفاض رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من عرفة وعليه السكينة، ورديفه أسامة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فقال: «**أيها الناس، عليكم بالسكينةِ؛ فإن البر**[(٨)] **ليس**

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٥٤٣) (١٥٤٤)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٢٨١).

(٢) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٩/ ٢٦): وإنما خص البقرة؛ لأن معظم أحكام المناسك فيها، فكأنه قال: هذا مقام مَن أُنزِلت عليه المناسك، وأُخِذ عنه الشرع، وبَيَّن الأحكام؛ فاعتَمِدوه، وأراد بذلك الرد على مَن يقول بقطع التلبية من الوقوف بعرفات.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٢٨٣).

(٤) يعني: رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

(٥) يعني: بعرفة.

(٦) يُقال: **شَنَقتُ البعيرَ أشنقُه شَنْقًا**: إذا كفَفْتَه بزمامِه وأنت راكبُه. انظر: النهاية (٢/ ٤٥٢).

(٧) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٢١٨) (١٤٧).

(٨) قال الحافظ في الفتح (٤/ ٣٣٦): **البر**، بكسر الباء: اسم لكل ما يُتقرَّب به إلى الله من العمل.

بإيجاف[١] **الخيل والإبل**»[٢].

وروى الشيخان في «صحيحيهما» عن أسامة بن زيد ﵄ أنه سُئِلَ: كيف كان رسول الله ﷺ يسير في حجة الوداع حين دفع؟ قال ﵁: كان يسير العَنَقَ، فإذا وجد فجوةً نَصَّ[٣].

وروى الشيخان في «صحيحيهما» عن أسامة بن زيد ﵄، قال: رَدِفْتُ رسولَ الله ﷺ من عرفات، فلما بلغ رسول الله ﷺ الشِّعب الأيسر الذي دون المزدلفة، أناخ[٤] فبال، ثم جاء فصببتُ عليه الوَضُوءَ[٥] فتوضأ وضوءًا خفيفًا، فقلت: الصلاةَ يا رسول الله، قال: «**الصلاةُ أمامك**»[٦].

فلما وصل رسول الله ﷺ إلى مزدلفة ـ وهي المشعر الحرام ـ توضأ فأسبغ الوضوء، وصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين، ولم يُصَلِّ بينهما شيئًا، ثم اضطجع رسول الله ﷺ حتى طلع الفجر؛ فقد روى الإمام مسلم في «صحيحه» عن جابر بن عبد الله ﵄، قال: فصلى بها[٧] المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين، ولم يُسَبِّحْ بينهما شيئًا[٨]، ثم اضطجع

---

(١) **الإيجاف**: سرعة السير. انظر: النهاية (٥/ ١٣٧).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٤٢٧)، وأبو داود في سُننه، رقم الحديث (١٩٢٠)، وأخرجه بنحوه: البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٦٧١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٦٦٦)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٢٨٦) (٢٨٣).

(٤) في رواية أخرى في صحيح البخاري، رقم الحديث (١٣٩): نزل.

(٥) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٩/ ٢٣): **الوَضوء** هنا، بفتح الواو: وهو الماء الذي يُتوضأ به.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٦٦٩)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٢٨٠).

(٧) يعني: بمزدلفة.

(٨) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٨/ ١٥٤): معناه: لم يُصَلِّ بينهما نافلةً، =

رسول الله ﷺ حتى طلع الفجر[(١)].

وروى الشيخان في «صحيحيهما» عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما، قال: فلما جاء المزدلفة نزل فتوضأ، فأسبغ الوضوء، ثم أُقيمت الصلاة، فصلى المغرب، ثم أناخ كلُّ إنسان بعيرَه في منزله، ثم أُقيمت العشاء فصلَّاها، ولم يُصَلِّ بينهما شيئًا[(٢)].

وروى الإمام البخاري في «صحيحه» عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: جَمع النبي ﷺ بين المغرب والعشاء بجَمعٍ[(٣)]، كلُّ واحدة منهما بإقامة، ولم يُسَبِّح بينهما، ولا على إثر كل واحدة منهما[(٤)].

وقوف النبي ﷺ بالمشعر الحرام[(٥)]، ثم دَفْعُه إلى منًى

فلما طلع الفجر قام رسول الله ﷺ فصلى بالناس الصبح في أول وقتها بأذان وإقامة، وذلك يوم النحر، وهو يوم العيد، وهو يوم الحج الأكبر، وهو

= والنافلة تُسمى **سُبحةً**؛ لاشتمالها على التسبيح.

* وقال ابن الأثير في النهاية (٢/ ٢٩٩): يُقال لصلاة النافلة: سُبْحَة، والسُّبْحَة من التسبيح، وإنما خُصَّت النافلة بالسُّبْحَة وإن شاركتها الفريضة في معنى التسبيح؛ لأن التسبيحات في الفرائض نوافل، فقيل لصلاة النافلة: سُبْحَة؛ لأنها نافلة كالتسبيحات والأذكار في أنها غير واجبة.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٢١٨) (١٤٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٦٧٢)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٢٨٥) (٢٧٦).

(٣) قال الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات (٣/ ٩٥): يُقال للمزدلفة: **جَمْعٌ**، بفتح الجيم، وإسكان الميم، سميت به؛ لاجتماع الناس بها.

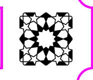
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٦٧٣).

(٥) قال الحافظ في الفتح (٤/ ٣٤٢): **المَشعَر**، بفتح الميم والعين، سُمي مَشعرًا؛ لأنه مَعلَم للعبادة، والحرامَ؛ لأنه من الحَرَم أو لحُرمتِه.

يوم الأذان ببراءة الله ورسوله من كل مشرك، وكان يومَ السبت؛ فقد روى الإمام مسلم في «صحيحه» عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: صلى[١] الفجر حين تبيَّن له الصبح، بأذان وإقامة، ثم ركب القصواء، حتى أتى المشعر الحرام، فاستقبل القبلة، فدعاه وكبَّره وهَلَّله ووحَّده، فلم يزل واقفًا حتى أسفر جدًّا، فدفع قبل أن تطلُعَ الشمس[٢].

وروى الإمام أحمد في «مسنده» والترمذي في «جامعه» بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: إن النبي ﷺ أفاض[٣] من مزدلفة قبل طلوع الشمس[٤].

وأخبر رسول الله ﷺ الناس أن المزدلفة كلها موقف؛ فقد روى الإمام أحمد في «مسنده» بسند صحيح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**وقفتُ هاهنا، والمزدلفة كلها موقف**»[٥].



جَمْعُ النبي ﷺ الجمار

أمر رسول الله ﷺ الفضل بن عباس رضي الله عنهما غداة يوم النحر أن يلتقطَ له حصى الجِمار؛ فالتقط له سبع حَصَيات من حصى الخَذْفِ[٦]؛ فقد روى ابن ماجه في «سُننه» بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال لي[٧]

(١) يعني: رسول الله ﷺ.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٢١٨) (١٤٧).

(٣) **الإفاضة**: الزحف والدفع في السَّير بكثرة. انظر: النهاية (٣/ ٤٣٦).

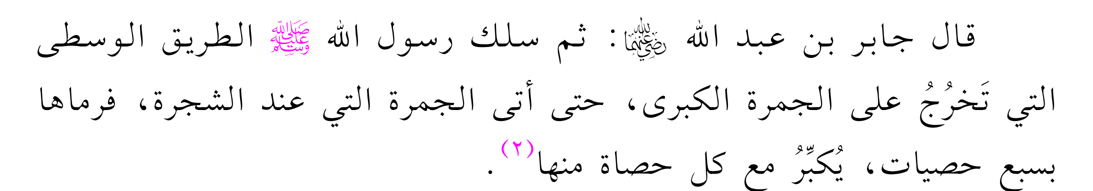
(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٠٥١)، والترمذي في جامعه، رقم الحديث (٩١٠)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٤٤٤٠).

(٦) **الخَذْف**: الصِّغار. انظر: النهاية (١/ ٣٤٣).

(٧) **قلت**: كونُ ابن عباس رضي الله عنهما صاحِبَ هذه القصة يحتاج مزيد تأمل؛ لأن رسول الله ﷺ قَدَّمه =

رسول الله ﷺ غداة العَقَبة وهو على ناقته: «**الْقُطْ لي حَصًى**»، فلقطتُ له سبع حصَيات، هُنَّ حصى الخَذْفِ، فجعل ينفُضُهنَّ في كفه، ويقول: «**أمثالَ هؤلاء فارمُوا**»، ثم قال: «**أيها الناس، إياكم والغُلُوَّ في الدين؛ فإنما أهلك مَن كان قبلكم الغُلُوُّ في الدين**»(١).



رَمْيُ النبي ﷺ جمرة العقبة يوم النحر

قال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: ثم سلك رسول الله ﷺ الطريق الوسطى التي تَخرُجُ على الجمرة الكبرى، حتى أتى الجمرة التي عند الشجرة، فرماها بسبع حصيات، يُكبِّرُ مع كل حصاة منها(٢).

وروى الإمام مسلم في «صحيحه» عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: رمى رسول الله ﷺ الجمرة يوم النحر ضُحًى(٣).

وروى الإمام مسلم في «صحيحه» عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: رأيت النبي ﷺ يَرمي على راحلته يوم النحر، ويقول: «**لتأخُذوا مناسِكَكم؛ فإني لا أدري لعلي لا أحجُّ بعد حَجَّتي هذه**»(٤).

= مع ضَعَفة أهله؛ ولذلك وقع في رواية الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٣٢٤٨) قال يحيى القطان: لا يَدري عوف: عبد الله، أو الفضل؟

وأخرجه الطبراني، كما في التلخيص الحبير، عن ابن عباس، قال: حدثني الفضل بن عباس، قال: قال لي رسول الله ﷺ، وساق الحديث، وصَوَّب الحافظ في التلخيص الحبير (٤/ ١٦٣٠) هذه الرواية، فقال: هي الصواب؛ فإن الفضل هو الذي كان مع النبي ﷺ حينئذ.

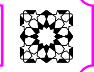
(١) أخرجه ابن ماجه في سُننه، رقم الحديث (٣٠٢٩).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٢١٨) (١٤٧).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٢٩) (٣١٤).

(٤) أخرجه الإمام مسلم، رقم الحديث (١٢٩٧).

وروى الإمام مسلم في «صحيحه» عن أم الحُصَين ﵂، قالت: حججتُ مع رسول الله ﷺ حجَّة الوداع، فرأيتُه حين رمى جمرة العقبة وانصرف، وهو على راحلته ومعه بلال وأسامة، أحدهما يقود به راحلته، والآخر رافعٌ ثوبَه على رأس رسول الله ﷺ من الشمس، قالت: فقال رسول الله ﷺ قولًا كثيرًا، ثم سمعته يقول: «**إن أُمِّرَ عليكم عبدٌ مُجدَّعٌ أسود، يقودكم بكتاب الله تعالى؛ فاسمعوا له وأطيعوا**»(١).



انصراف النبي ﷺ إلى المَنحَر بمِنًى

ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المنحر بمنًى، فنحر بُدْنَهُ بيده الشريفة؛ فقد روى الإمام مسلم في «صحيحه» عن جابر بن عبد الله ﵄، قال: ثم انصرف إلى المنحر، فنحر ثلاثًا وستين(٢) بيده، ثم أعطى عليًّا ﵁، فنحر ما غَبَرَ(٣)، وأشركه في هَدْيِه، ثم أمر من كل بَدَنَة ببَضْعةٍ(٤)، فَجُعِلَت في قِدرٍ فَطُبخت، فأكلا من لحمها وشربا من مَرَقِها(٥).

وكانت تُقرَّب لرسول الله ﷺ البُدْنُ أرسالًا؛ فقد روى الإمام أحمد في

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٢٩٨) (٣١١).

(٢) قال ابن حبان في صحيحه (٩/ ٢٥٢): العِلة في نحر المصطفى ﷺ ثلاثًا وستين بدنة بيده دون ما وراء هذا العدد: أن له في ذلك اليوم كانت ثلاثًا وستين سنة، ونحر لكل سنة من سنيه بدنةً بيده.

(٣) **ما غَبَرَ**: أي: ما بَقِيَ. انظر: النهاية (٣/ ٣٠٤).

وبقي منها سبع وثلاثون بَدَنة؛ لأن مجموع هَدي رسول الله ﷺ وما جاء به علي ﵁ مائة بَدَنة، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٢١٨) (١٤٧) عن جابر بن عبد الله ﵄، قال: كان جماعة الهَدي الذي قدم به علي ﵁ من اليمن، والذي أتى به النبي ﷺ مائة.

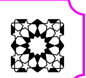
(٤) **البَضْعة**: القطعة من اللحم، وهي بفتح الباء، وقد تُكسر. انظر: النهاية (١/ ١٣٣).

(٥) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٢١٨) (١٤٧).

«مسنده» وأبو داود في «سُننه» بسند صحيح عن عبد الله بن قُرْط ﷺ، قال: قُرِّب لرسول الله ﷺ بَدَنَاتٌ خمسٌ أو سِتٌّ، فطَفِقْنَ[١] يَزدَلِفْنَ[٢] إليه بأيتهِنَّ يبدأُ[٣]!

وروى الإمام البخاري في «صحيحه» عن علي بن أبي طالب ﷺ، قال: أهدى النبي ﷺ مائة بَدَنَةَ، فأمرني بلحومها فقَسَمْتُها، ثم أمرني بجِلالها[٤] فقسمتها، ثم بجلودها فقسمتها[٥].

وروى الشيخان في «صحيحيهما» ـ واللفظ لمسلم ـ عن علي بن أبي طالب ﷺ، قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أقوم على بُدْنِه، وأن أتصدق بلحمها وجلودها وأجِلَّتِها، وأن لا أُعطي الجزار منها، قال: «**نحن نُعطيه من عندنا**»[٦].



خطبة النبي ﷺ يوم النحر

خطب رسول الله ﷺ في هذا اليوم الشريف خطبة عظيمة تواترت بها الأحاديث؛ فمن ذلك:

* روى الإمام البخاري في «صحيحه» عن ابن عباس ﷺ، قال: إن

---

(١) **طَفِق**: جعل. انظر: النهاية (٣/ ١١٨).
(٢) **يزدلفن**: أي: يَقرَبن منه. انظر: النهاية (٢/ ٢٨٠).
(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٩٠٧٥)، وأبو داود في سُننه، رقم الحديث (١٧٦٥).
(٤) قال الحافظ في الفتح (٤/ ٣٧١): **الجِلَال**، بكسر الجيم وتخفيف اللام، جمع: جُلٍّ، بضم الجيم، وهو ما يُطرح على ظهر البعير من كساء ونحوه.
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٧١٨).
(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٧١٧)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٣١٧) (٣٤٨).

رسول الله ﷺ خطب الناس يوم النحر، فقال: «**يا أيها الناس، أي يوم هذا؟**» قالوا: يومٌ حرام، فقال: «**فأي بلد هذا؟**» قالوا: بلد حرام، فقال: «**فأي شهر هذا؟**» قالوا: شهر حرام، فقال: «**فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام؛ كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا**»، فأعادها مِرارًا، ثم رفع رأسه، فقال: «**اللَّهُمَّ هل بلغتُ؟ اللَّهُمَّ هل بلغتُ؟**».

قال ابن عباس رضي الله عنهما: فوالذي نفسي بيده، إنها لوصيته إلى أمته، فليُبَلِّغِ الشاهدُ الغائبَ، «**لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض**»[(١)].

* وروى الشيخان في «صحيحيهما» والإمام أحمد في «مسنده»، عن أبي بَكرةَ رضي الله عنه، قال: إن النبي ﷺ خَطَبَ في حجته، فقال: «**ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السمٰوات والأرض، السنة اثنا عشر شهرًا، منها أربعة حُرُم، ثلاث متواليات: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجبُ مُضَرَ**[(٢)] **الذي بين جُمادى وشعبان**»، ثم قال: «**ألا أي يوم هذا؟**» قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سَيُسميه بغير اسمه، قال: «**أليس يومَ النحر؟**» قلنا: بلى، ثم قال: «**أي شهر هذا؟**» قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظَنَنَّا أنه سَيُسميه بغير اسمه، فقال: «**أليس ذا الحجة؟**» قلنا: بلى، ثم قال: «**أي بلد هذا؟**» قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سَيُسميه بغير اسمه، فقال: «**أليست البلدة؟**» قلنا: بلى، قال: «**فإن دماءكم وأموالكم ـ قال: وأحسبه قال: ـ وأعراضكم عليكم حرام؛ كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، وستَلْقَون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، ألا لا ترجِعوا بعدي ضُلَّالًا يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا هل بلغتُ؟ ألا**

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٧٣٩).

(٢) قال الحافظ في الفتح (٩/ ٢٢١): أضافه إليهم؛ لأنهم كانوا متمسكين بتعظيمه، بخلاف غيرهم.

ليُبلِّغ الشاهد الغائب منكم، فلعل مَن يُبَلَّغُه يكون أوعى له من بعض مَن يسمعُه»[(١)].

حَلْقُ النبي ﷺ رأسه الشريف

فلما فرغ رسول الله ﷺ من نحر هديه وخطبته يوم النحر، دعا الحلاق، فحلق رأسه الشريف، حَلَقه مَعْمَرُ بن عبد الله العدوي رضي الله عنه.

قال الإمام النووي: اختلفوا في اسم هذا الرجل الذي حلق رأس رسول الله ﷺ في حجة الوداع؛ فالصحيح المشهور أنه مَعْمَر بن عبد الله العَدَوي رضي الله عنه[(٢)].

وروى الإمام مسلم في «صحيحه» عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: إن رسول الله ﷺ أتى مِنًى، فأتى الجمرة فرماها، ثم أتى منزله بمنًى ونحر، ثم قال للحلاق: «**خُذ**»، **وأشار إلى جانبه الأيمن، ثم الأيسر، ثم جعل يُعطيه الناس**[(٣)].

وروى الإمام البخاري في «صحيحه» عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: إن رسول الله ﷺ لما حلق رأسه[(٤)] كان أبو طلحة أول مَن أخذ من شَعْرِه[(٥)].

وروى الإمام مسلم في «صحيحه» عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: لقد رأيتُ رسول الله ﷺ والحلاق يحلِقُه، وأطاف به أصحابُه، فما يريدون أن

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٧٤١) (٤٤٠٦)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٦٧٩) (٢٩)، والإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٠٣٨٦).

(٢) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (٩/ ٤٦).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٣٠٥) (٣٢٣).

(٤) قال الحافظ في الفتح (١/ ٣٦٧): كان ذلك في حجة الوداع.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٧١).

تقع شعرة إلا في يد رجل[١].

وروى الإمام أحمد في «مسنده» بسند صحيح عن محمد بن عبد الله بن زيد عن أبيه: أنه شهد النبي ﷺ عند المنحر، هو ورجل من الأنصار، فقسم رسول الله ﷺ ضحايا، فلم يُصِبْه ولا صاحِبَه شيءٌ، فحلق رأسه في ثوبه، فأعطاه، وقسم منه على رجال، وَقَلَّمَ أظفاره، فأعطاه صاحبه[٢].

وروى الإمام أحمد في «مسنده» بسند حسن عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: نحر[٣] رسول الله ﷺ، ثم حَلَقَ وجلس للناس، فما سُئِلَ عن شيء إلا قال: «**لا حرج، لا حرج**»، حتى جاءه رجل[٤]، فقال: حَلقتُ قبل أن أنحر، قال: «**لا حرج**»، ثم جاء آخر، فقال: يا رسول الله، حلقتُ قبل أن أرميَ، قال: «**لا حرج**»[٥]، ثم قال رسول الله ﷺ: «**عرفةُ كلها موقف، والمزدلفة كلها مَوقِف، ومنًى كلها مَنحَر، وكلُّ فِجاج مكة طريقٌ ومَنحَر**»[٦].

لُبسُ النبي ﷺ ثيابه وتَطيُّبُه

ثم لبس رسول الله ﷺ ثيابه، وتطيَّب بعدما رمى جمرة العقبة ونحر

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٣٢٥).
(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٦٤٧٥).
(٣) قال السندي في شرحه للمسند (٨/ ٨٢): **نَحَرَ**: أي: بمنًى في حجة الوداع.
(٤) قال الحافظ في الفتح (٤/ ٣٩٧): لم أقف على اسمه بعد البحث الشديد، ولا على اسم أحد ممن سأل في هذه القصة، وسأُبين أنهم كانوا جماعة، لكن في حديث أسامة بن شريك عند الطحاوي وغيره: كان الأعراب يسألونه، وكأن هذا هو السبب في عدم ضبط أسمائهم.
(٥) قال السندي في شرحه للمسند (٨/ ٨٢): قوله ﷺ: «**لا حرج**»، يدل على عدم وجوب الترتيب.
(٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٤٤٩٨).

هَدْيَه، وقبل أن يطوف بالبيت طواف الإفاضة؛ فقد روى الشيخان في «صحيحيهما» والترمذي ـ واللفظ للترمذي ـ عن عائشة ﵂، قالت: طيبتُ رسول الله ﷺ قبل أن يُحرِمَ، ويومَ النَّحْرِ قبل أن يطوف بالبيت، بطيبٍ فيه مِسكٌ(١).

قال الإمام الترمذي في «جامعه»: والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم؛ يَرون أن الـمُحرِمَ إذا رمى جَمرة العقبة يوم النحر، وذبح، وحَلَقَ أو قَصَّرَ؛ فقد حَلَّ له كل شيء حَرُم عليه، إلا النساء، وهو قول الشافعي، وأحمد، وإسحاق(٢).



طوافه ﷺ الإفاضةَ وإقامته بمنًى

ثم طاف رسول الله ﷺ طواف الإفاضة على ناقته؛ فقد روى الإمام مسلم في «صحيحه» عن جابر ﵁ قال: ثم ركب رسول الله ﷺ فأفاض إلى البيت(٣)، فصلى بمكة الظهر(٤).

وروى الشيخان في «صحيحيهما» عن ابن عباس ﵄، قال: طاف النبي ﷺ في حجة الوداع على بعير يستلم الركن بمِحْجَنِه(٥).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٥٣٩)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١١٨٩)، والترمذي في جامعه، رقم الحديث (٩٣٤).

(٢) انظر: جامع الإمام الترمذي (٢/ ٤٢٢).

(٣) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٨/ ١٥٧): هذا الطواف هو طواف الإفاضة، وهو ركن من أركان الحج بإجماع المسلمين.

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٢١٨) (١٤٧).

(٥) **المِحْجَن**: عصا مُعَقَّفة الرأس. انظر: النهاية (١/ ٣٣٥).
والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٦٠٧)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٢٧٢).

وروى الإمام مسلم في «صحيحه» عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: طاف رسول الله ﷺ بالبيت في حجة الوداع على راحلته، يستلم الحَجَر بمِحْجَنِه[(١)]؛ لأن يراه الناس، وليُشرِفَ ولِيسألوه؛ فإن الناس غَشُوه[(٢)].

ثم صلى رسول الله ﷺ الظهر بمكة، ورجع من يومه إلى منًى، وفي رواية أخرى أنه صلى الظهر بمنى؛ فقد روى الإمام مسلم في «صحيحه» عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: إن رسول الله ﷺ أفاض يوم النحر، ثم رجع فصلى الظهر بمنًى[(٣)].

قال الإمام النووي: والجمع بينهما أنه ﷺ طاف للإفاضة قبل الزوال، ثم صلى الظهر بمكة في أول وقتها، ثم رجع إلى منًى فصلى بها الظهر مرة أخرى بأصحابه حين سألوه ذلك، فيكون متنفِّلًا بالظهر الثانية التي بمنًى[(٤)].

وكان رسول الله ﷺ يأتي الجِمار في أيام التشريق الثلاثة بعد زوال الشمس، ماشيًا، فيرمي كل جمرة بسبع حصَيات؛ فقد روى الإمام أحمد في مسنده وأبو داود في «سُننه» بسند حسن عن عائشة رضي الله عنها، قالت: رجع رسول الله ﷺ إلى مِنًى[(٥)]، فمكث بها لياليَ أيام التشريق، يرمي الجمرة إذا زالت الشمس، كل جمرة بسبع حصيات يُكبِّرُ مع كل حصاة، ويقف عند الأولى والثانية، فيُطيل القيام ويتضرع، ويرمي الثالثة ولا يقف عندها[(٦)].

---

(١) زاد الإمام مسلم في رواية أخرى، رقم الحديث (١٢٧٥) عن أبي الطفيل رضي الله عنه: ويُقَبِّل المِحْجَن.

(٢) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٩/ ١٧): **غَشُوه**: أي: ازدحموا عليه.
والحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٢٧٣).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٢٧٣).

(٤) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (٨/ ١٥٨).

(٥) وذلك بعد إفاضته ﷺ يوم النحر.

(٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٤٥٩٢)، وأبو داود في سُننه، رقم الحديث (١٩٧٣).

وروى الإمام مسلم في «صحيحه» والإمام أحمد في «مسنده» ـ واللفظ لأحمد ـ عن جابر ﵁، قال: رمى رسول الله ﷺ الجمرة الأولى يوم النحر ضُحًى، ورماها بعد ذلك عند زوال الشمس[١].

وروى الإمام أحمد في «مسنده» بسند حسن عن ابن عباس ﵄، قال: رمى رسول الله ﷺ الجمار[٢] حين زالت الشمس[٣].

وروى الإمام البخاري في «صحيحه» عن ابن عمر ﵄: أنه كان يرمي الجمرة الدنيا[٤] بسبع حصيات يُكبر على إثر كل حصاة، ثم يتقدم حتى يُسْهِل[٥]، فيقوم مستقبل القبلة، فيقوم طويلًا، ويدعو ويرفع يديه، ثم يرمي الوسطى، ثم يأخذ ذاتَ الشِّمال، فيُسْهِل ويقوم مستقبل القبلة، فيقوم طويلًا ويدعو، ويرفع يديه ويقوم طويلًا، ثم يرمي جمرة ذات العقبة من بطن الوادي، ولا يقف عندها، ثم ينصرف، فيقول: هكذا رأيتُ النبي ﷺ يفعله[٦].



نزول النبي ﷺ المُحَصَّب[٧] وطوافُه الوداعَ

ثم نهض رسول الله ﷺ من منًى في آخر يوم من أيام التشريق، فأفاض

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٢٩٩) (٣١٤)، والإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٤٣٥٤).

(٢) قال السندي في شرحه للمسند (٣/ ١٣٣): أي: في غير يوم النحر.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٦٣٥).

(٤) قال الحافظ في الفتح (٤/ ٤١٣): **الدنيا**، بضم الدال وبكسرها؛ أي: القريبة إلى جهة مسجد الخَيف، وهي أول الجمرات التي تُرمى من ثاني يوم النحر.

(٥) قال الحافظ في الفتح (٤/ ٤١٣): **يُسْهِل**، بضم أوله، وسكون المهملة؛ أي: يقصد السَّهلَ من الأرض، وهو المكان المصطحب الذي لا ارتفاع فيه.

(٦) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٧٥١).

(٧) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٩/ ٥٠٠): **المُحَصَّب**: بفتح الحاء والصاد. =

إلى الـمُحَصَّب، وهو الأَبْطَح، وهو خَيفُ[(١)] بني كِنانة؛ فقد روى الشيخان في «صحيحيهما» وأبو داود ـ واللفظ لأبي داود ـ عن عائشة ﵂، قالت: إنما نزل رسول الله ﷺ المُحَصَّبَ؛ ليكون أسمح لخروجه، وليس بسُنَّة، فمن شاء نزله، ومَن شاء لم ينزله[(٢)].

وكان أبو رافع ﵁ على ثَقَل[(٣)] النبي ﷺ، فضرب قبة، فنزل بها رسول الله ﷺ؛ فقد روى الإمام مسلم في «صحيحه» عن أبي رافع ﵁، قال: لم يأمرني رسول الله ﷺ أن أنزل الأبطح حين خرج من منى، ولكني جئت فضربت فيه قبة، فجاء فنزل[(٤)].

فأقام رسول الله ﷺ بالـمُحَصَّب بقية يومه ذلك وليلتَه، فصلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء، ثم رقد رَقدةً هناك؛ فقد روى الإمام البخاري في «صحيحه» عن أنس ﵁، قال: إن النبي ﷺ صلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء، ثم رقد رَقدةً بالـمُحَصَّب، ثم ركب إلى البيت فطاف به[(٥)].

وروى الإمام البخاري في «صحيحه» والإمام أحمد في «مسنده» وأبو داود ـ واللفظ لأحمد ـ عن ابن عمر ﵄، قال: إن رسول الله ﷺ صلى

= وقال ابن الأثير في النهاية (١/ ٣٧٩): المُحَصَّب: هو الشِّعب الذي مخرجه إلى الأبطح بين مكة ومنًى.

(١) **الخَيْف**، بفتح الخاء وسكون الياء: هو ما ارتفع عن مجرى السيل وانحدر عن غلظ الجبل، ومسجد منى يُسمى مسجد الخَيْف؛ لأنه في سفح الجبل. انظر: النهاية (٢/ ٨٨).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٧٦٥)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٣١١) (٣٣٩)، وأبو داود في سننه، رقم الحديث (٢٠٠٨).

(٣) **الثَّقَل**، بفتح الثاء والقاف: متاع المسافر. انظر: النهاية (١/ ٢١١).

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٣١٣).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٧٥٦).

الظهر والعصر والمغرب والعشاء بالـمُحَصَّب[١]، ثم هجع[٢] هَجعةً، ثم دخل فطاف بالبيت[٣].

وروى الإمام البخاري في «صحيحه» عن عائشة رضي الله عنها، قالت: نفرنا من مِنى فنزلنا الـمُحَصَّب، فدعا[٤] عبدَ الرحمٰن[٥]، فقال: «**اخرُجْ بأختك فلتُهِلَّ بِعُمرة، ثم افْرُغا من طوافكما، أنتَظِرُكما هاهنا**»، قالت: فأتينا في جوف الليل، فقال رسول الله ﷺ: «**فرغتُما؟**» قلت: نعم، فنادى بالرحيل في أصحابه، فارتحل الناس ومَن طاف بالبيت قبل صلاة الصبح، ثم خرج متوجهًا إلى المدينة[٦].

وفي لفظ آخر في «الصحيحين»، قالت عائشة رضي الله عنها: فلما قضينا الحج[٧] أرسلني رسول الله ﷺ مع عبد الرحمٰن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما إلى التنعيم[٨]، فاعتمرت، فقال: «**هذه مكانُ عمرتك**»[٩]، قالت: فطاف الذين أهلُّوا بالعمرة

---

(١) في رواية أبي داود، ورواية أخرى في المسند: بالبَطحاء.

(٢) **الهَجع والهَجْعة والهَجِيع**: طائفة من الليل، والهُجوع: النوم ليلًا. انظر: النهاية (٥/ ٢١٤).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٧٦٨)، والإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٥٧٥٦) (٥٨٩٢)، وأبو داود في سُننه، رقم الحديث (٢٠١٣).

(٤) يعني: رسول الله ﷺ.

(٥) هو: ابن أبي بكر الصديق، أخو عائشة، رضي الله عنهما.

(٦) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٧٨٨).

(٧) في رواية أخرى في صحيح البخاري، رقم الحديث (١٦٣٨): حَجَّنَا.

(٨) قال الحافظ في الفتح (٤/ ٤٤٤): **التَّنْعيم**، بفتح المثناة، وسكون النون، وكسر المهملة: مكان معروف خارج مكة، وهو على أربعة أميال من مكة.

(٩) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٨/ ١١٤): معناه: أنها أرادت أن يكون لها عمرة منفردة عن الحج كما حصل لسائر أمهات المؤمنين وغيرهن من الصحابة الذين فسَخوا الحج إلى العمرة وأتموا العمرة وتحللوا منها قبل يوم التروية، ثم أحرموا بالحج من مكة يوم التروية، فحصل لهم عمرة منفردة وحجة منفردة، وأما عائشة رضي الله عنها فإنما حصل لها عمرة مندرجة في حجة بالقِران، فقال لها رسول الله ﷺ يوم النفر: «**يَسَعُك طوافُك** =

بالبيت وبين الصفا والمروة، ثم حلُّوا، ثم طافوا طوافًا آخر بعد أن رجعوا من مِنًى، وأما الذين جمعوا الحج والعمرة فإنما طافوا طوافًا واحدًا[(١)].

الرخصة للحائض في ترك طواف الوداع

ورخص رسول الله ﷺ للحائض في ترك طواف الوداع؛ فقد روى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها، قالت: حاضت صفية بنت حُيَيٍّ بعدما أفاضت، فذكرتُ حيضتها لرسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**أحابِسَتُنا هي؟!**» قلت: يا رسول الله، إنها قد كانت أفاضت وطافت بالبيت، ثم حاضت بعد الإفاضة، فقال رسول الله ﷺ: «**فلتَنفِرْ**»[(٢)].

قال الإمام الترمذي في «جامعه»: والعمل على هذا عند أهل العلم؛ أن المرأة إذا طافت طواف الزيارة[(٣)]، ثم حاضت؛ فإنها تنفِرُ، وليس عليها شيء، وهو قول الثوري، والشافعي، وأحمد، وإسحاق[(٤)].

رجوعُ النبي ﷺ إلى المدينة واستصحابُه ماء زمزم

ثم خرج رسول الله ﷺ من أسفل مكة؛ فقد روى الشيخان في «صحيحيهما» عن عائشة رضي الله عنها، قالت: إن النبي ﷺ لما جاء مكة دخل من

= **لحجك وعمرتك**»؛ أي: وقد تمَّا وحُسِبا لكِ جميعًا، فأبت وأرادت عمرة منفردة كما حصل لباقي الناس، فلما اعتمرت عمرة منفردة قال لها النبي ﷺ: «**هذه مكان عمرتك**»؛ أي: التي كنت تريدين حصولها منفردة غير مندرجة فمَنَعكِ الحيضُ من ذلك.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٣٩٥)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٢١١) (١١١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٧٥٧) (٤٤٠١)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٣٢٨) (٣٨٢).

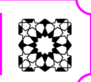
(٣) ويُسمى طوافَ الإفاضة، وطواف الصَّدَر. (٤) انظر: جامع الإمام الترمذي (٢/ ٤٤).

أعلاها وخرج من أسفلها[١].

وقال ابن سيد الناس: فكانت مدةُ إقامته عليه الصلاة والسلام بمكة منذ دخلها إلى أن خرج منها إلى مِنًى إلى عرفة إلى مزدلفة إلى مِنًى إلى الـمُحَصَّب إلى أن وَجَّه راجعًا: عشرةَ أيام[٢].

وروى الشيخان في «صحيحيهما» عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: إن رسول الله ﷺ كان إذا قفل[٣] من غزو أو حَجٍّ أو عمرةٍ يُكبِّرُ على كل شَرَفٍ[٤] من الأرض ثلاث تكبيرات، ثم يقول: «**لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، آيبون**[٥] **تائبون، عابدون ساجدون، لربنا حامدون، صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده**»[٦].

وروى الإمام الترمذي في «جامعه» والحاكم في «مستدركه» بسند حسن عن عائشة رضي الله عنها: أنها كانت تحمِلُ من ماء زمزم، وتُخبر أن رسول الله ﷺ كان يحمِلُه[٧].



بَعْثُ جيش أسامة رضي الله عنه إلى أُبْنَى[٨]

قال الإمام البخاري في «صحيحه»: باب بَعْث النبي ﷺ أسامة بن

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٥٧٧)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٢٥٨) (٢٢٤).

(٢) انظر: عيون الأثر (٢/ ٣٦٨).

(٣) **قفل**: رجع. انظر: النهاية (٤/ ٨٢).

(٤) **الشَّرَف**: العلو. انظر: النهاية (٢/ ٤١٤).

(٥) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٩/ ٩٥): **آيبون**: أي: راجعون.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٧٩٧)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٣٤٤).

(٧) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه، رقم الحديث (٩٨٤)، والحاكم في مستدركه، رقم الحديث (١٨٠٣).

(٨) قال الإمام السُّهيلي في الروض الأنف (٤/ ٣٨٥): **أُبْنَى**: هي القرية التي عند مؤتة حيث قُتِلَ أبوه زيد؛ ولذلك أمَّرَهُ على حداثة سنه ليُدرِكَ ثأرَه.

زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في مرضه الذي تُوفي فيه[(١)].

وقال ابن هشام: هو آخر بَعْثٍ بعثه رسول الله ﷺ[(٢)].

نَدَب[(٣)] رسول الله ﷺ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لغزو الشام، وذلك في يوم الاثنين لأربع ليال بقين من صفر سنة إحدى عشرة للهجرة[(٤)]، وأَمَّرَ على هذا البعث أسامةَ بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وكان عمره رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثماني عشرة سنة؛ فقد روى الشيخان في «صحيحيهما» عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: بعث رسول الله ﷺ بعثًا، وأَمَّرَ عليهم أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[(٥)].

قال ابن إسحاق: ثم قَفَلَ رسول الله ﷺ[(٦)]، فأقام بالمدينة بقية ذي الحجة، والمحرم، وصفر، وضرب على الناس بعثًا إلى الشام، وأَمَّرَ عليهم أسامة بن مولاه زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وأمَره أن يُوطِئَ الخيل تخومَ البلقاء والداروم من أرض فلسطين، فتجهَّز الناس، وأوعب[(٧)] مع أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا المهاجرون الأولون[(٨)].

وقد تكلم الناس في إمرة أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بسبب حَداثة سنه، فلما بلغ ذلك رسولَ الله ﷺ قام في الناس خطيبًا كما سيأتي.

قال الحافظ ابن كثير: والصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُصلي بالناس بنصه ﷺ عليه، واستثنائه له من جيش أسامة الذي كان قد جهَّزه رسول الله ﷺ إلى الشام

---

(١) انظر: صحيح البخاري (٨/ ٥٠١). (٢) انظر: سيرة ابن هشام (٤/ ٢٩٨).

(٣) يُقال: **نَدَبْتُه فانتَدَب**: أي: بعَثْتُه ودعوتُه فأجاب. انظر: النهاية (٥/ ٢٩).

(٤) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (٢/ ٣٤٥).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٧٣٠)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٤٢٦).

(٦) أي: رجع من حجة الوداع.

(٧) **أوعب**: أي: لم يتخلف منهم أحد عنه. انظر: النهاية (٥/ ١٧٩).

(٨) انظر: سيرة ابن هشام (٤/ ٢٦٢) (٤/ ٢٩٨).

لغزو الروم[١].

مضى أسامة ﵁ بجيشه وعسكر بالجُرْف[٢]، ولكنه لم يمض إلى الشام بسبب ابتداء مرض النبي ﷺ.

قال ابن إسحاق: فبينا الناس على ذلك[٣] ابتُدِئ رسول الله ﷺ بشَكْوه الذي قبضه الله فيه، إلى ما أراد به من كرامته ورحمته[٤].

وقال الإمام الذهبي: أسامة بن زيد ﵄، استعمله النبي ﷺ على جيش لغزو الشام، وفي الجيش عُمَر ﵁ والكِبار، فلم يَسِرْ حتى تُوفي رسول الله ﷺ، فبادر الصِّدِّيقُ[٥] ﵁ ببعثهم، فأغاروا على أُبْنَى من ناحية البلقاء[٦].



---

(١) انظر: الفصول في سيرة الرسول، (ص٢٥٩).

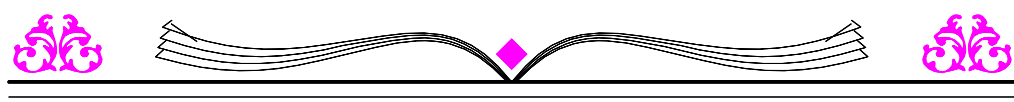
(٢) **الجُرْف**، بضم الجيم: موضع قريب من المدينة. انظر: النهاية (١/ ٢٥٤).

(٣) أي: من التجَهُّز والاستعداد للخروج في بعث أسامة ﵁.

(٤) انظر: سيرة ابن هشام (٤/ ٢٩٩).

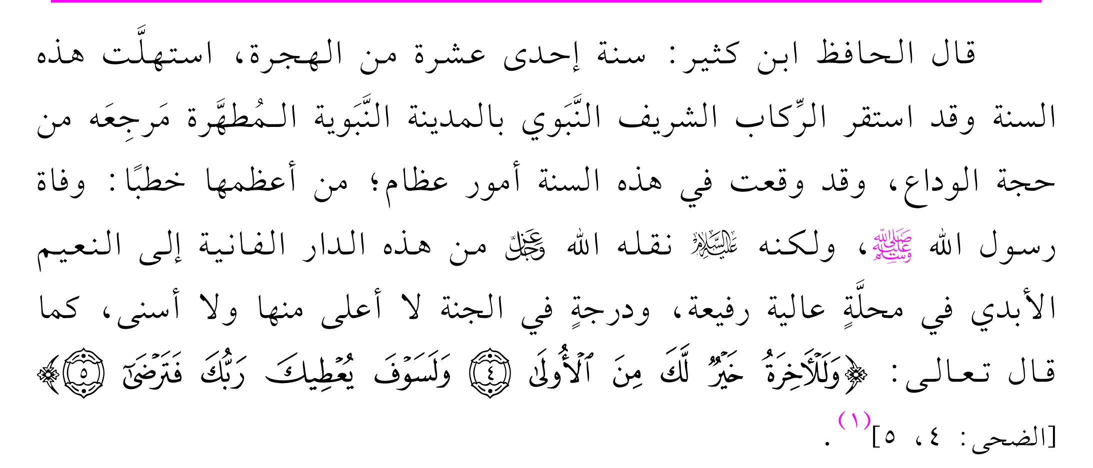
(٥) وذلك في خلافته ﵁.

(٦) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٩٧).



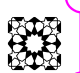



السنة الحادية عشر للهجرة



ابتداء مرض النبي ﷺ

قال الحافظ ابن كثير: سنة إحدى عشرة من الهجرة، استهلَّت هذه السنة وقد استقر الرِّكاب الشريف النَّبَوي بالمدينة النَّبَوية الـمُطهَّرة مَرجِعَه من حجة الوداع، وقد وقعت في هذه السنة أمور عظام؛ من أعظمها خطبًا: وفاة رسول الله ﷺ، ولكنه عليه السلام نقله الله عز وجل من هذه الدار الفانية إلى النعيم الأبدي في محلَّةٍ عالية رفيعة، ودرجةٍ في الجنة لا أعلى منها ولا أسنى، كما قال تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾﴾ [الضحى: ٤، ٥][1].



تاريخ ابتداء شكوى رسول الله ﷺ

قال ابن إسحاق: ابتدئ رسول الله ﷺ بشَكْوِه الذي قبضه الله فيه، إلى ما أراد به من كرامته ورحمته، في ليال بقين من صفر، أو في شهر ربيع الأول[2].

وقال الحافظ في «الفتح»: اختُلِفَ في مدة مرضه ﷺ؛ فالأكثر على أنها ثلاثة عشر يومًا[3].

(١) انظر كلام الحافظ ابن كثير في: البداية والنهاية (٥/ ٢٢٦).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٤/ ٢٩٩).

(٣) انظر: فتح الباري (٨/ ٤٧٣).

ابتَدَأ برسول الله ﷺ وجَعُه في بيت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها، وكان وجعًا في رأسه الشريف ﷺ؛ فقد روى الإمام أحمد في «مسنده» والبيهقي في «دلائل النبوة» ـ واللفظ للبيهقي ـ بسند حسن عن عائشة رضي الله عنها، قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ وهو يُصَدَّعُ، وأنا أشتكي رأسي، فقلت: وارأساه! فقال رسول الله ﷺ: «**بل أنا والله ـ يا عائشة ـ وارأساه!**»، ثم قال رسول الله ﷺ: «**وما عليكِ لو مُتِّ قبلي فوَلِيتُ أمرَكِ، وصليتُ عليك، ووارَيتُكِ؟!**»[1]، فقالت رضي الله عنها: والله إني لأحسَبُ أنه لو كان ذلك، لقد خلوتَ ببعض نسائك في بيتي آخِرَ النهار، فأعرَسْتَ بها! فضحك رسول الله ﷺ، ثم تمادى برسول الله ﷺ وجعه، فاستقر برسول الله ﷺ وهو يدور على نسائه في بيت ميمونة، فاجتمع إليه أهله[2].

تمريض النبي ﷺ في بيت عائشة 

قالت عائشة رضي الله عنها: وتتامَّ برسول الله ﷺ وجعه، وهو يدور على نسائه، حتى استعزَّ به[3]، وهو في بيت ميمونة، فدعا نساءه، فاستأذنهن في أن يُمرَّض في بيتي، فأذِنَّ له[4].

---

(١) **وارَيْتُ الشَّيءَ**: أخفَيتُه. انظر: لسان العرب (١٥/ ٢٨٣).
قلت: والمعنى: دفَنْتُكِ.
وفي رواية الإمام أحمد قال رسول الله ﷺ: «**ما ضَرَّكِ لو متِّ قبلي، فغسَّلْتُك وكفَّنتُك، ثم صليتُ عليك، ودفَنْتُكِ؟!**».

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٥٩٠٨)، والبيهقي في دلائل النبوة (٧/ ١٦٩).

(٣) **استعَزَّ به**: أي: اشتدَّ به المرض. انظر: النهاية (٣/ ٢٠٦).

(٤) أخرج ذلك عنها رضي الله عنها: ابن إسحاق في السيرة (٤/ ٣٠٠) وإسناده حسن.

وروى الشيخان في «صحيحيهما» ـ واللفظ لمسلم ـ عن عائشة ﵂، قالت: أول ما اشتكى رسول الله ﷺ في بيت ميمونة، فاستأذن[١] أزواجَه أن يُمرَّضَ في بيتها[٢]، وأَذِنَّ له، قالت: فخرج وَيَدٌ له على الفضل بن عباس[٣]، وَيَدٌ له على رجل آخر[٤]، وهو يَخُطُّ برجليه في الأرض[٥].

وفي لفظ آخر في «المسند» بسند حسن، قالت عائشة ﵂: كان رسول الله ﷺ إذا مَرَّ ببابي ممَّا يُلقي الكلمةَ ينفع الله ﷿ بها، فَمَرَّ ذات يوم، فلم يَقُلْ شيئًا، ثم مَرَّ أيضًا فلم يقل شيئًا ـ مرتين أو ثلاثًا ـ قلتُ: يا جارية، ضعي لي وسادة على الباب، وعَصبتُ رأسي، فَمَرَّ بي، فقال: «**يا**

---

(١) يعني: رسول الله ﷺ.

(٢) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٤/ ١١٧): يعني: بيت عائشة ﵂.

(٣) في رواية الإمام البخاري في صحيحه، ورواية أخرى في صحيح مسلم، رقم الحديث (٤١٨) (٩٢): العباس بن عبد المطلب.

* قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٤/ ١١٧): وجاء في غير مسلم بين رجلين أحدهما: أسامة بن زيد ﵄، وطريق الجمع بين هذا كله: أنهم كانوا يتناولون الأخذ بيده الكريمة ﷺ تارة هذا، وتارة ذاك وذاك، ويتنافسون في ذلك، وهؤلاء هم خواص أهل بيته الرجال الكبار، وكان العباس ﵁ أكثرهم ملازمة للأخذ بيده الكريمة المباركة ﷺ، أو أنه أدام الأخذ، وإنما يتناوب الباقون في اليد الأخرى، وأكرموا العباس ﵁ باختصاصه بيده، واستمرارًا لما له من السِّنِّ والعمومة وغيرهما؛ ولهذا ذكرته عائشة ﵂ مسمًّى وأبهمت الآخر؛ إذ لم يكن أحد الثلاثة الباقين ملازمًا في جميع الطريق، ولا معظمه بخلاف العباس، والله أعلم.

(٤) هو: علي بن أبي طالب ﵁.

(٥) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٤/ ١١٨): قولها: يخطُّ برجليه في الأرض: أي: لا يستطيع أن يرفعهما ويضمهما ويعتمد عليهما.

والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٩٨)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٤١٨) (٩١).

عائشةُ ما شأنُكِ؟» فقلتُ: أشتكي رأسي، فقال: «**أنا وارأساه!**»، فذهب، فلم يلبث إلا يسيرًا حتى جيء به محمولًا في كساء، فدخل عليَّ وبعث إلى النساء، فقال: «**إني قد اشتكيتُ، وإني لا أستطيع أن أدور بينكن، فائذَنَّ لي فلأَكُنْ عند عائشة**»[(١)].

زاد أبو داود في «سننه»: فأَذِنَّ له.



شدة الوجع على رسول الله ﷺ

اشتدت الحُمَّى على رسول الله ﷺ، حتى إن حرارتها لتوجد من فوق الثياب!

فقد روى الشيخان في «صحيحيهما» عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: دخلتُ على رسول الله ﷺ[(٢)] وهو يُوعَكُ[(٣)]، فمَسِسْتُه بيدي، فقلتُ: يا رسول الله إنك تُوعَكُ وَعْكًا شديدًا، فقال رسول الله ﷺ: «**أَجَلْ، إني أُوعَكُ كما يُوعَكُ رجلان منكم**»، فقلتُ: ذلك أنَّ لك أجرينِ؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أجل**»، ثم قال رسول الله ﷺ: «**ما من مسلم يُصيبه أذًى مِن مرضٍ فما سواه، إلا حَطَّ الله به سيئاته، كما تَحطُّ الشجرةُ ورقها**»[(٤)].

وروى ابن ماجه والحاكم بسند حسن عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه،

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٥٨٤١)، وأخرجه مختصرًا جدًّا: أبو داود في سُننه، رقم الحديث (٢١٣٧).

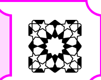
(٢) زاد البخاري في رواية أخرى، رقم الحديث (٥٦٤٧): في مرضه.

(٣) قال الحافظ في الفتح (١١/ ٢٥٠): **الوَعْك**، بفتح الواو، وسكون العين المهملة: الحُمَّى.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٥٦٦٠)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٥٧١).

قال: دخلتُ على النبي ﷺ وهو يُوعَك[١]، فوضعتُ يدي عليه، فوجدتُ حَرَّهُ بين يديَّ فوق اللحاف! فقلت: يا رسول الله، ما أشدَّها عليك! فقال رسول الله ﷺ: «**إنا كذلك**[٢]**؛ يُضعَّف لنا البلاء ويُضَعَّفُ لنا الأجر**»، قلت: يا رسول الله: أيُّ الناس أشد بلاءً؟ فقال رسول الله ﷺ: «**الأنبياء**»، قلت: يا رسول الله، ثم مَن؟ قال رسول الله ﷺ: «**ثم الصالحون، إن كان أحدهم ليُبتلَى بالفقر، حتى ما يجِدُ أحدهم إلا العباءةَ يَجُوبُها**[٣]**، وإن كان أحدهم ليَفرَحُ بالبلاء كما يَفرح أحدكم بالرخاء!**»[٤].

وروى الشيخان في «صحيحيهما» عن عائشة رضي الله عنها، قالت: ما رأيتُ أحدًا أشد عليه الوجع[٥] من رسول الله ﷺ[٦].



قول النبي ﷺ: «هريقوا عليَّ سبع قِرَب»

ثم إن رسول الله ﷺ أمرهم أن يصبُّوا عليه الماء ليعهد إلى الناس؛ فقد روى الإمام البخاري في «صحيحه» عن عائشة رضي الله عنها، قالت: إن رسول الله ﷺ لما دخل بيتي واشتدَّ به وجعه، قال: «**هريقوا عليَّ من سَبعِ قِرَبٍ**[٧]

---

(١) في رواية الحاكم: محموم. (٢) **زاد الحاكم**: «مَعْشَرَ الأنبياءِ».

(٣) **يَجُوبها**: يلبَسُها. انظر: النهاية (١/ ٢٩٩).

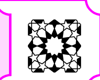
(٤) أخرجه ابن ماجه في سُننه، رقم الحديث (٤٠٢٤)، والحاكم في المستدرك، رقم الحديث (١٢٠) (٨٠٤٥)، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم الحديث (١٤٤) وصححه.

(٥) قال الحافظ في الفتح (١١/ ٢٤٩): المراد **بالوجع**: المرض، والعرب تُسمي كل وجع مرضًا.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٥٦٤٦)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٥٧٠).

(٧) **القِرَب**: جمع قِرْبة؛ وعاءٌ من جِلد، يستعمل لحفظ الماء واللبن ونحوهما. انظر: المعجم الوسيط (٢/ ٧٢٣).

لم تُحْلَلْ أوكِيَتُهنَّ[(١)]**؛ لعلِّي أعهد إلى الناس**»، فأجلسناه في مِخضَبٍ[(٢)] لحفصة زوج النبي ﷺ، ثم طَفِقْنا نَصُبُّ عليه من تلك القِرَب، حتى طفق[(٣)] يُشير إلينا بيده أن قد فعَلْتُنَّ، قالت: ثم خرج إلى الناس، فصلى بهم وخطبهم[(٤)].



ذِكْرُ فضل أبي بكر والأنصار وأسامة

ذكر رسول الله ﷺ في خطبته فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وأسامة بن زيد وأبيه رضي الله عنهما، وفضل الأنصار رضي الله عنهم؛ فقد روى الشيخان في «صحيحيهما» عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: إن رسول الله ﷺ جلس على المنبر[(٥)]، فقال: «**إن عبدًا خَيَّره الله بين أن يُؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده، فاختار ما عنده**»، فبكى أبو بكر رضي الله عنه، وقال: فديناك بآبائنا وأمهاتنا، فعجبنا له! وقال الناس: انظروا إلى هذا الشيخ، يُخبر رسولُ الله ﷺ عن عبد خَيَّرَهُ الله بين أن يُؤتيه من زهرة الدنيا وبين ما عنده، وهو يقول: فديناك بآبائنا

---

(١) **الوِكاء**، بكسر الواو، هو الخيط الذي يشَدُّ به رأس القربة. انظر: النهاية (٥/ ١٩٣).

(٢) قال الحافظ في الفتح (١/ ٤٠٢): **المِخْضَبُ**، بكسر الميم، وسكون الخاء المعجمة، وفتح الضاد المعجمة: الإناء الذي يُغسَل فيه الثياب.

(٣) **طَفِق**: جعل. انظر: النهاية (٣/ ١١٨).

(٤) أخرجه البخاري في صحيح، رقم الحديث (١٩٨) (٤٤٤٢).

(٥) في رواية أخرى عنه في مسند الإمام أحمد، رقم الحديث (١١٨٦٣) بسند صحيح، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه، وهو عاصب رأسه، **فاتَّبعتُه** حتى صَعِد على المنبر.

قال السندي في شرحه للمسند (٧/ ٦٢): قوله رضي الله عنه: فاتَّبعْتُه: صيغة المتكلم من اتَّبع، بالتشديد، كأنه ذكره للتنبيه على تحقُّق سماعه على أحسن وجه.

وأمهاتنا! فكان رسولُ الله ﷺ هو الـمُخَيَّرَ، وكان أبو بكر هو أعلَمَنا به، فقال رسول الله ﷺ: «**إن مِن أَمَنَّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنتُ متخذًا خليلًا**[١] **من أُمتي لاتخذتُ أبا بكر**[٢]**، إلا خُلَّةَ**[٣] **الإسلام، لا يبقينَّ في المسجد خَوخةٌ**[٤] **إلا خَوخةُ أبي بكر**»[٥].

وروى الإمام البخاري في «صحيحه» عن ابن عباس ﷺ، قال: خرج رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه عاصبًا رأسه بخرقة، فقعد على المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «**إنه ليس من الناس أحد أَمَنَّ عليَّ في نفسه وماله من أبي بكر بن أبي قُحافة، ولو كنتُ متخذًا من الناس خليلًا لاتخذتُ أبا بكر خليلًا، ولكِنْ خُلَّةُ الإسلام**[٦] **أفضل، سُدُّوا عني كُلَّ خَوخةٍ في هذا المسجد غيرَ خوخة أبي بكر**»[٧].

وروى الإمام البخاري في «صحيحه» عن ابن عباس ﷺ، قال: خرج

---

(١) زاد البخاري في رواية أخرى، رقم الحديث (٣٦٥٤): «غَيْرَ رَبِّي»،

(٢) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٥/ ١٢٣): معنى الحديث: أن حُبَّ الله تعالى لم يُبْقِ في قلبه موضعًا لغيره.

(٣) **الخُلَّة**، بضم الخاء: الصداقة. انظر: النهاية (٢/ ٦٨).
وفي رواية الإمام مسلم، ورواية أخرى في صحيح البخاري، رقم الحديث (٣٦٥٤): «ولكن أُخُوَّة»،

(٤) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٥/ ١٢٤): **الخَوْخَةُ**، بفتح الخاء: هي الباب الصغير بين البيتين أو الدارين ونحوه.
وفي رواية أخرى في صحيح البخاري، رقم الحديث (٣٦٥٤): «باب».

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٩٠٤)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٣٨٢) (٢).

(٦) قال السندي في شرحه للمسند (٢/ ٤٨٨): أي: الاقتصار عليها أفضل من التجاوز إلى خُلَّةٍ لا تليق له إلا مع الله تعالى.

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٦٧).

رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه بمِلْحَفةٍ[(١)] قد عَصَّبَ بِعصابة[(٢)] دسماء[(٣)]، حتى جلس على المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «**أما بعد**[(٤)]**؛ فإن الناس يَكثُرون ويَقل الأنصار حتى يكونوا في الناس بمنزلة المِلْح في الطعام، فمن وَلِيَ منكم شيئًا**[(٥)] **يَضُرُّ فيه قومًا**[(٦)] **وينفع آخرين، فلْيقبَلْ من محسِنِهم ويتجاوَزْ عن مسيئِهم**»، فكان آخِرَ مجلس جلس فيه النبي ﷺ[(٧)].

وروى الإمام أحمد في «مسنده» بسند صحيح عن رجل من أصحاب النبي ﷺ: أن النبي ﷺ قام يومئذ خطيبًا[(٨)]، فحمد الله وأثنى عليه، واستغفر للشهداء الذين قُتِلُوا يوم أُحُد، ثم قال: «**إنكم ـ يا معشر المهاجرين ـ تزيدون، وإن الأنصار لا يزيدون، وإن الأنصار عَيْبتي**[(٩)] **التي أويتُ إليها، أكرِموا**[(١٠)] **كريمهم، وتجاوَزوا عن مسيئِهم**[(١١)]**؛ فإنهم قد قضوا الذي عليهم، وبقي الذي لهم**»[(١٢)].

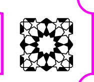
وقال ابن إسحاق: حدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن

---

(١) زاد البخاري في رواية أخرى: مُتعطِّفًا بها على منكبيه.
(٢) **العصابة**: هي كل ما عَصَبْتَ به رأسَك من عمامة أو مِنديل أو خِرقة. انظر: النهاية (٣/ ٢٢٠).
(٣) **دسماء**: سوداء. انظر: النهاية (٢/ ١١٠).
(٤) زاد البخاري في رواية أخرى، رقم الحديث (٣٨٠٠): «أيها الناس».
(٥) في رواية أخرى في صحيح البخاري: «أَمْرًا».
(٦) في رواية أخرى في صحيح البخاري: «أحدًا».
(٧) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٦٢٨) (٣٨٠٠).
(٨) زاد الإمام أحمد في رواية أخرى: عاصبًا رأسه.
(٩) قال الحافظ في الفتح (٧/ ٤٩٨): أي: بِطانتي وخاصَّتي.
(١٠) في رواية أخرى في المسند: «فأكرِموا».
(١١) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٦/ ٥٧): المراد بذلك فيما سوى الحدود.
(١٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٦٠٧٥) (٢١٩٥١).

الزبير، وغيره من العلماء: أن رسول الله ﷺ استبطأ الناسَ في بعث أسامة بن زيد رضي الله عنه، وهو في وجعه، فخرج عاصبًا رأسه حتى جلس على المنبر، وقد كان الناس قالوا في إمرة أسامة: أَمَّر غلامًا حَدَثًا على جِلَّة المهاجرين والأنصار! فحمد الله وأثنى عليه بما هو له أهل، ثم قال: «**أيها الناس، أنفِذُوا بَعْثَ أسامة؛ فلعَمْرِي لئن قلتم في إمارته لقد قلتم في إمارة أبيه من قبلُ، وإنه لخليق للإمارة، وإن كان أبوه لخليقًا لها**»(١).

وروى الشيخان في «صحيحيهما»، والإمام أحمد في «مسنده» ـ واللفظ لأحمد ـ عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قام رسول الله ﷺ في الناس، فقال: «**ألا إنكم تَعيبون أسامة، وتطعنون في إمارته، وقد فعلتم ذلك بأبيه من قبل، وإن كان لخليقًا للإمارة، وإن كان لأحَبَّ الناس كلهم إليَّ، وإن ابنه هذا من بعده لأحَبُّ الناس إليَّ؛ فاستوصوا به خيرًا؛ فإنه من خياركم**»(٢).



إمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه الناس

ولم يزل رسول الله ﷺ حريصًا على إمامة الناس بالصلاة مع ما به من شدة الوجع، حتى غلبه الوجع وأعجزه عن الخروج؛ فعند ذلك أمر رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق بإمامة الناس في الصلاة؛ فقد روى الشيخان في «صحيحيهما» عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، قال: دخلتُ على عائشة رضي الله عنها، فقلتُ: ألا تحدثيني عن مرض رسول الله ﷺ؟ قالت رضي الله عنها: بلى، ثَقُل النبي ﷺ، فقال: «**أصلى الناسُ؟**» قلنا: لا، هم ينتظرونك، قال:

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٤/ ٣٠٧).

(٢) في رواية الإمام مسلم: «صالحيكم».
والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٧٣٠) (٤٤٦٩)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٤٢٦)، والإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٥٨٤٨).

«**ضعوا لي ماءً في المِخْضَب**»، قالت: ففعلنا، فاغتسل فذهب لِيَنُوءَ[(١)] فأُغمِيَ عليه، ثم أفاق، فقال رسول الله ﷺ: «**أصلى الناس؟**» قلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله، فقال: «**ضعوا لي ماءً في المِخْضَب**»، قالت: فقعد فاغتسل، ثم ذهب ليَنُوءَ فأُغمي عليه، ثم أفاق، فقال: «**أصلى الناس؟**» قلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله، فقال: «**ضعوا لي ماء في المِخْضَب**»، فقعد فاغتسل ثم ذهب ليَنُوء فأُغمي عليه، ثم أفاق، فقال: «**أصلى الناس؟**» فقلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله، والناس عكوف في المسجد ينتظرون النبي عليه الصلاة والسلام لصلاة العشاء الآخرة، فأرسل النبي ﷺ إلى أبي بكر ﷺ بأن يُصلي بالناس، فأتاه الرسول[(٢)]، فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تُصلي بالناس، فقال أبو بكر ﷺ ـ وكان رجلًا رقيقًا ـ: يا عُمَرُ صَلِّ بالناس، فقال له عمر ﷺ: أنت أحقُّ بذلك، فصلى أبو بكر ﷺ تلك الأيام، ثم إن النبي ﷺ وَجَدَ من نفسه خِفَّةً، فخرج بين رجلين ـ أحدهما العباس ـ[(٣)] لصلاة الظهر، وأبو بكر ﷺ يُصلي بالناس، فلما رآه أبو

---

(١) قال الحافظ في الفتح (٢/ ٤٠١): **لِيَنُوءَ**، بضم النون، أي: لِيَنهَضَ بجَهدٍ.

(٢) قال الحافظ في الفتح (٢/ ٣٧٤): أي: بلال؛ لأنه هو الذي أعلم بحضور الصلاة.

(٣) والآخر هو: علي بن أبي طالب.

وفي رواية ابن ماجه في سُننه، رقم الحديث (١٢٣٤) بسند صحيح عن سالم بن عبيد ﷺ، قال: فجاءت بَريرة ورجل آخر، فاتكأ عليهما.

وفي صحيح ابن حبان، رقم الحديث (٢١١٨) بسند حسن عن عائشة ﷺ، قالت: فخرج بين بَريرة ونُوبة.

قال الحافظ في الفتح (٢/ ٣٧٥): ويُجمع كما قال النووي: بأنه خرج من البيت إلى المسجد بين هذين، ومَن ثم إلى مقام الصلاة بين العباس وعلي ﷺ، أو يُحمَل على التعَدُّد.

* **فائدة**: قال الحافظ في الفتح (٢/ ٣٧٥): **نُوبة**: بضم النون.

وقال في الإصابة (٦/ ٣٧٧): نُوبة الأسود، مولى رسول الله ﷺ.

بكر ﵁ ذهب ليتأخر، فأومأ إليه النبي ﷺ بأن لا يتأخر، وقال لهما: «**أجلِسَاني إلى جنبه**»، فأجلساه إلى جنب أبي بكر، فجعل أبو بكر يُصلي وهو قائم بصلاة النبي ﷺ، والناس بصلاة أبي بكر، والنبي ﷺ قاعد[(١)].

عدد الصلوات التي صلاها أبو بكر ﵁

قال الإمام البيهقي: الذي يدل عليه حديث أم الفضل بنت الحارث، ثم حديث عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن عائشة وابن عباس، ثم حديث عبد العزيز بن صُهيب، عن أنس بن مالك: أن أبا بكر ﵁ صلى بالناس صلاة العشاء الآخرة ليلة الجمعة، ثم صلى بهم خمس صلوات يوم الجمعة، ثم خمس صلوات يوم السبت، ثم خمس صلوات يوم الأحد، ثم صلى بهم الصبح يوم الاثنين، وتُوفي النبي ﷺ من ذلك اليوم، وكان قد خرج فيما بين ذلك حين وَجَدَ من نفسه خفة لصلاة الظهر إما يوم السبت، وإما يوم الأحد، بعدما افتتح أبو بكر ﵁ صلاته بهم، فافتتح صلاته، وعلقوا صلاتهم بصلاته، وهو قاعد وهم قيام، وصلى مرةً أُخرى خلف أبي بكر ﵁ في رواية نُعيم بن أبي هند ومَن تابعه، فيكون جملةُ ما صلى بهم أبو بكر ﵁ في حياة النبي ﷺ مع ما افتتحها قبل خروجه: سَبْعَ عشرةَ صلاةً»[(٢)].



الوصايا الأخيرة

أوصى رسول الله ﷺ أمته وصاياه الأخيرة قبل وفاته بأبي هو وأمي؛ فمن ذلك:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٦٨٧)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٤١٨) (٩٠).

(٢) انظر: دلائل النبوة للإمام البيهقي (٧/ ١٩٧).

* الركوع والسجود:

روى الإمام مسلم في «صحيحه» عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كشف رسول الله ﷺ الستارة، والناس صفوف خلف أبي بكر رضي الله عنه، فقال: «**أيها الناس، إنه لم يَبْقَ من مُبَشِّرات النبوة إلا الرُّؤيا الصالحة يراها المسلم، أو تُرى له، ألا وإني نُهيت أن أقرأ القرآن راكعًا أو ساجدًا، فأما الركوع فعَظِّموا فيه الرب عز وجل، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء؛ فَقَمِنٌ**(١) **أن يُستجاب لكم**»(٢).

* إحسان الظن بالله:

روى الإمام مسلم في «صحيحه» عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ قبل موته بثلاثة أيام، يقول: «**لا يموتنَّ أحدُكم إلا وهو يُحسن الظن بالله عز وجل**»(٣).

قال الإمام النووي: قال العلماء: هذا تحذير من القنوط، وحثٌّ على الرجاء عند الخاتمة، ومعنى: حسن الظن بالله تعالى: أن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه(٤).

* الوصية بالصلاة:

روى الإمام أحمد في «مسنده» وابن ماجه بسند صحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: كانت عامة وصية رسول الله ﷺ حين حضره الموت: «**الصلاةَ وما ملكت أيمانكم، الصلاةَ وما ملكت أيمانكم**»، حتى جعل

---

(١) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٤/ ١٦٥): قوله ﷺ: «**فَقَمِنٌ**»: هو بفتح القاف، وفتح الميم وكسرها: لغتان مشهورتان، ومعناه: حقيقٌ وجديرٌ.

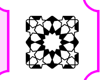
(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (٤٧٩).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٨٧٧) (٨٢).

(٤) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١٧/ ١٧٢).

رسول الله ﷺ يُغَرْغِرُ بها صَدْرُه، وما يكاد يَفِيضُ[(١)] بها لسانُه[(٢)].

وروى الإمام أحمد في «مسنده» وابن ماجه بسند حسن عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: كان آخر كلام رسول الله ﷺ: «**الصلاةَ الصلاةَ، اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم**»[(٣)].

 النظرة الأخيرة

بات رسول الله ﷺ ليلة الاثنين دَنِفًا[(٤)]، فلما طلع الفجر أصبح مُفيقًا، فكشف ستر الحُجرة، ونظر إلى الناس وهم صفوف خلف أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، فتبسم وفرح بذلك؛ فقد روى الشيخان في «صحيحيهما» والإمام أحمد في «مسنده» ـ واللفظ لأحمد ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: لما كان يومُ الاثنين، كشف رسول الله ﷺ سِتر الحُجرة، فرأى أبا بكر رضي الله عنه وهو يُصلي بالناس، قال: فنظرتُ إلى وجهه كأنه ورقةُ مُصحَف[(٥)]، وهو يتبسم، وكدنا أن نُفتَتَن في صلاتنا فرحًا لرؤية رسول الله ﷺ، فأراد أبو بكر رضي الله عنه أن يَنكِصَ[(٦)]، فأشار إليه: أنْ كما أنت، ثم أرخى السِّتر، فقُبِضَ

---

(١) قال الإمام البغوي في شرح السُّنَّة (٩/ ٣٥٠): **يَفيضُ**: هو بالصاد غير المعجمة؛ يعني: ما يُبين كلامَه، يُقال: فلان ما يَفيضُ بكلمة: إذا لم يقدِرْ على أن يتكلم ببيان، وفلان ذو إفاصة: أي: ذو بيان.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٢١٦٩)، وابن ماجه في سُننه، رقم الحديث (٢٦٩٧).

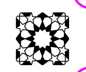
(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٥٨٥)، وابن ماجه في سُننه، رقم الحديث (٢٦٩٨).

(٤) **رجل دَنِف**: اشتد مرضُه حتى أَشفى على الموت. انظر: لسان العرب (٤/ ٤١٧).

(٥) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٤/ ١١٨): أي: عبارة عن الجمال البارع، وحسن البشرة، وصفاء الوجه واستنارته.

(٦) **النكوص**: الرجوع إلى وراء. انظر: النهاية (٥/ ١٠١).

من يومه ذلك[١]!

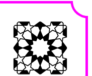


استئذان أبي بكر الصديق رضي الله عنه

استبشر الناس لمَّا رأوا رسول الله ﷺ أصبح مفيقًا، وقد روى الإمام البخاري في «صحيحه» عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أنه خرج من عند رسول الله ﷺ في وجعه الذي تُوفي فيه، فقال الناس: يا أبا الحسن، كيف أصبح رسول الله ﷺ؟ فقال: أصبح بحمد الله بارِئًا[٢].

واستَأْذن أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه في الذَّهاب إلى أهله بالسُّنْحِ[٣]، فأَذِنَ له، وذلك بعد صلاة الصبح من يوم الاثنين الذي قُبِضَ فيه رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: يا نبي الله، إني أراك وقد أصبحت بنعمة من الله كما نُحبُّ، واليومُ يومُ بنت خارجة[٤]، أفآتيها؟ فقال رسول الله ﷺ: «**نعم**»، ثم دخل رسول الله ﷺ، وخرج أبو بكر رضي الله عنه إلى أهله بالسُّنْحِ[٥].



اشتداد الوجع برسول الله ﷺ

اشتد الوجع على رسول الله ﷺ حين رجع إلى الحجرة أشدَّ ما يكون،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٦٨٠)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٤١٩)، والإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٣٠٢٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٤٤٧).

(٣) **السُّنْح**، بضم السين، وسكون النون: موضع بعوالي المدينة فيه منازل بني الحارث بن الخزرج. انظر: النهاية (٢/ ٣٦٦).

(٤) هي حبيبة بنت خارجة الأنصارية رضي الله عنها.

(٥) انظر: سيرة ابن هشام (٤/ ٣١١).

فاضطجع في حِجْرِ عائشة رضي الله عنها، وجعل يتغشَّاه الكَرْبُ الشديد، حتى تأذَّت فاطمة رضي الله عنها؛ فقد روى الإمام البخاري في «صحيحه» عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: لما ثَقُلَ النبي ﷺ جعل يتغشاه، فقالت فاطمة عليها السلام: واكَرْبَ أباه! فقال لها رسول الله ﷺ: «**ليس على أبيك كَرْبٌ بعد اليوم!**»[(١)].

زاد الإمام أحمد وابن ماجه بسند حسن قال رسول الله ﷺ: «**إنه قد حضر من أبيك ما ليس بتاركٍ منه أحدًا، الموافاةُ يوم القيامة**»[(٢)].

وبينما رسول الله ﷺ يُعالج سَكَرات الموت، وعائشة رضي الله عنها مسنِدَتُه إلى صدرها، دخل عبد الرحمٰن بن أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنهما، وفي يده سواك رَطْب يَستَنُّ[(٣)] به، فكأن رسول الله ﷺ أراد السواك؛ فقد روى الإمام البخاري في «صحيحه» عن عائشة رضي الله عنها، قالت: دخل عبد الرحمٰن بن أبي بكر رضي الله عنهما على النبي ﷺ وأنا مسندته إلى صدري، ومع عبد الرحمٰن سواكٌ رَطْبٌ يَستَنُّ به، فَأَبَدَّهُ[(٤)] رسولُ الله ﷺ بَصَرَه، فأخذتُ السواكَ فقضَمْتُه ونفَضْتُه وطَيَّبْتُه، ثم دفعتُه إلى النبي ﷺ فاستنَّ به، فما رأيتُ رسول الله ﷺ استنَّ استنانًا قطُّ أحسَنَ منه[(٥)].



---

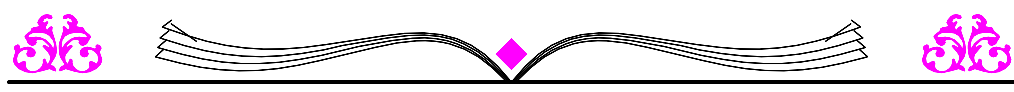
(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٤٦٢).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٢٤٣٤)، وابن ماجه في سُننه، رقم الحديث (١٦٢٩).

(٣) قال الحافظ في الفتح (٨/ ٤٨٥): **يَستَنُّ**: أي: يستاك.

(٤) قال الحافظ في الفتح (٨/ ٤٨٥): **فَأَبَدَّه**، بتشديد الدال؛ أي: مَدَّ نظَرَه إليه.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٤٣٨).



وفاة النبي ﷺ

قالت عائشةُ رضي الله عنها: وبين يديه ﷺ رَكوةٌ[١] أو عُلْبَةٌ[٢] فيها ماء، فجعل يُدخِلُ يديه في الماء فيمسح بهما وجهه، ويقول: «**لا إله إلا الله، إن للموت سَكَرات**»، ثم نَصَبَ يديه فجعل يقول: «**في الرفيق الأعلى**»، حتى قُبِضَ ومالت يده[٣]!

وروى الشيخان في «صحيحيهما» عن عائشة رضي الله عنها، قالت: كان رسول الله ﷺ يقول وهو صحيح: «**إنه لم يُقبَض نَبي حتى يرى مَقعَدَه من الجنة، ثم يُخَيَّرُ**»، فلما نزل برسول الله ﷺ ورأسُه على فَخِذي، غُشِيَ عليه، ثم أفاق، فأشخص[٤] بَصَرَه إلى سقف البيت، ثم قال: «**اللَّهُمَّ الرفيقَ الأعلى**»، فقلت: إذًا لا يختارُنا، وعرفتُ أنه الحديث الذي كان يُحَدِّثُنا به وهو صحيح، فكان آخر كلمة تكلم بها: «**اللَّهُمَّ الرفيقَ الأعلى**»[٥]!

وروى الشيخان في «صحيحيهما» عن عائشة رضي الله عنها، قالت: كنتُ مُسنِدَتَه إلى صدري ـ أو قالت: حَجْري ـ فدعا بَطَسْتٍ، فلقد انخَنَث[٦] في حَجْري،

(١) **الرَّكوة**، بفتح الراء: إناء صغير من جِلد يُشرَب فيه الماء. انظر: النهاية (٢/ ٢٣٧).

(٢) قال الحافظ في الفتح (١٣/ ١٦٨): **العُلْبة**: بضم المهملة، وسكون اللام، بعدها موحَّدة. وقال ابن الأثير في النهاية (٣/ ٢٥٨): **العُلْبة**: قَدَح من خشب.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٤٤٩) (٦٥١٠).

(٤) قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٥/ ١٧٠): **فأشخَصَ**: هو بفتح الخاء؛ أي: رَفَعَه إلى السماء.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٤٣٧) (٤٤٦٣)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٤٤٤) (٨٧).

(٦) **انخنث**: مال وانثنى لاسترخاء أعضائه عند الموت. انظر: النهاية (٢/ ٧٨).

فما شعَرْتُ أنه قد مات[١]!

وروى الإمام أحمد في «مسنده» بسند حسن عن عائشة ﵂، قالت: فبينما رأسه على منكبي إذ مال رأسه نحو رأسي، فظننتُ أنه يريد من رأسي حاجةً، فخرَجَت من فيه نُطفةٌ باردةٌ، فوقَعَت على ثُغْرة[٢] نحري[٣]، فاقشعَرَّ لها جلدي، فظننتُ أنه غُشِيَ عليه، فسَجَّيتُه[٤] ثوبًا[٥]!

وروى الإمام أحمد في «مسنده» بسند صحيح عن عائشة ﵂: قُبِضَ رسول الله ﷺ ورأسه بين سَحْري ونَحْري، فلما خرَجَت نفسُه لم أجِدْ ريحًا قطُّ أطيبَ منها[٦].

وروى الإمام البخاري في «صحيحه» عن عائشة ﵂، قالت: إن من نِعَم الله عليَّ أن رسول الله ﷺ تُوفي في بيتي وفي يومي، وبين سَحْري ونَحْري، وأن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته[٧]!

الوقتُ الذي تُوفي فيه رسول الله ﷺ وعُمُرُه

تُوفِّي رسول الله ﷺ يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول من السنة الحاديةَ عشرةَ للهجرة.

قال الحافظ في «الفتح»: كانت وفاته ﷺ يوم الاثنين بلا خلاف من ربيع الأول، وكاد يكون إجماعًا، وعند ابن إسحاق والجمهور أنها في الثاني

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٢٧٤١)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٦٣٦).
(٢) **الثُّغْرة**: نُقْرة النحر فوق الصدر. انظر: النهاية (١/ ٢٠٨).
(٣) **النَّحر**: أعلى الصدر. انظر: النهاية (٥/ ٢٣).
(٤) **سَجَّيْتُه**: غَطَّيتُه. انظر: النهاية (٢/ ٣١٠).
(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٥٨٤١).
(٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٤٩٠٥).
(٧) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٤٤٩).

عشر[١] منه[٢].

وروى الإمام أحمد في «مسنده» وابن ماجه في «سُننه» بسند صحيح، عن أنس بن مالك ﵁، قال: آخِرُ نظرة نظرتُها إلى رسول الله ﷺ كَشَف السِّتارة يوم الاثنين، فنظرتُ إلى وجهه كأنه ورقة مصحف، والناس خلف أبي بكر ﵁ في الصلاة[٣]، فأراد أن يتحرك فأشار إليه: أنِ اثبُتْ، وألقى السِّجْفَ[٤]، ومات من آخر ذلك اليوم[٥]!

وقال ابن إسحاق: تُوفي رسول الله ﷺ حين اشتد الضَّحَاءُ من ذلك اليوم[٦].

قال الحافظ في «الفتح»: ويُجمع بينهما بأن إطلاق الآخر بمعنى ابتداء الدخول في أول النصف الثاني من النهار، وذلك عند الزوال، واشتداد الضُّحى يقع قبل الزوال، ويستمر حتى يتحقق زوال الشمس، وقد جزم موسى بن عقبة عن ابن شهاب بأنه ﷺ مات حين زاغت الشمس، وكذا لأبي الأسود عن عروة؛ فهذا يُؤيد الجمع الذي أشرتُ إليه[٧].

وكان عمر رسول الله ﷺ يوم توفي ثلاثًا وستين سنة؛ فقد روى الشيخان في «صحيحيهما» عن عائشة ﵂، قالت: إن النبي ﷺ تُوفي وهو

---

(١) قال الحافظ ابن كثير في الفصول في سيرة الرسول، ص (٢٦٠): المشهور أنه الثاني عشر.
(٢) انظر: فتح الباري (٨/ ٤٧٣).
(٣) هي: صلاة الفجر كما وقع ذلك مصرَّحًا به في رواية الإمام البخاري، رقم الحديث (٧٥٤).
(٤) قال السندي في شرحه للمسند (٧/ ١٢٩): **السِّجْف**، بكسر السين، وسكون الجيم: هو السِّتر.
(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٢٠٧٢)، وابن ماجه في سُننه، رقم الحديث (١٦٢٤)، وأخرجه بنحوه: الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٧٥٤)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٤١٩) (٩٨).
(٦) يعني: من يوم الاثنين. وانظر: سيرة ابن هشام (٤/ ٣١٢).
(٧) انظر: فتح الباري (٨/ ٤٩١).

ابن ثلاث وستين[(١)].

وروى الشيخان في «صحيحيهما» عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: بُعث رسول الله ﷺ لأربعين سنة، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يُوحى إليه، ثم أُمِرَ بالهجرة فهاجر عشر سنين[(٢)]، ومات وهو ابن ثلاث وستين[(٣)].

قال الإمام البيهقي: ورواية الجماعة عن ابن عباس في ثلاث وستين: أصحُّ؛ فهم أوثق وأكثر، وروايتهم توافق الرواية الصحيحة عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها، وإحدى الروايتين عن أنس رضي الله عنه، والرواية الصحيحة عن معاوية رضي الله عنه، وهو قول سعيد بن المسيب، وعامر الشعبي، وأبي جعفر محمد بن علي رضي الله عنه[(٤)].

وقال الإمام النووي: ثلاث وستون هي أصحُّها وأشهرها، رواه مسلم هنا في رواية عائشة، وأنس، وابن عباس رضي الله عنهم واتفق العلماء على أن أصحها ثلاث وستون[(٥)].

وقال الحافظ ابن كثير: أما إقامته ﷺ بالمدينة عشرًا، فهذا مما لا خلاف فيه، وأما إقامته بمكة بعد النبوة؛ فالمشهور ثلاث عشرة سنة؛ لأنه عليه السلام أوحِيَ إليه وهو ابن أربعين سنة، وتُوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة على الصحيح[(٦)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٥٣٦) (٤٤٦٦)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٣٤٩).

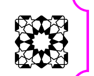
(٢) قال الحافظ في الفتح (٧/ ٦٣٦): أي: أقام مهاجرًا عشر سنين، وهو كقوله تعالى: ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِائَةَ عَامٍ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٩٠٢)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٣٥١).

(٤) انظر: دلائل النبوة للبيهقي (٧/ ٢٤١).

(٥) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١٥/ ٨١).

(٦) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٢٠).

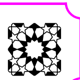


هَوْل الفاجعة

قال الحافظ ابن كثير: فاشتدت الرَّزِيَّة[١] بموته ﷺ، وعَظُمَ الخَطْب وجَلَّ الأمر، وأُصيب المسلمون في نبيِّهم ﷺ[٢]!

وروى الإمام أحمد في «مسنده» بسند حسن عن عائشة رضي الله عنها، قالت: جاء عمر والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهما، فاستأذنا، فأذنتُ لهما، وجَذَبتُ إليَّ الحجاب، فنظر عمر رضي الله عنه إليه، فقال: واغَشْياه، ما أشد غَشْيَ رسولِ الله ﷺ! ثم قاما، فلما دَنَوَا من الباب، قال المغيرة رضي الله عنه: يا عمر، مات رسول الله ﷺ! قال: كذَبْتَ؛ بل أنت رجل تَحُوْسُك[٣] فتنة! إن رسول الله ﷺ لا يموت حتى يُفني اللهُ عز وجل المنافقين[٤]!

وفي لفظ آخر في «صحيح البخاري»، قالت عائشة رضي الله عنها: فقام عمر رضي الله عنه يقول: والله ما مات رسول الله ﷺ، وليبعثنَّه الله فليَقْطَعَنَّ أيديَ رجالٍ وأرجُلَهم[٥]!



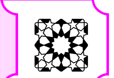
قدومُ أبي بكر الصديق رضي الله عنه

ثم أقبل أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه المؤيَّد المنصور أولًا وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا، فأقام الأَوَد، وصدع بالحق؛ فقد روى الإمام البخاري في «صحيحه» عن عائشة رضي الله عنها، قالت: أقبل أبو بكر رضي الله عنه على فرسه من مسكنه بالسُّنْحِ حتى نزل، فدخل المسجد، فلم يُكَلِّم الناس حتى دخل على عائشة رضي الله عنها، فتيمَّم[٦]

---

(١) **الرَّزِيَّة**: المُصيبة. انظر: لسان العرب (٥/ ٢٠٠).
(٢) انظر: الفصول في سيرة الرسول، ص (٢٦١).
(٣) **تحوسُك**: أي: تخالِطُك وتحَثُّك على ركوبها. انظر: النهاية (١/ ٤٤٢).
(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٥٨٤١).
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٦٦٧).
(٦) **أَمَّه**: قَصَدَه. انظر: النهاية (١/ ٧٠).

النبيَّ ﷺ وهو مُسجًّى[١] بِبُرْدٍ[٢] حِبَرَةٍ[٣]، فكشف عن وجهه، ثم أَكبَّ عليه فقبَّلَهُ، ثم بكى، فقال: بأبي أنت وأمي يا نبي الله! والله لا يجمع الله عليك موتتين[٤]، أما الموتةُ التي كُتِبت عليك فقد مُتَّها[٥].



خطبة أبي بكر رضي الله عنه في الناس

ثم خرج أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه إلى الناس، وأخبرهم بموت رسول الله ﷺ؛ فقد روى الإمام البخاري في «صحيحه» عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: إن أبا بكر رضي الله عنه خرج، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه يُكلِّم الناس، فقال: اجلس يا عمر، فأبى عمر أن يجلس، فأقبل الناس إليه وتركوا عمر، فقال أبو بكر: أمَّا بعدُ؛ مَن كان منكم يعبد محمدًا ﷺ، فإن محمدًا قد مات، ومَن كان يعبد الله، فإن الله حي لا يموت! قال الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى اللَّهُ الشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران: ١٤٤][٦].

---

(١) **مُسَجًّى**: مُغَطًّى. انظر: النهاية (٢/ ٣١٠).

(٢) **البُردة**: نوع من الثياب معروف. انظر: النهاية (١/ ١١٦).

(٣) قال الحافظ في الفتح (٣/ ٤٥١): **حِبَرَة**، بكسر الحاء، وفتح الباء، بوزن عِنَبة، نوع من برود اليمن مخطَّطة.

(٤) قال الحافظ في الفتح (٣/ ٤٥٠): هو على حقيقته، وأشار بذلك إلى الرد على مَن زعم أنه سيحيا، فيقطع أيديَ رجال؛ لأنه لو صح ذلك للزم أن يموت موتة أخرى، فأخبر أنه أكرمُ على الله من أن يجمع عليه موتتين كما جمعهما على غيره: كالذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف، وكالذي مر على قرية، وهذا أوضح الأجوبة وأسلمها.

(٥) في رواية ابن إسحاق في السيرة (٤/ ٣١٣): ذُقْتَها.

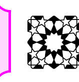
والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٢٤١) (١٢٤٢) (٤٤٥٢) (٤٤٥٣).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٢٤١) (١٢٤٢) (٤٤٥٢) (٤٤٥٣).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: فَنَشَجَ النَّاسُ يَبكون[١]!

قال: وَاللهِ لكأنَّ الناسَ لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر رضي الله عنه! فتلقاها الناس منه كلُّهم، فما أسمعُ بشرًا من الناس إلا يتلوها، وقال عمر رضي الله عنه: والله ما هو إلا أن سمعتُ أبا بكر تلاها، فعَقِرْتُ[٢] حتى ما تُقِلُّني[٣] رجلاي، وحتى أهويتُ[٤] إلى الأرض حين سمعتُه تلاها عَلِمْتُ أن النبي ﷺ قد مات[٥].

وروى الإمام البخاري في «صحيحه» ـ مُعَلَّقًا ـ عن عائشة رضي الله عنها، قالت: فما كانت من خُطبتِهما من خُطبةٍ إلا نفع الله بها؛ لقد خَوَّف عمرُ الناسَ وإن فيهم لنفاقًا، فرَدَّهم الله بذلك، ثم لقد بَصَّرَ أبو بكر الناسَ الهُدَى، وعَرَّفهم الحق الذي عليهم، وخرجوا به يَتْلون: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران: ١٤٤][٦].



جهاز النبي ﷺ وغسله وتكفينه

فلما بُويع أبو بكر الصديق رضي الله عنه بالخلافة، أقبل آلُ بيت النبي ﷺ

---

(١) أخرج ذلك البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٦٦٨).

(٢) **العَقَر**، بفتحتين: هو أن يفجَأه الرَّوْعُ فيَدهَشَ ولا يستطيعَ أن يتقدَّمَ أو يتأخَّرَ. انظر: النهاية (٣/ ٢٤٧).

(٣) **تُقِلُّني**: تحمِلُني. انظر: النهاية (٤/ ٩١).

(٤) **هَوَى**: سقط. انظر: لسان العرب (١٥/ ١٦٧).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٢٤١) (١٢٤٢) (٤٤٥٢) (٤٤٥٣).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٦٦٩) (٣٦٧٠).

قال الحافظ في الفتح (٧/ ٣٨٥): وهذه الطريق لم يوردها البخاري إلا معلَّقةً، ولم يَسُقْها بتمامها، وقد وصلها الطبراني في مسند الشاميِّينَ.

على جهازه وغسله، واختلفوا في ذلك؛ فقد روى الإمام أحمد في «مسنده» وأبو داود في «سُننه» بسند حسن عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: لما أرادوا غَسْلَ رسول الله ﷺ اختلفوا فيه، فقالوا: والله ما ندري كيف نصنع، أنُجَرِّدُ رسول الله ﷺ كما نُجَرِّدُ موتانا، أم نُغَسِّلُه وعليه ثيابُه؟

قالت: فلما اختلفوا أرسل الله عليهم السِّنَةَ[١] حتى والله ما مِن القوم من رَجُلٍ إلا ذَقَنُه في صدره نائمًا! قالت: ثم كلمهم من ناحية البيت، لا يدرون مَن هو، فقال: اغسِلوا النبي ﷺ وعليه ثيابه، قالت: فثاروا إليه، فغسلوا رسول الله ﷺ وهو في قميصه، يُفاضُ عليه الماء والسِّدر، ويَدلُكُه الرجال بالقميص[٢].

وروى الإمام أحمد في «مسنده» بسند حسن لغيره عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: لما اجتمع القوم لِغَسْل رسول الله ﷺ، وليس في البيت إلا أهله: عمه العباس بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب، والفضل بن العباس، وقُثَمُ[٣] بن العباس، وأسامة بن زيد بن حارثة، وصالح مولاه[٤]، فلما أجمعوا الغَسْلَ نادى من وراء الباب أوسُ بن خولي الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم أحد بني عوف بن الخزرج ـ وكان بدريًّا ـ عليَّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال له: يا عليُّ نَشَدْتُك الله وحَظَّنا من رسول الله ﷺ، فقال له علي: ادخُلْ، فدخل فحضر غَسْلَ رسول الله ﷺ، ولم يَلِ من غَسْلِه شيئًا، قال: فأسنده إلى صدره

---

(١) **السِّنة**: النعاس من غير نوم. انظر: لسان العرب (١٥/ ٣٠٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٦٣٠٦)، وأبو داود في سُننه، رقم الحديث (٣١٤١).

(٣) قال ابن الأثير في جامع الأصول (٢/ ٧٨٧)، قسم التراجم: **قُثَم**: بضم القاف وفتح الثاء.

(٤) يعني: مولى رسول الله ﷺ.

قال الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٥٧٧): **شُقْران**، بضم الشين المعجمة، مولى رسول الله ﷺ مشهور بهذا اللقب، واسمه صالح، وكان عبدًا حبشيًّا لعبد الرحمٰن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أهداه للنبي ﷺ، وقيل: بل اشتراه، فأعتقه بعد بدر، وكان فيمن حضر غَسْلَ رسول الله ﷺ، ومات في المدينة.

وعليه قميصُه، وكان العباس والفضل وقُثَمُ يُقلِّبونه مع علي بن أبي طالب، وكان أسامة بن زيد وصالح مولاهما يَصُبان الماء، وجعل عليٌّ يَغْسِلُه، ولم يُرَ من رسول الله ﷺ شيء مما يُرَاهُ من الميتِ، وهو يقول: بأبي وأمي، ما أطيَبَك حيًّا وميتًا! حتى إذا فرغوا من غَسْلِ رسول الله ﷺ، وكان يُغسَل بالماء والسِّدر، جَفَّفُوه، ثم أُدرج في ثلاثة أثواب[(١)].

وروى الشيخان في «صحيحيهما» عن عائشة رضي الله عنها، قالت: كُفِّنَ رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب بِيضٍ سَحُوليةٍ[(٢)]، من كُرْسُفٍ[(٣)]، ليس فيها قميص ولا عِمامة[(٤)].

قال الإمام الترمذي في «جامعه»: وقد رُوي في كفن النبي ﷺ روايات مختلفة، وحديث عائشة أصحُّ الروايات التي رُويت في كفن النبي ﷺ، والعمل على حديث عائشة عند أكثر أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم[(٥)].



الصلاة على رسول الله ﷺ

فلما كُفِّنَ رسول الله ﷺ أُذِن للناس بالصلاة عليه فُرادى، لا يَؤُمُّهم أحد؛ فقد روى الإمام أحمد في «مسنده» بسند صحيح عن أبي عَسيب رضي الله عنه أنه شهد الصلاة على رسول الله ﷺ، قالوا: كيف نُصلي عليه؟ قال: ادخلوا أرسالًا[(٦)] أرسالًا، قال: فكانوا يدخلون من هذا الباب، فَيُصلون عليه، ثم

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٣٥٧).

(٢) **سَحُوليَّة**، بفتح السين: نسبة إلى قرية باليمن تُنسب إليها الثياب، ورُوِيَ بضم السين، وهو جمع سَحْل، وهو الثوب الأبيض النقي. انظر: النهاية (٢/ ٣١٣)، جامع الأصول (١١/ ٧٨).

(٣) **الكُرسُف**: القطن. انظر: النهاية (٤/ ١٤٢).

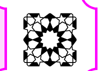
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (١٢٦٤)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٩٤١) (٤٥).

(٥) انظر: جامع الإمام الترمذي (٢/ ٤٨٥).

(٦) **أرسالًا**: أي: أفواجًا وفِرَقًا متقطِّعة، يَتْبَع بعضهم بعضًا. انظر: النهاية (٢/ ٢٠٢).

يخرجون من الباب الآخر[١].

قال الحافظ ابن كثير: وهذا الصنيع، وهو صلاتهم عليه ﷺ فُرادى لم يَؤُمَّهم أحد عليه: أمر مجمع عليه لا خلاف فيه[٢].



دفن النبي ﷺ

دُفِنَ رسول الله ﷺ في الموضع الذي قُبِضَ فيه؛ فقد روى الإمام أحمد في «مسنده» والترمذي في «جامعه» بسند صحيح بطرقه وشواهده، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: لما قُبض رسول الله ﷺ اختلفوا في دفنه؛ فقال أبو بكر رضي الله عنه: سمعت من رسول الله ﷺ شيئًا ما نسيتُه، قال: «**ما قَبَضَ الله نبيًّا إلا في الموضع الذي يُحِبُّ أن يُدفَنَ فيه**»، ادفنوه في موضع فراشه[٣].

وروى الإمام الترمذي في «الشمائل» بسند صحيح عن سالم بن عُبيد الأشجعي رضي الله عنه، قال: قالوا لأبي بكر الصديق رضي الله عنه: يا صاحب رسول الله ﷺ، أيُدفَنُ رسول الله ﷺ؟ قال: نعم. قالوا: أين؟ قال رضي الله عنه: في المكان الذي قَبَضَ الله فيه رُوحَه؛ فإن الله لم يقبض روحه إلا في مكان طَيِّبٍ[٤].

وروى الإمام أحمد في «مسنده» وابن ماجه في «سُننه» بسند حسن عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: لما تُوفي رسول الله ﷺ كان بالمدينة رجل يَلحَدُ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٠٧٦٦).

(٢) انظر: البداية والنهاية (٥/ ٢٧٨).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٧)، والترمذي في جامعه، رقم الحديث (١٠٣٩).

(٤) أخرجه الإمام الترمذي في الشمائل، رقم الحديث (٣٩٦)، وأورده الحافظ في الفتح (٢/ ٩٦) وصحح إسناده.

وآخَرُ يَضرَحُ، فقالوا: نستخير ربنا ونبعث إليهما، فأيُّهما سَبَقَ تركناه، فأُرْسِلَ إليهما، فَسَبَقَ صاحِبُ اللَّحدِ؛ فلَحَدوا للنبي ﷺ[(١)].

وروى ابن حبان في «صحيحه» بسند جيد عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: دخل قَبْرَ رسول الله ﷺ العباسُ وعليٌّ والفضلُ، وَسَوَّى لَحْدَه رجل من الأنصار[(٢)]، وهو الذي سَوَّى لحود الشهداء يوم بدر[(٣)].

وروى الإمام مسلم في «صحيحه» عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: جُعِلَ في قبر رسول الله ﷺ قطيفةٌ[(٤)] حمراءُ[(٥)].

وروى الإمام الترمذي في «جامعه» بسند حسن عن شُقران رضي الله عنه، قال: أنا ـ وَاللهِ ـ طَرَحْتُ[(٦)] القطيفة تحت رسول الله ﷺ في القبر[(٧)].

وروى ابن ماجه بسند حسن لغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان شُقران مولاه أخذ قطيفة كان رسول الله ﷺ يَلبَسُها، فدفنها في القبر، وقال: والله لا يَلبسها أحد بعدك أبدًا؛ فدُفِنَت مع رسول الله ﷺ[(٨)].

وكان دفنُ رسول الله ﷺ ليلة الأربعاء؛ فقد روى الإمام أحمد في «مسنده» بسند حسن عن عائشة رضي الله عنها، قالت: توفي النبي ﷺ يوم الاثنين،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٢٤١٥)، وابن ماجه في سُننه، رقم الحديث (١٥٥٧).

(٢) هو: أبو طلحة زيد بن سهل الأنصاري رضي الله عنه، كما في رواية الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٣٥٧).

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه، رقم الحديث (٦٦٣٣).

(٤) **القطيفة**: كساءٌ له خَمْل. انظر: النهاية (٤/ ٧٥).

(٥) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (٩٦٧).

(٦) **طَرَحْتُ**: رَمَيتُ. انظر: لسان العرب (٨/ ١٣٧).

(٧) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه، رقم الحديث (١٠٦٨).

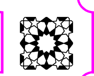
(٨) أخرجه ابن ماجه في سُننه، رقم الحديث (١٦٢٨).

ودُفِن ليلة الأربعاء[١].

وروى الإمام أحمد في «مسنده» بسند حسن عن عائشة رضي الله عنها، قالت: ما عَلِمْنا بدفن رسول الله ﷺ حتى سَمِعْنا صوتَ المساحي[٢] من آخر الليل ليلة الأربعاء[٣]!

قال الحافظ ابن كثير: الصحيح أنه ﷺ مكث بقية يوم الاثنين، ويوم الثلاثاء بكماله، ودُفِنَ ليلة الأربعاء[٤].

وقال الإمام السندي: وسبب تأخير دفنه ﷺ بسبب اشتغال الصحابة رضي الله عنهم بالأمور العظام؛ كالبَيعة التي خافوا الفِتَن بتأخيرها[٥].



من خصائص النبي ﷺ في كفنه وقبره

قال الإمام الذهبي: وأما دَفْنُه ﷺ في بيت عائشة ـ صلواتُ الله عليه وسلامُه ـ فمُختصٌّ به، كما خُصَّ ببسط قطيفة تحته في لحده، وكما خُصَّ بأن صَلَّوا عليه فُرادى بلا إمام، فكان هو إمامَهم حيًّا وميتًا في الدنيا والآخرة، وكما خُصَّ بتأخير دفنه يومين، ويُكرَه تأخير أمَّته؛ لأنه هو أُمِنَ عليه التغير بخلافنا، ثم إنهم أخَّروه حتى صَلَّوا كُلُّهم عليه داخل بيته؛ فطال لذلك الأمر، ولأنهم تردَّدوا شطر اليوم الأول في موته حتى قدم أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه من السُّنْح، فهذا كان سبب التأخير[٦].

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٤٧٩٠).

(٢) **المساحي**: جمع مِسحاة، وهي المِجْرَفة من الحديد. انظر: النهاية (٤/ ٢٨٠).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٤٣٣٣).

(٤) انظر: البداية والنهاية (٥/ ٢٨٤).

(٥) انظر: شرح السندي للمسند (١٤/ ٢٧٣).

(٦) انظر: سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٠).

وروى الإمام أحمد في «مسنده» بسند صحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: ما رأيتُ يومًا قطُّ أنورَ ولا أحسَنَ من يوم دخل رسول الله ﷺ وأبو بكر المدينة[١]، وشهدتُ وفاتَه، فما رأيتُ يومًا قطُّ أظلَمَ ولا أقبَحَ من اليوم الذي تُوفي رسول الله ﷺ فيه[٢]!

وروى الإمام أحمد في «مسنده» وابن ماجه في «سُننه» بسند صحيح، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: لما كان اليومُ الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة، أضاء منها كلُّ شيء، فلما كان اليومُ الذي مات فيه، أظلم منها كلُّ شيء، وما نفضنا عن رسول الله ﷺ الأيدي حتى أنكرنا قلوبَنا[٣]!

وروى الإمام البخاري في «صحيحه» عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قالت فاطمة رضي الله عنها لما مات رسول الله ﷺ: يا أبتاه أجاب ربًّا دعاه، يا أبتاه جنةُ الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه[٤]!

قلتُ: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، ونُشهِدُ اللهَ سبحانه وتعالى بأنَّ رسولَه ﷺ بلَّغ الرسالة، وأدَّى الأمانة، ونصح للأمة، وتركَنا على المحجَّةِ البيضاء ليلُها كنهارها، وصلَّى اللهُ وسلَّم وبارك على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تمَّ بفضلِ الله تعالى المختَصَرُ في السِّيرة
في ليلة الاثنين ـ الساعة ١١:٤٠
٤ جمادى الثانية ١٤٤٢هـ
١٧ يناير ٢٠٢١م
والحمدُ للهِ رَبِّ العالَمين

---

(١) يعني: بعد الهجرة.
(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٢٢٣٤).
(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٣٨٣٠)، وابن ماجه في سُننه، رقم الحديث (١٦٣١).
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٤٦٢).

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة